المزارات الإسلامية والآثار العربية في مصر والقاهرة المعزية

تأليف

حسن قاسم

تصدير

الشيخ علي جمعة

تقديم

مصطفى الفقي

اللجنة العلمية

خالد عزب

محمد الجمل

الجزء الرابع

تحقيق

حسام عبد الباسط

محمود عبد الباسط

مراجعة

محمد أبو العمايم

مكتبة الإسكندرية

٢٠١٧

المزارات الإسلامية والآثار العربية
في مصر والقاهرة المعزية

الجزء الرابع

المزارات الإسلامية في القرنين التاسع والعاشر الهجريين
ومزارات جنوب وشرق القاهرة

مكتبة الإسكندرية بيانات الفهرسة- أثناء - النشر (فان)

قاسم، حسن.

المزارات الإسلامية والآثار العربية في مصر و القاهرة المعزية / تأليف حسن قاسم ؛ تصدير علي جمعة ؛ تقديم مصطفى الفقي ؛ اللجنة العلمية خالد عزب، محمد الجمل ؛ مراجعة محمد أبو العمايم. - الإسكندرية، مصر : مكتبة الإسكندرية، مركز دراسات الحضارة الإسلامية، ٢٠١٧.

مجلدات ؛ سم. (سلسلة دراسات في الحضارة الإسلامية)

تدمك ٢-٤٣٢-٤٥٢-٩٧٧-٩٧٨

المجلد ١. مقدمة في تاريخ العمارة الإسلامية / تحقيق أحمد سالم سالم-- المجلد ٢. المزارات الإسلامية من القرن الأول حتى منتصف القرن السادس الهجري / تحقيق حسام عبد الباسط -- المجلد ٣. مدارس القاهرة ودور العلم ومزارات القرنين السابع والثامن الهجريين / تحقيق حسام عبد الباسط -- المجلد ٤. المزارات الإسلامية في القرنين التاسع والعاشر الهجريين ومزارات جنوب وشرق القاهرة / تحقيق حسام عبد الباسط، محمود عبد الباسط -- المجلد ٥. المزارات الإسلامية من القرن العاشر إلى أواسط القرن الثاني عشر الهجري وضرائح العظماء والصلحاء / تحقيق شيماء السايح -- المجلد ٦. الخطط الرئيسية لمدينتي القاهرة والفسطاط والمذكرات والنصوص التاريخية / تحقيق أحمد سالم سالم-- المجلد ٧. مشاهد الأشراف والمساجد النسوية والحديثة المستجدة / تحقيق مجدي علوان -- المجلد ٨. الملاحق.

١. العمارة الإسلامية -- مصر. ٢. الحضارة الإسلامية -- مصر. أ. جمعة، علي، ١٩٥٢- ب. الفقي، مصطفى، ١٩٤٤- ج. عزب، خالد، ١٩٦٦- د. الجمل، محمد عبد المنعم. هـ. أبو العمايم، محمد. و. مركز دراسات الحضارة الإسلامية. ز. العنوان

ديوي ٧٢٠,٩٦٢ ٢٠١٧٨٤٣٤٩٩

ISBN: 978-977-452-432-2
رقم الإيداع : 13493/ 2017

المحتويات

الفصل الأول
المزارات الإسلامية في القرن التاسع الهجري

الفصل الثاني
المزارات الإسلامية في القرن العاشر الهجري

الفصل الثالث
المزارات الإسلامية في جنوب مدينة القاهرة
القرافة الصغرى والقرافة الناصرية

الفصل الرابع
المزارات الإسلامية في شمال وشرق مدينة القاهرة
القرافة، باب النصر، باب الوزير، البستان، ميدان القبق، والبرقية

الفصل الأول

المزارات الإسلامية في القرن التاسع الهجري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نعمة الإسلام

الحمد لله وحده

في هذا الجزء الذي نقدمه للناطقــين بالضاد في ربوع العالم بأسره نبدأ بالمرحلة الرابعة من مراحل هذا الكتاب، وهي خاصة بالمساجد والمشاهد والمزارات والآثار الإسلامية التي أنشئت أو جددت بالقاهرة والفسطاط في غضون القرن التاسع الهجري حتى ختام القرن العاشر، وســيجد هواة الآثار الإسلامية وطلاب تواريخ المساجد والمشاهد والأضرحة والأماكن المقدسة بالقاهرة أننا كتبنا عن هذه المجموعة أدق وأهم وأوسع وأصح ما كتب عنها منذ حدوثها حتى الآن، مع تصحيح ما التبس على الباحثين من أمرها، والله تعالى ولي التوفيق.

حسن قاسم

مدير مجلة هدى الإسلام

مسجد ابن غراب (الخانقاه الغرابية)

أثر رقم ٣١٢ (سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م)

هذا المسجد بشارع درب الجماميز «قبو الكرماني[١]، جماميز السعدية[٢]».

أنشأه الأمير سعد الدين إبراهيم بن غراب الظاهري، في سنة (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م) برسم خانقاه للصوفية[٣]، في جانب من خانقاه الأمير بشتاك الناصري[٤].

لم يذكرها المقريزي رغم أنه أدركها[٥]، وذكرها السخاوي في الضوء اللامع في ترجمة شيخها الشيخ محمد

(١) درب الجماميز: أحد شوارع القسم الجنوبي بالقاهرة الذي كان متفرعًا من شارع الخليج الناصري «شارع بورسعيد حاليًّا» أو شارع بشتاك نسبة لجامع بشتاك وخانقاه بشتاك، وكان يعرف قبل هذه التسمية باسم قبو الكرماني نسبة للأمير طقزدمر الكرماني وكان يبدأ بشارع ضلع السمكة وينتهي بشارع اللبودية، انظر: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: المعروف بالخطط المقريزية**، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مج. ٣: ٣٦٧ ، ٤٩٢؛ مج. ٤ (لندن: دار الفرقان، ٢٠٠٣): ٢٣٦، ٢٣٨؛ علي مبارك، **الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة**، مج. ٣ (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٠): ١٠.

(٢) جماميز السعدية: ورد ذكر الجماميز السعدية في خطط المقريزي بالقرب من موضع حكر قوصون الواقع غرب الخليج الناصري في حين أن خانقاه بن غراب تقع شرقي الخليج مما يعني أن حسن قاسم قد جانبه الصواب في ذكر الجماميز السعدية مقترنًا بدرب الجماميز و قبو الكرماني في موضع الخانقاه.

(٣) ذكرها علي باشا مبارك باسم زاوية سعد الدين الغرابي تجاه مسجد بشتاك، وصار بعض منها مساكن في زمنه عدا إيوان واحد، وكانت تحت نظر شخص يدعى محمد الحمامي، ثم عاد وذكر في موضع آخر أنها كانت عامرة ومقامة الشعائر في ذلك الوقت، والخانقاه حاليًّا يشغلها مقر تفتيش يتبع وزارة الآثار، ولم يرد في المصادر التاريخية تاريخ بنائها إلا أن الشريط الكتابي الموجود على الواجهة يفيد ببنائها بعد عام (٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م)، ولقد أورد العديد من المؤرخين الكثير من أخبار منشئها وهو الأمير سعد الدين بن غراب الإسكندراني الذي عاش أيام السلطان برقوق وابنه الناصر فرج والمتوفى سنة (٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، انظر: المرجع السابق، مج. ٦: ٣١، ٤٩.

(٤) خانقاه بشتاك: بنيت عام (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)، وهي مندثرة حاليًّا وحل مكانها سبيل وكتاب مصطفى فاضل أخو الخديو إسماعيل، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٧٤٦؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ٤٩.

(٥) يبدو أن صاحب المزارات اطلع على إحدى نسخ الخطط المقريزية الناقصة والتي لم يرد فيها ذكر خانقاه ابن غراب، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٧٤٦.

ابن أحمد الغراقي الشـافعي [المتوفى سنة (٨١٦هـ/ ١٤١٣م)]، ووضعها بالقرب من جامع بشتك[١].

ويظهر أن هذه الخانقاه لم تشتهر اشتهار غيرها من زوايا القاهرة المعدة لسـكنى طوائف الصوفية، وقد كان هذا سببًا لتخرب جزء كبير منها، وقـد تخلف منها إلى اليوم الواجهة والباب والمدخل وجزء في داخلهـا وكانت واجهتها منذ ٣٦ سنة بارزة في الشارع العمومي، فلما شرع في تجديدها في سنة (١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م) زحزحت حتى جاوزت خط التنظيم[٢].

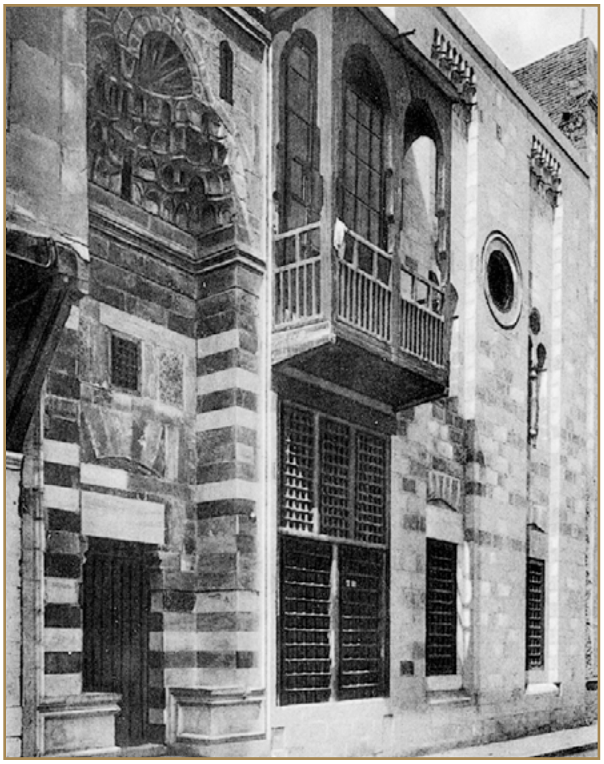
المذكرات التاريخية

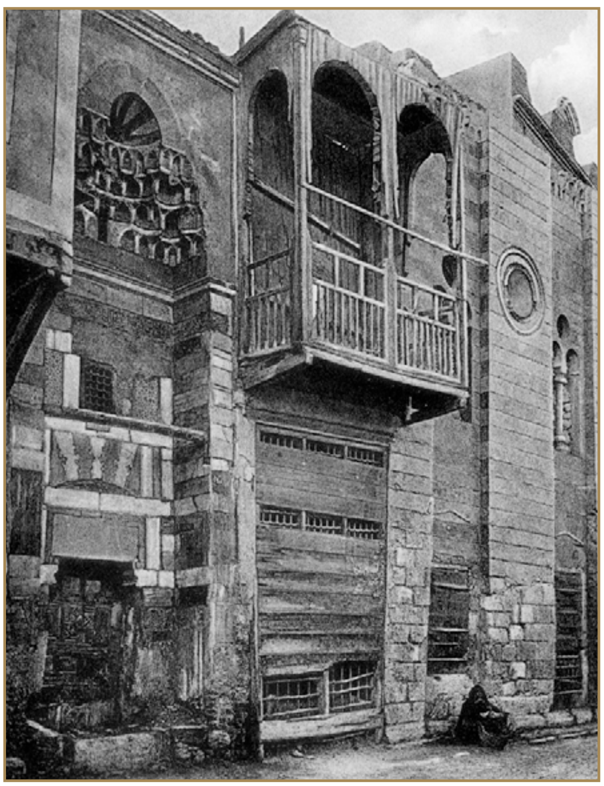
المذكرة الأولى بأعلى الباب وبجانبيه، وقد تآكل جزء منها وفقد.

البسـملة... إنما يعمر مسـاجد الله من آمن بالله واليوم الآخـر إن الله وملائكته يصلون على النبي يـا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسـلموا تسـليما، أمر بإنشـاء هذه الخانقا الشريفة العبد الفقير إلى الله وأحوجهم إلى رحمته وعفـوه إبراهيم بن غراب اسـتادار العالية وناظر الجيوش المنصورة والخواص

(١) جامع بشتاك: بني عام (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) بشارع قبو الكرماني أو درب الجماميز بجوار خانقاه بشتاك، وكان بينهما سباط يصل بينهما، وكان من أجمل المساجد في زخارفه ورخامه، ولكن لم يتبق منه سوى المنارة والباب؛ حيث جدد على يد الأميرة ألفت قادن والدة الأمير مصطفى فاضل أخي الخديو إسماعيل ذلك بمناسبة بناء السراي الجديدة التي سكنها وتحولت بعد ذلك كمقر لديوان المدارس والكتبخانة الخديوية وديوان الأوقاف، انظر: المرجع السابق: ٢٣٦؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٣: ١٠؛ مج. ٤: ١٠ .

(٢) يظهر على الشريط الكتابي الخارجي للخانقاه تأريخ لهذه العملية؛ حيث ذكر عملية الهدم وإعادة البناء في عهد الخديو عباس حلمي الثاني وذلك بدأ عام (١٩٠٧م)، وانتهى عام (١٩١١م).





منظر عام لخانقاه ابن غراب: قبل وبعد الترميم «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

الشريفة وما يتبع ذلك تقبل الله منه ولطف به في الدارين بمحمد وآله سنة ست وثمان مائة.

المذكرة الثانية في روسم بالوجهة وهي تشير إلى ما كانت عليه قبل التجديد وما بعده في سنة (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م):

هذه الخانقاه المباركة أنشأها القاضي الأمير سعد الدين إبراهيم بن عبد الرزاق بن عمر الإسكندراني ناظر الجيوش المنصورة والخواص الشريفة وكاتب السر على أيام السلطان الظاهر برقوق وولده. أنشأها بعد سنة ثمانمائة من الهجرة وكانت وجهتها خارجة في الطريق. ومردومة أسفلها فهدمتها لجنة حفظ الآثار العربية وأعادت بناءها على سمته في عصر خديو مصر الأعظم ومليكها الأفخم الحاج عباس حلمي باشا حلمي الثاني أدام الله أيامه وذلك في سنة ١٣٢٩ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية

وتستخدم هذه الخانقاه اليوم مدرسة أولية باسم مدرسة الحنفي.

ترجمة المنشئ

منشئ هذه الخانقاه هو الأمير سعد الدين إبراهيم بن عبد الرزاق بن غراب، نشأ في الإسكندرية موطن آبائه، وكان جده غراب مسيحيًا فأسلم، ولما قدم الأمير جمال الدين محمود بن علي إلى القاهرة[١]، حمل معه إبراهيم هذا وهو لا يزال فتى لم يبلغ العشرين من عمره، فعينه كاتبًا في دائرته، وما برح حتى تعين في سنة (٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م) ناظرًا للديوان المفرد ثم ناظرًا للخاصة، ثم أضيف إليه نظر الجيوش في سنة (٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م)، ولما جمعت له هذه الوظيفة إلى وظائفه الأخرى تنازل عن مرتبها للدولة، واكتفى بمرتبات وظائفه الأخرى.

وفي سنة (٨٠١هـ/ ١٣٩٨م) أقيم وصيًّا على ملك مصر الناصر فرج بن الظاهر برقوق[٢]، ثم ما لبث أن عين وزيرًا ثم أستادارًا مضافًا إلى ما معه من الوظائف، وقد علا نجمه علوًّا زائدًا وبلغ فوق ما يرجوه، وما برح كذلك حتى مات في رمضان من سنة (٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥م) عن ٣٠ عامًا، ودفن بتربته بالصحراء وهي الأثر الثاني (٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) الباقي له إلى اليوم، وسنذكره في الجزء الخاص بآثار القرافة[٣].

(١) محمود بن علي: هو الأمير جمال الدين محمود بن علي بن أصفر عينه أحد أستادارية الظاهر برقوق كان مفتشًا على إقطاعات الجند «الشد»، ثم خدم عند بعض الأمراء وباشر دواوين القاهرة، ثم صار أستادارًا للظاهر برقوق إلى أن سعى سعد الدين بن غراب في سجنه ومصادرة أملاكه، فسجن في خزانة= شمائل السجن الذي حل مكانه مسجد المؤيد شيخ وكان ذلك عام (٧٩٩هـ/١٣٠٠م)، انظر: جمال الدّين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، تحقيق محمد محمد أمين، مج. ١١ (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية. مركز تحقيق التراث، ٢٠٠٥): ٢١٤.

(٢) بعد تولي سعد الدين بن غراب الوصاية على الناصر فرج بن برقوق عام (٨٠١هـ/ ١٣٩٨م) بدأ في التلاعب بأمراء المماليك لصالحه حتى أنه تلاعب بالسلطان نفسه، وزين له النجاة بحياته والفرار من الحكم، ففر الناصر وأجلس ابن غراب أخو الناصر وهو عبد العزيز بن برقوق وتلقب بالمنصور وذلك لمدة ٧٠ يومًا، حتى عاد الناصر فرج للحكم وألقى بمقاليد الحكم كله للأمير سعد الدين بن غراب، وصار هو المتحكم الأول في أمور الدولة، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٧٥٤-٧٥٥.

(٣) وعن ترجمة المنشئ، انظر: المرجع السابق: ٧٤٦-٧٥٦.

جامع جمال الدين يوسف الأستادار (المدرسة الجمالية)

أثر رقم ٣٥ (سنة ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م)

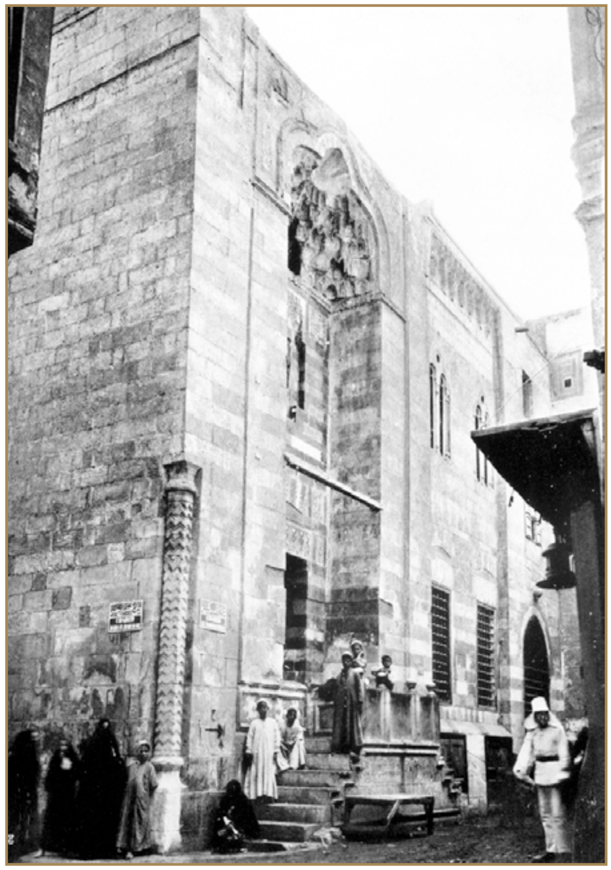
هذا الجامع بشارع رحبة باب العيد «الجمالية»، أنشأه عزيز مصر الأستادار نظام الملك الأمير جمال الدين يوسف البجاسي برسم مدرسة جامعه، قال المقريزي في الخطط: «وابتدأ بشق الأساس في يوم السبت ٥ جمادى الأولى سنة (٨١٠هـ/ ١٤٠٧م)»، ونقل إليها شبابيك من نحاس مكفت بالذهب والفضة، وأبواب مصفحة بالنحاس البديع الصنعة المكفت، ومصاحف وكتب من كل فن، مما كان في المدرسة الأشرفية بشارع الكومي بالمحجر، «وانتهت عمارتها في يوم الخميس ٣ من رجب سنة (٨١١هـ/ ١٤٠٨م)، وافتتحت رسميًّا بحضور المنشئ والقضاة والأعيان وعين لها الشيخ همام الدين الخوارزمي شيخًا للشافعية والصوفية، وللحنفية الشيخ محمود بن محمد الخرزياني المعروف بالشيخ زاده، وللمالكية الشيخ شمس الدين محمد البساطي، وللحنابلة الشيخ نجم الدين محمد الباهي، وللحديث الحافظ ابن حجر العسقلاني، وللتفسير شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن البلقيني، وقد خلع على كل من هؤلاء زيًّا مخصوصًا فاخرًا يلبسه، وقرر فيها عددًا من الطلبة رتب لهم في كل يوم ثلاثة أرطال من الخبز، وثلاثين درهمًا في الشهر، ورتب لكل مدرس ثلاثمائة درهم في الشهر، وعين لها إمامًا وخدمة وأكثر من الحبس عليها من دور كانت في ملكه وغيرها»[١].

ومن هذا الوصف نستطيع أن نعرف ما كان لهذه المدرسة من شأن في ماضيها، ولو أن ذلك لم يدم طويلاً لأفول نجم المنشئ بعد ذلك بعام، فانعكس الحال الذي كانت عليه، واسترجعت الأعيان المحبسة عليها واستبدلت أوقافها، ولعب فيها الانتقام دورًا عامًّا، حتى آل إلى محو اسم جمال الدين من طرازها، ونكبت طلبتها، ورغب السلطان في هدمها والاستيلاء على مفرداتها، فتشفع له كاتب السر وكره له هدم بيت من بيوت الله يعلن فيه بالأذان خمس مرات في اليوم والليلة، وتقام به الصلوات الخمس، ويتلى فيه كتاب الله وحديث رسوله ﷺ إلى غير ذلك.

وكان مما قاله كاتب السر للسلطان حينذاك: «ورأيي أن إزالة مثل هذا وصمة في الدين ومن الفتن هدم مثل هذه المدرسة، فرسم السلطان بإبطال هدمها، فأخذ كاتب السر يتحيل في تنفيذ أمر السلطان بطريقة خداع؛ فلم يجد من يساعده على تلك الخديعة غير القضاة الشرعيين»، وهنا تظهر هذه الفئة من علماء وقضاة ذلك الوقت، بمظهر ينبو عنه الشرف والبطولة والميل مع الأهواء وانتهاك حرمة العلم وتنزلهم لدرجة سحيقة إلخ ..، فكان ما قاله المقريزي: «فكانت قصة هذه المدرسة من أعجب ما سمع به في تناقض القضاة وحكمهم بإبطال ما صححوه ثم حكمهم بتصحيح

---

(١) المرجع السابق: ٦٤٣.



منظر عام لمدرسة الأستادار «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

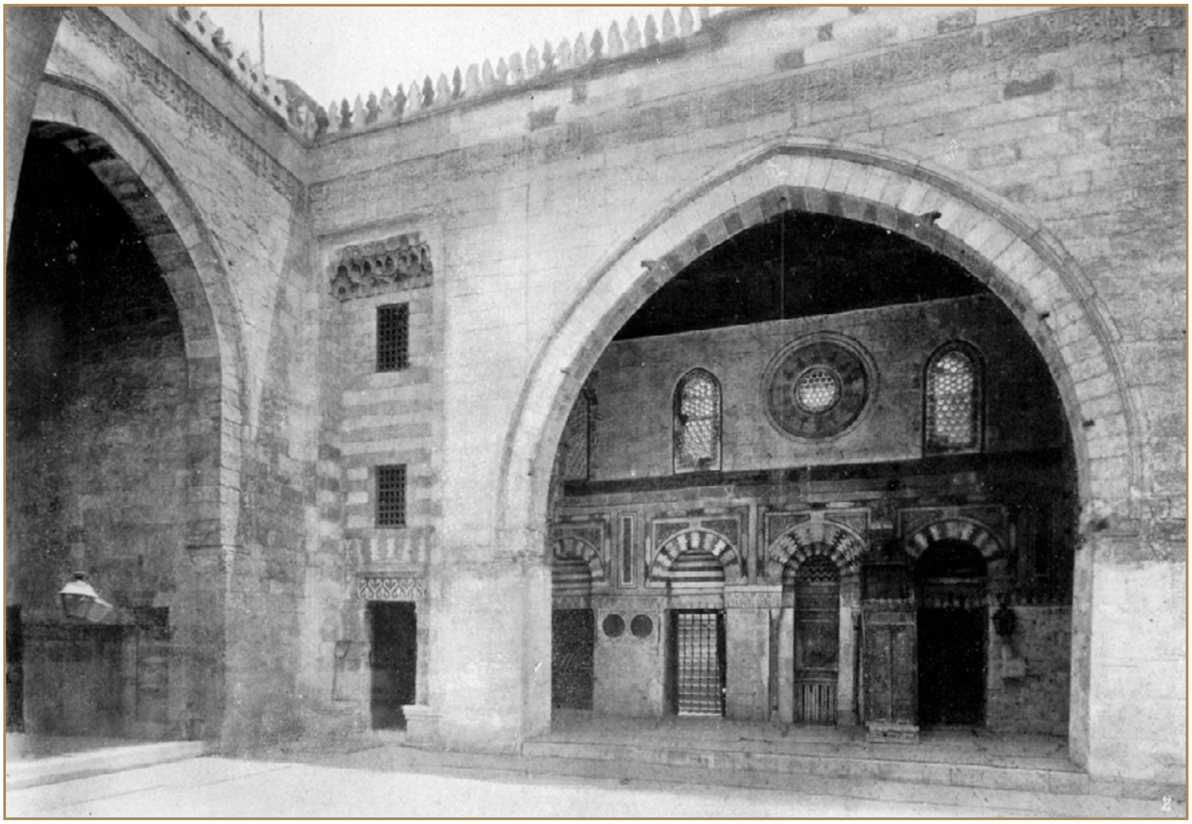
ما أبطلوه كل ذلك ميلاً مع الجاه وحرصًا على بقاء رياستهم[1] ﴿سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ﴾ [سورة الزخرف/ ١٩].

(١) كاتب السر: هو الرئيس فتح الدين فتح الله كاتب السر، وهو الذي لعب دورًا مهمًّا في إقناع الناصر فرج بن برقوق بالعدول عن رأيه بهدم هذه المدرسة بعد أن لمس منه طمعًا في المدرسة ورخامها وكتبها وأوقافها، فأقنعه بعدم الهدم والاكتفاء بمحو اسم جمال الدين الأستادار ورنكه واقتطاع جزء كبير من أوقاف المدرسة، وعلى الأخص فائض الأوقاف الذي كان من نصيب أولاد المنشئ، ورواية المقريزي كانت واضحة في هذا الشأن؛ حيث أن مافعله كاتب السر كان في صالح المدرسة مستخدمًا القضاة الذين أصدروا أمر الهدم من قبل، بصرف النظر عن رأي حسن قاسم في هؤلاء القضاة والذي تأثر برأي المقريزي، انظر: المرجع السابق: ٦٤٣.

وصف المدرسة

والمدخل إلى هذه المدرسة من باب مرتفع عن الأرض بست درجات من أول شارع التمباكشية وهو الباب العمومي، وهو باب شاهق يعلوه مقرنص وواجهته مزخرفة بقطع الرخام الأحمر والأسود بمقاسات مختلفة ويكتنف شباكه مربعان مملوءان بالخط الكوفي، وفي جانبي الباب نقوش كتابية منزلة بالرخام الأبيض في مثله أسود، يقرأ فيها قوله تعالى: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم﴾ [سورة الحجر/ ٤٧] صدق الله العظيم، وصدق رسوله الكريم.

وفي هذا الباب الواجهة البحرية للمسجد، وهي واجهة حافلة بالزخارف من قطع الرخام الملون، وفي نهايتها سبيل بأعلاه تاج يمثل القلنسوة وبأعلاها طراز قد محي عمدًا، ويعلو الركن الشرقي إلى جهة الشمال قاعدة المئذنة وهي من الطوب المجصص، ومن الباب المذكور نصل إلى داخل المسجد بعد اجتياز مدخل سقفه بسماوات، فممر ومنه إلى صحن واسع الأرجاء، أرضيته من الرخام الملون بيد أن غالبها مفقود، ويحيط بالصحن أربعة أواوين، يلفت النظر إليها إيوان بيت الصلاة بكسوته الرخامية التي تكسو جميع جدرانه إلا أن غالبها قد فقد منذ تخرب هذا المسجد، ويحيط بالجدار الشرقي من بيت الصلاة، إفريز زخرفت بآيات قرآنية من سورة الإسراء، وأهم ما يلفت النظر في هذا الإيوان المحراب الجميل المزخرف بقطع الرخام الملون وبقطع الفصة الأسطوانية، ويكتنف المحراب ساريتان ممشوقتان من الرخام المموج، يرتكزان من أعلى وأسفل على أربعة تاجات، وسقف هذا الإيوان كله سماوات ذات موشحات تتدلى من أركانه الأربعة وغالبها قد بلي وتقادم، وفي جدار المحراب منبر قديم من المنابر المتأخرة نقل إليها



إيوان الصلاة داخل مدرسة الأستادار «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

من التربة الأشرفية بالصحراء[1]، ويحيط بالصحن طراز محي منه اسم المنشئ عمدًا، يقرأ فيه ما يلي:

البسملة... سبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم إلى والله خير الرازقين أنشأ هذه المدرسة المباركة المقر الأشرف العالي. وكان الفراغ من عمارتها في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وثمان مائة وصلى الله على سيدنا محمد وآله

وفي جوانب الصحن أربعة أبواب تؤدي إلى مرافق وملحقات المسجد، وقد كتب على كل جانب من جوانبها آية للتذكير وهي قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [سورة الحجر/ ٤٧].

(١) لم يفسر حسن قاسم مقصده بالتربة الأشرفية بالصحراء، فهناك ثلاث منشآت يحمل منشئها لقب الأشرف، وهي خانقاه برسباي، وخانقاه الأشرف إينال، وخانقاه الأشرف قايتباي، فأما منبر خانقاه برسباي فقد نقل لها من مسجد الغمري، لذلك يتبقى منبر إينال ومنبر قايتباي، فأما منبر قايتباي لا يحمل اسمه أو أي إشارة تدل على تاريخ صناعته، ويرجح كونه مضافًا لها في فترة لاحقة، وخانقاه إينال لا يوجد بها منبر حاليًا، مما يزيد الأمر غموضًا، والمقصود هنا تربة السلطان برسباي، انظر: عاصم محمد رزق، **خانقاوات الصوفية في عصر المماليك البرجية (٧٨٧-٩٢٠هـ/ ١٣٨٥-١٥١٦م)**، مج. ٢ (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٧): ٦٢٥، ٦٤٤، ٧٠١.

ويقابل الإيوان الشرقي إيوان آخر سقفه بسماوات مجددة ذات موشحات، وفي الجانب القبلي والبحري إيوانان يماثلان بعضهما.

تجديد المسجد

يبتدئ تجديد هذا المسجد بصورة عملية من سنة (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م) حتى سنة (١٣٣١هـ/ ١٩١٣م) فتجددت جميع أواوينه، وأصلحت أرضيته وسقفه بسماواتها وصحنه وأبوابه جميعها، وأحدثت به دورة مياه صحية نصل إليها من باب غربي قبلي بالصحن، ومن باب آخر بحارة القفاصين تجاه الحجازية.

ترجمة المنشئ

ومنشئ هذا الأثر هو يوسف بن أحمد بن محمد بن جعفر بن قاسم المعروف بابن الحريري البيري الحلبي الأمير جمال الدين يوسف البجاسي الأستادار، ترجمه السخاوي في الضوء اللامع ترجمة طويلة أخذ منها أنه ولد في سنة (٧٥٢هـ/ ١٣٥١م) بالبيرة من أعمال حلب، من أبوين أحدهما كان يتولى خطابة هذه القرية، والثاني وهي أمه بنت الوزير عبد الله بن يوسف وزير حلب.

ونشأ صاحب الترجمة عالمًا أديبًا مقيمًا، ومن أبرز شيوخه ابن جابر الأندلسي صاحب البديعية اجتمع به في حلب وحضر عليه دروسه في النحو والأدب[١]، بيد أنه لم يستمر طويلاً في طلب العلم، فرحل إلى دمشق وقد صرفت عنه الدنيا حتى صار إلى فاقة شديدة اضطرته لأن يستبدل زيه بزي الجند حتى يتحصل على وظيفة، وقد مكث بدمشق حقبة خدم فيها عند بعض الأمراء، ثم قدم إلى القاهرة في سنة (٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م) في عهد الملك الأشرف زين الدين شعبان، فاتصل بالأمير بجاس فعينه أستادارًا له، ثم بعد حين زوجه بابنته سارة، ثم اتصل بعد بالأميرين بيبرس[٢]، وسودون الحمزاوي[٣]، فخدم عندهما أستادارًا أيضًا، وما برح حتى عين أستادارًا للملك الناصر فرج ابن الظاهر برقوق في سنة (٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)، ومن هذا التاريخ يبدو نجمه في العلو ويبلغ الذروة العليا فتأتيه الدنيا طواعية؛ فتضاف إليه وزارة الدولة ثم نظر الخاص، ثم نظر كشوفية الوجه البحري، وأخيرًا يستقر مشير الدولة، وبلغ به الأمر

(١) ابن جابر الأندلسي: هو محمد بن أحمد بن علي شمس الدين أبو عبد الله الحواري المالكي الأعمى، ولد سنة (٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م)، وتعلم علوم القرآن والفقه والنحو، ونظم قصيدة في مدح النبي ﷺ تسمى «البديعية»، وسكن مدينة حلب «البيرة»، ومات بها عام (٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م)، انظر: شِهاب الدِّين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**= تحقيق سالم كرنكو، مج. ٤ (حيدر أباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٣٠): ٧٠.

(٢) الأمير بيبرس بن عبد الله الظاهري الأتابكي: مملوك الظاهر برقوق وابن أخيه، شغل وظيفة أمير مجلس، ثم دوادارًا كبيرًا، ثم صار أتابكًا، وبعد عزل الناصر فرج وتولي أخيه المنصور الحكم استمر في وظيفته مساندًا المنصور، حتى عاد الناصر للحكم فقبض عليه الأمير سودون وحبس بالإسكندرية ومات في سجنه عام (٨١١هـ/ ١٤٠٨م)، انظر: ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٣: ٤٨١.

(٣) الأمير سيف الدين سودون بن عبد الله الحمزاوي الظاهري الدوادار: كان مملوكًا للظاهر برقوق وكان مقربًا منه، حتى تنكر له وسجن بسجن خزانة شمائل، الذي كان في موضع جامع المؤيد شيخ، وأخرج بعد وفاة الظاهر برقوق، إلى أن أبعد إلى نيابة صفد، ثم عزل وصار أمير مائة ومقدم ألف، وعين في الشرابخانة، ثم خازندارًا، ثم رأس نوبة النواب، وبعد مساندته للسلطان الناصر فرج ضد أخيه المنصور جعله الناصر دوادارًا كبيرًا، ثم تمرد في صفر وطارده الأمير شيخ المحمودي «السلطان المؤيد شيخ»، حيث قبض عليه بغزة، وعوقب بأن فقئت عينه ثم قتل بعدها، انظر: المرجع السابق، مج. ٦: ١٢٣-١٢٧.

أن لقب بعزيز مصر، ثم بنظام الملك وهذا لم يسبق لأمير قبله ولا بعده إلا نادرًا، وكان ما قاله فيه الحافظ السخاوي: «لا يعقد أمر إلا به، ولا تنفصل مشورة إلا عن رأيه، ولا يخرج إقطاع ولو قل إلا بإذنه، ولا يستخدم أحد من الأمراء ولو عظم إلا من جهته، ولا تباع دار حتى تعرض عليه، ولا يثبت مكتوب على قاض حتى يستأذنه، ولا يباع شيء من الجوهر والصيني ولا من آنية الذهب والفضة ولا من الصوف والحرير ولا من كتب العلم النفيسة حتى تعرض عليه، ولا يلي أحد وظيفة ولو قلت حتى نواب القضاة إلا بأمره ولا يتحكم أمير في فلاحه حتى يؤامره، ولا تكتب وصية حتى تعرض عليه أو يأذن فيها، وخضع له الآمر والمأمور وكثر تردد الناس إلى بابه حتى كان رؤساء الدولة من الدوادار(1)، وكاتب السر ومن دونهما ينزلون في ركابه إلى منزله، ولا يصدر أحد منهم إلا عن رأيه»، إلى آخر ما قاله فيه السخاوي [انظر الضوء اللامع](2).

ومع هذا الكمال الذي بلغه هذا الأمير العالم ووصل إليه سراعًا، ما لبث أن تناقص تناقصًا أفضى به إلى خاتمة مؤلمة، فصدم أولاً في ماله وعقاره؛ حيث استصفى السلطان كل ما له من عقار وإقطاعات ومتاع حتى عاد صفر اليدين كسابق عهده، ثم ما لبث أن مات خنقًا ثم بعد خنقه قطع رأسه، وآتى به إلى الملك الناصر فرج فعبث به ثم أمر بدفنه، ولم يقف الأمر عند هذا الحد فحسب، بل أز أعداؤه ومنافسوه السلطان على زوجته ليقتلها؛ فقتلها هي وجنينها شر قتلة بعد ما أذاقها العذاب، ولم يسلم من هذا الانتقام إلا شقيقه الذي تمكن من الفرار قبل القبض عليه(3).

فلله ما أفظع هذا الانتقام وأشده، وقد علل المؤرخون إقدام السلطان على هذا الانتقام الفظيع تبريرًا لموقفه، ما ارتكب الأمير جمال الدين من العسف والظلم وإنزال الهوان والذل بالشعب المصري في ذلك العهد، واغتصاب حقوقه بقوة سطوته وقيمته، وقتل الأبرياء وحل جميع الأوقاف، وأحدث أعظم انقلاب في المملكة وامتهانه العلماء والقضاة، وازدرائه لهم وانفراده بالحكم، وبالرغم من هذه المساوئ كلها إذا صح ما قيل فقد مات مغفورًا له مختومًا له بخير، فيؤكد الحافظ ابن حجر أن قتله بهذه الصورة قد محى عنه كل ذنوبه التي

(1) الدوادار: كلمة من قسمين: الأول «الدواه»، وهي وعاء الحبر، والثانية «دار» بالفارسية تعني ممسك، وهي وظيفة إدارية في العصر المملوكي، كان صاحبها يتولى كتابة المراسيم السلطانية، وإبلاغ الأوامر السلطانية، والمشاورة على من يحضر للباب وتقديم البريد، وهو المسئول عن كل مايؤخذ عليه ختم السلطان، وعظم شأن هذه الوظيفة في دولة الجراكسة حيث صار من مقدمي الألوف، وصارت وظيفة سياسية لصاحبها حق العزل والتولية، انظر: حسن الباشا، **الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار** (القاهرة: الدار الفنية، ١٩٨٩): ٢٨٢–٢٨٣؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٧٢٠– ٧٢١.

(2) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **الضوء اللامع لأعيان القرن التاسع**، مج. ١٠ (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢): ٢٩٤– ٢٩٧.

(3) عن سيرة الأمير جمال الدين يوسف الأستادار، انظر: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق محمد مصطفى زيادة، مج. ٤ (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٣٦): ١١٣– ١١٤، ١٢٩؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ١٧٧؛ شِهاب الدِّين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **ذيل الدرر الكامنة**، تحقيق عدنان درويش (القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٢): ٢٠٥؛ جمال الدِّين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق إبراهيم علي طرخان، مج. ١٣ (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة، ١٩٦٣): ١٧٥؛ جمال الدِّين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، **الدليل الشافي على المنهل الصافي**، تحقيق فهيم محمد شلتوت (مكة المكرمة: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ١٩٧٩): ٧٩٦– ٧٩٧؛ محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق محمد مصطفى، مج. ١، ج. ٢ (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٤): ٧٩٥.

ارتكبها وموبقاته التي أقدم عليها وقد غفر له بسببها، وهذا مصداق لحديث حضرة النبي ﷺ المخرج في صحيح ابن حبان: «السيف محاء للخطايا». وقد رأى له الحافظ رؤيا صالحة تدل على ما ذكر [انظر إنباء الغمر][١].

ويشعرنا الحافظ ابن حجر بأنه ما قدم على قتل هذه الأنفس إلا لأنه كان يريد به الإصلاح إذ كانت هذه النفوس نفوسًا مجرمة شريرة قد تأصلت في الإجرام فأراد أن يتخلص منها حفظًا للأمن العام وصيانة للأرواح.

وبالرغم من تبرئة الحافظ ابن حجر له ودفع ما وصم به بلطافة وكياسة، فإن يوسف الأتابكي قد عمل على نقيض ذلك، وكأنه قد أظهر الشماتة فيه فيما كتبه، حتى وصفه بما لا يملكه هو أو غيره، كقوله: «الأعور الدميم القبيح الشكل»[٢]، وذلك لأنه كان أعينًا لا يرى إلا بعين واحدة، وكان وجهه مجدرًا، والمؤكد أن ابن تغري بردي اندفع بعامل العصبية الجنسية، وكان قتل الأمير جمال الدين في الحادي عشر من شهر جمادى الآخرة سنة (٨١٢هـ/ ١٤٠٩م)، قال السخاوي: «ودفن بتربته التي أنشأها بالصحراء خارج القاهرة»[٣].

آثار جمال الدين

من أهم آثاره هذه المدرسة، وقد شاء الله أن تنسب إليه وتظل حافظة له هذه النسبة ما شاء الله، رغم أن السلطان رسم باستبدال اسمها من المدرسة الجمالية إلى المدرسة الناصرية، وقد صار اسمها على المنطقة التي يخترقها الآن شارع حبس الرحبة ودرب الرشيدي وخط الفرايجة[٤]، حتى قبيل شارع باب النصر حيث خط رحبة باب العيد، وخط دار الوزارة سابقًا، وأنشأ برسم السلطان الملك الناصر

(١) لعل العلاقة بين الأمير جمال الدين الأستادار وابن حجر هي مادفعته للدفاع عنه، حيث ذكر أن كل ما فعله كان بغرض المصلحة العامة للمسلمين، وكما ذكرت المصادر التاريخية أن ابن حجر العسقلاني كان أحد مشايخ الخانقاه التي بناها، ويورد أيضًا ابن حجر في دفاعه عن جمال الدين الأستادار أن الله قد غفر له بسبب ما رأى من العذاب هو وأهله ومثل على ذلك بما حدث لامرأته والطريقة التي أجهضت بها وما رأته من ذل، انظر: شِهاب الدِّين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر بأنباء العمر**، تحقيق وتعليق حسن حبشي، مج. ٢ (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٦٩-١٩٩٨): ٤٤٥-٤٤٨.

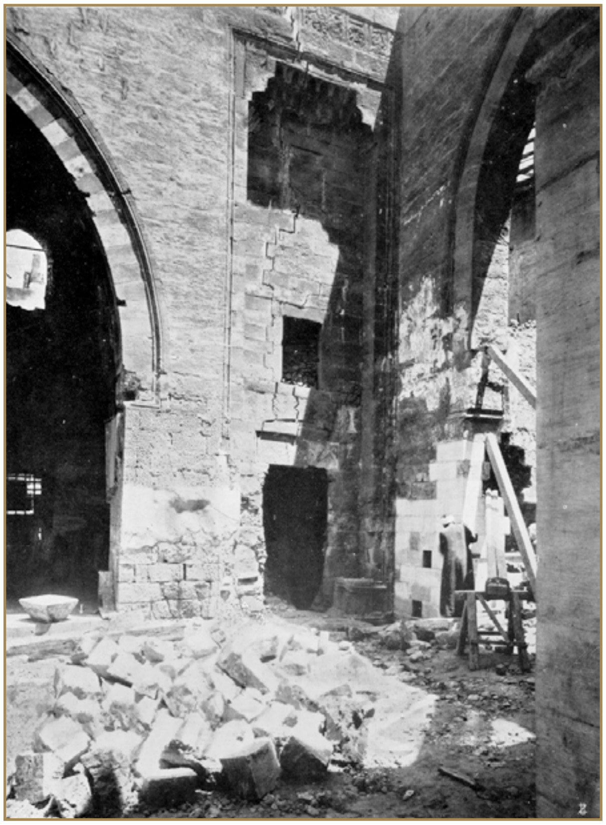
(٢) يوسف بن تغري بردي الأتابكي: جمال الدين أبو المحاسن المتوفى سنه (٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م)، ابن تغري بردي أتابك العسكر في عهد الناصر فرج بن برقوق، وذكر رأيه في مؤلفاته في جمال الدين الأستادار مثل المنهل الصافي وذكر أنه خدم والده، وسبب رأيه فيه هو العداوة التي نشبت بينه وبين والده؛ حيث قتل جمال الدين الأستادار أحد أستادارية تغري بردي الأتابكي بعد أن أذن له بمعاقبته فقط؛ وهو عماد الدين إسماعيل، فصارت العداوة بينهما، وأخذ تغري بردي يوغر صدر الناصر فرج ضد جمال الدين، وصار الوالد يمعن في الحط عليه عند الملك الناصر، حتى= أن خطة قتله كانت من تدبير تغري بردي الأتابكي، ويظهر مما سبق أن الرأيين كانا بناء على تلاقي المصالح مع ابن حجر العسقلاني وتعارض المصالح مع ابن تغري بردي فانعكس ذلك على رأي ولده، والغريب أن حسن قاسم لم يفصل بين الرأيين على الرغم من تعرضه للقضية، انظر: ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ١٢: ١٨٩- ١٩٧.

(٣) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، مج. ١٠ (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢): ٢٩٧.

(٤) خط الفرايجة: يقصد درب الفرنجية، والذي ذكر المقريزي أنه قرب درب الرشيدي بشارع باب النصر وبالقرب من سوق الجملون الصغير، وذكره علي مبارك باسم درب الفرجية؛ حيث كان هذا الدرب بذلك الاسم في نسخة بولاق من خطط المقريزي، ويبدو أن حسن قاسم اطلع على نفس النسخة فذكره بنفس الاسم، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٣٤؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ٧١.

فرج في سنة (٨١١هـ/ ١٤٠٨م)، سبيلاً ومسجدًا تجاه باب زويلة عرف بمدرسة الدهيشة[١].

وملك عدة قصور بطريق الشراء الشرعي وأوقفها على مدرسته، منها قصر الحجازية بالقاهرة[٢]، وقصر الأمير بشتاك[٣]، وهو القصر العظيم المعدود من أهم قصور القاهرة، وقد ملكه أخيرًا السيد نجم الدين بن صالح بن أحمد بن عبد الله الدمرداش الغزي الحنفية، قدم المذكور إلى القاهرة في سنة (١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م) فتعين قاضيًا بأبيار، وفي سنة (١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م) نقل إلى قضاء القاهرة، فاشترى هذا القصر بطريق الاستبدال بأطيان كانت في ملكه بالمنوفية



منظر لإيوان متهدم داخل مدرسة الأستادار «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

والغربية، وقد قام بتجديده وإصلاح المتخرب منه، وسكن فيه حتى مات في ٢٧ رمضان سنة (١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م)، فورثه عنه ابنه السيد صالح شلبي الدمرداش، فسكن فيه ثم آل إلى السيد عثمان الدمرداش زوج السيدة ستيتة ابنة السيد مصطفى الكبير الدمرداش بن عثمان بن محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم بن مصطفى بن الشيخ جمال الدين محمد بن الدمرداش المحمدي الولي الصالح المشهور مؤسس الطريقة الدمرداشية الخلوتية بالقاهرة [المتوفى سنة (٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م)]، ومن ثم آل هذا القصر إلى الفرع الدمرداشي المصري بعد الفرع الغزي، ولما توفي عبد الرحيم باشا في سنة (١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م) ورثته عنه السيدة قوت القلوب

(١) الدهيشة: يقصد زاوية الدهيشة، والتي قامت لجنة حفظ الآثار العربية بنقله من أمام باب زويلة مسافة نحو ١٢متر وذلك لفتح الطريق من شارع تحت الربع إلى الدرب الأحمر.

(٢) قصر الحجازية: هذا القصر غير موجود الآن، وموضعه المنطقه الواقعة بجوار مقعد ماماي السيفي، والتي يشغلها الآن قسم شرطة الجمالية ومبنى مصلحة الدمغة والموازين، وكان أصله جزء من القصر الفاطمي، وكان يطلق عليه قصر الزمرد لأنه كان تجاه باب الزمرد، وبعد زوال الدولة الفاطمية صار بيد أحد أمراء الدولة الأيوبية، ثم صار في يد الأمير بدر الدين أمير مسعود بن خطير الحاجب الذي باعه للأمير قوصون الذي جدده، وكانت مساحته عشرة أفدنة، وآلت ملكيته إلى الأميرة تتر الحجازية، وبعد وفاتها استأجره عده أمراء حتى استولى عليه جمال الدين الأستادار وبعد قتله صار سجنًا، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥٣٤.

(٣) قصر بشتاك: هذا القصر لايزال باقيًا حتى الآن في درب قرمز بالجمالية، وكان موقعه من جملة القصر الكبير الشرقي اشتراه الأمير بن بدر الدين بكتاش الفخري وجدده، وبعد وفاته اشتراه الأمير بشتاك في تنافسه مع الأمير قوصون الذي اشترى قصر البيسرية، حتى عاد اسم الشارع بينهما بين القصرين، وآلت ملكيته لزوجة بكتمر الساقي، ثم اغتصبه جمال الدين الأستادار بحيلة من قاضي القضاة، وبعد قتله أصبح وقفًا على خانقاه الناصر بصحراء المماليك، انظر: المرجع السابق، مج. ٣: ٢٢٩- ٢٣٠.

الدمرداشـــية، ثم بعد حين تنازلت عنه لقاء ثمن زهيد إلى الحكومة المصرية بعد امتناع من والدها رحمه الله لأســـباب مذكورة، فعهدت الحكومة المصريـــة إلى لجنة حفظ الآثار العربية بتصليح هذا القصر وترميمه فشرعت في إصلاحه منذ ذلك التاريخ، ولا تزال أعمال الإصلاح جارية فيه حتى اليوم [انظر قصر بشتاك أو الدمرداش بهذا الكتاب].

وملك دار الأمير شـــمس الدين قراسنقر بشارع بين الســـيارج[1]، ودار ابن فضل الله العمري بالسبع قاعات[2]، والدار البيسرية بالخرنفـــش[3]، وحول درب قراصيا المقابل لباب المدرســـة الحجازية كما حول ســـجن الرحبة إلى وكالة وربع في جوار مدرسته[4]، وبنى تربة بالصحراء بين البرقوقية وبين قبة النصر، وقد دثرت الآن ولم يبق لها أثر.

(١) بناها الأمير شمس الدين قراسنقر الجوكندار المنصوري وذلك عام (٧١٢هـ/ ١٣١٢م)، واغتصبها منه الأمير جمال الدين الأستادار ووقفها على مدرسته، وملكها الناصر فرج بعد مقتله، ثم اشتراها الأمير طوغان الدوادار حيث عرفت به بعد ذلك، وهدمت واندثرت حاليًا، انظر: المرجع السابق، مج. ٣: ١٧١.

(٢) كانت هذه الدار تقع بين حارتي زويلة والبندقانيين «الحمزاوي» وسكنها بنو فضل الله العمري، وهي الآن مسجد شرف الدين وأخيه بشارع الأزهر، انظر: المرجع السابق: ١٨٥- ١٩٠.

(٣) الدار البيسرية تنسب للأمير شمس الدين البيسري الصالحي النجمي، وتعود للعصر الفاطمي؛ حيث كان الفاطميون يستقبلون فيها الوافدين من الفرنج، ثم جددها الأمير المذكور عام (٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م)، وكانت تقع بالخرنفش وهي مندثرة حاليًا، انظر: المرجع السابق: ٢٢٥- ٢٢٦.

(٤) حبس الرحبة سجن من سجون القاهرة وكان يقع بشارع الجمالية، أزالها جمال الدين الأستادار وبنى مكانه وكالة، وكان يسمى بهذا الاسم لوقوعه عند رحبة العيد، انظر: المرجع السابق، مج. ٢: ٢٥٢.

القاعة السعيدية بشارع بيت القاضي

وملك قاعة الشريـــف محب الدين بن الموقع المعروف بقاضي العسكر نقيب أشراف القاهرة [المتوفى سنة (٧٦٣هـ/ ١٣٦١م)]، وهي القاعة الجميلة ذات المدخل الحديث بشارع بيـــت القاضي رقم ٩، وقد آلت إلى الأمـــير عثمان كتخدا القازدوغلي في سنة (١١٤٨هـ/ ١٧٣٥م).

ويســـتفاد مما ذكره المقريزي في الخطط أن هذه القاعة من إنشـــاء الملك الظاهر بيبرس أنشـــأها قبل سنة (٦٦٠هـ/ ١٢٦١م) لولده وولي عهده الملك السعيد محمد بركة خان الذي تولى الملك نيابة في حياة أبيه في الثالث من شهر شوال سنة (٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م)، وتزوج بابنة الأمير سيف الدين قلاوون سنة (٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م)، واستقل بالملك بعد وفاة أبيه مباشرة في ســـنة (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، وخلع في سنة (٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م)، وما لبث أن مات في هذه السنة ودفن بالظاهرية بدمشق.

وقد آلت إلى الشريف المذكور في سنة (٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)، وكانت قد تخربـــت فأحدث بها جملة إصلاحات وتغييرات، وسكن بها حتى مات، وهو صاحب الأثر الدارس المعروف بالمدرسة الشريفية[5]، بحارة المراكشي بشارع بين السيارج.

(٥) المدرسة الشريفية: بحارة بهاء الدين «بين السيارج حاليًا»، كانت قاعة يسكنها شهاب الدين الحسن بن محمد المعروف باسم «ابن قاضي العسكر» ثم جعلها مدرسة للشافعية، انظر: المرجع السابق، مج. ٤: ٦٧٧.

مسجد فرج بن برقوق (مدرسة الدهيشة)

أثر رقم ٢٠٣ (سنة ٨١١هـ/ ١٤٠٨م)

هذا المسجد تجاه باب زويلة أنشـأه السلطان الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق[١]، وتم إنشـاؤه في ذي القعدة سنة (٨١١هـ/ ١٤٠٨م)[٢]، وهو مسجد صغير يتصل به سبيل «سقاية ماء» سماه المقريزي وغيره بمدرسة الدهيشة[٣]، نسـبة إلى الربع الناصري المعروف بربع الدهيشـة الشارع بابـه من دار التفاح[٤]، وهو الربـع الذي يعرف اليوم بربع رضوان وداخل في أوقاف الناصر محمد بن قلاوون من سنة (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)، ثم في أوقاف ولده الصالح إسـماعيل، وهو الآن في ضمن أوقاف الأمـير رضوان بك الفقاري [المتوفى سنة (١٠٦٤هـ/ ١٦٥٣م)]، صاحب قصبة رضوان والزاوية[٥]، والدهيشة اسـم لقاعة جلوس وهذا الربع كان وقفًا عليها فعرف به[٦].

(١) المرجع السابق، مج. ٣: ٢٦٩، هامش ١.

(٢) حجة وقف الناصر فرج بن برقوق في ٧ من المحرم سنة (٨١٢هـ/ ١٤٠٩م)، ومحفوظة برقم (٦٦)، وفيها حصر شامل لمنشآت الناصر فرج بما فيها هذا الأثر. (المؤلف)

(٣) الدهيشة لفظ يطلق على بعض المباني المملوكية لما لها من شكل جميل يدهش الناظر إليه مثل القاعة التي عمرها الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون بالقلعة، وربع الدهيشة الذي أنشأه الناصر فرج بن برقوق خارج باب زويلة، انظر: محمد محمد أمين، وليلى علي إبراهيم، **المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية**: (٦٤٨-٩٢٣هـ) (١٢٥٠-١٥١٧م) (القاهرة: الجامعة الأمريكية، ١٩٩٠): ٤٩- ٥٠؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢٠١، هامش ٢.

(٤) دار التفاح: بنيت بعد عام (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م)، على يد الأمير سيف طقزدمر الحموي الناصري الساقي، خارج باب زويلة ويتم فيها تجميع الفواكه الواردة إلى القاهرة وبعض المحاصيل الزراعية الأخرى الواردة من بلاد الشام، وبها مجموعة من الحوانيت مسقوف فيما بينها حتى لا تفسد الفواكه، وهدمت أجزاء منها عام (٨٠٦هـ/١٤٠٣م)، وهي الآن مجددة، انظر: المرجع السابق: ٣١٠-٣١١.

(٥) تنسب هذه القصبة إلى الأمير رضوان بك الفقاري الجركسي أمير الحج المصري في القرن الحادي عشر الهجري، كان وافر الحرمة، مسموع الكلمة ملازمًا للصوم والعبادة، عَمَّر القصبة في سنة (١٠٦٠هـ/ ١٦٥٠م)، وجعل بها مجموعة من الدور والحوانيت المجاورة لباب زويلة والتي بنيت على أرض ربع الدهيشة الذي بناه الأمير جمال الدين الأستادار بأمر من الناصر فرج بن برقوق في سنة (٨١١هـ/ ١٤٠٨م)، وأنشأ الزاوية التي بها والزاوية التي بحارة القربية، وتربته بصحراء الإمام الشافعي قرب عين الصيرة داخل حوش يعرف بحوش رضوان بيك، وخط قصبة رضوان أوله تقاطع شارعي تحت الربع والدرب الأحمر وآخره أول شارع الخيامية، والتي أراد رضوان بك أن يحاكي بها القصبة القديمة بالقاهرة وأعظم أسواقها، انظر: عبد الرحمن بن حسن الجبرتي الحنفي، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مج. ١، مكتبة الأسرة (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٩٨): ٢٩٥؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ١٣٢، ١٣٦؛ مج. ٦: ٧٧- ٧٨.

(٦) الدهيشة لفظ مركب من مقطعين، داهي وشاه، ومعناهما قاعة الوالي أو قاعة العرش. (المؤلف)



منظر عام لزاوية فرج بن برقوق «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

والظاهر أن هذا المسجد لوجوده بين مساجد كثيرة لم يستعمل للصلاة، فكان في أواسط القرن التاسع إلى أواخره وما بعده مكتبًا للأطفال أقرأ به الشمس محمد بن الأتميدي [المتوفى قتلاً سنة (٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م)]، ثم محمد شمس الدين البحيري [المتوفى سنة (٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م)]، ثم صار مجمعًا للأمراء يجتمعون فيه للمشاورة والمؤامرة، وفي ربيع الآخر من سنة (٩٩١هـ/ ١٥٨٣م) اتخذه الوزير إبراهيم باشا مندوب مصر العثماني مقرًّا لمحاكمة الوزير حسن باشا الخادم لارتكابه أمورًا نسبت إليه، فأصدر الباب العالي أمرًا بإقالته، ثم بمحاكمته، فاتخذ إبراهيم باشا المذكور من هذا المسجد مجلسًا فيه، وأخذ يفتش عما اغتصبه سلفه فوجده شيئًا كثيرًا، وكان يجري التحقيق مع أصحاب الحقوق المغتصبة علنًا، وقد تكاثرت الشكايا على حسن باشا ورفعت الدعاوى ضده، حتى تثبت إدانته تمامًا ولم يبق إلا النطق بالحكم، فرفع الوزير إبراهيم باشا تقريرًا أبان فيه وجه الإدانة فصدر له الأمر بإعدامه، فقتله ثم عاد إلى الأستانة في سنة (٩٩٢هـ/ ١٥٨٤م)[1].

(١) تولى حسن باشا ولاية مصر عام (٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م)، وهو حسن باشا خازندار السلطان مراد الثالث، وكغيره من الولاة العثمانيين حصل على هذه الوظيفة بالرشوة، فأراد أن يجمع قبل تركه منصبه أكبر قدر من المال، فأخذ يقبل الهدايا والرشاوى، واستولى على حقوق ليست له؛ حتى أنه بعد انتهاء ولايته والتي دامت لمدة عامين وعشرة أشهر خرج من القاهرة متخفيًا من=

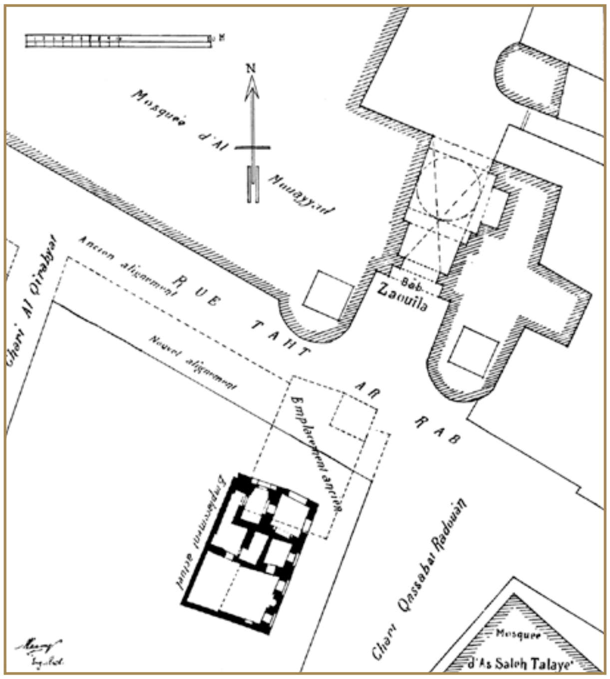
ومن هذا التاريخ اتخذ هذا المسجد مجلسًا للتأديب ومحكمة للشكايا، فحوكم بها بعد هذا الوزير المذكور سنان باشا الثاني،[١] ومحمد باشا الغازي[٢]، وظهر من كلام الشعراني أنه عرف قبل ذلك التاريخ بمحكمة بيت الوالي أو محكمة الجنايات أو المظالم.

وفي سنة (١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م) استخدم هذا المسجد مكانًا لمأمورية الضابطية «الضبطية» وعين لها كنعان أفندي مأمورًا، واختصت هذه المأمورية بالنظر في شكايا العسكر، وما برح هذا المسجد مستخدمًا محكمة أهلية حتى قبيل عصر الدولة العلوية، فنقلت منه المحكمة؛ ثم استعمل بعد ذلك مخزنًا لرؤوس القتلى التي كانت تعلق على باب زويلة، ومضى عصر العزيز محمد علي باشا جميعه وهو مستخدم

= باب المقابر حتى لا يدركه أحد، وخلفه إبراهيم باشا الذي عين موظفًا لتلقي الشكاوى في زاوية الدهيشة من شهر رجب إلى رمضان عام (٩٩١هـ/ ١٥٨٣م)، ومما أحصاه اختلاسه ١٠٠٤ أردب قمح، وبناء على التقرير الذي رفعه إبراهيم باشا للدولة العثمانية تم إعدام حسن باشا، انظر: يوسف الملواني الشهير بابن الوكيل، **تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب**، تحقيق محمد الششتاوي (القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٩٩٩): ١١٧؛ جرجي زيدان، **مصر العثمانية** (القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢): ٦٩.

(١) سنان باشا الدفتردار: تولى على مصر سنة (٩٩٢هـ/ ١٥٨٤م)، ثم عزل في سنة (٩٩٤هـ/ ١٥٨٦م)، ثم ورد تفتيش على الأموال السلطانية وقدرها خزينتان ونصف التي كان أخذها سنان باشا حين توجه لليمن، فأرسل صورة دفتر يتضمن أن خزينة مصر فقد منها مائتا ألف دينار لم يعلم لها محل، انظر: ابن الوكيل، **تحفة الأحباب**، ١١٧-١١٨.

(٢) غازي محمد باشا ابن شاه سوار: قدم إلى مصر في غاية ذي القعدة سنة (١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧م)، فاستمر إلى أن قتل غرة شوال سنة (١٠٧٠هـ/ ١٦٦٠م)، فكانت مدته ثلاث سنوات، حتى عزل وتولى بدلاً منه مصطفى باشا، وعوقب وصودر، ورفع أمره للأعتاب السلطانية فوردت الأوامر بقتله، فخنق بقصر يوسف صلاح الدين بالقلعة، ودفن بالقرافة بجوار شباك الإمام الشافعي، انظر: المرجع السابق: ١٤١.



موقع لزاوية فرج بن برقوق بعد النقل «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

لهذا الغرض، ثم أغلق بعد حين ثم فتح للصلاة في سنة (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م).

ولأول مرة في هذا التاريخ يستعمله أئمة المساجد لعقد جلساتهم فيما يختص بشؤونهم، فقد شهدنا لهم اجتماعًا فيه في مساء اليوم السادس من ذي الحجة سنة (١٣٦٠هـ)/ السادس من يناير سنة (١٩٤١م).

وقد كان إلى سنة (١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م) بارزًا في عرض الطريق عن مكانه الحالي تجاه برج باب زويلة الغربي[٣]،

(٣) تم تفكيك الزاوية من قبل لجنة حفظ الآثار العربية ومصلحة التنظيم، ونقلها مسافة ١٢ مترًا جهة قصبة رضوان لتكون في الجهة الشمالية الغربية لجامع الصالح طلائع عام (١٩٢٣م)، حيث اقترح ذلك عام (١٩٢٢م)، انظر: **كراسات لجنة حفظ الآثار العربية، المجموعة الخامسة والعشرون من محاضر لجنة حفظ الآثار القديمة العربية** (القاهرة: مطبعة بولاق، ١٩٢٠-١٩٢٤): ٣٩٧.

حيث كانت المسافة بينهما تقدر بأربعة أمتار، فلما شرع في توسعة هذه المنطقة في هذه السنة لتسهيل حركة المرور زحزح إلى مكانه الحالي بطريقة فنية بمقدار اثني عشر مترًا عن بدنة الباب، وأزيل ما كان حاجبًا لواجهته الشرقية من الدكاكين، والمدخل إلى هذا المسجد من بابه العمومي وهو باب شاهق يتحلى عتبه بمجموعة من الدلايات والمقرنص وعلى جانبيه مذكرة تاريخية نصها:

البسملة. يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا وافعلوا الخير لعلكم تفلحون أمر بإنشاء هذا المكان المبارك السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق عز نصره

وله واجهتان بحرية وفيها الباب يجاوره شباك السبيل، تعلوه مذكرة تاريخية في روسم خشب، كتب بها في سطرين ما نصه:

أمر بإنشاء هذا السبيل المبارك مولانا السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق عز نصره

وشرقية يعلوها طراز يقرأ فيه مذكرة تاريخية بعضها مفقود الآن، ونصها:

أمر بإنشاء هذا المكان المبارك السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق سلطان الإسلام والمسلمين قامع الكفرة والمشركين[1] محيي العدل في العالمين خلد الله أيامه وأعز أنصاره والذي باشره المقر الجمالي أستادار العالية الملكي عز نصره وكان الفراغ في شهر ذي القعدة عام إحدى عشر وثمان مائة

(١) قامع الكفرة والمشركين: قد يكون هذا اللقب أضيف لألقاب الناصر باعتبار تيمور لنك من الكفرة والمشركين، نظرًا لأفعاله البشعة أثناء حروبه.

وصف المسجد

وداخل هذا المسجد يشتمل على بيت للصلاة به محراب من رخام ملون دقيق، ووجهته وجوانبه مؤزرة بوزرة من رخام ملون، وبه أربعة كوات عالية مفرغة بزجاج ملون، ويكتنف المحراب شرفتان تطلان على الشارع، وسقفه ذو سماوات إلا أن البلى قد عاد عليها، ثم نغادر بيت الصلاة إلى باب يؤدي إلى غرفة مربعة، ثم نصل بعد اجتياز ممر إلى داخل السبيل وقوام زخرفته في سماوات سقفه المكون منها شكل تاج، ثم وزرة الرخام الدقيق الملون التي تغطي جدرانه، وفي جانبيه الشرقي والبحري كوتان تطلان على الشارع.

منشئ هذا الأثر

والآمر بإنشاء هذا الأثر هو الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق الجركسي، تولى الملك بعد وفاة أبيه مباشرة وعمره إذ ذاك دون العشر سنين وأقيم وصيًّا عليه الأمير يشبك الشعباني، وما أن تربع على كرسي الحكم حتى أخذ يطارد تيمور لنك الذي أغار على بلاد الشام واستولى على ملطية وحلب وحمص من أملاك مصر، فجهز حملة كبيرة لمحاربته قادها هو بنفسه، فلما وصل بها إلى الشام تراجع ثانية لخطة مدبرة، حتى إذا وصل القاهرة أخذ يحصنها تحصينًا يقيها شر عدوان هذا الطاغية، وقد نفذ بالفعل خطته المدبرة مع تيمور لنك، وبذلك أفلح في رد عاديته، ومن حسن الحظ أن باغتت المنية تيمور لنك في سنة (٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م) فقضت عليه، فكان موته سببًا لإخماد ثورته وابتعاد شره عن وادي النيل، فأمن الملك فرج بذلك جانبه، بيد أنه لم يلبث حتى مُنِي بفتنة داخلية من حاشيته

وبطانته، فخلع بسببها وتولى مكانه أخوه عبد العزيز في ١٦ ربيع الأول سنة (٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، ولقب بالمنصور عز الدين، ولصغر سنه إذ ذاك أقيم عليه الأتابك بيبرس وصيًّا، بيد أن هـذا الملك لم يلبث أن خلع وأعيد الملك فرج إلى الحكم ثانية، فتمكن من حينئذ وأخذ يعيد فتح البلاد الشامية، ففتح دمشق والسواحل وضمها إلى المملكة المصرية ثانية[١].

وبينما هـو في إعداد تنفيذ مشروعاتـه الإصلاحية الداخلية البـلاد إذا بأعدائه تتآمـر على قتله ثم تفتك به أخـيرًا، فمات ضحية انتقـام غريب، ودفـن بمقبرة باب الفراديـس ظاهر دمشـق، وتولى بعـده في الملك الخليفة المسـتعين بالله العباسي[٢]، واعتبرت توليـة هذا الخليفة للملك السـياسي من الأدوار الهامة التي لعبها الأمير شيخ المحمودي أتابك العسـاكر بالديار المصرية للوصول بها إلى أغراضه ومراميه، فما أن هدأت الخواطر واطمأنت النفوس قليلاً حتى أخذ يدبر حيلة في خلع الخليفة بحجة أنه أجنبي ولا يصلح للملك السياسي، فاستطاع أن يتمكن من ذلك، حـتى إذا خلع الخليفة تولى هو بـدله وتلقب بالملك المؤيد شيخ المحمودي[٣].

(١) عن سيرة وتولية الناصر فرج بن برقوق السلطنة، انظر: ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، قسم ٢: ٥٣٦- ٥٣٨، ٧٤١-٨٢٣.

(٢) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٣: ١٠٥، ١١٨؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، قسم ٢: ٨٢٣.

(٣) بدر الدين العيني، **السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي**، تحقيق وتقديم فهيم محمد علوي شلتوت، مراجعة محمد مصطفى زيادة، ط. ٢ (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٩٩٨): ٢٧٢؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٣- ٦.

آثار الملك الناصر فرج

وليس لهذا الملك أثر آخـر غير هذا الأثر وتربة أبيه بالقرافة- وهي إن كانت من إنشـاء أبيه- إلا أنه ساهم في بنائها بقسـط كبير، وله جملة إصلاحات بالآثار الإسلامية الشامية والحجازية.

جامع الناصر فرج بالقلعة

وذكر المقريزي في الخطـط أن الملك الناصر فرج بن برقوق أنشأ في سنة (٨١٢هـ/ ١٤٠٩م) جامعًا داخل قلعة الجبل بالحوش السلطاني، وبالبحث عن هذا الجامع داخل القلعة الصلاحية وجد أن الحوش السلطاني الذي دخل في مساحته هذا الجامع هو الحوش الذي كان قد أمر ببنائه الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة (٧١٨هـ/ ١٣١٨م)، في محل بركة ماء وبلغت مسـاحته أربعة أفدنة، واستعمل الملك الناصر هذا الحوش مربضًا للغنم والبقر والطيور والدواجن[٤].

وظل مسـتخدمًا لهذه الغاية حقبة طويلة حتى مات الملك الناصر فبطل عمله، ثم بقي براحًا حتى استخدمه الملك الظاهر برقوق في إقامة الاحتفال بالمولد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام في كل عام على ساحته فكانت تنصب فيه الخيام للسـلطان والعلماء والأمراء والأعيان وشيوخ الطرق وتأتي عامة الناس وخاصتهم للتفرج، ويشـترك الكل في هذا الاحتفال على نحو ما يجري اليوم.

وظل كذلك حتى انقـراض الدولة الظاهرية، ثم نقل الاحتفال بالمولد النبوي إلى مكان آخر، وبقي الميدان سـاحة

(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٣٢٧؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، قسم ٢: ٨٢٢؛ المرجع السابق، مج. ٣: ٣٤٨؛ المرجع السابق، مج. ٤: ٢٣٥، ٢٨٢؛ المرجع السابق، مج. ٥: ٤٩٣.

حتى أقيم عليه مبانٍ أخرى في عصور مختلفة، وكان مما بني عليه في عصر الملك الناصر فرج هذا الجامع على أنقاض مسجد قديم من مساجد القلعة، ومابرح قائمًا به حتى تخرب، وسنذكره في مساجد القلعة، وللناصر فرج كتاب وقف محرر في السابع من المحرم سنة (٨١٢هـ/ ١٤٠٩م)، [مسجل بالحفظ برقم ٦٦]، افتتحه بذكر هذا الأثر ووصفه.

شارع تحت الربع[١]

هذا الشارع الذي يشرف على هذا الأثر كان في عهد الفاطميين منطقة تحد من الشمال بالحارة المحمودية «شارع الإشراقيين أو الإشراقية»[٢]، ومن الجنوب بحارة بني سوس أو المأمونية «شارع القربية»[٣]، ومن الشرق بالبرادعيين والدرب الأحمر[٤]، ومن الغرب بقنطرة الخرق والخليج، وكان في طرفه الغربي أحد أبواب القاهرة المسمى بباب الفرج[٥]، وقد بقي إلى نهاية القرن التاسع وأواسط العاشر ثم تهدم فأزيل نهائيًّا، وكان في نهايته الجنوبية إلى جهة الشرق مساكن الطائفة المأمونية، وهي كتيبة من العسكر الفدائية اتخذهم الوزير محمد بن فاتك المأمون البطائحي وزير الخليفة الآمر بأحكام الله وأسكنهم بها في سنة (٥١٧هـ/ ١١٢٣م).

وفي سنة (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) أنشأ الشيخ محمد بن موسى النعماني الزروالي الفاسي أحد علماء المالكية خلف السور خارج القاهرة مسجدًا سماه بمسجد النور نظير تسميته لمسجده الآخر بالفسطاط بمسجد النصر[٦]، ولا يزال هذا المسجد باقيًا حتى اليوم أسفل البلاط الجنوبي من جامع المؤيد بشارع تحت الربع رقم ٣، وقد دفن به العالم المالكي

(١) شارع تحت الربع هو شارع أحمد ماهر حاليًّا ويبدأ من ميدان باب الخلق حتى الدرب الأحمر، ولقد سمي بهذا الاسم نسبة للربع الظاهري الذي بناه الظاهر بيبرس البندقداري بين بابي زويلة والفرج بهذا الشارع، وصار هذا الخط يعرف باسم تحت الربع، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٥١٠؛ عاطف عبد الدايم عبد الحي، **شارع تحت الربع منذ نشأته وحتى نهاية القرن ١٣هـ/١٩م**: **دراسة أثرية حضارية** (القاهرة، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة. كلية الآثار، ١٩٩٧): ١٩.

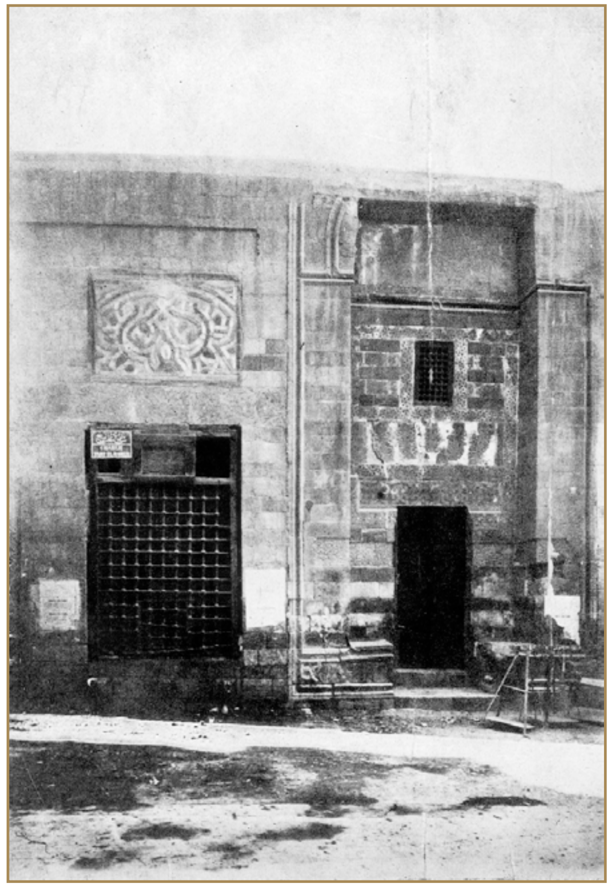
(٢) هي المنطقة الواقعة شمال جامع المؤيد وتعرف حاليًّا بحارة الإشراقية نسبها المقريزي لطائفة من الجنود الفاطميين تسمى الطائفة المحمودية، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١١.

(٣) حارة بني سوس: هي المنطقة الواقعة خلف تكية الكلشني، وتشمل حارة القربية وشارع القربية، ورد ذكرها في بعض الوثائق باسم بني سيس، وهي تحريفًا للاسم الأصلي، وبني سوس هم طائفة من المصامدة المغاربة والذين كانوا يسكنون بها، انظر: المرجع السابق: ٤٦؛ عبد الحي، **شارع تحت الربع**: ١٠٦.

(٤) البرادعيين: هو خط البرادعيين العتق الذي ورد ذكره في بعض الحجج والوثائق، والذي يعرف الآن بشارع القربية، حيث ذكر أنه تجاه قبة علي نجم الدين، والبرادعيين هم صناع البرادع وهي سروج الحمير، انظر: المرجع السابق: ٩٠.

(٥) باب الفرج: لم يحدد المقريزي مكان هذا الباب بشكل مباشر ولكنه أشار إليه في حديثه عن شارع تحت الربع أنه بين بابي زويلة والفرج .

(٦) مسجد النور: اندثر هذا المسجد حاليًّا وكان موقعه تحت الإيوان الغربي للجامع المؤيدي، وكان اسمه جامع النور، وقد ذكر السخاوي الحنفي في تحفته أنه يسمى بزاوية «الشيخ عبد الحق»، وقال إنها جددت سنة (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)، كما ذكر النابلسي أنها كانت وسط السوق في مكان مستقل عليه الجلال والهيبة، وقد عرف هذا المسجد خطأ بمسجد «أبي الحسن النوري»، وكان يقام بها مولد وحضرة كل جمعة؛ لذا يبقى تاريخ الإنشاء مجهولاً مما يشكك أيضًا في اسم المنشئ الذي أورده حسن قاسم، انظر: أبي الحسن نور الدين علي بن أحمد بن عمر بن خلف بن محمود السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والبقاع المباركات**، ط. ٢ (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٨٦): ٨١؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٣: ٥٠؛ عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النقشبندي النابلسي، **الحقيقة والمجاز في بلاد الشام ومصر والحجاز**، تقديم أحمد عبد المجيد هريدي (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٦): ٢٤٥.



منظر عام لزاوية فرج بن برقوق «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

المشهور الشيخ أحمد بن حسن النعماني القسنطيني [انظر هذا المسجد].

وفي سنة (٦٦١هـ/ ١٢٦٢م) آل القسم الشمالي من هذا الشارع من حد عضادة باب زويلة الغربية حتى نهايته إلى الملك الظاهر بيبرس، فأنشأ به مجموعة من المباني والعقارات وقفها على المدرسة الظاهرية بالقاهرة، ثم أنشأ به ربعًا ضرب بكبره المثل، وأسكن فيه الغرباء والنزلاء واشتهرت المنطقة به من حينئذ فعرفت بخط أسفل الربع الظاهري ثم بخط تحت الربع، ويستفاد مما ذكره المقريزي والسخاوي وغيرهما أن هذا الربع كان قائمًا على قطعة الأرض التي تجاور ميضأة جامع المؤيد شيخ الحالية، وهي غير ميضأته التي كانت في الجانب الغربي لجهة الشمال من الباب الغربي في ملك الوزير فخر الدين عبد الغني [انظر جامع المؤيد]، وما في امتداد هذه الميضأة من عطفة الشيخ سليم حتى أول خط القشاشين[١].

وقد أربت بيوته على تسعين بيتًا، في كل بيت منها ما لا يقل عن ثلاث غرف معدة لسكنى عائلة كاملة، وبنى أسفله ما لا يقل عن مائة دكان للمرتزقة من الناس، وقد بقي هذا الربع حتى تخرب وقلت سكانه فهدم تدريجيًّا وحلت في محله مبانٍ أخرى من الحد المذكور حتى رقم ٣٥ من الشارع[٢].

وبنى في مؤخره سبيلاً مستقلاً، بأسفله ماجل ومزملة، وقد شاء الله تعالى أن يبقى هذا السبيل ماثلاً حتى الآن يحمل شارة الملك «رنك» الظاهر بيبرس؛ وهي الأسدان الراكضان الذي يقابل وجه أحدهما الآخر، وهما مرئيان بالنقش البارز في الحجر على يمين واجهة السبيل، وقد سمى السخاوي هذا السبيل بسبيل الحسنات، وأفاد أن الملك الأشرف قايتباي جدده وهو مطابق لما جاء بكتاب وقف الملك الأشرف قايتباي [انظر السبيل الظاهري][٣].

وقد عرف هذا السبيل منذ القرن المنصرم بالشيخ مصطفى حبيش، ولا يزال يعرف عند بعض الأفراد من

(١) خط القشاشين: هي المنطقة الواقعة حول جامع فاطمة شقرا؛ حيث عرف المسجد باسم مسجد المقشات، انظر: عاطف عبد الدايم، **شارع تحت الربع**: ٩٤.

(٢) عن وصف هذا الربع، انظر: عز الدين بن علي بن إبراهيم بن شداد، **تاريخ الملك الظاهر**، تحقيق أحمد حطيط (فيسبادن، ألمانيا: فرانز شتايز، ١٩٨٣): ٣٤٤.

(٣) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ٢٠٩.

الناس من سكان هذا الحي بسبيل الظاهر بيبرس، ويمكن القول بأن هذا الأثر هو أول سبيل مستقل نحتفظ به منذ ذلك الوقت المبكر حتى اليوم [انظر الكلام على الأسبلة المستقلة وما وجد منها بالقاهرة قبل سنة (٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م)][١].

وفي سنة (٧١٤هـ/ ١٣١٤م) أقطع الملك الناصر محمد ابن قلاوون لمملوكه الأمير بكتمر الحاجب جانبًا من هذا الشارع فأحدث به سوقًا عرف بسوق الحاجب، وقد دخل بعضه في سويقة لاجين بك، وهو حيث الشارع المعروف بحوش الشرقاوي[٢].

وفي سنة (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م) أنشأ الأمير بدر الدين بيلبك المحسني- والي القاهرة في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون- قيسارية بخط تحت الربع بين سوق الحاجب وحكر أقبغا، وقد حل في محل هذه القيسارية مجموعة الدكاكين والمباني المحصورة بين زاوية الكلشني وشارع حوش الشرقاوي، ودخل بعضها في الشارع الذي يليها[٣].

وفي سنة (٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م) آل الجانب القبلي من هذا الشارع من حد خط المأمونية حتى قيسارية المحسني إلى الأمير أقبغا عبد الواحد الناصري، فحكر جميع الأرض الداخلة فيه، وعرف من حينئذ بحكر أقبغا[٤]، وهو غير الحكر المنسوب له بالسبع سقايات بحارة السيدة[٥].

وفي سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) أنشأ الأمير طقوزدمر الناصري- في الجانب القبلي من هذا الشارع في جوار سوق الرواسين والسقطيين والمأمونية خلف الربع الناصري المعروف بالدهيشة- فندقًا لبيع الفاكهة عرف بفندق التفاح، وبقي حتى سنة (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م) ثم أهمل، وما برح حتى هدم في سنة (٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، وحل في محله مجموعة المباني المحصورة بين مدخل شارع القربية وبين سبيل فرج بن برقوق.

(١) هو سبيل وقف حبيش أثر رقم ١٩٨ مؤرخ بالقرن (١٢هـ/ ١٩م)، وقف إبراهيم أغا معتوق عمر أغا، أصبح ناظره الشيخ محمد حبيش، ثم ابنه محمد محمد حبيش، ويقع حاليًا بعطفة الهواء، وألحق به منزل وربع، وأعلاه قاعة سكنية، ونسبته للظاهر بيبرس نسبة خاطئة لأن سبيل الظاهر بيبرس المزعوم لم ترد عنه أي إشارات في المصادر التاريخية لتحدد موقعه بدقة، حتى ذكر أن السلطان قايتباي جدده غير دقيق؛ ذلك لأن سبيل قايتباي الدارس كان يقع بخط القشاشين، ولعل ذلك الخطأ كان بسبب خريطة الحملة الفرنسية لمنطقة تحت الربع التي أخطأت في تحديد مكان السبيل، حتى الرنك الموجود على واجهة السبيل يمكن إرجاعه لإعادة استخدام بعض الأحجار من الربع الظاهري في بناء السبيل ، وحتى مصطفى حبيش لم نقف على تراجم له في كتب الأعلام، انظر: عبد الحي، **شارع تحت الربع**: ٢٢٧، ٢٢٨، ٣٦٤، ٣٦٥؛ محمود حامد الحسيني، **الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة ١٥١٧-١٧٩٨م** (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٨٨): ٢٧٢.

(٢) سوق الحاجب: لم يرد في المصادر التاريخية ما يفيد بنسبة ذلك السوق للأمير بكتمر الحاجب توفي سنة (٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م)، ولكن عاطف عبد الدايم استنادًا لبعض الوثائق يذكر أنه كان يقع بالمنطقة الواقعة غرب تكية الكلشني حاليًا، ويمتد لأجزاء من شارع القربية، انظر: ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٣: ٣٨٦-٣٩٠؛ عبد الحي، **شارع تحت الربع**: ١٤١- ١٤٢.

(٣) عن القيسارية والأمير بيلبك المحسني، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٠١، وهذه القيسارية لم يتعرض لها عاطف عبد الدايم بالدراسة ضمن الآثار الدارسة، أما عن تاريخ الإنشاء الذي ذكره حسن قاسم لم نجد عنه أي إشارة في المصادر التاريخية.

(٤) بنى الأمير أقبغا عبد الواحد بعض الحوانيت والحقوق في تلك المنطقة وأوقفها على مدرسته بجوار الأزهر، عن ترجمة الأمير أقبغا ومنشأته، انظر:ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٢: ٤٨٠؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٤٨-٣٤٩.

(٥) المرجع السابق: ٣٨٤-٣٨٦.

وفي سنة (٨١١هـ/ ١٤٠٨م) أنشأ عزيز مصر نظام الملك جمال الدين يوسف البجاسي الأستادار سبيلاً ومسجدًا برسم مليكه، في جوار وكالة التفاح وهو الذي ترجمنا له آنفًا. وفي سنة (٨١٢هـ/ ١٤٠٩م) أنشأ الأمير رشيد الدين البهائي- زمام الآدر الشريفة ثم كبير أغوات الحرم النبوي على مشرفه أفضل الصلاة والسلام- جامعًا بمنتصف الشارع الذي يليه المعروف بالقشاشين، وهو المنسوب للآدر الست فاطمة المدعوة شقرا جهة الأمير جاني بك الملكي الأشرفي بنت الأمير خير بك من حديد الأشرفي لتجديدها له في سنة (٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م) [انظر هذا المسجد][1].

وفي سنة (٨١٦هـ/ ١٤١٣م) أنشأ الأمير زين الدين عبد اللطيف الطواشي الجمدار ونقيب الفقراء القادرية بأسفل الربع الظاهري في جوار سبيل الحسنات قيسارية عرفت بقيسارية أو حارة الفقراء[2]، وبنى في نهايتها مسجدًا عرف بمسجد الفتح، وقد ظل قائمًا حينًا ثم تخرب، ونشاهد من أطلاله الماثلة حتى الآن محرابه الحجري الجميل وأرض فضاء في جوار المنزل رقم ٢٥ من حارة الجداوي[3].

وهو المسجد الذي ساعد في إعادة بنائه السلطان الملك الأشرف قايتباي وأقام مئذنته بسعاية دواداره الأمير تغري بردي القادري لصلته بجماعة الفقراء القادرية التي سميت لهم الحارة، وقد دخل بعضها في حارة الجداوي[4]، ويستفاد مما ذكر في كتاب وقف الملك المؤيد أن هذا الجامع كان محصورًا بين حمام المؤيد وبين عقار في ملك المؤيد يبتدئ من نمرة ١١ حتى باب المحمودية، مدخل حارة الجداوي الغربي [انظر هذا المسجد] وهو مطابق لوضع البقية المذكورة.

وفي سنة (٩٢٩هـ/ ١٥٢٣م) إلى سنة (٩٣١هـ/ ١٥٢٥م) أنشأ الوزير مصطفى باشا بأمر السلطان سليمان بن سليم للشيخ إبراهيم بن محمد بن حاجي القاشاني المعروف بالكلشني شيخ الطائفة الكلشنية على قطعة أرض فضاء من حكر أقبغا- خانقاهًا ومدفنًا ومسجدًا وتربة، وأنشأ له على باب سوق

(١) هو مسجد المرأة أو مسجد فاطمة شقرا بناه الأمير رشيد الدين البهائي الناصري توفي سنة (٧١٢هـ/ ١٣١٢م)، وجدد على يد السيدة فاطمة شقرا سنة (٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م)، ذكر عنه علي مبارك أنه كان مقام الشعائر في زمنه، وقد جدد سنة (١٩٠٥م)، ولم يتبق منه ما يدخل في عداد الآثار سوى المئذنة ذات الطراز العثماني، انظر: علي مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ١١٣؛ محمدأبو العمايم، **آثار القاهرة الإسلامية في العصر العثماني**: **المساجد والمدارس والزوايا**، تقديم أكمل الدين إحسان أوغلي، مج. ١ (إستانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، ٢٠٠٣): ٤٥٣- ٤٥٤.

(٢) عن ترجمة الأمير عبد اللطيف الطواشي، انظر: ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٧: ٣٦٠- ٣٦٢؛ عبد الحي، **شارع تحت الربع**: ٢٢٠.

(٣) ذكر المقريزي أن قيسارية الفقراء كانت من بناء الظاهر بيبرس، وهنا يتضح أن حسن قاسم قد جانبه الصواب في تحديد منشئ هذه القيسارية، ولعل ذلك بسبب بناء الأمير زين الدين عبد اللطيف الطواشي مسجدًا في حارة الفقراء ذكره المقريزي باسم مسجد عبد اللطيف الطواشي وليس مسجد الفتح؛ حيث إن مسجد الفتح المذكور كان في حكر الصبان والذي عرف أيضًا باسم الجامع المستجد، ولعل جامع الطواشي الذي ذكره المقريزي هو نفسه الجامع الذي رآه حسن قاسم غير أنه لم يدعم وجهة نظره بالإحالة إلى أي مصدر تاريخي، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٠٠؛ مج. ٤: ٣٥٤.

(٤) عن سيرة الأمير تغري بردي من يلباي الظاهري القادري الحنفي الخازنداري، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٣٠- ٣١.

السقطيين في جوار وكالة التفاح سبيلاً بقي حتى أزيل في سنة (١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م)[١].

وفي سنة (٩٦٣هـ/ ١٥٥٦م) أنشأ الوزير إسكندر باشا حاكم مصر العثماني في جنوب بابي الفرج وسعادة تجاه قنطرة الخرق جامعًا برسم مدرسة[٢]، وقد تهدم هذا المسجد وبقيت منه بقية من السبيل حتى أواخر القرن المنصرم بأول حارة كوم الصعايدة وحل محل المسجد الفضاء الذي يقابل رقم ٢٢ ميدان باب الخلق، ومحل الميضأة المنزل رقم ٣ شارع تحت الربع[٣].

(١) ورد في كراسات لجنة حفظ الآثار العربية أن وكيل وقف الكلشني خليل أفندي طلب بناء واستكمال واجهات السبيل؛ غير أن واجهة السبيل القبلية كانت مهدمة، والكتاب لم يكن موجودًا منذ فترة، فتقرر عدم إدراجه ضمن الآثار الإسلامية ومن ثم هدم، انظر: لجنة حفظ الآثار العربية، **المجموعة الثالثة والعشرون من محاضر جلسات اللجنة وتقارير قسمها الفني عن سنة ١٩٠٦ إفرنجية**، ترجمة علي بهجت (القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩١٥م): ١١١.

(٢) هو الوزير إسكندر باشا الذي تولى حكم مصر في الفترة ما بين عامي (٩٦٣- ٩٦٦هـ/ ١٥٥٦- ١٥٥٨م)، وكان يتمتع بحب المصريين لما لمسوه في عهده من انخفاض في الأسعار، لزيادة النيل زيادة كبيرة، مما أدى إلى انتعاش الزراعة، على الرغم من تدهور نظام الري في ذلك الوقت، انظر: ابن الوكيل، **تحفة الأحباب**: ١١٢- ١١٣.

(٣) بنى إسكندر باشا جامعًا وتكية وعدة حوانيت بميدان باب الخرق «الخلق» في عام (٩٦٣هـ/ ١٥٥٦م)، وأوقف عليهم أوقافًا عظيمة، غير أنها أزيلت عند شق شارع محمد علي حينما كان علي مبارك ناظرًا للأشغال، وردم الخليج ودخل جزء منها في الميدان، وجزء آخر في فضاء أمام سراي الأمير منصور باشا، التي صارت الآن مديرية أمن القاهرة ومحكمة الاستئناف أواخر الخمسينيات من القرن الماضي، وكان ضمن هذه الآثار سبيل عثر على صهريجه أثناء الحفر، أما التكية فكان موقعها تجاه جامع الفخري «جامع البنات»، انظر: علي مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٤: ٥٦-٥٧؛ ابن الوكيل، **تحفة الأحباب**: ١١٢-١١٣، هامش ٤٧؛ أبو العمايم، **آثار القاهرة الإسلامية**: ٧١-٧٨.

وفي سنة (١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م) أنشأ الأمير قاسم جوربجي مسجدًا معلقًا تجاه درب الخشني بالقشاشين، وأوقف عليه اثني عشر دكانًا في جواره ودارًا، ولا يزال هذا المسجد على وضعه حتى اليوم وتقام فيه الشعائر، وتشرف عليه الحاجة سيدة الجوربجية من ذرية المنشئ، وقد جددته في سنة (١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م)[٤].

وفي سنة (١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م) أنشأ الأمير حسن أغا الأرزقطلي سبيلاً عثمانيًّا[٥]، وفوقه مكتب وبابه شارع في الطريق العام رقم ٦٥ تجاه جامع الست فاطمة شقرا.

وفي سنة (١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م) أنشأ الأمير نذير أغا سبيلاً عثمانيًّا وفوقه مكتب، على ناصية حارة الفقراء المعروفة بعطفة الهواء، ولا يزال هذا السبيل قائمًا يحمل اسم منشئه وتاريخ إنشائه، وقد بطل استخدامه خلا المكتب[٦].

هذه أهم الأطوار المعمارية التي طرأت على شارع تحت الربع من ظهوره حتى وقتنا هذا، وهي تعطينا فكرة صحيحة عن تاريخ أهم شارع من شوارع ظاهر القاهرة، كثر تساؤل

(٤) زاوية الشوربجي بشارع تحت الربع تجاه درب الخشني، تم هدمها عند توسعة الشارع في الخمسينيات. (المراجع)

(٥) هو سبيل حسن أغا أرزنكان أثر رقم ٤٢٠، أنشئ سنة (١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م) يقع بعطفة الهواء، وهو ليس موقعه الأصلي الذي كان أمام جامع فاطمة شقرا حيث نقل إلى مكانه الحالي عام (١٩٥٦م)، وحسن أغا أرزنكان هو كبير البوابين ناظر الحرمين ابن المرحوم صالح، انظر: محمد حسام الدين إسماعيل، **مدينة القاهرة من ولاية محمد علي إلى إسماعيل (١٨٠٥/ ١٨٧٩م)** (القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٩٩٧): ١٨٦.

(٦) ذكر عنه علي مبارك أنه بشارع تحت الربع، أنشأه نذير أغا، وأنشأ أعلاه كتابًا لتعليم الأطفال الأيتام، وذلك عام (١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م)، وكانت أرضه مفروشة بالرخام وشعائرهما مقامة من ريع وقفهما بنظر الحاج محمد القرشي، وقد اندثر هذا السبيل حاليًّا، انظر: علي مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ٦٤.

الناس عنه بسبب هذه التسمية الغريبة التي يحملها منذ (٦٦١هـ/ ١٢٦٣م) حتى اليوم، وقد اقتطع من هذا الشارع جانب من حده الغربي الشمالي يقدر بخمسة عشر مترًا تجاه المنزل رقم ٩ حيث كان باب الفرج الفاطمي، وباقتطاع هذا الجزء من شارع تحت الربع اتصل حده المذكور بحد باب الحارة المحمودية القبلي، وصار ما بينهما ميدانًا في نهايته الشمالية تقع سراي الأمير منصور باشا يكن زوج الأميرة توحيدة هانم بنت الخديو إسماعيل وهي المستخدمة لمحافظة القاهرة والمحكمة الأهلية «سراي محمد باشا ثابت».

وفي سنة (١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م) وسع من مدخله الشرقي بمقدار أربعة أمتار عرضًا عن عضادة باب زويلة وزحزحت زاوية الدهيشة إلى الوراء بهذا المقدار، وبمقدار ستة أمتار تقريبًا عن سبيل الكلشني ووكالة التفاح، وقد تطور اسم هذا الشارع من سوق الخروقيين إلى سوق الخلعيين نسبة لبيع الملابس المستعملة التي خلعها أصحابها استغناء أو ماتوا عنها أو ما أشبه ذلك[١].

وهو غير سوق الخلعيين الذي كان في جنوب قيسارية الفاضل تجاه درب دغمش أو درب القضاة [انظر عطفة الحمام أو القاياتي بشارع السكرية]، وغير هذا أيضًا الذي حل في محله شارع المنجدين رغم بقاء بيع الخليع من الملابس به حتى اليوم، ثم عرف بسوق الأقباعيين نسبة لبيع القبع[٢]، وهو غطاء من نوع القلانس مثلث الأركان ومنه نوع مزركش يلبسه الأوجاقية وهم السياس[٣]، ويطلقه العرب على الشاشة أو الطرحة التي يستخدمونها في تغطية رؤوس الأطفال الصغار ووجوههم وقاية لهم من لفح الهواء ووهج الشمس ويسمونه «القبة»، ومنه أخذ الفرنجة هذا الاسم وأطلقوه على غطاء رؤوسهم واستخدموه لهذا الغرض نفسه، وتستخدم نساء مصر والقاهرة والأقطار الشرقية، هذه القبعة لأطفالهن ويسمونه «البيشة» على مثال الشاشية[٤].

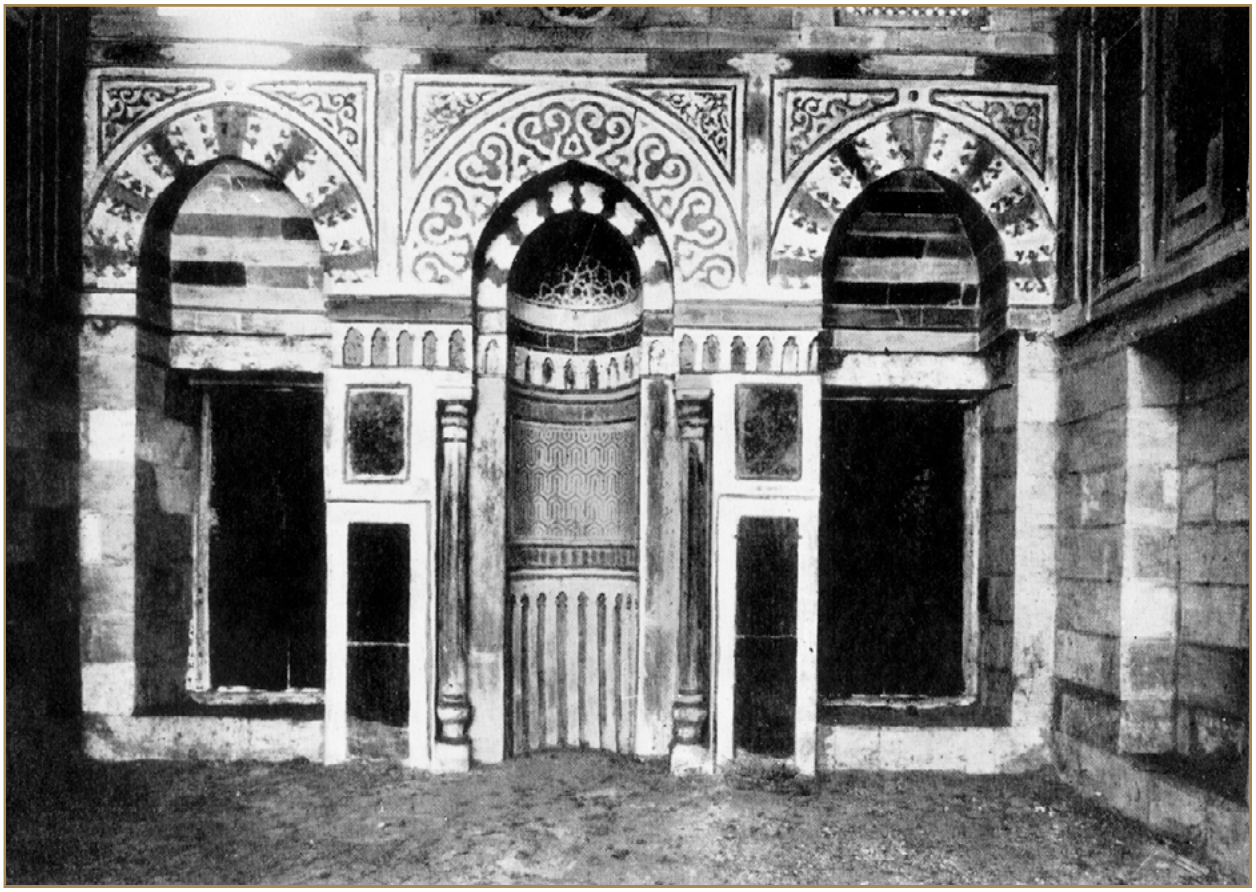
وقد ظل هذا السوق بهذه المنطقة حينًا، ثم انتقل منها إلى سوق المهامزيين بين الشرابشيين والمدرسة الأشرفية، ثم إلى سوق الدجاجين بنهاية شارع بين القصرين بين قصر بشتاك وبين الجامع الأقمر، ثم إلى الحسينية خارج باب الإقبال «الفتوح» على مقربة من حوض الصارم بشارع البيومي، ثم عرف بسوق الظنوطيين نسبة لنوع من ملابس الجسم يقال لمفرده الظنط، وهو نسيج من الصوف تلبسه أهالي الوجه القبلي حتى الآن ويسمونه الزعبوط، ومنه نوع تلبسه أهالي إفريقيا يسمونه الجلابة وهو قريب من

(١) سوق الخلعيين: أحد أسواق العصر العثماني في خط تحت الربع، وارتبط بسوق آخر سمي الخلعيين، والذي تأسس في العصر المملوكي، عبد الحي، **شارع تحت الربع**: ١٥٢.

(٢) سوق الأقباعيين: هو أحد الأسواق التي نشأت مع الشارع حيث ظهر مع الربع الظاهري، وبيعت فيه الأقباع، وهي نوع من أغطية الرؤوس، وقد امتد نشاط هذا السوق حتى العصر العثماني، انظر: المرجع السابق: ١٣٧.

(٣) الحق أن خط تحت الربع قبل العصر المملوكي عرف بالعديد من الأسماء والتي لا يمكن قصرها على هذا الشارع فقط حيث لم يكن العمران قد انتظم ووضح في هذه المنطقة، وبعد بناء الربع الظاهري صار الخط يعرف به، وذلك حتى نهاية العصر العثماني وبداية عصر محمد علي الذي صدر في عهده مرسوم عام (١٨٤٧م) بتغيير أسماء شوارع القاهرة؛ ومنها شارع تحت الربع الذي صار مع بقية شوارع الدرب الأحمر المؤدية للقلعة يعرفون باسم شارع واحد وهو شارع القلعة، ثم عاد ليعرف مرة أخرى بشارع تحت الربع وفي النهاية سمي بشارع أحمد ماهر، ولا تزال العامة تعرفه باسم تحت الربع، ولا يمكن قصر اسم سوق ما على هذا الشارع نظرًا لكونه شارعًا تجاريًّا كبيرًا كان يعج بالوكالات والقياسر والربوع والحوانيت وغيرها.

(٤) حسن عبد الوهاب، **تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها** (القاهرة: مطابع دار النشر للجامعات المصرية، ١٩٥٧): ٢٤.



محراب زاوية فرج بن برقوق «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

معنــاه العربي «الجلباب»، ثم عــرف بالحدادين والخراطين والسروجيين والعقاديين والأبزاريين وإطلاقًا بشــارع تحت الربع، بيد أن القســم الذي عرف منه بهذا الاسم ما كانت بدايته من حد باب زويلة حتى آخر الربع الظاهري، وما بقي منه حتى آخر باب الفرج سمي بالقشاشين نسبة لبيع القش الخــام لصنع المكانس، وقد بقي على هــذا الوضع حتى أوائل القرن المنصرم، ثم غلبت عليه التســمية باسم شارع تحت الربع حتى يومنا هذا[1].

وتوجد فيه حتى الآن سنة (١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م) حوانيت الإبزاريين والدقاقين وتجار التوابل أكثر ما توجد فيه الحرف الأخرى المشــار إليها، وما أحوج هذا الشــارع إلى تجديد ملائم لناحيته التاريخية والعمرانية معًا، فقد عاد عليه البلى وهرم وضاقت به حركة المرور التي تزداد يومًا بعد يوم.

(١) يعد من أقدم أسواق شارع تحت الربع وتخصص في بيع الزمط أو الزنط وهو رداء يغطي كامل البدن كان يخص العسكريين حتى العصر العثماني، انظر: عبد الحي، **شارع تحت الربع**: ١٣٣.

جامع القاضي شرف الدين الصغير (دار ابن فضل الله العمري)

قاعة أثرية رقم ١٧٦ (سنة ٨١١هـ/ ١٤٠٨م)

هذا الجامع بشارع الأزهر كان من حقوق السبع قاعات القبلية، فلما فتح شارع الأزهر الجديد في سنة (١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م) شرع في الطريق العام[١].

وأصل هذا الجامع قاعة من دار أنشئت في أوائل القرن الثامن الهجري وكانت في ملك الأمير بيبرس، ثم آلت إلى الأمير محيي الدين بن فضل الله العمري كاتب السر بالديار المصرية في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون فأحدث بها تغييرات[٢]، ثم حولها القاضي شرف الصغير ناظر الدولة في عصر السلطان الغوري إلى مسجد جامع[٣]، وأقام بها الخطبة وأوقف عليها أوقافًا، فعرفت من حينئذ بجامع شرف الدين الصغير[٤].

وفي سنة (١٠٧٥هـ/ ١٦٦٤م) جددها حفيده المدعو شهاب الدين أحمد، وأوقف عليها أوقافًا بحجة مؤرخة في هذه السنة.

وفي سنة (١١١٦هـ/ ١٧٠٤م) جدد المدعو عبد الجواد الفخري، وأخوه شمس الدين محمد أوقاف هذا الجامع، والمدخل إلى هذا الجامع من باب بحري في جوار شارع سوق السمك القديم «أول شارع البندقانيين سابقًا» ومنه إلى دورة مياه صحية جددت حوالي سنة (١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م).

ويعلو هذا الباب مئذنة قرمية من الطوب[٥]، وفي جواره باب آخر منخفض عن منسوب الشارع ونصل منه إلى قاعة مستطيلة تشتمل على إيوانين في كل منهما مخدعان، وبينهما صحن مغطى، ويحيط بكل إيوان منها إفريز مقوم بزخارف آيات قرآنية كريمة، والجزء الأثري في هذه القاعة هو سقفها وسماوات الإيوان البحري، وغالب ما فيها حديث، وهذه القاعة بمدخلها هي كل ما نحتفظ به من آثار هذه الدار.

والباب المذكور باب شاهق يعلوه مقرنص، وواجهته محلاة بقطع الرخام الملون بالأسود والأبيض، وعلى جانبيه مكسلتان، والمؤكد أن هذا الباب وداخل القاعة مما أحدثه

(١) تم فتح شارع الأزهر سنة (١٩٣٠م) في عهد الملك فؤاد ضمن مشروع إنشاء ميدان العتبة، انظر: فتحي حافظ أحمد الحديدي، **دراسات في مدينة القاهرة: منطقة قسمي الجمالية ومنشأة ناصر بين الماضي والحاضر** (القاهرة :الشركة المصرية للطباعة، [١٩٨٢]): ١٤٨.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٩١.

(٣) تمت عمارته في سنة (٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م)، كما في حجة وقف عبد الجواد بن سعد بن إسرائيل المؤرخة في سنة (٩٦٩هـ/ ١٥٦١م). (المؤلف)

(٤) يعرف هذا المسجد حاليًّا باسم جامع شرف الدين وأخيه ويتوارى عن سمت الشارع مما يدل على اختلاف سمت الشارع الرئيسي عند شقه وفتحه. (المؤلف)

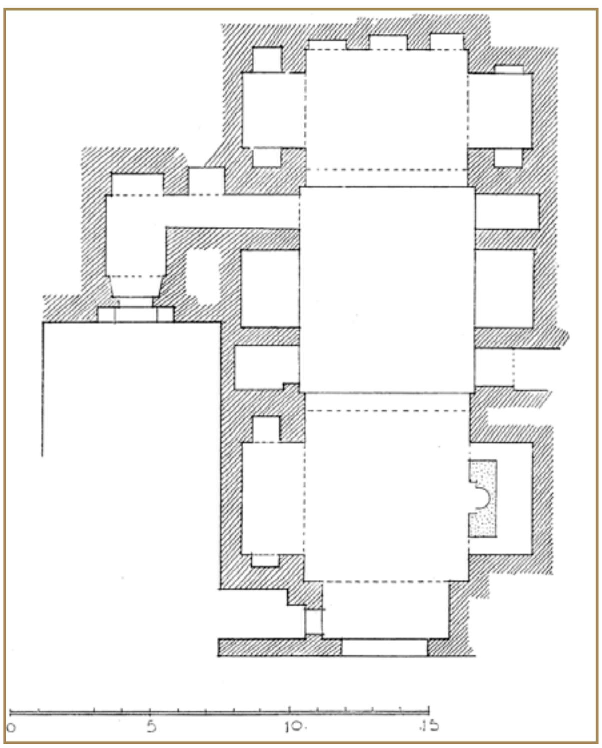
(٥) هذه المئذنة غير موجودة حاليًّا.

الأمير شهاب الدين أحمد ابن أخت الأستادار نظام الملك جمال الدين يوسف البجاسي في سنة (٨١١هـ/ ١٤٠٨م)، فقد ظهر من كلام المقريزي أن هذه الدار بعد إيالتها إلى الأمير محيي الدين يحيي بن فضل الله العمري، ثم إلى ابنه علاء الدين علي، وابنيه بدر الدين محمد وعز الدين حمزة، وبعد أن أحدثت بها جملة إصلاحات من الأميرين المذكورين، اغتصبها منهم الأمير المذكور بطريقة غير مشروعة لقاء ثمن بخس ووقفها، ثم غير كثيرًا من معالمها، وزاد في مساحتها من دور كانت في جوار مستوقد حمام ابن عبود، وهي الحمام التي عرفت أخيرًا بحمام السبع قاعات، ثم هدمت هي والمستوقد عند تنظيم شارع الأزهر[١].

وأدخل في عمارتها مفردات من دور أخرى من عمد ورخام وأخشاب إلى غير ذلك، وهدم من أجلها تربة الشيخ عز الدين بن عبد السلام كبير علماء القاهرة في أواخر القرن السابع، وأخذ ما كان فيها من أسطوانات ورخام وبلغ بها منتصف شارع البندقانيين «شارع سوق السمك القديم»، وأنشأ في نهايتها حوضًا لسقي البهائم، وما كاد يتم عمارتها حتى فوجئ بالقبض عليه وعلى خاله من الملك



إيوان بجامع القاضي شرف الدين «عن لجنة حفظ الآثار العربية»



مسقط أفقي لجامع القاضي شرف الدين «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

(١) حمام ابن عبود: موضعها فيما بين إسطبل الجميزة، وبين رأس حارة زويلة، عرفت قديمًا بحمام الفلك، وهو القاضي فلك الملك العادل، ثم عرفت بالأمير علي بن أبي الفوارس، ثم عرفت بابن عبود، وهو الشيخ نجم الدين أبو علي الحسين بن محمد بن إسماعيل ابن عبود القرشي الصوفي، مات في يوم الجمعة الثالث والعشرين من شوال سنة اثنتين وعشرين وسبع مائة، بعد ما عظم قدره، ونفذ في أرباب الدولة نهيه وأمره، وهو صاحب الزاوية المعروفة بزاوية ابن عبود بلحف الجبل قريبًا من الدينوري من القرافة الصغرى، ولم تزل هذه الحمام جارية في أوقاف التربة المذكورة إلى أن تسلط الأمير جمال الدين على أموال أهل مصر، فاغتصبها ابن أخته الأمير شهاب الدين أحمد، واغتصب دار ابن فضل الله التي تجاه هذه الحمام، انظر: المرجع السابق: ٢٦٧- ٢٦٨.

الناصر فرج في جمادى الآخرة سنة (٨١٢هـ/ ١٤٠٩م)، فقتل خاله وفر هو وأبوه إلى الشام، ثم قبض عليه بعد ومات شنقًا في سنة (٨١٤هـ/ ١٤١١م)، فوضع الأمير تغري بردي الناصري يده عليها بعد أن أحل وقفها شرعية من قضاة ذلك العصر، فأقام بها حتى نقله الملك الناصر إلى نيابة دمشق في سنة (٨١٣هـ/ ١٤١٠م)، فانتهز الأمير دمرداش المحمدي الظاهري أتابك العساكر المصرية [المتوفى سنة (٨١٨هـ/ ١٤١٥م)] فرصة نقله إلى الشام[١]- فوضع يده عليها وسكنها بابنته- وهي زوجة الأمير أحمد بن أخت جمال الدين المذكور، ورامت زوجته استرجاع هذه الدار إليها بحكم الإرث الشرعي، فرفعت دعوى مطالبة وقدمت لذلك مستندات، رأت المحكمة عند فحصها عدم وجود الدليل الكافي لحق وضع اليد عليها واسترجاعها، فحكمت بها لبني تغري بردي فسكنوها حتى انقرضوا[٢]، فآلت في أوائل القرن العاشر إلى القاضي شرف الدين الصغير.

القاضي شرف الدين الصغير

وهو القاضي شرف الدين موسى بن عبد الله المعروف بالصغير، ناظر الدولة في عصر السلطان الغوري والمتكلم في ديوان الوزارة، وقد جمع بين نظارة الدولة وكتابة المماليك ذكره ابن إياس في تاريخ مصر في مواضع منه، وأفاد أنه تولى عدة وظائف في عصر الغوري أرقاها نظارة الدولة.

ولما سافر الغوري وخلفه في السلطنة طومان باي، بدأ نجم القاضي شرف الدين يأفل فتراجع إلى الوراء، وصار في عهد خاير بك- أول أمير للدولة العثمانية على مصر- كاتبًا للمماليك، ثم أضيفت إليه وظيفة الكشوفية بمديرية الغربية، ثم امتحن من خاير بك فأقاله من وظيفته.

ولما تعين مصطفى باشا بعد خاير بك أعاده إلى هذه الوظيفة وأقره عليها[٣]، وما برح كذلك حتى توفي ودفن بتربته بالشافعي، وهي التربة المعروفة بشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، ولا نعلم تاريخ وفاته لأن ابن إياس معاصره توفي قبله، وقد تتعدى منتصف القرن العاشر.

محيي الدين العمري

وقد ترجم المقريزي لبني فضل الله العمري هذا في الخطط، وفي كتابه المسمى «خلاصة التبر في تراجم كتاب السر»، فأفاد أن هذا الفرع ينتسب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من طريق ولده عبيد الله جدهم الأدنى، وهو الصاحب جمال الدين فضل الله بن الأمير عز الدين الحلي بن دعجان بن خلف بن نصر بن منصور بن عبد الله بن علي بن محمد بن أبي بكر عبد الله بن عبيد الله بن عمر.

وقد تولى غالب أفراد هذه الأسرة كتابة السر بمصر لملوك الدولة القلاوونية، وأول من تولاها منهم بمصر والشام في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون- شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمري ومات بدمشق في سنة

(١) الأمير سيف الدين دمرداش المحمدي الأتابكي الظاهري: نائب حلب ثم نائب دمشق، توفي سنة (٨١٨هـ/ ١٤١٥م)، انظر: المقريزي، **السلوك**، مج. ٤: ٣١٠؛ ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ٧٩؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٥: ٣١٦- ٣٢٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٤: ١٣٨؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٢١٩؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ١٨.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٩١-١٩٢، ٢٤٧، هامش١، ٢٦٨؛ عبد اللطيف إبراهيم، «وقفية ابن تغري بردي»، في **كتاب المؤرخ ابن تغري بردي** (القاهرة، ١٩٧٤): ٢٠٠- ٢٠٥.

(٣) عن سيرة مصطفى باشا الشهير بأيلق، انظر: ابن الوكيل، **تحفة الأحباب**: ١٠٨-١٠٩.

(٧١٧هـ/ ١٣١٧م)[١]، ثم تولى أخوه محيي الدين يحيي في سنة (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م)، ومات سنة (٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م)[٢]، وتولاها في حياته ولده شهاب الدين أحمد ومات بدمشق، واستقل بها أخوه علاء الدين علي، ومات في سنة (٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م)[٣]، فتولاها بدر الدين محمد في عهد الملك الأشرف شعبان بن حسين إلى سنة (٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م)، ثم أقيل ثم تولاها مرة ثانية وثالثة في عهد الملك الظاهر برقوق، ومات سنة (٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م)، ولحق به أخوه حمزة بعد عام من وفاته[٤].

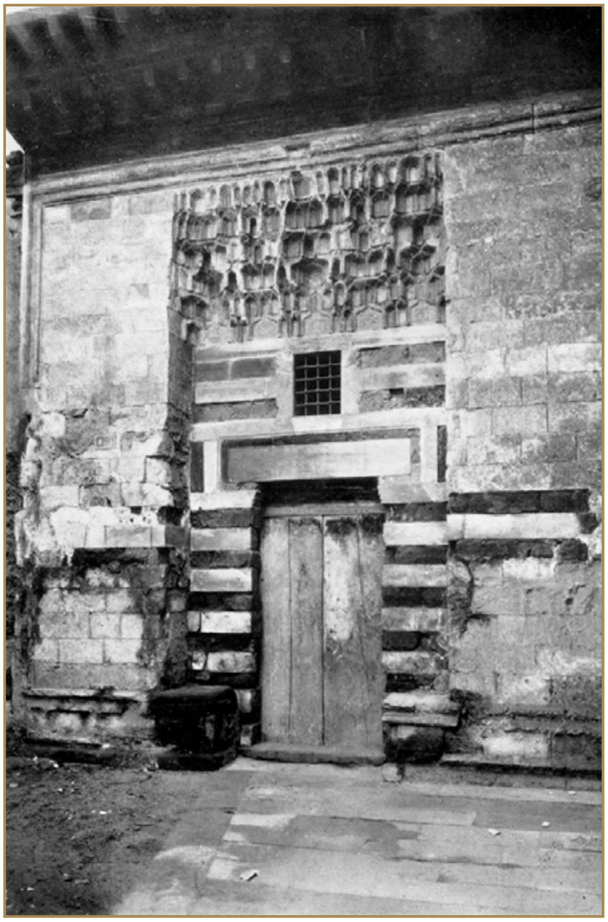
وفي سنة (٨٢١هـ/ ١٤١٨م) مات عبد الله بن علي بن يحي العمري كان من علماء الحديث سمع عليه الحافظ ابن

(١) عن سيرة شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمري، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٨٥-١٨٦؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٢: ١٧٩؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٣: ٤٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٢٤٠؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٧: ٣٨٧- ٣٩٠.

(٢) عن سيرة الأمير محيي الدين يحي بن فضل الله العمري، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٨٦- ١٨٧؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٢: ٤٥٧؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٤: ١٩٩؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٣١٦؛ ابن تغري بردي، **الدليل الشافي**، مج. ٢: ٧٧٩- ٧٨٠.

(٣) عن سيرة علاء الدين علي بن يحي بن فضل الله العمري، انظر: الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، تحقيق محمد محمد أمين، مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور، مج. ٣ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦): ٣١٦؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٣: ٢١٢- ٢١٣؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٣: ١٦٦؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٨٧-١٨٨؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ١٠٢؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٨: ٢٤٠- ٢٤١.

(٤) عن سيرة بدر الدين محمد بن علي بن يحي بن فضل الله العمري، انظر: ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٤:٢١٥؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٨٩-١٩١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٢: ١٤٠؛ ابن تغري بردي، **الدليل الشافي**، مج. ٢: ٦٥٨.



مدخل جامع القاضي شرف الدين «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

حجر وترجمه في معجمه- وهو آخر أعلامهم- وبقيت منهم حسالة حتى انقرضت- وفني هذا البيت[٥].

وليس لبني العمري أثر بالقاهرة غير هذه القاعة ولهم تربة بسفح قاسيون بدمشق دفنوا فيها جميعًا حتى من مات منهم بالقاهرة نقلوه إليها فدفن مع آبائه.

(٥) ابن حجر العسقلاني، **ذيل الدرر الكامنة**: ٢٦٧؛ ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ١٨١- ١٨٢؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٥: ١٣١.

جامع العيني (المدرسة العينية)

جامع أثري (سنة ٨١٣-٨١٤هـ/ ١٤١٠-١٤١١م)



منظر عام لجامع العيني «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

هذا الجامع بحارة كتامة في الجنوب الشرقي لزيادة الأزهر[١]، أنشأه الشيخ بدر الدين محمود العيني العالم المحدث المعروف وناظر الأحباس، وابتدأ بإنشائه في سنة (٨١٣- ٨١٤هـ/ ١٤١٠- ١٤١١م)، وجعله برسم مدرسة للحديث والفقه الحنفي ومسجدًا للصلاة، وبابه العمومي شارع في زقاق العينية[٢]، مكتوب على جانبيه:

البسملة. سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ويحيط بسقف مدخله إفريز يقرأ فيه هذا النص. أمر بتجديد هذا السقف باني هذه المدرسة العبد الفقير إلى الله تعالى أبو محمد محمود بن أحمد العيني الحنفي عامله ربه ووالديه بلطفه الخفي وذلك بتاريخ الثالث والعشرين من

---

(١) حارة كتامة: أحد حواري القاهرة الفاطمية، موقعها الآن بمنطقة الباطنية بالجهة الجنوبية الشرقية للجامع الأزهر، وكتامة هم قبيلة وفدت مع جيش جوهر الصقلي، وقيل إن كتامة هم الكتاميون الذين كانوا أحد أهم فرق الفرسان في جيش المعز، وأصلهم من القيروان وكان عددهم عشرين ألفًا، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٢٨؛ ناصر خسرو علوي، سفر نامه، ترجمة يحيى الخشاب، ط. ٢ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣): ١٠٩.

(٢) تقع المدرسة العينية حاليًا بعطفة الأزهري (الشيخ محمد عبده) عند ناصية زقاق العينية. (المراجع)

شهر ربيع الآخر سنة خمسة وثلاثين وثمانمائة من الهجرة النبوية اللّٰهُمَّ صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سـيدنا محمد وسلم ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل

تجديد المسجد

وأول عمارة أجريت في هــذا الجامع هي العمارة التي أجراها المنشئ في سنة (٨٣٥هـ/ ١٤٣١م)، وقد شملت السقف ثم أجزاء أخرى، وفي سنة (٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م) جدد الشهابي أحمد العيني حفيد المنشــئ هذا الأثر وأوقف على طلبة العلم فيه أوقافًا جمة، وقرر الشيخ أحمد بن محمد الشمني المغربي والشيخ يحيى بن محمد الأقصرائي في مشـيختها، وفي ســنة (٨٩١هـ/ ١٤٨٦م) بنى إلى جانبه في الجنوب الشرقي دارًا للسكنى وجدد شبابيك بيت الصلاة والتربة والإيوان الغربي.

وقد ساهم الملك الأشرف قايتباي في هذه العمارة بما أمره للشــهابي من المال، ورأيت في وقفية الملك المؤيد شيخ المحفوظة بوزارة الأوقاف أنــه وقف ٢٥٠ نصفًا أي أربعين جنيهًا مصريًّا، تصرف في كل عام على مصالح المدرســة التي أنشأها أبو محمود العيني الحنفي ناظر الأحباس المبرورة.

وفي سنة (١٢٢٩هـ/ ١٨١٣م) جدد الشيخ أحمد الطهطاوي بعض ما تخرب من هذا الجامع، وفي ســنة (١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م) حصلت بــه عملية ترميم من طرف دائرة البرنس ســعيد حليم باشا[١]، وفي سنة (١٣٥١هـ/ ١٩٢٢م) جددت لجنة حفظ الآثار العربية ما وهن من جنبات المسجد وبلاطه وواجهته ومدخله[٢].

والمدخــل إلى هذا الجامع من بابه العمومي ومنه إلى ممر صغير فصحن مكشــوف، يقابله في الشرق والغرب إيوانان أحدهما غير منتظم، وفي طــرف الإيوان الغربي باب صغير نصــل منه إلى تربة المنشــئ، وهي تربة كبــيرة ذات قاعدة حجرية، وفي مقابل هذا الباب بــاب آخر نصل منه إلى دار الوضوء، وفي جوار باب التربة باب نصل منه إلى بيت الصلاة، وهو عبارة عن إيوان منفــرد تعلوه نوافذ جصية، وفي صدره محراب جصي صغير مغربي الشكل، تكسوه طبقة من غضائر القاشاني المشجر ذات الطرز المغربي الصميم، وقوام زخرفته مربعات ومثلثات يتخللها رسومات هندسية، ويعلوه طراز كتب فيه بالخط المغــربي التونسي «الدنيا ســاعة فاجعلها طاعة».

ويجاور المحراب منبر من الخشب العادي، يرجع تاريخ صنعه إلى سنة (١١٨٥هـ/ ١٧٧١م)، كما وجد مكتوبًا بأسكفة بابه، وبأعلى الباب العمومي مئذنة بسيطة المنظر، والمحراب المغربي السالف الذكر إلى جانب الواجهة الشمالية والمدخل هو أهم ما يلفت النظر في هذا الأثر.

المنشئ

والعيني منشــئ هذا الجامع هو قــاضي بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن القاضي جمال الدين العيني أصله من حلب وولد في عنتاب في السابع عشر من رمضان سنة اثنين وستين وسبعمائة، وتربى بها وكان أبوه قاضيها وأخذ

(١) يذكر علي مبارك أن المدرسة كانت خربة وبها مساكن علوية وسفلية يسكنها فقراء مجاوري المنوفية لتخربها وعدم نظافتها، وكان متكلم عليها الشيخ ياسين البراوي، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ١٠.

(٢) عن تجديدات لجنة حفظ الآثار العربية، انظر: **كراسات لجنة حفظ الآثار العربية**، كراسة أعمال رقم ٣٠- ٣٢: ١٩١، ٢٠٠- ٢٠١.

عن أفضل علمائها، ثم جعله نائبًا عن أبيه، وفي سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة سافر إلى حلب للأخذ عن أفاضلها، وفي سنة أربع وثمانين مات أبوه، ثم سافر إلى دمشق وزار القدس، واجتمع هناك بعلاء الدين أحمد بن محمد السيرامي العالم الحنفي المشهور، واصطحبه معه إلى القاهرة وأنزله بالبرقوقية، فلازمه وأخذ عنه الهداية والكشاف وغيرهما ثم أخذ عن الشهاب أحمد بن خاص بك التركي.

ثم عاد إلى دمشق سنة أربع وتسعين ثم رجع إلى القاهرة وأقام بالبرقوقية في وظيفة بها، ثم عزل عنها فرجع إلى بلده ثم عاد إلى مصر فاشتغل بالعلم وألف كتابًا وأهداه إلى الأمير قلمطاي العثماني الظاهري الدوادار المتوفى سنة (٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م) صاحب الأثر الكائن بدار الضيافة بباب الوزير؛ سماه الأدعية المأثورة وآخر سماه الكلم الطيب، وبتوسط هذا الأمير تعرّف بالملك الظاهر برقوق وصار محبوبًا عند الأمراء، وكان هذا الوقت مبدأ ظهور نجم الشيخ العيني ففي سنة إحدى وثمانمائة عين «محتسب القاهرة»؛ هذه الوظيفة تعادل اليوم المحافظ أو النائب العام بدلاً من المقريزي.

قال أبو المحاسن[١]: «فحدث من ذلك بينهما عداوة»[٢]، ثم عزل وخلفه جمال الدين الطنبدي المعروف بابن عرب، وفي زمن تقاعده ألف كتابًا برسم الأمير شيخ صفوي الخاصكي، جعله شرحًا على الكتاب المعروف بتحفة الملوك، وفي سنة اثنين وثمانمائة عاد محتسب القاهرة، وبعد شهر استعفى وخلفه المقريزي، وبعد سنة رجع إليها عوضًا عن البخانسي.

(١) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٥: ٢٨٦.

(٢) ولعل ذلك كان سببًا لعدم حديث المقريزي عن هذه المدرسة.

ثم بعد سنة ألبس خلعة وجعل ناظر الأحباس، فمكث أقل من سنة ثم عزل، وخلفه نصر الطناحي وفي سنة تسع عشرة ألبس خلعة أخرى وعين محتسب القاهرة ثم عين ناظر الأحباس ثانية، وفي مبدأ تولية السلطان الملك المؤيد شيخ عزل وحوكم أمام مجلس تأديب لأمور نسبت إليه، وبعد قليل أفرج عنه واختص به السلطان وجعله مدرس الحديث في مدرسته، وصار يستصحبه في الليالي التي يجلس فيها في القصر، وهي الأربعاء من كل أسبوع، فحقد عليه القاضي ناصر الدين بن البارزي كاتب السر فوشى به فعزل بسببه، وفي سنة ثلاث وعشرين سافر إلى بلاد قرمان من آسيا، ثم رجع إلى مصر وتعين محتسبًا للقاهرة مرة أخرى، وأمره الظاهر ططر أن يترجم باللغة التركية متن القدوري في الفقه فترجمه، وفي سنة ست وعشرين عينه السلطان الملك الأشرف برسباي ناظر الأحباس فامتنع، وفي سنة ثمان وعشرين عين محتسب القاهرة، ثم عزله الملك العزيز عثمان بن الأشرف برسباي في سنة اثنين وأربعين وعين مكانه القاضي سعد الدين بن الديري، فأقام ببيته واشتغل بالتأليف والتدريس في المؤيدية وكان شديدًا في أحكامه ويعاقب بالدراهم «الغرامات المالية»، ومن لم يمتثل يضبط بضاعته ويرسلها الحبوس «السجون» لتفرق على المحبوسين، وكان له درس في المحمودية فنزل عنه لبدر الدين بن عبيد الله، قال السخاوي: «لم أعلم أحد أجمع وظائف أكثر منه فكان قاضيًا ومحتسبًا وناظر الأحباس في آن واحد»[٣].

وفاته وعلمه

وكان مع ذلك دائمًا مشغولاً بالتأليف إلى أن جاءه الموت يوم الأربعاء من شهر ذي الحجة سنة خمس وخمسين

(٣) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ١٣١- ١٣٥.

وثمانمائة، ودفن بمدرسته بقرب بيته بحارة كتامة بجوار الجامع الأزهر، قال السخاوي: «وكان العيني عالمًا بعلوم شتى، واقفًا على كثير من الأمور التاريخية، دائمًا مشتغلاً بالمطالعة، ونسخ كثيرًا بيده، وألف كتبًا شتى، وكان خطه جميلاً ومع ذلك يكتب بسرعة، ويقال إنه نسخ متن القدوري في ليلة واحدة ابتدأه من غروب الشمس وأتمه مع شروقها وبلغت شهرته الآفاق».

مؤلفاته وتصانيفه

وله جملة تفاسير منها عمدة القارئ «واحد وعشرون مجلدًا»، ومن مؤلفاته شرح معاني كتاب الآثار للطحاوي في عشر مجلدات، وشرح جزء سنن أبي داود في مجلدين، وشرح السيرة النبوية لابن هشام سماه كشف اللثام، والكلم الطيب، وتحفة الملوك، وشرح الكنز سماه رمز الحقائق في شرح كنز الدقائق، وشرح التحفة وشرح الهداية «أحد عشر مجلدًا»، وشرح البحار الزاخرة في مجلدين، وشرح شواهد الألفية الكبير في مجلدين، والصغير في مجلد واحد وهو المشهور، وكتاب مراح الأرواح وشرح العوامل المائة لعبد القاهر الجرجاني، وشرح قصيدة الصاوي في العروض، وشرح العروض لابن الحاجب، واختصر الفتاوى الظهيرية، وله كتاب المحيط في مجلدين، وشرح التوضيح للجابردي في الصرف، وشرح اللباب النحوية ومقدمة في الصرف وأخرى في العروض، وكتاب في سيرة الأنبياء، وتاريخ عقد الجمان في تسعة عشر مجلدًا واختصره في ثمانية، وتاريخ الأكاسرة بالتركي، وطبقات الشعراء، وطبقات الحنفية، ومعجم شيوخه في مجلد واحد، ورحلة الطحاوي في مجلد، ومختصر تاريخ ابن خلكان ومشارح الصدور في الخطب «ثمان مجلدات»، وكتاب النوادر، وكتاب سيرة المؤيد شعرًا ونثرًا، وسيرة الملك الظاهر ططر والأشرف برسباي والظاهر برقوق ومناقب الشاطبي شيخ المدرسة الفاضلية والتذكرة وقد طبع له الكثير من هذه المؤلفات بالقاهرة والهند، وتحتفظ دار الكتب العربية بمجموعة طيبة من مؤلفاته المخطوطة المتنوعة[1].

العيني الحفيد

وإلى الشيخ بدر الدين العيني منشئ هذا الأثر ينسب الأمير الشهابي المقر أحمد بن عبد الرحيم بدر الدين بن محمود بن أحمد العيني الظاهري، وسبط الملك الظاهر خشقدم وهو منشئ القصر المنسوب إليه ظاهر القاهرة الذي تقوم على أرضه مستشفى قصر العيني ومبنى كلية الطب تجاه منشأة المهراني [انظر هذا القصر وترجمة منشئه في هذا الكتاب][2].

---

(١) من أهم مؤلفاته الباقية التي وصلتنا الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر تتر، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان.

(٢) أحمد بن عبد الرحيم بن محمود بن أحمد بن الشهاب بن الزين بن الشيخ البدر العيني الأصل القاهري الحنفي: ولد في حدود سنة (٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م)، ونشأ في حياة أبيه في كنف الأمير خشقدم كونه ابن ربيبته، فرباه واستمر معه حتى تسلطن، فأنعم عليه بإمرة عشرة، ثم بعدة إقطاعات، وسكن قلعة الجبل كعادة بني الملوك، وصار يخاطب بسيدي، ويكتب له المقام الشهابي سبط المقام شريف، ولازال يرقيه حتى أصبح من مقدمي الألوف، ثم أمير حاج سنة (٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م)، ثم أمير آخور في آخر أيام الظاهر، ثم في أيام الظاهر تمربغا أمير مجلس، ثم ما لبث أن زال هذا كله لما تولى الأشرف قايتباي، وصودر على أموال كثيرة، تفوق الوصف وأهين مرة بعد أخرى، ثم انصلح أمره مع السلطان، وشرع في سنة (٨٩١هـ/ ١٤٨٦م) في عمارة بيت جده بجوار المدرسة لتكون سكنًا لولده محمد، عند اتصاله بابنة الأمير لاشين أمير مجلس، ثم جاور بمكة واستبدل المدرسة المجاهدية، ثم ارتحل للمدينة (٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م)، وبها توفي ودفن بالبقيع في زمن الغوري، انظر: المرجع السابق، مج. ١: ٣٤٥- ٣٤٦؛ =

القسطلاني

وقد دفن في هذه المدرسة الشيخ القسطلاني، وهو شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك بن أحمد القسطلاني الشافعي- ولد بالقاهرة ثاني عشر ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وثمانمائة وأخذ عن الشهاب العبادي والبرهان العجلوني والفخر المقسي والشيخ خالد الأزهري وغيرهم، وقرأ البخاري على الشهاوي في خمسة مجالس وحج مرارًا وجاور بمكة مرتين، وروى عن جمع منهم النجم بن فهد وكان يعظ بجامع الغمري وغيره، وألف عدة كتب منها الشرح الكبير على البخاري، ثم اختصره في آخر سماه الإسعاد في مختصر الإرشاد إلا أنه لم يكمله، وشرح على صحيح مسلم، وشرح على الشاطبية، وشرح على البردة، وصنف مسالك الحنفي في الصلاة على النبي المصطفى، وكتاب المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، وكتاب لطائف الإشارات في القراءات الأربعة عشر وغير ذلك.

توفي ليلة الجمعة بمنزله بحارة العينية من القاهرة سابع المحرم سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة، وصلى عليه بعد صلاة الجمعة بالأزهر، ودفن بمدرسة العيني وتعذر الخروج به إلى الصحراء ذلك اليوم لكثرة الازدحام؛ لأنه اليوم الذي دخل فيه السلطان سليم الفاتح العثماني إلى القاهرة، وللمذكور ترجمة في الضوء اللامع للسخاوي في حياته، وأخرى في طبقات الشعراني الوسطى وهامش وفيات ابن الأرميوني[1].

وقد دفن بهذا المسجد جماعات كثيرة من أقارب المنشئ ما بين نساء ورجال وقد استطعنا أن نعرف منهم من الرجال:

قاسم بن أحمد بن أحمد العيني- ابن أخي البدر محمود- كان عالمًا مترفهًا ممن جمع بين العلوم الشرعية والكونية، مات في حياة أبيه في المحرم سنة (٨١٤هـ/ ١٤١١م)، ذكره في عقد الجمان وقال: «أنه دفن بمدرسته».

ومن النساء: زينب ابنة البدر محمود بن أحمد العيني، ماتت في صفر سنة تسع وأربعين ودفنت بمدرسة أبيها؛ أم الخير زوجة البدر محمود العيني، ماتت في ربيع الأول سنة تسع عشرة، ودفنت بمدرسة زوجها.

وأما من دفن بها من غير الأسرة العينية فجماعة منهم: شمس الدين مصطفى بن محمد بن العجمي مات شهيدًا في جمادى الأولى سنة (٨٢٢هـ/ ١٤١٩م)، ترجمه السخاوي في الضوء اللامع[2].

= ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٤٢٥، ٤٧٣؛ المرجع السابق، مج. ٣: ١٠؛ المرجع السابق، مج. ٤: ٥٧.

(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٢: ١٠٣- ١٠٤.

(٢) المرجع السابق، مج. ١٠: ١٦٠.

جامع قانباي المحمدي

أثر رقم ١٥١ (سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م)

هذا الجامع بشارع الصليبة «سويقة منعم سابقًا»[١]، أنشأه الأمير سيف الدين قانباي المحمدي الظاهري نائب الشام في سنة (٨١٦هـ/ ١٤١٣م)، وجعله برسم مدرسة للشافعية والحنفية وأوقف عليه أوقافًا، وهذا الجامع لم يذكره المقريزي في الخطط بصورة واضحة رغم أنه أدركه[٢]، وذكره الحافظ ابن حجر في أنباء الغمر والسخاوي في الضوء اللامع، ووضعه السخاوي في جوار الخانقاة الشيخونية بسويقة منعم[٣]، وهو جامع مرتفع عن منسوب الأرض يصعد إليه بدرج وداخله يتألف من إيوانين يقابل أحدهما الآخر، وكلاهما يحمل بواجهته مذكرة تاريخية، قرأنا فيها بعد البسملة وآي الذكر الحكيم:

أمر بانشاء هذه المدرسة المباركة المقر الشرف الكبيري الأميري قاني باي المحمدي الظاهري وكان الفراغ بتاريخ شهر ربيع الأول سنة ستة عشر وثمانماية

وفي الإيوان الشرقي باب بحري نصل منه إلى قبة المنشئ، وهي قبة فاخرة من نوع القباب الحجرية المزخرفة من الظاهر بنقوش وأشكال هندسية، وفي جدارها الشرقي كسوة رخامية منقوشة بزخارف قرآنية ويتوسطها قبر ليس له علامة ظاهرة لوفاة المنشئ بعيدًا عن القاهرة، ويجاور القبة مئذنة من المآذن الحجرية الملونة الرشيقة ذات طبقة واحدة وهي مع القبة ومدخل المسجد كل ما تبقى من آثاره الأولى، وكان في الجانب الغربي من المسجد سبيل يعلوه مكتب فتخرب حتى هدم.

(١) سويقة منعم: ذكر علي مبارك أن اسمه في زمنه أصبح درب السماكين، ونقل عن بعض الوثائق أن اسمه كان سويقة عبد المنعم، انظر: علي مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ١١٦.

(٢) ذكر المقريزي أن هذه المدرسة بخط سويقة منعم، أنشئت في البداية على يد الأمير مقبل الرومي أحد أمراء الناصر فرج، وبعد مقتله عام (٨١٥هـ/ ١٤١٢م) استولى عليها الأمير قانباي أمير آخور وأكملها ورتب بها درسًا للشافعية ودرسًا للحنفية، ونصب بها منبرًا للخطبة، وبدأت بها الدروس سنة (٨١٦هـ/ ١٤١٣م)، وهي الآن بأول شارع شيخون على يسار الداخل من جهة ميدان صلاح الدين على رأس درب السماكين، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٦٧٠، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٤: ١٣٥.

(٣) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ٨٢؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ١٩٦.

تجديد المسجد

وقـد تجدد هذا المسـجد في أوقات مختلفـة، أقربها تجديد عبد اللطيف باشـا محافظ القاهرة الأسبق صاحب البيت الذي كان يقابله في سنة (١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م)[١].

ثم جددته نظارة الأوقاف تجديدًا آخر في سنة (١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م)، وأعيد تجديد داخله وخارجه في سـنة (١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م).

المنشئ

ومنشئ هذا المسـجد هو الأمير سيف الدين قانباي المحمدي الظاهري، اشـتراه الملك الظاهر برقوق من تاجر نخاسة يدعى محمد فعرف به، وأفاد ابن تغري بردي أن قان باي لفظ مركب من كلمتين معناهما أمير الدم، وخدم عند الملك المذكور واستقر أخيرًا بالشام، ثم هاجر من دمشق إلى مصر صحبة النائب شيخ المحمودي في سنة (٨١٥هـ/ ١٤١٣م)، فعينه الملك الناصر فـرج بن الملك الظاهر برقوق، دوادارًا كبيرًا، ثم نقل في سنة (٨١٧هـ/ ١٤١٤م) نائبًا بالشام، وحدث وهو بالشام أن شـق عصا الطاعة على السلطان فثار عليه، فقاتله السـلطان في حملة كبيرة جردها عليه، وقد تولى هو قيادتها بنفسه فهزمه شر هزيمة، ثم قبض على أعوانه وزج بهم في السجن، وأخيرًا تمكن من القبض عليه ولم يمهله حتى قتله بقلعة دمشـق في شعبان سـنة (٨١٨هـ/ ١٤١٥م)، ودفن في تربة مجهولة بدون احتفال[٢].



منظر عام لجامع قانباي المحمدي «عن كريسويل»

(١) ذكر علي مبارك باشا أن اسم مجدد هذا الجامع عام (١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م)، كان لطيف باشا وليس عبد اللطيف باشا، وكانت داره أمام هذا المسجد، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ٣١٤؛ المرجع السابق، مج. ٥: ٢٤٨- ٢٤٩.

(٢) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ٨٢؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ١٩٦؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٩: ١٤- ١٨؛ ابن تغري بردي، **الدليل الشافي**، مج. ٢: ٥٢٩؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٤: ١٣٥-١٣٦.

جامع الزاهد

أثر رقم ٨٣ (سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م)

هذا الجامع بشارع الخراطين «المقس سابقًا»[١]، أنشأه الشيخ أحمد الزاهد أحد شيوخ القاهرة المعتقدين في سنة (٨١٨هـ/ ١٤١٥م)، وكمل في السنة التالية، ذكره المقريزي في الخطط، والسخاوي في الضوء اللامع والسخاوي الآخر في تحفة الأحباب، والشعراني في الطبقات، والعيني، وابن حجر وغيرهم.

والمدخل إلى هذا المسجد من بابه العمومي الشارع في الطريق العام[٢]، وهو المئذنة التي تعلوه الجزء الأثري من هذا المسجد، وداخله جدد منذ أوائل هذا القرن، وقد استعمل هذا المسجد منذ القرن العاشر محكمة شرعية عرفت بمحكمة الزاهد افتتحت في الرابع من جماد الأول (٩٧٢هـ/ ١٥٦٤م) إلى الثامن صفر سنة (١٢٢٦هـ/ ١٨١١م)، ثم ألغيت.

(١) المقس هي قرية صغيرة على النيل عندما كان يخترق القاهرة وهو في ميدان رمسيس حاليًّا، وتحديدًا في موقع مسجد أولاد عنان (مسجد الفتح حاليًّا)، حيث اتسع بعد ذلك ليمتد إلى منطقة باب البحر في شارع بين الحارات، انظر: محمد رمزي، «الجغرافيا التاريخية لمدينة القاهرة، شبرا- روض الفرج»، **مجلة العلوم**، عدد ٣، ٥ (مايو- يونية ١٩٤٢): ٣٢٩.

(٢) يقع هذا الجامع حاليًّا في شارع سوق الزلط المتفرع من شارع باب البحر، والمسجد حاليًّا لم يتبق من بنائه الأصلي سوى المدخل والمئذنة التي تبدو مضافة من العصر العثماني.

ترجمة المنشئ

ترجمه الحافظ ابن حجر في إنباء الغمر، والعيني في عقد الجمان، والسخاوي في الضوء اللامع، والمقريزي وغيرهم، ويستفاد من هذه التراجم جميعها أنه كان رجلاً صالحًا من أهل العلم والعمل وأصله من مدينة فاو بالصعيد الأعلى، وانقطع للوعظ والإرشاد بالقاهرة وأحيا فيها طريقة وعظ النساء، وكان خيِّرًا مقبولاً عند أهل عصره من أمراء وعلماء، وابتدأ في بناء جامعه هذا في سنة (٨١٧هـ/ ١٤١٤م)، وكمل في رمضان سنة (٨١٨هـ/ ١٤١٥م)، ويؤكد المقريزي أنه استخدم فيه أنقاض مسجد الجاكي الذي كان بدرب الجاكي المعروف الآن بدرب الجنينة، وذلك بعد تخربه وبيع أنقاضه[٣]، وما برح قائمًا بمسجده هذا حتى توفي في ٢٤ من ربيع الأول سنة (٨١٩هـ/ ١٤١٦م)، قال العيني: «ودفن بجامعه المشار إليه وقبره ظاهر يزار»[٤].

(٣) عند حديث المقريزي عن جامع الجاكي ذكر أن أنقاضه تم بيعها واستخدمت في بناء هذا المسجد، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٢٦٤.

(٤) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ١٠٥.

المدفونون بهذا المسجد من العلماء والصلحاء

وقد دفن بهذا المســـجد جماعة من أصحاب الشـــيخ الزاهد وأولاده نذكر منهم:

أحمد بن أحمد بن محمد بن سليمان ابن المنشئ: ولد سنة (٨١٠هـ/ ١٤٠٧م)، وتوفي سنة (٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م)، قال السخاوي في ترجمته من الضوء اللامع: «وصلى عليه بعد الظهر في جامع أبيه ودفن بجوار ضريحه»، وأفاد أنه خلف والده في الجامع وقام بخدمته ووصفه بالعلم والصلاح[١].

أحمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن الزاهد: حفيد المنشئ ذكره السخاوي في الضوء اللامع، وأفاد أنه كان من العلماء، مات بعد سنة (٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م)[٢].

إبراهيم الرملي: من رملة أتريب أخذ عن الغمري وعن الشيخ مدين مات سنة (٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م)، قال السخاوي في ترجمته من الضوء اللامع: «ثم دفن بتربة الجامع المجاور لخلوته»[٣].

عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد الغمري: الواعظ بالأزهر وأحد خلفاء الشيخ الزاهد ولد سنة (٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)، ومات سنة (٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م) [ترجمه السخاوي][٤].

عبد الله النوبي الليموني: مات سنة (٨٤٧هـ/ ١٤٤٣م).

أم الحسن: ابنة خليل بن أحمد بن جمعة الحسيني ولدت سنة (٨١٠هـ/ ١٤٠٧م)، وماتت في ربيع الآخر سنة (٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م)، قال السخاوي: «وصلى عليها بجامع الزاهد ودفنت بالحوش المجاور لضريح صاحب الجامع»[٥].


مئذنة جامع الزاهد «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

خديجة: بنت أحمد بن علي بن خلف بن عبد العزيز، كان متزوجًا بها الشيخ أحمد بن أحمد الزاهد، ترجمها السخاوي ووصفها بالعلم، وأنها قرأت الحديث على أبي العباس الجوهري، وأجازها محمد بن خليل المنصفي توفيت سنة (٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م)، وصلى عليها بجامع الزاهد ودفنت بمقبرته[٦].

(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١: ٢٢٠.
(٢) المرجع السابق: ٢٠٩.
(٣) المرجع السابق: ١٨٧.
(٤) المرجع السابق، مج. ٥: ٢٣.
(٥) المرجع السابق، مج. ١٢: ١٣٦.
(٦) المرجع السابق: ٢٤- ٢٥.

جامع المؤيد شيخ

أثر رقم ١٩٠ (سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م)

هذا الجامع العظيم الذي يواجه الداخل من باب زويلة والذي يشرف بشامخ بنيانه على هذه المنطقة فيكسبها جمالاً وروعة، أنشأه السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي ملك مصر[١]، وهو جامع فخم ليس في منطقة القاهرة ما يعادله من هذا الطراز، وتقدر المساحة التي يقوم عليها بسبعة آلاف ومائتين من الأمتار المربعة[٢].

وفيه يقول المقريزي: «هو الجامع- الجامع لمحاسن البنيان، الشاهد بفخامة أركانه وضخامة بنيانه، يحتقر الناظر له عند مشاهدته عرش بلقيس وإيوان كسرى أنو شروان، ويستصغر من تأمل بديع أسطوانة الخورنق وقصر غمدان، ويعجب من عرف أوليته من تبديل الإبدال، وتنقل الأمور من حال إلى حال، بينما هو سجن تزهق فيه النفوس ويضام المجهود، إذ صار مدارس آيات وموضع عبادات ومحل سجود فالله يعمره ببناء منشيه ويعلي كلمة الإيمان بدوام ملك بانيه»[٣].

تاريخ إنشاء المسجد

يبتدئ تاريخ إنشاء هذا المسجد الجامع في سنة (٨١٨هـ/ ١٤١٥م)، بعد نزع لملكية المباني التي كانت في محله ومنها سجن كان يعرف بسجن شمائل، وفيه سجن منشئ هذا الأثر حينما كان أتابكًا «رئيسًا» للعساكر[٤]، ومنها سبيل مستقل للأمير علم الدين بن زنبور ناظر الخاص في

(١) حجة وقف المنشئ في ٤ ذي الحجة سنة (٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م)، بالأوقاف (٩٣٨). (المؤلف)

(٢) المرجع السابق، مج. ٣: ٣١٠؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٢٠، ٢٧، ٣٤؛ محمد بن عبد المعطي بن أبي الفتح بن أحمد أبي عبد المغني بن علي الإسحاقي، **أخبار الأول فيما تصرف في مصر من أرباب الدول**: ١٢١، علي مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ٢٨٣- ٢٩٢؛ حسن عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية التي صلى فيها فريضة الجمعة حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول**، مج. ١ (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٤٦): ٢٠٧- ٢١٤؛ فهمي عبد العليم، **جامع المؤيد شيخ** (القاهرة: هيئة الآثار المصرية،] ١٩٩٤[).

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٣٣٨.

(٤) خزانة شمائل هي أحد أقبح السجون في القاهرة التي كانت في الموضع الذي بنى فيه المؤيد مسجده، عرفت بالأمير علم الدين شمائل؛ والي القاهرة في عهد الملك الكامل ابن الملك العادل الأيوبي، وكان المؤيد قد سجن فيه ونذر أنه إن أخرجه الله وولاه الحكم سوف يهدم هذا السجن ويبني موضعه مسجدًا، وكان هذا السجن لمن وجب عليه القتل أو قطع اليد من السرقة وقطاع الطريق، ومن يريد السلطان فتكه من المماليك وأصحاب الجرائم الكبيرة؛ حيث أخرج منه عند الهدم العديد من رؤوس القتلى وجثثهم المتحللة، وكان هذا من أبشع ما يكون، انظر: المرجع السابق، مج. ٣: ٦٠٠؛ المرجع السابق، مج. ٤: ٣٤٢؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ١٢٤.

عهد الملك الناصر محمد بن قـــلاوون[١]، ثم مجموعة مباني كانت داخلة في درب الصفيرة[٢].

ودخل تحت إيوانـــه القبلي المخصـــص لدرس الفقه الحنفي الزاوية النعمانية المعروفة بمســـجد النور، أنشـــأها الشيخ محمد بن موسى النعماني الزروالي الفاسي أحد علماء المالكية في سنة (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) في عهد الملك المعز أيبك، وبنيـــت ميضأته على قطعة أرض مشـــغولة كانت في ملك الوزير فخـــر الدين عبد الغني، وهي جميع الأرض التي تقوم عليها مجموعـــة المباني المحصورة بين البـــاب الغربي لجهة الشمال وبين الحمام المؤيدية خلف الميضأة الحالية[٣].

وقد راعى مهندس هذا المسجد أن يجعل منه مسجدًا جامعًا يتألف من أربـــع بلاطات أكبرها الشرقي وفيه المنبر والمحـــراب، وبنى بطرفيه القبلي والبحـــري قبتين تهدمت إحداهما وبقيت الأخرى، وقد دفن السلطان وبعض أولاده في إحداهما، ودفن بعض نسائه في الأخرى[٤].



منظر عام لمآذن المؤيد شيخ «عن فييت»

وجعل في الصحن ميضأة ممتازة بشـــكل نافورة، وأقام في آخر البلاط الغـــربي بابًا يجاوره باب آخـــر، ومنهما إلى ميضأة بحوض يتبعها مرافق المســـجد، وفي نهاية ذلك حمام، وقد بالغ في زخرفته مبالغة ظهر أثرها في ســـماوات سقف بيت الصلاة، وأزر المحراب وبيت الصلاة بوزرة من الرخام الدقيق الملـــون، وأقام في البلاط الشرقي ثلاثة أروقة تحملها ثمان وعشرون ســـارية، من الرخام الأبيض بعضها مختلف، ومنها اثنتان تحمل اسم الســـلطان في شبه مذكرة تاريخية، وبمنتصـــف الرواق الثاني ســـدة من الرخـــام مرفوعة على

(١) عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الوزير الصاحب علم الدين تاج الدين الشهير بابن زنبور القبطي المصري: تولى نظر الخاص ونظر الجيش والوزارة ، وأول من تجتمع له هذه الوظائف في آن واحد، وكان له مقام كبير في دولة بني قلاوون إلى أن حدثت بينه وبين الأمير صرغتمش فتنة؛ حيث قبض عليه وعوقب بشدة عام (٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م)، ونفاه إلى قوص، وتوفي عام (٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م)، وسبيله هذا ذكره المقريزي عند ترجمته لابن زنبور ولم يذكره عند حديثه عن جامع المؤيد، انظر: ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٧: ٦٨- ٧١؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٩٣- ٢٠٠.

(٢) المرجع السابق، مج. ٣: ٢٨٨؛ المرجع السابق، مج. ٤: ٣٣٤، ٣٤٠.

(٣) هدم الأمير فخر الدين عبد الغني بن أبي فرج الأستادار بعضًا من أملاكه لعمل الميضأة بنفسه، انظر: المرجع السابق، مج. ٤: ٣٤٣؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ١٢٤.

(٤) منهم بنت السلطان المؤيد التي توفيت في (٨١٨هـ/ ١٤١٥م)؛ حيث ذكر المقريزي أنها ثاني ميت يدفن في القبة، بعد وفاة= المقام الصارمي إبراهيم بن المؤيد شيخ المدفون بالمسجد أيضًا، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٣٤٢، ٣٤٧ .



أســاطين رخامية يحيط بها طراز باسم السلطان، واستخدم في المحراب ســاريتين من حجر السماق الأحمر كانتا بجامع قوصون، كما اســتخدم تنور جامع الســلطان حسن ونقل مصراعي بابه الكبير إلى الباب العمومي، وقد اشترى التنور والباب بثمن يقرب من ثلاثمائة جنيه مصري[١].

وجعل ما بــين الباب الثاني والباب العمومي ســقاية ماء، وجعل من بدني باب زويلة الفاطمي قاعدة أقام عليها مئذنتي المسجد، فوفق غاية التوفيق إذ جعل من باب زويلة منظرًا يقف بالناظر موقف الانتباه والغبطة- وقد سقطت إحداهما وأعيدت في سنة (٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م)[٢].

واضطر لأن يدخــل فيه بعض مفــردات غريبة مما عثر عليه في جامــع الأقدام وغيره، وتبدو هذه المفردات في أساطين بيت الصلاة[٣].

وقوم زخــارف البــاب العمومي وجوانــب المدخل بمجموعة من الدلايات يبدو فيهــا مهارة المهندس في هذا النوع مــن المقرنص، ولما كمل الجامع على هذه الصورة وقد بلغت نفقاته جميعه حوالي الأربعين ألف جنيه مصري عدا ما لم يتم بناؤه منه، أمر الســلطان أن يجعل منه مســجدًا جامعًا ثم مدرسة جامعة تدرس فيها شتى العلوم والفنون، ويخصص كل بلاط لتدريس مذهب من المذاهب الأربعة،

---

(١) المرجع السابق، مج. ٤: ٣٤٢؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٢٠.

(٢) عاين هذه المئذنة جماعة من المهندسين وكتبوا محضًرا بأنها مستحقة الهدم، وعرض على السلطان الذي أمر بهدمها وسقط حجر منها على رجل فقتله، فأغلق باب زويلة لمدة ٣٠ يومًا، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٣٤٣- ٣٤٤.

(٣) زين البعض هدم مسجد الأقدام للملك المؤيد شيخ بحجة أنه كان وسط الخراب ومهدمًا، وأخذ منه بعض الأعمدة واستخدموها في بناء المسجد، انظر: السخاوي، **تحفة الأحباب**: ١٥٢.



منظر عام لمسجد المؤيد شيخ «عن فييت»

ويؤسس بها مكتبة حاوية لأكثر ما يحتاج إليه الطالب والمدرس، فنفذ هذا الأمر وأسست المكتبة وعين لها خطيب المسجد خازنًا، ثم عين لكل مذهب شيخًا، ولكل فن مدرسًا أخصائيًّا، ولما كان ذلك العصر من أزهى العصور التي ازدهرت فيها العلوم ازدهارًا بليغًا وتنافس الناس في تحصيل العلم، ونبغ في القاهرة علماء ألقت مباحثهم العلمية ضوءًا كثيرًا على من أتى بعدهم من العلماء والباحثين حتى يومنا هذا، أمثال الحافظ ابن حجر العسقلاني أمير المؤمنين في الحديث صاحب التصانيف المختلفة في كل علم من حديث إلى تاريخ إلى أدب إلى غيره، والحافظ بدر الدين العيني ذلك العالم الذي أفاد العالم بعلومه شرقًا وغربًا، حتى تنافس الناس في الحصول على مؤلفاته تنافسهم على المال، لما كان الأمر كذلك رغب المؤيد شيخ في أن يظهر مسجده بمظهر يتعالى به على جميع مساجد القاهرة؛ فاختار لشياخته أبرز علماء العصر وأفقههم وأعلمهم وأشهرهم أمثال من ذكرنا وأضرابهم.

تطورات التجديد

وقد أصاب هذا المسجد ما أصاب غيره من مساجد القاهرة، وأشد ما أصيب به كان في سنة (١٠٧٦هـ/ ١٦٦٥م) من شظايا القنابل والمدافع التي صوبت نحوه في الموقعة التي حصلت بين طائفة من الثائرين المتحصنين به وبين العسكر[1]، ومن حينئذ تداعى الخراب إلى مجنباته الثلاث، ثم إلى أعالي مئذنتيه ودوراتهما، وإلى رحبتيه وبعض مفرداته بحيث لم يبق منه غير بيت الصلاة القائم للآن بمرافقه كاملة.

وبالرغم من ذلك فقد وجهت العناية إلى هذا المسجد من زمن بعيد، ولعل أولى عماراته الجديدة هي تلك التي أمر بها الملك الأشرف قايتباي في سنة (٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م)، فقد عهد إلى الأمير يشبك بتجديد واجهة المسجد الشرقية؛ وإزالة ما تحت شبابيكها من الأخصاص والحوانيت المتنقلة، وحين تمت هذه العمارة ظهرت واجهة المسجد بمظهرها الطبيعي، وقد ظلت كذلك حتى عصر هذا الملك وعصر خلفه.

ثم أغار عليها المتعيشون مرة أخرى في أوائل العصر التركي فشوهوها بإعادة وضع هذه الأخصاص والحوانيت مرة ثانية فبقيت كذلك حتى سنة (١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م)، فلما شرعت نظارة الأوقاف في تجديد المسجد قامت مصلحة التنظيم بدورها بإزالة هذه الحوانيت، فظهر من ورائها الدكاكين المنخفضة الحاملة لأرضية بيت الصلاة، وهي مما أوقف على مصالح المسجد من عهد منشئه.

وقد استأجرتها من النظارة طائفة من المتعيشين زمنًا طويلاً، حتى اتجهت نية مصلحة وقاية المدنيين من الغارات

---

(١) هي الواقعة المسماة بواقعة الزرب، والتي حدثت في عهد الوالي العثماني عمر باشا، الذي تولى مصر في الفترة بين عامي (١٠٧٤-١٠٧٧هـ/ ١٦٦٤- ١٦٦٧م)، وكانت أن هناك جماعة من الجنود يتزعمهم محمد بك حاكم جرجا، ومعه ٥ آخرين يمثلون قادة الجند وهم: قرا فضلي، وفضلي اليماني، ويوسف بن الحريري، وأصلان درويش،حيث تعود أصولهم إلى يوغسلافيا، حيث= قاموا بأعمال سلب ونهب واسعة مما دفع الوالي لاستصدار فتوى بقتل محمد بك الذي كان قتله سببًا في ثورة أعوانه، ثم اتجهوا إلى الجامع المؤيدي وتحصنوا به، فأمر الوالي عمر باشا بقتالهم وإن أدى ذلك لهدم المسجد، فضربوهم بالمدافع والبنادق فاستسلموا وخرجوا من المسجد، فأخذت العامة تتخطفهم وتقتلهم وقبض عليهم وتم قتل من تبقى منهم على باب زويلة، انظر: ابن الوكيل، **تحفة الأحباب**: ١٤٣- ١٤٤.

الجوية في حرب سنة (١٩٤١م) إلى جعلها مخابئ لأهل هذه المنطقة يحتمون فيها عند أي حادث.

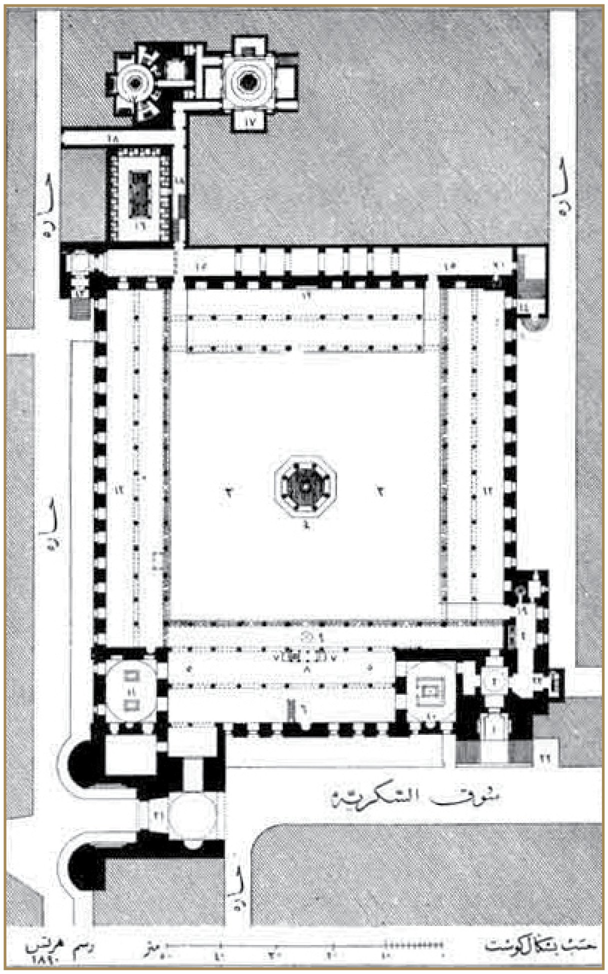
وفي صفر سنة (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) أنزل السلطان سليم العثماني الشيخ إبراهيم بن محمد بن حاجي بن أحمد القاشاني المعروف بالكلشني بهذا الجامع، وأمره بأن يتخذ منه مجلسًا له ولصحابه، ورتب لهم جامكية وجراية من بيت المال وجدد لهم بعض ما كان متخربًا من بيت الصلاة، فظل مقيمًا به حتى بنى له السلطان سليمان بن سليم في سنة (٩٢٩هـ/ ١٥٢٣م) زاوية تجاه الجانب القبلي من هذا الجامع بحكر أقبغا من شارع تحت الربع[١]، ثم تلا ذلك عمارة أخرى من الأمير أحمد باشا كتخدا الوزير إبراهيم باشا حاكم مصر العثماني في سنة (١١٠٢هـ/ ١٦٩٠م)، لكنها لم تتناول إلا الجزء القائم منه[٢].

وفي سنة (١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م) أوقف الأمير يوسف أغا قزلار دار السعادة المعروف بالحبشي وقفًا خص ما يصرف من ريعه على مدرس الفقه الحنفي بالإيوان القبلي لمبلغ خمسة أنصاف فضة في كل يوم أي ما يعادل ثمانية قروش صاغ مصرية[٣].

(١) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ١٥٧؛ محمد أبو العمايم، **آثار القاهرة الإسلامية**، مج. ١: ٥؛ Doris Behrens-Abouseif, "The Takiyyat Ibrahim Al-Kulshani in Cairo", *Muqarnas* 5 (1988): 43-59.

(٢) يبدو أن هذا الجزء هو الذي رمم فقط في تجديد الوالي أحمد باشا للمسجد؛ والي مصر في الفترة ما بين عامي (١١٠١- ١١٠٢هـ/ ١٦٨٩- ١٦٩١م) حيث أمر بترميمه، فتمت معاينته من قبل قاضي العسكر ورممت أجزاء منه، ويبدو أن هذه التجديدات قد استمرت حتى رآها باسكال كوست الرحالة الذي زار مصر عام (١٨٣٩م)، واستمرت، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٣٣٧، هامش ٤؛ ابن الوكيل، **تحفة الأحباب**: ١٥٧-١٥٨.

(٣) يوسف أغا الحبشي: هو صاحب السبيل والضريح بالدرب الأحمر.



مسقط أفقي لمسجد المؤيد شيخ «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

وفي سنة (١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م) جدد الخديو محمد علي باشا عزيز مصر - بالتماس من ناظر وقفه الشيخ إبراهيم ابن علي كلشني شيخ الخانقاه الكلشنية[٤] - أجزاء من نهاية البلاط الشرقي لجهة الجنوب، وأثبت ذلك في مذكرة تأتي في النصوص التاريخية[٥].

(٤) هو صاحب التجديدات الشاملة لتكية وقبة الكلشني، ولكننا لم نقف على ما يثبت أنه كان ناظر الوقف الخاص بمحمد علي.

(٥) يوجد نصان بإيوان القبلة في دائرتين بأحدهما تاريخ ١٢٥٤هـ. (المراجع)

وفي سـنة (١٣١٥هـ/ ١٨٧٩م) شرع ديـوان الأوقاف في تعمـيره وتجديده، وإعادة ما فقد من مئذنتيه، وكشـف واجهته الشرقية وتجديد نقوشه وزخرفته وتبليطه وغرست في صحنه مزدرعات وجددت ميضأته.

وفي سـنة (١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م) جددت الحمام المؤيدية الواقعة في الشمال الغربي لهذا المسجد بين الساقية والميضأة القديمة وبين مسجد عبد اللطيف الطواشي المتهدم.

وفي سنة (١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م) ظهر بالقبة تصدع فشدت إلى أصلها، ورم ما كان متصدعًا منها وبيضت، والجامع بعد هذه التجديدات جميعها والتطورات التي طرأت عليه يأتي قـاصرًا على بلاط بيت الصلاة وهو أهم ما يلفت النظر فيه مع باقي مفرداته الأخرى، ومنها القبة والمئذنتان وواجهاته وأبوابه إلى غير ذلك.

المذكرات التاريخية

باب جامع السلطان حسن

أمر بإنشـاء هذا الباب المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى مولانا السلطان الشهيد أبو المعالي حسن بن مولانا السـلطان الشـهيد الملك الناصر محمد بن قلاون وذلك في سنة أربع وستين وسبعمائة

السبيل

أمر بإنشـاء هذا السـبيل المبارك سـيدنا ومولانا السـلطان المالك الملك المؤيد أبو النصر شيخ أدام الله أيامـه في تاريخ شـهور سـنة ثلاثة وعشرين وثمان مائة

المئذنة الغربية

أمر بإنشاء هذين المنارين المباركين سيدنا ومولانا السـلطان المالك الملك المؤيد أبو النصر شـيخ عز نصره وذلك في نظر العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن القزاز والفراغ في شهر شعبان المعظم قدره سنة ثلاث وعشرين وثمان مائة

المئذنة الشرقية

عمل هذه المأذنة المباركة العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن القزاز وكان الفراغ أول رجب سـنة اثنين وعشرين وثمان مائة

السدة وبابا القبة والمسجد

البسملة اللَّهُمَّ أدم النعمة والبقاء (والعافية) والنصر على سـيدنا ومولانا السـلطان المالك الملك المؤيد أبو النصر شـيخ سلطان الإسـلام والمسلمين قامع الكفرة والمشركين نـاصر الحق بالبراهين منصف المظلومين مـن الظالمين، ذخر الأنـام والمنقطعين كنز الفقراء والمحتاجـين صاحب العلمين، خادم الحرمـين الشريفين سـيد ملوك العـرب والعجم السـلطان المالك الملك المؤيد أبو النصر شيخ أعز الله نصره

الأسطوانة السابعة من الرواق الأول والرابعة من الثاني

أنشـأ هذا الجامع المبارك مولانا السـلطان الملك المؤيد (أبو النصر شيخ)

المنبر

أمر بإنشاء هذا المنبر المبارك سيدنا ومولانا السلطان المالك الملك المؤيد أبو النصر شيخ أدام الله أيامه

طراز في جدار بيت الصلاة يبتدئ بالبسملة وآيات كريمة من سورة التوبة ثم ينتهي بما نصه:

صدق الله العظيم، وصدق رسوله الكريم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك المعمور بذكر الله تعالى سيدنا ومولانا ومالك رقابنا السلطان الأعظم المالك الملك المؤيد أبو النصر شيخ سلطان الإسلام والمسلمين سيد الملوك والسلاطين قاتل الكفرة والمشركين ناصر الحق بالبراهين منصف المظلومين من الظالمين، كهف الفقراء والمساكين ذخرالأنام والمنقطعين حامي حوزة الدين قسيم أمير المؤمنين خادم الحرمين الشريفين ملك العرب والعجم والترك والديلم

المزولة بالخط الكوفي

عمل هذه المزولة محمد الوقاد الموقت بالجامع المؤيدي سنة (٨٤٥هـ)[1]، هذه المزولة أو الساعة الشمسية مودعة حفرًا بنهاية جدار بيت الصلاة خارج الوجهة الشرقية، بين باب المئذنة والمنبر بالجدار الشرقي من بيت الصلاة.

عمر هذا المقام المبارك إبراهيم خادم فقراء كلشني سنة ١٢٥٤ عمر هذا المقام المبارك السيد إبراهيم بن السيد علي خادم فقراء كلشني سنة ١٢٥٥.

(١) الموقت: هو ميقاتي الصلاة الذي يحدد وقت دخولها ومن ثم رفع الآذان.

روسم بجدار البلاط القبلي:

أحيي الجناب الداور ي مساجدا وهذا أعاد الرسم بالتجديد فبفضله أرخته وبعدله توفيق شاد الجامع المحمودي سنة ١٣٠٢

نهاية الجدار القبلي من البلاط الشرقي:

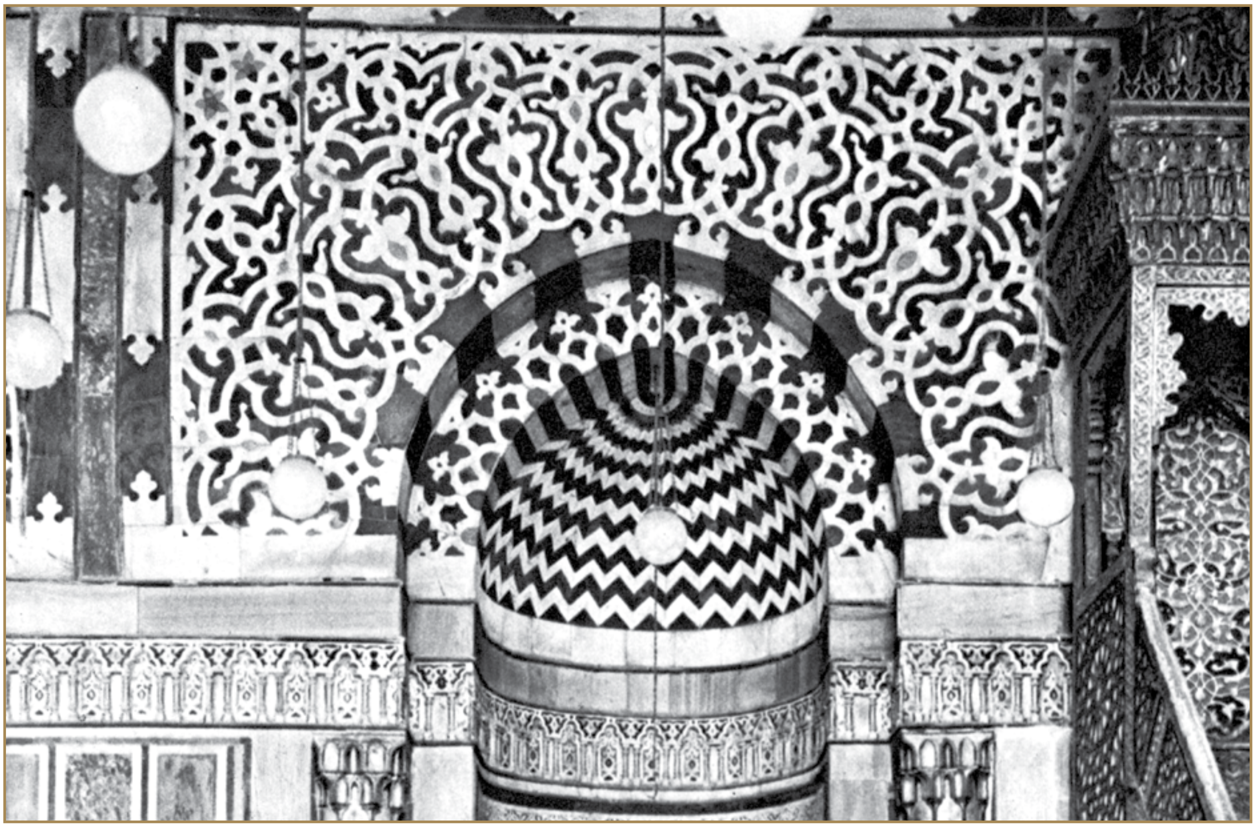
شرع في تجديد هذا الإيوان المبارك في عصر ساكن الجنان الخديو الأعظم محمد توفيق باشا لسنة خمس وثلاثمائة وألف وانتهى في عصر ولي النعم الخديو الأعظم عباس حلمي الثاني بمباشرة لجنة الآثار العربية سنة خمسة وعشر وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النبوية

السبيل

رمت هذا السبيل لجنة حفظ الآثار العربية في عصر خديو مصر محمد توفيق باشا عام ثمانية وثلاثمائة وألف هجرية

ترجمة المنشئ

كان السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودي في بادئ أمره من مماليك الظاهر برقوق، آل إليه بطريق الجلب الشرعي من سيده الخواجة محمود الذي نسب إليه، ثم أعتقه وعينه خاصكيًا للقصر، ثم نقله إلى ساقٍ ثم إلى أمير عشرة ثم أمير أربعين، وفي سنة (٨٠١هـ/ ١٣٩٨م) عينه أميرًا للحج، وفي عهد الناصر فرج بن الظاهر أنعم عليه بمقدم ألف، وعين نائبًا للسلطنة في طرابلس والشام، ثم حصلت له محن، وما برح أن قدم القاهرة فتعين أتابكًا للعساكر ومدبرًا للمملكة.



محراب المؤيد شيخ «عن مساجد مصر»

ومن هذا الحين بدأ يعلو نجمه، وقد استطاع أن يلعب دورًا مهمًّا بلغ به ما يرجوه ففي شعبان سنة (٨١٥هـ/ ١٤١٢م) بويع له بالملك بعد خلع الخليفة العباسي المستكفي[١]، وتلقب بأبي النصر المؤيد فبقي على عرش مصر إلى سنة (٨٢٤هـ/ ١٤٢١م) فكانت مدته ثمان سنين وخمسة أشهر وثمانية أيام، بلغ من العمر ٦٥ سنة ومات عن ولده أحمد الذي تولى الملك بعده، وأمه خوند سعادات بنت الأمير صرغتمش الناصري[٢]، وابنتين تزوجت إحداهما بالأمير قرقماس الشعباني أتابك العساكر المصرية[٣]، وتزوجت الأخرى بالأمير يشبك الفقيه الدوادار وخلفت منه ولده يحيى[٤]، وكانت له بنت أخرى ماتت صغيرة، وولد يسمى إبراهيم مات سنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)[٥].

ولما تولى ولده أحمد ملك مصر تلقب بالملك المظفر أبي السعادات وكان عمره سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام فكان الوصي عليه المقر السيفي الأمير ططر أمير مجلس الذي تولى الملك بعده وتسمى بالملك الظاهر سيف الدين أبي سعيد ططر الظاهري، ولما خلع المظفر بقي حتى بلغ من

(١) لم يكن المستكفي هو من تولى الحكم بل كان (المستعين بالله)، والذي تولاه بعد مقتل الناصر فرج بن برقوق، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٣: ١٣٨- ١٥٧.
(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٢: ٦٢.
(٣) المرجع السابق، مج. ٦: ٢١٩-٢٢٠.
(٤) المرجع السابق ، مج. ١٠: ٢٧٠-٢٧٢؛ المرجع السابق، مج. ١٢: ٢.
(٥) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ٤٤١.

العمر إحدى عشرة سنة قضاها سجينًا بالإسكندرية إلى أن توفي سنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)، فنقل إلى القاهرة ودفن بالقبة إلى جانب أبيه[١].

وقد امتدت ذرية المؤيد إلى سنة (١٢٦٨هـ/ ١٨٥٢م)، ثم انقرضت بوفاة كل من سنية وستيتة بنتا الشيخ محمد الدمراوي الصغير ابن مصطفى بن محمد الدمراوي الكبير من أولاد الظهور، وكانتا تستحقان ثلث ربع الوقف الصادر من المؤيد بتاريخ ٤ من ذي الحجة سنة (٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م)، المسجل بالأوقاف رقم (٩٣٨)، وتزوجت ستيتة الدمراوي صالح جركس وأنجبت منه مصطفى الدمراوي ولهذا عثمان وهو آخر أولاد البطون.

هذه خلاصة وجيزة عن مبدأ السلطان الملك المؤيد شيخ منشئ هذا المسجد، أما الكلام على النواحي الاجتماعية والسياسية والأدبية التي امتاز بها عصره فيستطيع الباحث أن يجد في الضوء اللامع للسخاوي نواحٍ كثيرة فيها تصور مدينة القاهرة في عهده بكافة أشكالها وألوانها ونواحيها تصورًا دقيقًا[٢].

(١) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٦٨-٧٠، ١٢٦.

(٢) الملك المؤيد سيف الدين أبو النصر الجركسي شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري: جاء إلى القاهرة سنة (٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م)، دخل في خدمة الظاهر برقوق قبل توليه السلطنة وقربه منه، وبعد أن تسلطن ولاه إمرة عشرة، ثم إمرة أربعين، وفي سلطنة الناصر فرج بن برقوق صار أمير مائة ومقدم ألف، وبعد الفتن التي انتهت بمقتل الناصر فرج وتولي الخليفة المستعين ثم خلعه، تولى المؤيد شيخ السلطنة عام (٨١٥هـ/ ١٤١٢م)، إلى أن توفي عام (٨٢٤هـ/ ١٤٢١م)، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٣٠٨- ٣١١؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٦: ٢٦٣- ٣١٢؛ العيني، **السيف المهند**: ٢٧٢؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٦.

القبة المؤيدية

اتخذ المؤيد في مسجده هذا قبتين، خصص إحداهما للرجال وهي القبة البحرية، وقد تكامل بناؤه هي وسلالم الباب العمومي إثر موت السلطان مباشرة في أول سنة (٨٢٤هـ/ ١٤٢١م) وكملت في آخرها وبقيت أجزاء، يقول المقريزي: «من حقوق هذا الجامع بقايا كثيرة لم تعمل منها القبة الغربية (القبلية) قبة النساء، ومساكن الصوفية وقد أفرد لعمارتها نحو من عشرين ألف دينار»[٣]، وبالرغم من ذلك فلم يعمل منها شيء حتى الآن، وافتتح المسجد بالإيوان القبلي (الشرقي) في أوائل سنة (٨٢٠هـ/ ١٤١٧م)، وباقيه بني تدريجيًّا حتى أواخر سنة (٨٢٤هـ/ ١٤٢١م)[٤].

وقد دفن بالقبة جماعة من نساء وبنات وأولاد السلطان بحيث لم يتخلف عنهم غير ابنه عمر الذي مات في سنة (٨١٦هـ/ ١٤١٣م) عن عشر سنوات ودفن بالبرقوقية بالصحراء[٥]، فدفنت له فيها بنت في سنة (٨١٩هـ/ ١٤١٦م)، وفي سنة (٨٢١هـ/ ١٤١٨م) مات ابنه موسى فدفنه في القبة البحرية[٦].

وفي سنة (٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م) دفن فيها ولي عهده الأمير صارم الدين إبراهيم، وقد مات مسمومًا ولما يكمل من العمر ٢٥ عامًا[٧]، واشترك أبوه في قتله بإغراء كاتب السر القاضي ناصر الدين محمد بن محمد بن عثمان بن البارزي

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٣٤٧.

(٤) المقصورة التي تحيط بالضريح من عمل الأمير يشبك الدوادار في سنة (٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م)، وهذا ما يثبته النص التاريخي المدون عليها. (المؤلف)

(٥) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ٩٠.

(٦) المرجع السابق، مج. ١٠: ١٨٢- ١٨٣.

(٧) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٣٤٧.

[انظر السخاوي][(١)]، وقد بلغ به الحزن عليه أن حرم دخول مسجده هذا حتى مات وابيضت عيناه أسفًا عليه وعجز عن الحركة، ولم يتنعم بالحياة بعده إلا قليلاً فقد لحق به بعد ستة أشهر وأيامٍ[(٢)].

وفي سنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م) مات أخوه إبراهيم أيضًا بالإسكندرية، فنقل جثمانه إلى هذه القبة ودفن إلى جوار أبيه وأخيه[(٣)]، وبعد مضي أربعة عشر يومًا من مماته لحق به أخوه الملك المظفر أحمد بن المؤيد شيخ، وبموته انقرضت دولة المؤيد وقامت دولة الظاهر ططر حتى دالت بالدولة الأشرفية[(٤)].

وفي سنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م) ماتت خوند سعادات بنت صرغتمش زوجة الملك المؤيد فدفنت بالقبة القبلية[(٥)]، وفي سنة (٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م) ماتت ابنة للمؤيد كانت متزوجة من الأمير قرقماس، ودفنت في جانب أمها.

وفي سنة (٨٧٦هـ/ ١٤٧١م) مات الأمير يحي بن الأمير يشبك الفقيه المؤيدي سبط الملك المؤيد شيخ، ترجمه السخاوي في الضوء اللامع قال: «ودفن بالمؤيدية مدرسة جده»[(٦)].

(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١: ٥٣- ٥٥؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٥٠- ٥١، ٥٣.

(٢) لم يتفق المؤرخون حول سبب وفاة إبراهيم بن المؤيد شيخ، فعلى الرغم من أن السخاوي يؤكد أنه سقي السم، إلا أن ابن تغري بردي أرجع الوفاة لوعكة صحية ألمت به، لذلك لا يمكننا الجزم بأنه تم اغتياله، انظر: ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ١: ٧٨- ٨٢.

(٣) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ٤٤١؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١: ٥٥.

(٤) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٦٨-٧٠؛ ١٢٦.

(٥) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٢: ٦٢.

(٦) المرجع السابق، مج. ١٠: ٢٦٤-٢٦٥.

وفي شوال سنة (٨٩١هـ/ ١٤٨٦م) ماتت الخوند آسية ابنة الملك المؤيد شيخ، وأم يحي المذكور آنفًا ومولدها في حوالي سنة (٨٢٠هـ/ ١٤١٧م)، ودفنت بمدرسة أبيها[(٧)].

آثار الملك المؤيد

للملك المؤيد منشئ هذا الجامع جملة آثار إسلامية أخرى أهمها المارستان المؤيدي الذي بناه على أنقاض المدرسة الأشرفية بشارع الكومي تجاه أرض الصوة [انظر جامع المؤيد][(٨)].

وأنشأ تجاه هذا المارستان بين باب السلسلة وباب المدرج داخل القلعة الصلاحية بجوار دار العدل والطبلخانه مسجدًا بقي أثره إلى اليوم [انظر مسجد أحمد كتخدا]في متجددات سنة (١١٠٩هـ/ ١٦٧٩م) وهو مسجد الميتين انظر هذه التسمية[(٩)].

(٧) المرجع السابق، مج. ١٢: ٢.

(٨) بني المارستان المؤيدي على أنقاض المدرسة الأشرفية التي بناها الأشرف شعبان، والتي هدمها الناصر فرج بن برقوق وجعله أوقافًا على المسجد، المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٧٠٢.

(٩) هذا المسجد هو مسجد الإصطبل الذي ذكره المقريزي، وقد خلط البعض بينه وبين جامع الصوة وكذلك بينه وبين جامع الحوش، غير أنه يقع داخل باب الإصطبل أو السلسلة أو العزب أما جامع الصوة فكان بين الطبلخاناه (دار المحفوظات) وباب المدرج على رأس الصوة حيث كان دارًا للمؤيد ثم تحول إلى مسجد، أما مسجد الإصطبل فيعرف حاليًا بمسجد أحمد كتخدا عزبان؛ حيث جدده الأمير أحمد جوربجي القيومجي كتخدا عزبان المتولي الكتخدائية سنة (١١٠٨هـ/ ١٦٩٦م) وجدده بعد ذلك بعام واحد، انظر: المرجع السابق، مج. ٤: ٣٢٧، هامش ٤؛ أبو العمايم، **آثار القاهرة في العصر العثماني**، مج. ١: ٢٤٧- ٢٥١.

وجدد المدرسة الخروبية بشارع دار الصناعة بالروضة(١)، وجامــع المقياس وأحدث به منبرًا وخطبة في ســنة (٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م)(٢)، وبنى للشـــيخ نصر البخاري زاوية بشارع المشهد الحسيني [انظر زاوية ناصر الدين اللقائي أو خليل بغا].

وله آثــار بالحجاز كســقايات بالحرمــين وفي طريق الحج المصري والشامي، وامتلك مجموعة أماكن وعقارات بالقاهــرة وظواهرها وقد أوقفها جميعهــا على جامعه هذا، وأنشأ جسرًا بمنشــأة المهراني على فرع النيل الغربي ليصل المنشــأة بجزيرة الروضة، وهو الجسر الذي يقوم في محله أو قريبًا منه كوبري محمد علي المنشــأ في حوالي سنة (١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م)(٣).

وجدد منظرة التاج والســبع وجــوه الفاطمية(٤)، التي كانــت قائمة في مدخل شــارع حمدي بمنطقــة القبيسي من أرض البعل على الخليج المــصري تجاه قرية كوم الريش المعروفــة الآن بالشرابية، ويؤكد الســخاوي أنه أنفق على تجديدهــا حوالي العشرين ألف دينــار(٥)، وقد بقيت حتى هدمها الملك الظاهر جقمق بسعاية الأمير علي حفيد الأمير إينال اليوسفي وذلك لاتخاذ الأهالي لها دار فسق.

وله بالديار الشــامية آثار لا تــزال ماثلة حتى اليوم منها تربة بعلبك أنشأها في سنة (٨١٢هـ/ ١٤٠٩م)، وهو كافل المملكة الشامية للمقر يشبك، ومدرسة في دمشق بناها سنة (٨١٧هـ/ ١٤١٤م).

وله منشورات في مسجد السلطان حسن بطرابلس، وهو المسجد الذي بناه المعلم محمد بن إبراهيم المعروف بابن الســيوفي الصالحي المتوفى ســنة (٧٦٢هـ/ ١٣٦١م)، مهندس عمائر السلطان المذكور، ويعرف هذا المسجد اليوم بالعطار، ومرســوم آخر بالجامع الكبير النوري، وهذه المراسيم تحظر الأهالي من المعاملة مع التجار والمحتكرين حتى يحســنوا معاملتهم مع المواطنين.

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٧٩٢- ٧٩٣؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٣١٠.

(٢) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ٢٢١؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٤: ٥٣٤؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ١٨٠؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٣١٠؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٤: ٩٩-١٠١، ١١٣؛ جمال الدِّين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، **حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور**، تحقيق محمد فهيم شلتوت، مج. ١ (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٠): ٨٨؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٥٤، ٦٢.

(٣) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٣١٠.

(٤) المقريزي، **السلوك**، مج. ٤: ٥٢٦؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٥٦٧-٥٦٨، هامش ١.

(٥) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٣١٠.

جامع كافور الزمام

أثر رقم ١٠٧ (سنة ٨١٩هـ/ ١٤١٦م)

هذا الجامع بحارة خشقدم «الديلم سابقًا»[١]، أنشأه الأمير كافور الزمام الظاهري في سنة (٨١٩هـ/ ١٤١٦م)، برسم مدرسة للصوفية ومسجد جامع للصلاة ذكره المقريزي في عبارة هذا نصها: «مدرسة بحارة الديلم أنشأها الطواشي مشير الدولة كافور الزمام»[٢]، وذكره السخاوي في الضوء اللامع في ترجمة كافور[٣].

وهو جامع فاخر يظهر من تفاصيله أن المنشئ وجه إليه عنايته إلى حد ما، وهذا ما يبدو ظاهرًا في واجهة المسجد البحرية المحلاة بالنقوش وقطع الرخام الملون الأسود، والمدخل إلى هذا الجامع من باب يمر بجواره سبيل ومنه بعد اجتياز طرقة إلى صحن، في جانبه الشرقي الإيوان بيت الصلاة، ويعلو سقفه سماوات ذات براطيم قد عاد عليها البلى ومحرابه من الحجر يجاوره منبر حديث، وفي الجانب الغربي إيوان آخر أقل من سابقه اتساعًا، وفي الشمال والجنوب من الصحن إيوانان صغيران أحدهما أكبر من الآخر، ويحيط بالصحن طراز يقرأ فيه مذكرة تاريخية تبتدئ بالبسملة ثم بآيات الكرسي وتنتهي بمثل النص التاريخي الآتي.

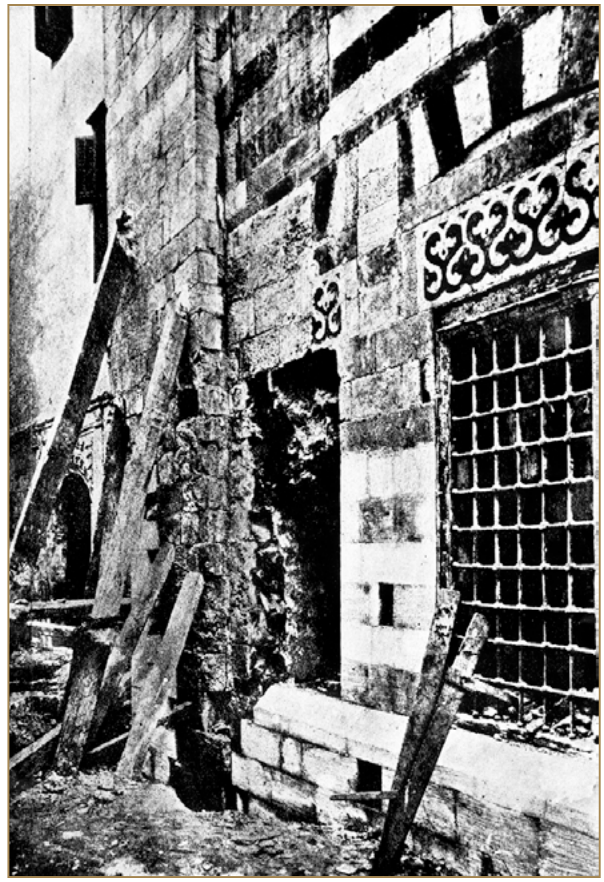
وأهم ما يلفت النظر في المسجد واجهته وبابه المقرنص والنقوش والمربعات الكوفية التي تزينه ونظيرها في الواجهة، وفي نهاية الوجهة إلى الشمال الشرقي تقوم مئذنة عثمانية من العصر العثماني، يقابلها في الجانب الآخر سبيل متغاير، ويتبع الواجهة الشرقية الشارعة في حارة جامع الطباخ بعض ملاحق المسجد المندثرة، وعلى جانبي الباب مذكرة تاريخية هذا نصها:

البسملة- إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر- إلى المهتدين وكان الفراغ من عمارته في جمادى الآخرة سنة تسع عشر وثمان مائة وبأعلى واجهته طراز يمتد إلى الوجهة الشرقية، وقد كتب فيه ما يلي: البسملة- في بيوت أذن الله أن ترفع الآية أمر بإنشاء هذا الجامع والسبيل المبارك المقر الأشرف الكريمي العالي المولوي الأميري الكبيري المحترمي المجاهدي المرابطي المثاغري السيدي السندي الملكي الدوادار كافور زمام الآدر الشريفة وناظر الحرم الشريف النبوي على ساكنه أفضل الصلاة وأزكى السلام وكان الفراغ من عمارة

(١) عرفت هذه الحارة بهذا الاسم نسبة للديلم الذين وصلوا بصحبة أفتكين الشرابي عام (٣٦٨هـ/ ٩٧٨م)، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢٣.

(٢) ذكره المقريزي باسم «شبل الدولة»، وعلى ما يبدو أنها التسمية الصحيحة، انظر: المرجع السابق، مج. ٤: ٣٥٩-٣٦٠.

(٣) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ٢٢٦.



منظر عام لجامع كافور الزمام «عن لجنة حفظ الآثار العربية»



داخل جامع كافور الزمام «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

هذا المكان المبارك- في شــهر رجب الفرد سنة تسع وعشرين وثمان مائة من الهجرة النبوية وصلى الله على سيدنا محمد وآله

وبالصحن مذكرة أخرى يقرأ فيها بعد البسملة وآية الكرسي:

أمر بإنشــاء هذا الجامع المبارك المقر الكريم العالي المولوي الأميري الشـبلي شــبل الدولة كافور زمام الآدر الشريفة وشــيخ شيوخ السادة الخدام بالحرم الشريف النبوي بتاريخ شهر رجب الفرد سنة تسع وعشرين وثمان ماية

تجديد المسجد

وقد طرأ على هذا المسجد عدة تجديدات أهمها تجديد الأمير الكبير حســن باشا بلوك لهذا المسجد في رجب سنة (١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م)، فقــد قام هذا الأمير إثر ســكناه في الدار المواجهة للمســجد المعروفة بدار خسرو باشا وسليمان بك لطفي بتجديــد المئذنة العثمانية الحالية، وأصلح الســبيل وبعض مفردات من داخل المســجد، ولا يــزال طابع هذا التجديد باديًا في المئذنة المذكورة.

ومنذ ســنة (١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م) كان يتولى نظارة أوقافه الشيخ محمد سليمان البشاري بمقتضى تحرير صادر محكمة مصر الشرعية بتاريخ ٢٩ من شهر ذي الحجة في هذه السنة،

وقد ظل كذلك حتى توفي فبقيت النظارة محصورة في ورثته حتى أشرفت عليها نظارة الأوقاف، وفي أثناء هذه المدة تخرب المسجد فبقي متخربًا حتى أواسط هذا القرن، ومن هذا التاريخ يبتدئ إصلاح هذا المسجد وتعميره في سنة (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م) إلى سنة (١٣٣٢هـ/ ١٩٢٣م)؛ حيث أجريت فيه عمارة تناولت معظم ما كان متخربًا من أواوينه وواجهته وبلاطه وأبوابه ومدخله إلى جملة إصلاحات أخرى.

ترجمة المنشئ

ومنشئ هذا الأثر هو الأمير كافور؛ كان في بادئ أمره مملوكًا لصرغتمش الأشرفي، ثم إلى منكلي بغا الشمسي، ثم صار إلى السلطان الظاهر برقوق، بسعاية زوجة السلطان المدعوة خوند هاجر، وهي ابنة سيده منكلي بغا، فخدم عنده ثم رقاه فتعين كبير الخدم وبقي كذلك حتى مات السلطان، وفي سنة (٨١٠هـ/ ١٤٠٧م) تولى زمامًا للآدر السلطانية بعد الزمام مقبل[١]، فبقي حتى مات سنة (٨٢٤هـ/ ١٤٢١م)، ثم أقيل ثم عاد إليها وأضيفت إليه وظيفة خزينة دار؛ وكان ذلك مبدأ ظهوره فأثري وتمول فبنى هذه المدرسة وخانقاهًا بالصحراء ووقف عليهما أوقافًا جمة، ثم ما برح حتى مات في ربيع الآخر من سنة (٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م)، ودفن بتربته[٢].

(١) مقبل الزين الرومي الزمام: كان رأس الخدام، وعنده حشمة ورياسة، تولى الزمامية في دولة الناصر فرج، وعظم ونالته السعادة، وعمر عدة أملاك ودور حبسها على مدرسته التي أنشأها بخط البندقانيين بالقاهرة، مات في أول ذي الحجة سنة عشر، وخلف أموالاً كثيرة، انظر: ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٢: ٣٩٤؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ١٦٨.

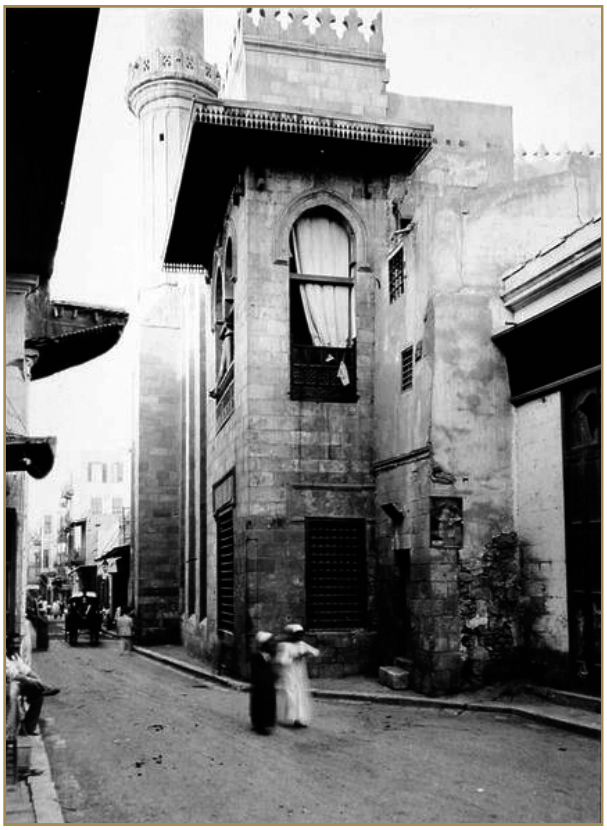
(٢) الأمير الطواشي الرومي شبل الدولة كافور الصرغتمشي زمام دار السلطان، من عتقاء منكلي بغا الشمسي، بعد قتل صرغتمش الأشرفي، فكان ينسب إليه، كان أصيلاً في خدمة الظاهر برقوق في أوائل سلطنته، بواسطة زوجته خوند هاجر ابنة منكلي بغا، واستمر في كبار الخدم إلى أن استقر به الناصر فرج في سنة= (٨١٠هـ/ ١٤٠٧م) زمامًا بعد مقبل الرومي، ثم انفصل عنها في حدود سنة (٨٢٤هـ/ ١٤٢١م)، ثم أعيد بعد يسير وأضيفت إليه الخازندارية حتى مات بالقاهرة، توفي في ١٥ من جمادى الآخرة سنة (٨٢٤هـ/ ١٤٢١م) حسب رواية العسقلاني، بينما يذكر السخاوي أنه توفي في سنة (٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م)، وكان قد عمر وقارب التسعين، ودفن في تربة بناها بالصحراء، واستقر بعده في الزمامية خشقدم الظاهري، وفي الخازندارية قراجا الأشرفي برسباي، انظر: ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ٣٨٤؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٤: ٧٦٠– ٧٦١؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ٢٢٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٥: ١٤٣؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٩: ١١٢– ١١٣.

جامع فخر الدين عبد الغني (المدرسة الفخرية)

أثر رقم ١٨٤ (سنة ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م)

هذا الجامع بشارع جامع البنات «سابقًا بين السورين»، أنشأه الوزير فخر الدين عبد الغني بن عبد الرازق بن أبي الفرج، وزير مصر في عهد الملك المؤيد شيخ، وابتدأ في إنشائه في رمضان (٨٢٠هـ/ ١٤١٧م)، وتم أوائل سنة (٨٢١هـ/ ١٤١٨م)[١]، ومات في نصف شوال من السنة المذكورة فلم يكمل بناءه، رغم أن المنشئ افتتحه بصورة ممكنة في أواخر شعبان من هذه السنة، وعين له بعض الشيوخ.

وبعد موته تنازع ورثته في الجامع بين أخويه وبين أولاده، وأخيرًا آل إلى كبير أبنائه الأمير عبد القادر الأستادار الأشرفي[٢]، فأتم بناء المسجد وجعل منه مدرسة وافتتح رسميًا بعد تمام عمارته نهائيًا في سنة (٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م)، وعين لمشيخة التصوف فيه الشيخ عمر الأفقهي الشافعي، ولخطابته الصدر الفيومي خطيب المدرسة الفخرية القديمة (جامع جقمق بدرب سعادة)، وتولى هو نظارته حتى توفي سنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)، وتولى بعده أخوه ناصر الدين محمد،



منظر عام للمدرسة الفخرية «عن كريسويل»

(١) حجة وقف المنشئ المؤرخة في ١٨ من رمضان من هذه السنة رقم ٧٢- ١٢- حفظ. (المؤلف)

(٢) الأمير عبد القادر بن عبد الغني بن عبد الرازق بن أبي الفرج ابن نقولا الأرمني الأصل القبطي، الأمير زين الدين بن الأمير فخر الدين، ابن الصاحب تاج الدين، الشهير بابن أبي فرج، ولد بالقاهرة، وباشر بعد موت والده عدة جهات، إلى أن ولي شد الخاص وأستادارية المقام الناصري محمد ابن السلطان برسباي سنة (٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م)، ثم أستادارًا عوضًا عن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله الفوي بحكم عجزه عن القيام بالكلف السلطانية، ثم عزل بالأمير آقبغا الجمالي، توفي بالطاعون سنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)، انظر: ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ٤٤٧؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٥: ١٦٣-١٦٤؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٤: ٢٧٢؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٧: ٣٢٠-٣٢٢.

وبقيت النظارة في أعقابهما حتى انقرضوا ولم تبق منهم بقية[١].

ويبدو أن المنشئ شرع في أن يحاكي بهذا المسجد المدارس الكبيرة، فقد رام أن يلحق به عدة ملحقات من سبيل وكتاب وحمام وبيت لسكنى الصوفية في شماله، كما وجه عنايته إلى المسجد فجعل منه شكلاً يتألف من أربعة إيوانات كبيرة يوازي أحدهما الآخر[٢].

بيد أن الشرقي امتاز عنها بكبره وأروقته وجعل بينها صحنًا مكشوفًا تحدق به أربعة أبواب تؤدي إلى مرافق المسجد، وأقام في بيت الصلاة منبرًا فاخرًا من الخشب المنجور وجعل لسقفي الإيوان الشرقي والغربي سماوات ذات تواشيح تتدلى من أركانه الأربعة؛ وبنى في الجانب البحري من بيت الصلاة تربة لدفنه ودفن أولاده وأقاربه، وقد تغالى في نقشها وزخرفتها بالجص والرخام، وأقام وجهة المسجد ومدخله من الحجر المنحوت وبالغ في ارتفاعها حتى ساوى بها بعض المساجد المتقدمة، ووضع على الباب العمومي للمسجد مصراعين من الخشب المكسو بصفائح النحاس المكفت وبنى في نهاية الواجهة من الناحية الجنوبية سبيلاً ومكتبًا وفي جواره حمامًا، وأقام في الجانب البحري منه بابًا آخر.

(١) الأمير ناصر الدين بن الوزير تاج الدين محمد بن عبد الرزاق ابن أبي الفرج، وأخو الأمير فخر الدين عبد الغني، وعم الأمير زين الدين عبد القادر، ولد بالقاهرة سنة (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م)، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٨: ٥٥؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ١٠: ١١٥.

(٢) يشبه تخطيط هذا الجامع المدارس؛ حيث إن بها صحنًا فسيحًا مكشوفًا فرشت أرضيته بالرخام الملون محاط بأربعة إيوانات أكبرها الإيوان الشرقي.

تجديد المسجد

والمسجد لا يزال على هذا الوضع حتى اليوم رغم تقادمه وتطوراته، وقد جدد فيه ما تقادم من واجهته وأواوينه وصحنه وبلاطه وأخشابه ومنبره وبابه في أوقات مختلفة أهمها في سنة (١٢٦٨هـ/ ١٨٥١م)، فقد أمرت الأميرة ممتاز قادن إثر موت ولدها حسين بك ابن خديو مصر العزيز محمد علي باشا بتجديد واجهته العمومية ومدخل الباب العمومي وإعادة المئذنة وقد جاءت على مثال مئذنة جامع مراد باشا، وأنشأت في سنة (١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م) في مقابل دارها[٣]- إلى جانب سبيل إبراهيم أدهم باشا- سبيلاً فاخرًا، وجعلت هذه القربات صدقة على روح ولدها المذكور المتوفى سنة (١٢٦٣هـ/ ١٨٤٦م) [انظر سبيل ممتاز قادن وترجمتها بهذا الكتاب][٤].

وفي سنة (١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م) أعادت نظارة الأوقاف تجديد داخل المسجد جملة وأصلحت أبوابه وشرفاته وسقفه وجميع مفرداته.

(٣) دار أم حسين بك: كانت هذه الدار بشارع جامع البنات وعلى الأرجح هي دار ابن عبد الغني الفخري التي كانت مجاورة لمدرسته، ثم دخل فيها حمام عبد الغني الفخري المعروف (بحمام الكلاب) عند توسعتها، وكان لها بابان أحدهما من شارع جامع البنات والآخر من درب سعادة وحديقة كبيرة، ثم دخلت في أملاك الأمير إبراهيم باشا بن المرحوم أحمد أخو الخديو إسماعيل، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٣: ٦؛ المرجع السابق، مج. ٦: ٦٦؛ إسماعيل، **مدينة القاهرة**: ٢١٧.

(٤) سبيل أم حسين بك: بني هذا السبيل عام (١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م)، وأنشئ بجواره حوض لسقي الدواب (غير موجود حاليًا)، ولقد نقل هذا السبيل حاليًا إلى جوار مدرسة القاضي يحي زين الدين، في تقاطع شارع الأزهر مع شارع بورسعيد عند فتح شارع بورسعيد، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٣: ٦؛ مج. ٤: ٦٧؛ إسماعيل، **مدينة القاهرة** : ٢٢٠.

وقد وضعت لتاريخ العمـــارة الأولى والثانية مذكرات ونصوص تاريخية منها مذكرة الأمـــيرة ممتاز قادن المذكورة، وهي بأســـكفة الباب العمومي في روســـم من الرخام الأبيض ونصها:

قد كان تجديد عمارته وإنشاء منارته على يد المصونة والدرة المكنونة والدة حســين بك نجل عزيز مصر القاهــرة الحاج محمد علي باشــا ذي المآثر الباهرة طاب ثراها وجعــل في الجنات قراهما طلبا لإيصال الثواب إليهما ورغبا في إنزال الرحمة عليهما ١٢٦٨ من هجرة الرسول الأمين.

ووضعت نظــارة الأوقاف المذكـــرات الآتية «جانبي الباب العمومي»:

البســملة إن المســاجد لله فلا تدعو مع الله أحدًا جدد هــذا الجامع المعمور بذكر الله تعالى في عصر خديوي مــصر عباس حلمي الثاني في ســنة ثلاثة عشر وثلاثمائة وألف

الإيوان الغربي

البســملة الله نــور الســموات والأرض إلى والله بــكل شيء عليم صدق الله العظيم أمر بإنشــاء هذا الجامع المبــارك الأمير فخر الدين عبد الغني ســنة إحدى وثمانمائة وعشريــن وجدد في عصر خديوي مــصر عباس حلمي الثاني في ســنة ثلاثة عشر وثلاثمائة كتبه يوسف أحمد

الإيوان الشرقي

وســيق الذين اتقوا ربهم- إلى- رب العالمين جدد هذا الجامع المبــارك من فضــل الله تعالى وجزيل عطائــه العميــم تحت مباشرة لجنــة حفظ الآثار العربية في عــصر خديوي مــصر الأعظم عباس حلمي الثاني الأفخم أدام الله أيامه وجعل الســعد والإقبال حينما توجه أمامه بتاريخ عام ثلاثة عشر وثلثمائة بعد الألف من الهجرة النبوية

المنبر

جدد هــذا المنبر المبــارك في عــصر خديوي مصر عباس حلمي الثاني الأفخم أدام الله أيامه في ســنة ثلاثة عشر وثلاثمائة وألف

وثمت مذكرة أخرى للمنشـــئ في طراز يعلو الواجهة، يبتدئ بآيات قرآنية ثم بنص تاريخي بيد أنها محيت وضاع رسمها.

جامع البنات (سبب هذه التسمية)

وقد سمي هذا الجامع بجامع البنات وهي تسمية قديمة حدثت منذ القرن العاشر، ورأى الشيخ عبد الغني النابلسي العالم الدمشـــقي المعروف حينما حـــل بالقاهرة في رحلته الأولى ســـنة (١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م) البنات الأبكار يأتون هذا الجامع في يـــوم الجمعة قبيل الصلاة لزيارة ابنتي أبي الفرج، وهما هاجر وزينب شـــقيقتي فخر الدين عبد الغني منشئ هذا الجامـــع، وقد ماتت كلاهما عذراء؛ فماتت الأولى بعد عقد الشريف بركات بن حســـين بن عجلان شريف مكة عليها، وقبل بنائه بها.

وماتت الثانية في عنفوان شبابها بكرًا لم تخطب، فكانت طائفة من النساء ممن تتقارب مساكنهن من هذا الجامع يعتقدن أن زيارة هاتين البنتين البكرين ومرور البنت البائر بين صفوف المصلين في السجدة الأولى يقضي على بوار المتعوقات من بناتهن وييسر لهن الزواج، وكان هذا الاعتقاد سائدًا في نفوسهن بصورة قاطعة، وكان خدمة هذا المسجد وسدنته تساعد النساء على ذلك وتروج لهن هذه الإشاعة بكتابة الحجب والطلاسم بغية ابتزاز المال منهن، وقد ظلت هذه العادة متبعة في المسجد حينًا، ثم بطلت بعد تخربه في سنة (١٢٦٨هـ/ ١٨٥١م)، بيد أن الاسم الجديد الذي ألصق بالمسجد من أثر هذه الحادثة ظل ملازمًا له حتى اليوم.

ترجمة المنشئ

وقد ترجم السخاوي في الضوء اللامع لمنشئ هذا الأثر ترجمة طويلة؛ أفاد فيها أنه مسيحي الأصل أرمني الجنس، ونشأ مسلمًا كأبيه وجده، ومولده بقطيا في سنة (٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م)، وتولى عدة وظائف، ثم قدم القاهرة فتعين كاشفًا بالوجه البحري، ثم نقل من هذه الوظيفة إلى أخرى حتى صار أستادارًا في سنة (٨١٦هـ/ ١٤١٣م)، ثم وزيرًا في سنة (٨٢١هـ/ ١٤١٨م) للملك المؤيد شيخ، ثم أضيفت إليه نظارة وقف الأشراف[1].

تربة المنشئ

وعلا نجمه علوًّا زائدًا بيد أنه لم يلبث حتى مات في ١٥ من شوال سنة (٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، ودفن بمدرسته داخل تربة نصل إليها من باب صغير في الجانب البحري من الصحن، وهي تربة تظهر الآن متغايرة، وقد سقطت قبتها وضاعت نقوشها الجصية الجميلة بتقادم الزمن عليها منذ أمد بعيد، وفي جانبها تربة أخرى عليها صندوق من الرخام المسنون، وقد دفن فيها أولاد المنشئ وبناته وحفدته ممن تولى نظارة هذا الجامع حتى القرن العاشر، ولم يتخلف عنهم إلا من مات بعيدًا عن القاهرة، فدفن فيها الأمير المقر الشهابي أحمد ابن الفخر عبد الغني مات في سنة (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)، ودفن بها الناصري محمد بن محمد بن عبد الغني، ودفن إلى جوارهما في قبر آخر هاجر وزينب شقيقتي الفخر عبد الغني، أما المنشئ فخر الدين عبد الغني فقد دفن في قبر مجاور لهذه التربة، وقد ضاع صندوقه الرخام الذي كان يتوسط القبة، ودفن معه فيه ولده الأمير عبد القادر الأستادار في سنة (٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م) وبقية أولاده، وقرأنا على القبر:

البسملة هذا قبر أمير حاج بن محمد بن عبد الغني بن أبي الفرج أوقفه على نفسه وأولاده ووالدتهم سور باي.. بتاريخ سنة تسع وتسعين وثمان مائة.

قطيا

وقطيا أو قطية المنسوب إليها منشئ هذا الأثر هي بلدة في نواحي الجفار في الطريق الذي بين مصر والشام، في وسط الرمل قرب الفرما، وكانت فيما مضى شهيرة الذكر،

(١) الأمير فخر الدين عبد الغني بن الأمير تاج الدين عبد الرازق بن أبي الفرج بن نقولا الأرمني الأصل القبطي الأستادار، الشهير بابن أبي الفرج، كان جده من جملة نصارى الأرمن فأسلم، ولد في شوال سنة (٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م)، ولما نقل أبوه من ولاية قطيا إلى الوزارة في الأيام الظاهرية برقوق ولاه موضعه بقطيا، سنة (٨٠١هـ/ ١٣٩٨م)، ثم صرف عنها وأعيد إليها عدة مرات في أيام الناصر فرج، ثم ولي كشف الشرقية في سنة (٨١٣هـ/ ١٤١٠م)، ثم تولى الأستادارية عوضًا عن عبد الرزاق بن الهيصم في سنة (٨١٤هـ/ ١٤١١م)، توفي سنة (٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، انظر: ابن حجر= العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ١٨٧؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٤: ٢٤٨؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٤: ١٥٢؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٧: ٣١٤-٣١٨.

وورد اسـمها في معجم البلدان لياقوت، وفي صبح الأعشى للقلقشـندي، وفي الانتصـار لابن دقمـاق، وفي الحقيقة والمجـاز للنابلسي، وقد بنى بها السـلطان الملك الأشرف قايتباي في سـنة (٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م) جامعًا فخمًا ومارستانًا وسـبيلًا وحوضًا، وكانت بحكم موقعها مـا بين القطرين محل جلوس المكاسـين، فكان بها والٍ برتبة طبلخاناه، وبها قاض وناظر وشـهود ومباشرين، وكانت وظيفة هؤلاء جميعًا مراقبة القادمين من الشام إلى مصر وبالعكس، ولا يمكن لأحد الجواز منها إلا بجواز (باسبورت) نظير أجر معين، وقد بحثت عن هذه البلدة بين البلاد المصرية والشـامية الحالية فلم أجدها، فاسـتظهرت بالأسـتاذ محمد رمزي بك عالم هذه الآثار وخبيرها؛ فأفاد أنها اندثرت ولم يبق إلا أطلالها في الطريـق بين مصر والعريش في الجنـوب الشرقي لمحطة الرمانـة وعلى بعد عـشرة كيلومترات منهـا، قال: ومحطة الرمانة؛ ويقال لها رمانة أو روماني هذه واقعة على السـكة الحديدية الموصلة مـن القنطرة إلى العريش، وتقع على بعد ٤٥ كيلومترًا في الشـمال الشرقي من محطة القنطرة التي على قنال السويس[١].

آثار الوزير عبد الغني

وليس لهذا الوزير آثار أخرى غير هذا الجامع، بيد أن السخاوي أشـار في ترجمته إلى أنه اشترى الرباط الذي كان قد شرع في عمارته سلفه المذكور عبد الوهاب بن أبي شاكر في سنة (٨٢٠هـ/ ١٤١٧م) بمكة مقابل الكعبة بالجياد، ومات قبل تمامه- فأكمله وأسكن فيه النزلاء.

وقد رام هذا الوزير إثر امتلاكه لدار الذهب الفاطمية الأفضلية التي كانـت في ملك بهادر الأعسر ثم آلت إليه- أن يزيل مجموعة الأحـكار التي كانت واقعة على الخليج من الناحية الغربية بين قنطرة الأمير حسين وبين ميدان القمح مع إزالة مجموعة المباني التي كانـت تحجب هذه الدار عن شاطئ الخليج الغربي وما في جوارها، وأنشأ في مكانها بستانًا فسـيح الأرجاء واسع المسـاحة، فبدأ بتنفيذ هذا المشروع وجعل مبدأ الهدم من حد سـويقة الصباغين بحري جامع الأمير حسين إلى حارة الإفرنج وسويقة العجمي حتى تلك الرقعة الهائلة مـن الأرض البيضاء الواقعة على الشـاطئ الغربي للخليج مباشرة، فلم يترك دارًا ولا عقارًا حتى انتزع ملكيته إداريًّا وأعمل فيه معاول الهدم، ولم يسـلم منه إلا مسجد التسـتري بحارة الإفرنج رغم أنه تهدم (انظر ترجمة هذا الجامـع)[٢]، ولم يكد يتم إزالة هذه المباني حتى فاجأه الموت، ولم تكمل مدرسته ولم يتم مشروعه[٣].

(١) شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، **معجم البلدان**، مج. ٤ (بيروت: دار صادر، ١٩٥٥): ٣٧٨.

(٢) جامع التستري بشارع بورسعيد عند تقاطعه مع شارع الأزهر. (المراجع)

(٣) ذكر المقريزي هذه الأعمال في الخطط؛ حيث ذكر أن دار الذهب آلت إلى الأمير بهادر الأعسر شاد الدواوين وعرفت بعدها بدار الوزير المشير الأستادار فخر الدين عبد الغني ابن الأمير الوزير الأستادار تاج الدين عبد الرازق بن أبي الفرج الأرمني الأصل، وحدد موقعها بجوار الجامع والحمام (مندثر حاليًّا)، وذكر أنه مات قبل إتمام عمل البستان، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢٠٧.

جامع المؤيد (البيمارستان المؤيدي) المدرسة الأشرفية

أثر رقم ٢٥٧ (سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م)

هذا الجامع بشارع الكومي بالمحجر «رأس الصوة سابقًا»، ذكره ابن حجر في إنباء الغمر في حوادث سنة (٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م)، قال: «في صفر ابتدأ في عمارة المدرسة الأشرفية تحت قلعة الجبل[١]، وهدم من جرائها عدة أماكن للناس، منها: بيت لسنقر الجمالي، ونقل إليها عمودان عظيمان وجدا في بيت خوند الحجازية عمة السلطان برحبة العيد، وكان المشد عليها أينبك»[٢].

وجاء في الجزء الثاني منه في حوادث سنة (٨١٣هـ/ ١٤١٠م): «وفي جمادى الأولى أمر السلطان بهدم مدرسة الأشرف شعبان التي على باب القلعة وجد الهدم فيها، وكانت من أعظم الأبنية، وكان جمال الدين اشترى من أولاد الأشرف كثيرًا من الآليات التي بنيت بها، لأن الأشرف مات قبل أن يكملها؛ فبسط يده في تحويل ما بها فأخذ الشبابيك والأبواب والبوابة وكثيرًا من الحجارة حتى الكتب الموقوفة فاستعان بالجميع في مدرسته[٣]، ثم جاء الناصر فرج ابن برقوق في هذه السنة فكره مكان تعقبها فهدمها فصارت ربوة عالية، وحول ما ينتفع به من حجارتها وأخشابها إلى الأمكنة التي يريدها، فبقيت كذلك إلى آخر دولة المؤيد؛ فأمر بعمارتها مارستانًا، وأسكن فيه بعض المرضى، ومات المؤيد بعد ذلك فحولوه بعده جامعًا ومنزلاً للواردين»[٤].

وفي تاريخ الإسحاقي في ترجمة الأشرف شعبان:«وهو الذي بنى الأشرفية برأس الصوة تجاه القلعة، وهُدم غالبها بعده»[٥].

وقد التبس على- علي مبارك باشا في خططه- هذه المدرسة بجامع محمود باشا، فذكرها باسم مدرسة الملك

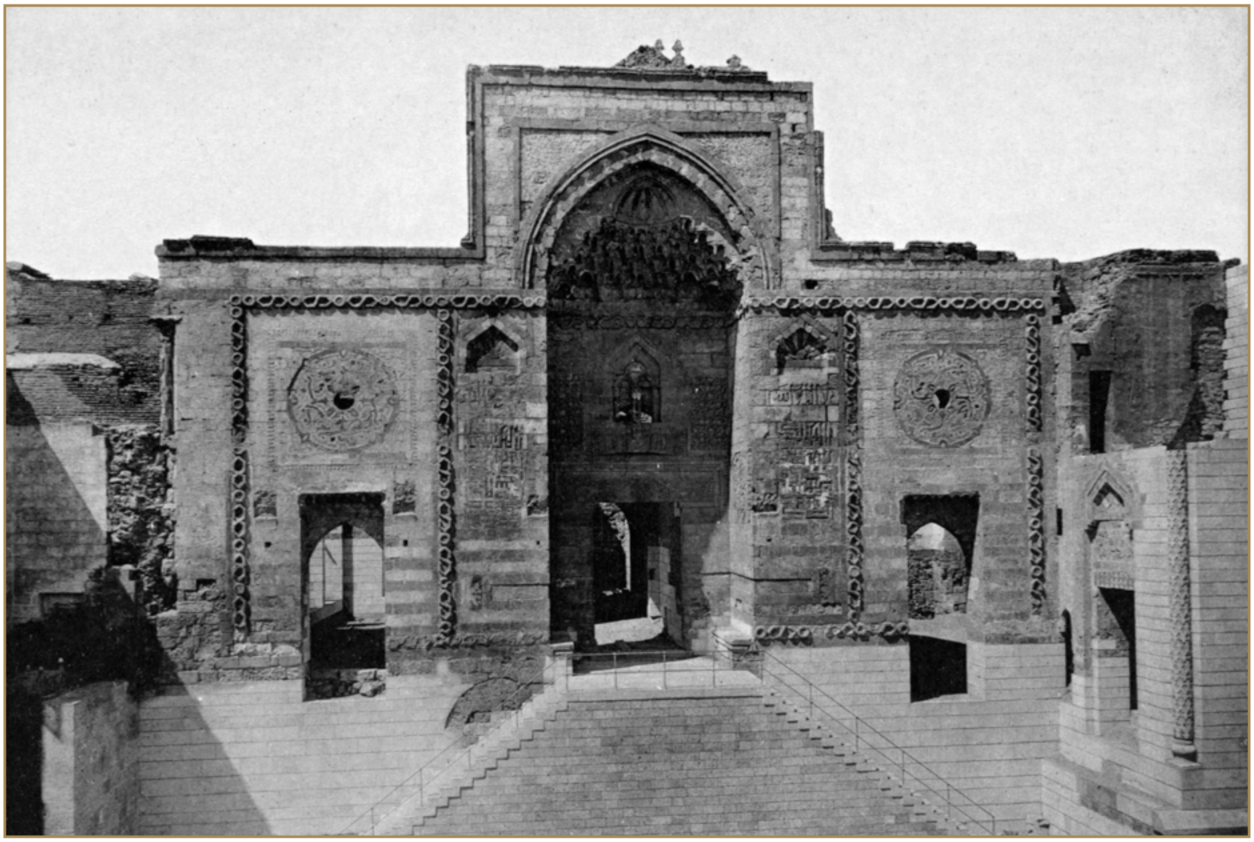
(١) تنسب هذه المدرسة إلى السلطان الأشرف شعبان بن حسين ابن الناصر محمد بن قلاوون، وأراد أن يجعلها مضاهيه لمدرسة السلطان حسن، ونقل إليها الأحجار من بعض الأماكن القديمة، وكان لها قبتان، وكان عقد الإيوان الرئيسي منها أكبر من مثيله في مدرسة السلطان حسن، ولكن الأشرف شعبان قتل قبل أن يكملها عام (٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م)، انظر: المرجع السابق: ٦٦١- ٦٦٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٣: ١٢٣.

(٢) ابن حجر العسقلاني، **إنباء العمر**، مج. ١: ١٠٣- ١٤٠؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢٣١- ٢٣٢؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٣: ٢٥١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ٦٧؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ٢: ١٣٥- ١٥٤، ١٨٣.

(٣) اشترى جمال الدين الأستادار من حاجي بن الأشرف شعبان بعض شبابيك المدرسة وبعض النحاسات وبعض المجلدات والكتب، واستخدام الشبابيك في مدرسته بالجمالية، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٦٣٦، ٦٦٥- ٦٦٦.

(٤) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٢: ٤٩٢؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٦٦٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٣: ١٢٣؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ٢: ٨٠٧، ٨١٣.

(٥) الإسحاقي ، **أخبارالأول**: ١٣٢- ١٣٣.



منظر عام للبيمارستان المؤيدي «عن فييت»

الأشرف شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، وقال: «إنها كانت بأول الرميلة مما يلي المحجر، وأنها كانت من محاسن الدنيا وهدمها فرج بن برقوق»، ثم ذكرها مرة ثانية في المصدر نفسه ووضعها في محل زاوية الشريف مهدي المجاورة لزاوية تقي الدين بدرب اللبانة «المصنع»، قال: «وبنى المؤيد في مكانها بيمارستانًا، وقد أزيل البيمارستان».

وهذا الذي ذكره الوزير علي مبارك باشا خطأ، إذ أن عمارة المؤيد لهذه المدرسة كما أشار إليها ابن حجر لا تزال موجودة إلى اليوم تحمل اسم الملك المؤيد شيخ المحمودي في عبارة واضحة[1].

وقد جاء عن هذا الجامع في وقفية الملك المؤيد المحفوظة بوزارة الأوقاف أنه وقف عليه أوقافًا[2]، وجعله-

---

(١) لم يخلط علي باشا مبارك بين جامع محمود باشا أو المدرسة الأشرفية التي صارت البيمارستان بعد ذلك، لكنه قال إنها بأول الرميلة، وتحديده الموقع متروك الوضع لوقت مشاهدته له، وقد ذكر جامع محمود باشا في معرض حديثه عن شارع المحمودية، وذكر المدرسة الأشرفية في حديثه عن شارع المحجر، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ١٠٣-١٠٤.

(٢) استأنف البيمارستان المؤيدي عمله كمستشفى في العصر العثماني ولكن بدون أوقاف، حيث عمل له باب من تكية الأزبك «تكية تقي الدين البسطامي»، حيث عمل بها متصوفو=

أي المارستان برسم ضعفاء النساء والرجال، وحده الشرقي ينتهي إلى الصوة «شارع المحجر والباب الجديد الآن» تجاه القلعة- «والغربي» إلى بيت الجناب السيفي سنقر المعروف قديمًا بأرغون- والبحري إلى ساقية الأشرف وفيه الباب الكبير ومكتب السبيل المعد للأيتام وأحد عشر حانوتًا والسبيل؛ والغربي أي القبلي إلى سوق الخيل (ميدان صلاح الدين الآن)، وقد استعمل هذا البيمارستان بعد عصر منشئه مباشرة نزلاً للغرباء، ثم دارًا لاستقبال السفراء الواردين من الأقطار الشرقية؛ ولم يلبث أن حول إلى مسجد جامع في سنة (٨٢٥هـ/ ١٤٢١م)، ورسم السلطان بإقامة الخطبة فيه، وأحدث له منبرًا وعين له خطيبًا وسدنة[1].

والمدخل إلى هذا الجامع من بابه العمومي الكائن بسكة الكومي المتفرعة من شارع المحجر وهو باب شاهق يماثل باب الجامع المؤيدي، حافل بمجموعة من الزخارف والمقرنصات ومرتفع عن الأرضية بمدرج وداخل المسجد متخرب وبه بعض العقود والزخارف، وبالرغم من أن بعض أعمال التجديد قد أجريت فيه بالفعل في وقت مبكر فإنه لا يزال في حاجة إلى الإصلاح والتعمير؛ وقد وضع مشروع لعمارته لا يزال قيد البحث.

=وفقراء هذه التكية في البيمارستان بل وسكنوه أيضًا، انظر: أوليا جلبي، **سياحتنامه مصر**، ترجمة محمد علي عوني، تحقيق عبد الوهاب عزام، وأحمد سعيد سليمان، تقديم أحمد فؤاد متولي (القاهرة:دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٩): ٣٤٦.

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٧٠٢، هامش ٤؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٤: ٤٥٢، ٦١٠؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ٣٣٤- ٣٣٥، المرجع السابق، مج. ١٢: ١٨٦؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٣٨، ٦٢، ٨٣؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ٢٨٦.

مسجد السكري

ويوجد إلى جانب هذا الأثر في الشمال الغربي منه مسجد عامر بالصلاة، أنشأه الحاج إبراهيم بن أحمد أبو غالية السكري[٢] في سنة (١١٢٣هـ/ ١٧١١م)[٣].

وبالرغم من تخرب هذا المسجد بحيث لم يبق منه إلا جزء يسير[٤]، فإن بابه العمومي المرتفع عن مستوى الشارع لا يزال حافظًا لطابعه بعض الشيء يحمل نقشًا كتابيًّا في سطرين يقرأ فيهما ما يأتي:

البسملة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما
الأعمال [١] بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى

(٢) لمنشئ هذا الأثر كتب وقف صادر بتاريخ غرة ربيع الأول سنة (١١٢٤هـ/ ١٧١٢م) ذكر فيه هذا الأثر، وللواقف ورثة آل إليهم استحقاق وقفه عليهم إلى يومنا. (المؤلف)

(٣) أنشئ هذا المسجد عام (١١١٢هـ/ ١٧٠٠- ١٧٠١م)، ويبدو أن حسن قاسم قد حدد تاريخ الإنشاء من حجة الوقف عام (١١٢٤هـ/ ١٧١٢م)، انظر: أبو العمايم، **آثار القاهرة الإسلامية في العصر العثماني**: ٣٦٣.

(٤) سجل هذا المسجد في الآثار الإسلامية برقم (١٣٧)، وذكر عنه علي باشا مبارك أنه مستجد ومقام الشعائر وأوقافه بنظر إسماعيل أفندي ماميش وبداخله ضريح سيدي مبارك، أنشأه الحاج أحمد إبراهيم أبو غالية السكري بخط الصوة وأوقف عليه أوقافًا بنفس المكان ومطبخًا مجاورًا لجامع الفكهاني، ولقد أزيل المسجد عام (١٩١٦م) لإظهار واجهة البيمارستان المؤيدي، وكان له أعمدة لها أبدان حلزونية خزنت بطريقة رديئة ثم أخرجت عام (١٩٨٣م)؛ حيث استخدمت في حديقة مسجد السلطان حسن بالقلعة، وفقد بعض منها مما استخدم في حديقة مسجد السلطان حسن، ويحتل جزءًا من موقعه الآن مسجد حديث، حجة رقم (٢٦٣١) بتاريخ غرة ربيع الأول عام (١١٢٤هـ/ ١٧١٢م) (محكمة مصر- أوقاف)، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٣: ١٠٣؛ أبو العمايم، **آثار القاهرة الإسلامية في العصر العثماني**: ٣٦٣- ٣٦٥.

جامع القاضي عبد الباسط (المدرسة الباسطية)

أثر رقم ٦٠ (سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م)

هذا الجامع بشارع الخرنفش (الكافوري سابقًا)، أنشأه الأمير عبد الباسط بن خليل الدمشقي المؤيدي ناظر الكسوة الشريفة والخزائن السلطانية برسم مدرسة للشافعية والحديث والتصوف[1].

والظاهر أنه في إنشائه في أواسط سنة (٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م)، بيد أن النص التاريخي الآتي يجعل البدء في جمادى الأولى سنة (٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م)، والانتهاء في نفس هذا التاريخ، وهذا يستحيل تصديقه، ويلوح أنها غلطة كاتب.

ويؤكد المقريزي أن حفلة الافتتاح بانتهائه أقيمت في صفر سنة (٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م) بصلاة الجمعة[2]، ويخالفه السخاوي فيجعل تاريخ الانتهاء في أواخر سنة (٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م)[3]، ونحن نميل لقول المقريزي لأنه أولًا عاصره أثناء البناء بخلاف السخاوي معاصره، أخيرًا وثانيًا لأنه قريب من النص التاريخي.

وتحقق لي من حجة وقف المنشئ أن المسجد بدئ في عمارته في جمادى الأولى سنة (٨٢٢هـ/ ١٤١٩م)، وتم في شوال سنة (٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م)، وصليت فيه الجمعة قبل إتمامه في



مئذنة جامع القاضي عبد الباسط «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

صفر من هذه السنة، والحجة مؤرخة في ٦ من ذي الحجة سنة (٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م)، مسجلة برقم (٨٤) بالحفظ، فيحتمل أن الواجهة التي تحمل هذا النص لم تكتمل تمامًا إلا في نفس هذا التاريخ المدون عليها.

(١) عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**، مج. ١: ٢٠٢- ٢٠٦.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٣٥١- ٣٥٤.

(٣) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ٢٢٦.

وقد تولى مشيخة التصوف بهذه المدرسة الشيخ عز الدين عبد السلام بن داوود بن عثمان المقدسي أحد علماء الشافعية ونواب الحكم في القاهرة توفي سنة (٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)، ومن مؤلفاته المتداولة المشهورة في فن التصوف والأخلاق كتاب «حل الرموز ومفاتيح الكنوز» المطبوع بالقاهرة، وقد نسبه طابعه إلى الشيخ عز الدين ابن عبد السلام مفتي مصر وكبير علمائها في أواخر القرن السابع[1].

وصف الجامع

والمتأمل في هذا الجامع من داخله وخارجه يجد فيه آية من آيات الفن الإسلامي، جمعت إلى كثير من المحاسن، فواجهته الشرقية ثم البحرية وما يكتنفهما من السبيل والمكتب وأواوينه وصحنه الفسيح ومئذنته الرشيقة، وشرفات الإيوان الشرقي بما يتجلى فيها من زخارف جصية هندسية مفرغة بأشكال جميلة، ثم تطعيم خشبه ومنبره الفاخر الملبس بالصدف والسن، ومحرابه الحجري الجميل ونظام مسقطه وأبوابه النحاسية، كل ذلك يكون مجموعة فاخرة من جمال الفن الإسلامي يتجلى في هذا الجامع، فيعطينا فكرة واضحة عن تقدم الفن وبلوغه مبلغًا ساميًا في هذا العصر الزاهر.

ومن المؤكد أن هندسة هذا الجامع الظريف ووضع مسقطه على هذا النظام المبدع لا يستطيع الإقدام عليه غير مهندس بارع، ومن أبرع المهندسين في ذلك الوقت سوى المهندس ابن الطولوني، الذي توارث هذا الفن عن آبائه وأجداده كابرًا عن كابر؟

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٣٥٤.

المذكرات التاريخية

ولا يوجد في هذا الجامع من النصوص التاريخية غير مذكرتين، أولهما في طراز بالواجهة الشرقية ونص ما فيه:

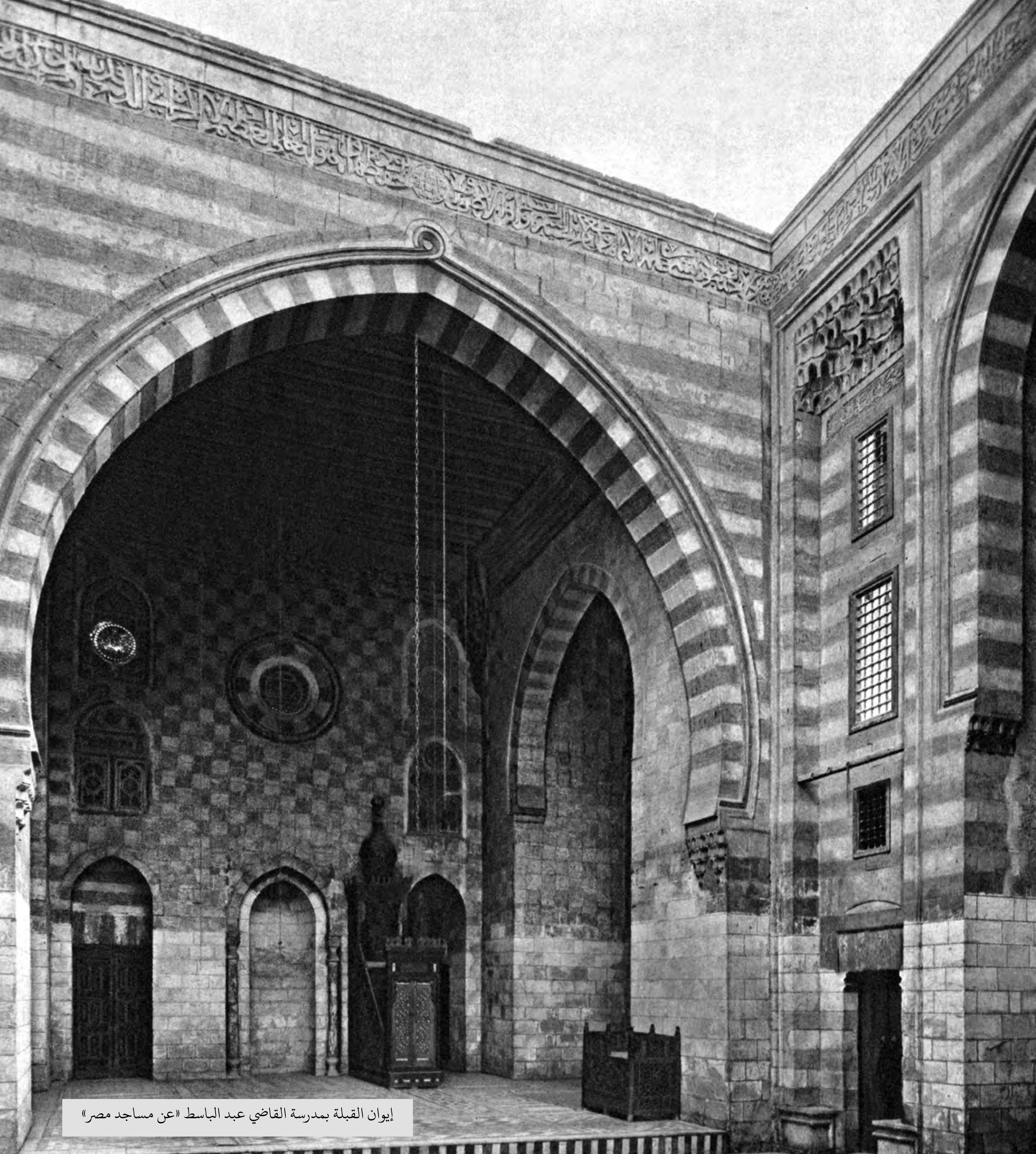
البسملة إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر أنشأ هذه المدرسة المباركة من أنعم الله تعالى على الفقير إلى رحمة ربه عبد الباسط بن خليل الشافعي ناظر الكسوة الشريفة (٣) والخزائن السلطانية المؤيدية أبو النصر شيخ خلد الله ملكه تقبلها الله تعالى وجعلها خالصة لوجهه الكريم وكان ابتداء عمارتها في شهر جمادى الأولى سنة ثلاثة وعشرين وثمان مائة وآخرها في شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين وثمان مائة

المذكرة الثانية طراز بأعلى الصحن

البسملة آية الكرسي إلى قوله تعالى- الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور أنشأ هذه المدرسة المباركة مما أنعم الله تعالى على منشئها العبد الفقير الراجي عفو ربه القدير عبد الباسط خليل الشافعي ناظر الكسوة الشريفة والخزائن السلطانية المؤيدية أبو النصر شيخ خلد الله ملكه

ووجدت على بعض مخلفاتها المحفوظة بدار الآثار العربية مذكرة آخرى نصها:

مما عمل برسم المدرسة المباركة الزينية العبد الفقير إلى عفو ربه عبد الباسط ناظر الكسوة الشريفة المؤيدية أبو النصر شيخ سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين قامع الطغاة والملحدين عمرها الله



إيوان القبلة بمدرسة القاضي عبد الباسط «عن مساجد مصر»

وعلى بابي الجامع الشرقي والبحري مذكرتان تفيد تجديد مصاريعها:

المذكرة الأولى

جددت هذا الباب لجنة حفظ الآثار العربية في عصر السلطان حسين كامل أدام الله أيامه وذلك في سنة ١٣٣٤ هجرية

المذكرة الثانية

يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع جددت هذا الباب لجنة حفظ الآثار العربية في سنة ١٣٣٤ الهجرية

تجديد هذا الجامع

لم يطرأ على هذا الجامع ما يغير معالمه وأوضاعه، وذلك لمتانة بنائه، بيد أن جزءًا من أخشابه ومشكاواته فقدت على مر الأيام، ولما كان الخديو عباس باشا الأول يقطن في الدار التي تقابله في سنة (١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م)؛ رغب في تجديد هذا الجامع فجدد بعض مفردات منه.

ومنذ سنة (١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م) إلى سنة (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م) تجدد منه ما كان واهيًا من جدران إيواناته الأربعة ومنبره وصحنه وأبوابه وشبابيكه، وأحدثت به دورة مياه حديثة في الجهة القبلية، وبابها تجاه دار تنكز[1].

وفي شعبان سنة (١٣٥٩هـ/ أغسطس سنة ١٩٤٠م) تجدد درابزين السبيل والمكتب وقويت جدرانهما ونظم بلاطهما، وتم العمل فيهما في هذا التاريخ.

(١) تحولت إلى سراي الخرنفش لسكن عباس باشا في النصف الأول من القرن التاسع عشر ثم هدمت في الخمسينيات. (المراجع)

دار الضرائب المصرية

ويستفاد مما ذكره ابن إياس في تاريخه أن هذه المدرسة استخدمت في سنة (٩٠٧هـ/ ١٥٠١م) على عهد السلطان الأشرف قانصوه الغوري دارًا للضرائب، فكان يجلس فيها الأمير قيت الرجبي الأتابكي المعين مأمورًا للضرائب لمباشرة عمله فيها[2].

ترجمة المنشئ

ومنشئ هذا الأثر هو القاضي زين الدين عبد الباسط ابن خليل بن إبراهيم الدمشقي، ولد سنة (٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م)، ونشأ بدمشق في خدمة الحكومة، ثم قدم القاهرة في سنة (٨١٥هـ/ ١٤١٢م) بصحبة شيخ المحمودي، ولأول دخوله عين ناظرًا للخزانة السلطانية، إثر تولي شيخ المحمودي ملك مصر، وما برح كذلك طوال حكم المؤيد، وقد أدرك بعده من ملوك مصر الظاهر ططر، ثم الناصر محمد بن ططر، ثم الأشرف برسباي، ثم العزيز يوسف بن برسباي، ثم الظاهر جقمق، وفي عهده توفي في أواخر سنة (٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م).

وفي أثناء هذه المدة تقلب في عدة وظائف من ناظر الجيش إلى وزير، ثم أستادار، ولم يبدأ نجمه في الأفول إلا في عهد الظاهر جقمق، فقد صادره واستصفى أمواله، ثم نقله إلى مكة، ونقله منها إلى الشام، ثم ما لبث أن عفى عنه وأرسل في طلبه، فلما قدم أكرمه وعينه أمير عشرين، واستمر حتى مات[3]، ويؤثر عن المترجم أنه كان صاحب فضيلة، وله مآثر وخيرات وآثار، فمن آثاره ذلك الجامع الفخم، ثم الدار المواجهة له، وهي الدار التي كانت للأمير تنكز الناصري نائب

(٢) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ١٥.

(٣) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٥: ٥٥٢- ٥٥٤؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٧: ١٣٦-١٤٣؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٤: ٢٤-٢٧.

الشام[١]، ثم آلت إليه ومنه إلى آخرين، حتى امتلكها الخديو عباس باشا حلمي الأول، فجددها وأصلحها، وولد له فيها الأمير إبراهيم باشا إلهامي من زوجته الأميرة ماهوش قادن فسماها «الإلهامية»، وظل ساكنًا بها حتى انتقل إلى سراي الحلمية، فوهبها للسيد خليل البكري لقاء داره الأخرى التي كانت بالأزبكية في محل مبنى صندوق الدين[٢].

ومنها قيساريته التي كانت بالقاهرة بشارع الخراطين المعروف بالصنادقية[٣]، ثم سبيل وكتاب بحارة العلبية أو حارة العقادين الآن، ولا تزال آثارهما باقية لليوم.

وجدد في سنة (٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م) مدرسة فيروز الخازندار وملكها [انظر ترجمة مدرسة فيروز وسبيل وقيسارية القاضي عبد الباسط بهذا الكتاب][٤].

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٧٩.
(٢) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٣: ١٣٥-١٣٦.
(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٠٣.
(٤) فيروز بن عبد الله الطواشي الرومي: رأس نوبة الجمدارية في الدولة الناصرية فرج، كان خصيصًا عند الملك الناصر مقربًا للغاية ثم ولاه الناصر الخازندارية ونظر خانقاه سرياقوس، وكان يميل إلى دين وخير، توفي الأربعاء تاسع شهر رجب سنة أربع عشرة وثمانمائة ودفن بتربة الملك الظاهر برقوق بالصحراء، وكان قد شرع في بناء مدرسة بخط الغرابليين داخل باب زويلة من القاهرة، فلما دفن بحوش السلطان خلف قبر الملك الظاهر برقوق فأقر الملك الناصر فرج ما وقفه وقرره من المصارف على الفقهاء والأيتام وغيرهم، ثم أخذ المدرسة وأنعم بها على الأتابك دمرداش المحمدي، وأخذ آلات عمارة فيروز المذكور، فشرع دمرداش في بناء المدرسة قيسارية، فاستولى عليها عبد الباسط ابن خليل وعمرها قيسارية، انظر: ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٢: ٥٠١؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ١٧٥؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٣: ١٨٦؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٨: ٤١٤- ٤١٥؛ ابن تغري بردي، **الدليل الصافي**، مج. ٢: ٥٢٤.

ومنها تربته التي أنشأها بالصحراء، وقد بقيت هذه التربة إلى سنة (١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م)، حتى أعمل فيها معاول الهدم كما أعملوا في غيرها من آثار القرافة، وقد كانت تربة عظيمة، وفي مقابلها أنشأ الجمالي يوسف تربة له وأخرى لمليكه الأشرف إينال، وأنشأ في سنة (٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م) مدرسة أخرى بدمشق عاصمة البلاد الشامية، وقد دثرت وبيعت أنقاضها إلى الفريق نوري باشا العسكري، ثم بنى عليها أخيرًا دارًا ومسكنًا خيريًّا.

ويؤثر عن المنشيء أنه كان يحتفظ بقطعة من نعل حضرة الرسول ﷺ، فأخذها الظاهر جقمق حين صادره، وذكر الحافظ ابن حجر في شرحه على البخاري أن المذكور قام في عصر المؤيد شيخ بكسوة الكعبة المكرمة على نفقته، وذلك إثر امتناع الملك المذكور عن كسوتها لعجز ميزانية الدولة وقتئذ، وقد نزل بمدرسته هذه الشمس محمد بن الجزري عالم القراءات المعروف.

السبكي

وقد دفن بهذه المدرسة الشيخ أحمد بن خليل السبكي أحد علماء القاهرة في آخر القرن العاشر وأول الحادي عشر، ترجمه المحبي في خلاصة الأثر، والحموي في فوائد الارتحال، والأرميوني في وفيات القرن الحادي عشر، وقد جاء في الترجمة أنه كان إمامًا وخطيبًا بهذه المدرسة، وكانت وفاته في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة (١٠٣٢هـ/ ١٦٢٣م)، ومولده سنة (٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م)، ودفن بفسقية أحدثها في جوار الإيوان الغربي الصغير، والآن قبر الشيخ أحمد السبكي هذا اختفى عن الأنظار منذ ربع قرن، وكان موضعه بالتحديد في الرحبة التي تقابل باب دورة المياه مباشرة في مقابل الباب القبلي الذي يجاور الإيوان الغربي المذكور آنفًا[٥].

(٥) محمد أمين بن فضل الله المحبي، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، مج. ١ (د. م، د. ت): ١٨٥- ١٨٦.

جامع الأشرف برسباي (المدرسة الأشرفية)

أثر رقم ١٧٥ (سنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٣م)

هذا الجامع بشارع المعز لدين الله «سابقًا الأشرفية، الوارقين»[١]، أنشأه السلطان الملك الأشرف برسباي ملك مصر في (٨٢٦هـ/ ١٤٢٣م)، وكمل في (٨٢٧هـ/ ١٤٢٤م)[٢]، وجاء في كتاب وقفه أنه أنشأه على قطعة محتكرة محدودة بحدود أربع[٣]، القبلي أي الشرقي بعضه إلى باب شارع الوراقين «الأشرفية أولاً ثم المعز لدين الله»، وبعضه إلى التربيعة[٤]، وفيه الباب ومقعد من حقوق الوقف، والبحري «الغربي» إلى مسجد معلق وهو مسجد مسرور[٥]، وبحارة الأمراء «حارة شمس الدولة»[٦]، والشرقي أي البحري إلى الطريق المسلوك «شارع السكة الجديدة»[٧]، والغربي «القبلي» إلى التربيعة المذكورة.

(١) هو الشارع الذي يعرف حاليًّا بحارة الأشرفية، في الجهة الجنوبية الشرقية من مدرسة الأشرف برسباي، وكان يتفرع منه العديد من الحارات والشوارع ومنها حارة الأشرفية التي دمجت معه تحت هذا الاسم، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٣: ٣٢.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٣٤٨؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٤: ٢٦٤؛ عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**، مج. ١: ٢٢١- ٢٢٤.

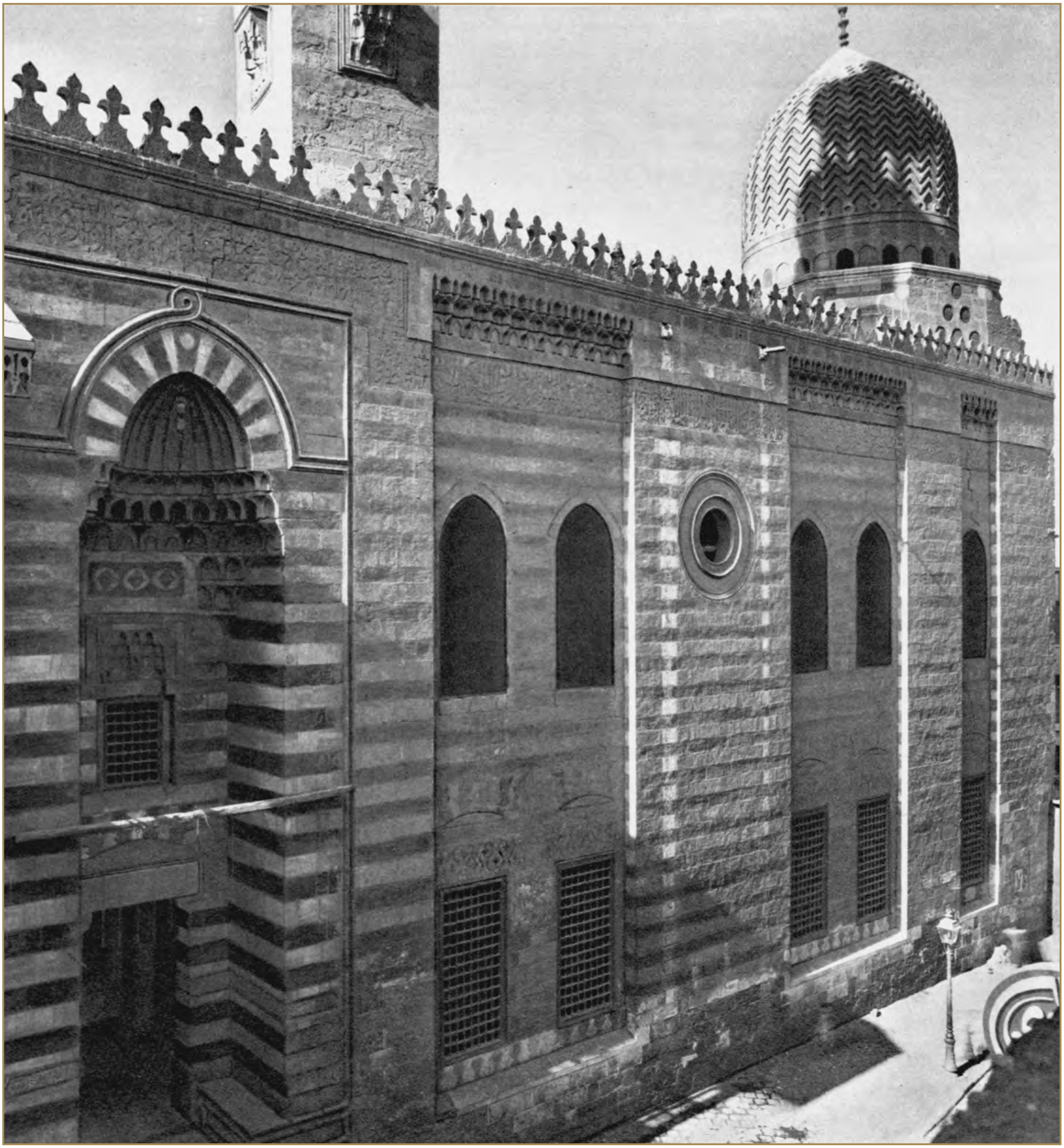
(٣) حجة وقف الأشرف برسباي الصادرة بتاريخ الثاني من رمضان سنة (٨٤٠هـ/ ١٤٣٧م)، محفوظة برقم٩٢، وهي الحجة الجامعة لما سبق من حجج أوقافه الأخرى. (المؤلف)

(٤) سمي بهذا الاسم نسبه للتركيبة التي بناها الأمير جاني بك دوادار السلطان برسباي الظاهري في عام (٨٢٨هـ/ ١٤٢٥م)، بدلاً من القيسارية التي وقفها القاضي الفاضل عبد الرحيم علي البيساني على ملء صهريج بدرب ملوخيا، وبعضها وقف للصالح طلائع بن رزيك، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢٩٥- ٢٩٦.

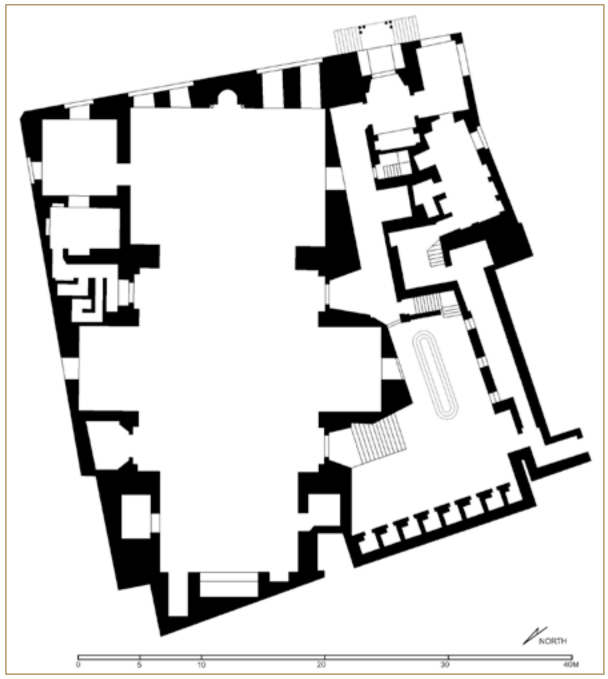
(٥) مسجد مسرور: هو المسجد أو المدرسة التي كانت في الأصل دار مسرور أحد أتباع وخدام صلاح الدين؛ حيث انقطع للعبادة في عهد الملك الكامل؛ حيث عمرت المدرسة بعد وفاته، وقد وصفها علي مبارك بأنها صارت زاوية متخربة برأس شمس الدولة قبل عطفة الجوهري، وعرفت بزاوية الغريب، انظر: المرجع السابق: ٣٠٤- ٣٠٥؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٣: ٣٢- ٣٣؛ المرجع السابق، مج. ٦: ١٥.

(٦) حارة الأمراء أو حارة شمس الدولة: هما مسمى لمكان واحد، وهو يعرف حاليًّا باسم حارة شمس الدولة بين السكة الجديدة والحمزاوي، وكان قديمًا يسمى حارة الأمراء أشراف الأقارب من العصر الفاطمي، وعرفت باسم شمس الدولة لوجود دار شمس الدولة توران شاه بن أيوب، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٣؛ ١٠٨-١٠٩.

(٧) السكة الجديدة: قامت الحكومة بتوسيع بعض الشوارع في هذه المنطقة؛ حيث عهد محمد علي لديوان المدارس بتوسيع أزقة وفتح شارع الموسكي وكوم الشيخ سلامة، وفي عام (١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧م) أزيل حمام السلطان وفتح شارع السكة الجديدة بالقرب من قنطرة الموسكي، وانقسمت حارة شمس الدولة من شارع الوراقين إلى قسمين، وهذا يعد امتدادًا لما قامت به الحملة الفرنسية غرب الخليج وشرقه، انظر: إسماعيل، **مدينة القاهرة**: ٩٤.



منظر عام لمدرسة الأشرف برسباي «عن لجنة حفظ الآثار العربية»



مسقط أفقي لمدرسة السلطان برسباي بالنحاسين «عن archnet»

والمدخل إلى هذا المسجد من بابه العمومي وهو باب شاهق واجهته مكسوة بالرخام الملون، ومصراعاه من النحاس المكفت ويجاوره جنوبًا سبيل ومكتب، وواجهة المسجد من الحجر وفي طرفها الشمالي قبة من الحجر المزخرف ظاهره بأشكال هندسية متوازية من نوع قباب أوائل القرن التاسع، ويتوسط الواجهة كوة كانت محلاً للساعة التي أودعها الملك الأشرف بهذه المدرسة لمعرفة الدرج والأوقات، وقد بقيت هذه الساعة حتى نقلها الفرنسيون إلى باريس في سنة (١٢١٦هـ/ ١٨٠١م)[١].

ويعلو الباب الكبير مئذنة ذات قاعدة مربعة وبدن أسطواني؛ بيد أن أعلى هذه المئذنة قد دثر وحل محله بناء آخر مغاير لأصله، ومن الباب المذكور نصل بعد اجتياز طرقة إلى صحن مكشوف، يحدق به أربعة إيوانات أكبرها الشرقي يقابله إيوان آخر غربي، ويمتاز الإيوان الشرقي عن الغربي ببناء واجهته بالرخام الملون وبسماوات سقفه ولو أنها حديثة، والمنبر والكرسي كلاهما من الخشب المشغول الملبس بقطع الصدف وبمواد أخرى، وبالإيوان الغربي والكرسي سدة بطوله وعرضه، وسماوات سقفه لا تزال باقية على عهدها من عصر إنشاء الجامع، ومثلها سماوات سقف السبيل، وقوام زخارفه الكتابية طراز به آيات الكرسي من سورة البقرة.

ويجاور الإيوان الشرقي باب القبة، وقد دفن فيها السلطان ولده الناصري محمد في سنة (٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م)[٢]، وابنته فاطمة المدعوة ستيتة؛ وعبدًا له يسمى جوهرًا؛ وزوجته خوند فاطمة بنت قجقا ماتت في جمادى الآخرة سنة (٨٢٧هـ/ ١٤٢٤م) وهي أم ولده المذكور[٣]، وتزوج بعدها خوند فاطمة بنت الملك الظاهر ططر، ومات عنها وعاشت هي حتى أدركت عصر الملك الأشرف قايتباي، وماتت سنة (٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، ودفنت بتربة أبيها بالإمام الليث[٤].

تجديد المسجد

وظهر من كلام السخاوي في الضوء اللامع أن مع الملك الأشرف قايتباي رسم في سنة (٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م) إلى الأمير يشبك الدوادار بتجديد المدرسة الأشرفية وإزالة الأخصاص والدكاكين التي تحجب واجهتها الشرقية[٥]، ومنذ ذلك الحين ظهرت واجهة هذه المدرسة الطبيعية،

(١) كان في مكانها خوذة الملك جانوس الذي أسره الأشرف برسباي بعد حملته على جزيرة قبرص حيث أمر بتعليقها في الموضع المذكور إلى أن أنزلتها الحملة الفرنسية، انظر: ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٣٢٦.

(٢) يذكر العسقلاني أن وفاته بالطاعون وقد ناهز الحلم، كانت في ٢٦ من جمادى الآخرة سنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)، ودفن بمدرسة أبيه، انظر: ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ٤٤٩.

(٣) المرجع السابق؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٢: ٩٩.

(٤) المرجع السابق: ٩٢.

(٥) المرجع السابق، مج. ٦: ٢١٠.

ومـــا برحت حتى طغــت عليها مرة أخــرى حجبتها عن الأنظار، ولم تبرحها حتى سنة (١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م)، وهي السنة التي جددت فيها هذه المدرســـة، ورمم مـــا كان واهيًا منها، ثم أعقبتها عمارات أخرى متعددة آخرها ســـنة (١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م)، تناولت القبة وتلتها عمارة أخرى في بيت الصلاة في الربيعين سنة (١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م).

المذكرات التاريخية

أهم المذكرات التاريخية الموجــودة بهذا الأثر مذكرة الواجهة في طراز يبتدأ بالبســـملة، ثم بأول سورة الفتح إلى ﴿عَزِيزًا﴾ [سورة الفتح/٣] وتنتهي بما نصه:

أنشأ هذه المدرسة المباركة سيدنا ومولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر برســـباي خلد الله ملكه بمحمد وآله يا رب العالمين وذلك بنظر العبد الفقـــير إلى الله تعالى عبد الباســـط ناظر الجيوش المنصورة غفر الله له وللمسلمين في مدة أولها شهر شعبان سنة ســـت وعشرين وثمان ومائة وآخرها سلخ جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وثمان مائة

وعلى جانبي الباب مذكرة خالية من التاريخ ونصها:

البسملة إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر إلى المهتدين أنشأ هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان سلطان الإسلام و المسلمين قاتل الكفرة والمشركـــين محيي العـــدل في العالمين قســـيم أمير المؤمنين خادم الحرمين الشريفـــين {المالك الملك الأشرف خلد الله ملكه}

مذكرة المنبر

أمر بإنشـــاء هـــذا المنبر المبـــارك ســـيدنا ومولانا السلطان الملك الأشرف عز نصره

مذكرة السبيل

أمر بإنشاء هذا المكان المبارك ابتغاء لوجه الله تعالى وطلبا لرضوانه الســـلطان المالـــك الملك الأشرف برسباي {خلد الله ملكه}

ويحيط بالإيوان الشرقي بالصحن طراز رقم به كتاب الوقف على هذه المدرســـة، وقد ذكرت فيـــه جميع الأعيان الموقوفـــة عليها بالقاهرة وظاهرهـــا بمواضع؛ منها: بالركن المخلق «شـــارع التمباكشـــية ورحبة العيد»، والدجاجين «شـــارع السروجية»، والصنادقية «شـــارع السكة الجديدة، جوهر القائد» وأمكنة بخط بركة الحاجب، وباب الشعرية، والخراطين «الصنادقية»، وقلعة الكبش، وقاعة الدهيشـــة بالأشرفية، وأمكنة بالصالحيـــة، ومنها بالوجهين البحري والقبلي أمكنة ومحلات بســـنديون والشوبك ومنية قرموط دقهلية وغيرها[1].

ويستفاد مما ذكره السخاوي في الضوء اللامع وما جاء في كتاب الوقف؛ أنه اشترى في ســـنة (٨٣٥هـ/ ١٤٣١م) دار

(١) هذه الأماكن طبقًا لما جاء في حجة الوقف هي: مكان بالوراقين، وخان تجاه المدرسة، ومكانين بجوار المدرسة السيفية، ومكان بخط باب الزهومة، وحانوت تجاه المدرسة الصالحية، وطبقة فوقه ومكان بجواره، ومكان بخط الخيامين، ومكان بخط الغرابليين، ومكان بخط باب الخرق، وقيسارية بالخط المذكور، ودار بخط زقاق حلب مطلة على بركة الفيل، ومكان تجاه ذلك، ومكان بخط التبانة، وآخر تجاه المدرسة الناصرية، وآخر بخط الرملة، وآخر بسويقة منعم، وبناء محكر تجاه الكبش، ونواحٍ أخرى أوردها علي مبارك، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٤: ٥٧؛ محمد عبد الستار عثمان، **الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباي بمدينة القاهرة** (رسالة ماجيستير، جامعة القاهرة.كليه الآثار، ١٩٧٧): ٨١-٨٦.

ألين آق الحسامي بباب الوزير وضمها إلى الوقف؛ كما اشترى أيضًا بستان الأمير خشقدم بباب اللوق وضمه إليه[١]، وهذا نص قراءتنا لها:

البسملة أمر بكتابة هذا السطر المبارك مولانا المقام الشريف السلطان الملك الأشرف برسباي خلد الله ملكه تذكرة لمن يلي نظر هذه المدرسة المباركة، واصانة للجهات الموقوفة عليها وعلى ذريته وغير ذلك، ما هو مخصص بالمدرسة، والمكان بالدجاجين، والمكان بالصنادقيين، والحمام ببركة الحاجب، ونصف الرحبة بالطاحون بباب الشعرية، والحاصل بالخراطين، ونصف الحوانيت والطباق والحوانيت برأس الوراقين وعلوها، والبناء بخط الكبش، وأراضي هنتنا، وربع سنديون بالمزاحمتين، ومائة فدان بجزيرة محمد، ومائة فدان ببشتيل، والخان والحوانيت وما هو في حقوقه بدمشق خارج باب الفرج، والقيسارية المستجدة بجواره، وأرض منية العز، وأرض بالشوبك بالجزيرة، وجكانيش بالغربية، والمشترك بين المدرسة والذرية، الحصص في القاعة والحمام وما مع ذلك بحلب والمصبغة، وسنديون بالقليوبية، ومنية قرموط بالدقهلية، والمكان بالقصاصين، والمكان المعروف بالدهيشة، والخان تجاه باب المدرسة وعلوه، وقصر سلار وما هو في حقوقه، وحانوت علوه، والحصة المجاورة له تجاه الصالحية، والحصة تجاه الصنادقية، والمكان بخط الخيمين، والقيسارية خارج باب زويلة تحت الربع، وما هو في حقوق ذلك، والمكان تجاه ....، والخان بسرياقوس، ومائة فدان بزتين وزكرى بالجيزة وشرشابه، ومنية خيار بالغربية، والقبائل بفرشوط، وأراضي برديس، ومائتا فدان بجنينة الأمراء، وواحد وعشرون سهمًا في ساقية أبي شعره بالمنوفية، وحصتان بجنينة أشنه، وربع شبره صدر بالشرقية، وجزيرتان بجنينة طناش، والبستان بقبليه من غوطة دمشق، والغيط بفم الخور، وما هو مختص بمصالح التربة، إنشاء مولانا المقام الشريف، خارج باب النصر وما معها الفندق والربع من أبي رجلان بالجيزية، ونصف منية عباد بالغربية، وثمن أبي رجوان على مصالح عين بازان بمكة المشرفة، والثمن على مصالح المارستان بمكة المشرفة، وما هو مخصص بالمقام الشريف خلد الله ملكه، وخوند والدته النصف والربع في خان الحجر، وما هو في حقوقه بخط باب الزهومة، وناحية الكريون بالبحيرة، حسبما تشهد بذلك كتب الأوقاف الثابتة، المحكوم بصحتها في الشرع الشريف المنفذة، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر ويعلم أنه إلى ربه الكريم صائر أن يغير ذلك، ولا شيئًا فيه، فمن بدله بعد ما علمه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم[٢].

ترجمة المنشئ

منشئ هذا الأثر هو السلطان الملك الأشرف أبو النصر برسباي الدقماقي الظاهري، أصله من مماليك دقماق الظاهري نائب حماة في عهد الملك الظاهر برقوق، ثم أعتقه وقدمه للسلطان فجعله مملوكًا له، ثم ما لبث أن

(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ١٠.

(٢) نص الوقفية الموجودة بالأثر في طراز الصحن. (المؤلف)

جنده، وما برح في خدمته حتى مات السلطان، فخدم عند ولده الناصر فرج، ولما آل ملك مصر إلى الملك المؤيد شيخ المحمودي، عينه نائبًا للسلطنة في طرابلس ثم أقاله، فبقي متقاعدًا حتى تولى الملك السلطان الظاهر ططر، فاستصحبه معه إلى القاهرة، وعينه دوادارًا كبيرًا، فبقي كذلك حتى مات الملك ططر وتولى بعده ابنه الملك الصالح ناصر الدين محمد بن ططر، فأقيم وصيًّا عليه ونائبًا عنه لصغر سنه إذ ذاك، إذ كان يبلغ من العمر إحدى عشرة سنة؛ ومن ذلك الحين يبدأ نجم برسباي يظهر ويأتيه الملك طواعية بعد تنازل الملك الشاب مباشرة، فيتولاه بإجماع الآراء بعد مضي ثلاثة أشهر ونصف من تولية الملك الصالح محمد، وذلك في ثامن ربيع الآخر من سنة (٨٢٥هـ/ ١٨٢١م).

ومنذ تولي برسباي الملك؛ أخذ ينظم شؤون المملكة الداخلية أولاً، فألغى الضرائب الفادحة وأبطل المكوس التي فرضها سلفه بمصر والشام، ورسم بإذاعة منشور الإلغاء كتابة على حوائط المساجد وجدران الأبواب، ويوجد على جدران بعض المساجد الأثرية في دمشق منشور من هذا النوع، وعثر المنقبون في مدينة بلبيس على روسم منقوش به منشور برفع المكوس مؤرخ بسنة (٨٤١هـ/ ١٤٣٧م).

ثم عهد بالتالي إلى إعداد مملكته من الوجهة الحربية والعسكرية، فزود الجيش بالعدد والآلات ونظم شؤون البلاد التابعة للمملكة، وكانت علاقات الملك الأشرف برسباي بملوك أوروبا علاقات ودية، فقد وصل إلى القاهرة في عهده وفدان أوربيان ووفد بابوي لأغراض تجارية وسياسية ودينية، فقوبل الجميع مقابلة حسنة، وفي عهده نشطت تجارة مصر مع أوروبا نشاطًا ظهر أثره سراعًا عقب توليته الملك، فكانت سفن الأسطول الإسلامي المصري تمخر عباب البحر الأبيض المتوسط، وحينما تحل تجد حسن الاستقبال رهبة من قوة مصر وسطوة مليكها[1].

فتح جزيرة قبرس

وقد عز على جزيرة قبرس أن تجد أسطولها منزويًا أمام هذا الأسطول القاهر فأقدمت على مغامرة جريئة بأمر مليكها جان لوسينيان عام (٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م)، فهاجم هذا الأسطول مدينة الإسكندرية ونهب رجاله الميناء وضربوا سفن الأسطول الإسلامي الرابض في الميناء ودخل عساكر الأسطول المدينة وعاثوا فيها وأفسدوا، فلم يجد الأشرف بدًّا من أن يقتص لهذه الإهانة الجريئة التي يجرمها القانون الدولي تجريمًا شنيعًا بمهاجمة قبرس بأسطوله، فجهز الأسطول بقيادته وسار به في رمضان من هذه السنة يقوده الأتابك تغري بردي المحمودي الناصري رأس نوبة النوب[2]، فسار قاصدًا جزيرة قبرس، وأخذ في مواصلة استعداده للحرب ضد هذا الملك الجبار، ومع أن الحالة قد سويت دبلوماسيًّا بواسطة سفارة سلمية أرسلها ملك هذه الجزيرة عقب هذا الاعتداء الفظيع، فعرضت على الملك دفع تعويض مقابل ما لحق بالأسطول المصري من الخسائر الفادحة وما نجم عن هذه الإهانة، مع هذه التسوية الدبلوماسية فإن الملك كان لا يزال مصممًا على غزو هذه الجزيرة والانتقام من هؤلاء القبارصة القرصان، فأمر أولاً بالقبض على الوفد وعلى السفير البابوي الذي جاء لهذا الغرض نفسه ولرد كنيسة القيامة بالقدس، ثم جهز الغزاة المجاهدين، فما أن وصل أسطوله أرض هذه الجزيرة

(١) عن ترجمة السلطان برسباي، انظر: المرجع السابق: ٩- ١٠؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٣: ٢٥٥-٢٧٧.

(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٢٩.

حتى حاصرها وضيق عليها الخنـاق من كل ناحية، وأخيرًا استولى عليها وفتحها وأسر مليكها المذكور، وعادت الحملة ظافرة في ركابها ملك أسـير، فدخلت القاهرة وفي صحبتها هذا الملك المقهور؛ وبعد أسـبوع من هـذه الحادثة اجتمع قناصل الدول الأوروبية في القاهرة وقرروا إرسال وفد منهم لمقابلة الملك الأشرف لإطـلاق سراح الملك جان، ودفعوا إليه متضامنين المبلـغ الذي طلبه منهم تعويضًا للحرب في مقابل إطلاق سراح الملـك البائس؛ ومن حينئذ خضعت جزيرة قبرس لحكم مصر وعين السـلطان حاكمًا عليها من أمراء مملكته، وفرض على حكومتها السابقة دفع الجزية سنويًّا مقابل المحافظة على كرسي مملكتها.

ومما تجدر الإشـارة إليه أن الحافظ السـخاوي ترجم لهذا الملك في الضوء اللامع وسـماه جينوس بن جاكم بن أنطون، وأفاد أنه تولى ملكًا على هذه الجزيرة سـنة (٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م) حتى في سـنة (٨٣٥هـ/ ١٤٣١م) وخلفه عليها ابنه جوان؛ وأشـار ابن إياس إلى أن الملك الأشرف أخذ خوذة هذا الملك بعد أسره وعلقها على باب مدرسته بالقاهرة[1].

وقـد كان لفتح هذه الجزيرة أكـبر الأثر في النفوس، فامتـدح الشـعراء السـلطان ولهجت الألسـنة بالثناء عليه؛وتعلق الشـعب بمحبته ونظم الزيـن الخراط أحد شعراء ذلك العصر قصيدة قدمها للسلطان مطلعها:

بشراك يا ملك الملوك الأشرف
بفتوح قبرس بالحسام المشرف

وقد كان من الطبيعي أن يحـدث هذا الابتهاج، إذ باسـتطاعة هذا الملك إثر هذا الاعتداء المفاجئ الاستيلاء على هذه الجزيرة الإسلامية، وبذلك تمكن من أن يعيدها مرة ثانية إلى حكـم المملكة المصرية بعـد غيابها عنها زمنًـا طويلاً، فقد كانت هذه الجزيرة في سـنة (١٤٥٠ ق.م) من مسـتعمرات مملكة مصر، فقد غزاهـا الملك تحتمس الثالث واستولى عليها حتى حين بعد حرب لم تدم طويلاً، كما تمكن من السيطرة على بحر إيجة والجزائر المحيطة به خلال هذه الحروب، وقد ظهـر أثر هذا الاحتلال في حجر تاريخي عثر عليه في سـنة (١٩٢٢م)، ووجـد مكتوبًا عليه باللغـة المصرية ما يقرر هذه الحقيقـة، وقد دامت الجزيرة بعد هذا الفتح في حكم المصريين زهاء مائة وعشرين عامًا، ثم انسلخت عنها حقبة حتى أخضعها الملك أمازيس أحد ملوك الأسرة الثامنة عشر لحكم مصر بعد حرب شعواء، ثم دخلت بعد ذلك تحت حكم قمبيز، ثم آلت إلى الفرس مرة وإلى اليونان مرة أخرى، وأخيرًا اسـتولت عليها الدولة البيزنطية الشرقية.

وقد ظلت تابعة لهذه الدولة حتى ظهر الإسلام، ففتحها معاوية في أيام عثمان في سنة (٢٨ من الهجرة) إذ جهز إليها أسـطولاً عظيمًا بقيادة عبد الله بن قيس، يشاركه عبد الله ابن أبي السرح بأسطول آخر يتألف من مائتي سفينة قام به من الإسكندرية، واشترك معهما عبادة بن الصامت، وأبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، وأبـو الدردار عويمر بن عامر، وشداد بن أوس، وقد بقي من أثر هذا الفتح الإسلامي المبارك لهذه الجزيرة قبر أم حرام بنت ملحان زوج الصحابي الجليل عبادة بن الصامت، وكانت إحدى النساء اللاتي اشتركن مع المجاهدين الأشاوس في غزو هذه الجزيرة، وقد استشهدت أثناء هذا الفتح إذ سـقطت عن جوادها بينما كانت تعدو بـه إلى الميدان لتنال شرف هذا الفتح بالجهاد، ولا يزال قبر

(١) المرجع السابق: ٨٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٤: ٢٨٧-٣٠٦؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ١٠٩، ١٤٣، ٣٢٦.

أم حـــرام بهذه الجزيرة على مقربة مـــن لارنكا وعليه قبة عثمانية، وتزوره سكان هذه الجزيرة وما يجاورها ويقدسونه ويعرفونه باسم قبر الســت، ويتبعه مسجد عثماني الطراز ترى مئذنته العثمانية الرشيقة للمشرف على هذه الجزيرة[١].

وإذ نشير إلى ذاك إلى أن حضرة النبي ﷺ بشر بفتح هذه الجزيرة وبموت أم حرام بنت ملحان المذكورة فيها في حديث صحيح، ومما يؤســف له أن الجزيرة بعد هذا الفتح الإسلامي عادت إلى البيزنطيين مرة أخرى فظلوا يحكمونها زهاء مائة وثلاثين عامًا؛ ثم ملكها الإيطاليـــون زمنًا، وبقيت تتقلب بينهم وبين ملوك مصر البحرية حتى فتحها الملك الأشرف برســباي المذكور، وقد أعقب هذا الفتح الأشرفي بعد حين لهذه الجزيرة الفتح العثماني، فقد أخضعها الســلطان سليم بن ســليمان العثماني لحكم الدولة العثمانية سنة (١٥٧٠م) فبقيت تحت حكم الدولة المذكورة حتى تنازل عنها السلطان عبد المجيد لدولة بريطانيا العظمى بمقتضى معاهدة عقدت بين الطرفين بــشروط مبينة، ومنذ ذلك الحين وهذه الجزيرة من مستعمرات الحكومة الإنكليزية، ويحكمها حاكم عام وهو الآن الجنرال وولي.

فتح مدينة آمد

وفي ســنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م) جهــز الملــك الأشرف برســباي حملة كبيرة من الجنود الشــامية والمصرية لغزو مدينة آمد ومحاربة ملكهــا عثمان قرا بقيادة الأمير تغري بردي النــاصري أتابك الجيوش المصريــة، فوصلها بجيش جرار واســتطاع أن يعود منها ظافرًا منصورًا، يبد أن أسفه كان شــديدًا إذ راح ضحيــة هذه المعركة أتابك جيوشــه الأمير تغري بردي المذكــور آنفًا، وقد أنزل الملك الأشرف بمليكها المذكور بلاء مســتطيرًا وأخذ خوذتــه وقدم بها إلى القاهرة وعلقها في صحن المدرســة الأشرفية كما فعل بتاج ملك جزيرة قــبرس؛ وبقيت هذه الخوذة إلى أن نقلها السلطان سليم إلى متحف الآثار بالآستانة، وقد دامت هذه الحرب ثلاث سنوات[٢]، استرد فيها الأشرف جملة بلاد من السواحل الشامية والأعمال الفراتية، ولما نال السلطان مناله من استرداد بعض البلاد الشــامية المغتصبة، واستطاع أن يثبت دعائم مملكته بالطرق المختلفة عمد إلى تجديد عقد المعاهدات والمحالفات الودية في نواحٍ تشــمل دول أوروبا، فعقــد محالفة مع الســلطان مراد خان ملك اليشــكري ســلطان بيزنطة الإسلامية، وما برح هذا السلطان في تمتع زائد وقد تنعمت مصر في أيامه تنعمًا زائدًا وحظت بقســط وافر من العلوم والمعارف والفنون، وأحدث في عصره جملة إصلاحات مختلفة النواحي.

(١) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١: ٨٥.

(٢) عن أخبار الحملة ليس أدق ممن رافقها وكان أحد الجنود فيها وهو ابن تغري بردي؛ حيث تعد هذه الحملة من أكثر الحملات المملوكية فشلاً حيث أنفق فيها الأشرف برسباي أموالاً طائلة، ولم يغنم منها شيئًا ذلك لأن مدينة آمد كانت محصنة بشدة لوجود خندق عميق حولها، وانتهت بعقد الصلح بين برسباي وحاكم آمد (قرايلك)الذي التزم بالخطبة باسم برسباي، وذلك بسعي بعض الأمراء والقضاة؛ حيث نقض ذلك العهد بعد عودة السلطان برسباي إلى مصر، وكان الجيش المملوكي قد حدث فيه اضطراب أثناء الحصار وأثناء العودة، وقد كانت هذه الحملة عام (٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م)، ولم تدم سوى شهور عكس ما ذكره حسن قاسم، فضلاً عن عدم أسر حاكم آمد وأخذ السلطان برسباي خوذته فذلك كله عارٍ من الصحة، انظر: المرجع السابق، مج. ١٥: ٢٠٦- ٢٢٦؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ١٤٨- ١٤٩.

فأكثر من إنشاء جملة منافع عامة كثيرة ملائمة فأنشأ هذه المدرسة، ثم تربة بالصحراء، ودارًا لابنته بصليبة ابن طولون، وجدد الدار البيسرية، وقصر بشتاك، وسراي أيتمش؛ وبنى لمملوكه الأمير جاني بك الأشرفي قبة في الصحراء، كملت في سنة (٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م)، وبنى قبة للشيخ حسن أيطمش الرفاعي الأحمدي، وجدد في سنة (٨٣١هـ/ ١٤٢٧م) خان مسرور بباب الزهومة[١]، وعمره و أصلحه وأسكن فيها أولاد الأمير جانبك الأشرفي، وجدد مسجد مسرور بباب الزهومة، وله بدمشق مسجد جامع بسويقة صاروجا، تجاه مسجد علي العنبري أنشأه في سنة (٨٤١هـ/ ١٤٣٧م)، وأنشأ لزوجته جلبان ابنة يشبك تتر الجركسية تربة في مقابل تربته إثر وفاتها في شوال سنة (٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م)، وكملت بعده، وهي أم ولده الملك العزيز عثمان [انظر تربة جلبان بنت الأشرفي يشبك][٢] .

وجدد المدرسة القاصدية بباب النصر، وملك القاعة السعيدية البيبرسية بالقاهرة وجددها وجدد باب مشهد ذي النون المصري بالقرافة وأوقف عليه أوقافًا[٣].

(١) هو خان مسرور الكبير الذي كان موقعه سجن الدرق أو خزانة الدرق، ومسرور أحد خدام صلاح الدين الأيوبي وكان له دار بدرب شمس الدولة، وكان من أهم فنادق القاهرة وهو مندثر حاليًا، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٠٤-٣٠٥.

(٢) خوند جلبان بنت يشبك ططر الجركسية: زوجة الأشرف برسباي الثانية وأم ولده يوسف، بعد وفاة زوجته خوند أم محمد، وكانت عاقلة حسنة التدبير توفيت في الثاني من شوال (٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م)، انظر: ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٤: ٢٧؛ السخاوي، الضوء اللامع، مج. ١٢: ١٧؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١: ٣٥٩.

(٣) تبقى منها قبة أحمد القاصد، أثر رقم ١٠، سنة (٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م).

جامع الأشرف بالخانكة

وأنشأ في سنة (٨٤١هـ/ ١٤٣٧م) وهي السنة التي توفي في آخرها بمنشأة سرياقوس المعروفة بالخانكة نسبة للخانقاه الناصرية مسجدًا جامعًا، ولا يزال من أثر هذا الجامع بقية كبيرة حتى اليوم، منها جوانبه الأربع ومسقطه وبابه ومئذنته المربعة الجميلة؛ وباب مسبوق عليه نقل إلى دار الآثار العربية لحفظه؛ وداخله يشتمل على أربعة أواوين متقابلة بينها صحن مكشوف ويتبعه مرافق وحقوق؛ منها ماجل ومزملة وقاعة ودار وضوء ونافورة وبير ماء ومصلى وحوض وسبيل ومقعد بسقفه محمول على أسطوانتين من الحجر الصوان ثم بستان، بيد أن هذه المرافق دثر غالبها اليوم.

وحدد كتاب وقف الأشرف هذا الجامع بحدود أربعة: الحد القبلي«الشرقي» إلى الطريق المسلوك بين ذلك وبين آدر تجري في ملك ملاكها تجاور مدرسة سودون من عبد الرحمن، والبحري «الغربي» إلى الخانقاه الناصرية، والشرقي «البحري» إلى الخان الأشرفي إنشاء الواقف، والغربي «القبلي» إلى بستان الواقف.

ولا يزال اسم الملك الأشرفي يقرؤ في مذكرة تاريخية تعلو أسكفة الباب وجوانبه، إحداهما في روسم ٣٦ × ٣٧ في العبارات التالية:

البسملة. آية الكرسي. صدق الله العظيم. وكان الفراغ من ذلك في مستهل جمادى الأولى. سنة إحدى وأربعين وثمانمائة من الهجرة النبوية
البسملة. صدق الله العظيم. أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك. سيدنا السلطان الملك الأشرف أبو النصر برسباي. {عز نصره}

وقد أدخل الملك الأشرف في هذا الجامع مفردات من آثار أخرى إسلامية أهمها الباب النحاسي المكفت الذي كان مركبًا على دار الأمير سنقر الطويل المنصوري المتوفى سنة (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م)، وهي الدار التي آلت إلى الأمير قوصون[١]، فضمها إلى دار سنجر الجمقدار وجعل منها دارًا له [انظر دار يشبك أو أقبردي][٢].

ويقرأ تاريخ إنشاء هذا الباب محفورًا عليه في عبارة هذا نصها:

أمر بإنشاء هذا الباب المبارك السعيد الجناب العالي. شمس الدين سنقر الطويل المنصوري لا زال السعد له خادمًا. سنة ثمان وتسعين وستمائة

ويلفت النظر في هذا الباب زخارفه التي تحليها نقوش تمثل صور بعض الحيوانات الأليفة والجوارح، وقد أصاب هذا الباب بعض العطب فأصلح في سنة (١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م) إصلاحًا ملائمًا[٣].

وتدل البقايا المخلفة من آثار هذا الجامع المحفوظة بدار الآثار العربية؛ أن الأمير جان بلاط الأشرفي الملقب بالموتر أحد أمراء الملك الأشرف قايتباي[٤]، أحدث بهذا المسجد بعض الإصلاحات والتجديد، فقد عثر الباحثون فيه على قطع نحاسية مكفتة كانت مركبة على أحد أبوابه، ووجد مكتوبًا فيها ما نصه:

مما عمل برسم المقر الأشرف الكريم العالي المولوي الأميري الكبيري المالكي المخدومي السيفي جان بلاط أبو قوسين أحد المقدمين الألوف بالديار المصرية الملكي الأشرفي عز أنصاره

كما تحتفظ الدار بمجموعة من أخشابه وأبوابه والبعض من بقاياه.

وفاة الملك الأشرف

مات الملك الأشرف بعد مضى ثلاثة عشر يومًا من ذي الحجة سنة (٨٤١هـ/ ١٤٣٧م)، ولم يمت حتى بايع ولده العزيز يوسف بالملك قبل وفاته بشهر، واحتفل بجنازته ثم دفن بتربته بالصحراء[٥].

وتولى بعده ولده المذكور وعمره أربعة عشر سنة؛ فأقيم عليه وصيًا الأمير جقمق العلائي أتابك الجيش المصري، وهو الذي تولى الملك بعده وتلقب بالملك الظاهر وكني بأبي سعيد محمد جقمق العلائي، ترجمه السخاوي في الضوء اللامع، والعيني في عقود الجمان، والمقريزي في العقود الفريدة وأفرد بالترجمة استقلالاً من مؤرخين معاصرين له[٦].

(١) لم يضم الأمير قوصون الساقي دار علم الدين سنجر الجمقدار لممتلكاته نهائيًا؛ حيث إنها صارت لخالد بن الزراد، ثم صارت ملك ديوان السلطان حسن، ثم اشتراها سودون الشيخون نائب السلطنة، وكانت هذه الدار تنتقل من ملكية شخص إلى آخر حتى صارت في يد الشيخ زين الدين أبي بكر الضمني، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٧٦.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢٣٥- ٢٣٨، هامش ٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ١٠٠، هامش ١، ١١٠- ١١١، هامش ٤، ١٢١؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٢: ٣١٥؛ مج. ١٠: ٢٧٣؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٣٠٤، ٣٢٦.

(٣) نقل هذا الباب في زمن متأخر إلى مسجد تتر بدرب قراصيا ثم نقل إلى متحف الفن الإسلامي لحفظه. (المؤلف)

(٤) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٦٢- ٦٣.

(٥) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ١٨٧- ١٨٨.

(٦) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٤: ٢٣٤- ٢٣٥؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٧٢؛ محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **التبر المسبوك في ذيل السلوك**، مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور، تحقيق لبيبة إبراهيم مصطفى، ونجوى مصطفى كامل، مج. ١ (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٢- ٢٠٠٥): ٢٤٦- ٢٤٧، ٢٥٠؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٢٤٨- ٢٤٩.

جامع حسن بن سويد (المدرسة السويدية)

أثر رقم ٢١٨ (سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م)

هذا الجامع[(١)] بشارع السويدي (فندق الكارم سابقًا) بالفسطاط،أنشأه بدر حسن بن سويد المصري في المحرم سنة (٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م)، برسم مدرسة للشافعية ومات قبل إكمالها فأتمها ورثته، ذكره الحافظ ابن حجر في الإنباء، والسخاوي في الضوء اللامع، وأهمله المقريزي.

وصف المسجد

هذا الجامع محصور بين رقم١٥ و١٧ من نفس الشارع، وليس له إلا واجهة واحدة وهي من الحجر النحيت، يجاورها سبيل يعلوه مكتب، والمدخل إليه من الباب العمومي، وهو باب شاهق بأعلاه مقرنص بديع الشكل ثم باب آخر، وبين البابين مئذنة حجرية، وداخله يشتمل على صفين من الأقواس تحملها ست أسطوانات مختلفة الأحجام والأشكال، وفي الجهة البحرية تربة المنشئ وبداخلها ضريح يعرف بين العامة بسيدي حسن السويدي.

وقد جددت واجهة هذا الجامع وبعض مفرداته في أوائل هذا القرن، ثم أعيد تجديده في سنة (١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م)، ولهذا الجامع قصة أوردها السخاوي في التبر المسبوك في حوادث سنة (٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، خلاصتها أن المنشئ أوصى قبيل موته بإتمام هذه المدرسة وترك لموصيه أربعة آلاف دينار أي قرابة ١٩٠٠ جنيه مصري، واشترط في وصيته أن تجعل مدرسة كإرادته وأن يتولى النظر عليها أكبر أولاده المدعو وجيه الدين عبد الرحمن، فلما مات نفذت الوصية حسب شرط الواقف؛ومضى على تنفيذها زهاء ١٦ عامًا؛ فعمد الناظر إلى تغير شرط الواقف الذي يقضي بجعل هذه المدرسة وقفًا على الدرس، فحولها إلى مسجد جامع، وأحدث بها منبرًا للخطبة، وغير مدرسيها بأئمة وخطباء وأبطل منها الدروس، ولكي يحقق هذه الفكرة التي جالت بخاطره استصدر فتيا من مفتي الحنفية القاضي بدر الدين محمود العيني، فحكم له بموجبه وأثبت الإذن بذلك، فأحدث بها المنبر ودكة مقرئ، فاستمر الحال على ذلك حتى مات وجيه الدين عبد الرحمن، وتولى النظر على الجامع ولده فتح الدين، فحصل بينه وبين أخيه أحمد نزاع في شأن النظر على هذه المدرسة، وقد أدى هذا النزاع أخيرًا إلى تحويلها مدرسة كأول عهدها مرة ثانية بإقرار من المفتي نفسه، وهكذا كانت قصة هذا الجامع الأولى من نوعها[(٢)].

(١) الجامع مسجل أثر برقم٣١٨ وليس ٢١٨.

(٢) السخاوي، **التبر المسبوك**، مج. ١: ٤٦– ٤٨.

ثم تحول بعد ذلك إلى محكمة من ١٥ من رجب سنة (٩٣٤هـ/ ١٥٢٧م)، إلى ٢٦ من شعبان سنة (١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م)، ثم ألغيت[١].

المنشئ

ومنشئ هذا الجامع هو بدر الدين حسن بن سويد المصري، منسوب إلى سوق شنودة، كان مسيحيًّا كأبيه، فأسلم وعانى طلب العلم على مذهب إمام دار الهجرة مع اشتغاله بالتجارة، وصاهر الهوريني في ابنته ورزق منها أولاده، مات في أوائل صفر سنة (٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م)، ودفن بمدرسته، ترجمه السخاوي في الضوء اللامع[٢]، وترجم لابنه النائب وجيه الدين عبد الرحمن بن سويد فقال: «إنه توفي سنة (٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م)، ودفن بمدرستهم»[٣].

وترجم ابن تغري بردي لولد عبد الرحمن هذا؛ المدعو فتح الدين محمدًا وأرخ وفاته في سنة (٨٧٣هـ/ ١٤٩٨م)[٤]، كما ترجم السخاوي لولد الأخير المدعو محمدًا، بيد أنه لم يؤرخ وفاته لبقائه حيًّا إلى سنة (٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م).[٥]

(١) يذكر علي مبارك أن الجامع له ٥ دكاكين ومنزل موثقين عليه، يتحصل منهم على ١٦١ قرشًا شهريًّا، وأن له مرتب في الروزنامة في السنة ١٧٠ قرشًا، وكان في زمنه شعائره مقامة، بنظر الشيخ أحمد نصار، ولكنه قال إن الشائع أنه من إنشاء أحمد بن طولون وهذا خطأ، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ٢١.

(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ١٠١.

(٣) المرجع السابق، مج. ٤: ٧٣-٧٤.

(٤) المرجع السابق، مج. ٧: ٢٨٧-٢٨٨.

(٥) المرجع السابق، مج. ٩: ٩٠-٩١.

جامع فيروز الساقي

أثر رقم ١٩٢ (سنة ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م)

هذا الجامع بشارع المنجلة[١] «رحبة ابن علكان، ثم خط الشيخ حبيب سابقًا»[٢]، أنشأه الأمير فيروز الساقي في سنة (٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م) برسم مدرسة، وهو غير مقام الشعائر لتخرب داخله[٣]، والمدخل إليه من باب تعلوه مذكرة تاريخية نصها:

أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة الجناب الزيني (١)
فيروز ساقي الخاص الشريف الملكي الأشرفي بتاريخ
سنة ثلاثين وثمان مائة

ويجاوره شمالاً قبة متوسطة الحجم ظاهرها مضلع وهي من الطوب المطلي بالجص، يجاورها مئذنة من الطوب من نوع المآذن الجصية المستديرة وهما أظهر شيء فيه، ويلفت النظر في هذا الأثر واجهته العمومية التي بنيت على غير المألوف في مباني هذا العصر.

منشئ المسجد

ومنشئ هذا المسجد هو فيروز الرومي الساقي الجركسي ترقى بعد سيده جركس القاسمي المصارع، إلى أن صار ساقيًا في أواخر أيام الناصر فرج ثم في الأيام المؤيدية، ودام إلى الأيام الأشرفية، فلما تسلطن الظاهر استقر به زمامًا وخازندارًا، ولم يلبث أن عزله، مات في شعبان سنة ثمان وأربعين وثمانمائة، ودفن بمدرسته التي أنشأها بالقرب من داره عند سوق القرب «سكة النبوية»، داخل باب سعادة بالقرب من حارة الوزيرية[٤].

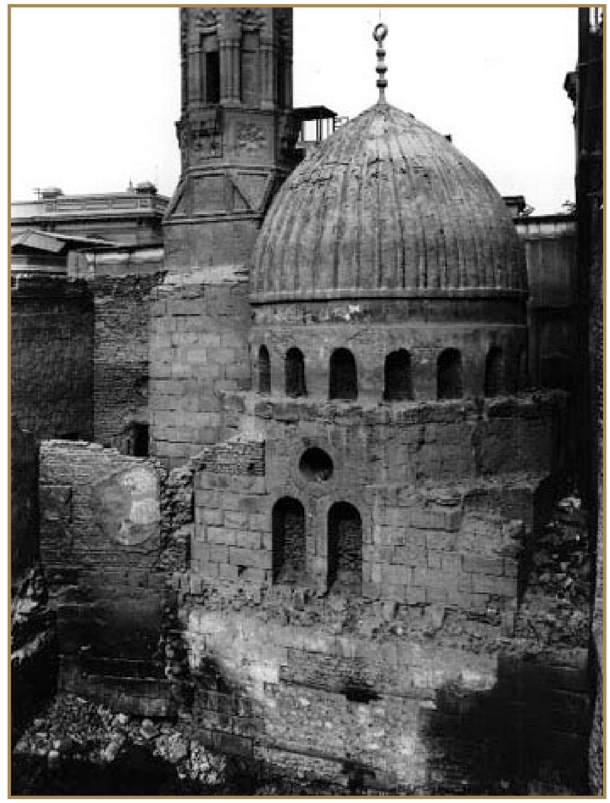
وذكر في ترجمة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عثمان الخراشي المعروف بالخطيب، وبأبي الفضل الوزيري

(١) شارع المنجلة: يبدأ هذا الشارع من نهاية شارع الجودرية، وينتهي عند شارع درب سعادة، وهو الآن حارة المنجلة وهي تشتهر بصناعه الأخشاب حاليًا، وكانت تعرف قديمًا برحبة ابن علكان، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٣: ٤٤.

(٢) رحبة ابن علكان: كانت هذه الرحبة من جملة الجودرية، وسميت بهذا الاسم نسبة للأمير شجاع الدين عثمان بن علكان الكردي، ثم عرفت برحبة الأمير علم الدين سنجر الصيرفي الصالحي، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٦٥-١٦٦.

(٣) خضعت زاوية فيروز الساقي للعديد من عمليات الترميم بعد ذلك، انظر: لجنة حفظ الآثار العربية، **المجموعة السادسة من محاضر لجنة حفظ الآثار القديمة العربية عن سنة ١٨٨٩ إفرنجية يليها تقارير القومسيون الثاني في السنة المذكورة** (القاهرة، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، ١٨٩١): ٧٥؛ لجنة حفظ الآثار العربية، **المجموعة الثامنة من محاضر لجنة حفظ الآثار القديمة العربية وتقارير القومسيون الثاني عن سنة ١٨٩١ إفرنجية** (القاهرة: المطبعة الأميرية الكبرى ببولاق، ١٨٩٢) : ٣٢.

(٤) عن ترجمة فيروز الساقي، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ١٧٦.



قبة جامع فيروز الساقي «عن كريسويل»

المتوفى سنة (٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م) أنه تولى مشيخة صوفيتها[١]، وأبو الفضل الوزيري هذا مدفون في تربة الأمير حسام الدين طرانطاي بسوق الرقيق [انظر قبة طرانطاي وجامع أبي الفضل][٢].

(١) المرجع السابق: ٢٦٠.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥٤٨؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ٣٨٤، هامش ٤؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ١٣-١٤.

جامع جانبك الدوادار (المدرسة الجانبكية)

أثر رقم ١١٩ (سنة ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م)

هذا الجامع بشارع المغربلين «القماحين، الغرابليين سابقًا»[٣] خارج باب زويلة، أنشاه الأمير جاني بك الأشرفي في سنة (٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م) برسم مدرسة جامعة ومسجد للصلاة عرفت بالمدرسة الجانبكية[٤].

وصف المسجد

وهو جامع فخم المدخل إليه من بابه العمومي وهو باب شاهق واجهته محلاة بقطع الرخام الملون، وفي جانبه مربعان بالخط الكوفي، ومنه بعد اجتياز طرقه إلى صحن فسيح يحدق به أربعة إيوانات قائمة على النظام المدرسي، وفي طرف الإيوان الغربي إلى الجنوب باب نصل منه إلى قبة المنشئ، وهي قبة فاخرة من الحجر المزخرف من ظاهره بخطوط وأشكال متزاوية على مثال قباب القرن التاسع؛ وقوام زخرفتها الكتابية طراز يحيط بها ملء بآية الكرسي من سورة البقرة، وداخلها ليس فيه ما يلفت النظر بصورة ظاهرة، وبقي القبر الذي يتوسطها خاليًا من الدفن بعد نقل المنشئ منها حتى اليوم، ولذا لم يميز بعلامة ظاهرة، ويجاور الجامع من الناحية القبلية باب داخله متخرب يجاوره حوض وسبيل يستخدمان لغرض آخر.

والمتأمل في حالة هذا الجامع الداخلية يجد أنه أصيب بعطب كبير أوجب إحداث تغييرات في مجنباته وفي مدخله وفي سقفه وإيواناته وفي صحنه وأرضيته، والمئذنة التي تقوم على يمين الباب من نوع المآذن العادية مبنية بالطوب المجصص، أما الواجهة العمومية للمسجد بنوافذها العلوية والسفلية بما فيها الباب العمومي وباب دار الوضوء والقبة ومسقط الجامع ومجنباته عدا سقوفها؛ كل ذلك قائم متماسك من الوقت الذي يبدأ فيه المسجد يظهر للناس، بالرغم من ترميم الكثير من أجزائه في أوقات آخرها سنة (١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م)[٥]، وأعقبتها أعمال تقوية في سنة (١٣٤٠هـ/

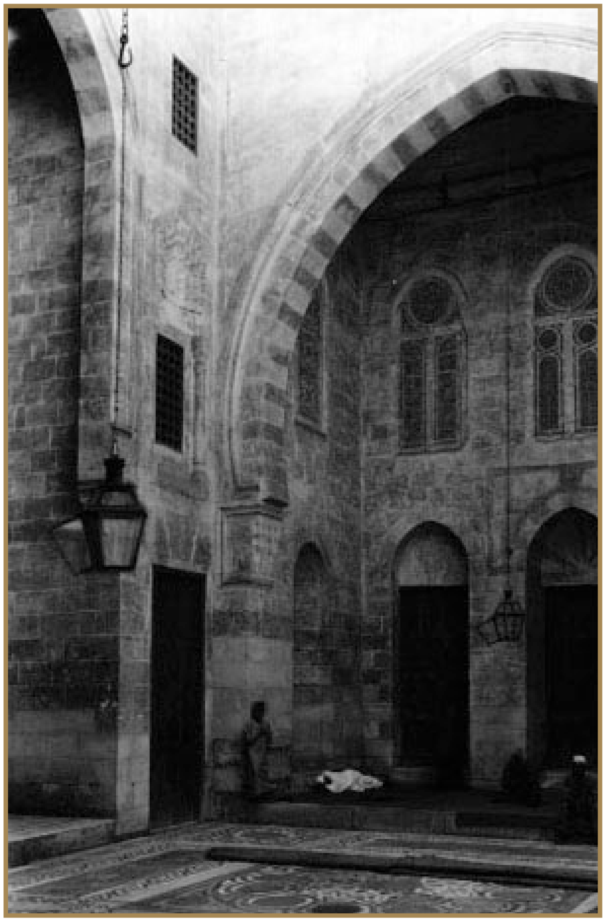
(٣) المغربلين: يقع في قلب الدرب الأحمر يبدأ بقصبة رضوان وينتهي بشارع محمد علي.

(٤) المدرسة الجانبكية: هي المعروفة بجامع الجانبكية بخط القربيين خارج باب زويلة المعروف بشارع المغربلين؛ مسجلة باللجنة رقم (١١٩)، وقد عرفت العطفة الموجودة بجوار جامع جاني بك بنفس الاسم (عطفه الجنبكية) والتي تؤدي بدورها إلى زقاق المسك، ومنطقة سوق السلاح، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج.٣: ٥٥؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٤: ٣٠٩؛ السخاوي، **تحفة الأحباب**: ١٠٦؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ١٣٤.

(٥) عن أعمال لجنة حفظ الآثار العربية، انظر: لجنة حفظ الآثار العربية، **كراسات لجنة حفظ الآثار القديمة العربية عن سنة ١٩٠٨ إفرنجية** (د.م، د.ت): ٥٩.



منظر عام لجامع جانبك الدوادار «عن كريسويل»



إيوان الصلاة بجامع جانبك الدوادار «عن كريسويل»

١٩٢١م)، وأعمـــال تجديد وترميم في رجب ســـنة (١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م).

المذكرات التاريخية

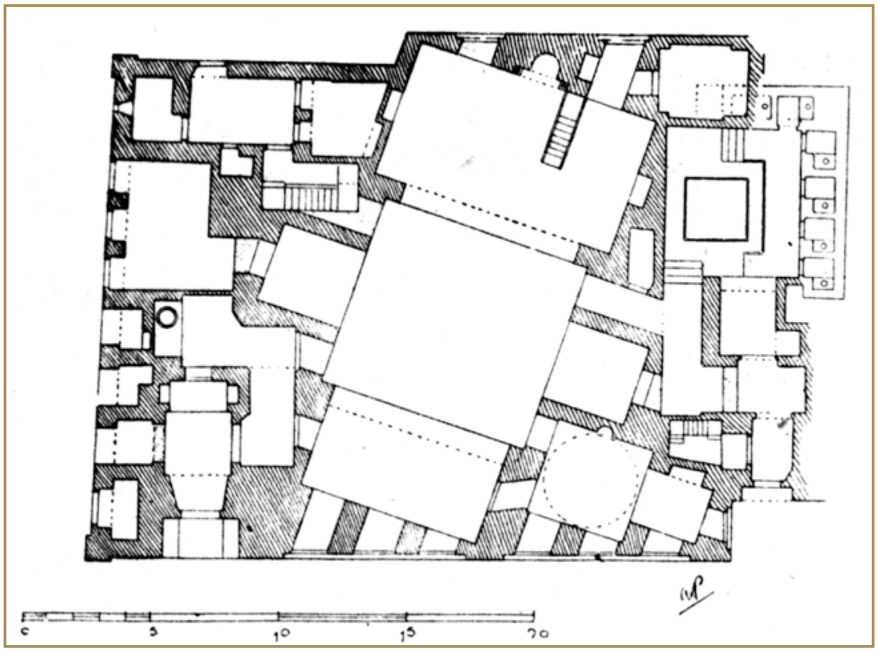
وليس بهذا المســـجد من النصـــوص التاريخية غير المذكـــرة التي على جانبي الباب في أرضيـــة من رخام أبيض يحيط بها إطار من قطع الرخام الأسود ونصها:

البســملة. إن الذين قالوا ربنا الله ثم اســتقاموا- إلى- توعدون. أمر بإنشـــاء هذا الجامع المبارك المقر الأشرف السيفي. جانبك الدوادار الأشرفي عز نصره بتاريخ شهور. (سنة ثلاثين وثمان مائة)

ويلفـــت النظر في واجهة المســـجد تلـــك المربعات الكوفية الجميلة وعددها ١٤ لوحة منقوشـــة بآيات قرآنية، ولفظ الجلالة والصمدية، ودعوات للمنشئ.

ترجمة المنشئ

ومنشـــئ هذا الأثـــر كان من أمـــراء الملك الأشرف برســـباي آل إليه بطريق الشراء فرباه حتى كبر، وفي ســـنة (٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م) أنعم عليه برتبة أمير طبلخانه، ثم اســـتقر



مسقط أفقي لجامع جانبك الدوادار «عن فييت»

به دوادارًا كبــيرًا؛ بيد أنه لم يمكــث طويلاً؛ حتى فوجئ بالموت، فمــات في ربيع الأول ســنة (٨٣١هـ/ ١٤٢٧م) وقد بلغ الخامســة والعشرين من عمره، فدفن بقبة مدرسته إلى أول سنة (٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م)، ثم نقل منها إلى قبة أخرى بناها له السلطان المذكور بالصحراء شــمالي التربة الأشرفية(١)، ولا تزال هذه القبة باقية لهذا اليوم معروفة باسم جاني بك الأشرفي (انظر مزارات وآثار الصحراء)(٢).

ترجمه الســخاوي في الضوء اللامع ويوسف بن تغري بــردي في المنهل الصــافي، وظهر من كلام الســخاوي أن جانبك مات ولم يكمل بناء مدرســته بيد أن ما كان باقيًا منها كان عملاً طفيفًا قام بعمله الســلطان بعده، وعمل بها درسًا للتصوف عين لمشــيخته الشيخ أحمد بن رجب أحد من جمع بين العلم والإمارة مات سنة (٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م)، ثم أخذ الســلطان أهله وأولاده وأسكنهم خان مسرور بباب الزهومة؛ وقد جدده لهم وأنشــأه إنشــاءً آخر (انظر مسجد وخان مسرور بسوق باب الزهومة)(٣).

(١) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٥: ١٤٨؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٤: ٢٣٤.

(٢) للمزيد من التفاصيل المعمارية والأثرية بمدرسة جاني بك الأشرفي، انظر: عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**، مج. ١: ٢١٨- ٢٢٠.

(٣) جانبك الأشرفي برسباي: هو من مشتروات الأشرف برسباي، اشتراه صغيرًا فرقاه إلى أن أمره طبلخاناه سنة (٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م)، وأرسله إلى الشام لتقليد النواب، وتقرر أولاً خازندارًا ثم دويدارًا ثانيًا بعد سفر قرقماس إلى الحجاز، وشرع في عمارة المدرسة التي بالشارع عند القربيين خارج باب زويلة، وابتدأ به مرضه بالمغص؛ ثم انتقل إلى القولنج وواظبه الأطباء بالأدوية، ثم اشتد به الأمر فعاده سائر أهل الدولة بعد الخدمة السلطانية، فحجبوا دونه، فلما بلغ السلطان نزل إليه العصر فعاده، واغتم له وأمر بنقله إلى القلعة، إلى أن تماثل ونزل لداره فانتكس أيضًا، وتمادى به الأمر حتى مات في سنة (٨٣١هـ/ ١٤٢٧م)، عن خمس وعشرين عامًا، ثم دفن بمدرسته، انظر: ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ٤٠٨؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٥٤- ٥٥؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٥: ١٤٨.

جامع القاضي أمين الدين العمري

أثر رقم ٤٢٦ (سنة ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م)

هذا الجامع بشارع العمري «سويقة عصفور سابقًا»، أنشأه القاضي أمين الدين بن محمد بن محمد بن عبادة بن عبد الغني بن منصور العمري الحراني أحد قضاة الحنابلة في القاهرة، وناظر الخاص في عهد الملك المؤيد شيخ وخلفه، وبدأ بإنشائه في سنة (٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م) وتم في السنة التالية، ذكره المقريزي في عبارة مختصرة[١]، ووضعه في هذه المنطقة في جوار زاوية الشيخ محمد بن أبي الحسن الفارقاني السعودي «وهي الزاوية المعروفة بمسجد الفارقاني» بعطفة الفارقاني رقم٧ [٢].

وصف المسجد

والمدخل إلى هذا المسجد من بابين أحدهما غربي، وداخله عبارة عن غرفة، وفي جانبها الشرقي غرفة بها ضريح المنشئ يعرف بسيدي العمري، وتعلو الواجهة القبلية مئذنة أعلاها مفقود وبها أثر تصليح حديث، وهي من طراز مآذن أواسط القرن التاسع؛ وأقربها إلى هذه المئذنة جامع المؤيد شيخ (٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م)، وما عاصرها من هذا النوع.

ترجمة المنشئ

ينحدر منشئ هذا الأثر من أسرة ينتهي نسبها إلى عمر الأشرف بن علي زين العابدين، ومنه في الأمير محمد الحراني العابد وقد مدحه أبو العلاء بقصيدة مذكورة في شعره؛ وهذه الأسرة قديمة السكن ببادية حران، ثم انتقل بعضهم إلى دمشق، فظهر منهم هذا الفرع وقد نبغ منهم أفراد كثيرة تولى غالبهم القضاء بدمشق ومصر وغيرها؛ وقد ترجم السخاوي لجماعة من أقارب القاضي أمين الدين هذا كأبيه وأخيه وغيرهما؛ وأفدنا أن مولده في سنة (٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م)؛ ويستفاد مما ذكره المقريزي أنه تولى نظر الخاص للسلطان الملك المؤيد شيخ وخلفه[٣].

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٣٥٦.

(٢) يقع هذا الأثر في درب العمري المتفرع من شارع بورسعيد بالقرب من ميدان باب الخلق، والمسجل منه حاليًا المنارة، المعروفة بمنارة علي العمري، وجددت هذه المنارة في نهاية القرن (١٠هـ/١٦م).

(٣) المرجع السابق.

جامع جوهر اللالا

أثر رقم ١٣٩ (سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)

هذا الجامع بدرب اللبانة[١] «سابقًا خط المصنع الظاهري»[٢]، وهو جامع صغير الحجم يقوم على قطعة أرض مرتفعة عن منسوب الشارع بدرجات، أنشأه الأمير جوهر اللالا الزمام في سنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م) برسم مدرسة[٣]، وهذا الجامع لم يذكره المقريزي رغم أنه أدركه، والمدخل إليه من باب يعلو عن الأرض بدرجات يجاوره سبيل فوقه مكتب تحمله أسطوانة، يقابله يسارًا مئذنة بأعلى الواجهة ومن الباب نصل إلى دركاه بعد اجتياز عتبة فصفة مؤزرة مكسوة بقطع الرخام الملون وعلى يمين المجتاز من الدركاه مزيرة مغطاة بشبكة من الخشب الخرط، ومنها إلى باب ثم إلى صحن مغطى بشبكة ذات سماوات مطعمة بالسن والصدف، ويكتنف الصحن أربع أواوين مدراسية أكبرها الشرقي وبه المنبر وهو من الخشب الخرط وبعضه مطعم بالسن؛ وبه أثر تصليح حديث، ويجاور المنبر محراب دقيق ملون وفي طرفي الوجهة الشرقية من الإيوان شرفتان تعلوهما طاقتان قد زخرفتا بالزجاج الملون المضيء والجص.

وعلى يمين المنبر دولاب مغطى بباب من الخشب الخرط؛ وعلى يساره شباك من حديد يطل على الدركاه؛وبالإيوان الغربي في سدة تبليغ ودولابان؛ وبأعلاهما مساكن؛ وفي طرفي الإيوان القبلي بابان أحدهما يؤدي إلى دار الوضوء؛ والثاني إلى قبة المنشئ، وهي قبة صغيرة حلت محل قبة أخرى حجرية كانت أحكم منها وأدق صنعًا وأفخم منظرًا؛ وبها محراب صغير من الحجر؛ وفي اتجاهه تركيبة من الحجر خالية من الزخارف وحوائط المسجد القبلية جميعها مؤزرة من الرخام الملون؛ يعلوها أفاريز مزخرفة بكتابة كوفية ونقوش؛ ولسقفه سماوات وروعي فيها دقة التنميق وجمال الزخرفة الذهبية لحد كبير.

والجامع في مجموعه من أنفس الآثار الجميلة التي ظهرت في هذا العصر كمدرسة روعي فيها إلى حد كبير النظام الدراسي البديع، وهو إن كان له نظير في مساجد أخرى إلا أن هذا الوضع الذي يلاحظ فيه مع صغره هذا أكسبه منظرًا رائعًا جميلاً يسترعي الانتباه، ويلفت النظر بشرفاته وزخارفه وصحنه وبلاطه ومجموع مفرداته.

---

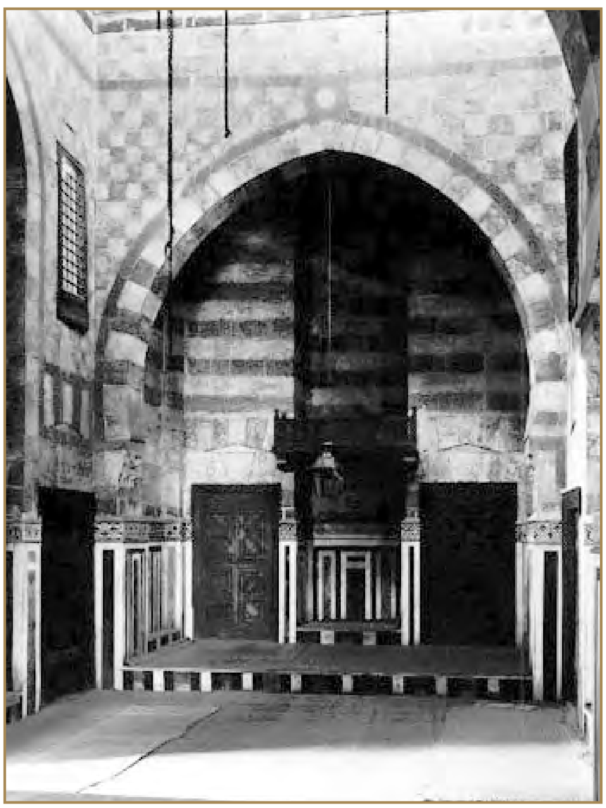
(١) درب اللبانة: يحتوي على العديد من الآثار الإسلامية من مختلف العصور مثل منزل علي لبيب، ومدرسة قاني باي الرماح، وتكية تقي الدين البسطامي، ومدرسة جوهر اللالا، ويتفرع منه العديد من الحارات منها درب المصنع.

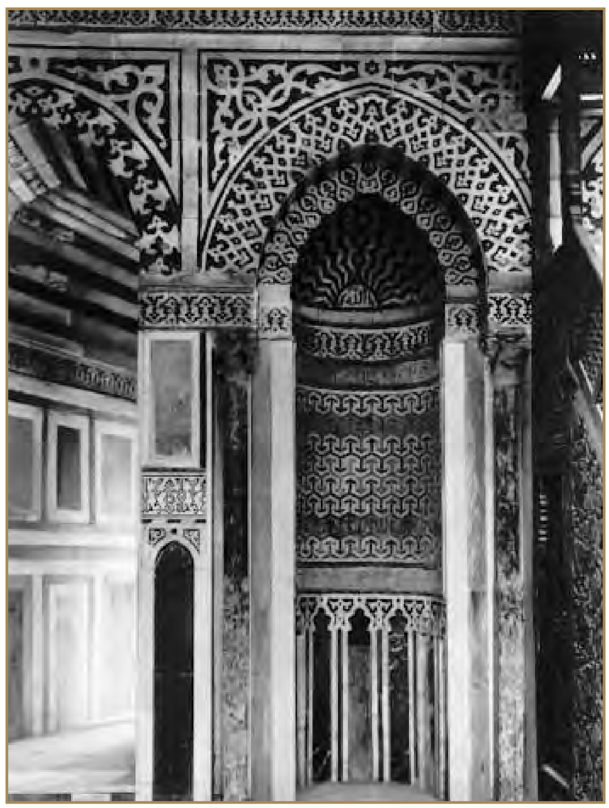
(٢) درب المصنع: هو أحد الدروب التي تتفرع من درب اللبانة، وينتهي بسلم هابط يؤدي إلى ميدان القلعة.

(٣) كتاب وقف المنشئ المحرر في ٢٣ من رمضان سنة (٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م)، والمسجل برقم٨٥ حفظ. (المؤلف)



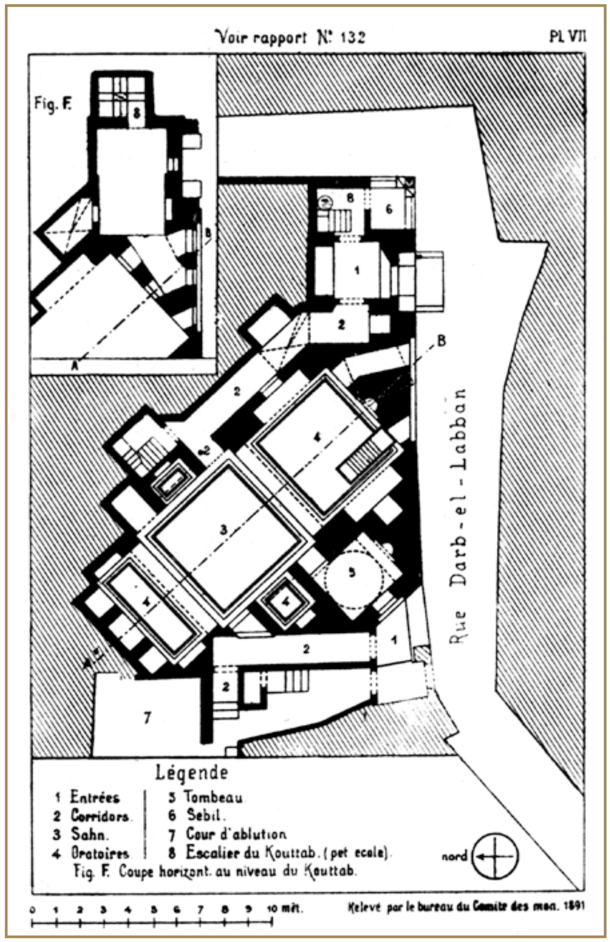
منظر عام لجامع جوهر
اللالا «عن كريسويل»





يمين الصفحة: محراب
جامع جوهر اللالا
«عن كريسويل»

يسار الصفحة: إيوان
جامع جوهر اللالا
«عن كريسويل»



مسقط أفقي لجامع جوهر اللالا «عن فييت»

ويجاور باب المسجد الداخلي باب صغير يؤدي إلى سطح المسجد ومنه إلى المئذنة، والظاهر أن ما حل بالقبة قد حل بها، إذ مخيل العقل أن يوجه المنشئ عنايته إلى مسجده هذا حتى يخرجه بهذه الصورة الرائعة الجميلة ويهمل أظهر شيء فيه وهو المئذنة والقبة(١).

(١) أضيف للمسجد هذه المئذنة وتلك القبة بعد أن تم هدمهما في العصر العثماني، ولا يمكن الجزم بسبب سقوطهما لأن مدرسة جوهر اللالا تقع بين مدرسة السلطان حسن والقلعة، ومن المعروف أن النزاع على الحكم كان دائمًا يتصدره مشهد المتحصنين في القلعة وأعدائهم المتحصنين في مدرسة السلطان حسن.

ولعل زلزال سنة (١٠٦٠هـ/ ١٦٥٠م) الذي حل بالقاهرة قد أضر بهما كما أضر بمساجد أخرى، فأعيد بناؤهما على هذه الصورة التي لا تتفق مع نظام هذا المسجد وبهائه من ناظر وقفه أو من آخر، أما واجهة المسجد و بابه وما بهما من مقرنصات ودلايات فقد اكتسبا منظرًا جميلاً من الخارج يدل على عناية تامة، وذلك بالرغم من وجود أثر تصليح فيها وفي جزء من الواجهة القبلية.

تجديد المسجد

وآخر ما جدد في هذا المسجد هي عمارة سنة (١٣١٣-١٣١٥هـ/ ١٨٩٥م- ١٨٩٧م)؛ وهي التي تشير إليها المذكرات الآتية، وقد تناولت إصلاح بعض مفرداته كالسبيل والمنبر والواجهة والدورة إلى الكثير من أجزائه(٢).

(٢) لاقت مدرسة جوهر اللالا العناية الكافية من قبل لجنة حفظ الآثار العربية، حيث نجد في تقارير لجنة حفظ الآثار العربية بعض الإشارات التي تدل على بعض الترميمات التي ظهرت في الواجهة والسبيل والكتاب وبعض أعمال الرخام وإصلاح سقف الدورقاعة، وقامت هيئة الآثار بالعديد من أعمال الصيانة والترميم، انظر: لجنة حفظ الآثار العربية، **المجموعة التاسعة من محاضر لجنة حفظ الآثار القديمة العربية وتقارير القومسيون الثاني عن سنة ١٨٩٢ إفرنجية**، ترجمة إلياس إسكندر حكيم (د.م، د.ت): ٥٢؛ لجنة حفظ الآثار العربية، **المجموعة الثانية عشرة من محاضر لجنة حفظ الآثار القديمة العربية وتقارير القومسيون الثاني عن سنة ١٨٩٥ إفرنجية**، ترجمة إلياس إسكندر حكيم (القاهرة: المطبعة الأميرية ببولاق، ١٨٩٩): ٣٩؛ لجنة حفظ الآثار العربية، **المجموعة الثالثة عشرة من محاضر جلسات اللجنة وتقارير القومسيون الثاني عن سنة ١٨٩٦ إفرنجية**، ترجمة إلياس إسكندر حكيم (القاهرة: المطبعة الأميرية ببولاق، ١٨٩٩): ٣٩؛ لجنة حفظ الآثار العربية، **المجموعة الثامنة من محاضر جلسات اللجنة وتقارير قسمها الهندسي عن سنة ١٨٩٩ إفرنجية**، ترجمة إلياس إسكندر حكيم (القاهرة: المطبعة الأميرية ببولاق، ١٩٠١): ١٣٥.

لاحظنا عند زيارتنا لهذا المسجد أن يدًا اعتدت على النصوص التاريخية لهذا المسجد، فمحتها قصدًا فالمذكرة التي كانت تقرأ بالإفريز الذي يحيط بسماوات سقف المدخل للباب العمومي اختفت عمدًا، كذلك المذكرة المثبتة بروسم يعلو باب المزيرة، محي منها اسم المنشئ وتاريخ الإنشاء، وبالرغم من محو هذه الكلمات فقد استطعنا أن نتبين منها هذه العبارة:

البسملة أمر بإنشاء هذا السبيل المبارك. من فضل الله تعالى المقر الأشرف الجناب العالي. جوهر اللالا الزمام أعز الله أنصاره بمحمد وآله. وكان الفراغ في مستهل شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة[1]

المذكرة الثانية والثالثة

تشير إلى العمارة الحديثة الأولى بالسبيل، والثانية بالمنبر.

جدد هذا السبيل المبارك في عصر خديوي مصر الأعظم عباس حلمي الثاني الأفخم سنة ثلاثة عشر وثلثمائة وألف. جدد هذا المنبر المبارك في عام خمسة عشر و ثلاثمائة و ألف هجرية

(١) الحالة الراهنة للنص الموجود على باب المزيرة هي كالتالي:

بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا السبيل. المبارك من فضل الله تعالى المقر... أعز الله أنصاره بمحمد وآله. وكان الفراغ منه في مستهل...

ومن الملاحظ اختلاف ما أورده حسن قاسم عن قراءة النص وذلك في السطر رقم ١ و٢ و٣ و٤، وعدم وجود السطر رقم ٥.

وعلى جانبي الباب العمومي نقش كتابي من القرآن الكريم يظهر منه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة/ ١٨] مبتدئة بالبسملة.

ترجمة المنشئ

ومنشئ هذا الأثر هو الأمير جوهر الزمام المعروف باللالا «أي المربي» الأشرفي، كان في بادئ أمره مملوكًا لعمر ابن بهادر ثم لآق بن جلبان فأعتقه، فاتصل بالسلطان الملك الأشرفي برسباي، فعينه لالاً «مربيًا» لولديه محمد ويوسف، وما لبث أن عين زمامًا «رئيس طائفة من الخدم» بالقصر الأشرفي، فأثري وتحمل وتجمل وكثرت أمواله وإقطاعه، وعلا نجمه بعد موت السلطان، وقد قام العزيز يوسف بحق تربيته فيه حق القيام فقربه إليه وفوض إليه أمر الخدم، وأقره زمامًا كبيرًا أي رئيسًا عامًا للخدم، وما برح كذلك حتى آل ملك مصر إلى الملك الظاهر جقمق؛ فنقم عليه وسجنه وابتدأ نجم جوهر من هذا التاريخ يأفل، فما برح حتى مات سنة (٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م) مسجونًا، ونقل من سجنه بالقلعة إلى قبة المدرسة فدفن بها[2].

(٢) جوهر الزمام: جوهر اللالا عتيق أحمد جلبان، وكان قبله لعمر ابن بهادر المشرف، ثم اتصل بخدمة الأشرف قبل تملكه فتنقل معه، وقرره لآله ولده الأكبر محمد، ثم يوسف، ثم تقرر زمامًا بعد موت خشقدم مضافًا للوظيفة الأخرى، لما تسلطن العزيز فخم أمره وشمخت نفسه، وظن الأمور تدور عليه، فانعكس عليه الأمر وقبض عليه في أول دولة الظاهر، وسجن بالبرج، ثم أفرج عنه وهو ضعيف بمرض القولنج، ثم حصل له الصرع إلى أن مات في جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين، عن نحو الستين ودفن بمدرسته التي أنشأها بالمصنع، وهي حسنة كان شيخها التقي السمني، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٨٤؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٥: ٣٦- ٣٨.

جامع سيدي مدين (خوند مغل البارزية)

أثر رقم ٨٢ (سنة ٨٤٢- ٨٤٣هـ/ ١٤٣٨- ١٤٣٩م)

هذا الجامع بحارة سيدي مدين[١]، المتفرعة من شارع الخراطين ومن شارع الطنبلي أو الطبلة، أنشأته الخوند مغل بنت القاضي ناصر الدين محمد بن محمد بن عثمان البارزي زوجة الملك الظاهر جقمق[٢]، للشيخ مدين بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأشموني؛ برسم زاوية ومسجد جامع للصلاة في السنة (٨٤٢- ٨٤٣هـ/ ١٤٣٨- ١٤٣٩م)، وملك مصر يومئذ زوجها الملك الظاهر جقمق، ذكره السخاوي في الضوء اللامع بيد أنه لم يدلنا على منشئته، كما دلنا عليها المؤرخ ابن إياس في تاريخ حوادث سنة (٨٧٦هـ/ ١٤٧١م)[٣]؛ رغم أن لها ترجمة حافلة، وهذا ما نبهنا إليه أذهان القائمين بصيانة الآثار الإسلامية منذ كتبنا عن هذا المسجد[٤].

(١) يقع الجامع بحارة سيدي مدين المتفرعة من شارع الشيخ العروسي بالقرب من قبة المناوي.

(٢) هو السلطان الملك الظاهر أبو سعيد جقمق أبو عبد الله العلائي الظاهري، توفي سنة (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٧١- ٧٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٥: ٢٥٦- ٤٦٢؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٤: ٢٧٥- ٣١٢؛ ابن تغري بردي، **الدليل الشافي**، مج. ١: ٢٤٦؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ١٩٨- ١٩٩، ٢٩٩- ٣٠٠.

(٣) المرجع السابق، مج. ٣: ٧٠.

(٤) أمرت الخوند مغل بنت القاضي ناصر الدين محمد البارزي ببناء هذه الزاوية عام (٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م)، وذلك بوساطة ابنة اخيها زينب بنت الكمال البارزي حيث كانت تتلمذ فقهيًّا على يد= ابن أخ الشيخ مدين- محمد بن عبد الدايم المديني المالكي توفي في سنة (٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)، وهو من سعى في هذا الطلب، وتاريخ البناء ليس (٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م) بل (٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م)، انظر: محمد الجهيني، **أحياء القاهرة القديمة وآثارها الإسلامية: حي باب البحر** (القاهرة: دار نهضة الشرق، ٢٠٠٠): ١٦٣- ١٦٤.

صفة المسجد وتجديده

والباب العمومي لهذا المسجد من الحارة المذكورة آنفًا، ويلفت النظر فيه مئذنته وواجهته، أما داخله فإنه ككل الزوايا،وقد جدد من هذا المسجد في سنة (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م) نصف واجهته الغربية ومدخله، ونظم داخله وقويت الجدر الواهنة فيه؛ وفتح للصلاة بعد غلقه[٥].

(٥) ذكر علي باشا مبارك أن شعائر المسجد كانت مقامة، وأن أوقافه كانت بنظر السيد عبد الخالق السادات، أي أن المسجد أغلق لفترة وجيزة في نهايات القرن ١٩ وبداية القرن ٢٠، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ١١٠.

المنشئة

ومنشئة هذا المسجد هي الخوند مغل بنت القاضي ناصر الدين محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم البارزي كاتم السر بالديار المصرية في عهد الملك المؤيد شيخ، ولأبيها ناصر الدين أثر متغاير يعرف بالبارزية (انظر جامع الأخرس بشارع السبتية).

تنحدر من أجل الأسر الشامية الحموية التي سكنت القاهرة منذ أوائل القرن التاسع، ويرفع نسبها فيما ذكره السخاوي إلى الصحابي الجليل عبد الله بن أنيس، فجدها السابع هو السيد هبة الله بن حسان بن محمد بن منصور بن أحمد بن علي بن غافر بن حسان بن عطية بن عبد الله بن أنيس، وقد تولى أبوها ناصر الدين كتابة السر للملك المؤيد شيخ ومات سنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)، كما تولى ابنه شهاب الدين أحمد، وكمال الدين محمد هذه الوظيفة أيضًا، وتوفي الأول في حياة أبيه سنة (٨٢٢هـ/ ١٤١٩م).

ولطائفة من أفراد هذه الأسرة تراجم مطولة في كل من طبقات الشافعية للسبكي، والعقود الفريدة والمقفى للمقريزي؛ والضوء اللامع للسخاوي، وترجم ابن حجر في الدرر الكامنة لأبيها الأول محمد بن عثمان وأرخ وفاته في سنة (٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م)، وقد زوجها أخوها برغبة الملك المؤيد شيخ لداود بن الكويز كاتب السر في سنة (٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م)، فلم تمكث معه طويلاً حتى طلقت منه في سنة (٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م)، فتزوجها الملك الظاهر جقمق وهو إذ ذاك أمير في عهد الملك الأشرف برسباي، وهي أول زوجاته، وتزوج عليها في سنة (٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م) بالخوند نفيسة ابنة الأمير ناصر الدين بك بن الغار، وظلت معه حتى حين، ثم طلقها في سنة (٨٤٧هـ/ ١٤٤٣م) بعد توليته حكم مصر بخمسة أعوام[١]، وتزوج بعدها الخوند زينب بنت جرباش الكريمي، وهي دون العشرين من عمرها؛ وقد خلفت منه ابنتان خديجة[٢]، وفاطمة[٣]؛ تزوجت إحداهما بالأمير جانبك الظريف[٤]، وتزوجت الأخرى بالأمير أزبك الأشرفي[٥].

(١) كان تاريخ طلاق مغل البارزية من الظاهر جقمق عام (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، وليس (٨٤٧هـ/ ١٤٤٣م)، انظر: ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٤: ٣١١.

(٢) خديجة ابنة الظاهر جقمق: سبطة الناصري بن البارزي، أمها مغل، ماتت قبل أن تستكمل الثلاثين في حياة أمها، سنة سبع وستين، ودفنت من الغد عند أبيها بتربة قانباي الجركسي عند دار الضيافة بالقرب من قلعة الجبل، بعد أن صلى عليها بمصلى المؤمني بحضرة السلطان، في مشهد قل أن يقع لامرأة مثله، مشى الناس في جنازتها من دارها التي بين السورين بالقرب من حارة زويلة إلى المصلى ثم إلى التربة، وكان ذلك في غياب زوجها مملوك أبيها الأمير أزبك أحد المقدمين حينئذ بالسرحة، وخلفت له ولدًا ذكرًا وهو الأمير الناصري محمد، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٢: ٢٦.

(٣) فاطمة بنت الظاهر جقمق: أمها تركية، تزوجها جانبك الظريف، ومات عنها وله منها ولد فتزوجها الأمير أزبك الظاهري بعد موت أختها خديجة، واستولدها جماعة ماتوا في طاعون سنة سبع وتسعين، تزوج قانصوه أمير آخور واحدة منهم، وهي كانت عالمة متصدقة فيها محاسن، ذكر ابن تغري بردي بالخطأ أنها ابنة مغل البارزية، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٢: ٩٠- ٩١؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٤: ٣١٢.

(٤) جانبك من أمير الأشرفي برسباي: يعرف بالظريف، كان من صغار خاصكية أستاذه، ثم عمله الظاهر خازندارًا صغيرًا، ثم دوادارًا صغيرًا، ثم أمره عشرة، ثم صيره من رؤوس النوب، فلما تسلطن إينال كان من حزبه، ولم يراع للظاهر حقه في ولده، فعمله إينال طبلخاناه وخازندارًا، وعظم ونالته السعادة، وساق المحمل وتزوج بابنة الظاهر واستولدها، وقدمه الظاهر خشقدم، بل وعمله دوادارًا ثانيًا، فخف وطاش وتعاظم وتفاقم فقبض عليه وحبسه بالإسكندرية، ثم أخرجه إلى البلاد الشامية، فحبسه بقلعة صفد حتى مات فيها سنة سبعين وهو في عشر الخمسين، وكان مليح الشكل حلو الوجه عارفًا بأنواع الفروسية، مع مزيد من بخل وجبروت، وخلفه على زوجته الأمير أزبك من ططخ الظاهري، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٩: ٥٣.

(٥) أزبك من ططخ الساقي الأشرفي ثم الظاهري: جلبه الخواجا ططخ من بلاد الجركس فاشتراه الأشرف برسباي سنة (٨٤١هـ/ ١٤٣٧م)، ثم انتقل لولده العزيز واشتراه الظاهر جقمق، ثم أعتقه وجعله ساقيًا ثم أمير عشرة في سنة (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، عوضًا عن تمراز البكتمري المؤيدي المصارع، ثم رأس نوبة، ثم زوجه=

وفي سنة (٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م) مات أخوها كمال الدين محمد كاتب السر للسلطان جقمق؛ وعاشت حتى أدركت من ملوك مصر- بعد زوجها وابنه الملك المنصور عثمان- الملك الأشرف إينال؛ وابنه الملك المؤيد أحمد، ثم الملك الظاهر خشقدم، والظاهر بلباي، والعادل تيموربغا، وماتت في عصر الملك الأشرف قايتباي في ذي القعدة سنة (٨٧٦هـ/ ١٤٧١م) عن ٧٣ سنة، ودفنت بتربة أسلافها تجاه شباك قبة الإمام الشافعي، وهي التربة المعروفة بالبكرية، وتذكر بخير ويسار، لها مآثر جمة بمصر والحجاز [انظر الضوء اللامع للسخاوي][1].

الشيخ مدين

وإذ نذكر ترجمة الشيخ مدين الذي أنشئ له جامع الفخم، نشير أولاً إلى أن الشيخ محمد بن عبد الدائم المديني أحد علماء المالكية المتوفى سنة (٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)، وهو ابن أخت الشيخ مدين، كان هو الوسيط بين الخوند مغل هذه وبين خاله في طلب إنشاء هذا الجامع، وذلك لصلته بابنة أخيها زينب بنت الكمال البارزي، زوج البهاء بن حجي المتوفاة سنة (٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م)، إذ كان فقيهًا لها ومعلمًا (انظر السخاوي).

والشيخ مدين هو مدين بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن علي بن يونس؛ مغربي الأصل قدم جده علي بن يونس من المغرب الأدنى إلى مصر[2]، فاستقر بطبلوها من المنوفية وولده فيها سنة (٧٨١هـ/ ١٣٧٩م)، وتفقه مالكيًّا كآبائه، ثم سافر من أشمون إلى القاهرة في سنة (٨١٨هـ/ ١٤١٥م)، فاجتمع بشيوخها وسمع عليهم فنونًا من العلم وصحب الشيخ شمس الدين محمد الحنفي ولزم الشيخ أحمد الزاهد حتى مات، فجلس بجامعه حتى حين ثم انتقل منه إلى زاوية الشيخ عبد الرحمن بن بكتمر السندبسطي المتوفى سنة (٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م)؛ ومات منشؤها ولم تكمل عمارتها بعد؛ فأتمها له الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد الحريري العقاد بالوراقين المتوفى سنة (٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م)، فأقام بها حقبة إلى أن بنيت له هذه الزاوية، وما برح مقيمًا بها مقصودًا بالزيارة من الأمراء والعلماء والأعيان والأكابر وغيرهم؛ حتى مات في ربيع الأول سنة (٨٦٢هـ/ ١٤٥٧م)؛ ودفن بزاويته وهو أحد شيوخ الحافظ السخاوي في التصوف، وقد ترجمه في كتابه الضوء اللامع ترجمة حافلة[3].

ومن جلة أصحابه الشيخ زين الدين عبادة بن علي الأنصاري شيخ المالكية بالقاهرة المتوفى سنة (٨٤٦هـ/

= ابنته من مطلقته خوند مغلي ابنة الناصر بن البارزي، قبض عليه الأشرف إينال وأودعه الإسكندرية ثم نفاه إلى القدس بطالا، وفي عهد الأشرف قايتباي صار عظيم الشأن، توفي في سنة (٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م) زمن السلطان أبو سعيد قانصوه بن قانصوه الأشرفي، ودفن في تربة أستاذه الظاهر جقمق، ومن طريف ما حدث أنه بعد أن حضر السلطان الصلاة على جثمانه في التربة، بلغه أن أزبك اليوسفي أمير مجلس في النزع الأخير، فجلس السلطان على مدورة في سبيل المؤمني ينتظر جنازة اليوسفي، فلم يمت في تلك الساعة، فطلع السلطان للقلعة، حتى بلغه خبر وفاة أزبك اليوسفي بعد العصر، فنزل للصلاة مرة أخرى عليه، عن سيرة الأمير أزبك من ططخ، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٥: ٣٨٣، هامش ٢؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٢: ٢٧٠-٢٧٢؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٤١١-٤١٣.

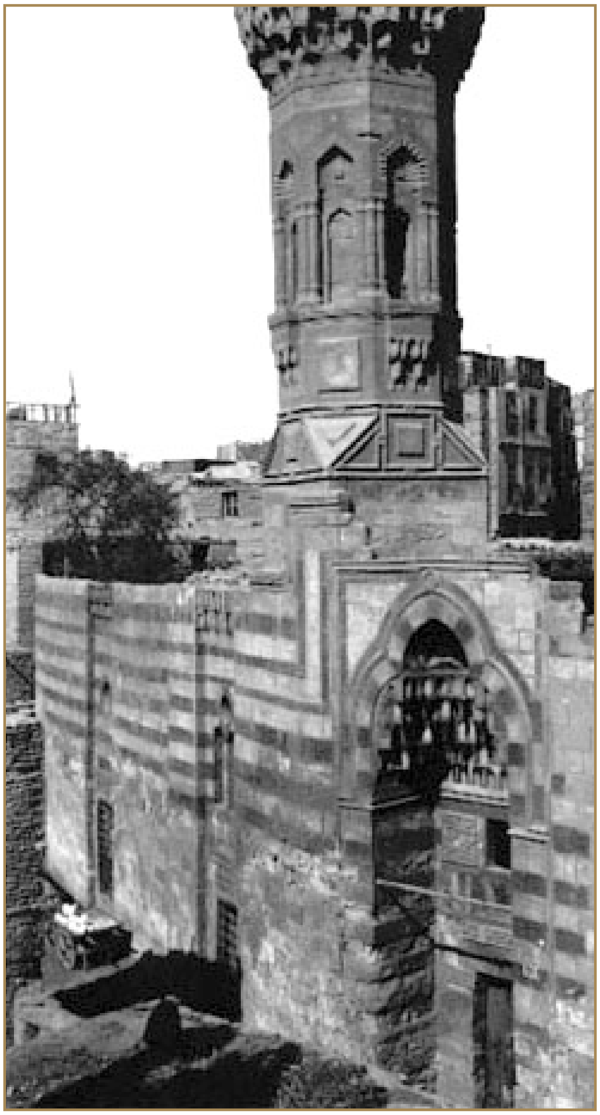
(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٢: ١٢٦- ١٢٧؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٧٠.

(٢) نسبه السخاوي حميريًّا من لواتة قبيلة من عرب اليمن بطرابلس الغرب، قدم منها في سنة (٧٢٤هـ/ ١٣٢٣م)، ومات بطبلوها في سنة (٧٥٢هـ/ ١٣٥١م)، وليس له نسب يتصل بأبي مدين التلمساني كما ذكره الشعراني. (المؤلف)

(٣) عن ترجمة الشيخ مدين، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ١٥٠-١٥٢.

١٤٤٢م)؛ ولآبائه أضرحة مقصودة بالزيارة بالمنوفية، أحدهما لجديه الشيخ عبد الله وعلي بن يونس بطبلوها، والثاني لأبيه وجده بأشمون، وخلفه في الزاوية ولده أبو السعود بن مدين، وقد دفن له من أصحابه وأولاده بهذا المسجد جماعة منهم ولده أبو السعود وولده الآخر عبد القادر وابن أخته الشيخ محمد بن عبد الدائم المديني أحد علماء المالكية توفي سنة (٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)، وأم أبي السعود بن الشيخ مدين ماتت سنة (٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م)، والشيخ حسين بن علي بن محمد المرحومي، والد الشيخ شهاب الدين أحمد المرحومي المدفون بمنازل العز بالمدرسة التقوية بالفسطاط توفي سنة (٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م)، والشيخ أحمد الحلفاوي.

ولهذا الأثر أوقاف اطلعنا منها على وقف الشيخ مدين المحرر بتاريخ ٢٤ من شوال سنة (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، وحجة محمد جمال الدين عبد الله المحررة بتاريخ ١٣ من رجب سنة (٨٦٢هـ/ ١٤٥٧م)، إلى حجج أخرى جميعها من محفوظات وزارة الأوقاف، ومنها بقلم محفوظات شرعية مصر حجة الوراثة والأيلولة الصادرة في شوال سنة (٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م) المحفوظة برقم١١٩، وأخرى من هذه المحكمة في ١٨ من ربيع الأول سنة (١١٣٧هـ/ ١٧٢٤م)، من قبل أبو الخير عبد الخالق، ومن الديوان العالي بمصر في آواخر ربيع الأول وغاية شعبان سنة (١٠٩٥هـ/ ١٦٨٣م)، وحجة باللغة الفرنسية بحصة قدرها ٢٤ قيراطًا بكفر الشقاورة بناحية سوادة (المنيا) بتاريخ سنة (١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م)، باسم السيد محمد أبو الأنوار السادات، والأعيان الواردة بهذه الوثائق أطيان زراعية وعقارات بخط باب الشعرية وما جاورها، وقد آل النظر على هذه الموقوفات إلى السادات الوفائية وآخرهم تنظر عليها السيد أحمد عبد الخالق السادات المتوفى سنة (١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م)، ثم تنظر عليها من بعده المرحوم السيد



مئذنة جامع سيدي مدين «عن كريسويل»

عبد الحميد البكري بقرار من نظارة الأوقاف في ١٥ من نوفمبر سنة (١٩١٤م)، وقد ذكر من ترجم للشيخ محمد الأشموني أحد شيوخ الأزهر أنه كان يخبر عن نفسه أنه من سلالة أبي مدين هذا، ولكن هذا غير محقق [انظر ترجمته في كتابي الأعلام، وفيات سنة (١٣٢١هـ)].

جامع تغري بردي

أثر رقم ٢٠٩ (سنة ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م)

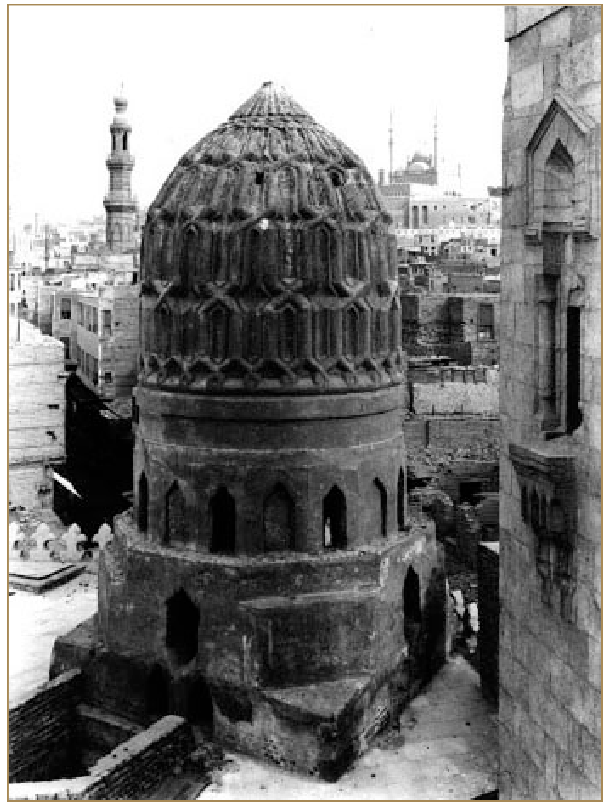
هذا الجامع بشارع الصليبية (سوق الأساكفة سابقًا)، أنشأه الأمير تغري بردي الدوادار في سنة (٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م)، برسم مدرسة للصوفية ومسجد جامع للصلاة، وظهر من كلام السخاوي في الضوء اللامع أنه افتتح بصلاة الجمعة في شوال من هذه السنة[١]، وهو مطابق لما ورد في كتاب وقفه المحرر في ٢٠من رمضان سنة (٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م)، رقم٩٨.

وهو جامع ظريف على مثال الجوامع الفخمة فداخله يشتمل على إيوانين متقابلين في الشرق والغرب، يقابلهما في الجنوب والشمال إيوانين أصغر منهما وفي كل منهما خوخة، وبين الأربعة أواوين صحن مكشوف تتحلى زواياه الأربع بأشكال هندسية تمثل المحاريب ويحيط به طراز مقوم بآيات قرآنية كريمة ومذكرة تاريخية، وبالإيوان الشرقي محراب من الحجر يجاوره منبر من الخشب المنجور المطعم حديث الصنع وسقف الإيوان الشرقي سماوات بمكاسل تبدو متماسكة، وفي الجانب القبلي من بيت الصلاة باب صغير نصل منه إلى قبة المنشئ، وهي قبة فاخرة من الحجر عليها من الداخل مقرنصات تتدلى منها بشكل منسق، وبظاهرها مجموعة من أشكال هندسية يندر وجود مثلها في القباب المعاصرة خلا قبة أخرى من الجص بالصحراء، ويتوسط القبة قبر عليه صندوق من الطوب بشاهدين والظاهر أنه متغاير، وفي صدر القبة محراب من الحجر صغير الحجم، ويكتنف الصحن أربعة أبواب متقابلة، أحدهما يوصل إلى باب الخروج.

والمتأمل في الباب العمومي لهذا المسجد يجد بابًا تجمعت فيه نـواحٍ عدة من جمال الفن الإسلامي والزخرفة العربية تظهر في الواجهة ببلاطها الرخام الملون الذي يتحلى بضرب من قطع القاشاني الأزرق؛ وبمقرنصاته المتدلية من أعلى الباب وجنباته ومكاسله وزخارفه الكتابية؛ يظهر كل هذا بمظهر يدل على عناية المنشئ بمسجده هذا، ويجاور الباب إلى الجهة الجنوبية الغربية سبيل يعلوه كتاب بمشربية من الخشب المنجور حديثة الصنع، أما المئذنة التي تعلو الباب في جوار القبة فإنها من نوع المآذن الحجرية المربعة ذات البدن الأسطواني؛ التي لا يوجد لها نظير إلا في المساجد الأشرفية وأخصها مسجد الخانكة ثم مسجد القاهرة؛ بيد أن هذه تزيد عنهما جمالاً وصيانة[٢].

(١) المرجع السابق، مج. ٣: ٢٨.

(٢) هذه المئذنة تشبه أيضًا مئذنتي خانقاه الناصر فرج بن برقوق بالقرافة، وهي تنقسم إلى قسمين: الأول مربع يعلوه الثاني وهو ذو بدن أسطواني مزخرف بزخارف نجمية، يعلوه شرفة يليها صف من الأعمدة التى تحمل شرفة تتدلى منها مقرنصات وتحمل جوسقًا على شكل قلة.



منظر عام لجامع تغري بردي «عن كريسويل»

المذكرات التاريخية

ويدلنا على صيانة هذا الجامع من الطوارئ بصورة مرضية وبقاء نصوصه التاريخية سليمة بعض الشيء، فالمذكرة الأولى طراز دائر بالصحن يبتدئ بالبسملة وبآيات الكرسي من سورة البقرة إلى قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ثم تنتهي بما نصه:

وكان الفراغ في شهر جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وثمانمائة

والمذكرة الثانية بأسكفة الباب بين حلقة فيها دعاء:

إن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدًا. وذلك في شهر جمادى الآخرة عام أربع وأربعين وثمانمائة

والمذكرة الثالثة بجانبي الباب العمومي وهي خالية من التاريخ، ونصها:

إنما يعمر مساجد الله- إلى المهتدين- صدق الله العظيم. أمر بإنشاء هذه المدرسة المقر الأشرف السيفي تغري بردي . أمير دوادار الملكي الظاهري عز نصره

تجديد المسجد

وأول عمارة حديثة تطرأ على هذا المسجد كانت في سنة (١٣٢٩هـ/ ١٩١١- ١٩١٢م)، وقد أصلحت فيها مجموعة الحوائط المتهدمة من جوانب الصحن والأواوين وبلاطه وأبوابه وأحدث به منبرًا ملائمًا، وفتح لدار وضوئه بابًا من الإيوان البحري، كان أولى به باب الخلوة التي تجاوره، وهو فيما يظهر الباب الأول لها، وأصلح السبيل وأحدثت الشرفة الحالية؛ وأعادت هذه العمارة لهذا الأثر النفيس رونقه وبهائه[1].

منشئ المسجد

ومنشؤه هو الأمير تغري بردي الدوادار، ترجمه السخاوي فأفاد أنه: «كان مملوكًا ثم ترقى إلى أمير عشرة في دولة الناصري فرج بن برقوق، وفي سنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م) ترقى إلى أمير طبلخاناه، ثم تعين رأس نوبة ثاني، وما برح يترقى ويتنقل من وظيفة إلى أخرى حتى تعين دوادارًا كبيرًا، إلى

(١) لم تذكر كراسات لجنة حفظ الآثار في تقارير عام (١٣٢٩هـ/ ١٩١١-١٩١٢م) أي أعمال في هذا المسجد على الإطلاق، انظر: لجنة حفظ الآثار العربية، **كراسات لجنة حفظ الآثار العربية لسنة ١٩١١-١٩١٢ إفرنجية** (د.م، د.ت).

أن مات في الحادي عشر من جمادى الآخرة سنة (٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م)، ودفن بمسجده»[١].



مئذنة لجامع تغري بردي «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

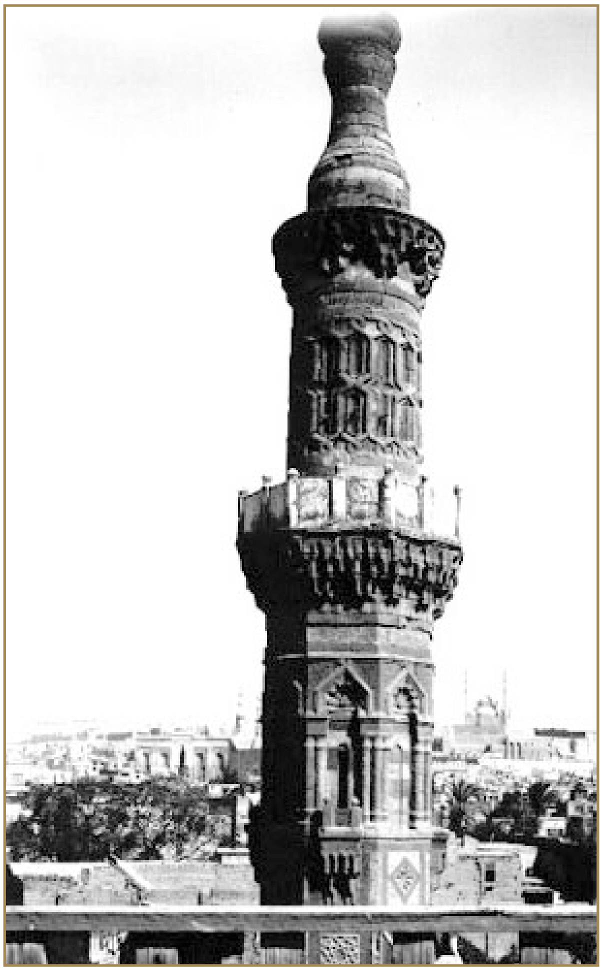
(١) تغري بردي الرومي البكلمشي: يعرف لأذاه بالمؤذي، كان في أيام أستاذه بكلمش من جملة المماليك، ثم ترقى حتى صار من جملة العشرات في الدولة الناصرية فرج، ثم أخرج المؤيد قبل سلطنته أقطاعه وأعاده بعد أن تسلطن بمدة، وأقام خاملاً إلى بعد سنة ثلاث وثلاثين، فأنعم عليه الأشرف بإمرة طبلخاناه، بعد أن عمله قبل من رؤوس النوب، ثم صار رأس نوبة ثانٍ، ثم أحد المقدمين، ثم حاجب الحجاب في سنة اثنتين وأربعين بعد انتقال سودون السودوني لإمرة مجلس، ولم يلبث أن صار دوادارًا كبيرًا بعد نفي أركماس، فعظم أمره جدًا، وقصد في المهمات ونالته السعادة، وعمر مدرسة حسنة في طرف سوق الأساكفة بالشاعر قريبًا من صليبة جامع ابن طولون، وجعل فيها خطبة ومدرسًا وشيخًا وصوفية ووقف عليها أوقافًا كثيرة غالبها مغتصب، وقرر في مشيختها العلاء القلقشندي، كان عارفًا بالأحكام قاصدًا فيها خلاص الحقوق ويتفقه ويسأل الفقهاء، ويذاكر بأشياء من التواريخ، ويعف عن القاذورات مع سبه وفحش لفظه وعدم بشاشته، مات في ليلة الثلاثاء الحادي عشر من جمادى الآخرة سنة ست وأربعين بعد مرض طويل، صلى عليه بمصلى المؤمني، وشهد السلطان والقضاة، وسر أكثر الناس بموته لثقل وطأته عليهم، انظر: ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٤: ٢٠٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٥: ٤٩٦؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٢٧– ٢٨؛ السخاوي، **التبر المسبوك**، مج. ١: ١٢٨– ١٢٩؛ ابن تغري بردي، **حوادث الدهور**، مج. ١: ٥٤؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٢٣٥.

جامع قراقجا الحسني

أثر رقم ٢٠٦ (سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)

هذا الجامع بشارع درب الجماميز رقم (٢٣) بخط قنطرة طقوزدمر[١]، من حقوق «جماميز السعدية سابقًا»[٢]، أنشأه الأمير قراقجا الحسني الظاهري أمير أخور الأشرفي، وكمل في سنة (٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، وحبس عليه من أملاكه فأقام به شعائر بكتاب وقف بالأوقاف محرر في ٣ من رجب سنة (٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، ذكره السخاوي في الضوء اللامع في عبارة هذا نصها:

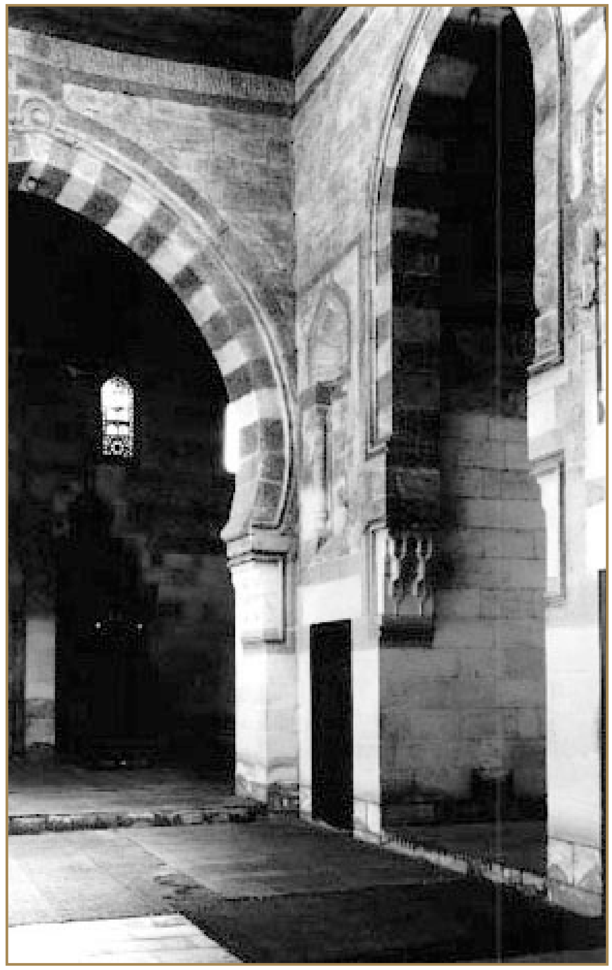
«وبنى أملاكًا حبس أكثرها على مدرسته التي أنشأها بالقرب من قنطرة طقزدمر الحموي، وعمل بها تصوفًا



مئذنة لجامع قراقجا «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

(١) الأمير سيف الدين طقزدمر (طقزتمر) الحموي الناصري الساقي: نائب السلطنة، توفي سنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م)، ينسب إليه حكر طقزدمر والقنطرة خارج القاهرة، والربع خارج باب زويلة ودار التفاح والحمام عند قبو الكرماني، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٨٨، ٤٩٢؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، مج. ٣: ٨٠؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٢: ٦٩٨؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ٣٢٦؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٦: ٤٢٠-٤٢٢.

(٢) قنطرة طقزدمر أو قنطرة درب الجماميز: ظلت باقية حتى سنة (١٨٩٨م) مع ردم القسم الأوسط من الخليج، ويدل على مكانها الآن مدخل شارع قنطرة درب الجماميز بشارع بورسعيد، الموصل إلى حارتي السلطان الحنفي والهياتم حيث مسجد الأمير شوربجي، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٩٢، هامش ٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ١٩٤، هامش ٢، مج. ١٠: ٧٥، هامش ٥.



مئذنة بجامع قراقجا «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

وشيخًا وأرباب وظائف، وقرر خطابتها ومشيختها الشريف الصلاح السيوطي»[١].

والمدخل إلى هذا الجامع من باب عمومي شارع في الطريق؛ وهو باب مقوس معقود بمقرنصات، ونصل من هذا الباب إلى صحن يحيط به أربعة أواوين متقابلة، ويمتاز الشرقي منها بمنبره المصنوع من الخشب المنجور المكسو بمادة الزردشان وقد فقد بابه، أما جوانبه وعقاربه فسليمة بعض الشيء، ويجاوره محراب من الحجر والسقف

(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ٢١٦.

محلى بسماوات تتدلى من جوانبها تواشيح؛ ومحيط به إفريز مقوم بزخارف كتابية بالليقة الذهبية من سورة البقرة، ومثله الإيوان الغربي؛ ويعلو الصحن سقيفة حديثة الصنع، ويحيط به طراز تقر فيه آيات قرآنية كريمة تنتهي بمذكرة تاريخية تأتي في المذكرات، ويفتح بالصحن أربعة أبواب تصل إلى مرافق المسجد؛ ويعلو واجهة كل باب منها زخرفة حجرية على مثال المحاريب الأيوبية والظاهرية، تنتهي بخصة على شكل مروحة، وفي الجانب القبلي باب نصل منه إلى دار الوضوء والمرافق[٢].

المذكرات التاريخية

بالصحن:

البسملة... آيات الكرسي (من سورة البقرة). أمر بإنشاء هذا المعروف من فضل الله تعالى وكرمه المقر. الأشرف الكريم العالي المولوي الأميري الكبيري. السيفي قراقجا الحسني أمير أخور الملكي الظاهري عز نصره. بتاريخ شهر جمادى الأولى سنة خمس وأربعين وثمان مائة

ونظير هذا النص نص آخر على جانبي الباب فوق المكسلتين؛ يبتدئ بالبسملة ثم بقوله تعالى «إنما يعمر»، إلى «المهتدين»، وينتهي بهذه العبارة في تغيير طفيف.

(٢) تخطيط المدرسة الداخلي يتكون من دهليز من باب الدخول ينتهي ببابين: أحدهما لدورات المياه والملاحق، والآخر يصب في صحن المدرسة، وهي مستطيلة وبها باب في الركن الشرقي يؤدي إلى السطح، وفي الركن الجنوبي باب السر يؤدي إلى بيت إمام المدرسة، والمدرسة عبارة عن صحن يحيط به أربعة إيوانات أكبرها إيوان القبلة.

وقفية مسجد قراقجا

ولهذا الأثر حجة وقف مسجلة بوزارة الأوقاف برقم ٩٢ سجلات أوقاف، مكتوبة في درج بالخط المنسوب بتاريخ الأول من شعبان سنة (٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، ومسجلة في ٢٨ من جمادى الآخرة سنة (٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م)، وقد جاء فيها عن هذا الأثر أنه على رأس درب الغنامة المعروف حاليًّا بحارة السادات، بخط المسجد المعلق على يمين السالك من درب النيدي «جزء من شارع درب الجماميز» طالبًا جامع بشتاك، وعلى يسار السالك من جامع بشتاك طالبًا درب النيدي، وفي هذه الوثيقة وصف شامل لجميع مفردات المسجد، وفيها أنه أنشأ مسجدًا تجاهه داخل درب جهركس «عطفة درب الجماميز»، وهذا المسجد لا يوجد له أثر اليوم لتهدمه.

ومن الأعيان الموقوفة على هذا الأثر وملحقاته أراضٍ زراعية مساحتها ٥٠ فدانًا بالخصوص، وأخرى بمديرية البحيرة، وأخرى بكفر بني عيسى من دروة سربام «ديروط»، وسموا ودنمي وتعرف بالعروسة، والوقف في هذه الوثيقة مشترك بين خيري على المسجد وملحقاته، وأهلي على الواقف وذريته من بعده، وقد انقرضت ذرية الواقف وآل الوقف إلى الحرمين الشريفين إعمالاً بشرط الواقف، ورتب من ريع وقفه لسدنة المسجد ٥٦٧٠ درهمًا.

تجديد المسجد

وقد تجدد هذا المسجد وأصلح إصلاحًا ملائمًا في سنة (١٣٣١هـ/ ١٩١٣م)، ووضعت اللجنة مذكرة على يمين الداخل من الباب العمومي نقرأ فيها هذه العبارة:

أنشأ هذا المسجد المبارك الأمير قراقجا الحسني سنة ٨٤٥ من الهجرة وجددته لجنة حفظ الآثار العربية في عصرخديو مصر الأعظم الحاج عباس حلمي الثاني الأفخم أدام الله أيامه وذلك في سنة ١٣٣١ هجرية

وفي سنة (١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م) جددت اللجنة قاعدة المئذنة المستقلة وبعض مفردات من الجامع.

ظاهرة غريبة في هذا المسجد

ويلفت النظر في هذا المسجد مئذنته ذات الظاهرة الغريبة في استقلالها عن الجامع وخروجها عنه مباشرة، مما لا يوجد لدينا نظيره إلا جامع منجك بالحطابة؛ وجامع شمس الدين محمد بن عمر بن كتيلة المحلي بالمحلة المتوفى سنة (٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م)، والأول من القرن الثامن والثاني من القرن التاسع[1].

وهذه المئذنة وإن كانت تظهر فيها بعض المخالفة عن المألوف من مآذن هذا العصر إلا أن الأدعى للتأمل فيها استقلالها عن الجامع واتصالها به بمد ساباط بينه وبينها، وترتكز على قاعدة حجرية شارعة في أول عطفة السادات ومتصلة ببدن المئذنة الأسطواني الشكل، وينتهي بدنها بقمة بصلية فوقها هلال وليس لها كانات وقد تقادمت بعض الشيء.

(١) ظهر هذا النمط في كل من خانقاه ومسجد منجك اليوسفي ومسجد السلطان إينال بصحراء المماليك، ولكن الفرق بينهما وبين مئذنة قراقجا الحسني أن المئذنة لم يكن لها قاعدة كبيرة من الأرض ترتفع بها لمستوى سطح المسجد، بل بدأت المئذنتان من الأرض مباشرة، ومئذنة قراقجا الحسني يتم الوصول لها من سباط من سطح المسجد.

مشيخة جامع قراقجا

ومن أشهر مدرسي هذا الجامع الشريف صلاح الدين محمد المذكور في عبارة السخاوي، وهو شريف حسيني من أشراف مدينة أسيوط، ذكر نسبه السخاوي في التبر المسبوك، فأفاد أنه محمد بن أبي بكر بن علي بن حسن بن مطهر بن عيسى بن جلال بن أبي الحسن علي بن فخر بن شكر بن أحمد بن علي بن إدريس بن محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين بن جعفر بن الحسن بن الحسين بن الحسن ابن علي ولد سنة (٧٨٣هـ/ ١٣٨١م)، وأخذ الطريقة الشاذلية عن يحيى بن محمد الشاذلي، وله كتب في الأدب منها: «ريان الألباب في محاسن الآداب»، «وشرح الأربعين النووية»، «ونظم نخبة الفكر» مات سنة (٨٥٩هـ/ ١٤٥٥م)، ودرس له الجلال السيوطي وأبو الفتوح محمد بن عمر المغربي.

المنشئ

وقد ترجم السخاوي لمنشئ هذا الأثر فأفاد أنه كان في بادئ أمره مملوكًا للملك الظاهر برقوق، ثم تعين أميرًا في عصر الملك المؤيد شيخ، وأنعم عليه في عهد الملك الأشرف برسباي برتبة أمير طبلخاناه، وفي سنة (٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م) عينه الملك الظاهر جقمق رأس نوبة النوب، ثم أمير أخور كبير، وما برح قائمًا بأعباء وظيفته حتى مات في صفر سنة (٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م)، ودفن بتربته التي أنشأها بالصحراء خارج باب البرقية الجديد[(١)].

ولا تزال هذه التربة باقية إلى يومنا هذا بين تربة كزل الناصري[(٢)]، وبين تربة قشتمر المنصوري، وهي الأثر الثاني الذي نحتفظ به لهذا الأمير.

وقراقجا: اسم وصفي مركب من مقطعين، ومعناه الشيخ الأسود، وأمير آخور: ناظر الإصطبلات والركائب السلطانية.

---

(١) عن سيرة الأمير قراقجا الحسني، انظر: المرجع السابق: ٢١٦.

(٢) الأمير كزل الناصري: نسبة لتاجره الخواجا ناصر الدين الظاهر برقوق، كان رأسًا في تعليم الرمح ولعبه، ترقى في الدولة حتى صار في أيام المؤيد مقدمًا مدة، وهو من جملة أمراء أنعم عليهم السلطان الناصرفرج بإمرة عشرين، ثم استعفى ولزم داره حتى مات في سنة نيف وعشرين رحمه الله، انظر: المرجع السابق: ٢٢٨؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٢: ١٩٥.

جامع قانباي الجركسي

أثر رقم ١٥٤ (سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)

هـذا الجامع بميدان السـيدة عائشـة (دار الضيافة سابقًا)[١]، على رأس خط القبيبات المعروف بشارع البقلي[٢]، أنشأه الأمير قانباي الجركسي في سـنة (٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)[٣]، برسم مدرسـة للحنفية والصوفية عين في مشيختها التقي الشـمني ثم البدر العيني؛ وأنشـأ إلى جانبها دارًا لسكنى شيخها وطلبتها، وألحق بها تربة لدفنه ودفن ذويه.

وظهر من كلام السخاوي أن الحامل له على بناء التربة إلى جانب المدرسة حين مات ولده الناصري محمد بن قانباي في يوم الإثنين ٥ من جمادى الأولى سـنة (٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م)، وكان قد دفنـه في بادئ الأمر بتربة الأمـير جركس، فلما تكامل بناؤها نقله من مدفنه إلى هذه التربة ورفع على قبره قبة، وبنى له حوشًا واسعًا وقاعة عظيمة[٤].

وفي هذه المدرسة ميزة معمارية تظهر في مئذنتها المربعة ذات البدن الأسـطواني[٥]، وهي كل ما تبقى من أثرها حتى اليوم بيد أن قمتها مفقودة[٦]، وداخل المسـجد يشتمل على أربعة بلاطات مرتكزة على دعامات حجرية؛ وفي وسـطها صحن مكشوف، وفي جانب من البلاط القبلي ضريح يحيط به دربوز من الخشـب، بداخله ضريح يعرف بالشيخ عطية والشيخ حسب الله، والمؤكد أنه ضريح الشيخ أحمد الشمني؛

(١) ذكر السخاوي أن دار الضيافة كانت قريبة من مسجد الجركسي، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ١٩٥.

(٢) هو الشارع الذي يبدأ من شارع تحت السور (شارع السيدة عائشة حاليًّا)، وينتهي بشارع المشرقي والشيخ كشك، وهذا الشارع عرف بالبقلي نسبة لضريح علي البقلي ومسجده الموجودان في هذا الشارع، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ١١١.

(٣) قانباي الجركسي: من مماليك الأتابك يشبك الشعباني، والذي أنعم به على جركس المصارع أخي الظاهر جقمق فأعتقه، ثم صار بعد مقتله من المماليك السلطانية، ثم خاصكيًّا في أيام الظاهر ططر، فلما صار الأمر للظاهر جقمق، رقاه إمرة عشرة، ثم رأس نوبة النوب، ثم شاد الربخاناه، ثم دوادارًا كبيرًا، ثم أمير آخور كبير، قبض عليه الأشرف إينال وحبسه بالإسكندرية، حتى أطلقه الظاهر خشقدم، وأرسله إلى دمياط بطالا حتى مات، شهد جنازته السلطان بمصلى المؤمني، ودفن بتربته التي جددها وبناها بالقرب من دار الضيافة، وبها أستاذه جركس وأحد أولاده، والظاهر جقمق وولده، والتي صارت محلاً للملوك، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ١٩٤-١٩٥.

(٤) محمد بن قانباي الجركسي: مات في جمادى الأولى سنة ست وأربعين وصلى عليه في مصلى المؤمني بحضور السلطان والأعيان ودفن بالمكان الذي صار معروفًا بأبيه، وكثر توجعه لفقده، وكان مشكور السيرة، وهو من أقران محمد بن الظاهر جقمق، انظر: المرجع السابق، مج. ٨: ٢٩١؛ السخاوي، **التبر المسبوك**، مج. ١: ١٤٩.

(٥) المسجل من هذا المسجد المئذنة، حيث يعرف الأثر حاليًّا باسم منارة الجركسي برقم (١٥٤).

(٦) تم فك جوسق المنارة بمعرفة لجنة حفظ الآثار وحفظ بالمسجد الحاكمي، وتم استكمال قمة المئذنة في فترة لاحقة.

ومــن البلاط الغربي نصل إلى دار الوضوء وفي جدارها باب يوصل إلى المنارة، وللمســجد من خارجه واجهة بحرية من الحجر الملون، يتوســطها باب منخفض بسيط المنظر يجاور ســبيلاً، وفي الركن الشرقي الشمالي من مدخل المسجد باب صغير نصــل منه إلى التربة المذكورة آنفًا، وفي جانبها القبلي قبر عليه صندوق مــن الطوب يعلوه شــاهدان: أحدهما مزخرف بنقوش قرآنية من آية الكرسي.

تجديد المسجد

وقد كان في هذا المســجد إلى أواخر القرن المنصرم، بعض بقايا صالحة مــن آثاره؛ منها المئذنة الباقي بدنها حتى اليوم، ومنها بيت للصلاة، وكان في سقفه إفريز دائر يقرأ فيه بعد آيات قرآنية كريمة هذه العبارة[١]:

أمر بإنشــاء هذه المدرســة المباركــة المقر الأشرف العالي.العالمي العادلي النظامي المحترمي المخدومي المجاهــدي المرابطــي. الأجلي الأكمــلي الأفضلي المثاغري الهمامي القوامي السيفي. قانباي الجركسي أمــير أخــور الملكي الظاهــري ختــم الله تعالى له بالســعادة بمحمد و آله؛ وذلك بتاريخ ســنة خمس (وأربعين وثمانمائة)

ووجد في هذا الإيوان نفســه بقية من الحلقات التي كان يقرأ فيها:

عز لمولانا السلطان الملك الظاهر أبو سعيد جقمق خلد الله ملكه

فلما تخرب المســجد وتخربت ملحقاتــه من الحمام والبيــت والتربة إلى غير ذلك، شرعــت نظارة الأوقاف في تجديــده للمرة الثانيــة في حوالي ســنة (١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م)، فأعادت بناءه رأسًــا على عقب وجددته على الشكل الحالي، وقد ضــاع النص المذكور في هذه العمــارة، وتغيرت معالم التربة فأخذ منها جزء كبير مع الواجهة الشرقية لبروزها في الشارع العمومي، وهدمت قبة النساء التي كانت في متوسط الشارع وسقطت القبة الأخرى، واختفت الكثير من معالم هذا الأثر؛ بحيث لم يبق في اليوم إلا المئذنة الســابقة الذكر، وهي ذات نموذج خاص لا يوجد في كثير من المآذن الأخرى المعاصرة لها، وقد ســقطت قمتها في سنة (١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م)، فأمر الخديو إســماعيل بترميم بدنهــا وتركيزها وإصلاح الواجهة البحرية[٢].

المدفون بهذه المدرسة من الملوك والعلماء والأمراء والنساء

وقد دفن بهذه المدرســة وتربتهــا جماعات كثيرة من الملوك والعلماء والأمراء والنساء وغيرهم، وكلهم ممن يمت إلى المنشئ وإلى أخيه الملك الظاهر بصلة القرابة.

الأمير جركس: وأول المدفونين بها هو الأمير سيف الدين جركس القاسمي المعروف بالمصارع الظاهري، أخو الملك الظاهر جقمق، تولى في عصر الملك الناصر فرج

(١) هذا النص غير موجود حاليًا.

(٢) عن أعمال لجنة حفظ الآثار العربية في هدم المسجد وإعادة بنائه مرة أخرى، انظر: لجنة حفظ الآثار العربية، **المجموعة الثامنة عشر من محاضر جلسات اللجنة وتقارير قسمها الهندسي عن سنة ١٩٠١ إفرنجية**، ترجمة إلياس إسكندر حكيم (القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩٠٤): ٤٣؛ لجنة حفظ الآثار العربية، **المجموعة التاسعة عشر من محاضر جلسات اللجنة وتقارير قسمها الهندسي عن سنة ١٩٠٢ إفرنجية**، ترجمة إلياس إسكندر حكيم (القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩٠٦): ١٨٢.



منظر عام لجامع قانباي الجركسي «عن لجنة حفظ الآثار العربية»



إيوان الصلاة بجامع قانباي الجركسي «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

نيابة حلب أيامًا، ثم ما لبث أن قتل في بعلبك سنة (٨١٠هـ/ ١٤٠٧م)، وظل مدفونًا بها إلى حين، ثم نقله أخوه إلى الخانقاه السعيدية فدفنه بتربتها، حتى بنى مولاه قانباي هذه المدرسة في التاريخ المتقدم فنقله إليها ودفنه في تربتها، وبالرغم من أن السخاوي لم يشر إلى دفنه بهذه المدرسة لدى ترجمته له في الضوء[١]، فقد أشار إليها في موضع آخر من نفس المصدر وفي التبر المسبوك[٢].

محمد بن جقمق: ودفن بها الناصري محمد بن السلطان الظاهر جقمق مات في سنة (٨٤٧هـ/ ١٤٤٣م)، قال السخاوي: «ودفن في تربة عمه جركس المصارع التي أنشأها قانباي لولده محمد»[٣].

الأمير أزبك: ودفن بها في رمضان سنة (٨٠٤هـ/ ١٤٠١م) الأمير أزبك صاحب منشأة الأزبكية، والمسجد الأوزبكي ظاهر القاهرة، كما دفن بها زوجته الأولى ابنة السلطان جقمق في سنة (٨٧٦هـ/ ١٤٧١م)، وزوجته الثانية أختها لأبيها، فولديه الشرفي يحيى والناصري محمد[٤].

الملك الظاهر جقمق: ودفن بها من الملوك الملك الظاهر أبو سعيد جقمق[٥]؛ وهو أحد ملوك مصر الذين نالوا خطوة كبيرة في الملك وهو جركسي الأصل، كان في بادئ أمره مملوكًا إلى أحد تجار المماليك المدعو كزلك، ثم آل إلى الأمير علي بن إينال اليوسفي؛ ثم صار إلى الملك الظاهر برقوق، فتعين في بادئ أمره خاصكيًّا (من عساكر الحدود)، وفي عهد الملك الناصر فرج عين ساقيًا، وأنعم عليه برتبة أمير عشرة، ولما خرج أخوه الأمير جركس المصارع عن طاعة السلطان قبض عليه وقضى بحبسه بسجن القلعة؛ وفي عهد الملك المؤيد شيخ أعيد إلى وظيفته، ثم رقي إلى أمير طبلخاناه فخازندارًا، وفي عهد الملك المظفر أحمد بن المؤيد شيخ رقي إلى مقدم، وفي أيام الملك الأشرف برسباي رقي إلى حاجب كبير، وفي سنة (٨٢٦هـ/ ١٤٢٣م) عين أمير

---

(١) جركس سيف الدين القاسمي الظاهري برقوق المصارع: كان من خواص أستاذه، وتقدم فولاه ابنه الناصر نيابة حلب (٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م)، عوضًا عن دمرشاس، وقتل في بعلبك عام (٨١٠هـ/ ١٤٠٧م)، وهو أخو الملك الظاهر جقمق، انظر: ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٢: ٣٩٠؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٦٧؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٤: ٢٠٩- ٢١٢؛ ابن تغري بردي، **الدليل الشافي**، مج. ١: ٢٣٤.

(٢) ذكر السخاوي عند ترجمته للأمير محمد بن قانباي الجركسي أنه دفن بقبر الأمير جركس المصارع التي ليس بها إلا رأسه، وإن موت محمد بن قانباي كان سبب بناء قانباي لقبة عظيمة وحوش وقاعة ومرافق ومدرسة، ولم يذكر أي شيء عن نقل جسد جركس لهذه التربة، بل أكد وجود رأسه قبل موت محمد بن قانباي قبل بناء القبة، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٨: ٢٩١؛ السخاوي، **التبر المسبوك**، مج. ١: ١٤٩.

(٣) محمد بن جقمق: الأمير ناصر الدين أبي المعالي بن الظاهر أبي سعيد جقمق الجركسي وأخو المنصور عثمان، أمه الست قراجا ابنة أرغون شاه أمير مجلس الظاهر برقوق، كان عالمًا فقيهًا خيرًا، لقب بالناصر لأن الأمراء والعامة كانوا يرونه= أهلاً بالسلطة بعد أبيه لشدة هيبته ووقاره، لكنه مرض بالسل وتوفي عام (٨٤٧هـ/ ١٤٤٣م)، ودفن بتربة عمه التي هي موضع قبة قانباي الجركسي مع صديقه محمد بن قانباي الذي سبقه بالوفاة، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٧: ٢١٠- ٢١٢؛ ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٤: ٢٢٠- ٢٢١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٥: ٥٠٢؛ السخاوي، **التبر المسبوك**، مج. ١: ١٩٠-١٩٢.

(٤) عن سيرة الأمير أزبك من ططخ الأشرفي الظاهري جقمق، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٢: ٢٧٠-٢٧٢.

(٥) [السجل رقم ٢٧٠] المؤرخ في ٦ من صفر سنة (١١٧٣هـ/ ١٧٨٩م)، بحفظ شرعية مصر، ولهذا السلطان حجج أوقاف على ما جدده من مساجد بالقاهرة تبتدئ أولها من ٢٢ من ربيع الآخر سنة (٨٤٢هـ/ ١٤٣٩م)، إلى ٢٩ من صفر سنة (٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م)، مسجلة من رقم (٩٧- ١١٠). (المؤلف)

أخور (مدور)، وأضيف إليه نظر الخانقاه الصلاحية، ثم نقل إلى أمير سلاح فأتابكًا (رئيسًا) للجيش؛ وما برح قائمًا بأعباء هذه الوظيفة حتى مات الملك الأشرف وخلفه ولده الملك العزيز عثمان، فلم يلبث في الملك إلا قليلاً، فتولى هذا الملك بدله في سنة (٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م)، وخلد له التاريخ ذكرًا حسنًا في أيامه فيذكر عنه أنه كان ميالاً إلى العلم ومحبًّا لأهله موقرًا لهم راغبًا في التقرب إليهم، وكانت له معهم مجالس علمية ومطارحات في فنون شتى كان يحضرها لفيف من جماعة كبار العلماء يتدارسون العلم فيما بينهم وهو ثاني من تلقب بالظاهر من ملوك مصر، وله ألف الحافظ ابن حجر نزهة الألباب في الألقاب[١].

آثار الملك الظاهر

ولم يهتم في أيامه ببناء أي أثر كشأن من تقدمه من الملوك ومن خلفه، بل كان يرى تجديد ما تخرب منها أولى من الإنشاء، وإلى ذلك يشير السخاوي بقوله: «وكان يرى أن إصلاح ما يشرف على الهدم أولى من الابتكار؛ ولذا لم يبتكر مدرسة بل ولا تربة»[٢].

حفظ الآثار الإسلامية في عهد الملك الظاهر

ويعتبر الملك الظاهر جقمق من هذه الناحية من أشد ملوك مصر عناية بحفظ الآثار الإسلامية وصيانتها بالتجديد والتغيير، بل نستطيع القول بأنه هو صاحب هذه الفكرة لم يسبقه إليها سابق؛ ما كان عليه من توجيه العناية إلى صيانة الآثار على هذه الصورة، وقد تجددت في عصره جملة آثار إسلامية منها المدرسة الفخرية القديمة بالوزيرية؛ وجدد جامعًا كان أصله كنيسة ثم حول إلى مسجد بالفسطاط بمصر القديمة؛ والمدرسة الطيبرسية بدار النحاس، جامعًا بخان جهاركسي الخليلي بوكالة الكحال صار الآن في ملك دائرة الأميرة شويكار إبراهيم، وقد هدم بعد تخربه زمنًا، وحل في محله مباني الدائرة المذكورة، وجدد مشهد الإمام الليث بن سعد، وجدد في سنة (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) جامع أيدمر الخطيري ببولاق مئذنته الحالية، وأنشأ رصيفًا بساحل بولاق ينتهي إلى السبتية، وجدد للمدرسة البرقوقية بشارع بين القصرين منبرًا فاخرًا وأقام بها الخطبة، وجدد المشهد الحسيني والقبة الحسينية، وأهداها تلك المشكاوات الثمينة التي لا تزال موجودة باقية إلى اليوم تحيط بالضريح الحسيني تحمل اسمه ولقبه، وجدد لزاوية تقي الدين العجمي بابها العمومي بمباشرة أستاداره الزيني يحي، وبنى للخانقاه الناصرية بمنشأة سرياقوس سورًا، وجدد جامع الظاهر بيبرس بشارع الظاهر خارج القاهرة، وجدد جامع الحاكم بأمر الله الفاطمي، وجدد في سنة (٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م) آثار الحجاز بمكة والمدينة، وعبد الطرق من مصر والشام وأصلح الحرم المكي ومساجد المدينة، وهو أول من اهتم من ملوك مصر بتنظيم طرق القاهرة وظواهرها[٣].

وجدد في سنة (٨٢٢هـ/ ١٤١٩م) وهو إذ ذاك أمير بدمشق خانقاه سنجر الهلالي المعروفة بالناصرية، نسبة للملك الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون، وبنى في مقابلها خانقاهًا ومسجدًا أو تربة ومكتبًا، ولا تزال آثارها باقية

---

(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٧١- ٧٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٥: ٢٥٦- ٤٦٢؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٤: ٢٧٥- ٣١٢؛ ابن تغري بردي، **الدليل الشافي**، مج. ١: ٢٤٦؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ١٩٨- ١٩٩، ٢٩٩- ٣٠٣.

(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٧٣.

(٣) المرجع السابق؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٢٥٤- ٢٥٦.

بعاصمة البلاد الشامية حتى اليوم وله غير ذلك، وما زال متمتعًا بالملك حتى خلع نفسه عنه لولده الملك المنصور عثمان بعد أن حكم ١٥ سنة إلا شهرًا؛ وما لبث أن مات في المحرم سنة (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م).

وقد أفرده بالترجمة محمد بن أحمد الغزي الدمشقي أحد علماء الشافعية، والحافظ ابن حجر، وتحتفظ مكتبة المتحف البريطاني بمؤلف [رقم ٥٥٩] موسوم بالتأليف الطاهر في شيم الملك الظاهر القائم بنصرة الحق أبي سعيد جقمق؛ لأحمد بن محمد بن عرب شاه، ويصفه الرضي الغزي وغيره بأنه كان ملكًا كريمًا جوادًا عادلاً؛ يحب الفضيلة ويحافظ عليها، وقد نعمت مصر في أيامه تنعمًا كبيرًا، وحفظت فيها الآداب إلى حد كبير، فأبطلت منها تلك العادات المستهجنة التي كانت تجر إلى الفساد وتؤدي إلى الدمار أمثال اجتماع الرجال والنساء بدور التشخيص والملاهي؛ وهي ما سماه الغزي وغيره بأصحاب خيال الظل والشخوص، كما أبطل ما كانوا يسمونه بالرماحة أمام المحمل لاجتماع الأخلاط فيها من النساء والرجال وظهور الفساد وتفتن الموبقات، وكذلك ما كان يقع في الموالد في طنتدا ومصر وغيرها، وأمر أن تشيع الجنازات بالطرق المشروعة، فأبطل منها صبيان الكتاتيب والمحاملية ومنع خروج النساء، ومن المبيت في الجبانات، وشدد النكير على شاربي الخمور، وبالجملة فقد استطاع هذا الملك أن يسوس البلاد بعدله سياسة ضرب فيها الرقم القياسي لغيره من الملوك، حتى كان العلماء يخافونه ويجلونه لسطوته ومهابته، وكان يقبل مناصحتهم ويعمل بمشورتهم، وللحافظ ابن حجر معه في ذلك مواقف مشرفة محمودة رفع بها العلم والعلماء أمثاله [انظر التبر المسبوك والجواهر والدرر للسخاوي][1].

ويؤكد المؤرخون أنه كان كثير الاهتمام ببقاء صلة الود والصداقة بينه وبين الدول المحيطة به بشكل يدعو إلى الإعجاب، ولكي يحقق فكرة السلام الدائم بينه وبين الدول في الشرق والغرب؛ هادن جميع دول أوروبا وعقد معها معاهدات تحالف وصداقة، وترددت القصاد والسفراء بينه وبينها بالتقادم والهدايا، ثم عمد بالتالي إلى مهادنة ملوك الطوائف بالأندلس وإسبانيا والبرتغال، وظهرت مصر في عصر هذا الملك سيدة الشرق والغرب، إذ كان يؤمها عدد غير قليل من مستشرقي أوروبا، واستطاعت أوروبا قاطبة أن تستفيد من سياسة هذا الملك فوائد عظمى سياسيًّا واقتصاديًّا وعمرانيًّا، فكثرت المدارس لتعليم اللغة العربية والمساجد والمعاهد الإسلامية بكل أنحاء أوروبا بكثرة المسلمين من تبادل الرحلة والجوبان بينهم وبين سكان أوروبا بصورة ظهرت آثارها في كتب الغرب إلى غير ذلك من صفحات هذا الملك التاريخية [انظر كتاب نظام الحكومة النبوية].

زوجات الملك الظاهر جقمق وأولاده

وتزوج الملك الظاهر عدة أزواج؛ أولهم الخوند مغل البارزية تزوجها في سنة (٨٢٦هـ/ ١٤٢٣م) ثيبًا، وطلقها في سنة

---

(١) انعكس صلاح الملك الظاهر جقمق على أمرائه ومماليكه؛ حيث ذكر ابن تغري بردي أن العديد من أمرائه وأرباب دولته تاب أكثرهم وتصولح وتزهد، وصار كل واحد منهم يتقرب إلى الله بنوع من أنواع المعروف، فمنهم من صار يكثر الحج، ومنهم من تاب وأقلع عما كان فيه، ومنهم من بنى المساجد والمدارس، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٥: ١٠٨.

(٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م)[١]، وخلفت منه ابنتين خديجة[٢] وفاطمة[٣]؛ تزوجت الأولى بالأمير أزبك من ططخ الأشرفي[٤]، وتزوجت الثانية بالأمير جانبك[٥].

وتزوج الخوند نفيسة بنت الأمير ناصر الدين بن الغار بك؛ في سنة (٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م)؛ وماتت في سنة (٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م)[٦] .

وتزوج الخوند زينب بنت الأمير جرباش الكريمي السلاح دار، وأمها فاطمة بنت قانباي العمري بن أنس أخت الملك الظاهر برقوق، ماتت سنة (٨٦٤هـ/ ١٤٦٠م)، ودفنت بجامع برقوق بالقاهرة[٧].

وتزوج الخوند زهراء التركية، وهي أم ولده الملك المنصور عثمان وابنته فاطمة، ماتت بالإسكندرية ودفنت بمدرسة ولدها ظاهر باب البحر[٨].

وتزوج خوند شاه زاده العثمانية وخلف منها أحمد؛ وطلقها في سنة (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)[٩]؛ وتزوجت بعده الأمير برسباي البجاسي وماتت تحته[١٠]، ودفنت بتربته بالصحراء بميدان القبق [انظر هذه التربة باسم السلطان أحمد].

وتسرى بجملة سرايا منهن سورباي الجركسية صاحبة الأثر المعروف بها بشارع الخضراء ببولاق، وماتت سنة (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)[١١].

وكان اسمه قبل أن يتولى الحكم جاقمق ومعناها «الزناد»، فلما تسلطن تسمى باسم محمد، وتكنى بأبي سعيد وتلقب بالظاهر.

وللملك الظاهر جقمق كتاب وقف صادر في ربيع الآخر سنة (٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م)، محفوظ بشرعية مصر برقم [٩٧].

---

(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٢: ١٢٦- ١٢٧؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٧٠.

(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٢: ٢٦.

(٣) المرجع السابق: ٩٠- ٩١؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٤: ٣١٢.

(٤) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٥: ٣٨٣، هامش ٢؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٢: ٢٧٠-٢٧٢؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٤١١- ٤١٣.

(٥) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٩: ٥٣.

(٦) المرجع السابق، مج. ١٢: ١٣٠.

(٧) المرجع السابق: ٤٠- ٤١.

(٨) المرجع السابق: ٣٨.

(٩) الأميرة زاده خوند شاه: بنت الأمير أرض بك بن الأمير محمد كرشجي بن يلدرم السلطان بايزيد الأول بن السلطان مراد الأول ابن السلطان عثمان خان، قدمت الأميرة المذكورة مع أخيها= الأمير سليمان إلى مصر في عهد الملك الأشرف برسباي، ومات أخوها المذكور في سنة (٨٤١هـ/ ١٤٣٧م) بالقاهرة، وتزوجها الملك الأشرف برسباي ومات عنها، فتزوجها الظاهر جقمق واستولدها هانم، ثم طلقها في سنة (٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م)، فتزوجها برسباي البجاسي، وماتت بمصر في أواخر رجب سنة (٨٥٩هـ/ ١٤٥٤م) عن ٣٢ سنة، ودفنت بهذه المنطقة حتى بنيت التربة فنقلت إليها، انظر: المرجع السابق، مج. ١٢: ٣٧.

(١٠) برسباي البجاسي: أصله من مماليك تنبك البجاسي نائب الشام، الخارج عن الأشرف برسباي بدمشق سنة (٨٢٧هـ/ ١٤٢٤م) حيث قتل بها، وخدم بعده بالقاهرة عند جانبك الأشرفي الدوادار الثاني، ثم اتصل بعد موته بأستاذه الأشرف، وصار في آخر أيامه خاصكيًا، ثم في آخر أيام الظاهر ساقيًا، ثم أمير عشرة، ثم صار من رؤوس النوب، ثم نائب الإسكندرية، ثم تقدم في أيام الأشرف إينال بسفارة ناظر الخاص الجمالي، تزوج ابنة بردبك سبطة السلطان فرج، ثم أصبح أميرًا وولي الحجوبية الكبرى بعد جانبك القرماني، ثم الأخورية الكبرى بعد يونس العلائي، ولم يرع ذلك كله في ولده المؤيد أحمد بل مال إلى الأتابك خشقدم، فلما استقر في المملكة لم يحظ عنده، بل كان سببًا في تأخيره، ولكنه بسفارة قانم التاجر ولاه نيابة طرابلس، ثم نيابة الشام بعد تنم، مات في سنة (٨٧١هـ/ ١٤٦٦م)، دفن بزاوية القلندرية من مقبرة الباب الصغير، انظر: المرجع السابق، مج. ٣: ٧- ٨.

(١١) المرجع السابق، مج. ١٢: ٦٦.

الملك المنصور عثمان: ودفن بها ولده الملك المنصور عثمان بن الملك الظاهر جقمق، ولد في ربيع الأول سنة (٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م)، من أم ولد اسمها زهراء، واعتنى به أبوه عناية زائدة، وأسمعه الحديث والعلوم على شيوخ العصر، واستجاز له من جماعة من العلماء عدة إجازات في علوم مختلفة؛ ثم دربه تدريبًا عسكريًّا، ورشحه للملك قبيل وفاته، فتولى ملكًا على مصر في حياته، بيد أنه لم يلبث إلا يسيرًا حتى وثب عليه إينال أتابك العساكر وخلعه منه وتولى بدله وتلقب بالملك الأشرف إينال، فانصرف الملك عثمان إلى طلب العلم ورحل من أجله واجتمع بالشيوخ، فحصل على منزلة عالية وما برح حتى مات في دمياط في المحرم سنة (٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م)، قال السخاوي: «فتوجه الأتابك والزمام لإحضاره ودفن عند أبيه بتربة قانباي»[١].

الشمني: ودفن بها أحمد بن محمد بن محمد بن حسن ابن علي بن يحيي بن محمد بن خلف الله القسنطيني المعروف بالشمني منسوب إلى قسنطينة من أعمال الجزائر بالمغرب الأوسط، ومولده بالإسكندرية في سنة (٨٠١هـ/ ١٣٩٨م)، وقدم القاهرة مع أبيه فأسمعه على شيوخ العصر علومًا شتى، وتفقه مالكيًّا في بادئ الأمر ثم تحول في سنة (٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م)، إلى اعتناق مذهب أبي حنيفة، ويصفه السخاوي بالعلم والزهد والفقه إلى غير ذلك من الصفات الفاضلة بحيث جعله منقطع القرين في عصره.

ولما بنى الأمير الجركسي مدرستــه هذه اختاره شيخًا لصوفيتها وخطيبًا لها، وابتنى له بيتًا في جوارها لبث ســاكنًا فيه حتى مات في ســنة (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م)، وقال السخاوي في ترجمتــه: «ودفن بحوش داخل تربة قانباي»، وقد أســهب في ترجمته وذكر فيها ما له من تصانيف وتآليف [راجع المصدر المذكور][٢].

جوهر الظاهري: صفي الدين جوهر الأرغوني اتصل بخدمة الظاهر جقمق في سنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)، وهو إذ ذاك أمير أخور عن الملك الأشرف برسباي، فلما تولى الظاهر الملك عينه ساقيًا، وما زال يتقلب في الوظائف حتى عين بعد موت الملك الظاهر رأس نوبة الجمدارية «كبير الخدم المختصين بملبوس السلطان»، وكان مع وظيفته هذه خطاطًا ماهرًا في الخط المنسوب «أبي الرقعة»، قال السخاوي: «مات في شعبان سنة (٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م)، ودفن من غده بتربة قانباي الجركسي»[٣].

سورباي: الجركسية من سراري الملك الظاهر جقمق، ماتت في ربيع الآخر سنة (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، قال السخاوي: «فحملت في صبيحة يوم السبت إلى سبيل المؤمني، فصلى عليها السلطان وخلق، ثم دفنت بتربة قانباي الجركسي».

وذكر من مآثرها الســبيل المعروف باســمها بشارع الخضراء (خضرة البصل ســابقًا)، تجــاه جامع الزيني يحي ببولاق [انظر هذا السبيل][٤].

---

(١) المرجع السابق، مج. ٥: ١٢٧- ١٢٩؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٣٠١- ٣٠٢؛ مج. ٣: ٢٣٧.

(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٢: ١٧٤- ١٧٨؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٢: ١٠٠- ١٠٥.

(٣) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٨١.

(٤) المرجع السابق، مج. ١٢: ٦٦؛ السخاوي، **التبر المسبوك**، مج. ٢: ١٣٥.

جامع زين الدين يحيى (المدرسة الزينية)

أثر رقم ١٨٢ (سنة ٨٤٦-٨٤٨هـ/ ١٤٤٢-١٤٤٤م)

هذا الجامع بشارع بين النهدين[١]«باب الخوخة[٢]، ثم شارع بين السورين سابقًا[٣]»، أنشأه الأمير زين الدين يحي الأستادار على أنقاض مسجد الخوخة أحد المساجد الفاطمية المنشأ في سنة (٥١٦هـ/ ١١٢٢م) [انظر ترجمة هذا المسجد في كتابنا هذا][٤]، وقد أنشأه برسم مدرسة جامعة عرفت بالمدرسة الزينية؛ وبدأ في إنشائه من سنة (٨٤٦-٨٤٨هـ/ ١٤٤٢-١٤٤٤م).

والمدخل إليه من بابين: أحدهما الباب الأصلي ومنه بعد اجتياز ممر صغير نصل إلى صحن مغطى بسقيفة ذات مناور حديثة، حلت محل سابقتها، ويحدق بالصحن أربعة أواوين متعامدة أكبرها الشرقي وبه المنبر والمحراب؛ ومن الجانب القبلي نصل إلى قبر متواضع أنشأه في سنة (٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م)؛ ولا يزال هذا الجامع حافظًا لأكثر زخارفه، وتفاصيله وغالب مفرداته لم يعتريها ما يغير شكلها ويبدل وضعها الأصلي.

أما مئذنته الرشيقة فهي مئذنة لا تعادلها أخرى، وتمتاز بما يحيط بها من وزرة رخام، يكسو وسطها بطريقة هندسية متقنة؛ وبابه البحري يتحلى بمجموعة من المقرنصات ذات منظر رائع، كذلك مدخله وكل أجزائه.

(١) هذا الشارع دخل حاليًا في شارع بين السورين، حيث كان يبدأ بشارع بين السورين، وينتهي بشارع الحفني، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٣: ٦.

(٢) باب الخوخة أحد أبواب القاهرة مما يلي الخليج في حد القاهرة البحري، يسلك إليه من سويقة الصاحب ومن سويقة المسعودي، عرف في العصر الفاطمي بخوخة ميمون دبه أحد خدام العزيز بالله، تجاه مسجد باب الخوخة الذي أنشأه المامون البطائحي في سنة (٥١٦هـ/ ١١٢٢م) بجوار مدرسة أبي غالب، ومسجد باب الخوخة مكانه اليوم المدرسة الزينية، التي تعرف اليوم بجامع القاضي يحيى زين الدين الواقع عند تقاطع شارعي الأزهر وبورسعيد، بالقرب من المدرسة الفخرية بين السورين المعروفة الآن بجامع البنات، فيكون موقع باب الخوخة في الزاوية الواقعة تجاه جامع القاضي زين الدين على يمين المتجه إلى ميدان باب الشعرية، ونسب المسجد للأمير يحيى بن عبد الرازق الزيني الظاهري، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٤٠، هامش ٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ١٤٢، هامش ٤؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ٢٣٣.

(٣) خط بين السورين: من حد باب الكافوري في الغرب إلى باب سعادة، وبه الآن صفان من الأملاك: أحدهما مشرف على الخليج، والآخر مشرف على الشارع المسلوك فيه من باب القنطرة إلى باب سعادة، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٧١- ٧٢.

(٤) أدركه المقريزي وذكر أنه بني عام (٥١٦هـ/ ١١٢٢م) على يد المأمون البطائحي، وذلك عندما سكن دار الذهب، حيث كان أمامها محرسًا فأمر بإزالته وبناء هذا المسجد، وأشرف على ذلك عدي الملك بن بركات بن عثمان، انظر: المرجع السابق، مج. ٤: ٧١٧.

المذكرة الأولى: بالباب البحري بجانبه وبأعلاه:

البسملة. إنما يعمر- إلى المهتدين- بتاريخ جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين وثمان مائة. أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك العبد الفقير إلى الله. تعالى المقر الأشرف الكريم العالي الملكي الظاهري

المذكرة الثانية: بأركانه الأربعة من الداخل:

أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك مولانا المقر الأشرف الكريم العالي المولوي الأميري الكبيري السعيدي السندي. الأجلي المحترمي[1] المالكي الذخري[2] العضدي[3] النظامي[4] الهمامي المشيري[5] السفيري الزيني أبو زكريا يحي أمير أستادار العالية وكان الابتداء سنة ست وأربعين وثمان مائة. والفراغ في ثاني شعبان المكرم سنة ثمان وأربعين وثمان مائة

المذكرة الثالثة: بدائرة قبر المنشئ بالجهة القبلية من المسجد.

أنشأ هذا المدفن المبارك الفقير إلى الله تعالى المقر الأشرف العالي الزيني يحي أستادار العالية وجمكدار عز نصره بتاريخ جمادى الآخرة سنة خمسين و ثمان (مائة)

المذكرة الرابعة: على ضريح الشيخ فرج السطوحي.

هذا ضريح الشيخ الصالح سيدي فرج السطوحي. أعاد الله بركته على من جدد هذا المعروف وعلى المسلمين بمحمد و آله

المذكرة الخامسة: وما بعدها تشير إلى آخر تجديد حدث بهذا المسجد من سنة (١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م) إلى سنة (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م).

البسملة جدد هذا الجامع من فضل الله تعالى في عهد خديو مصر الأعظم والملاذ الأفخم من هو معوذ بالسبع المثاني أفندينا عباس حلمي الثاني بمباشرة لجنة حفظ الآثار العربية عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف من الهجرة الشريفة النبوية رقمه يوسف أحمد

شرع في تجديد هذا الجامع المبارك في عصر ساكن الجنان الخديو الأعظم محمد توفيق باشا سنة ثلاثة وثلثمائة بعد الألف وانتهى في عصر ولي النعم الخديو الأعظم عباس حلمي باشا الثاني بمباشرة لجنة حفظ الآثار العربية عام خمسة عشر وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة (النبوية)

(١) قرأ الأستاذ حسن عبد الوهاب هذا الجزء من النص (الكبيري الأجل المحامي المخدومي السيدي السندي)، انظر: عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**، مج. ١: ٢٣٦.

(٢) الزخري: لقب يمنح لأكابر العسكريين، كنواب السلطنة في عصر المماليك، وهي تعني في اللغة ما يزخر من النفائس، انظر: الباشا، **الألقاب الإسلامية**: ٢٩٢.

(٣) العضدي: استعمل هذا اللقب ليدل على المساعدة والإعانة لقيامه بمساعدة الحاكم والسلطان، وهي من اسم الساعد في اليد، انظر: المرجع السابق: ٤٠٣.

(٤) النظامي: استخدم اللقب للوزراء ومن في مقامهم في العصر المملوكي، انظر: المرجع السابق: ٥٣٣.

(٥) المشيري: هو الناصح الذي يؤخذ برأيه، ويلقب به الوزراء وأكابر الأمراء من مقدمي الألوف، انظر: المرجع السابق: ٤٧١.



منظر عام لجامع زين الدين يحيى «عن مساجد مصر»

تجددت هــذه الواجهة في عهد الملك الصالح فاروق
الأول سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وألف
البســملة... إنما يعمر مساجد الله- إلى المهتدين-
البسملة... وإن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا
جدد هــذا الباب في عهد حــضرة صاحب الجلالة
الملك الصالح فاروق الأول ســنة ثمان وخمســين
وثلاثمائة وألف

تطورات التجديد على المسجد

لم يطرأ على هذا المســجد من تطــورات التجديد ما يستحق الذكر، بيد أن عمارة سبقت آخر عمارة به كانت في سنة (١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م) تناولت بعض مفرداته[(١)].

وفي سنة (١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م) شرع في تجديده، فأعيدت الأجــزاء المتخربة مــن المئذنة إلى أصلهــا، وأصلح المنبر والمنصة، ورمــت الواجهة والباب ونظــم بلاط الصحن؛ ورفعت فوقه ســقيفة أخرى إلى غــير ذلك، وتم العمل من هذه العمارة في سنة (١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م)[(٢)].

وفي سنة (١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م) إلى سنة (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م) جددت واجهة المســجد القبلية التي كشــفها فتح شارع الأزهر الجديد في ســنة (١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م)، وفتح لها باب في نهايتها الغربية، وحولت إليها واجهة المكتب، واســتعيض عن بابه القديم بشــباك فزادت شــبابيك الوجهة الشرقية شباكًا، والواجهة الجديدة وبابها مكسو بطبقة من النحاس المخرم؛ وجزء آخر من ظهر المســجد إلى شارع الخليج؛ وقد أحدث به شرفات من خشــب خرط، ومــن باب الواجهة الجديدة نصل إلى مدفن المنشئ والمكتب ثم إلى المسجد.

وفي أواخــر ســنة (١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م) أنشــأت وزارة الأوقاف دار وضوء حديثة لهذا المســجد في جوار الواجهة الجديدة لجهة الغــرب في الجنوب الغربي للمســجد، بدل ميضأتــه القديمة التي كانت في منخفــض عن الأرض في جانب الباب البحري لجهة الغرب، وكملت في صفر ســنة (١٣٦١هـ)/ مارس سنة (١٩٤٢م).

مؤسس هذا المسجد

ومؤسس هذا المســجد هو الأمير زين الدين يحيى بن عبد الرزاق الأستادار، كان مســيحيًّا أرمني الجنس أسلم وحسن إسلامه؛ ترجمه الســخاوي في الضوء اللامع، فأفاد أنه ولد في حوالي ســنة (٧٩٣هـ/ ١٣٩١م) بالقاهرة ونشأ بها،

---

(١) عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**، مج ١: ٢٣٧.

(٢) عن أعمال لجنة حفظ الآثار العربية، انظر: لجنة حفظ الآثار العربية، **مجموعة محاضر الجلسات وتقارير القومسيون الثاني عن سنة ١٨٨٤ إفرنجية** (القاهرة: المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، ١٨٩٥): ٨، ١٦؛ لجنة حفظ الآثار العربية، **الجزء الثالث من محاضر وتقارير لجنة حفظ الآثار القديمة العربية لسنة ١٨٨٥ إفرنجية** (القاهرة: المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، ١٣٠٥هـ): ٣- ٩٤؛ لجنة حفظ الآثار العربية، الجزء الخامس من **محاضر وتقارير لجنة حفظ الآثار القديمة العربية لسنتي ١٨٨٧- ١٨٨٨ إفرنجية** (القاهرة: ديوان عموم الأوقاف المصرية، ١٣٠٨هـ): ٥؛ لجنة حفظ الآثار العربية، **المجموعة السادسة من محاضر لجنة حفظ الآثار القديمة العربية عن سنة ١٨٨٩ إفرنجية** (د.م.، د.ت.): ٩٥؛ لجنة حفظ الآثار العربية، **المجموعة السابعة من محاضر لجنة حفظ الآثار القديمة العربية عن**= **سنة ١٨٩٠ إفرنجية يليها تقارير القومسيون الثاني في السنة المذكورة** (القاهرة: المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، ١٨٩١): ٤٣- ٤٥؛ لجنة حفظ الآثار العربية، **المجموعة الثامنة من محاضر لجنة حفظ الآثار القديمة العربية وتقارير القومسيون الثاني عن سنة ١٨٩١ إفرنجية** (القاهرة: المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، ١٨٩٢): ٧٠؛ لجنة حفظ الآثار العربية، **المجموعة الثامنة عشر من محاضر جلسات اللجنة وتقارير قسمها الهندسي عن سنة ١٩٠١ إفرنجية** (د.م.، د.ت.): ١٤٢- ١٤٥.

فسلك في بادئ أمره الخدمة في دواوين الحكومة، ثم تولى ناظرًا على الديوان المفرد، وفي سنة (٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م) تعين ناظرًا على الإسطبل السلطاني ثم عزل وعاد إلى وظيفته الأولى؛ وفي سنة (٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م) تعين أستادارًا بدلاً من خاله محمد بن أبي الفرج، وفي سنة (٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م) أضيفت إليه وظيفة الحسبة بعد تقديم استقالته من الأستادارية وعودته إليها ثانية. ومن هذا التاريخ يبدأ نجمه في العلو والارتقاء وتقبل عليه الدنيا، ويتبوأ المكانة العليا ويطلق له الملك الظاهر جقمق السلطة في المملكة؛ فيتصرف بما يشاء ويحكم بما يريد، فيفرض الضرائب الفادحة على الأهالي؛ ويصادر الأغنياء وذوي اليسار من الفلاحين، ويستولي على أرزاقهم إلى غير ذلك من الأمور التي كان يستصوبها ويرى استحقاق الشعب لها، وكان الشعب يعتبرها مظالم؛ فكان يستاء منها استياء ظهر أثره عقب موت الملك الظاهر مباشرة، فسرعان ما صادره الملك المنصور بن الظاهر غير مكترث بوصية أبيه له بشأنه، ثم عمد إلى حل أوقافه ووضع يده على جميع ما يملك من إقطاعات وأثاث ومتاع، واقتفى أثره الملك الأشرف قايتباي، ولم يقف به الأمر عند هذا الحد فحسب بل امتحن بالسجن والتعذيب والتشريد والنفي إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

فكان هذا المنفى سببًا في حسن خاتمته وإبداله عز الدنيا ونعيمها وترفها الزائل بنعيم الآخرة الدائم، ثم تمارض بآخرته وما برح يعاني الآلام من المرض ونحوه حتى مات في ليلة الخميس ٢٨ من ربيع الأول سنة (٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، قال السخاوي: «ودفن بمدرسته»[١].

وبالرغم مما نسب إلى هذا الأمير وما حل به فقد استطاع أن يخلد ذكره بما خلفه من آثار؛ لا يزال غالبها ماثلاً حتى الآن منها؛ هذا الجامع وآخر بالحبانية وآخر ببولاق، وأنشأ رباطًا ومسجدًا بشارع بين السورين، ولا تزال هذه المنشآت قائمة وسنذكرها[٢].

ولمنشئ هذا الأثر كتاب وقف مؤرخ في الثالث من رمضان سنة (٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م)، يتضمن ما وقفه على مسجده هذا ومنشآته الأخرى من عقارات وأراضٍ بالقاهرة وظواهرها، والمكتبة العامة التي أسسها بالمسجد وحبس ما فيها من كتب على طلبة العلم الشريف الملازمين للجامع المبارك، وقد تسرب من هذه المكتبة إلى مكتبة السلطان أحمد الثالث بالأستانة كتاب الدر الثمين في أخبار سيد المرسلين ﷺ مؤلف ابن أيبك صاحب صرخد.

(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ٢٣٣- ٢٣٤.

(٢) هدم هذا الرباط في الخمسينيات من أجل توسعة شارع الخليج المصري. (المراجع)

مسجد يونس أمير آخور (يوسف الكردي)

أثر رقم ٢١٢

هذا الجامع بشارع درب الجماميز «جماميز السعدية»[(١)]، ويعرف بمسجد يونس أمير آخور الظاهري لنزوله فيه في سنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)[(٢)]، لم يذكره السخاوي في الضوء اللامع[(٣)]، والمدخل إليه من باب يجاوره سبيل بالشارع المذكور وداخله يشتمل على إيوانين يقابل أحدهما الآخر، وتتألف وجهتهما من أقواس مرتكزة على البناء، وفي الإيوان الأول المحراب، وفي الثاني تابوتان كتب بأحدهما ما نصه:

هذا مدفن العبد الفقير إلى الله تعالى يونس بن محمد الخضر غفر الله له ولوالديه والمسلمين أجمعين آمين

وبالثاني:

توفي الجناب يوسف ولد الجناب الشرفي يونس أمير آخور. في شهر ربيع الأول سنة ثلاثة وخمسين وثمانمائة؛ وتوفيت المرحومتين زينب وخديجة في حادي عشر رجب من السنة المذكورة تغمدهم الله برحمته

جامع حارس الطير

ومنشئ هذا المسجد هو الأمير بكتمر بن عبد الله السعدي المعروف بحارس الطير «وظيفته التي كان يشغلها، والطير هو الحمام الزاجل» المؤيدي[(٤)]، أنشأه برسم مدرسة للعلم ومسجد، وعين لمشيخته الشيخ عبد القادر بن عمر، وأنشأ خلفه تربة لدفنه تتصل بالمدرسة في داخل عطفة النيدي «عطفة الأربعيني»، وقد تخلف من أثر المنشئ نصٌّ تاريخيٌّ قرأنا فيه بعد البسملة وآية الكرسي:

---

(١) يحمل جامع يوسف الكردي حاليًا رقم٢١٣، وهو نفس رقم تسجيل السبيل الملحق به.

(٢) يقع هذا المسجد برقم٣ شارع درب الجماميز بالقرب من حارة عبد الباقي. (المراجع)

(٣) لم نقف على ترجمة الأمير يونس المذكور في كتب التراجم والأعلام، ويبدو أن ذلك بسبب تاريخ الوفاة الذي ذكره صاحب المزارات في سنة (٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م)، وهو العام الذي اشتدت فيه وتيرة تفشي وباء الطاعون، وكثرت فيه وفيات العامة والأمراء والأعيان وأكابر الدولة لذا كان من الصعب حصرهم ومعرفة أسمائهم.

(٤) الأمير سيف الدين بكتمر بن عبد الله السعدي نسبة لأستاذه سعد الدين بن غراب، حيث سكن بدار أستاذه بخط قنطرة طقزتمر، وبعد وفاة أستاذه سار أمير عشرة ثم أمير طبلخانة، ودخل في خدمة المؤيد، ولم يكن قط حارسًا للطير، انظر: ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٣: ٤٠٨-٤١٠؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٤: ٣١٥- ٣١٦؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ١٧.

أمر بإنشـاء هذه المدرسـة المباركة . من فضل الله سـبحانه وتعالى وجزيل عطائـه العميم. الجناب الكريم العالي المولوي بكتمر... سنة ستة وعشرين وثمانماية

وبالتربة محراب من الحجر وضريح المنشـئ ووفاته في ربيع الأول سنة (٨٣١هـ/ ١٤٢٨م)، وتأتي تسمية الأثر بيونس من طريـق وقفه عليه كما في كتاب وقفه المحرر في ١٥ من ذي الحجة سنة (٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م)، [المسجل برقم ١٣٧ بحفظ مصر]، وتبين لي من وثيقة المرحوم بدر الدين حسـن نقيب الأشراف بمـصر المحررة في ٢٥ من رمضان سـنة (٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م) [المودعـة بقلم الحفظ رقم ٢٣١م، ص٣٦]، إنه رتب للمسـجد من فاضل ريع وقفه مرتبًا للـصرف على إقامة الشـعائر به، ومات الواقف سنة (٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م)، وخلفه في النظر على وقفه ولده عبد الرحمـن، فأدخل في الوقف بماله من شرط أبيه له ورثة الشرفي يونس بن الزيني خضر الشهير بابـن الخضري وهو صاحب المدفن الموجـود بالأثر، ومات عبد الرحمـن ابن الواقف في رجب سـنة (٩٥٩هـ/ ١٥٥٢م)، وخلفـه ولده الشـهابي أحمد، فأدخل فيه بـاقي أفراد أسرة الشرفي يونس وضم وقفه إلى وقف جده البدري حسن.

وكتـاب الواقف سـالف الذكر يضع هـذا الأثر بين قنطرتي عمر شـاه[١] وطقزدمر النـاصري[٢]، والأولى: هي المنطقـة التي تحمل اسـمها إلى اليـوم قبيـل نهاية درب الجمامـيز[٣]؛ والأخيرة: كان موضعها بأقـصى حارة الوزان تجاه حارة السادات ومسـجد قراقجا الحسني، والسخاوي في الضوء اللامع يضعـه على رأس درب النيدي وهو نفس الموقع الذي وضعه فيه المقريزي[٤].

ودرب النيدي هو جميع المنطقة التي تحد شـمالاً بخط قبو الكرماني وجنوبًا بالكوم الأبيض، وهو من حقوق جماميز السعدية، ورأيت في [السجل رقم ٢٤٦، تقارير سنة (١٢٧١هـ) ص٣٧، ٣٩]، أنه تقرر على جامع حارس الطير الكائن بمصر المحروسـة قريبًا من السوق الصغير على يسار السالك طالبًا لمسـجد السـيدة زينب تجاه بيت مصطفى أغا الوكيل، وفي [ص٣٧ من السجل المذكور] تسميته بمسجد الشيخ يوسف الكردي والخضري[٥]، وأنه كائن بمصر المحروسة بخط درب الجماميز بالسـوق الصغير تجاه مـنزل المرحوم مصطفى أغا

(١) قنطرة عمر شاه: تعرف بقنطرة عمارشة، وظلت حتى سنة (١٨٩٨م) حيث ردم القسم الأوسط من الخليج، ومكانها الآن مدخل حارة عمر شاه في شارع بورسعيد على يسار القادم من ميدان السيدة زينب التي توصل إلى سكة سويقة اللالا، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٩١، هامش ٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ٢٨٥، هامش ١.

(٢) الأمير سيف الدين طقزدمر «طقزتمر» الحموي الناصري الساقي: نائب السلطنة، توفي سنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م)، ينسب إليه حكر= طقزدمر والقنطرة خارج القاهرة، والربع خارج باب زويلة ودار التفاح والحمام عند قبو الكرماني، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٨٨، ٤٩٢؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، مج. ٣: ٨٠؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٢: ٦٩٨؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ٣٢٦؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٦: ٤٢٠-٤٢٢.

(٣) قنطرة درب الجماميز: ظلت باقية حتى سنة (١٨٩٨م) مع ردم القسم الأوسط من الخليج، ويدل على مكانها الآن مدخل شارع قنطرة درب الجماميز بشارع بورسعيد، الموصل إلى حارتي السلطان الحنفي والهياتم حيث مسجد الأمير شوربجي، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٩٢، هامش ١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ١٩٤، هامش ٢؛ مج. ١٠: ٧٥، هامش ٥.

(٤) ذكر المقريزي عند ذكره المساجد التي جددت أن جامع حارس الطير في رأس درب النيدي، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٣٥٦.

(٥) يبدو أن هناك خلطًا كبيرًا لدى حسن قاسم بين جامع يوسف الكردي وزاوية الكردي ويبدو أن قربهما من بعضهما كان=

الوكيل، ومنزل الوكيل لا يزال قائمًا بالمنطقة تجاه المسجد رقم (...) تنظيم، وهذا التحقيق يصحح ما ذكره عنه علي مبارك باشا وغيره من المشتغلين بدراسة معالم القاهرة[1].

والمسجد بحالته الراهنة لم يفقد طابعه من الداخل[2]، أما من الخارج فقد جدده المرحوم محرم أغا كبير مستحفظان في سنة (١١٢٨هـ/ ١٧١٦م)، وأقام له المئذنة الحالية وسقاية الماء والمكتب، ووقف عليه وقفه المحرر في غرة شعبان سنة (١١٢٨هـ/ ١٧١٦م) [المسجل برقم ٣٦٩، ص٦٦]، ولم يطرأ عليه أي تجديد جوهري آخر غير أعمال تقوية في سنة (١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م)[3].

= سبب ذلك الخلط مما يؤكد ذلك اختلاف اسم المنشئ، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٣: ١٠؛ المرجع السابق، مج. ٤: ٧٩.

(١) أمر هذا المسجد يكتنفه بعض الغموض على الأخص في تحديد هويه المنشئ؛ فالمقريزي يرى أن حارس الطير هذا هو يوسف الدين أسنبغا صاحب الدار بدرب قراصيا بخط رحبة العيد الذي شغل منصب نائب السلطان أيام السلطان حسن بعد بيبغاراوس وذكر حسن قاسم أن حارس الطير المذكور هو الأمير سيف الدين بكتمر بن عبد الله السعدي توفي سنة (٨٣١هـ/ ١٤٢٨م)، الذي ثبت خطأ نسبته إلى هذا المسجد، والحق أن ابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ذكرا أن حارس الطير المذكور والذي تولى نيابة السلطنة في عهد السلطان حسن بعد بيبغاراوس هو الأمير بيبغا تتر حارس الطير الذي صرفه السلطان الصالح صالح والمتوفى بطرابلس بعد عام (٨٦٠هـ/ ١٤٥٦م)، ويبقى باب الدراسة مفتوحًا عن تحديد اسم منشئ هذا المسجد المندثر الذي يرجح أن يكون هو الأمير بيبغا تتر، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢١٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ١٧٤؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ٥١١.

(٢) ذكر علي مبارك أن مسجد حارس الطير كان موقعه بدرب الجماميز، وكانت له منارة بجواره، وثلاث حوانيت وشعائره مقامة، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٤: ٧٩.

(٣) هذا الأثر عبارة عن مسجدين متلاصقين الشمالي مسجد حارس الطير وهو خرب وباقٍ منه المنارة، والجنوبي مسجد=

الشيخ يوسف الكردي

والشيخ يوسف الكردي الثاوي بهذا الأثر والذي عرف به أحد شيوخ أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر، قدم في بلده حصن كيفا إلى مصر، وصحب الشيخ إبراهيم المتبولي دفين أشدود بين غزة والرملة سنة (٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م)، ثم غرَّب منها إلى بلده وعاد إليها مرة ثانية بعد وفاة شيخه الشيخ علي بن ميمون في سنة (٩١٧هـ/ ١٥١١م)، فاستقر بهذا الأثر واعيًا مذكرًا بالطريقة القادرية، واستمر حتى وفاته في سنة (٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م)، وتحقق لي هذا في كتاب مناقب شيخه المسمى «مجلي الحزن عن المحزون في مناقب سيدي علي بن ميمون» تأليف علي بن عطية الهيتمي [**مخطوط بدار الكتب، مجاميع ١٤٧**].

=يوسف الكردي وهو قائم وملحق بطرفه الجنوبي سبيل. (المراجع)، انظر: المرجع السابق، مج. ٣: ١٠.

جامع تغري برمش (العمراني)

مئذنة أثرية رقم ٤٢٦ (سنة ٨٥١هـ/ ١٤٤٧م)

هذا الجامع بشارع حمام الجمعة قسم بولاق[(١)]، أنشأه الأمير تغري برمش الزردكاش اليشبكي الظاهري في سنة (٨٥١هـ/ ١٤٤٧م) في عهد الملك الظاهر جقمق، ذكره السخاوي في ترجمته، وقد ضاعت معالم هذا الجامع جملة؛ وطرأت عليه تغيرات كثيرة وتخلف من آثاره مئذنة من نوع المآذن التي وجدت بهذه المنطقة في هذا العصر على مثال مئذنة جامع أيدمر الخطيري[(٢)]، وهي قائمة على شمال الباب الغربي بشارع العمراني رقم١٥[(٣)].

وداخل الجامع ليس فيه ما يسترعي النظر من آثاره، ويرجع تاريخ بنائه الحالي إلى سنة (١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م)، وفي نهايته الشرقية لجهة الشمال ضريح يعرف بالعمراني أحد المذكرين على الطريقة الإبراهيمية المنسوبة إلى سيدي إبراهيم بن أبي المجد القرشي الدسوقي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ وهذا الجامع لم يذكره المقريزي لحدوثه بعده وسكت عليه علي مبارك باشا.

المنشئ

ومنشئ المسجد هو الأمير تغري برمش اليشبكي؛ عينه الأشرف برسباي زردكاشًا «ناظرًا للمهمات الحربية»[(٤)]؛ وأنعم عليه برتبة أمير طبلخاناه في عهد الملك الظاهر جقمق، وتولى قيادة بعض الجيوش المجاهدة في السواحل الشامية، وتعين في سنة (٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م) أميرًا للحج، فمات بمكة في هذه السنة ودفن بالمعلاة، وله أثر آخر متغاير بشارع حواصل الكسب بخضراء البصل، عرف أخيرًا بمسجد الخضرة وبالبرمشية[(٥)].

(١) شارع حمام الجمعة من شارع ميرزا ببولاق.

(٢) أزيلت مئذنة وبقايا جامع الخطيري والتي كانت موجودة في نهاية شارع ٢٦ يوليو «فؤاد الأول سابقًا- شارع بولاق سابقًا» عند تلاقيه مع شارع كورنيش النيل مع تنظيم شوارع منطقة بولاق في العقد الأخير من القرن العشرين، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٣٢؛ مج. ٤، ج. ١: ٢٥١، هامش ٥؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٨: ٢٢٣، هامش ٢.

(٣) مئذنة العمراني مسجلة برقم٣٤٦، أما رقم٤٢٦ فخاص بمئذنة العمري بباب الخلق.

(٤) الزردكاش: هو المسئول عن صنع السلاح الناري وصيانته، محمد أحمد دهمان، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي** (بيروت: دار الفكر المعاصر،١٩٩٠): ٨٦.

(٥) عن سيرة الأمير تغري برمش الظاهري، انظر: ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٤: ٦٥- ٦٧؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٣٤- ٣٥.

جامع لاشين السيفي

أثر رقم ٢١٧ (سنة ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م)

هذا الجامع بشارع مراسينه بالجسر الأعظم[١]، أنشأه الأمير لاجين الظاهري في سنة (٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م)، برسم مسجد جامع، وجعله باسم ملكية السلطان الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلائي، وهذا ما يثبته النص التاريخي الآتي[٢].

ذكره السخاوي في الضوء اللامع في ترجمة منشئه في عبارة هذا نصها: «وعمر جامعًا بالجسر الأعظم بالقرب من الكبش على بركة الفيل»[٣].

والمدخل إلى هذا الجامع من باب بحري يعلوه مقرنص كتب على جانبه ما نصه:

البسملة إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر صدق الله. أنشأ هذا الجامع المقام الأعظم الشرفي. السلطان الملك الظاهر محمد أبو سعيد جقمق عز نصره في. تاسع شهر شعبان سنة ثلاثة وخمسين وثمان مائة

ومنه إلى صحن محيط به أربع بلاطات تحملها أربع عشرة أسطوانة من مواد مختلفة، وفي كل بلاط منها رواق واحد خلا الشرقي ففيه رواقان؛ في الرواق الأول منبر حديث يجاوره محراب من الحجر، وفي البلاط الغربي سدة من الخشب حديثة الصنع، وفي الجانب البحري من الصحن باب يوصل إلى دار الضوء، وقد كان هذا المسجد في أول هذا القرن متهدمًا؛ فقام ديوان الأوقاف في سنة (١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م) بتجديد ما تخرب منه وإصلاحه إصلاحًا ملائمًا، وفي سنة (١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م) جددت واجهة المسجد الشرقية،

---

(١) شارع مراسينا: ذكر المقريزي في خططه الجسر الأعظم الذي كان يفصل بين بركة قارون وبركة الفيل، ثم صار شارعًا مسلوكًا يمشي فيه من الكبش إلى قناطر السباع، بينما يحدده علي مبارك بداية من آخر حدرة الحناء، وينتهي لآخر شارع اللبودية، وبه من جهة اليمين ورشة الحوض المرصود، ثم درب الشمسي، ويذكر محمد بك رمزي أن الجسر المذكور لا يزال طريقًا عامًّا يعرف الآن بشارع مراسينا، ويوصل بين ميدان السيدة زينب حيث كانت قناطر السباع وبين جامع الجاولي الواقع تحت قلعة الكبش، وهناك يتقابل مع شارع الخضيري، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ١٦١؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ٣٢٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ١٩١، هامش ٤.

(٢) هناك من يذكر أن بناء الجامع كان في سنة (٨٥٤هـ/١٤٥٠م)، انظر: ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٩: ١٧٥؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ٢٣٢.

(٣) المرجع السابق: ٢٣٢.

وشدت أحجارها بعد انفصالها عن جوار الحوض المرصود[1]، الذي حل محل قصر الأمير بكتمر الحاجب[2].

وواجهة المسجد بوضعها الحالي ملائمة لما كانت عليه في عهده، وفي جانبها الشرقي ثمان شرفات علوية وسفلية، وفي جانب الباب مئذنة منمقة من الحجر أعلاها محدث، وقد كان هذا الجامع إبان ظهوره محدودًا من الشمال والجنوب ببركتي الفيل وقارون، وكان لا يفصله عن بركة قارون غير الجسر بناه الملك الظاهر بيبرس لولده الظاهر السعيد، وكانت قناطر السباع والخليج في حده الغربي؛ فكان بهذا الوضع في موقع حسن إذ كانت المياه والبساتين تحيط به من جوانبه الثلاثة.

المنشئ

وقد أفادنا السخاوي عن منشئ هذا الأثر بأنه كان مملوكًا للملك الظاهر جقمق منذ سنة (٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م) قبل أن يتولى الملك، فلما آل إلى حكم مصر عينه أمير عشرة، ثم استقر به مربيًا لولده الفخري عثمان؛ وفي سنة (٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م) عينه زردكاشًا، ولما مات الملك الظاهر جقمق وخلفه في الملك المنصور عثمان قبض عليه، ثم عينه الأشرف قايتباي أمير مجلس؛ وانتدب أميرًا للحج في سنة (٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م)، ثم أحيل إلى المعاش لكبر سنه فتقاعد حتى مات في سنة (٨٨٦هـ/ ١٤٨١م)، ودفن بتربة بالصحراء[3].

(١) عرفت هذه الورشة بورشة الأسلحة ومعمل البنادق لمنشئها محمد علي بعد مصنع القلعة عام (١٢٤٦هـ/ ١٨٣١م)، وكانت تحت إدارة الإيطالي فارانجو (علي أفندي) ومعه ١٢٠٠ عامل، وكان يصنع فيها الكلل والكبسون، وكانت تخرج رائحة كريهة تضر بالسكان المحيطة بها، انظر: إسماعيل، **مدينة القاهرة**: ١٣٦.

(٢) بكتمر الساقي: من مماليك الظاهر بيبرس، فلما استقر الناصر بعد الكرك دخل في مماليكه، وصار مقربًا منه جدًّا حتى زوجه جاريته التي ولدت له أحمد، عمر له الناصر الإسطبل بجوار بركة الفيل، وكان قصره بسرياقوس قبالة قصر الناصر، وهو صاحب الخانقاه التي بالقرافة، حج مع الناصر وولده أحمد، ومات في الطريق بعد ولد السلطان أحمد بثلاثة أيام ودفنا بنخل، ثم نقل للقرافة، كان الناصر قبل موته لا ينام إلا في برج خشب وقوصون على الباب ومعه الأمراء خوفًا منه، حتى مات فترك ذلك، مات في سنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)، انظر: ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ١: ٤٨٦- ٤٨٧؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢٢٣، هامش ٢.

(٣) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ٢٣٢-٢٣٣.

جامع زين الدين يحيى (بولاق)

أثر رقم ٣٤٤ (سنة ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)

هذا الجامع بشارع المحكمة قسم بولاق على الساحل الشرقي للنيل، أنشأه الأمير زين الدين يحي الأستادار في أول سنة (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، وكمل في سنة (٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م)، وهو جامع فخم وجه إليه المنشئ عنايته واهتمامه حتى استطاع أن يظهره مسجدًا جامعًا يماثل المساجد الإسلامية الأولى في صورتها ومعناها.

وهذا الجامع لم يذكره المقريزي لحدوثه بعده وذكره علي مبارك باشا بصورة غير واضحة، ويستفاد مما ذكره السخاوي عنه أن المنشئ بدأ به أول سنة (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، واستمر العمل جاريًا فيه إلى شهر رمضان حتى أقيمت جدرانه وسقفه وقومت أسطواناته افتتحه قبل أن يشرف على التمام، وأقيمت الجمعة فيه في الثالث من رمضان من هذه السنة، في حفل جامع حضره نائب السلطان وطائفة من العلماء والأمراء والأعيان، وخطب بالناس الشيخ تاج الدين عبد الوهاب السكندري المالكي.

قال السخاوي: «وعمل به تصوفًا وميعادًا»[1]، وقرر في مشيخته الشيخ نور الدين علي بن المنادي سبط ابن الملقن، وفي الإمامة بدر الدين البرماوي الموقع في الحديث أبو حامد القدسي، وانتهت عمارته في ربيع الأول سنة (٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م)، وقد باشر عمارته عبد اللطيف بن محمد أحد العدول ببولاق، وتولى رياسته حتى مات في سنة (٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م).

المذكرات التاريخية

وقد زرنا هذا المسجد فوجدنا به من المذكرات التاريخية ما يأتي بأعلى الباب:

أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك أستادار العالية المقر.الأشرف الكريمي العالي الزيني يحي أستادار العالية الملكي. الظاهري عز نصره

بالمحراب

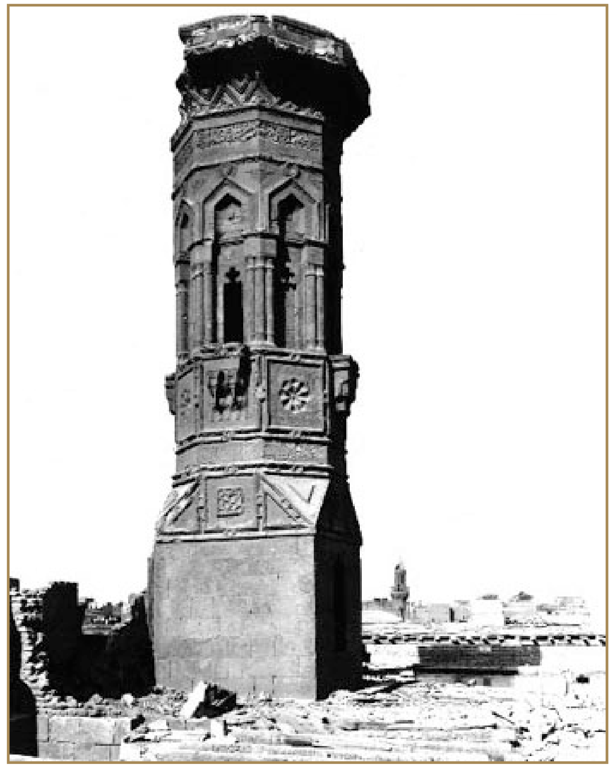
البسملة. يا أيها الذين آمنوا اركعوا و اسجدوا إلى آخر الآية. أمر بإنشاء (هذا الجامع المبارك في صحائف مولانا) السلطان الملك الظاهر أبو سعيد جقمق عز نصره فقير ربه أبو بكر زين الدين يحي الشافعي عامله الله بلطفه {الخفي}

بشقي الباب

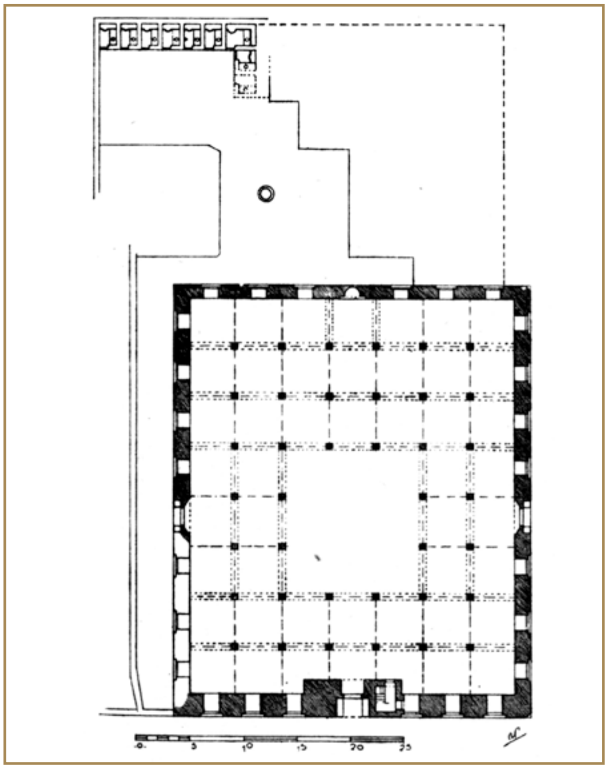
البسملة. إنما يعمر مساجد الله إلى المهتدين. وكان الفراغ من ذلك في شهر شعبان سنة اثني وخمسين {وثمانمائة}

---

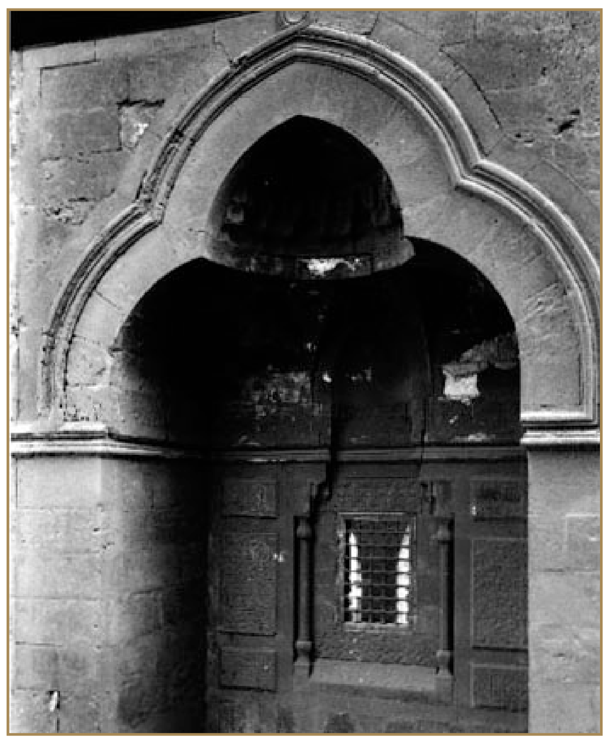
(١) المرجع السابق، مج. ١٠: ٢٣٣– ٢٣٤.



مئذنة جامع زين الدين يحيى ببولاق «عن كريسويل»



مسقط أفقي لجامع زين الدين يحيى ببولاق «عن فييت»



مدخل جامع زين الدين يحيى ببولاق «عن كريسويل»

مشتملات هذا الجامع

يشتمل على أربع بلاطات محمولة على أسطوانات، أكبرها البلاط الشرقي ومحرابه تعلوه قبة وله ثلاثة أبواب قبلي وبحري وغربي، ومئذنته أعلاها مفقود، له صحن مكشوف يحدق بالبلاطات الأربعة وبه أجزاء حديثة، وفي البلاط الغربي بقية من كتابة تظهر فيها ألقاب المنشئ؛ ومنبره حديث الصنع بيد أنه جميل يماثل المنابر الأثرية، ومما يلاحظ عليه في هذا الجامع أن النص التاريخي الوارد به جاء ناقصًا لخانة العشرات وهو خطأ كتابي [انظر ترجمة المنشئ].

وقد استخدم هذا الأثر محكمة كلية افتتحت في أول رمضان سنة (٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م)، إلى أن ألغيت في السابع من صفر سنة (١٢٢٦هـ/ ١٨١١م)، ومن هنا مأتى تسمية الجامع بجامع المحكمة.

مسجد الزيني يحيى (الموسكي)

رباط أثري رقم ١٨٢ (سنة ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م)



مئذنة مسجد زين الدين يحيى بالموسكي «عن كريسويل»

هذا المسجد المعروف برباط الزيني بشارع السورين رقم١٨، أنشأه الأمير زين الدين يحي الأستادار في سنة (٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م)[١]، وهذا الرباط لم يذكره السخاوي في الضوء اللامع بصورة واضحة وسكت عنه ابن إياس وتركه علي مبارك باشا وأهمله المعنيون بهذه الشؤون[٢]، بيد أن السخاوي أشار إليه في المصدر المذكور في ترجمة زين المذكور خفيفة[٣]، وبالرغم من ذلك فإن هذا الأثر لا يزال يحمل على جانبيه مذكرة تاريخية هامة يقرأ فيها النص الآتي:

البسملة. وما تقدموا لأنفسكم من خير يعلمه الله صدق الله العظيم. أمر بإنشاء هذا الرباط ابتغاء لوجه الله تعالى المقر الأشرف العالي الأميري الكبيري الزيني يحي أستادار العالية الملكي الظاهري بتاريخ شهر صفر سنة ست وخمسين {وثمان مائة}

ويعلو ضريح الشيخ أبي طالب السعودي شيخ فقراء هذا الرباط نصٌّ خالٍ من التاريخ يقرأ فيه هذه العبارة:

---

(١) حجة وقف الزيني يحي الأستادار الصادرة بتاريخ السادس من صفر سنة (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)، محفوظة برقم (٩١٠)، وقد عرف فيها منشئ هذا الأثر بملك الأمراء بالوجهين القبلي والبحري. (المؤلف)

(٢) تم فك هذا الرباط في الخمسينيات، ونقل إلى مخازن اللجنة بجوار جامع السلطان حسن، ثم أعيد بناؤه في حديقة متحف الفن الإسلامي. (المراجع)

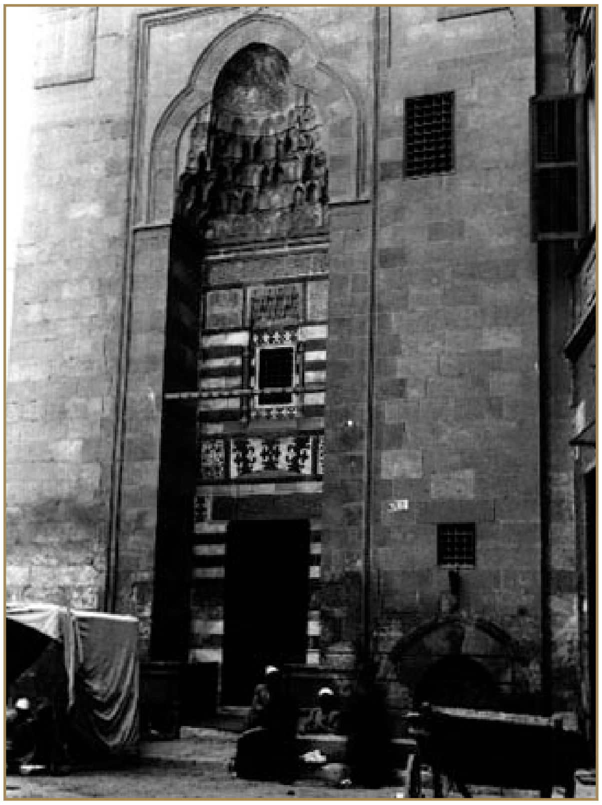
(٣) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ٢٣٣-٢٣٤.

هذا ضريح الشيخ الصالح سيدي أبو طالب
نفعنا الله {ببركته بمحمد و آله}

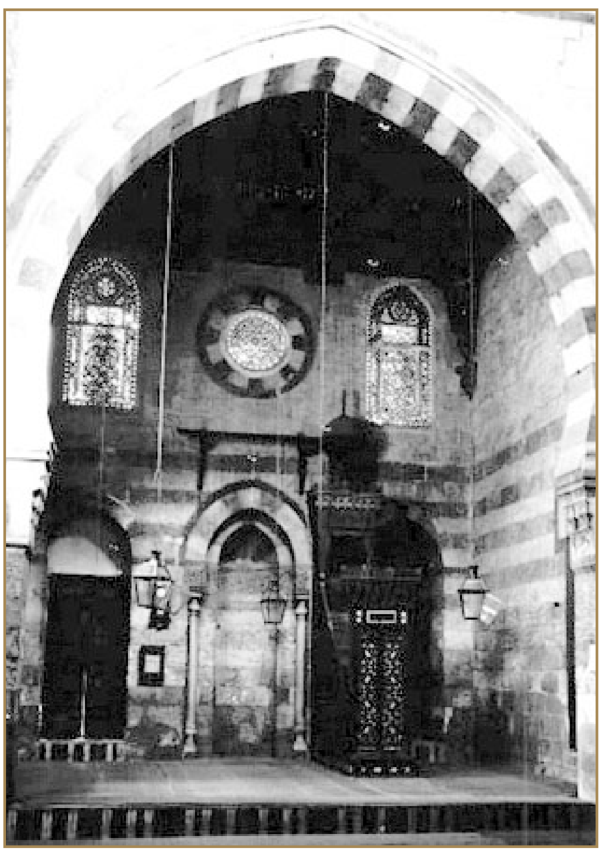
مسجد بن أبي شاكر كوهنشاه الإبراهيمي

وفي جوار هذا الأثر أثر آخر متغاير حدث في سنة (٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م)، وقد تهدم وبقيت خرائبه ماثلة حتى اليوم ويعرف بزاوية كوهنشاه الإبراهيمي[1]، ومنشؤه هو عبد الوهاب بن عبد الله بن موسى بن أبي شاكر وتولى أستادارية الأملاك والذخائر والمستأجرات والأوقاف ثم ولي نظر الخاص، ثم نالته محنة صودر فيها وسجن، ثم أفرج عنه وأعيدت إليه وظيفة مباشرة الذخيرة والأملاك، وما لبث أن قرَّ في الوزارة، توفي في يوم الخميس ١١ من ذي القعدة سنة (٨١٩هـ/ ١٤١٦م)، ترجمه السخاوي في الضوء اللامع: «قال وهو صاحب المدرسة التي بين السورين ظاهر القاهرة»[2].

وظاهر من كلام السخاوي أن الحد الذي يقابل هذه المدرسة من نفس الشارع كان لصاحب هذه المدرسة وشقيقه الوزير الصاحب عبد الرحيم بن أبي شاكر إذ كانت الأرض التي تقوم عليها وكالة علي كتخدا مستحفظان وما يجاورها شمالاً تقوم عليها داره التي أشار إليها المقريزي في الكلام على دور بني عمه بالسبع قاعات البحرية.



منظر عام لواجهة مسجد زين الدين يحيى بالموسكي «عن كريسويل»



إيوان الصلاة داخل مسجد زين الدين يحيى بالموسكي «عن كريسويل»

(١) تم هدمه في الخمسينيات مع توسعة شارع الخليج المصري في منطقة بين السورين. (المراجع)

(٢) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ١١٠–١١١؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٥: ١٠٢–١٠٣.

جامع زين الدين يحيى (الحبانية)

أثر رقم ٢٠٤ (سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)

هذا الجامع بسكة الحبانية جنوبي القاهرة رقم ٣١، أنشأه الأمير زين الدين يحي الأستادار في أواخر سنة (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)، وكمل في جمادى الآخرة سنة (٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م)، وهو ثالث أثر لهذا الأمير بالقاهرة ذكره السخاوي في التبر المسبوك في حوادث هذا الشهر بقوله: «وفي هذا الشهر انتهى الجامع الذي أنشأه الأستادار بخط الحبانية على بركة الفيل»، وجاء وعين لمشيخته الشيخ سيف الدين محمد ابن محمد بن عمر بن قطلوبغا الحنفي المتوفى سنة (٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م)، وأشار إليه في الضوء اللامع، كما أشار إليه ابن إياس في تاريخه[١].

وهذا الجامع لم يذكره علي مبارك باشا بصورة واضحة[٢]؛ وخبط فيه علماء الآثار الإسلامية خبط عشواء فنسبه فريق إلى الملك السعيد بن الظاهر بيبرس؛ ونسبه آخر إلى الملك الناصر محمد قايتباي.

وبالرغم من صغر هذا الجامع فالمتأمل فيه والناظر إليه يجد فيه جامعًا تجمعت فيه الصناعة الإسلامية تجمعًا محسوسًا وظهر فيه الفن العربي لابسًا ثوبه القشيب، فمدخله يتألف من باب يعلوه مقرنص وأقواس وعلى جانبيه مذكرة فقدت، وثمت مذكرة أخرى خالية من التاريخ بالمحراب يقرأ فيها ما نصه:

أنشأ هذا الجامع المبارك في صحائف مولانا السلطان.الظاهر أبو سعيد محمد عز نصره فقير رحمة ربه يحي عامله بلطفه الخفي بجاه محمد وآله

وندخل من بابه العمومي إلى دركاه مغطاة بسقف مقوم بسماوات ومنه إلى صالة في جانبها الأيمن بئر يقابله مزيرة، ومن جانب البئر ندخل إلى صحن فسيح تعلوه مذكرة ضائعة، وفي جانبه الغربي دخلة ويحيط بها أربع بلاطات تحملها ١٦ أسطوانة من الرخام والزلط مختلفة الأشكال يعلوها تيجان فأقواس، ويمتاز البلاط الشرقي بزيادة رواق، وبيت الصلاة بصدره محراب من الحجر المقوس، مقوم بزخارف كتابية وهندسية وتعلوه قبة من الخشب المطلي من ظاهره بالجص وفيها أثر تصليح حديث، ويجاور المحراب منبر المسجد؛ وهو من نوع المنابر الفاخرة من الخشب المنجور وكسوته من الزردشان الملون والصدف الدقيق، وفيه بعض أجزاء بالية ومفقودة، وفي البلاط القبلي كرسي مصحف من نوع المنبر مكتوب عليه ما نصه:

وقف مولانا الملك الظاهر محمد أبو سعيد جقمق عز نصره

(١) السخاوي، **التبر المسبوك**، مج. ٤: ١٩؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ٢٣٣- ٢٣٤؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٢٩٥.
(٢) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٣: ٦٥.

وفي جوار الباب العمومي شمالاً مكتبٌ من ملحقات المســجد، وفي علو هذا البــاب مئذنة رشــيقة من مآذن القرن التاســع، بيد أن الطابق العلوي منها مشوه ومفقود، ومستعاض عنه ببناء غير ملائم حدث في وقت متأخر.

أعمال التجديد

ابتدأت أعمال التجديد في هذا المسجد بصورة عملية مكبرة من سنة (١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م)، فسنة (١٣٢٥هـ/ ١٩٢٥م)، حــتى ســنة (١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م)، في هذه الســنوات جددت بلاطات المســجد جميعًا ظاهرها وباطنها وداخلها، وجدد الصحن والســاحة والمدخل، وأصلحت أخشاب المسجد وأهمها المنبر والكرسي، والسقف والأبواب.

وأحدثت له دورة مياه صحية في الجانب الشــمالي من البلاط الشرقي؛ وجدد له مكتب في الجانب الغربي البحري من الباب العمومي، وقويت جدرانه في أوقات مختلفة، وبهذه العملية أصبح الجامع اليوم متماسكًا حافظًا لأوضاعه، وقد كان الجانب القبلي من هذا المســجد واقعًا على بركة الفيل مباشرة، إذ كانت تمر بســكة راتب باشا حتى تلك الرقعة الهائلة من منطقة الحلمية [انظر هذه البركة].

وفي نهايته شــيد الأمير ســودون العجمي رأس نوبة الظاهري المتوفى ســنة (٨٥١هـ/ ١٤٤٧م)؛ مدرســة عرفت بمدرسة ســودون العجمي ثم حولت إلى اســم آخر [انظر ضريح سيدي عبد الرحيم الحموي بالحبانية].

ولمنشــئ هذا الأثر كتاب وقف محرر في السادس من صفر ســنة (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) رقم١١٠، كمــا له كتاب وقف آخر محرر في ٢٠ من جمادى الآخرة ســنة (٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م)، بحبس «كتاب الدر الثمين في أخبار ســيد المرسلين ﷺ»، أو



مئذنة زين الدين يحيى بالحبانية «عن كريسويل»

«كنز الدرر وجامع الغرر» من مؤلفات ابن أيبك الصرخدي الدواداري على طلبة العلم بمدرسته هذه، الموجود منه الجزء الثالث بمكتبة السلطان أحمد الثالث بإستانبول.

جامع أبو سعيد جقمق (المدرسة الفخرية)

أثر رقم ١٨٠ (سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)



مئذنة جامع أبو سعيد جقمق «عن كريسويل»

هـذا الجامع بدرب سـعادة (خـط دار الديباج، ثم الوزيرية سـابقًا)، وهو مسـجد قديم الوضع المسبوق على هذا العصر، ينسب إنشاؤه إلى الأمير فخر الدين عثمان بن قزل الأستادار، أنشأه برسم مدرسة للحنفية في سنة (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)، على أنقاض دار كانت في ملك الأمير حسام الدين سياروخ بن أرتق، ذكره المقريزي وسماه بالمدرسة الفخرية، وأفاد أن: «منشئها بنى مسجدًا في مقابلها»[١].

وظهر من كلام السـخاوي في الضـوء اللامع والتبر المسبوك أن هذه المدرسة ظلت قائمة بوظائفها تؤدي رسالتها كاملة من عصر منشـئها حتى أواسـط القرن التاسع، ثم تخربت فتصدى لتجديدها الملك الظاهر أبو سعيد جقمق فجددها رأسًـا على عقب، وأعاد أخشـابها وجدد نجارتها وأحدث بها جملة من إصلاحات، بيد أنه لم يغير مسـقطها الأفقي وحافظ على تصميم أواوينها الأربعة[٢].

وكتب اسـمه على بابها وباشر عمارتها ناظر الخاص الجمالي يوسـف بعد تجديده لمئذنتها وحينئذ عرفت بجامع جقمق واختفى اسـمها الأول، وذكرها السـخاوي باسـم المدرسـة الظاهرية، وقد اختلـط على الباحثين أمرها بين

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٤٦٦.
(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٧٢.

نسبتها إلى منشئها فخر الدين قزل وبين نسبتها إلى المذكور، وقد استطعنا رغم كل محاولة أن نصل إليها من الطريق الذي دل عليه المقريزي ثم مما ذكره السخاوي بشأنها.

وصف المسجد وتجديده

مرت على هذه المدرسة حقبة طويلة لم تلق فيها من العناية ما يستحق الذكر، فتخربت تخربًا فاحشًا أضاع معالمها جملة وتفصيلاً بحيث إننا نستطيع الجزم بأنها لم تترك من آثارها الأولى غير تصميمها وحسب وهذا ما يبدو واضحًا من التأمل والنظر إلى المظهر الذي يلابسها مطبوعًا بطابع القرن التاسع في كل مفرداتها خلا أواوينها الأربعة، ويمكن توضيح ذلك من تفاصيلها المعمارية، فبابها المقنطر المقرنص وواجهتها الحجرية ومدخلها، ومئذنتها المطبوعة بطابع مئذنة أخرى من تجديد هذا الملك نفسه لأثر آخر، وأواوينها الأربعة التي يحيط بها صحن صار مكشوفًا الآن بعد أن كان مغطى بسقيفة، ثم سقفها بسماواته، كل هذه المفردات محافظة على تصميمها ووضعها، والمتأمل في مجموع مشتملات هذا الأثر يعطينا فكرة صحيحة عن تقرير هذه الحقيقة، وبالرغم من ذلك نستطيع القول بأنها نسخة كاملة من أصل وضعها الذي كانت عليه في سنة (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)، وهذا ما يظهر بالمقارنة بأثر آخر ظهر في هذا التاريخ نفسه [انظر جامع مؤنسة خاتون أو المدرسة القطبية] بيد أنها مصطبغة بصبغة التغاير الزمني بين أواسط القرن السابع وبين أواسط القرن التاسع.

والمدخل إلى هذا الجامع من بابه العمومي الذي يتحلى بمقرنص وطراز على جانبيه يقرأ فيه العبارة الآتية:

أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة السلطان الملك محمد أبو سعيد جقمق خلد الله ملكه و ثبت قواعد دولته بمحمد و آله. يا رب العالمين وكان الفراغ من ذلك في شهر الله المحرم سنة خمس وخمسين وثمانمائة من الهجرة. كما يقرأ بأسكفة الباب في طراز قوله تعالى: إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله و اليوم الآخر وأقام الصلاة

ويجاور الباب العمومي سبيل متخرب يعلوه مكتب وهو من إنشاء فخر الدين قزل في الوقت الذي أنشأ فيه هذه المدرسة وهو سنة (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)، وفي بقاء هذا المكتب والسبيل من ذلك العهد السحيق دحض قول القائلين من المشتغلين بالآثار الإسلامية أن المكتب والسبيل لم يظهرا إلى جانب المسجد إلا في أواسط القرن الثامن أو في أوائل التاسع، وفي طرف الواجهة شمالاً مئذنة تباين في نظامها المعماري نظام مآذن العصر الذي ظهرت فيه، وفي الجانب الشمالي من الإيوان الشرقي باب نصل منه إلى مدفن، وقد سبق تجديد الملك جقمق لهذه المدرسة تجديد آخر من الأمير جمال الدين يوسف ناظر الخاص المتوفى سنة (٨٦٢هـ/ ١٤٥٨م) صاحب الأثر الآتي.

وظهر من كلام السخاوي أن الجزء الذي جدد فيها هذا الأمير مئذنتها، وقد أشار إلى ذلك في عبارة طويلة تتلخص في أن مئذنة هذه المدرسة سقطت في ليلة الجمعة ٨ من المحرم سنة (٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م)، وقد تسبب عن سقوطها المفاجئ حادثة مروعة راح ضحيتها زهاء مائة نفس ما بين قتيل وجريح، وقد أتلف سقوطها واجهة المدرسة وما يجاورها من مساكن داخله في أوقاف هذه المدرسة، ولما بلغ السلطان نبأ هذه الحادثة اغتم لها وفرض على القائمين

بشأن المدرسة تجديدها وإعادتها رغم خلو يدهم من نفقات مصاريفهـــا، ثم عمـــد بالتالي إلى عزل الحافـــظ ابن حجر باعتباره شيخًا للشافعية وهذه المدرسة داخله تحت دائرته والشيخ عمر القليوبي ناظر هذه المدرسة وشيخها ينوب عنه في إدارتها، وكانت حادثة فصلها الســـخاوي في حوادث هذه الســـنة، انتهت بتصدي الجمالي يوسف المذكور لتجديدها فأعاد المنارة وأصلح مـــا أتلف من واجهتها وعمرها عمارة حســـنة ولما رغب الملك في تجديدهـــا؛ عهد إلى هذا الأمير نفسه بإجراء ما تحتاج إليه من إصلاح وتعمير[١].

وبالرغم من أنهـــا كملت في المحرم كما تشـــير إليه المذكرة السالفة، بيد أنه لم يحتفل بها رسميًّا بحضور السلطان وحاشـــيته إلا في يوم الأحد ٢٤ من صفر من هذه السنة أي بعد انتهاء العمارة بحوالي شهر تقريبًا، وقد بقي من عمارتها بعض الشيء فلم يكمل إلا في شعبان من هذه السنة، وقد أعيد افتتاحها رسميًّا بعد انتهاء ما تبقى من عمارتها، فحضر السلطان مرة ثانية بعد مضي اثني عشر يومًا من هذا الشهر وشهد افتتاحها، وهذه أول وآخر عمارة تذكر في تاريخ هذه المدرسة، فلم يحصل بها إلا بعض ترميمات وتقويات لم تغير من أوضاعها شيئًا، بيد أنها تقادمت حتى خشي عليها من التبدل، فتصدرت لجنـــة حفظ الآثار العربية لتجديدها في سنة (١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م)، فجددت أواوينها الأربعة وواجهتها وبابها وصحنها وسقفها وبلاطها وقوت ما تصدع منها حتى ظهرت بمظهرها الطبيعي.

منشئ المدرسة الفخرية

ومنشـــئ هذه المدرســـة هو الأمير فخر الدين عثمان بن قزل البارومي، كان أستادارًا عند الملك الكامل محمد بن العادل ومن المقربين إليـــه؛ وكان أمر تدبير المملكة موكولاً إليـــه، وما بـــرح يتقلب في نعمة هذا الملـــك حتى مات في حران في الثامن عشر من ذي الحجة سنة (٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م)، ويقول المقريزي إنه: «كان خيرًا كثير الصدقة يتفقد أرباب البيوت»[٢]، وذكر له من الآثار رباطًا أنشأه بالقرافة الجنوبية، ثم المسجد المذكور آنفًا، وقد دثر وبقي أثره تجاه هذه المدرسة [انظر مسجد قزل]،كما بنى بمكة رباطًا، وعهد إليه الملك الكامل في ســـنة (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) بمباشرة بناء برج الحمام خـــارج باب البرقية وهـــو المعروف ببرج الزفـــر، وقد بناه بالحجارة وأوصله بسور القاهرة من جانبيه في شمال الباب الجديـــد، وميزه بزخارف وكتابات بـــقي بعضها ظاهرًا بهذا الأثر حتى اليوم[٣].

(١) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٤: ٢٣٤-٢٣٥؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ٣٢٢؛ السخاوي، **التبر المسبوك**، مج. ١: ٢٤٦-٢٤٧، ٢٥٠؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٢٤٨-٢٤٩.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٤٦٦.

(٣) عن سيرة الأمير فخر الدين بن قزل، انظر: المرجع السابق، مج. ٣: ٧٤٧.



منظر عام لواجهة جامع أبو سعيد جقمق «عن كريسويل»

جامع الجمالي يوسف

أثر رقم ١٧٨ (سنة ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م)

هذا الجامع بشارع اللبودية من الحمزاوي «سويقة الصاحب سابقًا»، أنشأه الأمير الجمالي يوسف بن عبد الكريم بن بركة المعروف بابن كاتب جكم الناصري الأشرفي ثم الظاهري دوادار الملك الأشرف برسباي ثم نقيب الجيش في عهد الملك الظاهر جقمق، بدأ بعمارته في سنة (٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م)، وكمل في السنة التالية، وجعله برسم مدرسة للصوفية، قرر في مشيختها الشيخ يحيى بن محمد بن أحمد الدماطي المتوفى بالمدينة المنورة (٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م).

وهذه المدرسة لم يذكرها المقريزي لحدوثها بعده، وذكرها السخاوي في الضوء اللامع في ترجمة منشئها بقوله: «وأنشأ بالقرب من سكنه بسويقة الصاحب مدرسة حسنة للجمعة والجماعة الصوفية، ووقف بها كتبًا شريفة»[١].

وذكرها أيضًا في ترجمة شيخ صوفيتها الشيخ يحيى المذكور آنفًا[٢]، كما ذكرها في جملة مواضع من المصدر نفسه، ويؤخذ من مجموع ما ذكره السخاوي عن هذه المدرسة أن المنشئ لم يبالغ في عمارتها مبالغته في تربته التي أنشأها بالصحراء مقابل تربة مليكه الأشرف إينال؛ بعد مضي ثلاث سنوات على هذه المدرسة قبيل وفاته بثلاث سنوات أخرى، وهذا ما يبدو ظاهرًا من عمارة هذا الجامع؛ فإنه بالرغم من ضياع معالمه الداخلية فإن واجهته بما فيها الباب الذي يعلوه مربع بالخط الكوفي فيه آية قرآنية كريمة يقابله آخر مثله - وهي التي تخلفت من آثاره - توضح ذلك توضيحًا لا شك فيه ولا غموض، ويعضده قول السخاوي، وهذا بالرغم من أن عليها مسحة فنية قد لا توجد في كثير من الآثار التي تعاصرها.

تطورات التجديد

ويلوح أن وجود هذا الجامع في منطقة كثرت فيها المساجد كثرة لا توجد في غيرها صرف الأنظار عنه إلى حد أن داخله تطرق إليه الخراب بصورة مكبرة، فسقطت إيواناته الأربعة، وفقدت مفرداته وسقطت مئذنته وتداعى منبره الجميل، فبقي كذلك حقبة طويلة، بيد أن الأهالي تمكنوا من أن يدخلوا لأنفسهم منه مسجدًا يؤدون فيه الشعائر بقدر الإمكان.

فلما كانت سنة (١٠٤٢هـ/ ١٦٣٢م) أمر الوزير خليل باشا النشانجي حاكم مصر العثماني بتجديد هذا المسجد وإعادة ما وهن من بنائه، فوضع لذلك مشروعًا قام بتنفيذه

---

(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ٣٢٢.

(٢) المرجع السابق: ٢٤٤-٢٤٦.



منظر عام لواجهة جامع الجمالي يوسف «عن كريسويل»

لأشـــهر بقيت من هذه السنة وتم في سنة (١٠٤٣هـ/ ١٦٣٣م) كما في النص التاريخي الآتي[1].

وقد راعى في تجديد المســـجد أن يظهر بالنظام التركي الممتاز، فجعل منه شكلاً يتألف من قاعة يحملها سقف ذو تقاســـيم تركية تتدلى منه موشحات تكسو أركانه الأربعة، وجعـــل في الجدار الغربي ســـدة ذات مشربيـــة على النظام العثماني، وكســـا محرابه بطبقة من الزخارف الجصية جعل قوام زخرفتها الكتابية آية الكـــرسي في طراز دائري ينتهي بما نصه «صدق الله العظيم وبلغ رســـوله الكريم»، ومنطق المحراب بطراز يبتدئ بالبســـملة وبقـــوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ

(١) عن سيرة خليل باشا، انظر: ابن الوكيل، **تحفة الأحباب**: ١٣١-١٣٢.

وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب/ ٥٦]، يتوسط دائرة صغيرة أودع فيها مذكرة تاريخية لا تزيد عن تاريخ الانتهاء وهو سنة (١٠٤٣)، ويكتنف زخارف المحراب شباكان من الجص بالزجاج الهوائي الملون ويحيط بكل شباك منها إطار قوام زخرفته كتابات بالخط الكوفي المزهر الصغير.

ويجاورهما يمينًا ويسارًا إطاران داخل كل منهما صورة النيشان الذي أنعم به السلطان على خليل باشا إثر انتصاره على جيوش الثائرين بالحجاز في الموقعة الحربية الخطيرة، وهذا النيشان هو عبارة عن هلال عثماني في وسطه نجمة كبيرة، وقد رغب المذكور أن يظهر ذلك النيشان بصورته الطبيعية، فاستطاع النقاش أن يحقق له هذه الفكرة، ويجاور هذا المحراب الفاخر منبر تركي بديع الشكل من نفس المادة التي عملت منها الأسقف، أمَّا باب المسجد فهو من خشب قرو تركي مقسم تقاسيم هندسية جميلة، ويعلو الباب طراز قوام زخرفته ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ ﴾ [الإسراء/ ٨٠]، يحيط به يسارًا ويمينًا مربعان بالخط الكوفي؛ يقرأ فيهما «لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله».

ومقرنصات الباب وواجهة المسجد بكواتها هي كل ما نحتفظ به من آثار الجمالي يوسف منشئه الأول وقد أصلحت هذه الواجهة واستبدلت أحجارها البالية بأحجار أخرى مع أجزاء من داخل المسجد في أوقات مختلفة آخرها سنة (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م).

والجامع في داخله وخارجه يمثل عصرين من عصور الفن الإسلامي: الأول العصر المماليكي؛ ثم العصر العثماني، وبالرغم من أن الجامع على حالته في هذا التاريخ يصور لنا منظرًا جمع بين ذوقين فإن فيه بقايا متداعية، أهمها الإطار الزخرفي الذي يكتنف المحراب من جانبيه.

ويظهر أن الأمير المذكور ألحق بهذا الجامع مكتبًا وسبيلاً بعد باب الجامع العمومي، وبعد باب ميضأته؛ يثبت ذلك بقاء هذا المكتب للآن معروفًا باسم «مدرسة السعادة»، وهو اسم حل محل اسمه الأول الذي كان لا يعرف بغير اسم كتاب الجمالي يوسف وقد أدركناه نحن بهذا الاسم.

منشئ هذا المسجد

ومنشئ هذا المسجد هو الأمير الكبير الجمالي يوسف بن عبد الكريم بن بركة المعروف بابن كاتب جكم الأشرفي ثم الظاهري، ولد سنة (٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م) من أبوين اعتنيا بتربيته؛ فنشأ محبًّا للعلم ميالاً لفعل الخير ومحبة العلماء، وما لبث أن اتصل بالمقر الناصري محمد بن الملك الأشرف برسباي فتعين ناظرًا على أقطاعه، وفي سنة (٨٣٠هـ/ ١٤٢٧م) استقر به الملك الأشرف المذكور وكيلاً له ووزيرًا، بيد أنه لم يمكث في هذه الوظيفة طويلاً حتى استقال لرغبته عن الوزارة، فنفس منه الملك فأقصاه عنه فتقاعد عشر سنوات، ثم ولاه الملك المذكور نفسه في أول سنة (٨٤١هـ/ ١٤٣٧م) نظر الخاص، ثم أضاف إليه الدوادارية الكبرى، فباشرهما حتى مات الأشرف وخلفه ولده العزيز يوسف.

ولم يبدأ نجمه في الظهور تمامًا إلا في زمن الملك الظاهر جقمق فعينه نقيبًا للجيش (مفتشًا أو ناظرًا) في سنة (٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م)، وما برح قائمًا بأعباء هذه الوظيفة مدة الملك الظاهر وابنه المنصور عثمان، فلما آل ملك مصر إلى الملك الأشرف إينال أكرمه وقربه إليه وأقره في وظيفته، وما برح حتى مات في الثامن عشر من ذي الحجة

سنة (٨٦٢هـ/ ١٤٥٨م) ودفن بتربته بالقرافة، وقد دثرت هذه التربة وكانت تجاه تربة مليكه الأشرف إينال لجهة الغرب، وقد ترك ذرية بقيت حينًا ثم انقرضت[١].

ضريح نقيب الجيش

ويوجد بأحد مساجد القاهرة ضريح كان منذ ربع قرن بالخوخة الشمالية من الإيوان الشرقي يحيط به درابزو من الخشب يعزى إليه، والصحيح أنه لحفيده الناصري محمد بن محمد بن الجمالي يوسف وسبط الأمير خاير بك الظاهري، تولى نقابة الجيش كأبيه وجده، وكان من الأمراء الذين جمعوا بين العلم وبين الإمارة كباقي أفراد الأسرة، تفقه على مذهب الشافعي حتى صار معدودًا من أئمة المذهب، وبرع في علم الحديث حتى عد نابغة فيه، وبدأ في سنة (٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م) بدرس كتاب المنهاج في الفقه بهذا المسجد، وحضره للسماع عليه أكابر شيوخ العصر، وتولى نقابة الجيش في سنة (٨٩٨هـ/ ١٤٩٣م) ثم صرف عنها، فبقي متقاعدًا مع اشتغاله بالعلم والمدارسة حتى مات في سنة (٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م)، ودفن بقبر أحدثه في هذا المسجد[٢].

أسرة منشئ المسجد

وينحدر الجمالي يوسف منشئ هذا الأثر من أصل مسيحي وأسلم آباؤه قديمًا، وأولهم ظهورًا جده عبد الكريم بن بركة تولى نظر الخاص للملك الأشرف برسباي، ومات سنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)[٣].

ثم ابنه إبراهيم بن عبد الكريم تفقه شافعيًّا وبرع في الخط المنسوب، واصطحبه الملك الأشرف برسباي في السفر معه إلى أمد لمقاتلة الثائرين بها، وخلف والده في وظيفته بعد موته مباشرة، وما برح حتى مات في سنة (٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م)[٤].

ثم ابنه عبد الكريم بن إبراهيم تولى نظر الخاص للملك الأشرف برسباي، ومات سنة (٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م) عن

(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ٣٢٢.

(٢) المرجع السابق: ٣١.

(٣) كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركة القبطي المعروف بابن كاتب جكم: كان أبوه يخدم الوزير علم الدين بن كاتب= سيدي، ثم تعلق بخدمة الأمراء فخدم عند الأمير جكم فاشتهر به، واستقر ولده سعد الدين إبراهيم بعده، وصاهر تاج الدين بن الهيصم قبل أن يلي الأستادارية، واستقر مستوفي الدولة في مباشرة ابن نصر الله، ثم ولي نظر الدولة، وباشر ديوان السلطان قبل أن يتسلطن، ثم سعى في نظر الخاص لما ولي ابن نصر الله الأستادارية، فباشر بسكون وحشمة ونزاهة، وكانت وفاته في سنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م،) واستقر بعده ولده إبراهيم في وظيفته وهو أمرد، فاستمر ولم يظن أحد أنه يستمر لصغر سنه، لكنه استعان بجده لأمه، ثم استقل بالأمور بعد وفاته وقد تدرب، وخلفه أخوه جمال الدين يوسف، انظر: ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ٤٤٧؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٤: ٢٠٨.

(٤) إبراهيم بن عبد الكريم بن بركة بن سعد الدين بن كريم الدين بن سعد الدين القبطي المصري، سبط التاج عبد الرزاق ابن الهيصم، وأخو الجمالي يوسف، يعرف بابن كاتب جكم، ولد بالقاهرة قبل (٨٢٠هـ/ ١٤١٧م)، ونشأ في كنف أبيه، استقر في نظر الخاص بعد وفاة والده، سافر إلى آمد بصحبة الأشرف برسباي، ثم تغير عليه بعد عوده لرفضه الوزارة، ثم استقر أخوه الجمالي فيها، ثم أعفي وألزم بمال كثير، واستمر على وظيفة الخاص إلى أن مات بمرض السل والقولنج في سنة (٨٤١هـ/ ١٤٣٧م)، وصلي عليه بمصلى المؤمني ودفن عند أبيه بالقرافة، واستقر بعده في وظائفه أخوه جمال الدين يوسف، واستقر ولده في وظيفته وهو أمرد، فاستمر ولم يظن أحد أنه يستمر لصغر سنه، لكنه استعان بجده لأمه ثم استقل بالأمور بعد وفاته وقد تدرب، انظر: ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ٤٤٧؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١: ٦٩.

ولديه الشهابي أحمد والجمالي يوسف[١]، وقد تولى كلاهما نقابة الجيش ونظارة الخاص، بيد أن الحظ ساعد الجمالي يوسف هذا فعلا نجمه وأتته الدنيا طواعية، ومات عن ولديه الناصري محمد والشهابي أحمد وخديجة وهي أسنهما[٢]، وأمهم بنت كمال الدين البارزي كاتب السر بالديار المصرية.

فتولى أحمد نظر الجوالي «المرتبات البرانية»، ونقابة الجيش في سنة (٨٧١هـ/ ١٤٦٦م)[٣]، وسافر أخوه محمد في سنة (٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م) إلى مكة لتأدية فريضة الحج بعد صرفه عن وظيفته، فجاور بالحرمين حتى توفي في سنة (٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م)، ودفن بقبة الأمير سنقر الجمالي مملوك أبيه بالمعلاة من مكة شرفها الله، ومات عن ولد واحد هو الناصري محمد[٤].

وتزوجت خديجة بالأمير خاير بك الظاهري الخازندار، وتوفي سنة (٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م)، فتزوجت بالأمير شاهين الجمالي ومات، فتأيمت بعده حتى ماتت في سنة (٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م)، ودفنت بتربة أبيها بالصحراء، وكانت كباقي أفراد أسرتها في العلم والمعرفة حضرت دروس الحديث على شيوخ العصر، وسمعت صحيح البخاري على الحافظ فخر الدين عثمان الديمي وأجازها العلماء بمروياتهم[٥].

وقد اتحد بيت الجمالي يوسف هذا ببيت الوزير عبد الرزاق بن الهيصم، فأم الجمالي يوسف وشقيقة الشهابي أحمد هي الآدر سادة بنت الوزير المذكور، وماتت في شعبان سنة (٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م)، ودفنت بتربة ابنها الجمالي[٦].

آثار الجمالي يوسف (جامع نقيب الجيش)

ولمنشئ هذا الأثر مسجد آخر بشارع اللبودية بدرب الجماميز، حيث المنطقة التي كانت تعرف فيما سبق بالكوم الأبيض أو الكوم بين جماميز السعدية وخط قنطرة طقوزدمر، ويعرف هذا المسجد بمسجد نقيب الجيش نسبة إلى حفيده الناصري محمد بن محمد الجمالي يوسف المذكور فيما تقدم، وهو صاحب الضريح المعروف بنقيب الجيش

(١) عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم بن بركة كريم الدين بن سعد الدين بن كريم الدين القبطي المصري، ويعرف بابن كاتب جكم، انظر: المرجع السابق، مج. ٤: ٣٠٦.

(٢) آل إليهم وقفه الصادر به الحجة الشرعية بتاريخ ٢ من ذي القعدة سنة (٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م)، ومحفوظة برقم (١٠٥)، وملحقه الصادر بتاريخ ١٤ من شعبان سنة (٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م)، رقم (١٤٧). (المؤلف)

(٣) أحمد بن يوسف بن عبد الكريم الشهاب بن الجمال: ناظر الخاص المعروف بابن كاتب جكم، سبط الكمال بن البارزي، وأخو الكمال محمد ناظر الجيش، استقر في نظر الجوالي وقتًا وكذلك نظر الجيش مرة بعد أخيه ومرة بعد ولد أخيه، وحج غير مرة، والغالب عليه اليبس والانجماع، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٢: ٢٤٧.

(٤) محمد بن يوسف بن عبد الكريم الكمال بن الجمال القاهري سبط الكمالي ابن البارزي: أخو أحمد ووالد البدر محمد، يعرف بابن كاتب جكم، ولد سنة (٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م) بالقاهرة، ونشأ في كنف أبيه، استقر في نظر الجوالي بعد العلا الصابوني سنة (٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م)، وفيها حج حين كان صهر خير بك أمير المحمل، ورجع فاستمر في وظيفة أبيه في نظر الجيش سنة (٨٧١هـ/ ١٤٦٦م)، واستقر أخوه عوضه في نظر الجوالي، توفي بمكة سنة (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م)، ودفن بفسقية لمملوك أبيه سنقر=

= الجمالي بالمعلاة، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ٩٤- ٩٥.

(٥) المرجع السابق، مج. ١٢: ٣٢.

(٦) سادة: بالسين والدال المهملتين، أم الجمالي ناظر الخاص وأخيه، وهي ابنة الصاحب تاج الدين عبد الرزاق بن سعد الدين إبراهيم بن الهيصم، من بيت شهير، ماتت عن سن عالية، في ليلة السبت سابع شعبان سنة (٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م)، وهرع القضاة فمن دونهم للصلاة عليها، ثم دفنت بتربة ابنها، وكانت تذكر بشيء كثير بحيث صودرت على قدر كبير، انظر: المرجع السابق: ١٣٤.

المجاور لضريح الشيخ مصطفى المنادي و ذويه [انظر هذا المسجد].

وهذا المسجد على وضعه الحالي ليس فيه من آثار منشئه إلا بقايا ضئيلة أهمها شبابيكه الجصية بكل من الإيوان الشرقي والغربي، ثم عقد الإيوان الشرقي، ثم الإفريز التاريخي وقد قرأنا فيه هذه العبارة:

البسملة. آيات الكرسي إلى العظيم. أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة المقر الأشرف الكريم العالي المولوي. الأميري الكبيري السيدي السندي المالكي المخدومي المحترمي الصائمي القائمي الراكعي الساجدي الجمالي يوسف أمير دوادار. كان ونقيب الجيوش المنصورة الملكي المظفري أعز (الله أنصاره)

ثم بقية من إفريز الإيوان الغربي نقرأ فيها بعد البسملة: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ﴾ [النور/ ٣٦]، وهذه البقية وإن كانت قليلة بالنسبة لحالة المسجد الأولى إلا أنها مما يجب الاحتفاظ به كأثر من آثار هذا الأمير الكبير تضاف إلى أثره الآنف الذكر(١).



منظر عام لمدخل جامع الجمالي يوسف «عن كريسويل»

(١) جامع نقيب الجيش المعروف بجامع الشيخ مصطفى المنادي، هدم منذ حوالي ٢٠ سنة وهو بشارع اللبودية المجاور لشارع بورسعيد على ناصية حارة حبيب أفندي. (المراجع)

جامع ابن الجيعان (العلايا)

أثر رقم ٣٤٨ (سنة ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م)

هذا الجامع بشارع سوق العصر القديم «قسم بولاق»، أنشأه سعد الدين إبراهيم بن الجيعان ناظر الخزانة في عهد الملك الظاهر جقمق، وابتدأ بإنشائه في شهر ذي الحجة سنة (٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م)، وكمل في سنة (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)، وأوقف عليه قصر البرانجية وبعض أعيان أخرى، وجعل منه مدرسة للشافعية والصوفية ومسجدًا جامعًا للصلاة؛ وعين لخطابته القاضي ولي الدين البلقيني صاحب الأثر المتهدم بحارة المراكشي من شارع بين السيارج.

تطورات هذا المسجد

وقد عرف هذا المسجد بعد إنشائه بالمدرسة الجيعانية[١] وسماه أبو السرور البكري المتوفى سنة (١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م) بجامع الجيعان[٢]، وقد جدده الملك الأشرف قايتباي في سنة (٨٨٦هـ/ ١٤٨١م)، وأنزل به الشيخ بدر الدين محمد بن قلج الرومي العلائي المنسوب إلى العلايا.

وفي سنة (١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م) أمر السلطان قلج أصلان حفيد الشيخ محمد بن قلج المدفون بهذا المسجد سلطان العلايا بتجديد هذا الجامع، وأوقف عليه أوقافًا مبنية في حجة مؤرخة في ١٩ من جمادى الأولى سنة (١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م)، وعين الشيخ محمد بن سليمان الشهير بالقوصوني ناظرًا عليها ومباشرًا لهذا الجامع[٣]، وقد ظل هذا الجامع قائمًا بوظائفه حتى أوائل القرن الثالث عشر، فلما دخلت الحملة الفرنسية إلى مصر اتخذت من هذا الجامع معسكرًا أسكنت به طائفة من عسكر الحراسة، فأقامت به إلى سنة (١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م)، ثم خربته في عهد الجنرال مينو.

فبقي المسجد بعد هذا التخريب مغلقًا معطل الشعائر، فلما كان في أيام الخديو إسماعيل التمس منه الشيخ محمد رمضان البولاقي المتوفى سنة (١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م) تجديد هذا المسجد، فأمر بتجديده وإقامة الشعائر فيه، فتم في سنة (١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م).

وفي سنة (١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م) أعاد تجديده ديوان الأوقاف، وبالرغم من ضياع معالم هذا المسجد وتغيير أوضاعه لما طرأ عليه من التخريب والتجديد؛ فقد تخلفت فيه مئذنته الحجرية، وهي قائمة في جانب الباب العمومي لجهة الشمال مرفوعة على قاعدة حجرية مرتكزة على أرض الطريق؛ وبها أثر تصليح وترميم يرجع تاريخه إلى

(١) المدرسة الجيعانية غير جامع العلايا، وهي آثر آخر في موضع بعيد عن جامع العلايا. (المراجع)

(٢) مختصر خطط المقريزي (مخطوط بدار الكتب). (المؤلف)

(٣) قرار نظر محمد جلبي بن حسين جوربجي الصادر بتاريخ ٢٤ من ربيع الأول سنة (١١١٩هـ/ ١٧٠٧م)، وفي حجة صادرة في ١٢ من شعبان سنة (١١٣٢هـ/ ١٧٢٠م). (المؤلف)

سنة (١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م)، وقد رغب مهندس هذا الجامع أن يظهر منها شكلاً يتلاءم مع مئذنة أيدمر الخطيري المسبوقة عليها بعامين، وهي من إنشاء الملك الظاهر جقمق، وقد سبقه إلى هذه الفكرة مهندس جامع تغري برمش بشارع العمراني رقم ١٥، ويظهر ذلك واضحًا في ضفائرها الخوصية.

وداخل المسجد يشتمل على غرفة فسيحة يحمل سقفها دعامات حجرية، وفي الجدار الشرقي محراب تكسوه طبقة من القاشاني الملون التركي، ويجاوره منبر حديث، وفي الجانب القبلي حجرة يتوسطها قبر الشيخ محمد قلج الرومي، وتعرفه الأهالي باسم سيدي محمد العلايا، وسماه السخاوي العلائي، وتعلوه قبة من الطوب، وإلى أبيه الشيخ قلج الرومي المتوفى سنة (٨٩١هـ/ ١٤٨٦م) تنسب قرية القلج «الزيات سابقًا» بالمرج ضواحي القاهرة، وقد كان شيخًا كأبيه لمدرسة السلطان قايتباي التي أنشأها له بهذه الضاحية سنة (٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م) [انظر مسجد قايتباي بالقلج].

وتوفي الشيخ محمد هذا في أول القرن العاشر ودفن بهذا المسجد، والعلايا المنسوب إليها هي إحدى مدن تركيا بآسيا الصغرى «الأناضول»، واقعة على خليج أداليا الواقع في الشمال الغربي لجزيرة كريت بالبحر الأبيض المتوسط، وتقع مدينة العلايا شرقي مدينة أداليا على بعد ١٤٠ كيلو مترًا، وقد جاءت التسمية الحالية لهذا الجامع منذ أواخر القرن المنصرم؛ فقد ظهر من كلام الجبرتي [المتوفى سنة (١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م) في عصر العزيز محمد علي باشا] أنه كان لا يزال يعرف بالمدرسة الجيعانية، وقد وضعه في جانب مسجد «أبو عزيزة المغربي» تطبيقًا للوصف المذكور آنفًا.

منشئ المسجد

ومنشئ هذا المسجد هو الأمير سعد الدين بن إبراهيم بن عبد الغنى بن شاكر بن ماجد بن عبد الوهاب ابن يعقوب الدمياطي، أحد أفراد أسرة بني الجيعان إحدى الأسر المشهورة في القرن التاسع حتى أواسط العاشر، وتنحدر هذه الأسرة من أصل مسيحي وأسلم آباؤها قديمًا، وهاجر بعضهم من موطنهم دمياط إلى القاهرة؛ فاتصلوا بملوكها من عهد الملك الأشرف برسباي حتى آخر حكم السلطان الأشرف قانصوه الغوري، وتولى غالبهم وظائف عالية في الحكومة المصرية السابقة. وتولى صاحب الترجمة نظارة الخزانة للملك الظاهر جقمق، ومات في ١٣ من ربيع الأول سنة (٨٦٤هـ/ ١٤٦٠م)في عهد الملك الأشرف إينال؛ ودفن بتربة أسلافه بالصحراء خارج باب البرقية تجاه تربة الأشرفية، وهي الأثر الثاني لبنى الجيعان [انظر هذه التربة][1].

آثار بني الجيعان

ولأفراد هذه الأسرة آثار اندرس غالبها وتغير منها:

جامع أبو البقاء بن الجيعان: المعروف بالزاوية الحمراء، وهو الجامع الذي لا يزال قائمًا للآن بتغاير زمني بهذه القرية التي تبعد عن الشرابية أو كوم أبو الريش بضع دقائق [انظر هذا المسجد].

ومنها مسجد عبد الرحمن بن الجيعان بالسبع قاعات القبلية، وقد تخرب منذ أوائل هذا القرن وبقيت أطلاله ماثلة حتى اليوم.

منظرة الحجازية وقصر ابن برانج: ومع شهرة هذا الجامع واعتباره من أهم جوامع هذه المنطقة فقد تركه الشيخ عثمان مدوخ لعلي مبارك باشا فلم يذكره له في كتاب الخطط، وذكره السخاوي في الضوء اللامع في ترجمة منشئه،

(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١: ٦٨-٦٩.

وفي التبر المسبوك في حوادث سنة (٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م)، ووضعه بين منظرة الحجازية وبين منظرة البرانجية، وأفاد أن منشئه ملك منظرة وأوقفها عليه[١].

ووضع منظرة الحجازية المنسوبة إلى الخوند تتر الحجازية، زوج الأمير ملك تمر الحجازي وابنة الملك الناصر محمد بن قلاوون في الجانب الشمالي لجهة الغرب من جامع الزيني يحيى الأستادار على شاطئ النيل[٢]، كما وضع المنظرة الأخرى بين هذا الجامع وجامع عين شمس الدين بن الزمن المعروف بالحلبي الآن.

وبالبحث عن هاتين المنظرتين للوصول إلى هذا الجامع من الطريق الذي دل عليه السخاوي، وجدنا أن المنظرة الأولى وإن كانت قد تخربت وعفي أثرها من سنة (١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م) بفعل الحملة الفرنسية إلا أن موضعها لايزال باقيًا؛ يحده شرقًا شارع وكالة الخرنوب وسوق العصر القديم؛ وغربًا المجموعة الصحية، وجنوبًا شارع السنانية وجامع سنان وجامع أبو عزيزة المغربي «التكية الرفاعية» وشمالًا مبانٍ حديثة.

وقد تخلف منها جزء من سارية رخام لا نزال نشاهدها قائمة في الجانب الغربي مع جزء من سورها ومدخل أحد أبوابها؛ وقد سكن بهذه المنظرة جملة من الملوك والأمراء بعد العصر الناصري؛ منهم الملك الأشرف قايتباي والملك المؤيد وفيها مات ابنه إبراهيم.

والمنظرة الثانية هي المنسوبة إلى الطبيب علم الدين سليمان بن المالكي المعروف بابن برانج رئيس الأطباء بالديار المصرية في أول القرن التاسع، والطبيب الخاص للملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق، أنشأها في سنة (٨٠٤هـ/ ١٤٠١م)، وعرفت بقصر ابن برانج، وآلت بعد منشئها إلى ابن الجيعان منشئ هذا الأثر ومنه إلى آخرين حتى امتلكها الأمير مصطفى بك يوسف ميرزا في سنة (١١١٠هـ/ ١٦٩٨م)، وقد غير فيها وبدل وجددها تجديدًا أضاع معالمها الأولى[٣]، وبالرغم من تقادمها فلا تزال منها بقية حتى اليوم محدودة من الشرق بشارع ميرزا ومن الغرب بشارع الخضراء «خضرة البصل سابقًا»، ومن الجنوب بحارة عشش النخلة، ومن الشمال بشارع حمام الجمعة، ولها باب شرقي شارع في الطريق العام رقم٨، ويكتنفه من الجانبين قاعدتان من الحجر تقوم عليها أسكفة الباب، وبواجهة القاعدة الشمالية نص تاريخي لميرزا في حلقة يقرأ فيها هذه العبارة:

البسملة. تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرًا من ذلك جنات تجرى من تحتها الأنهار و يجعل لك قصورًا عمل هذا المكان المبارك ابتغاء لوجه الله تعالى يوم يجزى الله المتصدقين في شهر ربيع الأول سنة عشر ومائة وألف

(١) المرجع السابق، مج. ١: ٦٨؛
(٢) السخاوي، **التبر المسبوك**، مج. ٤: ١٩.
(٣) أبو العمايم، **آثار القاهرة في العصر العثماني**، مج. ٢، ج. ١: ٣٠٩-٣١٠.

رباط الخوند زينب

أثر رقم ٦٠ (سنة ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م)

هـــذا الربـــاط بعطفة الربـــاط المتفرعة من شـــارع الشعراني الجواني بأرض الكافوري والباسطية، أنشأته الخوند (الأميرة) زينب بنـــت العلائي علي بن محمد بن خاص بك الحنفي، زوج الملك الأشرف إينال، وبدأت بإنشـــائه في سنة (٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م) في عهـــد ولدها الملك المؤيد أحمد، وتم في سنة (٨٦٠هـ/ ١٤٥٦م)، وخصصته لإيواء النساء المنقطعات من الأرامل والعجائز وعينت لهن الشيخة حسناء الوفائية بنت الشيخ العارف سيدي علي وفا العالم الصوفي المعروف لتعليمهـــن وتثقيفهن، وقد قامت بمهمتها هذه حتى توفيت في سنة (٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م)، عن ٩٠ عامًا.

وقد زرنا هذا الرباط فألفينا داخله يشتمل على طرقة مستطيلة، نصل منها إلى صحن مغطى وبواجهتيه الشرقية والغربية إيوانان يماثل أحدهما الآخر، وســـقفها عقد من الحجر، ويمتاز الإيوان الـــشرقي بمحرابه الفاخر، وواجهته المزخرفة بقطع الرخام الملون على شكل دائرة إطار مربع، وفي جانبي المحراب خوختان، يقابلها خوختان في جهتي الإيوان القبلية والبحرية، ويعلو المحراب طراز مار بجميع الواجهة الشرقية يقرأ فيه هذه العبارة:

أمر بإنشاء هذا الرباط المبارك الخوند الشريفة ذات الستر الرفيع والحجاب المنيع جهة مولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر إينال عز نصره، بنت المرحوم المقر الأشرف علاء الدين...

وباقي الكتابة مفقـــود وفي خلالها محو، ويعلو الإيوان الغربي مســـاكن النســـوة يصعد إليها بسلالم من جانبه، وباب هذا الرباط العمومي باب جميل يعلوه مقرنص وواجهته مزخرفة بقطع الرخام الملون وعلى جانبيه مكسلتان.

وبالرغـــم من أن هـــذا الرباط كان تحـــت نظر بيت السادة الوفائية من عهد سحيق حتى أواخر القرن المنصرم وكانوا يستخدمونه لإقامة الحفل الســـنوي مع بقاء النسوة المنقطعات به؛ فقد تخرب معظمه وفقد الكثير من مفرداته، ووصل التلف إلى مقرنصاته وزخارفه وتشوه بابه.

ومنذ تأسســـت لجنة حفظ الآثار العربية بالقاهرة؛ قامت بإصلاح مـــا تلف من هذا الربـــاط، فجددت بابه ومدخله وغـــيرت أرضيته وأصلحتـــه تصليحًا ملائمًا في وقت يبتدئ من ســـنة (١٣٠١-١٣١٠هـ/ ١٨٨٤-١٨٩٢م)، وقد أوقف الأمير عبد الرحمن كتخدا في سنة (١١٤٧هـ/ ١٧٣٥م) على نســـاء هذا الرباط مبلغًا من المال في كل عام تصرف لهن به كسوة.

المنشئة

ومنشـــئة هذا الأثر هي الخوند زينـــب بنت العلائي علاء الدين علي بن بدر الدين محمد بن خاص بك كان أبوها من الأمراء الذين جمعوا بين العلم والإمارة وهو تركي الأصل مات ســـنة (٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م)، ودفن بتربة أنشأها قبيل موته بين قبة ابن غراب وتربة ابـــن مزهر بالصحراء إلى جانب تربة ولده الناصري محمد [انظر هذه التربة][١].

وتزوج بها الملك الأشرف إينال بعد زواجه بأختها في سنة (٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م) قبل أن يلي الحكم، فولدت له الشهابي أحمد ولي العهد الذي تولى الملك بعد أبيه، وتلقب بالمؤيد[٢]، والناصري محمد[٣]، وفاطمة[٤]، وبدرية[٥]. الأولى تزوجها الأمير يونس الدوادار في سنة (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)، ومات سنة (٨٦٥هـ/ ١٤٦١م)[٦]، وتوفيت في المحرم سنة (٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م) بالإسكندرية فنقلت رفاتها إلى تربة أبيها بالصحراء، والثانية زوجها السـلطان إينال من مملوكه الأمير بردبك الدوادار صاحب الأثر الآتي.

وقد ترجم الســخاوي في الضوء اللامع للخوند زينب هذه أفاد أنها كانـــت خيرة لها بر ومعروف، وذكر من آثارها هـــذا الرباط، وقد عاشـــت كثيرًا حتى أدركـــت من ملوك مصر بعد زوجها وولدها الملك الظاهر خشـــقدم والأشرف قايتباي، وتزوج كبير حكومته الأمير يشبك الدوادار بابنة ولدها الملك المؤيد أحمد، وحينما تولى الملك الناصر خشقدم اضطهدها وصادر أموالها وراقبها أشد المراقبة تحت حراسة خشـــقدم اللالا، ثم ما فتئت أن ماتت في ســـنة (٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م)، ودفنت بتربة زوجها[٧].

(١) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٣٠٢.

(٢) المرجع السابق: ٢٤٧.

(٣) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٧: ١٤٨.

(٤) الخوند فاطمة بنت الأشرف إينال: توفيت في الإسكندرية في صفر سنة (٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م)، وكانت قد توجهت إلى هناك لحضور حفل ختان أولاد أخيها الملك المؤيد أحمد بن الأشرف إينال، فطعنت هناك وماتت، وكان قد تزوجها الأمير كسباي الدوادار الثاني الخشقدمي ولم يدخل عليها، وكانت قبل ذلك تزوجت بالأمير يونس البواب الدوادار الكبير، ومات وهي في عصمته، انظر: ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٢٠.

(٥) بدرية خاتون ابنة الأشرف إينال الكبرى: سبطة ابن خاص بك، وشقيقة المؤيد أحمد وفاطمة، تزوجها بردبك مملوك أبيها قبل سلطنته، واستولدها محمد وأحمد وإبراهيم، وابنتين إحداهما سعد الملوك وكانت تحت تنبك قرا، والثانية تزوجها برسباي البجاسي، ثم تزوجت سودون المنصوري، ثم آقبردي الأشرفي، وتأيمت على ولدها منه، واتصلت أمهم بعد أبيهم بقراجا الطويل نائب حماة، ماتت سنة (٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م)، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٢: ١٢؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٣٦٧؛ مج. ٣: ١٠٢.

(٦) يونس أقباي المؤيدي: نائب الشام، ويعرف بالبواب وبالمشد، اتصل بخدمة أستاذه المؤيد شيخ، ثم صار خاصكيًّا في الدولة المظفرية أحمد، ثم بوابًا في الأشرفية برسباي، ثم ساقيًا في الظاهرية جقمق، ثم أمير عشرة، واختص بالظاهر جقمق، فلم يلبث أن نقله لسد الشرابخاناه، ثم قدمه ولده عثمان، ثم ولاه الأشرف إينال الدوادارية الكبرى، لكونه كان في الفتنة من حزبه، وزوجه ابنته الصغرى البكر، مات في سنة (٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م)، ودفن بتربته العظيمة التي أنشأها بالصحراء، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ٣٤٥.

(٧) زينب ابنة العلاء علي بن العالم البدر محمد الحنفي الماضي: أخوها خليل، تعرف بابنة ابن خاص بك، تزوجها إينال الأجرود في إمرته في حدود سنة (٨٢٥هـ/ ١٤٢١م)، بعد أخت لها ماتت تحته، لها الكثير من المنشآت، عملت رباطًا حسنًا للأرامل بالقرب من زاوية بني وفا في حارة عبد الباسط، نعمت في أيام الأشرف قايتباي بسبب زواج ابنة ولدها من عظيم دولته يشبك من مهدي الدوادار الكبير، ماتت في سنة (٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م)، انظر: المرجع السابق، مج. ١٢: ٤٤–٤٥؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٣٦٨.

جامع بردبك الدوادار (دار الحديث البردبكية)

أثر رقم ٢٥ (سنة ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م)

هذا الجامع بشارع أم الغلام «حارة الغلمان الصالحية سابقًا»، أنشــأه الأمير بردبك الدوادار الأشرفي صهر الملك إينال ملك مصر السابق في سنة (٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م)، وكمل في الســنة التالية[١]؛ وجعل منه دارًا للحديث النبوي يقرأ فيها الكتب الستة، ومدرســة للعلوم الشرعية؛ ومسجدًا جامعًا للصلوات، وقرر لمشيختها الشيخ علاء الدين علي بن محمد ابن حســين الحمصي الشافعي أحد علماء الحديث المبرزين المتوفى ســنة (٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م)، وأوقف عليه أوقافًا تحررت بها حجة شرعية في أواخر سنة (٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م)[٢].

ويؤخذ مما ذكره المقريزي ومن النص التاريخي الآتي أن هذا الأثر أنشــئ على بقية من القاعة الفاطمية التي أنشأها العزيز نزار بن المعز في سنة (٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) في مؤخر القصر الكبير، وسميت تيمنًا وتبركًا باسم السيدة فاطمة الزهراء، ثم بعد ذهاب الدولة الفاطمية تحولت هذه القاعة إلى مشــهد عرف عند العامة بمشــهد ومقام الســيدة فاطمة الزهراء وولدها الحســن، ثم بني إلى جانبها مسجد في سنة (٦٥٢هـ/ ١٢٥٢م) في أيــام الملك المعز أيبك، وقــام الأمير بدر الدين بيلبك العلائي نائب الســلطنة في قلعة صفد لذلك العهد بإنشــائه، وأوقف عليه القاعة الفاطمية التي تجاوره، وهذا ما تؤيده المذكرة التاريخية التي وجدت بأســكفة باب هذا المقام ونصها:

البســملة. إنما يعمر مســاجد الله مــن آمن بالله واليوم الآخر . هذا مقام سيدة نساء العالمين الزهراء فاطمة وولدها الحســن صلوات عليهم وعلى الأئمة من ذريتهم أمر بتجديــد هذا المقام المبارك الأمير بدر الدين العلاي، وأوقف عليه هذا المكان احتسابًا لوجه الله تعالى. وذلك في شــهر ربيع الأول ســنة اثنين وخمسين {وستمائة}

وفي ســنة (٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م) أنــهى للملــك الظاهر ركن الدين بيبرس أن مســجدًا على باب مشــهد الحسين؛ وإلى جانبه مكان من حقوق القصر، بيع وحمل ثمنه للديوان وهو ستة آلاف درهم (٢٨٨ جنيهًا مصريًا)، فسأل السلطان عن صورة المســجد وهذا كل الموضع، وهل منهما بمفرده أو

(١) حجة وقف المنشئ الصادرة بتاريخ ٣ جمادى الأولى سنة (٨٦٤هـ/ ١٤٦٠م)، محفوظة برقم١٢٧ حفظ شرعية مصر. (المؤلف)

(٢) جامع بردبك الدوادار: دار الحديث البردبكية، بشارع أم الغلام «حارة الغلمان الصالحية سابقًا»، أنشأها الأمير بردبك الدوادار الأشرفي صهر الملك إينال الأشرفي، في سنة (٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م)، واكتملت في السنة التالية، وهي دار للحديث، أنشئت في مكان القاعة الفاطمية التي أنشأها العزيز بالله في القصر الشرقي الكبير، ثم تحولت القاعة إلى مشهد للسيدة فاطمة الزهراء، انظر: السخاوي، الضوء اللامع، مج. ٣: ٤-٦.

عليهما حائط دائر؟ فقيل له إن بينهما زرب قصب «حظيرة غنم مسورة بعيدان قصب الغاب وهو البوص» فأمر برد المبلغ وأبقى الجميع مسجدًا وأمر بعمارته لله تعالى.

وفي سنة (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م) قتل الأمير سيف الدين بهادر رأس نوبة الأشرفي وحز رأسه، فأخذ قتلته رأسه وعلقوه على باب داره الملاصقة لمشهد السيد الحسين، ثم بعد أيام من بقاء الرأس معلقًا على باب الدار أخذ فدفن بالقاعة الفاطمية «مشهد السيدة فاطمة»، ومنذ ذلك الحين بقيت ذكرى هذا الرأس عالقة بأذهان العامة،كقرينة ظاهرة تتناقلها الألسنة في شبه أسطورة هذه حقيقتها[1].

وصف هذا المسجد

والمدخل إلى هذا المسجد من باب شاهق يعلوه مقرنص وتتحلى واجهته بمربعين بالكوفي ونقوش ويجاوره لجهة الشمال مشهد السيدة فاطمة؛ وهو في منخفض من الأرض، وتعلوه مئذنة رشيقة حجرية من نوع المآذن الراقية التي وجدت في أواسط القرن التاسع، وداخله مكون من أربع بلاطات مرفوعة على أقواس تحملها أساطين رخامية مختلفة ودعامات حجرية يحدق بها صحن مكشوف ويمتاز البلاط الشرقي برواقين وبمنبره المطعم بالسن وشرفاته الهوائية الجصية وبدكته الخشبية.



مئذنة جامع بردبك الدوادار «عن كريسويل»

(١) الأمير بهادر رأس نوبة: أحد مماليك المنصور قلاوون، واتفق مع الأمير بدر الدين بيدرا على قتل الملك الأشرف خليل بن قلاوون، قتل هو والأمير آقوش قتال السبع في ١٢ من محرم سنة (٦٩٣هـ/ ١٢٩٢م)، انظر: المقريزي، **السلوك**، مج. ١: ٧٩٥؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٨: ٢٢؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢١٨-٢١٩.

وفي جوار البلاط القبلي جنوبًا باب يؤدي إلى مدفن أسرة المنشئ ويعلوه سقف يحيط به إفريز به بقية من كتابة تاريخية يقرؤ فيها اسم المنشئ وابنه واضحًا في عبارة هذا نصها:

......أبو النصر إينال و نجل المقر الأشرف العالي
السيفي المرحوم برد بك أمير دوادار

وهذا النص وإن كان قد وقف عند هذا الحد وقد تآكل غالبه ومحي رسمه إلا أنه مفيد جدًّا وذو أهمية عظمى في توجيه النظر إلى منشئ هذا الأثر وعلاقته بالسلطان إينال، والتعرف إليه على ضوء الحقيقة التي لا يلابسها شك ولا غموض، وهو ما يعضده قول السخاوي، ثم هو في الوقت نفسه يصحح ما ورد عن هذا الجامع في خطط مبارك باشا.

وبالتالي يوضح ما أشكل على علماء الآثار الإسلامية من أمر هذا الأثر، ويلفت النظر في قبر المدفن المشار إليه حجرة إلى جانبه يتوسطها قبر عليه تركيبة رخام تحيط بها كتابة تركية تتضمن أن أميرًا يدعى بالأمير أحمد نازك توفي في سنة (١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م)، ويتوسط هذه الكتابة «حلقة-رنك» المتوفى، وقد حفر فيها مثال مدية قصيرة ذات حد واحد.

ولهذه الحجرة شباك يطل على حارة البردبكية وهي من حقوق درب ملوخيا، ثم عرفت بخط المارستان العتيق نسبة للمارستان الذي أنشاه صلاح الدين في سنة (٥٧٥هـ/ ١١٧٩م)، بها بعد ذهاب الدولة الفاطمية، ثم عرفت بالاسم الحالي نسبة لهذه المدرسة،كما عرفت بدرب الملاح في وقت ما، وتسميها مصلحة التنظيم باسم محرف عن هذا وهو «الدربكتية»(١).

وقد نقل إليها في سنة (١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م) سبيل جامع البازدار وسبيل إسماعيل مغلوي وكلاهما كان بشارع المشهد الحسيني، وقد تجدد هذا في سنوات أولها سنة (١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م)، وآخرها سنة (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م)، والتجديد الأخير تناول معظم ما وَهي من بلاطاته وصحنه وشبابيكه وأخشابه ومئذنته وبابه ودار وضوئه.

منشئ هذا الأثر

ويؤخذ مما ذكره السخاوي في الضوء اللامع في ترجمة منشئ هذا الأثر أنه قبرسي الأصل، أخذه إينال أسيرًا في سنة (٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م)، وكان عمره إذ ذاك إحد عشر عامًا، فاعتنى بتربيته حتى أنجب، فعينه خازندارًا له وزوجه من ابنته الكبرى بدرية، ولما آل إليه حكم مصر وصار ملكًا أنعم عليه برتبة أمير عشرة ووهبه إقطاعًا وعينه دوادارًا ثالثًا، وفي سنة (٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م) رقاه إلى دودار ثان، وفي سنة (٨٥٩هـ/ ١٤٥٤م) خلع عليه بالدوادارية الكبرى؛ فظهر أمره من حينئذ وعلا نجمه علوًّا زائدًا، وابتنى بيتًا بقناطر السباع (ميدان السيدة زينب)،كان فيما يقول السخاوي

(١) درب ملوخيا: كان يعرف باسم حارة قائد القواد، وعرف بدرب ملوخيا نسبة لصاحب ركاب الخليفة الحاكم بأمر الله، المعروف بملوخيا الفراش، وقتله الحاكم وباشر قتله، وفي هذا الدرب مدرسة القاضي الفاضل، ومكانه الآن الحارة المعروفة بحارة قصر الشوق، في مواجهة مصلحة تمغ المصوغات، انظر: المقريزي، المرجع السابق: ١١١، هامش ٣؛ محمد أبو العمايم، «درب ملوخيا والمنطقة شرقي القصر الكبير»، **حوليات إسلامية** ٣٨، العدد ٢ (القاهرة: المركز الفرنسي للآثار الشرقية، ٢٠٠٤): ٦٩- ١٠٥.

مجمعًا للعلماء والفقهاء والقضاة في الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان حيث كان يقرأ فيها صحيح البخاري ويحضر لسماعه جلة العلماء من فقهاء ومحدثين وغيرهم، وبنى إلى جانبه جامعًا، احتفل بافتتاحه في ربيع الأول سنة (٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م)[١]، وقد ظل هذا المسجد حتى أواخر القرن المنصرم ثم تخرب فأزيل في سنة (١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م)، وحل في محله سبيل بوغوص باشا وما في جواره، وما لبث أن هدم هذا السبيل عند تجميل هذه المنطقة وتوسيعها في سنة (١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م)، ثم انتقل من هذا البيت إلى بيت الحاج آل ملك الجوكندار بشارع أم الغلام رقم (...)، وبنى في مقابله جنوبًا هذا الجامع الذي نحن بصدر الحديث عنه، وظهر من كلام السخاوي أنه أنشأه قبل سنة (٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م)، وقد وضعه بين المدرسة البدرية «زاوية اللبان»[٢]، وبين المدرسة الملكية «زاوية حلومة»[٣].

وما برح ساكنًا في هذا البيت منعمًا فيه حتى مات الملك الأشرف إينال، فحفظت له مكانته أيام ولده المؤيد أحمد فلما خلع من الملك بدأ نجم المترجم يأفل فاضطهده الملك الظاهر خشقدم، ثم ما لبث أن صادر أمواله وجردها منه وحجره في داره فلبث يسيرًا ثم نفاه إلى مكة بأولاده وأهله في سنة (٨٦٦هـ/ ١٤٦١م)، فبقي محجوزًا عليه بمكة حتى أمر الملك بالإفراج عنه في سنة (٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م)، فلما هم بالعودة إلى القاهرة بعشيرته داهمته طائفة من العرب قطاع الطريق فقتلوه بمكان من أرض الحجاز يقال له الدلسة من عمل خليص قرب رابغ، فحمل ميتًا إلى خليص فدفن بها، وبعد مضي سبعة أشهر من مصرعه نقله ابنه من خليص إلى مكة فدفنه بالمعلاة وبنى على قبره قبة.

وقدم أولاده إلى القاهرة في أواخر سنة (٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م)، فوضع أكبر أولاده الناصري محمد بن بردبك يده على تركة أبيه بأمر من السلطان المذكور وتولى النظر على موجوده، ويصفه السخاوي بأنه كان ذا أدب وحشمة ومحبة للفقراء والصالحين ومزيد إحسان وكرم، وكانت له مجالس علم حافلة بالعلماء والفقهاء والقضاة[٤].

أسرة المنشئ

تزوج الأمير بردبك صاحب هذا الأثر بالخاتون بدرية ابنة الملك الأشرف إينال، فلما بنى بها ولدت له ابنتين: إحداهما تسمى سعد الملوك تزوجها تاني بك قرا، والثانية تزوجها برسباي البجاسي[٥]، ثم سودون المنصوري، ثم

(١) استخدم هذا المسجد في ربيع الأول سنة (٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م) محكمة كلية سميت بمحكمة قناطر السباع، ظلت إلى سنة (١٢٢٦هـ/ ١٨١١م)، ثم ألغيت وسجلاتها بمحفوظات شرعية مصر. (المؤلف)

(٢) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ١١٦-١١٧.

(٣) زاوية حلومة أو حالومة: بخط المشهد الحسيني، على يسار السالك من جهة الباب الأخضر إلى أم الغلام، شعائرها مقامة وفيها ضريح للشيخ موسى اليمني، وهي مكان المدرسة الملكية، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ١٧٦، هامش ١؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ٦٩-٧٠.

(٤) بردبك الأشرفي إينال: ملكه في سبي قبرص سنة (٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م)، فرباه وأعتقه وعمله خازنداره، وزوجه ابنته الكبرى، ثم دواداره، فلما تسلطن عمله دوادارًا ثالثًا مع إقطاعه إمرة عشرة، ثم نقله إلى الدوادارية، فارتقى في العظمة ونفوذ الكلمة، بنى بقناطر السباع مسجدًا هائلاً وكذلك بغزة ودمشق، صودر بعد خلع أحمد بن إينال، ونفي إلى مكة سنة (٨٦٦هـ/ ١٤٦١م)، ثم سمح له بالعودة إلى القاهرة سنة (٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م)، وقتل في طريق عودته ودفن بخليص، ثم نقل بعدها بسنة إلى مكة ودفن بالمعلاة، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٤-٥.

(٥) برسباي البجاسي: أصله من مماليك تنبك البجاسي نائب الشام، الخارج عن الأشرف برسباي بدمشق سنة (٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م) حيث قتل بها، وخدم بعده بالقاهرة عند جانبك=

أقبردي الأشرفي؛ وهو آخر أزواجها ماتت في سنة (٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م) ودفنت بتربة أبيها، وله منها جلسن زوج الملك العادل طومان باي الثاني، وهي صاحبة الأثر المعروف بأبيها المجاور لتربة ابن مزهر بقرافة قايتباي[1].

ثم ولدت بدرية أيضًا أربعة ذكور؛ علي توفي في أيام الظاهر خشقدم سنة (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م)، وإبراهيم تأخرت وفاته إلى سنة (٩١٦هـ/ ١٥١٠م)، وأحمد، ومحمد وهو أكبر أبنائه وكان يعرف بالناصري محمد بن بردبك، قال ابن إياس في ترجمته: «كان رئيسًا حشمًا من أعيان أولاد الناس، توفي جمادى الآخرة سنة (٨٩٧هـ/ ١٤٩١م)، ودفن بمدرسة أبيه».

مشيخة هذا الجامع

وأشهر من تولى مشيخة هذا المسجد لأول العهد به العلاء الحصني المذكور آنفًا، وهو منسوب إلى الحصن قرية من عمل حوران ولد بها سنة (٨٣١هـ/ ١٤٢٧م)، وطلب العلم سنة (٨٤١هـ/ ١٤٣٧م)، وسافر إلى بلاد الروم وهو دون العشرين وقدم إلى القاهرة في سنة (٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م)، وبعد حين من إقامته بها تعرف إلى منشئ هذا الأثر، ووقعت بينهما مودة وصحبة واختاره لمشيخة مسجده هذا فلبث به حتى امتحن بردبك، فاستقال منها ثم اتصل بالأمير يشبك الدوادار فصادقه وآخاه، وسافر معه إلى الصعيد في سنة (٨٧١هـ/ ١٤٦٦م) حينما عينه الملك الظاهر خشقدم نائبًا للوجه القبلي، ثم سافر معه مرة أخرى في سنة (٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م) في عهد الملك الأشرف قايتباي إلى محاربة الثائرين بالعراق، ثم رجع إلى القاهرة وما برح حتى مات في سنة (٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م)، فدفن بتربة الأمير يشبك بالصحراء تجاه قبة أنس.

وفي سنة (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م) قدم القاهرة الشيخ غريب بن عبد الله الهندي البنكالي أحد صوفية الهند صاحب الشيخ سند الدين البنكالي مؤسس الطريقة البنكالية بالهند، فأنزله الملك الظاهر تيمور بغا بالمدرسة البردبكية برحبة الأيدمري فأقام بها معتكفًا حتى حين، ثم نقل منها إلى مدرسة بلاط السيفي بالتبانة تجاه مدرسة أم السلطان [انظر تكية الهنود].

وأفاد الجبرتي أن الشيخ علي الصعيدي المتوفى سنة (١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م) تولى مشيخة هذه المدرسة، وقد سماها بالاسم المذكور آنفًا، كما تسميها بذات الاسم بمجموعة في حجج أوقاف ملاك هذه المنطقة ويستعصي علينا استقصاؤها هنا لكثرتها [يرجع إليها بقلم الحفظ].

ويراجع [السجل رقم ١١٤ ص٢٢٥]، وفيه أن السيد علي بن الشريف هيزع اشترى جميع المكان بخط رحبة الأيدمري تجاه المدرسة البردبكية بالقرب من المشهد الحسيني، وله هذا السبيل الذي أنشأه في ربيع الآخر سنة (١٠٥٩هـ/ ١٦٤٩م) إلى جانب المكان الذي آل إليه في سنة (١٠٤١هـ/ ١٦٣١م) [انظر جزء السبل في هذا المؤلف].

= الأشرفي الدوادار الثاني، ثم اتصل بعد موته بأستاذه الأشرف، وصار في آخر أيامه خاصكيًّا، ثم في آخر أيام الظاهر ساقيًا، ثم أمير عشرة، ثم صار من رؤوس النوب، ثم نائب الإسكندرية، ثم تقدم في أيام الأشرف إينال بسفارة ناظر الخاص الجمالي، تزوج ابنة بردبك سبطة السلطان فرج، ثم أصبح أميرًا وولي الحجوبية الكبرى بعد جانبك القرماني، ثم الأخورية الكبرى بعد يونس العلائي، ولم يرع ذلك كله في ولده المؤيد أحمد بل مال إلى الأتابك خشقدم، فلما استقر في المملكة لم يحظ عنده، بل كان سببًا في تأخيره، ولكنه بسفارة قانم التاجر ولاه نيابة طرابلس، ثم نيابة الشام بعد تنم، مات في سنة (٨٧١هـ/ ١٤٦٦م)، دفن بزاوية القلندرية من مقبرة الباب الصغير، انظر: المرجع السابق: ٧-٨.

(١) المرجع السابق، مج. ١٢: ١٢.

مسجد أم خوند

باب مسجد أثري رقم ٥٨ (سنة ٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م)

هذا المسجد بشارع بين السورين «الشعراني الجواني»، أنشأته أم خوند فاطمة بنت الأمير قانباي العمري، وظهر من كلام السخاوي أنها شرعت في إنشائه في عهد الملك الظاهر جقمق، وتوقف العمل فيه حقبة ثم كمل بعد عصر الظاهر.

.... أمر بإنشاء هذه المدرسة...الجناب المنيع والستر الرفيع فاطمة بنت المرحوم قاني

ويعلو هذه الكتابة مربع بالكوفي فيه اسم «محمد ﷺ».

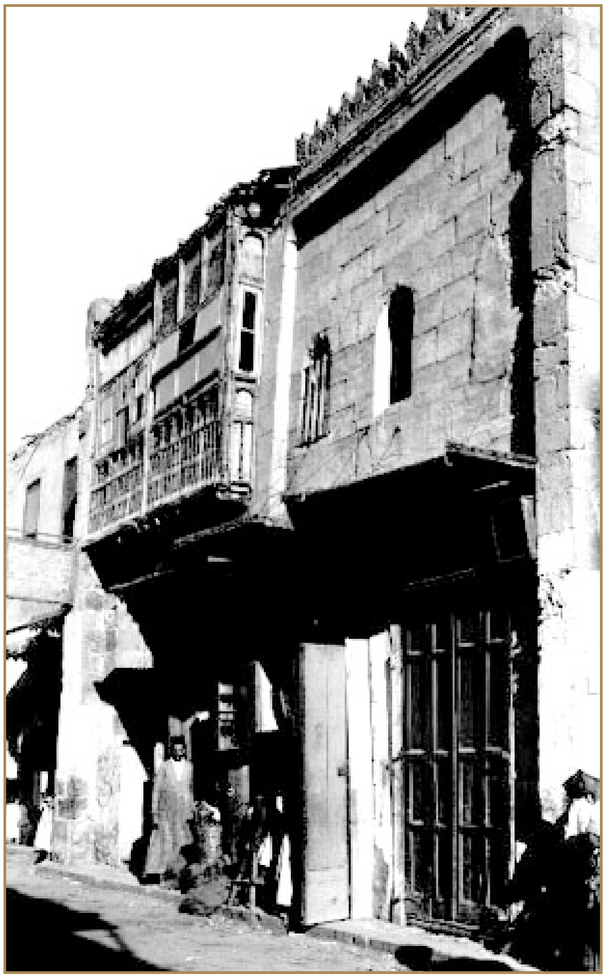
لم يذكر علي مبارك باشا هذا المسجد بوضوح، وذكره السخاوي في الضوء اللامع في ترجمة منشئته المذكورة فقال: «فاطمة ابنة قانباي العمري الناصري، ولدت في ربيع الأول سنة (٨١١هـ/ ١٤٠٨م)؛ ومات أبوها وهي صغيرة فنشأت في كفالة أمها شكر باي الجركسية، وأم أبيها قان قز بنت أنس والد الملك الظاهر برقوق(١)، وكان يقال لها أم خوند، لكون ابنتها خوند زينب بنت الأمير جرباش الكريمي أمير سلاح زوج الملك الظاهر جقمق(٢)، قال: «وعمرت بالقرب من درب الكافوري وموقف المكارية داخل باب القنطرة مدرسة لطيفة تقام فيها الجمعة، شرعت فيها في أيام الظاهر جقمق، ولكنها لم تكمل إلا بعده، وعملت فيها درسًا للحنفية وقراءة حديث وتفسير وغير ذلك، ووقفت بها كتبًا»، واستقر في خطابتها محمد بن محمد الأنصاري أحد علماء الشافعية المتوفى سنة (٨٩٣هـ/ ١٤٧٨م)، ودفن بمسجد شهاب بعطفة بالدشطوتي، قال: «وكانت خيرة تقرأ القرآن وتطالع التفسير والحديث وأكثرت من الحج، ماتت في يوم الأحد ثاني جمادى الأولى سنة (٨٩٢هـ/ ١٤٨٦م)، وصلى عليها من الغد بجامع يشبك بالقرب من بيتها بالسميساطية «الوايلية»، ثم دفنت بقبة البرقوقية»(٣).

وقد كانت هذه المدرسة سكنًا للشيخ عبد الوهاب الشعراني المدفون بإزاء المدرسة القادرية بقبة الأمير حسن حينما قدم مصر سنة (٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، بعد إقامته بجامع الغمري، وما برح ساكنًا بها حتى انتقل إلى زاويته، وقد ذكر عنها في طبقاته الوسطى في ترجمة الشيخ إبراهيم عصفور أحد شيوخه المدفون بمسجد جانم الحمزاوي بشارع بين السورين أن مئذنة هذه المدرسة سقطت بسبب حريق أشعل

(١) عن سيرة قان قز بنت أنس، أخت الظاهر برقوق وأم قانباي العمري الناصري فرج، انظر: المرجع السابق، مج. ١٢: ١١٦.
(٢) عن سيرة خوند زينب بنت جرباش الكريمي، انظر: المرجع السابق، مج. ١٢: ٤١.
(٣) المرجع السابق، مج. ١٢: ٩٨-٩٩.



مدخل مسجد أم خوند «عن كريسويل»



جانب من مسجد أم خوند «عن كريسويل»

فيها؛ وقد وصفها بقوله: «أنها كانت مكونة من ثلاثة أدوار؛ من خشب وبوص».

والمدخل إلى هذا المسجد من باب مرتفع عن الأرضية، وداخله يشتمل على غرفة بصدرها محراب يجاوره ضريح شيخ من شيوخ الشعراني يدعى الشيخ علي الحمار؛ وليس فيه ما يلفت النظر من الناحية الأثرية غير مدخله وما يحيط به ويعلوه من زخارف وكتابات.

جامع تنم من رصاص (تميم الرصافي)

أثر رقم ٢٢٧ (سنة ٨٦١هـ/ ١٤٥٦م)

هذا الجامع بحارة السيدة رقم٣٤، بالمنطقة المعروفة قبل الإسلام بالحمراء وبعده بخط السبع سقايات، نسبة للأسبلة المفردة التي أنشأها الوزير جعفر بن الفرات في سنة (٣٥٥هـ/ ٩٦٥م) للسقيا [انظر جزء السبل].

لم يذكره المقريزي في الخطط لحدوثه بعده؛ وسماه علي مبارك باشا في خططه بجامع تميم الرصافي، وهو الاسم المصحف عن اسمه الأول والذي يعرف به حتى اليوم.

ذكره السخاوي في الضوء اللامع في ترجمة منشئه، ومنه استطعنا التعرف إلى هذا الأثر والعصر الذي أنشئ فيه، وقد كان ستار من الشك والغموض قد لابسه حتى أصبح حلقة مفقودة من آثار القاهرة الإسلامية شأن غيره من الآثار الأخرى، فقدمه فريق من المشتغلين بهذا الفن وأخره فريق آخر.

والجزء الذي نحتفظ به كأثر من معالم هذا المسجد هو واجهته العمومية، وجدار بيت الصلاة، وبابه ذو الشباك المقرنص، ثم مئذنته ذات المنظر المألوف في مآذن هذا العصر، وهي تشبه لزخارفها ورشاقتها بعض المآذن التي تعاصرها.

أما واجهة المسجد فهي من الحجر ولا تعدو في بنائها القاعدة المألوفة في زيارة هذا العصر وإذا اعتبرنا أن منشئ هذا المسجد أنشأه في سنة (٨٦١هـ/ ١٤٥٦م)، وهي السنة التي علا فيها نجمه وتولى حسبة القاهرة، أمكن أن نضع هذا الأثر إلى جانب الآثار الأخرى المعاصرة له، بيد أن أظهر ما فيه من ميزات فنية؛ هي مئذنته الرشيقة ثم بابه بمقرنصاته.

والمدخل إلى هذا المسجد من باب في طرف الواجهة الشمالي الغربي، ومنه إلى قاعة يحمل سقفها بعض الأساطين المتخلفة من الأثر ذاته، وفي صدرها محراب يجاوره منبر، وفي الجانب القبلي باب يوصل إلى دار الوضوء، وقد تجددت واجهة هذا الأثر في سنة (١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م)، وأضيفت إليه دورة مياه حديثة بدل أخرى.

المنشئ

وبالرغم من أن السخاوي لم يتوسع في ترجمة المنشئ؛ إلا أن ما ذكره بشأنه كان مفيدًا جدًّا بالنسبة إلى ما ذكرناه آنفًا، وظهر من كلامه أنه جركسي الأصل واسمه تنم من بخشاش، ويقال له تنم من رصاص[١]، وكان مملوكًا للملك

(١) وهو الاسم الوارد [بالسجل رقم ٢٢٤]، المحرر بتاريخ أول شعبان سنة (١١٢٢هـ/ ١٧١٠م) حفظ شرعية مصر، [السجل رقم ٢٢٤]. (المؤلف)

الظاهر جقمق، ثم تولى حسبة القاهرة في آخر أيام الملك الأشرف إينال، وأنعم عليه بأمرة عشرة من الملك الظاهر خشقدم، ثم ترقى إلى أمير طبلخانه، وما برح حتى قتل في ذي الحجة سنة (٨٦٣هـ/ ١٤٥٩م)، وقد ختم السخاوي ترجمته هذه بقوله: «وابتنى جامعًا بالقرب من سكنه بالسبع سقايات»(١).

ومن هذه الجملة الموجزة أمكن أن نعثر على منطقة السبع سقايات، ونضعها في موضعها الصحيح الذي أشار إليه المقريزي في خططه، وهو يصحح ما وقعت فيه لجنة التسمية بمصلحة التنظيم من خطأ في إقصاء هذه المنطقة عن مكانها الأصلي، مع اتجاه نظرها في هذه التسمية على ما نعلم إلى السبع سقايات الجعفرية لا إلى سواقي الملك الكامل المخترقة خط سكة حديد حلوان(٢).





مئذنة جامع تميم الرصافي: قبل وبعد الإصلاح «عن كريسويل»

(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٤٣-٤٤.

(٢) السبع سقايات: من أخطاط القاهرة على الخليج بجوار قناطر السباع، عرف بحكر أقبغا، وسمي هذا الخط بهذا الاسم نسبة للسبع سقايات، وهي عبارة عن سبعة أحواض كانت مخصصة للشرب، وكان موقعها على يمين السالك اليوم في شارع السد الجواني، تجاه مسجد السيدة زينب في الجهة الغربية، في المنطقة التي فيها حارة السيدة زينب وفروعها، وجنينة لاظ وشوارعها؛ حيث كان النيل يجري وقت الفتح العربي في الجهة الغربية من جنينة لاظ؛ حيث الطريق المسماة شارع بني الأزرق وما في امتداده جنوبًا وشمالاً، وأن فم الخليج المصري كان في ذلك الوقت واقعًا حذاء مدخل الشارع المذكور من جهة شارع الخليج، وهذا الخط هو الجزء الشمالي من الحمراء القصوى ويقابله على الشاطئ الأيسر للخليج أرض جنان الزهري؛ حيث خط الناصرية الآن، وما في امتداده إلى شارع غيط العدة، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٨٤- ٣٨٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٤: ٣٧، هامش ٢؛ مج. ٧: ٣٨٧-٣٨٨.

دار الحديث التكريتية (زاوية جولاق)

مسجد أثري رقم ١٧٣ (سنة ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م)

هذا المسجد بداخل حارة برجوان بشارع المعز لدين الله (أمير الجيوش البراني سابقًا) يعرف بزاوية جولاق، كان في الأصل دارًا للحديث النبوي الشريف أنشأها الشيخ شرف الدين محمد بن محمد بن عبد اللطيف بن أحمد بن محمود بن قاسم بن الكويك الربعي التكريتي، في سنة (٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، وأوقف عليها أوقافًا دخل في ضمنها دار أبيه المجاورة لها، وخصصها لدراسة هذه المادة وعرفت بدار الحديث التكريتية، بيد أنها لم تلبث حتى أغلقت بعد موت منشئها، ثم تحولت بعد حين إلى مسجد للصلاة، بقي زمنًا ثم دثر، فقام بتجديده علي بن رمضان الأسلمي في سنة (٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م).

وقد تخلف من تجديده لهذه الدار طراز كتابي يحيط بالوجهة مكتوب فيه ما نصه:

أمر بتجديد هذا المسجد المبارك القاضوي النووي[(١)]
ابن المرحوم الزيني رمضان الناظر ببندر جده
المعمور الملكي الظاهري وذلك بتاريخ العشرين من
شهر رجب الفرد عام سبعين وثمانمائة



مدخل زاوية جولاق «عن فييت»

وظاهر من هذا النص الوارد في هذه المذكرة أنه مسجد قديم الوضع وجدده المذكور في هذا التاريخ وهذا ما يعضده قول السخاوي الآتي في ترجمته.

وبالرغم من أن هذه الدار قد أنشئت في وقت كان المقريزي لا يزال فيه حيًّا فقد تركها ولم يذكرها بوضوح، واقتصر على تسميتها بمسجد ابن الكويك، ووضعه داخل

(١) له حجة وقف صادرة بتاريخ ٨ من صفر سنة (٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م)، ١٧٥ حفظ شرعية مصر. (المؤلف)

رحبة مازن من حارة برجوان وقال: «أنه على يمنة من سلك من باب الحارة المذكورة»[١].

المنشئ

ومنشئ هذه الدار هو أحد العلماء المبرزين في الحديث والفقه كباقي أفراد أسرته، لم يترجم له السخاوي في الضوء اللامع، وترجم الحافظ ابن حجر في الدرر لأبيه وشقيقه عز الدين، وأفاد أن أباه كان يتولى القضاء ونظر الأحباس في عهد الملك الناصر حسين بن محمد بن قلاوون وعين مدرسًا للحديث بالمدرسة الظاهرية، وتوفي في رمضان سنة (٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م)[٢]، وتوفي ولده عز الدين في جمادى الأولى سنة (٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م)[٣].

دار الحديث التكريتية بالفسطاط

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الدار سبقتها دار أخرى للحديث بنفس هذه التسمية، أنشأها شرف الدين محمد بن الحسين بن محمود بن أبي الفتح بن الكويك الربعي التكريتي أحد تجار الكارم بمصر ومات منشئها بمكة في سنة (٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، وقد تركها المقريزي فلم يذكرها، وذكرها الحافظ ابن حجر في ترجمة منشئها، قال: «وهو صاحب المدرسة الكبيرة بمصر، وجعلها دار حديث، وجعل لها أوقافًا كثيرة»[٤].

دار الحديث التكريتية بالإسكندرية

وأسبق منهما دار حديث أخرى بالإسكندرية بالجزيرة عرفت بنفس الاسم، وهي من إنشاء زين الدين عبد اللطيف بن سيف التكريتي أنشأها في سنة (٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م)[٥]، وبالرغم من ضياع أكثر معالم هذه الدار فقد تخلف منها نصها التاريخي [انظر مسجد أبو علي بالإسكندرية].

ودور الحديث في القاهرة كثيرة فقد وجد منها في عصور مختلفة عدد كبير، خلا ما وجد منها في الإسكندرية وقوص وآسفون وإسنا وغيرها من بلاد الصعيد [انظر البحث الخاص بدور الحديث].

مجدد هذا الأثر

وقد ترجم السخاوي لمجدد هذا المسجد المذكور ترجمة أفاد فيها أنه: «علي بن رمضان الأسلمي القاهري يعرف بابن رمضان، خدم في بادئ أمره عند الأمير زين الدين يحيى الأستادار، ثم عند غيره، ولما عين الملك الظاهر جقمق الأمير جاني بك الظاهري نائبًا لجدة في سنة (٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م)، استخدمه صيرفيًّا عنده، وما لبث أن عينه الملك الظاهر خشقدم- بوصاية حفيده الشهابي أحمد العيني- ناظر بندر جدة، وفي خلال هذه المدة جدد هذا المسجد المذكور»، وقد أشار السخاوي إليه بقوله: «وأنشأ في حارة برجوان دارًا كانت مجمعًا للفسق، وأخذ مسجدًا كان بجانبها فعمله مدرسة، ومات في يوم السبت بالمحلة سنة (٨٧١هـ/ ١٤٦٦م) فنقل إلى القاهرة ودفن بها»[٦].

وقد تخلف من هذه المدرسة واجهتها وطرازها وبعض أجزاء في داخلها، ورمت واجهتها في سنة (١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م)، وعرفت باسم رجل تركي يدعى محمد جولاق من العصر العثماني، وبما ذكرنا عن هذا الأثر تظهر هذه الحلقة المفقودة منه للمشتغلين بالآثار الإسلامية[٧].

---

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٥٧.
(٢) ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٤: ٢٥.
(٣) المرجع السابق: ٢٦.
(٤) المرجع السابق، مج. ٣: ٤٢٩.
(٥) المرجع السابق، مج. ٢: ٤٠٦.
(٦) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٥: ٢٢٠.
(٧) زاوية نور الدين جولاق بأول حارة برجوان خلف جامع السلحدار. (المراجع)

جامع مغلباي طاز

أثر رقم ٢٠٧ (سنة ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م)

هذا الجامع بحارة الألفي «درب الخازن سابقًا» أنشأه الأمير مغلباي طاز الأبو بكري المؤيدي في سنة (٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م)، لم يذكره علي مبارك باشا بوضوح، وذكره السخاوي في الضوء اللامع، وابن إياس في تاريخه[1]، وقد تخرب هذا المسجد وبقي من آثاره الواجهة والمئذنة، وأصلح قسم كبير منه في سنة (١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م).

المنشئ

ومنشؤه هو الأمير طاز الأبو بكري المؤيدي، من مماليك الملك المؤيد شيخ؛ وأدرك الملك الأشرف إينال والظاهر خشقدم، وتعين أولاً أمير طبل، ثم أميرًا للحج، ثم مقدمًا، ثم محتسبًا للقاهرة، وفي عهد الملك الظاهر بلباي نفي إلى دمياط فاستمر في منفاه حتى مات في صفر سنة (٨٧٣هـ/ ١٤٩٨م)، وقد بلغ من العمر ثمانين سنة، ونقل بعد موته إلى القاهرة ودفن بتربته التي أنشأها بالصحراء خارج باب البرقية، بالطويلية المنسوبة إلى الأمير طاي بغا الطويل



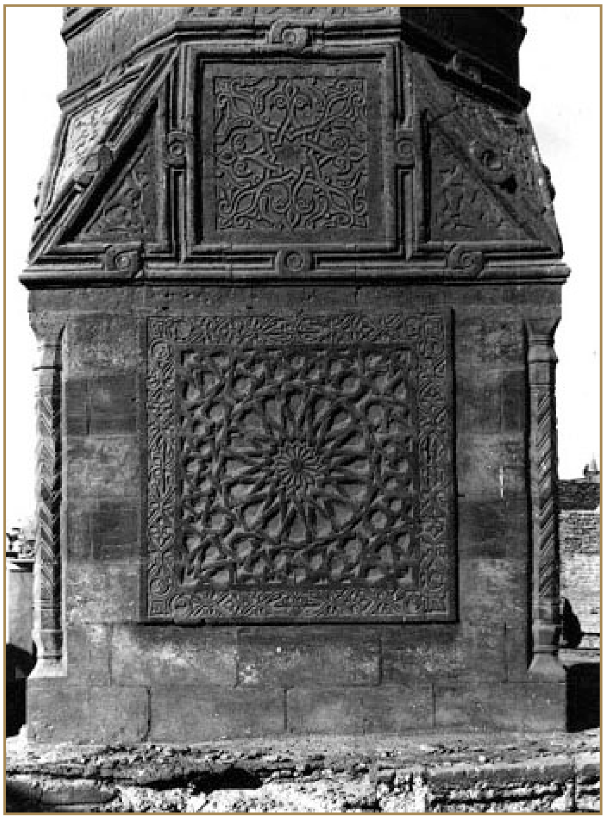
مئذنة جامع مغلباي طاز «عن كريسويل»

(١) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٢٠.

المنصوري [انظر هذه التربة][١]، ويقول السخاوي إنه كان دينًا خيرًا كريمًا شجاعًا سليم الباطن[٢].

وقد قرأنا في هذا الأثر المذكرة التاريخية هذا نصها:

أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك من فضل الله تعالى وجزيل عطائه العميم المقر الأشرف الكريم العالي المولوي المحترمي السيدي السندي السيفي مغلباي عيني مقدم الألوف الملكي الظاهري وكان الفراغ في ذلك الجامع المبارك السعيد في فضل الله تعالى وجزيل عطائه في شهر رمضان المعظم قدره سنة أحد وسبعين وثمانماية من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام



تفاصيل زخارف مئذنة جامع مغلباي طاز «عن كريسويل»

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما آمين يارب العالمين

ومذكرة أخرى في إفريز بالسقف هذا نصها:

البسملة، آية الفتح... وكان الفراغ في ذلك المكان، المبارك السعيد من فضل الله تعالى وجزيل عطائه في شهر ربيع الأول سنة أحد وسبعين وثمان ماية

(١) الأمير طاي بغا «طيبغا» الطويل: أحد الأمراء الكبار في دولة الناصر حسن، أمَّره هو ويلبغا في سنة (٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م) جميعًا طبلخاناه، ثم قدمهما بعد صرغتمش، ولما قتل حسن استقر طيبغا أمير سلاح ثم أمسكه يلبغا وحبسه بالإسكندرية في سنة (٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م)، ثم أفرج عنه بعد قتل يلبغا وأعطي نيابة حلب في سنة (٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م) عوضًا عن منكلي بغا الشمسي في أوائلها فمات بعد قليل في شوال سنة (٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م)، انظر: ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ٢٣١.

(٢) مغلباي طاز الأبو بكري المؤيدي شيخ: من صغار مماليكه، ثم صار بعده خاصكيًا، ثم أمره الأشرف إينال عشرة، ثم عمله خجداشه الظاهر خشقدم طبلخاناه وأمير حاج المحمل ثم مقدمًا، فلما خُلِع حموه وخجداشه الظاهر بلباي نفي إلى دمياط، فاستمر بها حتى مات في صفر سنة ثلاث وسبعين وهو في عشر الثمانين، وكان دينًا خيرًا كريمًا شجاعًا مع سلامة باطن وصدع بالحق وكثرة كلام ينشأ عن نشوفة وله جامع بنواحي الصليبة تقام فيه الخطبة، وهو غير مغلباي طاز بن عبد الله الساقي الظاهري المعروف بمغلباي الساقي أحد مماليك الظاهر جقمق وخواصه، الذي توفي في سنة (٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م)، عن سن جاوزت العشرين عامًا، والذي دفن في تربته التي أنشأها في الصحراء، والذي أصبح أميرًا قبل موته بأقل من نصف شهر، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ١٦٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٥: ٣٩١؛ ابن تغري بردي، **حوادث الدهور**: ١٨٤.

جامع سودون القصروي

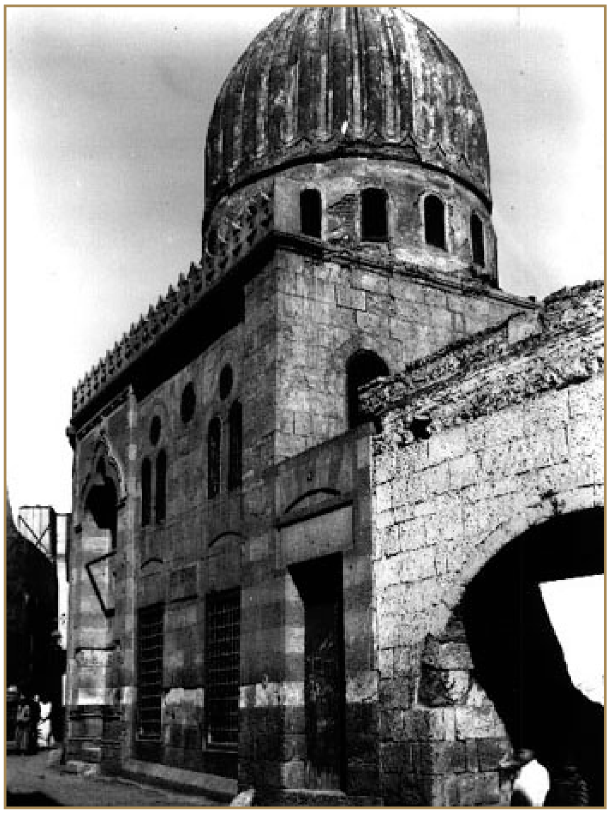
أثر رقم ١٠٥ (سنة ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م)

هذا الجامع بشارع حيضان الموصلي رقم ٣١ «الباطلية»، أنشأه الأمير سودون القصروي الأشرفي نائب القلعة ورأس نوبة في عهد الملك الأشرف قايتباي، وتم إنشاؤه في سنة (٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م) في عهد الملك الظاهر، وجعل منه مسجدًا جامعًا وتربة، وهذا الجامع رغم تغايره وتطوراته فقد بقيت منه بقية كبيرة أهمها قبته الجصية المضلعة التي تشبه القباب المسبوقة على هذا العصر، وهي آخر ما بني من هذا الطراز الجصي المربع، وبقي من نصوصه التاريخية نصان:

الأول في طراز بجانبي الباب البحري، نقرأ فيه هذه العبارة:

أنشأ هذا الجامع المبارك من فضله تعالى وجزيل عطائه العبد الفقير إلى الله تعالى محمد سودون القصروي نائب القلعة الشريفة بالديار المصرية الملكي الظاهري عز نصره

والثاني بالباب الغربي وهو على مثال هذا النص باختصار طفيف.



منظر عام لجامع سودون القصروي «عن كريسويل»

تجديد المسجد ووصفه

وأهم ما جدد في هذا المسجد هو ما قام به الأمير أحمد كتخدا مستحفظان الخربوطلي في سنة (١١٤٨هـ/ ١٧٣٥م)، فقد جدد ما كان متخربًا منه وعمره وأصلح دار وضوئه، وأحدث له قبرًا دفن فيه في رجب سنة (١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م)[(١)]، وظل قائمًا بالشعائر منذ ذلك الحين حتى تهدم سنة (١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م)، وتعطلت شعائره فأعاد ديوان الأوقاف تجديده في سنة (١٣١٢هـ/ ١٨٩٥م) في عهد الخديو عباس حلمي الثاني، وأصلح ما تخرب منه وجدد دار وضوئه، وأظهر نصوصه التاريخية ونظمها وبيضها ووضعها على أصلها، ويقرأ تاريخ هذا التجديد في أسكفة الباب الغربي في عبارة هذا نصها:

جدد هذا المسجد في عصر خديو مصر عباس حلمي
الثاني أدام الله أيامه سنة ١٣١٢

ولم يطرأ على هذا الجامع بعد ذلك التاريخ أي تجديد آخر خلا بعض الترميمات، وداخل المسجد يشتمل على باحة يحمل سقفها ست دعامات حجرية منمقة، يعلوها تسعة أقواس يتألف من مجموعها ثلاثة أروقة منها رواق بيت الصلاة وفيه المنبر يجاوره محراب، وفي الجانب القبلي باب نصل منه إلى دورة المياه، والقبور الموجودة بهذا المسجد أولها قبر الخربوطلي المذكور آنفًا، وهي تحت قبة سودون، وهو قبر مسنم مرفوع على قاعدة وله شاهدان مكتوب على أحدها:

توفي المرحوم إلى رحمة الله تعالى الحاج أحمد كتخدا
مستحفظان الخربوطلي
توفي يوم الخميس ١٢ رجب الفرد سنة ١١٤٩

(١) عن سيرة أحمد كتخدا الخربوطلي، انظر: الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ١: ٢٨٦؛ مبارك؛ **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ١٥٦-١٥٧.

ويجاوره قبر يعزى إلى إحدى بنات سودون المسماة فاطمة، وتزعم العامة أنها أم الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو زعم باطل زعموه في الشيخ بنيامين المدفون بالجانب البحري من هذا المسجد؛ فقالوا إنه أخو سيدنا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، بينما هو رجل صالح من أهل الخير أقام بهذا المسجد حتى حين؛ ثم مات فدفن به إلى جانب قبر الشيخ محمد بن محمد بن محمود المدعو بالشيخ البخاري من علماء الحديث في أواخر القرن التاسع، كان حيًّا سنة (٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م)، وتوفي في أوائل القرن العاشر.

وقد اتخذ جماعة من علماء الحديث وشيوخ الأزهر منذ القرن الحادي عشر من هذا الجامع معهدًا لهم للدرس والسمر، وظلوا يدرسون به الحديث والعلوم الشرعية حتى تخرب وتعطلت شعائره، والسبيل الذي يشير إليه السخاوي في ترجمة المنشئ تخرب منذ أمد بعيد، وبقيت أطلاله ماثلة حتى اليوم في الجانب القبلي من المسجد رقم ٢٩ تجاه زاوية الشيخ محمد بن أبي بكر الأحمدي المعروف بابن الصعيدي المتوفى سنة (٩٢٨هـ/ ١٥٢٤م).

المنشئ

ومنشئ هذا الأثر كان في مبدأ أمره مملوكًا للنائب تمراز، ثم انتظم جنديًّا من جنود الخاص عند السلطان الملك الظاهر جقمق، ثم خدم عند الملك الأشرف إينال، ثم استقر دوادارًا للأمير قصروه نائب الشام وبه عرف، وصار يتقلب في الوظائف حتى عين نائبًا لقلعة القاهرة، ثم رأس نوبة النوب في عهد الملك الأشرف قايتباي، وما برح حتى مات مقتولاً في حلب سنة (٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م)، وله أثر متغاير بشارع قرافة باب الوزير [انظر تربة الشيخ محمود الكردي][(٢)].

(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٢٨٥.

جامع الست فاطمة شقراء (رشيد البهائي)

أثر رقم ١٩٥ (سنة ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م)

هذا الجامع بشارع تحت الربع «خط القشاشين سابقًا»، ينسب إنشاؤه «فيما ظهر من كلام المقريزي» إلى الحاج رشيد بن عبد الله الفهري البهائي، رئيس الخدم بالحرم النبوي على مشرفه أفضل الصلاة والسلام، وقد ظهر من كلام السخاوي، أنه أنشأه في أوائل القرن التاسع الهجري قبل سنة (٨١٢هـ/ ١٤٠٩م)، إذ أنه أرخ وفاته بمكة في سنة (٨١٣هـ/ ١٤١٠م)[١].

وبالرغم من أن المقريزي وضع هذا الجامع بخط تحت الربع، وحدده بأنه على يسرة من سلك من دار التفاح يريد قنطرة الخرق «ميدان باب الخلق»، وأن السخاوي لم يوضح في ترجمة منشئه ما يستدل منه على نسبة هذا المسجد إلى رشيد المذكور؛ أقول بالرغم من ذلك فإن المناوي في «الكواكب الدرية» قد دلنا عليه بوضوح من طريق لا مجال للشك ولا الغموض فيها، وذلك لدى ذكره للسبب الذي من أجله تسمى هذا الجامع في أواسط القرن الحادي عشر بجامع المرة أو المرأة بعد تسميته باسم منشئه [انظر سبب هذه التسمية فيما يأتي].



مئذنة جامع الست فاطمة شقراء «عن كريسويل»

(١) المرجع السابق: ٢٢٥-٢٢٦.

وإزاء هـذا النص القاطع الذي صحح لنا نسـبة هذا الجامع إلى منشـئه رشـيد البهائي، فمن المسـتطاع القول بأن الجهة السـت فاطمة شـقراء التي ورد اسمها في النص التاريخي المتخلف من آثـار هذا الجامع قد قامت بتجديد هذا المسجد بعد مضي سـتين عامًا ونيفًا من إنشائه؛ وهذا يدحض القول بأنه من إنشـائها، وسـيقوم عليه دليل آخر وشيك، والنص المشار إليه رغم ضياع بعضه إلا أنه لا يزال بجانبي باب الجامع يقرأ فيه اسم المنشئة والتاريخ واضحًا في عبارة هذا نصها:

... كريمـة الجنـاب العالي الملـكي الأشرفي الجهة المصونة الست فاطمة وتدعى شقرا- بتاريخ العشر من شـهر {جمـادى الآخرة سـنة ثلاث وسـبعين وثمانمائة}

وصف المسجد وتجديده

والمدخـل إلى هذا الجامع من بـاب غربي وهو الباب العمومي للمسـجد وهو باب جميل مقوس، يعلوه مقرنص، وفي جانبه البحري سـبيل تعلوه مئذنة عثمانية مستديرة يرجع تاريخ إنشائها إلى سنة (١١٧١هـ/ ١٧٥٧م) بأمر المرحوم محمد أفندي باشقلفة الرزنامة، ووقف على مصالح المسجد ٤٥ فدانًا[١].

وداخل المسجد عبارة عن غرفة تحمل سقفها دعامات حجرية يتألف منها خمسة بلاطات، وفي وسطه سقيفة ذات منافذ للإضاءة، وبالحائط الشرقي محراب من الحجر لا يزال الجزء العلوي منـه حافظًا لزخارفـه الأولى، وقوام زخرفة الكتابية آيات كريمة من سـورة البقرة ومن غيرها؛ يجاوره منبر من الخشب المنجور الملبس بالصدف وتبدو منه أجزاء طرأ عليها التغيـير، وتظهر واضحة في رمانته وبابه وبعض مفردات منه، وفي الجدار البحري مصطبة يحجبها عن بيت الصلاة دربوز من الخشب وخلفه إلى جهة الشرق قبر يعلوه صندوق من الخشب ملبس بستر يقابله إلى جهة الغرب قبر يماثله؛ يعزى القبر الأول إلى الست فاطمة شقرا مجددة هذا الجامع ويسميها العوام بالسـيدة فاطمة النبوية لتجاهلهم اسمها الحقيقي، وفي القبر الثاني رجل من المتسمين بالصلاح يعرف بالشـيخ عبد الله المقشـاتي متأخر الوفاة، وهو غير الشيخ عبد الله المقشـاتي الآخر المدفون بالمنزل رقم٣ من حارة القشاشة (المقشات) بشارع الدرب الأحمر.

وليـس في الجامع كله مـن آثـاره الأولى، غير المنبر المذكور وحائط بيت الصلاة بمـا فيه المحراب خلا بعض ترميمات واسـتبدال أحجار بالية بأخرى جديدة، ثم باب المسـجد بمذكرته وبالتالي مئذنته العثمانية المتأخرة عن تاريخ إنشـائه ثم السـبيل، أما باقيه فقد جدد منذ أوائل هذا القرن في سـنة (١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م)، وقد أصلحت وزارة الأوقاف دار وضوئه بنظام أصـح مما كانت عليه، وجددته في سنة (١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م)، وفي سنة (١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م) بيضته ونظفته.

---

(١) لمنشئ هذه المئذنة بهذا الأثر حجة وقف صادرة بتاريخ ٢٧ من شعبان سنة (١١٧١هـ/ ١٧٥٧م)، [مسجلة برقم ٢٥٣] بقلم الحفظ بالمحكمة صفحة ٧٧، وقد ورد فيها تسمية المسجد بجامع الفتح المعروف بفاطمة والمرأة، ورأيت في [السجل رقم ٢٨٧ ص٣٠٦، في المادة رقم١٦٢]، أن الحد القبلي «أي الشرقي» لمكان فاطمة أحمد، مسجد الأشقرية، ونسبة لخوند فاطمة شقرا المذكورة. (المؤلف)

والست فاطمة شقرا التي ورد اسمها في النص السابق بالرغم من أن اسمها الكامل قد ضاع من المذكرة التاريخية السالفة فإن السخاوي في الضوء اللامع قد دلنا على شخصيتها من طريق ليس فيها غموض وقد سماها بنفس الاسم الذي وجد في النص المشار إليه «وهو الست فاطمة شقرا».

والمفهوم مما ذكر بشأنها في هذا المصدر أنها الآدر (ربة الخدر) الست فاطمة شقراء ابنة الأمير خير بك من حديد أو حتيت أمير طبلخاناه الأشرفي المتوفى بمكة في سنة (٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م)، وهو صاحب الأثرين الباقيين بتغاير بحارة النظارة وبشارع نور الظلام [انظر زاوية عبد الرحمن بك، ومسجد الكردي][(١)].

وأمها هي الآدر خديجة بنت الأمير جرباش كرد المحمدي الناصري أتابك العساكر في عهد الملك الظاهر خشقدم المتوفى سنة (٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م) ودفن بالبرقوقية[(٢)].

وجدتها لأمها هي الخوند «أي الأميرة» شقراء بنت الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق المتوفاة في رجب سنة (٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م) ودفنت بالبرقوقية أيضًا[(٣)].

ومن ثمت عرفت صاحبة هذا الأثر، بفاطمة شقرا نسبة إلى جدتها هذه، وواضح من كلام السخاوي أن الست فاطمة هذه كانت متزوجة بالأمير جانبك العلائي الأشرفي أمير أخور ثاني المتوفى سنة (٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م) ودفن ببرقوقية الصحراء أيضًا[(٤)]، والمفهوم أنها لم تتزوج غيره، وعاشت حتى مات أبوها وزوجها وتأيمت بعدهما[(٥)]، وماتت بعد سنة (٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م)[(٦)].

وقد جاءت عبارة المناوي كما قلنا قاطعة مانعة لكل شك يتطرق إلى الأذهان بشأن هذا الجامع، وأنه هو جامع رشيد بذاته المقصود من عبارة المقريزي، فقد أكد لنا أن حادثة وقعت بهذا المسجد تتلخص في أن شخصًا من الجند اعتدى على امرأة كانت سائرة في طريقها في هذه المنطقة قبيل العشاء فأخذها وأتى بها إلى هذا المسجد، وقصد الدخول بها إلى أحد المراحيض لقضاء حاجته معها، فرآه الشيخ إبراهيم النبتيتي النساج المتوفى ببلده سنة (١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م)، وكان قد أقام بهذا الجامع بعد إقامته بجامع إسكندر باشا بميدان باب الخرق فصاح عليه فأقبل إليه الناس من كل حدب وصوب وقبضوا على الجندي متلبسًا بجريمة فأخرجوه مهانًا وقدموه للمحاكمة[(٧)]، وتحدث الناس بأمر هذا الجندي حديثًا ترك أثره حتى اليوم في تسمية هذا الجامع بجامع المرأة، وقد علقت هذه التسمية بالأذهان حتى اليوم، ولفظ عبارة

(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٢٠٧–٢٠٨.

(٢) المرجع السابق، مج. ١٢: ٢٧.

(٣) المرجع السابق، مج. ١٢: ٦٨.

(٤) المرجع السابق، مج. ٣: ٥٩.

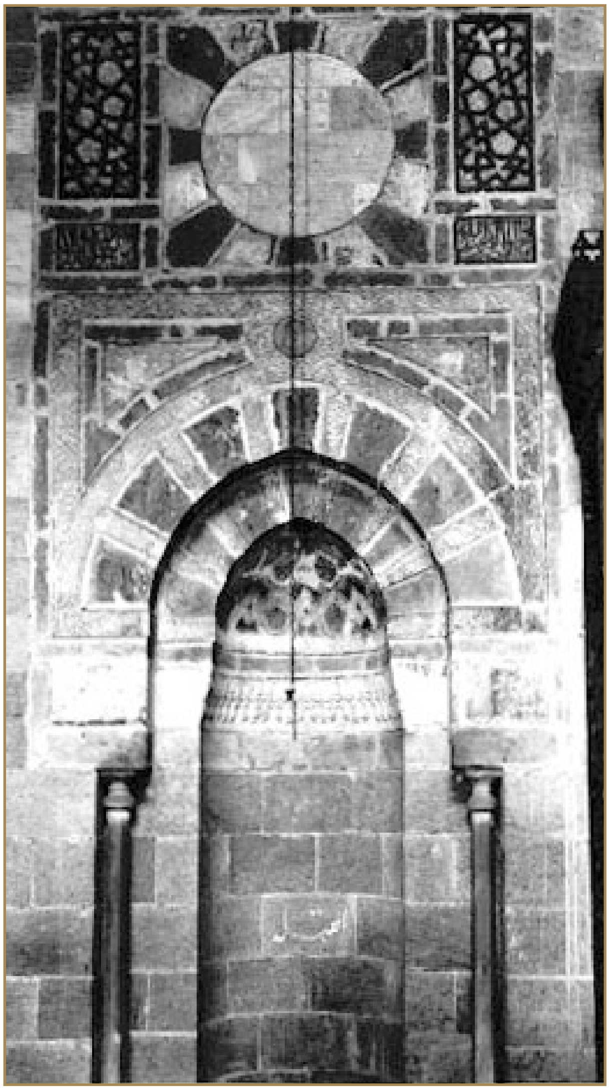
(٥) المرجع السابق، مج. ١٢: ٩١.

(٦) رأيت في الإشهاد الشرعي الصادر في ٧ من ذي الحجة سنة (٩٢٤هـ/ ١٥١٨م)، أنها حضرت بنفسها مع الشهابي أحمد بن المقر السيفي قاسم، وأشهد أمام المحكمة بما ورد في هذا الإشهاد، وقد وصفها الإشهاد بأنها السيدة المصونة الكبرى المحجبة فاطمة المرأة الكامل بنت المقر المرحوم السيفي خاير بك من حديد أحد أمراء مقدمي الألوف بالديار المصرية، المعروفة بزوجة المقر المرحوم السيفي جاني بك العلاي أمير آخور ثاني، وهذا النص يؤكد امتداد حياتها إلى هذا التاريخ. (المؤلف)

(٧) زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية: الطبقات الكبرى**، مج. ٣، تحقيق محمد أديب الجادر (بيروت: دار صادر، ١٩٩٩): ٤٧٦–٤٧٧؛ مج. ٤: ٣١٤–٣١٥؛ المحبي، **خلاصة الأثر**، مج. ١: ٦٢.



واجهة جامع الست فاطمة شقراء «عن كريسويل»

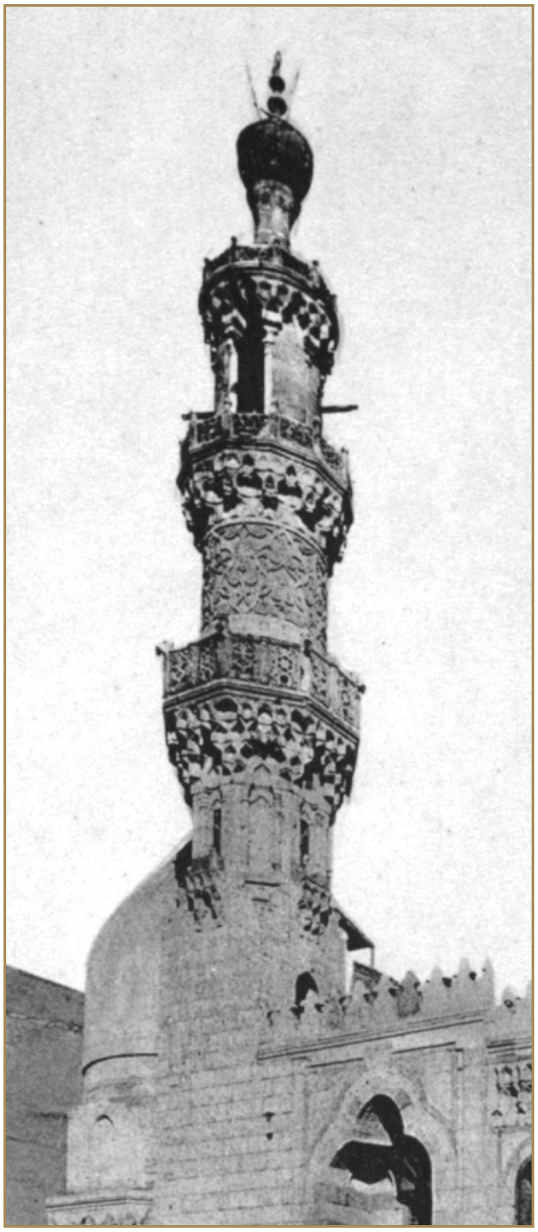


محراب جامع الست فاطمة شقراء «عن كريسويل»

المناوي صريحة في أن هذه الحادثة وقعت بجامع رشيد بسوق القشاشـــين من تحت الربع، وهذا مأتى تسميته بجامع المرأة نســبة إلى هذه الحادثة لا إلى ما جددته الست فاطمة شقرا، وقد أكد ذلك التقرير رقم٨٨٠ بإقامة حسين عيسى ناظرًا على مســجد فاطمة العالي وزوجهــا وموقوفاتهما المعروف بجامع المرأة سفل الربع الظاهري، ومؤرخ هذا التقرير في ٢٦ من محرم ســنة (١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م)، ومسجل بسجل التقارير بحفظ شرعية مــصر، ولفظ العالي الــوارد في هذا التقرير مأخوذ من النص الموجود بالأثر المتقدم الذكر.

جامع تمراز الأحمدي

أثر رقم ٢١٦ (سنة ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م)


مئذنة جامع تمراز الأحمدي «عن فييت»

هذا الجامع بشارع درب الجماميز «جماميز السعدية»، أنشأه الأمير تمراز الأحمدي أمير أخور الظاهري ثم الأشرفي «أمير الإصطبل» في أواخر سنة (٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م)، وتم في شوال سنة (٨٧٦هـ/ ١٤٧١م) برسم مسجد للصلاة وتربة له.

وفي سنة (٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م) جعل منه مسجدًا جامعًا بخطبة، وأنشأ له قبرًا، وقرر له خطيبًا، وأوقف عليه أوقافًا، وهذا المسجد رغم أنه من منشآت القرن التاسع فلم يذكره السخاوي في الضوء اللامع لإغفاله ترجمة منشئه، وذكره ابن إياس في تاريخه في عبارة مختصرة[١]؛ أفاد فيها ما ورد في النص التاريخي الآتي، ووضعه بجوار قنطرة عمر شاه السلاح دار الناصري[٢].

وهذا الجامع غريب في نظامه، يلفت النظر فيه تصميمه وبراعة المهندس الذي صاغ واجهته حيث جعل منها منظرًا غاية في الفخامة والبهاء، وندخل من بابه

(١) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٧٠.

(٢) قنطرة عمر شاه: تعرف بقنطرة عمارشة، وظلت حتى سنة (١٨٩٨م) حيث ردم القسم الأوسط من الخليج، ومكانها الآن مدخل حارة عمر شاه في شارع بورسعيد على يسار القادم من ميدان السيدة زينب التي توصل إلى سكة سويقة اللالا، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٩١، هامش ٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ٢٨٥، هامش ١.

العمومي إلى دركاه «مجاز»، سقفها ملبس بسماوات، ومنه إلى رواق تقوم واجهته على أسطوانة من الرخام تحمل فوقها قوسين يقابلها رواق آخر مقوس، ومن هذا الرواق نصل إلى رواق بيت الصلاة فيقابلنا رواق آخر بصدره ست كوات؛ ثلاث منها علوية يغطيها نوع من الحسك المشبك، وثلاث سفلية وبينها سدة من الخشب المنجور يصعد إليها بدرج من الخشب، مارة بالرواق الغربي البحري حتى باب قبة المنشئ، وفي طرف الرواق الغربي قوس عليه دربوز من الخشب نصل منه إلى مقصورة بداخلها قبر عليه صندوق من الرخام المسنون يعرف بقبر الشمسي، وبين رواق بيت الصلاة والرواق الغربي القبلي بهو مغطى بسقيفة ذات قبة بنوافذ زجاجية حديثة الصنع، وتتدلى من سقفها تواشيح وفي الرواق الشرقي محراب من الحجر يعلوه طراز مزخرف بآية قرآنية مبسملة، ويكتنفه ساريتان من الرخام المثمن، وفي جداره منبر من الخشب المنجور خالي الكسوة، ويعلو جانبه مذكرة تاريخية نقرأ فيها العبارة الآتية:

أمر بإنشاء هذا المنبر المبارك الجناب العالي السيفي
تمراز أمير أخور وكان الفراغ من هذا المنبر المبارك
في شهر الله الحرام سنة اثنين وثمانين وثمان مائة

وتقوم بين الأروقة المذكورة وبين البهو دعامة مربعة من الحجر، وفي كل من الأروقة المذكورة بساتيل من الخشب العادي، وفي الجانب البحري من البهو باب صغير نصل منه إلى دار الوضوء ومحل الحاجة، وفي الجانب البحري الغربي من رواق المدخل نصل إلى باب صغير تعلوه مذكرة تاريخية كتب فيها تاريخ وفاة المنشئ في سطرين، ومن هذا الباب نصل إلى القبة وهي من القباب الحجرية الجميلة رغم خلوها من الزخارف، وفي جدارها الشرقي محراب من الحجر، ويتوسط القبة قبر المنشئ عليه صندوق من الخشب العادي بدل مفقود.

ويجاور القبة مئذنة رشيقة من مآذن القرن التاسع، وواجهة المسجد بالباب المقرنص بزخرفته الكتابية البارزة والمنزلة بالمونة البيضاء في مثلها سوداء بمنظر القبة والمئذنة بالسبيل والكتاب الذي يجاور الباب العمومي من الناحية القبلية، كل ذلك يكون منظرًا من هذا الأثر تتجلى فيه عناية المنشئ به وبراعة مهندسه.

تجديد المسجد

ويبتدئ تجديد هذا المسجد بصورة عملية من سنة (١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م)[١]، فقد قام الأمير حسن شمسي بن محمد ابن حسن شمسي- أحد رؤساء فرق العساكر الاختيارية «المتطوعين»- فجدد أروقته جميعها، ورمم جدرانه الساقطة، وأعاد دار وضوءه بعد تخربها، وأصلح منبره وسقفه وأبوابه والسبيل الذي يجاوره وتربة المنشئ، وأناره، وفي سنة (١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م) أوقف عليه أوقافًا مبينة في كتاب وقفه، وبالرغم من أن الآمر له بتعمير هذا المسجد هو الوزير حمزة باشا- الحاكم العثماني بمصر، وقد عمره وصرف عليه بسخاء من ماله الخاص وعلى نفقته، ومات هذا الأمير في سنة (١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م)، ودفن بتربة أحدثها في جانب الإيوان الغربي، وهي التربة المعروفة بحفيده الأمير محمد شمسي أحد الأمراء في عهد العزيز محمد علي باشا المتوفى سنة (١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م).

(١) المذكرات التاريخية التي تشير إلى هذا التجديد هي ما يوجد بأعلى المحراب وبباب الوضوء وبتربة الشمسي، ورأيت له مذكرة أخرى تفيد تجديده من أمير الحج أيوب بك في سنة (١١١٣هـ/ ١٧٠١م). (المؤلف)

وكان هذا المسجد منذ خمسين عامًا تحت نظارة السيد رضوان شمسي بن طه بن محمد بن حسين شمسي المذكور، وسكنت أسرة الشمسي هذه بدار تقع بطريق خلف هذا الجامع مباشرة وتعرف حتى الآن بدرب الشمسي، وإلى هذا الفرع يمت الوزير المعروف علي باشا الشمسي فيما يقال، ويستفاد مما ذكره المؤرخ الجبرتي؛ أن السيد محمد بن حسين الشمسي تزوج برقية بنت السيد أحمد بن عبد الفتاح بن طه بن عبد الرزاق الحسيني الحموي نقيب أشراف مصر المتوفى سنة (١١٩٩هـ/ ١٧٨٤م)، وخلف منها أولاده الأربع حسن وحسين ومحمود وعثمان؛ والأخير توفي سنة (١٢٠٤هـ/ ١٧٨٩م) عن ولديه محمد جوربجي وحسين جوربجي الشمسي.

وفي سنة (١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م) جدده الأمير محمد أفندي الودنلي ناظر المهمات الحربية للدولة العلوية في عهد العزيز محمد علي باشا المعروف بأبي طبل المنسوب إليه جامع أق سنقر الرومي بشارع المذبح من سويقة السباعين[(١)]، وذلك بأثر نقلته من بيت سليمان أفندي ميسو خلف القجماسية بالدرب الأحمر إلى بيت ابن الدالي بشارع اللبودية، وقد وسعه وعمره وجدد ما حوله من المباني وضم إليه دورًا أخرى كانت في جواره واستخدم قسمًا كبيرًا منه دارًا لصناعة المهمات الحربية وتجهيز شؤون الحرب من سبك مدافع وصب قنابر وإعداد قطع للأسطول إلى غير ذلك.

وبهذه المناسبة جدد هذا المسجد ورممت جدرانه وبيضه وبلطه ورتب به درسًا من بعد العصر كل يوم، عين له الشيخ أحمد الطحطاوي كبير علماء الحنفية بالقاهرة، وضم إليه عشرة من طلبة العلم الأحناف وقرر لهم كل عام ألف عثماني تصرف لهم من بيت المال أي ما يعادل ٨٠ جنيهًا مصريًّا عملة حاضرة، إذ أن العثماني يساوي ٨ مليمات تمامًا، ويعادل هذا المبلغ من عملة ذلك الوقت ٥٠٠ نصف فضة، وجدد السبيل والمكتب المجاور لهذا المسجد التابع له ورتب لمؤدب الكتاب والأطفال مبلغًا من المال وكسوة سنوية[(٢)].

ترجمة الودنلي

والمذكور تركي الجنس وجاء إلى مصر في سنة (١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م) في عهد الوزير محمد باشا خسرو، فعينه كاشفًا بأسيوط، بيد أنه لم يلبث حتى استقال وعاد إلى موطنه، ثم قدم إلى مصر مرة ثانية، فعينه العزيز محمد علي باشا ناظرًا للمهمات الحربية، ثم أضاف إليه نظر معمل البارود ومصنع المدافع.

ويصفه الجبرتي بأنه كان جوادًا كريمًا صالحًا عالمًا بعلوم كثيرة منها الفلك والطبيعة والحساب والهيئة والرياضيات وغيرها من العلوم الكونية، وهو أول فلكيي هذا العصر أخرج تقويمًا في رأس كل سنة هجرية، وأبطل كثيرًا من العوائد المنكرة التي كانت يفعلها العساكر مع الأهالي، وامتلك قطعة كبيرة من بستان المخاريق وحكر قوصون

(١) ترجم المقريزي لهذا المسجد في الخطط، وأفاد أن منشئه مات في سنة (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م)، وقد تخلف من هذا المسجد مئذنته، وهي مئذنة راقية تزدان بمجموعة من الزخارف الكتابية وقد تجدد داخل المسجد في سنة (١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م)، وبه ضريح منشؤه المذكور معروفًا بأبي طبل وسنقر. (المؤلف)
جامع آق سنقر بسويقة السباعين المعروف بجامع أبي طبل الموجودة بحارة السقائين عند تلاقيها بشارع المذبح بقسم السيدة زينب، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٢٣٨-٢٣٩، هامش ٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٣٢٢، هامش ٤.

(٢) الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٤: ٤٠٥.

وجدد جامع أق سنقر الرومي وأعاد بناءه رأسًا على عقب، وعهد إليه محمد علي باشا في سنة (١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م) بتجديد مجراة السبع سواقي بشارع فم الخليج، وكانت قد تخربت وأهمل شأنها وبطل الانتفاع منها منذ سنة (١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م) حتى هذا التاريخ [انظر السبع سواقي]، فعمرها وأصلح سواقيها وأدارها وأجرى فيها الماء إلى القلعة ونواحيها وعم النفع بها وتنازل سعر الماء عما كان عليه، وهو أول من أدخل صناعة الجوخ إلى القاهرة وأنشأ لها مصنعًا لغزله ونسجه لم يدم طويلاً لعدم الإقبال عليه، ولما عهد إليه محمد علي باشا بإدارة مأمورية الضرائب «الضربخانة» لم يحدث بها حدثًا، بيد أنه فرض على بائعي الإبزار والتوابل والبدالين ضريبة عدها المصريون من مساوئه، وما برح قائمًا بعمله بهمة وإخلاص حتى أفل نجمه وغضب عليه الباشا لسوء ارتكبه، ولم يلبث حتى قتله خليل بك حاكم الإسكندرية رميًا بالرصاص في صفر سنة (١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م)[١].

ومنذ أوائل هذا القرن جددت نظارة الأوقاف بعض جدران هذا المسجد وقومت أحجاره وأصلحت خشبه وأبوابه وجددت دار وضوئه بنظام أصلح مما كانت عليه، وفي سنة (١٣٥٣هـ/ ١٩٢٤م) جددت لجنة حفظ الآثار قبة هذا المسجد ومئذنته وشدتهما؛ وأصلحت بعض الحجارة البالية من الواجهة.

المذكرات التاريخية

المذكرة الأولى: بجانبي الباب وقد تآكل بعضها

أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى الراجي عفو ربه الكريم الجناب العالي السيفي تمراز أمير أخور وكان الفراغ من ذلك في شهر شوال المبارك سنة ست وسبعين وثمان مائة.

المذكرة الثانية على القبر

البسملة. كل نفس ذائقة الموت توفي المرحوم تمراز الأحمدي من أنشأ هذا الجامع المبارك تاسع شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وثمان مائة.

المذكرة الثالثة على المنبر

أمر بإنشاء هذا المنبر المبارك الجناب العالي السيفي تمراز أمير أخور وكان الفراغ من هذا المنبر المبارك في شهر الله المحرم سنة اثنين وثمانين وثمان مائة

وبالمسجد مذكرات أخرى قرأنا منها ما هو مدون بأعلى المحراب وباب الوضوء وبتربة الشمسي وبين الشرفات:

انظر إلى هذا الضريح وما حوى
من بهجة وجلالة منظورة
واستمطر الأمداد نحن حل في
أرجائه فهباته مشهورة
من زاره في أي تاريخ يقل
جمل الرجا برحابكم مقصورة
سنة ١١٦٢

ومن منعم المولى الكريم وذي المثنى
عمارة بيت الله للفرض والسنن
فهذا وأيم الله أشرف منهج
يجازي به الجنات في خلدها الرحمن
فيا حسن الأوصاف جددت مسجدا
له بهجة يجلو لناظرها الحزن
جزاؤك في الفردوس وبيت مزخرف
كذا وردت أخبار طه عن فطن

(١) المرجع السابق: ٢٦٤-٢٦٩.

لهذا يقول الفال بالله أرخوا
بتجديد بيت الله يهدي العلا حسن
سـنـة ١١٨٠

كذا فليكن من يطلب العز في الأخرى
ويرجو من الله السعادة والأجرا

يجدد لله المساجد مخلصا
لبقي له في يوم حشر الورى زخرا

كفعل أمير الحاج أيوب إذ حوى
بتجديد هذا المسجد الأجر والفخرا

وأبقى له ذكر أمد الدهر باقيا
وفي جنة الفردوس يعطي به قصرا

بهذا لسان القال قال مؤرخا
أهنيك يا أيوب جاءت لك البشرى
سـنـة ١١١٣

حيث كان الموت يدرك نفسي
بجوار البهلول زخرفت رمى

ارتجي عفو خالقي ورضاه
تنتفي وحشتي ويحصل أنسي

هكذا شأن أهل بيت نبي
أذهب الله عنهم كل رجس

مذ رأيناك يا ابن محمود تسعى
سعي خير يسر قلت لنفسي

في حراقي الفلاح قد أرخوه
أبدا يرتقي بمحمد شمسي

سنة ١٢٣٠ ٨ ٧٢٠ ٩٢ ٤١٠



منبر جامع تمراز الأحمدي «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

المنشئ

يؤخذ مما ذكر في هذه النصوص أن المذكور من المماليك، وتسمى بالأحمدي نسبة لبائعه أحمد كما هو المألوف، ثم تعين أمير أخور أي أمير إصطبل في عهد الملك الأشرف قايتباي، والمؤكد أنه كان من مماليك الملك الظاهر جقمق ثم خدم عند خلفه من الملوك، حتى عهد الملك الأشرف، ومات سنة (٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م) ودفن بتربته من هذا المسجد، وسبقه إليها أحد عبيده المدعو مثقال.

جامع خشقدم الأحمدي

أثر رقم ١٥٣ (سنة ٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م)

هذا الجامع بشارع درب الحصر «حوش العرب سابقًا»، المتفرع من شارع السيدة عائشة قسم الخليفة،كان في الأصل دارًا للأمير سيف الدين طاش تيمور العلائي الأشرفي الدوادار المتوفى بالقدس سنة (٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م)، أنشأها في سنة (٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م) حينما كان دوادارًا للملك الأشرف شعبان، والمؤكد أنها كانت دارًا فاخرة تنافس الأمراء في سكناها، فسكنها واحد بعد آخر حتى سكنها في أوائل سنة (٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م) الملك المؤيد أحمد بن الملك الأشرف إينال ملك مصر، الذي تولى الملك بعد أبيه مباشرة في جمادى الأولى سنة (٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م)، بيد أنه لم يلبث إلا أربعة أشهر وثلاثة أيام ثم خلع من الملك لأسباب سياسية، وقد تمكن هذا الملك على قصر المدة التي أقامها بهذه الدار أن يحدث بها بعض الإصلاحات والتجديد، وهذا ما يبدو ظاهرًا في الإفريز المحيط بسماوات سقف المدخل العمومي لها؛ وفي الحلقة «الرنك» الوارد فيها اسمه والدعاء له بالعز والنصر.

وما برحت هذه الدار تتناقل ملكيتها من واحد لآخر حتى آلت في آواخر سنة (٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م) إلى الأمير خشقدم الزمام الظاهري المعروف بالأحمدي، فجددها وأصلح قاعة الجلوس فيها وزخرفها وتمت إصلاحاته فيها في ربيع الأول سنة (٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م)، ثم استخدمها كدار له حتى سنة (٨٩١هـ/ ١٤٨٦م).

وفي هذه السنة حولها إلى مسجد جامع ومدرسة، فأحدث في مشرف القاعة الشرقي محرابًا من الجص بارزًا عن الجدار، ووضع إلى جانبه منبرًا من الخشب المنجور الفاخر، وبنى في الجانب البحري من المشرف ذاته مئذنة رشيقة من نوع المآذن الرفيعة المزخرفة، وركبها على قاعدة تبدأ من مستوى الطريق وبرز بها بروزًا جعلها شبه منعزلة عن المسجد، ولما تمت هذه العملية استصدر أمرًا من الملك الأشرف قايتباي بإقامة الخطبة فيه؛ فرسم له بذلك وافتتح المسجد بصلاة الجمعة في حفل جامع في منتصف شهر رمضان سنة (٨٩١هـ/ ١٤٨٦م)[١].

ومن ذلك التاريخ تبدأ هذه الدار تظهر كمسجد جامع لإقامة الشعائر وتدريس العلم، وقد أشار السخاوي إلى ذلك بقوله: «وعمل أحد قاعاته بالقرب من درب الرميلة (شارع السيدة عائشة أو عرصة القمح سابقًا) جامعًا تقام فيه الجمعة والجماعات»، وذكره ابن إياس وأشار إلى ما أشار إليه السخاوي[٢].

(١) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٢٣١.
(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ١٦٧-١٧٧.

وهذا القول ينطبق على حالة الجامع التي تلابسه حتى اليوم، فداخله عبارة عن باحة جميلة مزخرفة تشتمل على مشرفين في الشرق والغرب، أحدهما وهو الشرقي أطول من الآخر وبينهما بهو مغطى بسقيفة حديثة، وسقفها سماوات تتدلى منه تواشيح خشبية للزخرفة وفي الجانب القبلي والبحري مخدعان مقاعدهما من الخشب المنجور، ويحيط بها إفريز قوام زخرفته كتابة تبتدئ بالبسملة ثم بقوله تعالى ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢١٥]، ثم بأسماء الله الحسنى وتنتهي بما نصه:

وكان الفراغ في شهر ربيع الأول سنة ثمان وسبعين
وثمانمائة وصلى الله على أشرف الأنام
وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين

وفي المشرف الشرقي محراب بارز من الجص يجاوره منبر فاخر، ونخرج من هذه القاعة إلى ممر أشبه بدهليز يعلوه سقف بسماوات يحيط به إفريز مكتوب به ما نصه:

أمر بإنشاء هذا المكان المبارك من فضل الله تعالى
المقر العالي المولوي الأميري الأجلي الكبيري
المحترمي المخدومي النصيري الغوثي الغياثي الهمامي
القوامي المجاهدي المرابطي عمدة الملوك والسلاطين
الأمير سيف الدين طشتمر الدوادار الملكي الأشرفي
عز نصره

ونجتاز من هذا الدهليز إلى مدخل الباب العمومي، ويلفت النظر فيه سقفه المقوم بسماوات مزخرفة يحيط بها إفريز مزخرف بكتابة يكتنفه حلقتان للملك المؤيد أحمد بن إينال، وفي جوار الباب العمومي إلى جهة الشمال مئذنة المسجد، وهي مئذنة حجرية ترتكز على قاعدة تعلو عن سطح الأرض مباشرة وتكثر بها الزخارف إلى حد يلفت إليها النظر، وفي الجانب القبلي من الباب بقايا من الدار المذكورة، وقد أصلحت القاعة المذكورة وجددت أخشابها، وقويت المئذنة في أوقات مختلفة آخرها سنة (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م).

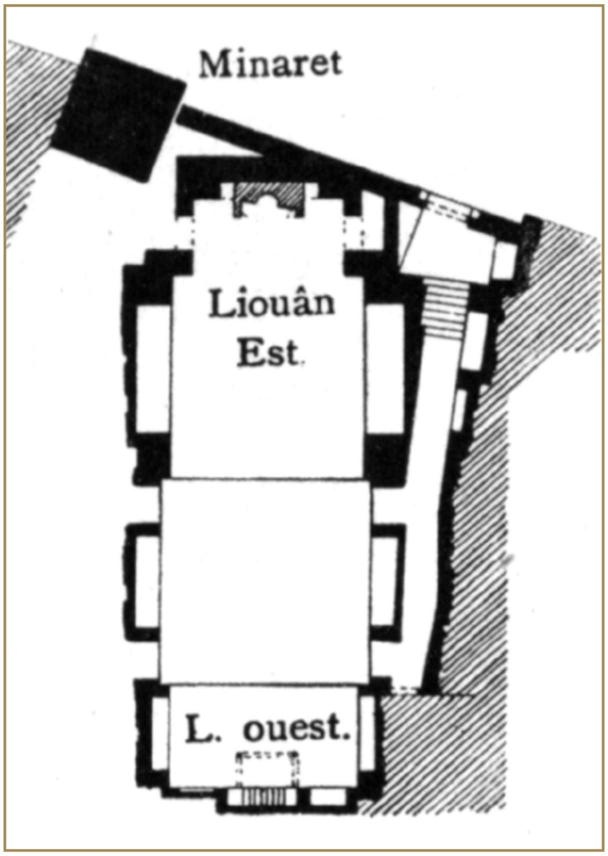


مئذنة جامع خشقدم الأحمدي «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

المنشئ

منشــئ هذا الأثر هــو الأمير خشــقدم الظاهري الأحمدي كان في بادئ أمره مربيًا «لالا» لابن الملك الظاهر جقمــق، وتعين ســاقيًا في عهد الملــك الأشرف قايتباي، وتقلبت بــه الوظائف حتى عين وزيــرًا وناظرًا للدولة إلى أن اســتقر خازندارًا في ســنة (٨٨٦هـ/ ١٤٨١م)، ثم غضب عليه الملك فنفاه إلى ســواكن فكانت منيته بها في شوال ســنة (٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م)، ترجمه السخاوي في الضوء اللامع، وأشــار إلى صلاحه بقوله: «إنه كان يتلو القرآن ويصلي في الليل ويســتعمل بعض الأوراد»، وذكر من مآثره أنه: «جدد زاوية أقطاي تحت القلعة، وبنى بها بيوتًا وحفر بئرًا»[١].

والزاوية التي يشــير إليها رغم أنها درست فقد بقيت منها بقية [انظر تربة أقطاي بشارع بوابة الجبل].



مسقط أفقي لجامع خشقدم الأحمدي «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

قصروه الأشرفي

ويؤكد ابن إياس في تاريخه أن الأمير قصروه الأشرفي أتابك «رئيس» العســاكر في الديار المصرية، ونائب حلب ومدير المملكة في عهد الملك العــادل طومان باي الأول، مات قتيلاً في مســتهل رجب سنة (٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م) ودفن في هذا المسجد، وقد بنيت عليه قبة حديثة[٢].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) ذكر ابن إياس أن قصروه دفن في تربة الصاحب خشقدم الزمام بالقرب من حوش العرب (المراجع)، انظر: ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٤٦٧.

جامع قايتباي

أثر رقم ٢٢٣ (سنة ٨٧٩-٨٨٠هـ/ ١٤٧٤-١٤٧٥م)

هذا الجامع بشارع الرحبة من قلعة الكبش جنوبي القاهرة؛ أمر بإنشائه السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي المحمودي ملك مصر[1]؛ في سنة (٨٧٩-٨٨٠هـ/ ١٤٧٤-١٤٧٥م) ليجعل منه مدرسة جامعة، وأنشأ إلى جانبه سبيلاً وحوضًا للسقيا، وعهد بمباشرة عمارته والوقوف عليها إلى دواداره الأمير تغري بردي القادري المتوفى سنة (٩١١هـ/ ١٥٠٥م).

وقد وضع المهندس بدر الدين محمد بن الطولوني تصميمه على مثال الجوامع السلطانية المطبوعة بطابع هذا الملك، إلا أنه تفنن في هذا الجامع حتى كاد أن يقارب به جامع الملك الكبير بالقرافة، فبناه على مساحة تقدر بثمانمائة متر تقريبًا، وجعله خاليًا من جميع جهاته، وجعل في الواجهة البحرية القائمة بأول درب النبقة تجاه منزل رقم ١ باب يعلو عن منسوب الأرض بسبع درجات، ونظيره باب آخر في الواجهة القبلية، وميز البابين بالإكثار من الزخارف والنقوش والمربعات والطرز الكتابية على الأساكف والأجناب، وجعل لكل مدخل من البابين ممرًّا يعلوه سقف مقوم بسماوات، وأقام أواوينه الأربعة في وضع متناسب، ورفع سقوفها وقومها بسماوات يحيط بها إفريز مزخرف ومنمق بالتذهيب بآيات قرآنية كريمة، وجعل من محرابه البحري شكلاً يلفت النظر بطراز أسكفته، وأحاط بكل باب من أبوابه حلقتين ملأهما بالدعاء للملك بالعز والنصر، وعهد إلى المعلم أحمد الدمياطي بصناعة أخشابه ومنبره، فأبدع هذا بدوره حتى أظهر منبره في شكل يتناسب مع مقام هذا الملك وبذخه وترفه، وأودع لهذه العمارة الباهرة الفاخرة أكثر من نص تاريخي في عدة مواضع مختلفة، وأهمها النص الوارد بطراز في أعلى جوانب الصحن في عبارة هذا نصها:

البسملة أوائل سورة الفتح. أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة سيدنا ومولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي أعز الله أنصاره وختم بالصالحات أعماله وكان الفراغ من ذلك في مستهل شهر شعبان المبارك سنة ثمانين وثمان مائة من الهجرة النبوية

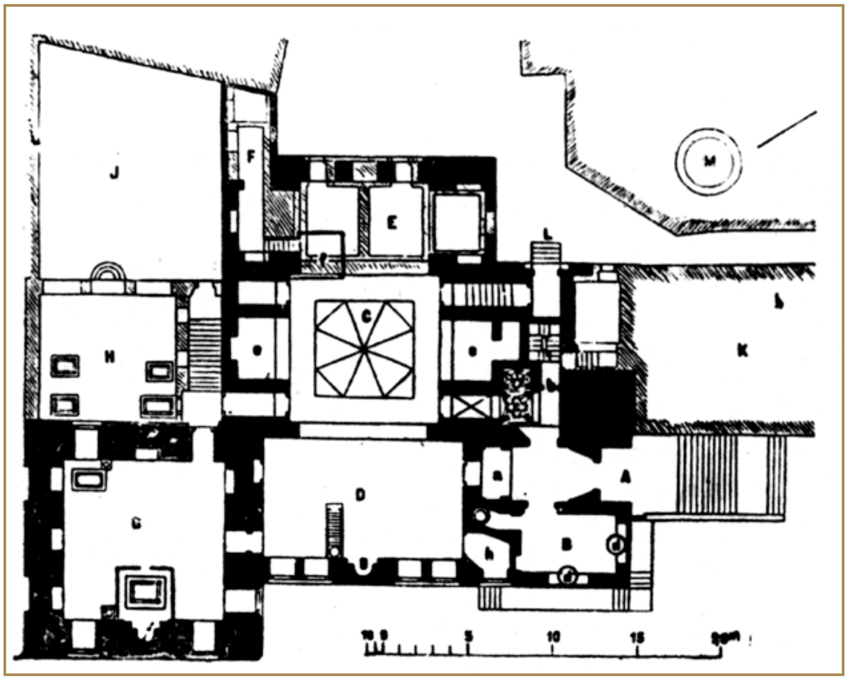
كما أودع بجانبي الباب البحري ما نصه:

أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة سيدنا ومولانا المقام الشريف السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي {أعز الله أنصاره بمحمد وآله}

(١) لمنشئ هذا الأثر بقلم الحفظ بشرعية مصر ثلاث حجج إيقاف محفوظة بالأرقام ١٨٧، ١٩٧، ٢٠٩، أولها محررة بسنة (٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م)، والأخيرة بسنة (٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م). (المؤلف)



منظر عام لجامع قايتباي «عن مساجد مصر»



مسقط أفقي لجامع
قايتباي «عن فييت»

وأنشـــأ في زاوية الواجهة الشرقية إلى جهة الشمال في جانب الباب البحري مئذنة رشيقة ميزها بزخارف ونقوش هندســـية أكســـبتها بهاء ورواء، وهكذا ظهر هذا المسجد بالمظهـــر الذي رغب فيه الســـلطان الملـــك الأشرف لكل منشـــآته، والجامع بالوصف الذي ذكرنا لا يزال مطبوعًا به حتى هذا التاريخ، بيد أن أخشابه تآكلت وضاعت حشوات قليلـــة من المنبر، وتلفت قاعدته مـــن التأثيرات الأرضية، فأعيد إصلاحها مع ما رمم من جدرانه وأبوابه ومئذنته في أوائل هذا القرن.

وفي جـــوار الجامع من الناحية القبليـــة لجهة الغرب حوض أمر بإنشائه هذا الملك بعد إنشاء هذا الجامع مباشرة وباشر عمارته الأمـــير المذكور وقد تخرب هذا الحوض منذ ثلاثـــين عامًا، وبقيت منه إلى الآن واجهـــة غربية يمر بها طراز يقرأ فيه هذه العبارة:

الســـلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي ســـلطان الإســـلام والمســـلمين قامـــع الكفـــرة والمتمردين كهف الفقراء والمحتاجين ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين اللَّهُمَّ انصره

الملك قايتباي

الملك الأشرف أبو النصر قايتباي منشـــئ هذا الأثر هو أحـــد مفاخر ملوك مصر في العصـــور الزاهية، بل من خيرة ملوك الإسلام قاطبة؛ لم تنجب مصر فيما مضى ملكًا مثله بعد الملك الناصر محمـــد بن قلاوون، بل قد كان هو أعلى منزلة وأرفع قدرًا وأكثر صلاحًا وأعف نفسًـــا وأنزه ضمـــيرًا من الملك الناصر محمد ومن خلفه من ملوك مصر الذيـــن تقدموه، ولو لـــم يذكر في مناقبـــه إلا قول معاصره السخاوي: «وبالجملة فلم يجتمع لملك ممن أدركنا ما اجتمع له ولا حوى من الحذق والذكاء مجمل ما اشـــتمل عليه ولا مفصله، وربما مدحه الشعراء فلا يلتفت لذلك، ويقول لو

اشتغلوا بالمديح النبوي كان أعظم من هذه المسالك؛ لو لم يكن له إلا هذه المنقبة لكفاه بها فخرًا ومزية، هذا فضلاً عما له من المحاسن الأخرى»[1]، وقد أحاط السخاوي بترجمته وفصل الكلام فيها تفصيلاً.

ومن مجموع هذه الترجمة تلمح من خلالها ديمقراطية هذا الملك العظيم فترى أنه ما وصل إلى الملك إلا عن جدارة واستحقاق وحب الشعب وميله إليه لعدله وسهره على مصالح الرعية.

مولده

ولد سنة (٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م) تقريبًا، وقدم به محمود بن رستم أحد تجار مكة في سنة (٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م)[2]، وكان قايتباي في ملكه فاشتراه ملك مصر الأشرف برسباي[3]، فخدم عنده ثم آل بطريق الشراء الشرعي إلى الظاهر جقمق ملك مصر أيضًا فأعتقه وعينه خاصكيًّا «أي من عساكر الحراسة الخاصة بالملك»، والكاف والياء في آخرها للنسبة، ثم صار يتنقل من وظيفة إلى أن ترقى حتى تعين أستادارًا، فظل كذلك إلى أن آل ملك مصر إلى الملك الأشرف إينال، ففي أول عهده أفل نجم قايتباي ثم اختفى نهائيًّا، بيد أنه لم يلبث حتى عاد إلى الظهور ثانية، فأنعم عليه هذا الملك نفسه برتبة أمير عشرة، وفي أول سلطنة الملك الظاهر خشقدم أنعم عليه برتبة أمير طبلخانه، وتعين شادًا للشرابخانه، وتعين في أيام الملك الظاهر بلباي رأس نوبة النوب (أي حاكمًا عامًّا على المماليك السلطانية)، فلما خلع الملك الظاهر تمربغا في أواسط سنة (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م) اختاره الشعب لأن يكون ملكًا عليه فارتقى عرش ملك مصر في رجب سنة (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م)، فسار فيه بهمة ونشاط وأمانة ونزاهة، وفي عهده نالت مصر حظًّا كبيرًا من الرفاهية والرفه والنعيم.

وفي عصر هذا الملك، منيت مصر بحرب شعواء دامت خمس سنوات من سنة (٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م) حتى سنة (٨٩٥هـ/ ١٤٩٠م)، وسببها أن السلطان محمد خان الثاني سلطان تركيا كان قد اعتدى على ممتلكات دولة السلطان حسن سلطان العراق، وامتد اعتداؤه إلى مملكة خراسان، وقد تمكنت الجيوش العثمانية من قهر السلطان حسن وإخضاعه وأفضت المعركة باعتقاله وأخذه أسيرًا، فلما وصل نبأ ذلك إلى المملكة المصرية ثار الشعب المصري وأبدى سخطه على ملك تركيا لتغلبه على حليف المملكة، بيد أن الملك الأشرف قايتباي استطاع أن يخمد نار الثورة ويهدئ أعصاب الثائرين، فعمد إلى تعزيز حامية الشام، وأمر بالنفير العام في مصر استعدادًا للطوارئ، وفي أثناء ذلك مات السلطان محمد وخلفه السلطان بايزيد الثاني؛ وقامت بينه وبين أخيه السلطان جم منازعات وحروب انتهت بانهزام جم؛ ففر إلى مصر ملتجئًا إلى الملك الأشرف قايتباي، فأحسن نزله وأكرم وفادته فنفس منه السلطان بايزيد وكان يؤمل العكس، فلم يسعه إلا أن جرد عليه حملة قوية في سنة (٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م) مزودة بالعتاد والذخائر بقيادة الأمير قراكوز باشا القرماني، فاضطر قايتباي لأن يقابل المثل بالمثل، فجند الجنود وجهز القوات ونظم الصفوف؛ وعهد بالقيادة إلى الأمير أوزبك الأشرفي وأعلنت الحرب بينهما؛ واستمرت سجالاً طوال هذه المدة، وأخيرًا انتهت بالنصر لمصر وأسر عدد كبير من الجيوش المغيرة ثم بعقد

(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ٢١٠-٢١١.
(٢) المرجع السابق، مج. ١٠: ١٣٦.
(٣) ينظر معنى البيع والشراء في كتابي «علاقة سلاطين مصر الجراكسة بالأمة الحيثية» المقدم للنشر. (المؤلف)

الصلح بينهمـــا، وقد ابتهج المصريون لهذا النصر الحاســـم ابتهاجًا ظهر أثره مكتوبًا بالذهب في واجهات مبانيهم [انظر قبة يعقوب شاه المهمندار] في آثار القرافة الجنوبية.

ويصف المؤرخون الســـلطان قايتباي بأنه كان كثير الهبـــات والصلات، كريمًا جوادًا يحب العلماء ويجالســـهم ويخلـــع عليهم ويجيزهم ويقبل مناصحتهم، ومهد في عصره طريق المواصلات بين المملكة المصرية والممالك المجاورة لها والنائية عنها، فكانت البواخر والســـفن تمخر عباب البحر الأبيض المتوسط تحمل خير مصر وبرها مما زاد عن حاجتها للأقطار الأخرى، وانتظمت التجارة بين مصر و الهند بشكل يدعو إلى الارتياح، وعني قايتباي بتحصين مصر وتحويلها إلى قاعدة عسكرية ومدينة حربية عناية بالغة.

فحصن ثغورها وأنشأ القلاع الحصينة والمعاقل بكل من الإســـكندرية ودمياط ورشيد، ومهد الصحراء الشرقية وعبد طرقها ونظمها وجعل منهـــا طريقًا مفتوحًا بين مصر والشام، توفرت فيه كل وسائل الراحة والأمن، وأقام الجسور وطهر الترع وحفر الخلجان ونظم الري حتى لهجت الألسنة بالحمد والثناء عليه.

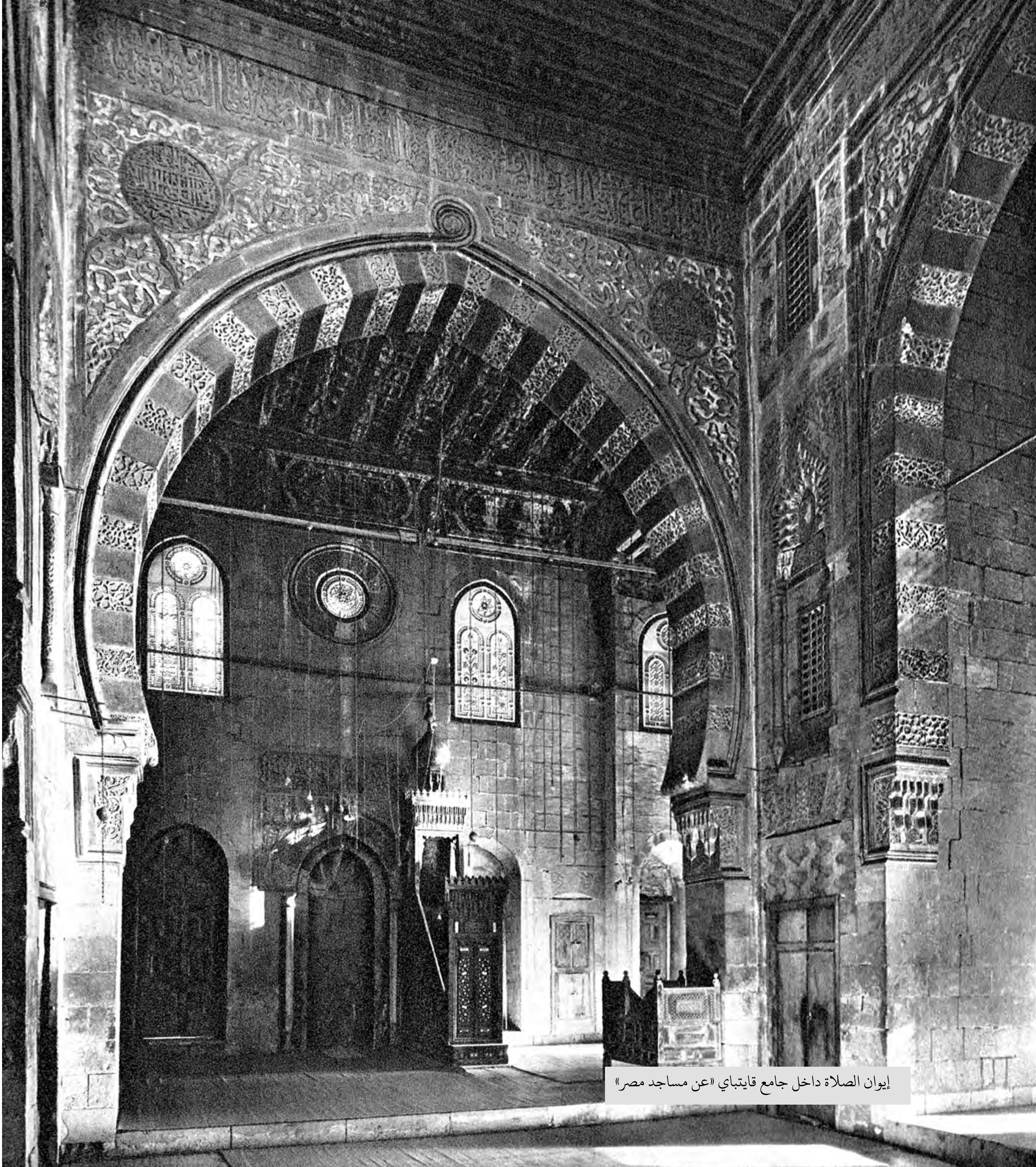
وكان فوق ذلك ســـديد الرأي حاكمًا حازمًا له مواقف محمودة مع الدول الغربيـــة وكان موضع احترامهم وفي عهد هذا الملك ألغيت الامتيازات الأجنبية التي كانت قد منيت بها مصر من قبـــل، وعقدت أول معاهـــدة تجارية بالطرق الدبلوماسية بين هذا الملك ورئيس جمهورية فلورنسا في ١٧ من جمادى الآخرة ســـنة (٩٠١هـ/ ١٤٩٦م)، بشأن تأمين طرق التجارة بين المملكتين والتصريـــح لرعايا فلوران بالتجارة في ثغر الإســـكندرية وتعيين قنصل لهم يتحاكمون إليه في خصوماتهم [انظر كتابنـــا نظام الحكومة النبوية] وقد ظل متمتعًا بملك مصر وظل الشعب المصري متمتعًا به إلى سنة (٩٠١هـ/ ١٤٩٦م)، وفيهـــا كانت منيته فمات مأســـوفًا عليه ودفن بتربته الفخمة، وتولى بعـــده ابنه الملك الناصر محمد المولود ســـنة (٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م) من أم ولد، فلم يحسن إدارة المملكة لضعف إرادته وانصرافه إلى الترف واللهو والمجون، فما أسرع أن انقضى ملكه بعد ثلاث سنوات تقريبًا[١].

السلطان قايتباي (المساجد)

واســـتطاع الملك قايتباي، أن يخلد اسمه ويبقي ذكراه بطريقـــة عملية فأكثر من المنشـــآت العامة حتى تقدم على سلفه من ملوك مصر الســـابقين، وقد شاء الله سبحانه- أن تبقى غالب هذه المنشـــآت ماثلة حتى اليوم، فجدد وأنشـــأ مجموعة من المساجد منها: مسجد بالعباسية شرقية، ومسجد بدمياط، ومسجد للشيخ إبراهيم المتبولي، ومسجد بالزاوية الحمراء، ومسجد بالقرافة الناصرية، ومسجد بالقرين شرقية للشيخ قاسم وأخيه مساور، ومسجد بعطفة البيارة من شارع السيدة عائشة، ومسجد بطنبدا بالوجه القبلي للشيخ حسن السقا، ومسجد بالدقي للتكروري، ومسجد بالخطارة شرقية، ومسجد بسلمون غربية، ومسجد بالمرج للشيخ قلج الرومي العلائي، ومسجد بالصحراء للشيخ الجبرتي، ومسجد بالمرج أيضًا للشيخ محمود العجمي.

وجدد لعبد اللطيف الطواشي جامع الفتح بشارع تحت الربع، وجدد جوامع الســـيدة نفيسة، الإمام الشافعي، الإمام الليث، المدرســـة الصلاحية؛ الخانقاه السعيدية، وجدد جامع سلطان شاه، الظافر، الصالح طلائع، الأشرف برسباي، المؤيد

(١) عن سيرة الملك الأشرف قايتباي، انظر: المرجع السابق، مج. ٦: ٢٠١-٢١١؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٣-٣٢٤-٣٣٢.



إيوان الصلاة داخل جامع قايتباي «عن مساجد مصر»

شيخ، الرحمة بشارع حوض اللبن، الجامع الناصري بشارع دار النحاس، شـاكر البنا بشارع الشيخ حمزة، ابن عرام بالخليج المرخم، عماد الدين بشـارع عماد الدين، عمرو بالفسطاط، الناصر بالقلعة، وجدد المشـهد المسـتنصري بسفح المقطم بجبانة ابن الفـارض وهو المعروف بأخوة يوسـف أو زاوية اليسع، الدسوقي، البدوي، وجدد جامع زياد بن المغيرة العتكي المتوفى في المحرم سنة (١٩١هـ/ ٨٠٧م)[١]، وهو الجامع القائم في الجنوب الشرقي لطنبدا التابعة لمديرية المنيا، وهو من الجوامع الإسلامية القديمة أنشئ في آخر القرن الثاني الهجري، ودفن به زياد المذكور وأخوه إبراهيم بن زياد في سنة (١٩٧هـ/ ٨١٢م)؛ ثم أخوه الآخر أحمد بن زياد في سنة (٢٣٦هـ/ ٨٥٠م)، وكان قد تخرب فجدده هذا الملك[٢].

وجدد جامع خشـقدم الخازندار بشـارع الحمزاوي الصغير، وجدد مسـجد الخشـابين بشـارع باب البحر، والمدرسة السيوفية للشـيخ عثمان الحطاب بشارع بيبرس الحمزاوي، وجامع الفخر بالروضة[٣]، والمدرسـة الجيعانية بسوق العصر ببولاق، وأنزل بها الشيخ محمد بن قلج الرومي الأناضولي العلائي المنسـوب للعلايا، وجدد لجامع الأزهر مئذنة وأصلح دار وضوئه والكثير من مفرداته في مدة آخرها سـنة (٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)، وجدد قاعة الخطابة بجامع الحاكم، وجدد المدرسة الناصرية.

السبل والأحواض والوكائل

وأنشـأ مجموعة من السـقايات منها سبيل ومكتب بشـارع الحبالة بالصليبة (٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م)، سبيل بالدرب الأحمـر بالقرافـة (٨٨٦هـ/ ١٤٨١م)، سـبيل بزيادة جامع ابن طولون بشـارع الزيادة، وعـين له ريحان الحلبي خادمًا وساقيًا؛ وآخر أسفل بيت ابن النقاش، سبيل الظاهر بيبرس بشارع تحت الربع، سبيل ومكتب وقاعة وربع يشتمل على ٣٧ مسكنًا و١٤ حانوتًا ووكالة فيها ٢٨ مخزنًا وحوضًا بشارع الأزهر «الشـيخ محمد عبده» (٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م)، وكالة بباب النصر (٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م)، وأخرى بالسروجية.

وابتنى بشـارع الحمزاوي الصغير ربعـين متقابلين أحدهما للأمير يونس النوروزي، ولا يزال أحدهما معروفًا باسـمه حتى اليوم، وقد جدده حسـين بك يكن في سنة (١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م) كمـا وجد مكتوبًا بـه، وله بالصحراء خارج باب البرقية عمارة هائلة فخمة تتألف من مدرسـة ومسجد جامع وتربة وخانقاه للصوفية بمعداتها من خلاوي ومساكن وبوابة ومقعد وحوض [انظر هذه الآثار].

القصور

وكان له من القصور الخاصة قصر بالتبانة، وآخر بدرب الأنسية، وببركة الفيل برسـم ولده وكان بشارع نور الظلام بجوار المدرسـة البشـيرية، وفيه نزل السلطان سليم حينما دخل مصر في سـنة (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)، وبنى دارًا أخرى بحارة الديلـم، وبالباطلية إلى دور أخرى هـذه أهمها، وقد دثرت

(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ٢٠٩.

(٢) الشيخ زياد: من القرى القديمة، اسمها الأصلي دروط بلهاسة، وردت في قوانين ابن مماتي، وفي المشترك لياقوت بكورة البهنسي، وفي التحفة من أعمال البهنساوية، قال: وهي رزقة ضريح الشيخ زياد ابن المغيرة، وفي الخطط المقريزية دروط بلهاسة من ناحية البهنسا بالصعيد، وبها جامع أنشأه زياد بن المغيرة بن زياد بن عمرو العتكي، ومات في المحرم سنة ١٩١هـ/ ٨٠٦م) ودفن به، ووردت في دفاتر الروزنامة القديمة باسم حماية وقف الشيخ زياد، وفي تاريخ سنة ١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م) اختصر الاسم المذكور باسمها الحالي، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ١: ٥٥٧؛ رمزي، **القاموس الجغرافي**، القسم ٢، ج. ٣: ٢٤٥.

(٣) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ١٨٢.

جميعها خلا الأولى والثانية فمنها بقية إلى اليوم، وأنشأ بلصق الباب الشرقي لجامع ابن طولون دارًا برسم المدرسة الجاولية.

آثاره بالحجاز والشام

أما آثاره بالحجاز والشـام فكثيرة جدًّا، أهمها تجديده المسـجد النبوي على مشرفه أفضل الصلاة والسـلام وبناء مئذنته وقبته في سـنة (٨٨٦هـ/ ١٤٨١م) إلى سـنة (٨٩٨هـ/ ١٤٩٣م)، ولا يزال مطبوعًا بطابع السلطان قايتباي حتى اليوم، وله بمكة آثار ظاهرة منها مدرسة في مكان رباط السدرة أمر بإنشائها في سنة (٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م)، وهي السنة التي حج فيها، وله بالفرس مدرسة ومسجد وسبيل (٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م)، وبنى بغزة مدرسته في سنة (٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م)، وعهد بإنشائها إلى ناظر الجيش عبد الرحمن بن عبـد الوهاب الغزي فمات ولم تتم؛ فأتمها ولده إبراهيم في سـنة (٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م)، وجدد مئذنة للجامع الأموي بدمشـق انتهت عمارتها في سـنة (٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م) بمباشرة المعلم سـلوان بن علي، وجدد قناطر الجيزة، وقناطر أبي المنجا، وحصن رشيد، وجسر دمياط وقلعتها، إلى غير ذلك من آثاره الكثيرة التي لا يزال الكثير منها باقيًا أثره حتى اليوم، وقد ذكرنا في كتابنا هذا ما تيسر لنا ذكره منها.

زوجات الملك قايتباي

وتـزوج الملـك الأشرف قايتباي في سـنة (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م) بالخوند «الأميرة» فاطمة بنت العلائي علي بن خليل بن محمـد التركي المعروف بخاص بـك[١]، تزوجها بكرًا في حياة أبيها وأسـكنها بداره بسوق الغنم «حارة زرع النوى؛ الحرمين سـابقًا» سـكة النبوية، ثم نقلها إلى قصر القلعة، وحجت بمفردها في سـنة (٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م)، واستمرت معه حتى مات في سنة (٩٠١هـ/ ١٤٩٥م)، فتأيمت حينًا، ثم تزوجها الملك العـادل طومان باي الأول، وفارقها بالموت في سـنة (٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م)، وماتت في ذي الحجة سنة (٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م)، ولم يتزوج غيرها[٢].

بيـد أنه تسرى بجملة سرايا منهـن خوند أصل باي، أخت الملك الظاهر أبو سعيد قانصوه، كانت من مشترواته فأعتقها وتـزوج بها، وهي أم ولده الملك الناصر محمد الذي تولى الملك بعـده، ولها أثر بالفيوم أنشـأته في حياة زوجها باسـم ولدها الملك الناصر محمد في ذي القعدة سنة (٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م)، وتـم في سـنة (٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م) ويعـرف بجامع قايتباي[٣]؛ وهذا المسـجد رغم أنه تقـادم فقد بقيت منه مذكرة على جانبي بابه يقرأ فيها ما نصه:

البسملة. إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر. أنشأ هذا الجامع والقناطر خوند والدة الملك الناصر أبو السعادات محمد بن الملك قايتباي بإشارة الشيخ عبد القادر الدشطوتي نفعنا الله به وببركاته

---

(١) علي بن خليل بن الحسن بن خاص بك: العلاي بن خاص بك صهر السلطان قايتباي، تركي الأصل، كان رئيسًا حشمًا دينًا خيرًا، من أعيان أولاد الناس، توفي في شهر رمضان من سنة (٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م)، كانت جنازته حافلة، وصلى عليه السلطان=

=بمصلى المؤمني، ولد قبل سنة (٨٣٠هـ/ ١٤٦٢م)، انظر: المرجع السابق: ٣٠٢.

(٢) المرجع السابق، مج. ٤: ٦٤-٦٥.

(٣) يذكر ابن إياس أنه في وضع أساسه في شهر شوال، انظر: المرجع السابق، مج. ٣: ٣٩٢.

القبة اليشبكية

أثر رقم ٤ (سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م)

هذه القبة بكوبري القبة «المطرية أو منية مطر»[(١)]، وهي أول منشآت الأمير يشبك «ياش بك» من مهدي الدوادار الظاهري ثم الأشرفي أنشأها في سنة (٨٨١هـ/ ١٤٧٦م)، وكملت في سنة (٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م)، برسم مسجد جامع عين لإمامته وخطابته الشيخ محمد بن دمرداش الفخري الحنفي المتوفى سنة (٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م)، وأنشأ إلى جانبه مدرسة وملحقات أخرى دثرت جميعها وبقيت منها هذه القبة، وهي قبة فاخرة تتحلى بمجموعة حافلة من الزخارف والرخام الملون والزجاج الفني والنوافذ الشمسية الجصية الجميلة، وقد اتخذ الملك الأشرف قايتباي هذه القبة بعد وفاة منشئها متنزهًا له يستريح به ويرتادها حتى آخر أيام حياته، واقتفى أثره الملك الأشرف قانصوه الغوري[(٢)].

تطور التجديد على هذه القبة

أول تجديد يطرأ على هذه القبة هو ما أمر به السلطان الأشرف قانصوه الغوري المذكور في سنة (٩١٨هـ/ ١٥١٢م)، وفي سنة (٩٢٠هـ/ ١٥١٤م) من إصلاحات ومنشآت حول هذه القبة، وقد أشار ابن إياس لهذه العمارة بقوله: «في ذي القعدة سنة (٩١٨هـ/ ١٥١٢م) جدد السلطان الغوري القبة وعمل بها مساطب ومتنزهًا وملقة (ترعة ماء) وأوقف عليها أوقافًا، وكان المباشر لذلك تاني بك أمير أخور»، وانتهى العمل منها في جمادى الأولى سنة (٩٢٠هـ/ ١٥١٤م)[(٣)].

وفي سنة (١١٧٢هـ/ ١٧٥٨م) جدد الأمير عثمان كتخدا القازدوغلي جوانب هذه القبة، وأعاد غرس البستان وجدد أوقافها ومساطبها.

(١) المطرية: من القرى القديمة وردت في نزهة المشتاق ووردت في معجم البلدان المطرية من قرى مصر، عندها الموضع الذي به شجر البلسان الذي يستخرج منه نوع من الدهن، ووردت في قوانين الدواوين لابن مماتي وفي تحفة الإرشاد من أعمال الشرقية، وفي التحفة من ضواحي القاهرة، ووردت في الخطط المقريزية منية مطر ويقال لها المطرية، انظر:المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٦٧؛ السخاوي، **تحفة الأحباب**: ١١؛ رمزي، **القاموس الجغرافي**، القسم ٢، ج. ١: ١١.

(٢) القبة: أنشأ الأمير يشبك من مهدي الدوادار سنة (٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م)، بأرض ناحية المطرية قبة فخمة عالية كان ينزل فيها السلطان قايتباي عندما يقصد التنزه خارج القاهرة، ولما= تولى الغوري حكم مصر سنة (٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م)، اتخذها مقعدًا ينزل فيه كلما أراد التنزه والرياضة، وأنشأ جوارها فساقي وبئرًا للمسافرين، فعرفت من هذا الوقت بقبة الغوري، وفي أوائل القرن الحادي عشر تكونت قرية جديدة عرفت باسم القبة، وأصبحت من توابع ناحية المطرية، ويقال لها قبة الغوري أو قبة العزب؛ لأنه كان يسكنها بعض عساكر طائفة عزبان متولين حماية القلاع، فصلت عن ناحية المطرية في سنة (١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م)، انظر: ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ١٣٤، ١٦٠؛ رمزي، **القاموس الجغرافي**، القسم. ٢، ج. ١: ١٥.

(٣) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ٢٨٨-٢٨٩، ٣٨١.

وفي سنة (١٢٦٧هـ/ ١٨٥١م) أمر الخديو عباس حلمي الأول بأن يبني إلى جانبها جامعًا في محل المدرسة المندثرة، فبنى على النمط العثماني كما يبدو من مئذنته الرفيعة الممشوقة، ثم جدد الضريح المدفون به الشيخ عرفات الأنصاري، والشيخ بدر الدين محمد بن جمعة الفيومي المتوفى سنة (٩١٤هـ/ ١٥٠٨م).

وفي فبراير سنة (١٩٦٧م) أشهرت وزارة الأوقاف هدم مسجد يشبك بكوبري القبة عدا المنارة والدورة ومبنى القبة الملاحقة للمسجد، وحددت لذلك (١٢/ ٣ / ١٩٦٧م)، ثم أعيد بناء المسجد، وبنيت القبة من ظاهرها وأضيف إلى المسجد دورة مياه حديثة.

المذكرات التاريخية

أولى المذكرات التاريخية الموجودة بهذه القبة، هي المذكرة الكوفية المكتوبة بطراز يحيط بآخر كسوة القبة الرخامية ونصها:

البسملة. قل هو الله أحد إلى آخرها، إن الله وملائكته يصلون إلخ- قل اللَّهُمَّ مالك الملك إلى- بغير حساب صدق الله العظيم وكان الفراغ من ذلك في شهر ربيع الأول سنة اثنين وثمانين وثمانمائة

المذكرة الثانية: تحيط بالقبة من أعلاها تحت الشبابيك الجصية ونصها:

البسملة. هل أتى على الإنسان حين من الدهر إلى حريرا وذلك في شهر ذي القعدة سنة إحدى وثمانين وثمانمائة هجرية

منشئ هذا الأثر

والذي أنشأ هذا الأثر هو الأمير يشبك الدوادار، كان في بادئ أمره مملوكًا لشخص يقال له مهدي، ثم آل بطريق الشراء إلى الملك الظاهر جقمق، ثم خدم في حكومة الملك الأشرف قايتباي، وما برح في خدمته حتى حظي بمنصب كبير فتعين دوادارًا كبيرًا.

ويصفه المؤرخون بأنه كان مصلحًا كبيرًا وكان خيرًا وفيه بر كثير، وقد أفادنا السخاوي أنه لما تعين نائبًا للوجه القبلي أبطل كثيرًا من المنكرات في مدن الصعيد وحرم الغناء المبتذل؛ وعمد وهو في القاهرة إلى تنظيم شوارعها وتوسيعها وتعبيدها، وأصلح كثيرًا من بيوتها القديمة، وقد استطاع أن يحافظ على آثار القاهرة الإسلامية بطريقة عملية؛ فأصلح الكثير منها وجدد المتخرب وهدم مجموعة من الرباع المتخربة من بينها ثلاثة لخوند شقرا بنت الملك الناصر فرج وقف جامع الصالح إلى غير ذلك.

ثم عمد بالتالي إلى إحداث بعض المنشآت الخاصة والعامة، وكان مما جدد جامع طلائع، وجامع الظافر، وجامع الليث، وجدد واجهة جامع المؤيد، والمدرسة الأشرفية بالقاهرة، وجدد بيت ألماس الحاجب تجاه جامعه وسكن فيه، ثم انتقل منه إلى بيت منجك بأول سويقة العزي «سوق السلاح»، فجدده وزاده وسكن فيه، كما سكن في بيت قوصون بشارع مناخ الوقف، وجدد بابه الكبير وأصلح قاعاته، وسكن به حتى مات، وبني وكالة وسبيلاً ومدرسة بخان الخليلي.

وأنشأ مغسلاً في سنة (٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م) للأموات بشارع السيدة عائشة وحوضًا للبهائم، وقد بقي المغسل إلى

منذ ثلاثين عامًا رغم تطوره، وجدد مسجد المؤمني المجاور له، وأنشـأ في سنة (٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م) تربة بالصحراء تجاه قبة النصر بينها وبين تربة يونـس الدوادار وقد دثرت الآن[١]، وجدد خانقاه سعيد السعداء والخانقاه البيبرسية، وأنشأ هذه القبة وقبة أخرى بالعباسية، وفي جوارها مدرسة.

ووقف في سـنة (٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م) على السادة الرفاعية بالقاهرة والمنوفية وقفه المشهور بوقف يشبك وبنى للشيخ عز الدين الرفاعي زاوية ومقامًا، وملك قطعة أرض كبيرة من أرض بستان الخشاب «القسم الغربي منه» حيث حي المنيرة، وما إليه وأحدث بها منشآت، وقد عرف بأرض يشبك، وهي جميع القطعة المملوكة إلى السـت فائقة هانم متبناة الأميرة أوت شنجي هانم زوجة الخديو إسماعيل [انظر كتاب وقف يشبك من مهدي بأرض الخشاب]، ويقوم على هذه الأرض مقر وزارة التربية والتعليم، ومبنى قصر الأميرة المذكورة[٢].

وكان متزوجًـا بالخاتـون فاطمة بنت الملـك المؤيد أحمد بن إينال، وماتت في سـنة (٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م)، وهي أم ولده المنصور، وتزوج أخرى وخلف منها ولده الناصر.

وما برح حتى مات في رمضان سـنة (٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م) قتيلاً بالمدينة الرومانية المعروفـة بمدينة الرها من أعمال حلب، حينما كان يطارد سيف بن نعير الغادي رئيس قبيلة بني فضل الذي كان قد خرج على السلطان وثار عليه وقتل نائب حماة أزدمر من أزبك، ويقول السخاوي: «أنه كان أميرًا جليلًا معظمًا في سعة من المال، له صدقات منتشرة وصلات غزيرة ورغبة في الفضائل، وجيئ بجثته من الرها إلى القاهرة في ذي القعدة، فدفن بتربته بعد الاحتفال به»[٣].

(١) يسود الرأي عند بعض المشتغلين بدراسة هذه الآثار أنها قبة الرفاعي استنتاجًا من الشبه بينها وبين قبابه، وهو استنتاج لم تؤيده وثائق يشبك الوقفية. (المؤلف)

(٢) آل هذا القصر أخيرًا إلى المرحومة جميلة فاضل بنت الخديو إسماعيل [انظر مسجد جميلة فاضل وسراي يشبك]. (المؤلف)

(٣) عن سيرة الأمير يشبك من مهدي الظاهري جقمق الصغير، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ٢٧٢-٢٧٤؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ١٦٥-١٦٦؛ ١٧٠-١٧٥.

جامع جانم البهلوان

أثر رقم ١٢٩ (سنة ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م)

هذا الجامع بشارع السروجية «بالشارع الأعظم خط جامع قوصون»، أنشأه في محل المصلى القديم الأمير قاني باي المدعــو جانم البهلوان الأشرفي في ســنة (٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م) برسم مدرسة للحنفية والقراءات.

وهو جامع ظريــف واجهته مبنيــة بالحجر، يعلوها طــراز مزخرف بآية مــن كتاب الله تعــالى تنتهي بمذكرة تاريخية، يجاورها من اليمين باب المسجد العمومي، وهو باب جميل مزخرف بزخــارف نباتية ومقرنصات، ومركب عليه مصراعين من نحاس مكفت قــوام زخرفته نقوش كتابية، وعلى يســار الواجهة قبة أنشــئت بعد تاريخ إنشاء المسجد بحوالي ٣٣ سنة.

وداخل المسجد يشتمل على بلاطين متقابلين؛ الشرقي وفيه المنبر يجــاوره محراب من الحجر، والغربي وفيه ســدة ومصــلى، وبينهما مجاز يدور حول ســقفه مذكرة تاريخية؛ وفي الجانب البحــري من البلاط الغربي باب ينتهي إلى قبة المنشئ؛ وهي قبة حجرية محلاة من الظاهر بزخارف نباتية كالقباب التي تعاصرها ويحيط بها من الداخل آيات قرآنية تنتهي بمذكرة تاريخية، ويتوســط القبة صندوق من خشب مغطى بســتر تحته قبر المنشــئ؛ وهو معروف عند العامة بسيدي غانم، ويحتفلون بذكراه في شعبان من كل سنة.

وهذا الجامع لم يذكره المقريزي لأنه لم يدركه؛ وذكره الســخاوي في الضوء اللامع، وابن إياس في ترجمة منشئه، وأفرده بالترجمة مكس هرتس بك في رسالة مستقلة طبعت باللغة الفرنسية.

تجديد المسجد

وقد كان هذا الجامع قبل إصلاحه الأخير منذ خمسين عامًا متهدمًا تهدمًا فاحشًــا، وقد تخربت مئذنته الجميلة، وذهب جزؤها العلوي وأحيــط بالطابق الأول منها كانات من الخشب بدل كاناتها الأصلية فلما قامت نظارة الأوقاف في ســنة (١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م) بتجديد هذا المســجد، عاد إلى شــبه حالته الأولى وأهم ما تناوله الإصلاح في هذا المسجد هو مئذنته وواجهتــه العمومية، فقد أعيــد الجزء المفقود من المئذنة كأصله، وأصلحت الواجهة بســد الشــبابيك التي كانت تشــغلها، وأخليت منهــا الدكاكين الخمس التي كانت تحجبها، ورمم المنبر وتجــددت القبة وأصلح كرسي المصحف، وأحدثت بالجهة القبلية دورة مياه حديثة.

والجامع بشــكله الحــالي حافظ لأوضاعــه، ويمتاز بزخارفه الحجرية ونقوشــه، وبتصحيحه ووضعه على نظام ليس لدينا مثله إلا في بضعة مســاجد من هذا العصر، كما

يتفرد بأنــه الجامع الوحيد الذي تأخر بنــاء قبته عن بنائه بنحو ٣٣ سنة.

ترجمة المنشئ

ويلوح أن الأســتاذ هرتس بك قد وفق في وضع ترجمة هذا المســجد وضعًا صحيحًا، بيد أنه لم يوفق توفيقًا مثله في ترجمة المنشــئ والاهتــداء إلى شــخصيته الصحيحة، فقــد ذكر أنه إما أن يكون جانــم البهلوان الأشرفي أحد الأمراء العشروات المتوفى في ربيع الأول من ســنة (٨٦٢هـ/ ١٤٥٧م)[١]، أو جانــم البهلوان الظاهــري المصارع المتوفى بحلب في ســنة (٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م)[٢]، وكلاهما ليس بمنشئ هذا المســجد إذ أنه على الصحيح الأمير قاني بك المعروف بجانم البهلوان اليشــبكي، دوادار ابن خالته الأمير يشبك من مهدي الدوادار رئيس الحكومة المصرية في عهد الملك الأشرف قايتباي، وإلى هذا يشــير السخاوي في ترجمته من الضوء اللامع، وقد ترجمه وهو لا يزال على قيد الحياة[٣].

وأرخ ابن إياس في الجزء الخامــس من تاريخه وفاته بما نصه: «وفي يــوم الثلاثاء ١٣ ذو القعدة ســنة (٩١٩هـ/ ١٥١٣م) توفي الأمير جانم الســيفي قاني باي البهلوان، الذي كان دوادار الأمير يشبك من مهدي الدوادار، وجانم هذا هو الذي أنشأ المدرسة اللطيفة التي تجاه جامع قوصون وكان دينًا خيرًا لا بأس به وكان قد كبر وطعن في السن»[٤].

ويظهر من هذه الترجمة أن المنشــئ لم يرغب في بادئ الأمر أن يبني له مدفنًا بالمســجد كالمألوف، لكنه رغب في ذلك قبل وفاته بأربع ســنوات، فبنى قبة فاخرة واســتغرق بناؤهــا من رمضان ســنة (٩١٥هـ/ ١٥٠٩م) إلى صفر ســنة (٩١٦هـ/ ١٥١٠م)، ولما مات دفن فيها.

المذكرات التاريخية

البسملة. إن في خلق السموات والأرض- إلى- فقنا عذاب النار أنشــأ هذه المدرسة المعمورة بذكر الله تعــالى من فضل الله تعالى الجنــاب الكريم العالي الأمــيري الكبيري الضــدي الذخــري المنصوري المخدومي الســيفي جانم السيفي قاني باب البهلوان أحد العــشروات ودوادارا المقــر الأشرف الكريم العالي المولوي الأميري الكبيري الســيدي السيفي يشبك دوادار كبير واستدار العالية الملكي الأشرفي أبو النصر قايتبــاي أعز الله أنصــاره وكان الفراغ في شــهر رمضان المعظم قدره ســنة ثلاث وثمانين وثمانمائة

الكرسي

أنشــأ هذا الكرسي المبــارك من فضــل الله تعالى الجناب العالي السيفي جانم ... الملكي الأشرفي.

القبة

أنشــأ هذه القبــة المباركة الجنــاب الكريم العالي السيفي جانم السيفي قاني باي البهلوان أحد الأمراء العشروات الملكي الأشرفي أعــز الله أنصاره بتاريخ شــهر صفر الخير سنة ســتة عشر وتسعمائة من الهجرة

(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٦١.
(٢) المرجع السابق: ٦٥.
(٣) المرجع السابق: ٦٥.
(٤) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ٣٥٣.


مئذنة جامع جانم البهلوان «عن كريسويل»

الواجهة

البسملة. الآيات المتقدمة بتاريخ عام ثلاث وثمانين من الهجرة

الباب

أمر بإنشـــاء هذا الباب المبارك المقر العالي المولوي. (الأميري المخـــدومي جانم البهلـــوان الأشرفي عز نصره)

مذكرات لجنة حفظ الآثار العربية

المنبر

جددت هذا المنبر المبارك لجنة حفظ الآثار العربية في عصر خديـــو مصر عباس حلمي الثاني وذلك في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة

باب المسجد من الداخل

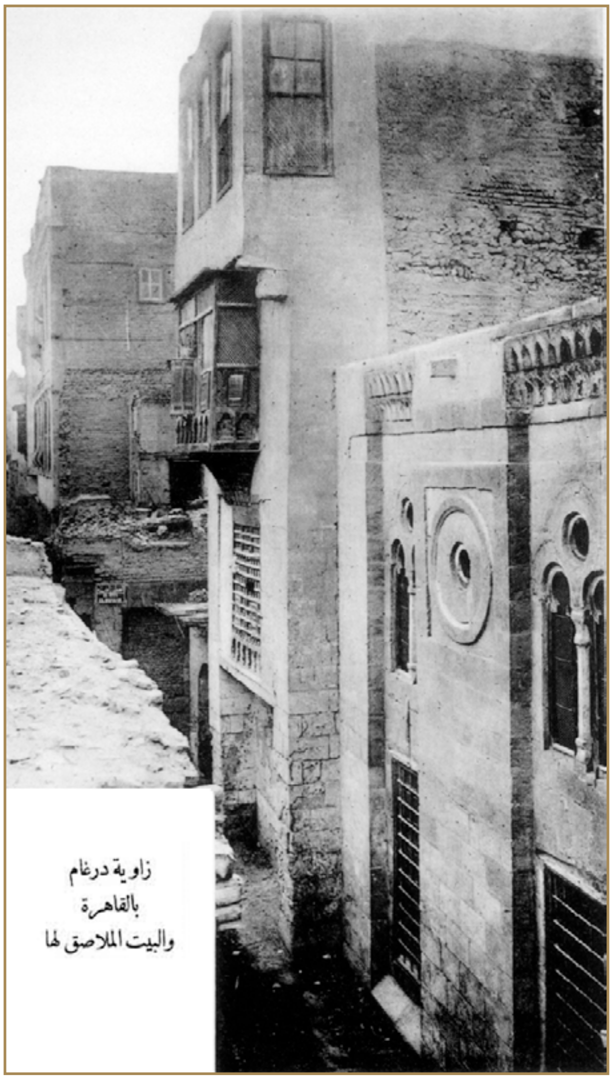
هذه المدرســـة المباركة وهي من إنشاء السيفي جانم البهلوان في سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة شرعت لجنة حفظ الآثار العربية في رمها سنة تسع عشرة وثلاثمائـــة وانتهـــت مـــن العمل فيها ســـنة ثلاث وعشريـــن وثلاثمائة وألف وذلـــك في عصر خديو مصر عباس حلمي الثاني أطال الله أيامه

مسجد قانبك (ضرغام)

أثر رقم ٢٤١ (سنة ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م)

هذا المسجد بدرب القزازين المتفرع شرقًا من شارع باب الوزير، وغربًا من شارع سوق السلاح أو سويقة العزي سابقًا[1]، وهو نفس الدرب الذي سماه المقريزي والسخاوي بدرب الخدام، ووضعاه بالقرب من سويقة الغزي، ثم عرف منذ نهاية القرن العاشر؛ بضلع السمكة وأخيرًا بدرب القزازين.

وهو مسجد قديم الوضع، وجد بهذه المنطقة منذ أواخر القرن السابع الهجري، والمفهوم أن منشئه هو الأمير سيف الدين بلباي الفاخري المنصوري نقيب الجيش في


زاوية درغام بالقاهرة والبيت الملاصق لها

«عن لجنة حفظ الآثار العربية»

(١) سويقة العزي: خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل، وهي منسوبة للأمير عز الدين أيبك العزي نقيب الجيوش، الذي استشهد عند عكا عندما فتحها الأشرف خليل بن قلاوون في سنة (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م)، وهي تشغل قديمًا الجزء الجنوبي من شارع سوق السلاح في المسافة الواقعة بين شارع الغندور وشارع محمد علي، وفي العصر العثماني قسم شارع سوق السلاح إلى قسمين: الشمالي، وهو المسافة ما بين التبانة عند زاوية عارف باشا إلى حارة الحلوات، والذي عرف بشارع سويقة العزي، أي في جهة غير التي كان بها المكان الأصلي لهذه السويقة، والثاني، وهو الجنوبي الذي كانت فيه السويقة المذكورة في المسافة بين حارة حلوات وشارع محمد علي عرف بشارع سوق السلاح، وفي الوقت الحالي أصبحت الطريق كلها فيما بين شارع محمد علي وشارع التبانة تسمى سوق السلاح، وبذلك اختفى اسم سويقة العزي من جداول أسماء الطرق بالقاهرة، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٨: ٢٠٤، هامش ٣. المقريزي، **الخطط المقريزية**، عند محمد بك رمزي، مج. ٣: ٣٥٣؛

عهد الملك الأشرف خليل من الملك المنصور قلاوون المتوفى سنة (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م)، أنشأه برسم مدرسة للحنفية، وبني في جواره سقاية ماء، وبقي حتى تخرب ودرس.

فجدده ثم أنشأه نشأة أخرى الأمير قانبك العلائي الظاهري رأس نوبة ثاني «الحاكم على المماليك السلطانية» في سنة (٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م)، وفي هذا الصدد يقول السخاوي في ترجمته: «أنشأ بيتًا هائلاً بدرب الخدام بالقرب من سويقة العزي، وبجانب البوابة الكبرى «يريد مدخل درب الخدام الشرقي» مسجد عتيق فجدده، وأخذ منه جانبًا فيها ووقف عليه ربعًا مقابله، ومات قانبك المذكور في صفر سنة (٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م) بعيدًا عن القاهرة»[1].

وقد عرف هذا المسجد بالشيخ محمد ضرغام أحد مدرسيه الأحناف؛ ويوجد في جوار هذا المسجد جنوبًا بيت أثري؛ في ملك الشيخ محمد الخلال وأخواته الآن، ويلفت النظر فيه واجهته العمومية لشرفاتها الجميلة، وهو من الدور التي أوشكت أن تدرس من مدينة القاهرة الأثرية نهائيًا لحلول نظام الأبنية الحديثة محل هذا النظام الشرقي الجميل، وأهم ما يلفت النظر في المسجد واجهته وبابه المقرنص، وداخله ضريح يعرف بالشيخ محمد ضرغام الآنف الذكر.

(١) التبس الأمر مع المؤلف حيث إن درب الخدام في جهة أخرى تجاه جامع ألجاي اليوسفي بشارع سوق السلاح أما درب القزازين فهو بجوار شارع باب الوزير، وبداخله زاوية محمد ضرغام وهو أثر مختلف عن الأثر الذي كان عند درب الخدام، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ١٩٧-١٩٨.

جامع أبو بكر مزهر

أثر رقم ٤٩ (سنة ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م)

هذا الجامع بحارة الوزير الفاطمي «برجوان»، المتفرعة من شارع المعز لدين الله «النحاسين سابقًا»، أنشأه القاضي أبو بكر بن محمد الأنصاري المعروف بابن مزهر الدمشقي؛ كاتب السر بالديار المصرية وناظر ديوان الإنشاء في عهد الملك الأشرف قايتباي، بدأ بإنشائه في سنة (٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م)، وكمل في سنة (٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م)، وجعله برسم مدرسة للشافعية، وعين لمشيختها الشيخ محمد بن دمرداش الفخري أحد علماء القاهرة المتوفى سنة (٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م)، ودفن بالسعيدية «خانقاه سعيد السعداء» ظاهر باب النصر.

وهذا الجامع رغم أن واجهتيه الشرقية والقبلية تبدو فيهما البساطة فإن داخله حافل بمجموعة من الزخارف والنقوش يتجلى فيها جمال الفن الإسلامي بشكل يدعو إلى التأمل والعجب، والمدخل إليه من باب عمومي في الواجهة الشرقية، وهو باب شاهق مزخرف بقطع الرخام الملون ويغلق بمصراعين من النحاس المكفت، تبدو في صناعته الدقة والتنسيق، ويعلو واجهة الباب مئذنة رشيقة من نوع المآذن الرفيعة التي ظهرت في القرن التاسع، وتتألف من ثلاث طبقات تحيط بكل طبقة منها كانة من الحجر وتقوم على قاعدة شبابيك ذات مشربيات «رواشن»، ومقرنصاتها منظمة تنظيمًا دقيقًا، والطبقة الثانية منها مرفوعة على



مئذنة جامع أبو بكر مزهر «عن فييت»

ثمانية أسطوانات ممشوقة من الرخام المسنون، ونصل من الباب العمومي إلى دركة بصدرها مصطبة تكسو جدرانها طبقة من الرخام الملون[1].

ثم نجتاز ممرًّا صغيرًا نصل منه إلى داخل المسجد، وهو يتألف من أربعة أواوين بينهما صحن مغطى، ويلفت النظر في داخل هذا المسجد تصميمه على غير المألوف بيد أنه يظهر طبيعيًّا، ويكسو حوائط الإيوان الشرقي طبقة من الرخام الملون ترتفع عن أرضيته بمقدار أربعة أمتار يتخللها أحزمة من الرخام المفرغ، وفي صدره محراب مبالغ في زخارفه إلى حد يفوق الوصف؛ وقد استخدم فيه المنشئ المعلم عبد القادر النقاش أحد المبرزين في صناعة النقش والزخرفة، ونرى اسمه منقوشًا على الشباك الشرقي البحري المحاذي للمنبر يسارًا، ويجاوره منبر من الخشب المنجور؛ وهو منبر فاخر تتجلى فيه جمال الصناعة بشكل فائق جدًّا، ولا شك أن مثل هذا المنبر البديع لما يجعل النفس تتوق إلى صانعه، ومن حسن الحظ أن السخاوي قد دلنا على صانع هذا المنبر في عبارة صريحة، فيقول في الضوء اللامع: «أحمد بن عيسى بن أحمد الدمياطي ثم القاهري النجار، والد الأمين محمد، من تميز جدًّا في صناعته وأتى أشغالاً ثقالاً، ورأى حظًّا في أيام الجمالي ناظر الخاص، وهو الذي عمل المنبر المكي، ثم منبر المزهرية، وجامع الغمري»، هذا المنبر لا يزال باقيًا حتى اليوم، وقد نقل من جامع الغمري لتخربه إلى تربة الأشرف برسباي بالصحراء [انظر هذه التربة].

(١) عن مجموعة أبو بكر بن مزهر، انظر: عاصم محمد رزق، **دراسات في العمارة الإسلامية: مجموعة ابن مزهر المعمارية بالقاهرة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م: دراسة أثرية معمارية** (القاهرة: وزارة الثقافة. المجلس الأعلى للآثار، ١٩٩٥): ٤٨-٦٦.

ثم قال السخاوي: «مات في ذي القعدة سنة (٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م) بالمنزلة»[2]، وليس من شك أن إعجاب السخاوي به في عباراته التي يرددها في هذه الترجمة تدل على نبوغ هذا النجار الفني نبوغًا لم يضارعه في زمنه، ونظير هذا المنبر كرسي المصحف الموضوع بالإيوان الغربي.

وسقف المسجد جميعه كله سماوات تتدلى من أركانها موشحات، ويقوم كل من الإيوانين الشرقي والغربي على أسطوانتين يتألف منهما ثلاثة عقود، ويخالفهما في هذا النظام الإيوانان القبلي والبحري، وتنتهي الواجهة القبلية بسبيل، وجملة القول أن هذا الجامع ليس له نظير في مساجد أخرى من مساجد هذا العصر إلا قليلاً.

المذكرات التاريخية

وليس به من المذكرات التاريخية غير نص تاريخي بإفريز سقف السبيل يقرأ فيه هذه العبارة:

أمر بإنشاء هذا السبيل المبارك العبد الفقير
المقر الأشرف العالي القاضوي الأجلي العريفي
الفاضلي العالمي المخدومي الكبيري أبو بكر مزهر
الأنصاري الشافعي ناظر ديوان الإنشاء الشريف
الملكي الأشرفي غفر الله له بتاريخ شهر جمادى
الأولى عام أربع وثمانين وثمان مائة

أعمال التجديد في هذا المسجد

مضى على هذا المسجد وقت لم يلق فيه من العناية حقها فتخرب جانب منه، وأضرت التأثيرات الجوية بأعالي المئذنة ضررًا بليغًا، فقام فاعل خير في سنة (١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م)

(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٢: ٥٩.

بإصلاح ما يمكن إصلاحه في الجامع؛ بيد أنه حينما أراد أن يجدد ما تلف من أعالي المئذنة لم يصلحها إصلاحًا فنيًّا فتشوهت، وفي سنة (١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م) جدد السيد حسين القصبي الناظر على هذا المسجد ميضأته.

ثم أعقبت هذه العمارة عمارة أخرى بدأت في سنة (١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م) في عهد الخديو محمد توفيق باشا، وكملت في سنة (١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م) في عهد الخديو عباس حلمي الثاني، وقد تناولت هذه العمارة تجديد هذا الأثر تجديدًا فنيًّا بمباشرة لجنة حفظ الآثار العربية.

فرممت المنارة وردت إلى أصلها، وجددت جميع أرضية المسجد، وأعيد بلاطه الرخامي، وأصلحت سماوات السقف ورمم سقف الإيوان الشرقي وجددت أخشاب المسجد جميعه من المنبر إلى الكرسي إلى الأبواب إلى الدواليب وأحدث له باب جديد من الخشب المنجور في الناحية القبلية الغربية؛ وجددت السقيفة الواقية للصحن تجديدًا ملائمًا، وجدد الباب النحاسي الجميل الذي يغلق على الباب العمومي للمسجد؛ وأعيدت نقوش المسجد جميعها الجصية وغيرها، وبهذه العملية التي أجريت في هذه العمارة عاد إلى المسجد شكله الطبيعي، وقد وضعت لتاريخ هذه العمارة مذكرة تقرأ في أسفل الباب النحاسي[١].

المنشئ

ومنشئ هذا الأثر هو أبرز أفراد أسرة بني مزهر إحدى الأسر الشامية التي قطنت القاهرة في أوائل القرن التاسع، وقد نالت حظوة كبيرة وشهرة واسعة كأسرة بني فضل الله وبني الجيعان.

والده

فأبوه هو بدر الدين محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الخالق بن عثمان بن مزهر؛ ولد بدمشق في سنة (٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م)، ونشأ بها وتولى كتابة السر بها بعد وفاة أبيه مباشرة، وكان إذ ذاك صغيرًا فباشرها حينًا من الزمن، ثم قدم القاهرة في سنة (٨١٣هـ/ ١٤١٠م) صحبة النائب شيخ المحمودي، وما برح مقيمًا بها حتى آل ملك مصر إلى النائب المذكور، فعينه في شوال سنة (٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م) ناظرًا للإصطبل السلطاني، ثم ولاه نيابة السر، ثم كاتبًا للسر استقلالاً بعد وفاة ابن البارزي مباشرة، وناب في نظر الجيش عن القاضي عبد الباسط، وما برح قائمًا بأعباء وظيفته حتى مات في جمادى الأولى سنة (٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م)؛ ودفن بتربته بالصحراء[٢].

تربة ابن مزهر

وهي التربة المعلقة التي يسميها السخاوي بتربة ابن مزهر، ولا تزال هذه التربة قائمة بموضعها من القرافة حتى اليوم [انظر هذه التربة في الجزء الخاص بآثار ومزارات القرافة الشرقية]. ومات المترجم عن أولاده الثلاثة، جلال الدين محمد المولود سنة (٨١٤هـ/ ١٤١١م) بالقاهرة، تولى كتابة السر بعد وفاة أبيه مباشرة، فلم يلبث أن مات في رجب سنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)[٣]، وأحمد الملقب

(١) عن تفاصيل أعمال لجنة حفظ الآثار، انظر: رزق، **دراسات في العمارة الإسلامية**: ٤٨-٦٦.

(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٩: ٣٩-٤٠.

(٣) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ٤٥٠- ٤٥١؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٩: ١٩٧.

شـــهاب الدين[١]، وأبو بكر الملقب زيـــن الدين المعروف بالزيني بن مزهر، وهو منشئ هذا الأثر.

وأمـــه خديجة بنت أمير حاج البيـــسري، تزوجها ثيبًا فولدت منه المذكور ثم طلقت منه وتزوجت بآخر وماتت في رمضان سنة (٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م)، ودفنت بالتربة المشار إليها[٢].

وولد أبـــو بكر في رجـــب ســـنة (٨٣١هـ/ ١٤٢٨م)، وبالرغم من أن أباه مات وهو صغير- فقد نشـــأ وتربى تربية علمية- بحيث جمع بين الإمارة والعلم كأبيه وجده، فتسمع على شـــيوخ عصره فنونًا من العلم وصحب الشـــيخ مدين الأشـــموني المتوفى ســـنة (٨٦٤هـ/ ١٤٦٠م)، وتقلب في عدة وظائف كوكالة بيت المال ثم نظر الجيش وأخيرًا كتابة السر والنظر على ديوان الإنشـــاء كأبيه في سنة (٨٦٦هـ/ ١٤٦١م)، وعينه الملك الظاهر خشـــقدم خطيبًا لمدرسته بالصحراء، ونـــاب في الحكم عن القاضي الحنفي، وما برح مشـــتغلاً بالعلـــم قائمًا بأعبـــاء وظائفه حتى مات في رمضان ســـنة (٨٩٣هـ/ ١٤٨٨م)، ترجمه السخاوي في الضوء اللامع وأفاض في ترجمتـــه ووصفه بالعلم والصلاح والاســـتقامة، وذكر له فضائل جمة ودفن بالتربة المذكورة[٣].

آثاره

وقد ذكر له السخاوي من الآثار، مدرسة بالقدس[٤]، وأخرى بالمدينة وسبيلاً ورباطًا بها، وجدد تربة أبيه وأنشأها إنشاء آخر [انظر التربة المزهرية].

(١) المرجع السابق، مج. ٢: ١٧١.

(٢) المرجع السابق، مج. ١٢: ٢٥- ٢٦.

(٣) المرجع السابق، مج. ١١: ٨٨- ٨٩.

(٤) مجير الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العمري المقدسي الحنبلي العليمي، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، =

أولاده

وخلـــف من الأولاد ســـتة- عبد الله مـــات صغيرًا، وكمال الدين تولى كتابة السر في عصر الملك قانصوه الغوري ومات في شـــعبان ســـنة (٩١٠هـ/ ١٥٠٤م)[٥]، ومحمدًا، ويحيى، وإبراهيـــم مات في رمضان ســـنة (٨٩٥هـ/ ١٤٩٠م)، ومحمدًا ثانيًا؛ والأخير أمه رومية اسمها سكزباي ولد سنة (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)، وتوفي سنة (٩١٠هـ/ ١٥٠٤م) قبيل أخويه كمال الدين ويوسف ببضعة أشـــهر، وتولى نظر الخاص والحسبة وكتابة السر في عصر الســـلطان الغوري، وهو صاحب المدرســـة المزهرية بالكداشـــين خارج باب الفتوح [انظر جامع ابن مزهر بشارع البغالة][٦].

وقد نســـب إلى هذه الأسرة جلال الدين يوســـف بن مزهر الذي كان له شـــأن كبير وموقعة عظمى مع السلطان الغوري ومات من أجلها منتحرًا في ســـنة (٩١٠هـ/ ١٥٠٤م)، وهـــو الذي يضيفه ابن إيـــاس إلى أولاد أبي بكر بن مزهر زاعمًا أنه منهم؛ والذي يؤخذ من كلام السخاوي في الضوء أنه يهودي الأصل واستخدمه الزيني بن مزهر، فلبث معتنقًا دينه حقبة ثم أسلم[٧].

= مج. ٢ (عمان: مكتبة دنديس، ١٩٩٩): ٣٨٩؛ عبد الجليل حسن عبد المهدي، **المدارس في بيت المقدس: الجزء الثاني، في العصرين الأيوبي والمملوكي: دورها في الحركة الفكرية** (الأردن: مكتبة الأقصى، ١٩٨١): ١٥٠-١٥٢.

(٥) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ٦٧، ٧٠-٧١، ٧٥.

(٦) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٧: ١٩٧-١٩٨.

(٧) المرجع السابق، مج. ١٠: ٣٤٠؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ٧٦.

جامع قجماس الظاهري

أثر رقم ١١٤ (سنة ٨٨٥ - ٨٨٦هـ/ ١٤٨٠-١٤٨١م)

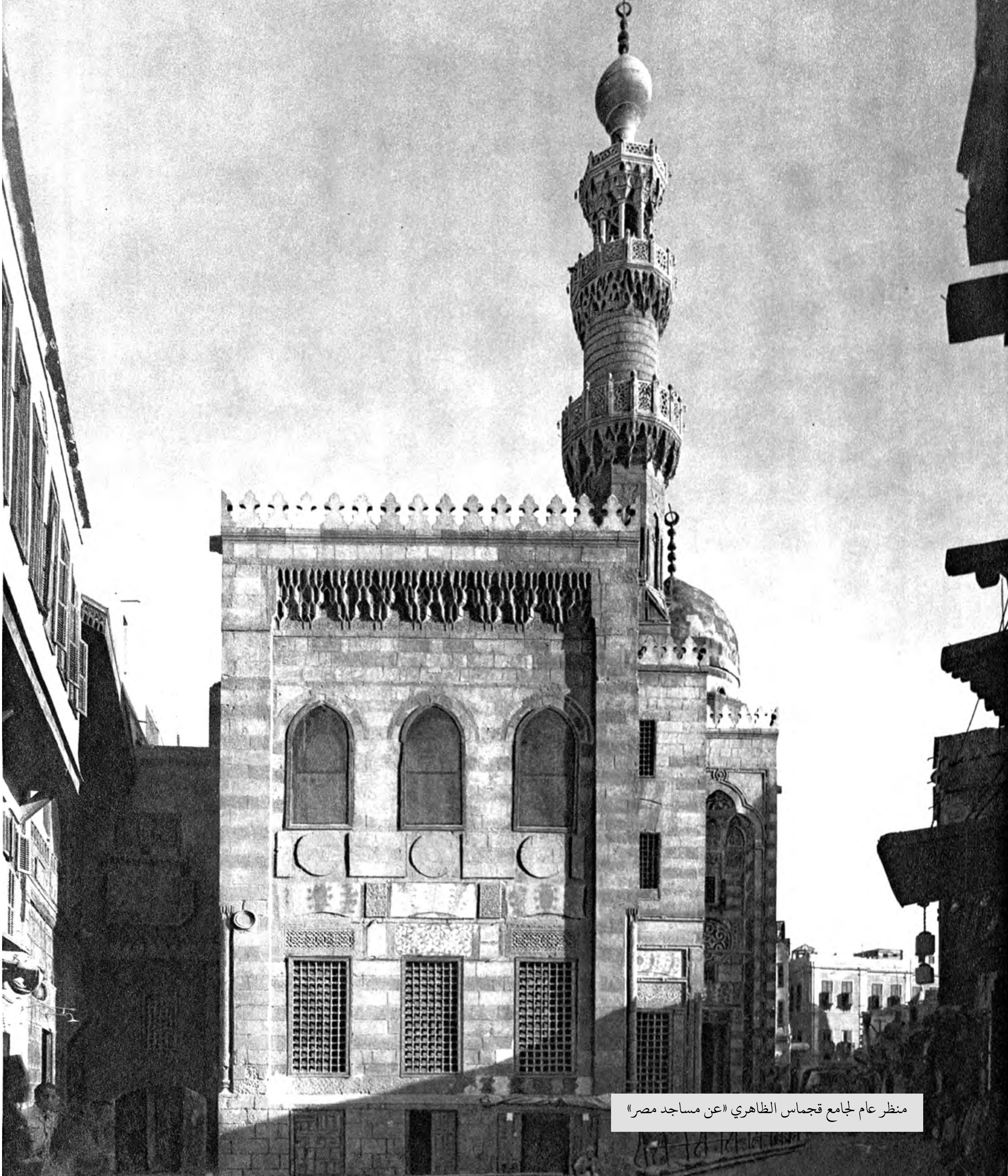
هذا الجامع بشارع الدرب الأحمر ظاهر خوخة أيدغمش، أنشأه الأمير قجماس الظاهري نائب الشام في سنة (٨٨٥ - ٨٨٦هـ/ ١٤٨٠-١٤٨١م)، وهو من أبهج جوامع القاهرة، وأغلى وأثمن تحفة أثرية إسلامية بقيت من هذا العصر، وفيه مجموعة مفردات نادرة المثال، فالداخل إليه من بابه العمومي يجد بابًا آخر يصل منه إلى القبة مكتوب عليه: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾ [الإسراء/ ٨٠].

ومنه إلى باب آخر نصل منه إلى صحن مغطى بسقيفة ذات سماوات ومنافذ، ويكتنف الصحن أربعة إيوانات؛ اثنان صغيران جدًّا، وهما: البحري والقبلي، واثنان كبيران، وهما: الشرقي والغربي، وفي الشرقي المحراب النادر المثال، وهو من المحاريب التي لا توجد إلا في عدد قليل جدًّا من المساجد الإسلامية في القاهرة، يجاور المحراب منبر قل أن يوجد له نظير في المنابر الأخرى، لا في مادته الخشبية ولا في شغله المنظم تنظيمًا بلغ الغاية القصوى في الإتقان، ويكاد لا يوجد لصدفه نظير إلا في النادر، ويدل بالنظر إليه على مهارة صانعه وأناته وصبره، ولا غرو فهو المعلم أحمد الدمياطي الذي نال شهرة عظيمة في هذا الفن، حتى حمل ذلك السخاوي في «الضوء اللامع» على أن يشيد بذكره ويضعه في كتابه بين العلماء والأدباء وبين الملوك والأمراء. [انظر ملخص هذه الترجمة فيما كتبناه عن مدرسة أبي بكر مزهر بهذا الكتاب].

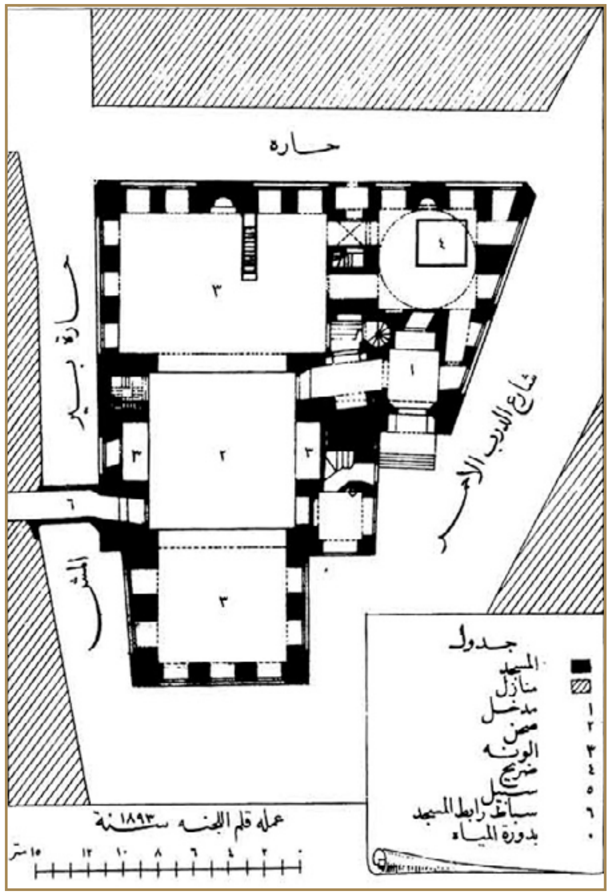
وتتحلى واجهة هذا المحراب بمجموعة فائقة آية في الفن، وقوام زخرفته الكتابية آية القبلة بالخط الكوفي المزهر، وسقف الجامع كله مشغول بسماوات كثر فيها التذهيب وزهي زهوًا عجيبًا حتى أنه ليخيل لك أنها من عمل الأمس القريب، ويحيط بالمسجد جميعه وزرة من الرخام بولغ في علوها لدرجة سدت معها فراغًا كبيرًا من جدران المسجد، وتنتهي هذه الوزرة بإطار هندسي جميل مخرم تخريمًا بديعًا.

ويعلو الإيوان الشرقي طرازان؛ أحدهما إزار دائر بالسقف قوام زخرفته الكتابية آية الكرسي مبتدأة بالبسملة ثم بمذكرة تاريخية، والثاني يبتدأ بالبسملة ثم بقوله تعالى:﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة/١٨]، وينتهي بنص تاريخي، ثم بالصلاة على حضرة النبي ﷺ، والدعاء للمنشئ بالعز والنصر.

ويحدق بالصحن من جهتيه القبلية والبحرية أربعة أبواب، على كل منها اسم المنشئ وألقابه، وكل باب منها يقابل الآخر، وأحدهما يؤدي إلى السبيل الفاخر الذي يمتاز



منظر عام لجامع قجماس الظاهري «عن مساجد مصر»



مسقط أفقي لجامع قجماس الظاهري «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

سقفه بكثرة سماواته الذهبية ومشبكاته الحديدية، ويقابله باب آخر يؤدي إلى دورة المياه بعد اجتياز ساباط يهبط منه إلى الميضأة بعشر درجات، وفي جوار باب الميضأة حوض بصدره طراز فيه اسم المنشئ وألقابه يعلوه كتاب، وبأعلى هذا الساباط روزنة جميلة، بإضافتها إلى هذه المجموعة تكسب هذه الناحية منظرًا خلابًا يسترعي الانتباه.

أما واجهة المسجد من الخارج ووضعها على هذا النظام المعجب المطرب، وزخارف الصحن المحيطة به التي تمثل أشكال المحاريب ذات المراوح، ومجموع منظر الجامع من كل جهاته ونواحيه- كل ذلك يكون لنا أثرًا من أعظم الآثار التي يتجلى فيها الفن الإسلامي ويظهر واضحًا، يشهد بتقدم الفن الإسلامي في تلك العصور تقدمًا كبيرًا، أما قبته الحجرية الشاهقة فهي كالعروس تشرف محلقة في الفضاء على هذه المنطقة فتكسبها جمالاً وروعة.

وهذا الجامع لم يذكره المقريزي لأنه حدث بعده، وذكره السخاوي في الضوء اللامع في ترجمة منشئه، ويؤخذ مما ذكره أنه أنشأه برسم مدرسة للحنفية قرر في مشيختها الشيخ محمد الحنفي المعروف بالقاضي أبي الجود الغزي[1].

وقد عرف هذا المسجد بالشيخ أبي حريبة وهو الشيخ أحمد بن عبد الله القنائي الشنتناوي أحد مشايخ الصوفية المذكرين؛ يوصف بالصلاح والعلم، وله مؤلفات ذكرها علي مبارك باشا في الخطط، توفي في ربيع الأول سنة (١٢٦٨هـ/ ١٨٥٢م)، ودفن بقبة قجماس.

المذكرات التاريخية

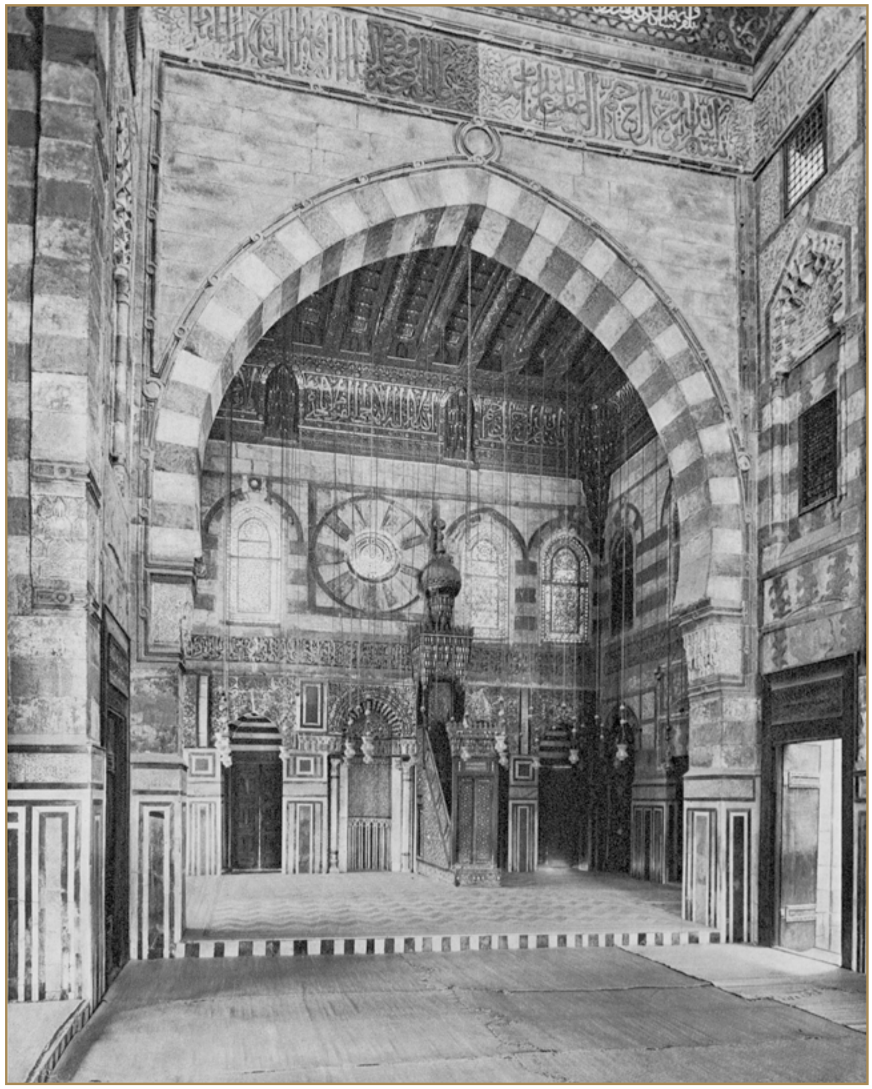
المذكرة الأولى: على بابه يقرأ فيها ما نصه:

البسملة. إن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدًا صدق الله العظيم كان الفراغ من هذا الجامع في شهر الله المحرم سنة ست وثمانين وثمانمائة

وعلى المنبر

أمر بإنشاء هذا المنبر المبارك المقر الأشرف الكريم السيفي قجماس أمير أخور كبير الملكي الأشرفي عز نصره جدد هذا المنبر المبارك في عصر خديو مصر المعظم عباس حلمي الثاني أدام الله أيامه في سنة اثني عشر وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النبوية

(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ٢١٣-٢١٤.



إيوان الصلاة بجامع قجماس الظاهري
«عن مساجد مصر»

وبدائر الصحن

البسملة. اللَّهُمَّ صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك السعيد من فضل الله تعالى وجزيل عطائه العميم على الأنام المقر الأشرف الكريم العالي المولوي الأميري الكبيري السيدي السندي المالكي المخدومي المجاهدي المرابطي المؤيدي المنصوري الورعي المتورعي الزاهدي العابدي الصائمي القائمي الراكعي الساجدي السيفي قجماس أمير أخور كبير المالكي الملكي الأشرفي أعز الله أنصاره بمحمد وآله في أيام مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره وكان الفراغ من هذا المكان المبارك في شهر رمضان المعظم قدره سنة خمس وثمانين وثمان مائة

الإيوان الغربي

البسملة . في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه إلخ وكان الفراغ من هذا الجامع في شهر رمضان المعظم قدره سنة خمس وثمانين وثمان مائة من الهجرة

الأبواب

البسملة. أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك السعيد من فضل الله تعالى السيفي قجماس أمير أخور كبير الملكي الأشرفي عز نصره.

الإيوان الشرقي

البسملة. آية الكرسي، صدق الله العظيم أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك مولانا المقر الأشرف العالي السيفي قجماس أمير أخور كبير الملكي عز نصره

باب القبة

البسملة. رب أدخلني مدخل صدق إلخ.

ترجمة المنشئ

ومنشئ هذا الأثر هو الأمير قجماس الإسحاقي الظاهري، كان في بادئ أمره مملوكًا للملك الظاهر جقمق، وتعين في عهد الملك الظاهر خشقدم خازندارًا، ولما تولى الملك الأشرف قايتباي الملك قربه إليه وعينه نائبًا بالإسكندرية؛ ثم أمير أخور بالقاهرة، وما برح قائمًا بأعباء وظيفته حقبة حتى نقله إلى نيابة الشام، فباشرها حتى مات في شوال سنة (٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م)، ودفن بتربته بدمشق(١).

(١) المرجع السابق، مج. ٦: ٢١٣-٢١٤.

آثاره

ويصفه السخاوي بأنه كان ساكنًا خيّرًا متأدبًا مع العلماء والصالحين جيد الخط، وذكر من آثاره:

- هذا الجامع، بقوله: «وبنى وهو أمير أخور مدرسة هائلة بالقرب من خوخة أيدغمش للجمعة والجماعات وجعل بها متصدرًا وقارئًا للبخاري، ونقل ما كان قرره من التصوف بجامع الأزهر إليها».
- وأنشأ في سنة (٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م) و(٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م) جامعًا خارج باب رشيد بالإسكندرية، وتربة وخانًا وبستانًا.

الملك الظاهر تمربغا

وقد دفن في تربته هذه الملك الظاهر تمربغا الظاهري الذي تولى ملك مصر بعد خلع الملك الظاهر بلباي المؤيدي في سابع جمادى الأولى سنة (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م)، ثم خلع في سادس رجب من هذه السنة بالملك الأشرف قايتباي، واعتقله السلطان في دمياط أولاً ثم نقله إلى الإسكندرية، فبقي بها محجورًا عليه حتى مات في سنة (٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م)، فدفنه النائب قجماس بتربته وبنى على قبره قبة(٢).

- وجدد في هذا التاريخ نفسه جامع الصوري الكائن خارج باب سدرة.
- وأنشأه بجزيرة فاروس «رأس التين» خارج باب البحر على شاطئ بحر السلسلة رباطًا وسبيلاً.

(٢) المرجع السابق، مج. ٣: ٤٠-٤١؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٤٦٧-٤٦٨، ٤٧٦.

- وجدد جامع أبي العباس المرسي رضي الله تعالى عنه، وأنشأ إلى جانبه رباطًا وسقاية ماء، وهو ما يشير إليه السخاوي في «الضوء اللامع»[1].
- وأنشأ بعد سنة (٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م) تربة بالصحراء ومدرسة للتصوف والجماعات في جوار تربة قانم التاجر، وقد دثرت ملحقات هذه التربة وبقيت قبتها ماثلة حتى اليوم [انظر آثار الجبانة الشرقية].
- وأنشأ في سنة (٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م) جامعًا بمنية بدر بالدقهلية، وقرر في خطابته الشيخ حسن بن علي البدري .
- وجدد في سنة (٨٧٦هـ/ ١٤٧١م) قصر الأمير بشتاك الناصري، وسكن فيه حتى سنة (٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م)[2]، ثم انتقل منه إلى بيت الأمير يشبك الدوادار بشارع سوق السلاح[3]، وهو البيت الذي كان للوزير منجك اليوسفي[4].

(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ٢١٣-٢١٤.

(٢) قصر بشتاك أو قصر بكتاش الفخري أمير السلاح: آلب الشراء للأمير جمال الدين يوسف البجاسي الأستادار، ثم آل بالشراء للسلطان برسباي، ثم استبدل لصالح الأمير قطلوبيه المحمودي الأشرفي برسباي، أحد أمراء العشروات بدولة الظاهر خشقدم، والذي رمم ما تشعث به، وسكنه إلى أن مات في أوئل أيام دولة الأشرف قايتباي في واقعة شاه سوار، فصار بيد الأمير علاء الدين بن خاص بك صهر قايتباي، ثم استبدل للأمير ماماي أمير دوادار ثاني، والذي عمره وزخرفه بالرخام المثمن، وتأنق فيه إلى الغاية مع وضع يده عليه، وصرف عليه من الأموال ما لا يحصى، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢٣٠، هامش٢.

(٣) يذكر السخاوي أن إقامة يشبك من مهدي أثناء توليه الدوادارية كانت بقاعة ألماس، ثم بعدها في بيت تمربغا المعروف ببيت منجك اليوسفي، وأدخل فيه زيادات ضخمة من جهات متعددة، كل زيادة منها دار إمرة على حدة، ثم أخذ بيت قوصون المواجه لباب السلسلة، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ٢٧٣.

(٤) منجك اليوسفي أو سيف الدين منجك السلاح دار: تنقل في خدمة الناصر محمد حتى رتب السلاح دار، ثم كان هو الذي أحضر رأس الناصر أحمد، ومن حينئذ أمر واشتهر وتردد إلى الشام في المهمات، ثم استقر حاجبًا بدمشق في رجب سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، ثم أعيد واستقر وزيرًا أو أستادارًا في شوال من السنة، فباشر بحرمة ومهابة وتمكن من الدولة، وكان بيبغا روس نائب السلطنة أخوه، وأبطل ديوان العمائر جملة، وكان الناصر استجده، وغير ولاة الأعمال، وفتح باب الأخذ على الولايات والنزول على الإقطاعات، لكن ترتب ذلك من المفاسد، فحصل من ذلك مالاً كثيرًا جدًّا، ووصل الأوباش إلى المراتب، واستقرار العوام وآحاد الباعة في الجندية، فتلاشى أمر أجناد الحلقة بسبب ذلك، وصرف عن الوزارة مرة، وأعيد بعد أربعين يومًا، ثم قبض عليه بعد سفر أخيه إلى الحجاز، وسجن بالإسكندرية، ثم أفرج عنه بعد، وأعيدت له أملاكه، واستقر أمير ألف، فلما كانت كائنة بيبغا روس اختفى، ثم قبض عليه من مطمورة في دار أستاداره، فسجن بالإسكندرية سنة (٧٥٢هـ/ ١٣٥١م) ثم أفرج عنه وسار إلى صفد بطالًا، في ربيع الآخر سنة (٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م)، ثم استقر في نيابة طرابلس، ثم ولي حلب سنة (٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م)، ومات في سنة (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، انظر: شمس الدين الشجاعي، **تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي وأولاده**، تحقيق وترجمة بربارة شيفر (فسبادن: فرانزشتاينر، ١٩٧٨): ٢٦٩-٢٧٠؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٤: ٣٦٠-٣٦١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ١٨٩، ١٩٣، ١٩٥، ٢١٧-٢١٩.

جامع يشبك الدوادار (القبة الفدائية)

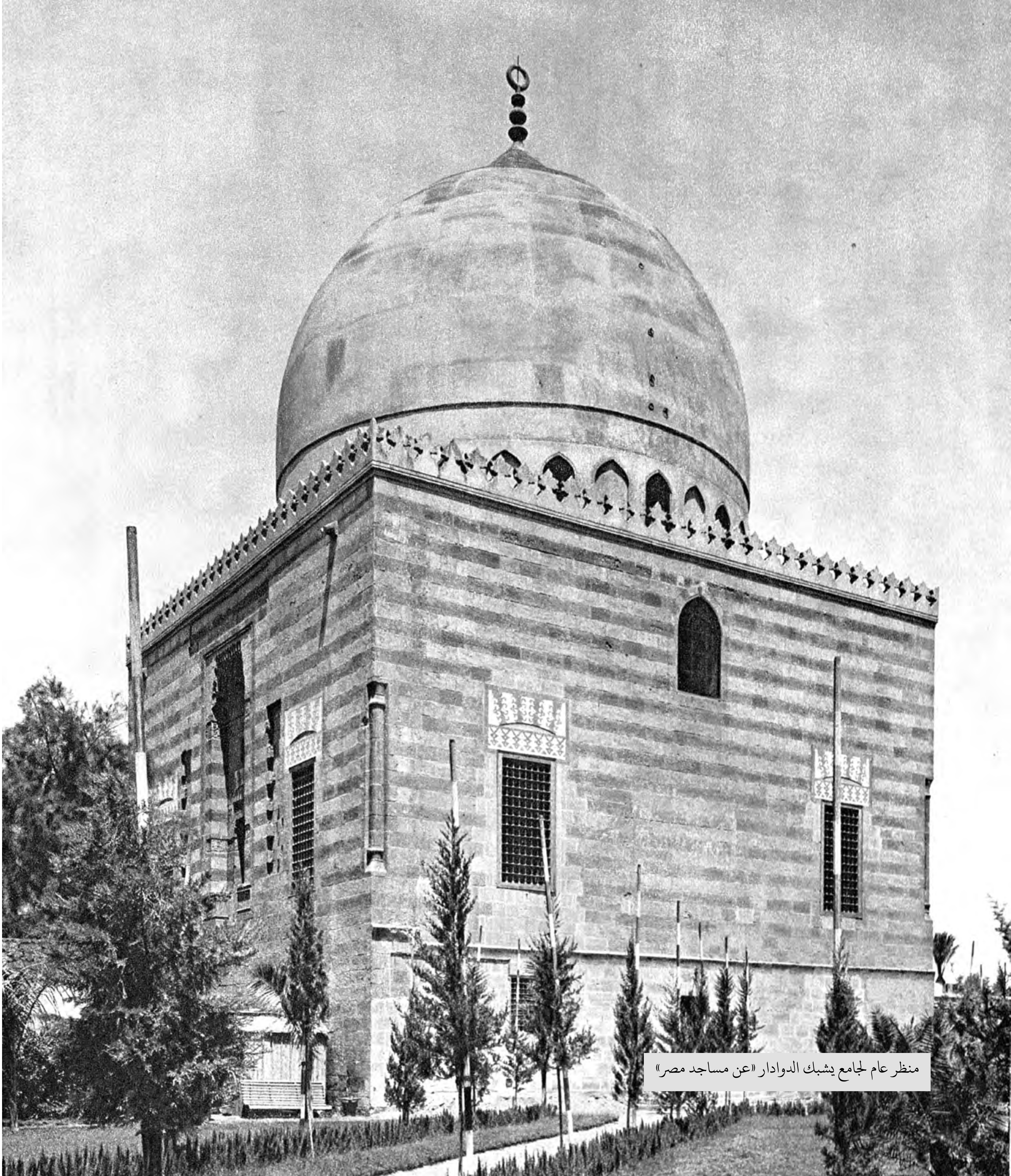
أثر رقم ٥ (سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م)

هذا الجامع بشارع العباسية البحري، وهو الأثر الثاني الباقي من آثار الأمير يشبك من مهدي الظاهري الدوادار الأشرفي، ابتدأ يظهر في (٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م)، كمدرسة جامعة وقبة وسبيل وحوض إلى مرافق أخرى، وبالرغم من أن ابن إياس يقول: «أن يشبك مات ولم يكمل هذه العمارة، فأكملها السلطان قايتباي بمباشرة الأمير تغري بردي الأستادار»، فإن السخاوي يقول العكس من ذلك، ويقرر أن أعمال يشبك في هذه العمارة كلها قد تمت قبل موته بأكثر من عام[1]، ونحن نميل إلى قول السخاوي لاعتبارات ظاهرة؛ أهمها ما جاء صريحًا في النصوص التاريخية التي يحملها هذا الأثر إلى اليوم.

ويمكن أن يقال أن ابن إياس إنما أراد أن يشعرنا بأن السلطان رغب في أن يتمم ما بقي من زخارفها الكتابية، وبالتالي يدخل على القبة بعض التحسينات من زخرفة أو غيرها، فعهد إلى الأمير تغري بردي بإجراء ما رغب فيه السلطان في الوقت الذي أشار إليه ابن إياس وهو سنة (٨٨٦هـ/ ١٤٨١م)، وهذا ما يمكن أن يقال إلى جانب هذه النصوص سيما بعد أن أصبحت القبة تنسب إلى السلطان بعد وفاة منشئها مباشرة وفي حياته وبالرغم من أن هذه العمارة كانت تتألف من جملة منشآت كلفت الأمير يشبك مبالغ طائلة؛ فقد دثرت جميعها وبقيت منها هذه القبة الفاخرة الجميلة؛ فلا التربة ولا المدرسة ولا السبيل ولا الحوض، ولا البحرة ولا البستان الذي كان يصل إلى منطقة السميساطية «الوايلية الآن» ولا غير ذلك من هذه الملحقات، والقبة الحالية تكاد تكون هي نظيرتها القبة الأخرى من نوع القباب التي لا يوجد لدينا منهم ثالثة من منشآت هذا العصر، فكلتاهما ذات فن خاص وطابع مغاير للقباب المعاصر لهما.

ويبدو ذلك بوضوح في كروية القبة وظاهرها الذي يلفت النظر بالبساطة التي أخذت منها مكانًا كبيرًا؛ بينما داخلها يثير دهشة المتأمل إليها من كثرة زخارفها المتنوعة ومقرنصاتها البديعة وزجاجها الملون وكسوتها الرخامية وجميع ما فيها من فن، والمدخل إلى هذه القبة من باب شرقي حديث، ومنه إلى طابق أرضي يتألف من باحة وثلاث مجنبات ذات أقبية من الحجر المعقود، ونصل إلى القبة بعد اجتياز بضع درجات، وفي جانبها الشرقي منبر نقل إليها في سنة (١٣١٩هـ/ ١٩٠١م) من جامع القاضي محمود بن أجا الحلبي المعروف بكاتم السر المتوفى سنة (٩٢٧هـ/ ١٥٢١م)،

(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ٢٧٢-٢٧٤؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ١٦٥-١٦٦؛ ١٧٠-١٧٥.



منظر عام لجامع يشبك الدوادار «عن مساجد مصر»

وهو الجامع المتغاير الكائن بأول شارع درب الجماميز[1] تجاه قنطرة سنقر ومن منشــآت أوائل القرن العاشر وتجدد في سنة (١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م) [انظر هذا الجامع].

ولم يطرأ على هذه القبة أي تجديد يستحق الذكر، خلا آخر تجديد لها، بيد أن الأمير حســـن الصنجق «أمير اللواء» وأمير الشـــون تصدى لتجديدها في سنة (٩٧١هـ/ ١٥٦٣م)، وقد بقي من آثاره شطر من مذكرته التاريخية التي دون فيها ما أجراه في هذه القبة.

وصف هذه القبة

وهذه القبة مربعة يبلغ طول ضلعها من الخارج ١٩,٩٠ مترًا، وارتفاع جدرانها من مستوى أرض الشارع إلى ابتداء الروازن ١٤ مترًا، وارتفاعها الكلي نحو ٢٥ مترًا، وكان الوصول إليها ســـابقًا من باب في الجدار القبلي يرتفع عن مســـتوى أرض الشارع بنحو ٥,٢٥ مترًا، وهذا الباب له مكسلتان على جانبيه يعلوهما طراز منقوش فيه بالخط النسخ ما نصه:

أمر بإنشـــاء هذه القبـــة المباركة ســـيدنا ومولانا السـلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي أعز الله أنصاره بمحمد وآله وسلم

وفوق الباب نافـــذة يكتنفها حلقتان منقوش في كل منهما بالخط المذكور:

عز لمولانـــا الســـلطان الملـــك الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره

(١) على ناصية شارع البرموني وقد هدم في الخمسينيات لتوسعة شارع الخليج المصري. (المراجع).

وبأعلى الكـــوة والحلقتين طـــراز منقـــوش فيه بعد البسملة:

فانظر إلى آثار رحمـــت الله كيف يُحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير

ويعلو الطراز مقرنص، وهذا الباب أوصد وزال السلم الذي كان يؤدي إليه، واستبدل به باب صغير في وسط الجدار الشرقي يرتفع منسوبه عن منســـوب أرض الشارع قليلاً، ويتوصل منه إلى سلم ينتهي إلى أرض القبة، وهي محمولة على عقود حجريـــة ويتألف منها ثلاث مجنبات: اثنان متجهان إلى الجهة الغربية والثالثة إلى الجهة البحرية، وبناؤها جميعها بالحجر.

فـــإذا وصلنا إلى أرض القبة يقابلنا عشر كوات كبيرة غير كوة الباب الكبير السالف ذكره، ونجد في كل من زوايا القبة الأربع؛ عقد من النوع المسمى مدائني مخوص بقلنسوة من المقرنص يعلوه عقد من النوع المسمى ستيني من الحجر الملـــون، وجميعها مزخرف بالنقوش الجصيـــة البديعة التي تلفت النظر، والمتأمل إلى هذه الزخارف يجد فيها لونًا غريبًا لعله الأول من نوعه في هذا الأثر.

النصوص التاريخية بالقبة

وقبل ابتداء الجزء الكروى من الداخل توجد مجموعة من الكوات تحتها طراز منقوش فيه بالخط المذكور:

البسملة. شهد الله أنه لا إلٰه إلا هو والملائكة وأولو العلم قائمًا بالقسط لا إلٰه إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام. قل اللَّهُمَّ مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنـــك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار

وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب. صدق الله العظيم.

اللَّهُمَّ أدم عز مولانا ولي النعم سيف ملوك العرب والعجم ناصر دين الإسلام حافظ بلاد الله قسيم خليفة الله الحاج إلى بيت الله والفائز بزيارة قبر رسول الله السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي خلد الله سلطانه وأفاض على البلاد والعباد جوده وإحسانه من فضله الله بالحج والزيارة على ملوك البرية وناداه ربه فحج في سنة أربع وثمانين وثمانمائة.

و فوق هذه الكتابة طراز آخر منقوش فيه بالخط المذكور:

البسملة. إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطًا مستقيمًا وينصرك الله نصرًا عزيزًا هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزًا حكيمًا. صدق الله العظيم.

اللَّهُمَّ وأيد الإسلام، وأعل كلمة الإيمان، ببقاء سيدنا ومولانا الإمام الأعظم السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محي العدل في العالمين كهف الفقراء والمحتاجين ناصر الملة المحمدية الحنيفية والخلافة العباسية سيد الملوك والسلاطين قسيم أمير المؤمنين السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي أدام الله أيامه وختم بالصالحات أعماله بمحمد وآله

وفي هذا الطراز أربع حلقات باسم الملك الأشرف قايتباي وقد كتب عليها باللون الأسود تاريخ تجديد القبة في عبارة هذا نصها:

جدد هذا المكان المبارك من فضل الله تعالى الأمير حسن

أما عقد القبة الكروي فهو من الآجر المكسو من الداخل بالجص الملون بالألوان ذات النقوش الجميلة؛ و به كتابة مبتدأة بالبسملة ثم آية الكرسي؛ وفي آخرها:

وصلى الله على سيدنا محمد وآله يارب العالمين

وقد لعبت أيدي العابثين بما كان فيها من الكسوة الرخامية وغيرها من النفائس الأثرية، وهدمت أرض القبة وكادت تقوض أركانها ويمحى أثرها لولا أن تداركتها لجنة حفظ الآثار العربية فقامت بما احتاجت إليه من الأعمال في سنة (١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م)، وأعدتها لصلاة الجمعة والجماعة في سنة (١٣١٩هـ/ ١٩٠١م)، ثم أضيئت بالنور الكهربائي وفرشت بالبسط الفاخرة.

وقد نقش على الباب الحديث بقلم الأستاذ يوسف أحمد رحمه الله المتوفى في مساء يوم الخميس ٢٧ من جمادى الأولى سنة (١٣٦١هـ)/ ١١ من أكتوبر سنة (١٩٤٢م) تاريخ الإصلاح في عبارة نصها:

رممت هذه القبة المباركة بمباشرة لجنة حفظ الآثار العربية في عصر خديو مصر عباس حلمي الثاني أدام الله أيامه وذلك في سنة سبع عشرة وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة

ونقشت أيضًا على أسكفة الباب من الداخل ما نصه:

تلبية لطلب أهل الورع والتقوى أعادت لجنة حفظ الآثار العربية هذه القبة المباركة مصلى لإقامة الشعائر الدينية وذلك في أيام خديو مصر عباس حلمي الثاني سنة تسع عشرة وثلاثمائة وألف

وفي هذا التاريخ نفسه قامت مصلحة التنظيم بدورها فغرست أمامها لجهة الشرق حديقة وجعلتها متنزهًا عامًّا.

الفدائية

يحيط بهذه القبة ضرب من الوهم في تسميتها بالقبة الفدائية أو الفداوية؛ والرأي السائد بين فريق من هواة الآثار الإسلامية، أنها نسبت إلى طائفة تسمى بالإسماعيلية أو الباطنية، وذهب بعضهم إلى القول بأن الملك الأشرف قايتباي والأمير يشبك لهما بهذه الطائفة صلة كبيرة، وكاد هذا الرأي يسود ويبلغ مبلغ الصحة؛ ونحن نخالف هواة الآثار قاطبة في هذا القول مخالفة صريحة، وأشد مخالفتنا لمن يذهب به القول إلى علاقة الملك قايتباي والأمير يشبك بهذه الطائفة، والقول بأنها عرفت بالقبة الفداوية من اليوم الذي بدأت تظهر فيه.

وأجدر بنا ونحن ندحض هذا الرأي بما نقدمه بين أيدينا من أدلة أن ننبه الأذهان إلى أن هذه القبة لم تبدأ تعرف باسم القبة الفداوية إلا منذ أوائل القرن الثالث عشر الهجري أي بعد سنة (١٢١٦هـ/ ١٨٠١م) منذ اتخذت ثكنة لطائفة العسكر الفدائية بعد إقلاع الحملة الفرنسية عن وادي النيل.

فهذا السخاوي وابن إياس وهما مؤرخان معاصران لها سماها كلاهما بقبة يشبك، وجاء الشعراني وبعده المليجي فسمياها بالقبة اليشبكية.

الكتائب الفدائية

وبالنظر في تاريخ الفدائية نجد أن هذه الكتائب عرفت في كل دولة من الدول الإسلامية، واستخدمتها الحكومات كفرقة من فرق الجند أطلقوا عليها أسماء مختلفة، أشهرها الفدائية- واستخدمها أحمد بن طولون، وأبو بكر محمد بن طغج الإخشيد، وكانت عند الفاطميين تسمى بأسماء متباينة؛ منها: الريحانية، والعيدانية؛ والمأمونية؛ والباطلية، والشرابية، والجيوشية؛ إلى أسماء أخرى، واستخدمهم صلاح الدين في حروبه مع فرنسا وألمانيا، وقد أبلوا معه بلاء حسنًا في الحروب الصليبية حتى كتب له النصر والظفر، ودخلت منها طائفة إلى مصر في عصر دولة المماليك البحرية؛ واستخدمها ملوك هذه الدولة في عدة مآرب وأغراض شتى.

وفي سنة (٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م) استقدم الملك العادل كتبغا طائفة من الفدائيين المغول الذين فروا من بلادهم إثر موت مليكهم بيدو بن طوغاي بن هولاكو في سنة (٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م)، فأنعم على كبيرهم برتبة أمير طبل خانه، وأنزلهم بالحسينية خارج باب الفتوح بدرب أسفل خان السبيل؛ عرف بعد حين بدرب التتر، وهو المعروف الآن بشارع السبع والضبع، وقد أفاض المقريزي القول في شأن هذه الطائفة ووصفهم بالقوة والبأس والشجاعة ولباس الفتوة،

وقد سماهم بالأويراتية ثم بالبدرية وضمنًا بالفتوات، وهو الاسم الذي نعرفه عنهم حتى اليوم[1].

وسماهم السخاوي في الضوء اللامع، وابن إياس في تاريخ مصر، والشعراني في الطبقات الكبرى؛ والجبرتي في تاريخه بالفداوية؛ وهو الاسم الذي لصق بهذا الأثر منذ سنة (١٢١٦هـ/ ١٨٠١م) حينما عسكرت هذه الكتائب الفداوية بهذه القبة، واتخذوا منها مجلس سمر لهم وثكنة لسكناهم في زمن ولاية علي باشا قلج حاكم مصر العثماني بعد سكناهم بقلعة القاهرة زمنًا طويلاً.

وقد بقيت هذه الطائفة منضمة إلى الجند يسري عليه نظامها حتى فقدت مصر استقلالها بذهاب دولة الغوري آخر ملك مستقل، فحلت محلها كتائب أخرى عثمانية يتباين نظامها مع نظام هذه الكتائب؛ وبقيت كذلك حينًا من الدهر فأهمل أمرها؛ واختلطت بالناس والعامة حتى صارت من الدهماء والسوقة، واستخدمهم الخاصة والعامة للدفع والأز على من يريدون به من أعدائهم، وانقطعت هذه الطائفة لهذا الغرض، وارتزقت من ورائه وصار القتل والفتك صناعتهم.

واشتهر بهم حي الحسينية هذا من عهد الملك العادل كتبغا حتى أوائل هذا القرن، وأدركنا من هذه الطائفة بقايا كانت تسكن بهذا الحي من ظاهر باب الفتوح حتى السميساطية والوايلية، وسكنت طوائف أخرى منهم بخط بين السورين حيث الكفر «القرية» الذي عرف بطائفة منهم كانت تسمى بالزغاري وأخرى بالطماعين، ولا يزال يوجد منهم إلى الآن بقية تسمى بالبلطجية يعملون ما كان يعمله أسلافهم من قبل، والحكومة دائبة في مطاردتهم وتشريدهم لخطرهم على الأمن العام.

هذه لمحة من تاريخ الكتائب الفدائية؛ تبين من وجه صحيح نشأة هذه الطائفة، وما طرأ عليها من تغير في نظمها وبرامجها بتطور العصور واختلاف الدول.

الفداء وأصله في الإسلام

ولا بد أن نشير هنا إلى أن الفداء في الإسلام كان عاملاً من أهم العوامل ووسيلة من أعظم الوسائل في الحروب، استطاعت بواسطته الدول المحاربة تقوية الروح المعنوية والحسية فيها؛ وذلك بما تسترده من أسراها لقاء فداء معلوم، وأول فداء حصل في الإسلام على الصحيح هو فداء حضرة النبي ﷺ في السنة السابعة من الهجرة في غزوة بدر، فقد افتدى ﷺ أسرى المسلمين من الكفار بالمال وبتعليم القادر منهم على الكتابة لغير المتعلم، وقد قصد ﷺ من ذلك مكافحة الأمية في المدنيين حيث كان السواد الأعظم من أهل المدينة لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وإلى هذا الفداء يشير ابن سعد في الطبقات في أحاديث منها عن جابر بن عامر.

قال: «أسر رسول الله ﷺ يوم بدر سبعين أسيرًا؛ وكان فادى بهم على قدر أموالهم وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن له فداء دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة فعلمهم فإذا حذقوه فهو فداؤه».

وأخرج عن فراس بن عامر، قال: «كان فداء أهل بدر أربعين أوقية، فمن لم يكن عنده عَلَّم عشرة من المسلمين الكتابة، فكان زيد بن ثابت ممن علم».

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٦٣-٦٥.

وأخبر ابن سيرين عن عبيدة، أن جبريل نزل على النبي ﷺ في أسارى بدر، فقال: «إن شئتم قتلتموهم، وإن شئتم أخذتم منهم الفداء، واستشهد قابل منكم سبعون، قال: فنادى النبي ﷺ في أصحابه فجاءوا أو من جاء منهم، فقال: هذا جبريل يخبركم بين أن تقدموه وبين أن تفادوهم واستشهد قابل منكم بعدتهم، فقالوا: بل نفاديهم فنتقوى به عليهم ويدخل قابل الجنة سبعون ففادوهم، وأخبر الشعبي، قال: «كان فداء أسارى بدر أربعة آلاف إلى ما دون ذلك فمن لم يكن عنده أمر أن يعلم غلمان الأنصار الكتاب».

النظام الفدائي في قانون الحرب الدولي

ومن مجموع هذه الأحاديث نستطيع القول بأن الفداء في قانون الحرب الدولي كان له نظام خاص يرمي إلى غاية بعيدة، وفي كتاب الله تعالى سورة طبق الأصل من هذا النظام في قصة الذبيح إسماعيل؛ حيث يقول جل شأنه ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات/ ١٠٧].

وقد ساد هذا النظام منذ العصر النبوي؛ حتى عهد الدولة العلوية والعباسية، فافتدى الخليفة هارون الرشيد في الحرب الطاحنة التي وقعت بينه وبين ملك بيزنطة في سنة (١٨٩هـ/ ٨٠٥م)؛ ٣٧٠٠ أسير، وفي سنة (١٩٢هـ/ ٨٠٨م)؛ ٢٥٠٠ أسيرٍ، وكان افتداؤه لهذه الأسرى بالتعويض المالي المتفق عليه بينهما بواسطة الرسل، ومضى خلفاء الدولة العباسية على افتداء أسراهم كلما وقعت الحروب بينهم وبين أعدائهم لقاء قرض مالي وتعويض معًا، هذه أصل الفكرة في الفداء؛ وهي فكرة نبيلة مرتكزة على دعائم ثابتة، وترمي إلى غرض شريف.

بيد أن الدول تطورت بها إلى نظام آخر؛ فجعلوا الفداء كحصن تحتمي به الدولة بالرجال والأجناد في الدفاع عنها؛ لقاء إغرائهم بالمال والمكافآت لهم ولذويهم إن استشهدوا في هذا السبيل، وعلى هذا النظام الجديد الذي وضع للفداء أسست الكتائب الفدائية في الدول الإسلامية.

واشتهر أن الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق حينما اغتيل اتخذ أصحابه وشيعته طائفة من الفدائيين كانت تسمى بالباطلية للفتك بكل من يرون أنه تآمر على قتله، وهكذا مضت الفدائية على هذا النمط حتى اتسع نطاقها، وصار لزامًا على كل دولة وملك وأمير وصاحب شأن، أن يتخذ له بطانة تدفع عنه السوء وترد عنه عاديته، ومنذ ظهرت المخترعات الحربية الحديثة كالغواصات والطائرات؛ استخدمت الدول فرقًا من الجند سمتهم بالكتائب الفدائية؛ وهي ما تسمى عند الإنجليز بالكوماندو- أو فرق الغزو البريطانية، وقد أنشأها البارون روجر كيز قائد وحدات بوغاز دوفر في حرب سنة (١٩١٤م)، ويتولى قيادتها في هذه الحرب (حرب ١٩٤٠م) اللورد مونت باتان.

ويمتاز الجندي الفدائي عن غيره بما يمنح من المكافآت والمرتبات الضخمة لقاء تماوته في الدفاع عن وطنه لتفاديه من الخطر، وقد لعبت الفدائية في هذه الحرب الطاحنة حرب (١٩٤٠م) المستعرة التي لم تطفأ نيرانها بعد من الدول المتحاربة جميعها دورًا مهمًّا ضحت فيها بأنفسها انتصارًا لدولها.

وقف الأمير يشبك

للأمير يشبك منشئ هذا الأثر وقفان: الأول وقفه على السادة الرفاعية وشيخهم الشيخ عز الدين الرفاعي،



محراب جامع يشبك الدوادار
«عن مساجد مصر»

الثاوي بقبته بالصحراء، والثـاني وقفه على هذا الأثر وأثر المطرية وكلاهما صادر في سنة (٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م)، وقد شرط النظر على وقفه الأخير للأمير تغري بردي الدوادار، وخول له التغيـير فيه والإدخال والإخراج وما إلى ذلك من شروط الواقفين العشرة، مع استمرار النظر عليه إلى موته، وحدث أن ابنة يشـبك رفعت دعوى عزل الناظـر وإقامتها بدله، فحكم لهـا بالنظر قاضي القضاة ابن عبد البر، فلما ماتت وآل الوقف إلى عتقاء يشـبك لموتها عـن غير ولد؛ طلب العتقاء إقامة تغري بـردي في النظر على الوقف، ويتضمن وقفـه هذا ما له أعيـان بالقاهرة كبيـت قوصون، وبيت منجك، وأرض بستان الخشـاب، ووكالة خان الخليلي، التي آلت بالتحكير إلى سـليمان السلاح دار إلى غير ذلك، وقد آل النظر على هذا الوقف بعـد انقراض الموقف عليهم إلى نظارة الأوقاف.

جامع الفخر أو قايتباي

أثر رقم ٥١٩ (سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م)

هذا الجامع بمنيل الروضة بحي كان يعرف فيما مضى بكفر قايد بيه والآن يعرف بالحوش، مكتوب على جانبي بابه ما نصه:

البسملة. أمر بإنشاء هذه المدرسة المعظمة مولانا ذو المقام الشريف السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره سلطان الإسلام والمسلمين محيي العدل في العالمين ناصر شريعة سيد المرسلين..

وبالإيوان الشرقي البسملة وآيات من سورة الفتح، وفي جوانب الصحن آيات قرآنية كريمة بعضها مفقود، والبعض الآخر فيه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل/ ٣٠]، وبالمحراب: البسملة ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَا﴾ [البقرة/ ١٤٤].

تاريخ إنشاء هذا الجامع

أنشئ هذا الجامع في حدود سنة (٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م) «كما في كوكب الروضة للسيوطي» في عهد ملك مصر السلطان محمد بن قلاوون، ثم أنشئ نشأ آخر بأمر سلطان مصر الملك الأشرف قايتباي في سنتي (٨٨٦هـ/ ١٤٨١م) و (٨٩١هـ/ ١٤٨٦م)(١).

تطورات هذا الجامع وتجديده

لم يمض على هذا الجامع زهاء نصف قرن تقريبًا من لدن إنشائه حتى أمر الوزير الصاحب شمس الدين عبد الله المقسي وزير المملكة المصرية في عهد الملك الكامل شعبان المتوفى سنة (٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م) بتجديده، فجدد بعض مواضع منه كان قد تطرق إليها الوهن، ومن ذلك الحين الذي جدد فيه هذا الجامع بأمر ذلك الوزير صار الجامع ينسب إليه فعرف بجامع المقسي بعد أن كان يعرف بجامع الفخر، إلا أن هذا التعريف وإن دام طويلاً فقد كان ثمت بعض أفراد يعرفونه باسم الفخر.

---

(١) المرجع السابق، مج. ٤: ٢٤٨، هامش٢؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ٢٠٨؛ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **كوكب الروضة في تاريخ جزيرة مصر المسماة الروضة**، تحقيق مصطفى الشكعة، ومجدي عاشور (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٨): ٩٩-١٠٠، ١٠٢- ١٠٣؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ١٨٢، ٢٨٣؛ الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٣: ٣٠٥؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ١٥٨، ١٦٢-١٦٣؛ عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**، مج. ١: ٢٧٣-٢٧٥.

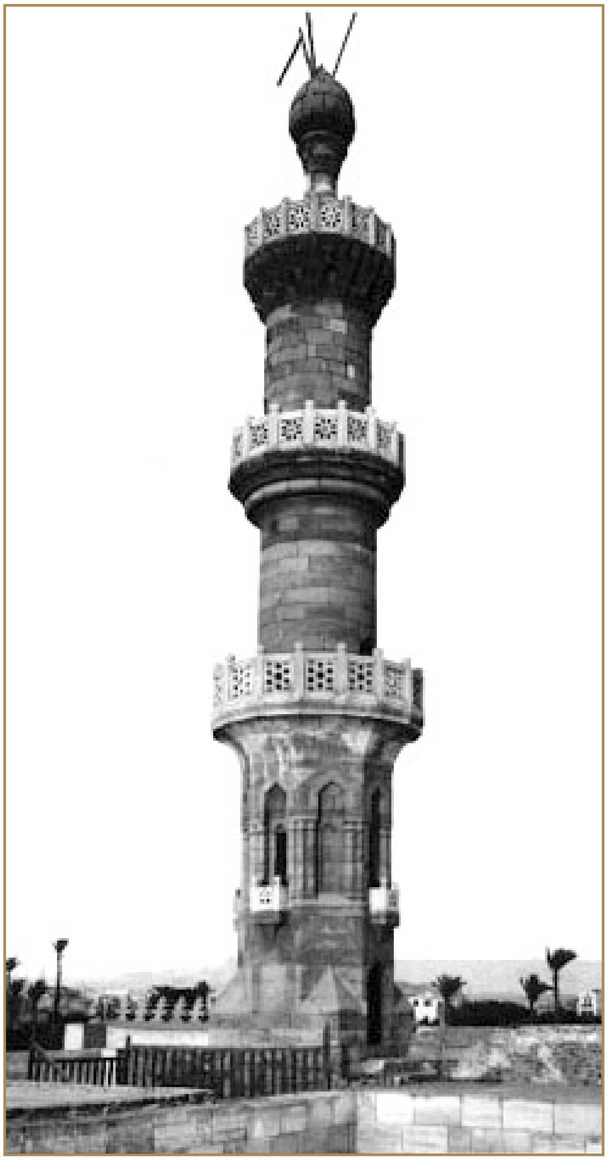
وقد ظل كذلك إلى القرن التاسع الهجري دون أن تمتد إليه الأيدي بالتعمير والتجديد فعاد أطلالاً ماثلة ضاعت معها معالمه الأولى، ففي سنة (٨٨٦هـ/ ١٤٨١م) أمر السلطان الأشرف قايتباي بإنشاء هذا الجامع نشأ آخر، فنفذ أمره وبني الجامع برسم مدرسة أي جعل له أربعة أواوين مقوسة على مثال بناء المدارس، بينها صحن مكشوف وغرف لسكنى الطلبة، ثم ألحقت به جميع مرافقه التي سنفصلها قريبًا[١].

وفي سنة (٨٩١- ٨٩٦هـ/ ١٤٨٦- ١٤٩١م) زاد فيه السلطان بعض زيادات وغرس حوله بستانًا، وألحق به دورة مياه وخصص لها «ناعورة» لتصدير الماء إليها من النيل، وأنشأ بجانبه ربعًا لسكنى المنقطعين والغرباء؛ وخلفه قاعة كبيرة، وإلى جانب ذلك كله طاحون وعدة دكاكين.

ولقد جاءت هذه العمارة مغيرة لأوضاعه الأولى، ولذلك يقول السخاوي في الضوء اللامع حينما تكلم على منشآت قايتباي وذكر منها هذا الجامع، وجامع سلطان شاه، قال: «كان أي جامع الفخر من قديم مع صغره مائلاً فهدمه ووسعه،... بحيث أصبح كأنه هو المنشئ له»[٢].

وقد تماثلت هندسة عمارته التي هي غاية في الإبداع مع هندسة كل الآثار الإسلامية التي تنسب إلى هذا الملك، وليس بدعًا أن يكون كذلك فقد كان مهندسه البدر بن الطولوني ذلك المهندس الذي توارث هذه الصناعة عن أسلافه كابرًا عن كابر، وقد كانوا من أبرز المهندسين الإسلاميين التي أنجبتهم مصر في تلك القرون الزاهية.

بقي الجامع على هذه الحالة زهاء ثلاثة قرون وهو يشرف ببنيانه الشامخ على هذه المنطقة فيكسبها جمالاً وروعة، حتى إذا دخلت الحملة الفرنسية مصر في سنة (١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م) كان فيما استعملوه لأغراضهم المساجد، فاستخدموا هذا المسجد مخزنًا للبارود «مسلحة أو جبخانة»، فكان ذلك سببًا لإصابته بحريق أتلف بعض مفرداته، وقد أشار الجبرتي إلى هذا الحريق في حوادث سنة (١٢١٦هـ/ ١٨٠١م) بقوله: «حينما



مئذنة جامع الفخر «عن كريسويل»

(١) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ١٨٢.
(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ٢٠٨.

أجلوا من القاهــرة؛ تركوا بهذا الجامــع كمية من البارود وجانبًا من الكبريت فدخل رجل بغلامه، وكان في يده قصبة يشرب منها الدخان ففتح ظرفًــا من ظروف البارود ليأخذ منه شيئًا نسي القصبة بيده فأصابت البارود فاشتعل جميعه واحترق المســجد والرجل والغلام واستمرت النار في سقفه طول النهار»[1].

ولا تــزال آثار الحريــق ظاهرة في حوائط المســجد الغربيــة إلى اليوم، بقي هذا المســجد بعد هذا الحريق مدة قصــيرة، فجدد منه أهل الحي ما أتلفــه الحريق، بيد أنه لم يكن إلا تجديدًا طفيفًا، فبقي حــتى حدود القرن الثالث عشر الهجري، فأقام فيه الشــيخ علي القشــلان القادري مــن دفنى الزاوية العدوية المتوفى ســنة (١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م)، واتخذه لعمل الميعاد والذكر لجماعة القادرية، فجدد منه ما استطاع إلى تجديده ســبيلاً بواسطة الاكتتاب من جماعته ومن الأهالي، وقد جاء هذا التجديد مشوهًا لمنظر المسجد؛ فإنه أوصد شرفاته وبيضه بالأصباغ التي لا تتلاءم مع حالة المسجد وسقفه بالجريد.

فبقي المسجد على هذا الوصف حقبة فرغب إسماعيل باشــا رأفت الذي كان يجاوره بالســكنى أن يجدد المسجد ويعيد إليه وصفه السابق، وقد شــاء توسيع مساحته بضم قطعة أرض من أملاكه، فخاطب بشــأنها نظارة الأوقاف فأبت إدخال هذه القطعة في مساحة المسجد حتى لا تتغير معالمه وليبقى حافظًا على وضعه وهي فكرة نبيلة.

وقد كانت رغبة إسماعيل باشا في تجديد هذا المسجد ومشــيئة إدخال تلــك القطعة من الأرض في مســاحته، ورفــض الوزارة لهذا المقــترح حافزًا لاتجــاه العناية إليه، فأجريت فيه آخر عمارة في سنة (١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م) تناولت إزالة طبقة البياض الحديثة، وأبدل ســقفه الجريد بسقف من خشب نقي، وأزيلت الحجب التي كانت تحجب شرفات الصحن الأربعة، وركبت لها درف كانت بمســجد السيدة سكينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأعيدت دورات مئذنته الرشيقة، وأصلحت أســافل جدرانه الأربعة التي كانت مغمــورة بالرطوبة مما كان يلحقها من فيضان النيــل وقت زيادته، وبلط صحنه وأعيد إليه ما فقد من معالمه حتى أصبح يماثل ما كان عليه بالأمس، ولم يحدث به جديد بعد هذا يستحق الذكر.

والمدخل إلى هذا الجامع مــن بابه العمومي؛ وهو باب شاهق تعلوه مئذنة من نماذج آخر القرن التاسع ذلك الوقت الذي ازدهرت فيه العمارة الإســلامية في المملكة المصرية ازدهارًا بلغ شــأوًا بعيدًا ومن الباب نصل إلى الصحن، بعد اجتياز طرقه فمرافق، ويحدق بالصحن أربعة أواوين مقوسة ترتكز على دعامات أكبرها الإيوان الشرقي وبه منبر حديث الوضع؛ ومــن الصحن نصل إلى باب يــؤدي إلى دورة المياه الحديثة يجاور الإيوان الغربي؛ والجامع في مجموعه وتفصيله أثر نفيس من منشآت ذلك العصر، وهو عامر مقام الشعائر للجمعة والجماعات.

فتيا للسيوطي بشأن هذا الأثر

في سنة (٨٩٦هـ/ ١٤٩١م) عقب انتهاء العمارة وتقرير الاحتفال بافتتاحه رسميًّا بحضور السلطان والأمراء وجماعة العلماء[2]، أصدر الشيخ جلال الدين السيوطي [المتوفى سنة (٩١١هـ/ ١٥٠٥م)]، ومدفون بتربة الأمــير برقوق الظاهري بالقرافة الناصرية- فتيا بعدم صلاحية هذا الجامع ووجوب

(١) الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٣: ٣٠٥.

(٢) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٢٨٣.

هدمه، واستند في هذه الفتيا على القول المنعقد بمنع بناء المساجد والبناء على شواطئ الأنهار الجارية وبروزها(١).

ولما أذيعت هذه الفتيا وتناولها العلماء- ردها عليه بعض علماء عصره، وجواز ذلك بفعل عمرو بن العاص والصحابة في بناء جامع مصر إذ كان يمر تحته النيل على بعد ١٠٠ متر تقريبًا، بيد أنه لم يكترث لهذه الفتيا فأذاع في أثرها فتيا أخرى أتى فيها بأقوال مأثورة ترد مدعاهم وتدحض فتواهم [انظر فتاوى السيوطي]، ثم ما لبث أن كتب رسالته الأخرى [أعلام الأريب في حدوث بدعة المحاريب] التي ناقشناها في صدر هذا الكتاب.

وقد كان الحافز للسيوطي على كل ذلك ما كان بينه وبين السلطان قايتباي من جفاء وعداء متحكم أنتجته الوشايات والدسائس، بيد أنه لم يمكث طويلاً إذ تحسنت العلاقة بينهما أخيرًا [انظر ابن إياس وطبقات الشعراني الوسطى؛ ومناقب السيوطي للشاذلي](٢).

وبالرغم من ذلك فقد اتخذ السيوطي هذا الجامع في آخر أيام حياته- حين اعتزل التأليف والتدريس؛ وألف لذلك رسالته [توالي التأسيس في الاعتذار عن التأليف والتدريس]- مستقرًّا له ومكانًا يجلس فيه جل أوقاته، ولم يبرحه حتى وافته المنية وهو به؛ ولهذا عرف في حينه وبعده بجقبة بجامع السيوطي [انظر كوكب الروضة له].

كما أن البدري حسن بن الطولوني رئيس المهندسين اتخذ من هذا الجامع ناديًا يقيم فيه حفلة عامة من الرابع عشر من شهر رجب كل عام، يدعو فيها السلطان والأمراء والعلماء والقراء والوعظ والأعيان ويقيم له السرادقات، وينصب مهرجانًا عظيمًا بالطبول والموسيقى، وتزين المراكب والأعلام والرياحين، وتمر هذه الليالي على هذا النحو؛ حتى نهاية الشهر وسمي أهل مصر هذه الليالي، بالليالي البدرية [انظر تاريخ مصر لابن إياس].

القاضي فخر الدين

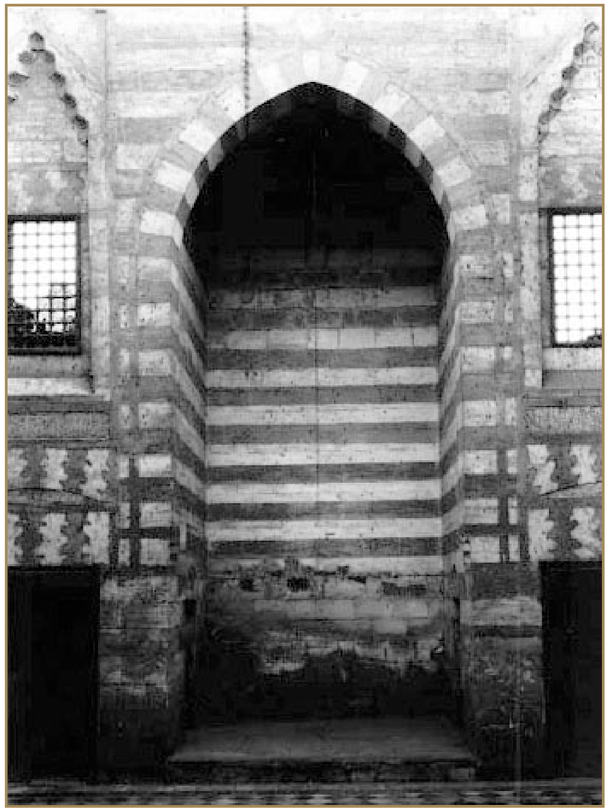
والقاضي فخر الدين الذي نسب إليه هذا الأثر، هو محمد بن فضل الله، كان مسيحيًّا فأسلم، وحفز به حسن إسلامه إلى التقرب إلى الله تعالى بإجراء الخيرات والمبرات تكفيرًا لما مضى، فجمع وحبس من ماله مبلغًا للتصدق به على الفقراء والمعوزين، وبنى عدة مساجد منها هذا المسجد، وآخر بنهاية جزيرة الفيل ببولاق، وقد دثر من أواخر القرن الثامن الهجري، وتحول إلى دار سكنها الوزير شهاب الدين أحمد بن عمر بن قطينة الظاهري(٣)، وآخر بشارع خص الكيالة من بولاق(٤)، ومارستانًا للمرضى بمدينة بلبيس، وآخر بالرملة من أعمال فلسطين، وقناطر على الخليج وأسبلة في الطرقات لسقي الماء «سقايات» للإنسان والحيوان؛ وبنى باسم الملك الناصر مسجدًا جامعًا بشارع فم الخليج بين مجراة النيل «السبع سواقي» وبين بستان العالمة المعروف بجنينة السادات الوفائية؛ وقد دثر هذا المسجد رغم بقائه حتى سنة (١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م)، وآخر ما بقي من

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق: ٢٩٧.

(٣) موضعه الآن الجامع المعروف بجامع الشيخ فرج الواقع بشارع جزيرة بدران بقسم روض الفرج، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٢٤٨، هامش ٣، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٢٠١، هامش ٢.

(٤) موضعه الآن الجامع المعروف بجامع السلطان أبي العلا بشارع ٢٦ يوليو ببولاق، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٢٤٧، هامش ٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٢٠٢، هامش ١.



إيوان جامع الفخر «عن كريسويل»



إيوان جامع الفخر «عن كريسويل»

أنقاضه أسطوانات رخامية أخذها إسماعيل بك المتوفى سنة (١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، واستخدمها في بيته الذي بناه على بركة الفيل في سنة (١٢٠٤هـ/ ١٧٨٩م) [انظر هذا الجامع][1].

ومنذ أسلم المذكور واستقام له الأمر أحبه السلطان وقربه إليه، ثم ما لبث أن عينه كاتبًا للمماليك السلطانية، ثم صار يتقلب من وظيفة إلى أخرى حتى تعين ناظرًا للجيش؛ وقد نفذت كلمته من حينذاك وصار وجيهًا مقبول الشفاعة مقصودًا للخير؛ وما برح حتى نالته محنة من السلطان كاد يأفل نجمه فيها لولا أن تدارك الأمر بحكمة ورصانة، فعاد إلى الظهور ثانية وظل كذلك إلى أن مات في سنة (٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، وقد ترك مالاً وعقارًا وموجودًا كثيرًا ورثه عنه ولده؛ وكان شهوانيًّا ملذاذًا متلافًا، فبدده فعاد سيئ الحال يسأل الناس إلحافًا؛ وقد أدركه المقريزي يتكفف الناس، ولصاحب الترجمة تراجم في خطط المقريزي وفي الدرر الكامنة لابن حجر والمنهل الصافي لابن تغري بردي وغيرها[2].

(١) إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي الشهير بابن دقماق، **الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها**، مج. ٤ (بيروت: دار الآفاق الجديدة، [-١٩٤، -١٩٨]: ٧٦-٧٨؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٢٠٦-٢٠٧، هامش ٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٣٣، هامش ٤؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ١٤، ٢٧٢.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٢٤٩-٢٥٠؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٢: ٣٥٤؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٤: ٢٥٥-٢٥٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٢٩٥؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ١٠: ٢٦٣-٢٦٥.

تنكز بغا (بدر الدين الونائي)

أثر رقم ١٦٣ (سنة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)

هذا الجامع بشارع بدر الدين الونائي «الزرايب، درب الخولي سابقًا»، داخل باب الميدان المعروف بباب القرافة، مشهور بنسبته إلى بدر الدين الونائي؛ أحد العلماء المدفونين به، أنشأه الأمير تنكز بغا المارديني في سنة (٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م) برسم مدرسة للشافعية ودار للحديث النبوي، وجدده الونائي المذكور في سنة (٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م).

وبالرغم من تخرب هذا الجامع؛ منذ أول هذا القرن الهجري فقد تخلفت منه بقايا لها أهمية كبرى، منها مئذنته الرشيقة التي تشابهت مع مآذن هذه الحقبة، وسمت عليها رشاقة وانسجامًا، ثم بابه المقنطر الذي يجاوره سبيل «سقاية ماء»، يلفت النظر فيه سقفه المعقود بالحجر النحيت على شكل قلنسوة ثم الأسطوانة الحجرية المضلعة بالتواء هندسي لا يوجد نظيره إلا في بعض القباب المعاصرة له.

وقد ظهر لنا من معاينة داخل هذا المسجد؛ أن الخراب قد تطرق إليه بشكل مثير، وقد سقطت بلاطاته الأربع بما فيها من الأسطوانات الرخامية وأخرى من الزلط، وبقي من بلاط بيت الصلاة بعض أسطوانات محمولة على سقف متداع، كما سقط غطاء القبة الحجرية الجميلة التي كانت هي الثالثة من نوع القباب المضلعة حلزونيًّا كأسطوانة السقاية المذكورة آنفًا.

وتناثرت زخارف القمريات المفتوحة بالقبة وبجدار بيت الصلاة لجهة الجنوب وتشوهت الواجهة بالأصباغ الرديئة، واختفى المكتب الذي كان يعلو السقاية المذكورة نهائيًّا، كما اختفت سلالم الباب العمومي المعلقة بما كان يحيط بها من درج وسياج من بلاط الرخام الأبيض، وبالرغم من كل هذا فلا يزال هذا الأثر متماسكًا يلفت النظر فيه جمال تلك المفردات المذكورة آنفًا.

ولو أن لجنة حفظ الآثار العربية التي تحافظ على هذا التراث في وسعها معالجة حال هذا الأثر معالجة كاملة ومكبرة، لا تلك المرمات التي كان آخرها سنة (١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م)؛ لأضافت إلى مجموع ما نحتفظ به من آثار القاهرة الإسلامية أثرًا يجب أن يبقى طويلاً.

بدر الدين الونائي

وقد عرف هذا المسجد منذ حقبة طويلة بالشيخ بدر الدين محمد الونائي، أحد علماء الشافعية في أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر، ذكره السخاوي في الضوء اللامع[1]؛ وترجم لأبيه؛ ولآخرين ممن دفنوا بالتنكرية من علماء الشافعية والمالكية والحديث والقضاة، ومنهم:

(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٩: ٥٣.

أبو الفضل محمد النويري المكي: المولود بمكة في سنة (٨٢٧هـ/ ١٤٢٤م)، وقدم إلى القاهرة في سنة (٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م)، ومات في عام الوباء الذي حل بمصر في ٢٣ من رمضان سنة (٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م).

أبو الفضل «آخر» محمد النويري: ولد بمكة في سنة (٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م)، ومات بالقاهرة في ١٨ رمضان من سنة (٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م).

يحيى بن عمر بن أحمد بن يوسف الموقع: ولد سنة (٨٢٨هـ/ ١٤٢٥م)، وتكسب بالشهادة «عدلاً»، ثم تعين موقعًا «كاتبًا للدرج»، ثم ناب في القضاء عن القاضي ابن حريز، وعينه الملك الأشرف قايتباي مباشرًا لأوقاف ابنه، توفي في صفر سنة (٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م)(١).

نسيم الدين أحمد بن محمد النويري المكي: ولد بمكة قبل سنة (٨٦٠هـ/ ١٤٥٦م)، وتوفي في يوم السبت ٤ من رمضان سنة (٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م)(٢).

شمس الدين: «والد بدر الدين الونائي» محمد بن إسماعيل بن محمد بن أحمد بن يوسف الونائي «وناء قرية بالصعيد»، ولد في شعبان سنة (٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م) بقرية بساتين الوزير «البساتين»، وعاني طلب العلم حتى نبغ فيه فتكسب بالشهادة أولاً؛ ثم ما لبث أن عين مدرسًا بالتنكرية وهي هذا الجامع، ثم مدرسًا بالمدرسة الصلاحية «محل مسجد الشافعي»، والشيخونية «جامع شيخو بسويقة منعم»، وتعين لقضاء مصر في سنة (٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م)، ثم نقل

(١) المرجع السابق، مج. ١٠: ٢٣٧-٢٣٨.

(٢) المرجع السابق، مج. ٢: ١٧٠.

إلى دمشق؛ وعاد منها إلى القاهرة في سنة (٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م)، وتوفي في السابع من شهر صفر سنة (٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م)(٣).

وقد دفن هؤلاء جميعهم في القبر الذي دفن فيه منشئ هذا الأثر تحت القبة المذكورة، الذي عرف بضريح سيدي بدر الونائي، وهو باق للآن وقد تقادم وتغير.

المنشئ

ومنشئ هذا المسجد هو الأمير تنكز بغا المارديني كان من موظفي حكومة الملك الناصر محمد بن قلاوون وتعين نائبًا للسلطنة في مصر؛ ترجمه الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة، وأرخ وفاته في سنة (٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م)(٤)، وهو غير الأمير تنكز الأشرفي نائب السلطنة بدمشق، المتوفى بها سنة (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) الذي تنسب إليه دار ابن أيبك الصفدي «وهي دار البكري بشارع الخرنفش»، والذي نحتفظ له بأثر جميل بالجبانة الناصرية من سنة (٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م) [انظر القبة التنكزية](٥)، وغير الأمير تنكز أمير مجلس المتوفى سنة (٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)، صاحب الأثر الجميل الكائن بقرافة باب الوزير.

تحقيق بشأن هذا الأثر

لم يذكر المقريزي هذا الأثر في خططه، بالرغم من ظهوره في التاريخ المتقدم، وترجم ابن حجر لمنشئه في الدرر؛

(٣) المرجع السابق، مج. ٧: ١٤٠-١٤١.

(٤) ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ١: ٥٢٠.

(٥) المرجع السابق: ٥٢٠- ٥٢٨؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٢، قسم. ٢: ٥٠٦- ٥١٢؛ مج. ٢، قسم. ٣: ٥٥٨؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٧٩-١٨٠؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٣٢٧-٣٢٨؛ مج. ١٠: ٧٣- ٧٤؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٤: ١٥٦-١٦٨؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٤٧٧- ٤٨١.

ولم يضفه إليه مع شـــهرته، وأورد السخاوي عبارات بشأنه فيها شيء من الغموض، بيد أنها لم تترك لنا في النفس شيئًا من أمره فذكر أولاً في ترجمة نســيم الدين النويري «أنه دفن عند الونائي بالتنكزيــة في باب القرافة»، وفي يحيى بن عمر «دفن بالتنكزيــة بالقرب من باب القرافة»، وفي أبي الفضل النويــري «ودفن بالتنكزية بالقرب مــن القرافة»، وذكر في ترجمة شــمس الدين الونــائي «أنــه درس بالتنكزية بباب القرافة ودفن بها»، هــذه النصوص وإن كانت في حاجة إلى إيضاح إلا أنه يستحيل القول معها أن السخاوي يقصد بها القبة التنكزية الكائنة بالقرافــة الناصرية التي هي خارج بــاب القرافة، لأن هذه ليســت محل تدريــس، ولأن هذا التعبير نفسه استعمله في الكلام على جملة منشآت وجدت في عصره بهذه المنطقة داخل باب القرافة، كمدرسة النفيائي بشــارع الزرايب، وجامع ألماس وجامع جاني بك الجداوي بشارع الســيدة عائشــة وأخيرًا جامع قايتباي، وهو الذي أنشأه الملك الأشرف قايتباي في ســنة (٩٠١هـ/ ١٤٩٥م) إلى آثار أخرى سنذكرها.

وقــد يكون الأمر الحري بالنظر هــو وجود القرينة الظاهرة الــتي تلازم هذا الأثر وتصاحبه منذ أواخر القرن التاســع وأول العاشر حتى يومنا، وهي نســبة هذا الأثر إلى بدر الدين الونائي المذكور آنفًا، وحســبنا بها دليلاً لا يقبل التأويــل، وقد حققت في واقع حجة بــدر الدين الونائي بن شــمس الدين المتقدم الذكر، [الصادرة بتاريخ ٢٥ من شهر ذي الحجــة ســنة (٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)، المحفوظة بقلم الحفظ بمحكمة مصر الشرعية ومســجلة برقــم (٣٥- ٢٢١)] أنه وقــف على هذا الأثر ما كان قد ســبق له إيقافه في ســنتي (٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)، (٨٩٦هـ/ ١٤٩١م)، وأنه جدد بناء هذا الأثر وأنشأه نشأ أخر، ثم في ذي الحجة سنة (٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)، وقد ورد بهذه الحجة وصف كامل للأثر وأنه يشــتمل على أربعة أواوين وصحــن ومحراب ومنبر وخمــس بوائك ومدفن له بالجانب الغربي «القبلي» ومكتب وسقاية وأنه رصد للصرف عليه وعلى مصالحه مشتغلات ما وقفه بالقاهرة وظواهرها في العقارات وقد مات المنشــئ في غاية المحرم سنة (٩٠٧هـ/ ١٥٠١م)، ودفن بمدفنه بالأثر واتصل وقفه إلى سنة (١٠٤٧هـ/ ١٦٣٧م)، ثــم آل بعد انقراض الموقوف عليهم من ذريته إلى أمير دوادار كبير أولاً ثم للقاضي الحنبلي ثم للقاضي الحنفي كشرط الواقف، ولأبي بكر رامز وقف آخر على هذا الأثر محرر في ذي القعدة سنة (١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م) آل بعد انقراض ذرية الواقف طبقًا للشرط لمســجد بدر الدين الونائي، وهذا الأثر إلى يومنا يظهر مطبــوعًا بطابع هذا التجديد الأخير، ويبدو ذلك في مئذنته الرشيقة وتفاصيله الأخرى.

جامع سلطان شاه

أثر رقم ٢٣٩ (سنة ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م)

هذا الجامع بشارع غيط العدة «القماحين سابقًا»، ظاهر ميدان باب الخلق «الخرق»، لم يذكره المقريزي بوضوح، وذكره السخاوي في الضوء اللامع، فأفاد: «أن الملك الأشرف قايتباي رسم إلى الأمير تغري بردي الأستادار المعروف بالقادري المتوفى سنة (٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، بتجديد جامع سلطان شاه بالخرق»، وظهر من كلامه أن السلطان رغب في أن يجدد عمارته وينشئه نشأ آخر بحيث صار «كما يقول السخاوي»: «كأنه من إنشائه»[١].

والمؤكد أن هذا التجديد تم في سنة (٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م) كما تفيده عبارة السخاوي في ترجمة خطيبه كمال الدين محمد بن بهادر الطويل أحد علماء الشافعية، وممن جمع بين العلم والجندية، ونستطيع من سكوت المقريزي والسخاوي عن نشأة هذا المسجد الرجوع به إلى منشآت القرن الثامن[٢].

ترجمة المنشئ

وإذ ذاك فقد أفادنا الحافظ ابن حجر في إنباء الغمر، ويوسف بن تغري بردي في المنهل الصافي وغيرهما بترجمة جاء فيها أن منشئ هذا الأثر هو: «الأمير سلطان شاه بن قرا الأشرفي قدم القاهرة في عصر الملك الناصر حسن فانتظم في سلك الجندية، وما برح يتنقل في الوظائف العسكرية حتى بلغ إلى منصب أمير طبل خانه، وفي سنة (٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م) في عهد الملك الأشرف شعبان بن حسين؛ عين أمير حاجب كبير؛ ومازال قائمًا بأعباء هذه الوظيفة حتى مات في سنة (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) عن سن عالية قاربت المائة ودفن بمسجده هذا، وقد ذكر له المؤرخون محاسن منها أنه كان يميل إلى الصلاح والتقوى وفيه خير وبر».

تاريخ إنشاء هذا المسجد ووصفه

وقد تم إنشاء هذا المسجد في أواخر سنة (٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م)، وبالرغم من أن هذا المسجد متغير وليست فيه من مسحة أواسط القرن السابع أية صبغة معمارية؛ فإنه يبدو ككل المساجد المعاصرة له فداخله يشتمل على صحن مكشوف يحيط به من جهاته الأربع أربعة بلاطات متقابلة تحملها أقواس تقوم على سوار من الرخام، ويمتاز البلاط الشرقي منها بزيادة رواق آخر، وفيه منبر عمل في سنة (١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م) بأمر الخديو إسماعيل بدل مفقود، أما واجهته العمومية ومدخله فحدث في التاريخ المذكور، والمدخل إليه من بابه العمومي المطل على شارع الخرق المعروف بغيط العدة، ويقابله في الاتجاه الآخر من نفس الشارع باب نصل منه إلى دار الوضوء المنفصلة عن المسجد.

---

(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ٢٠٨.
(٢) المقريزي، مج ٤- ق١: ٥.

جامع أبو العلا

أثر رقم ٣٤٠ (سنة ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م)

هذا الجامع بشارع فؤاد الأول في الشمال الشرقي لجسر بولاق «كوبري أبو العلا» مشهور بنسبته إلى الشيخ حسين أبي علي أحد صلحاء أواخر القرن التاسع الهجري[1].

وهو قائم في منطقة حدها الشرقي سويقة الموفق «شارع موفق»، والغربي ساحل النيل الشرقي، والبحري رصيف بولاق «الواجهة»، والقبلي الحطابة وخص الكيالة «شارع ماسبيرو»، وقد عرفت بساحل بولاق لوقوعها على النيل مباشرة من جهتها الغربية، ودل كلام الشعراني في الطبقات في ترجمة الشيخ حسين أبي علي المنسوب إليه هذا المسجد، أن الخواجا علي بن القنيش البرلسي- أحد سراة البرلس وتجارها - أنشأ هذا المسجد في حياة الشيخ سنة (٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م) إلى سنة (٨٩١هـ/ ١٤٨٦م)، وهو ما تشير إليه المذكرة التاريخية الآتية، وأقام به الشيخ حسين بعد بنائه حوالي خمس سنوات، ثم توفي فدفن بالضريح الذي خصص له بهذا المسجد[2].

ويظهر أن ابن القنيش هذا كان ممن يعتقد في الشيخ حسين هذا اعتقادًا صادقًا فقد أنفق في بناء هذا الجامع بسخاء وكرم حتى استطاع أن يظهره بمظهر تعالى على مجموع المساجد التي بنيت في هذه الحقبة، ويبدو ذلك واضحًا بصورة مكبرة في مدخل هذا الجامع، وواجهتيه وسبيله وكتابيه ومئذنته الرشيقة، وتصميم المسجد وبلاطاته وسماواته وأخشابه ومنبره الفاخر وصحنه ونقوشه وزخارفه وقبة الضريح إلى غير ذلك من مفرداته.

تجديد المسجد

وقد ظل هذا الجامع مقام الشعائر مقصودًا بالزيارة فيه ضريح الشيخ حسين حتى سقط سقفه بالمصلين في سنة (١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م)، فصدر أمر الملك المنعم العادل فؤاد الأول رحمه الله بتجديد المسجد وتوسيعه وإعادة بنائه، فقامت وزارة الأوقاف بانتزاع ما يجاوره من المساكن والمحلات لزيادة مساحته ثم جددته تجديدًا ملائمًا، وقد توقف السير في عمارته لمدة ثلاث سنوات تبتدئ من سنة (١٣٥٠هـ/ ١٩٢١م) لخلاف قام بين الوزارة والمعلم المقاول بشأن عمد المسجد وأسطواناته؛ وانتهى هذا الخلاف بحكم المحكمة واستؤنف العمل بعد، وقد بلغت المساحة التي يشغلها الجامع بعد هذا التجديد إلى ١٢٦٤مترًا بعد أن كانت مساحته ٨٤٣ مترًا[3].

(١) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٤: ١٠٨؛ عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**، مج. ١: ٢٧٦-٢٨٠.

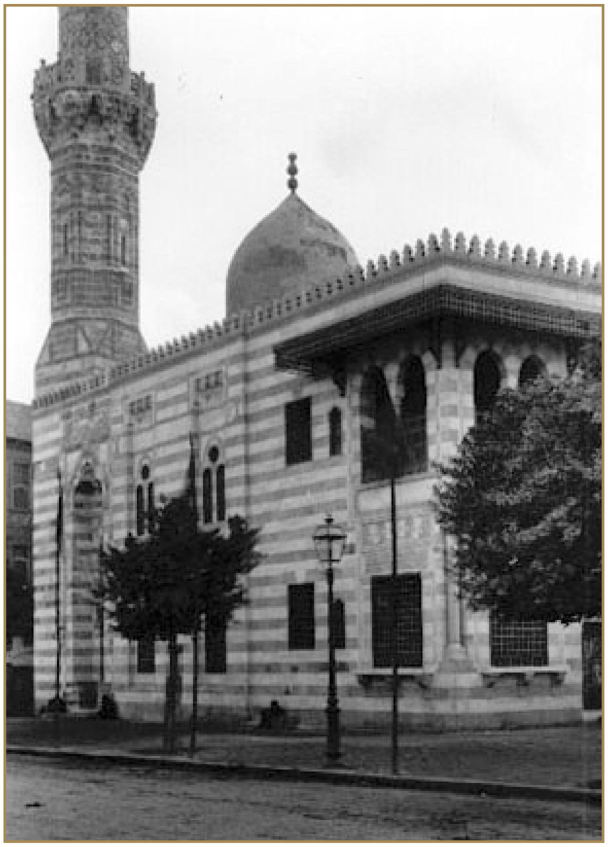
(٢) أبو المواهب عبد الوهاب أحمد بن الأنصاري الشافعي المصري المعروف بالشعراني، **الطبقات الكبرى المسماة، بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار: وبالهامش الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية** (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٨): ١٠١.

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٢٤٧، هامش ٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٢٠٢، هامش ١.

والمسجد بعد هذه العمارة يتكون من أربعة بلاطات يعلوها سقف مرفوعة على أسطوانات يبلغ عددها ٢٨ أسطوانة فوقها عقود مبنية من الحجر الملون يتخللها بساتيل منقوشة، والسقف جميعها ملبسة بسماوات، وتكسو جدران بيت الصلاة طبقة من الرخام الملون، كما غشي المحراب بقطع الرخام الملون الدقيق وزخرف بالطرز المقومة بآيات كريمة.

وأصلح المنبر المصنوع من خشب الساج الهندي المطعم بالسن المنقوش، ونظمت كسوته وحشواته حتى عاد إليه بهاؤه ورونقه بحيث أصبح يعادل المنابر الممتازة الفاخرة المتقدمة عليه، وجددت قبة الشيخ المجاورة لبيت الصلاة من الجهة البحرية، وقومت المئذنة الرشيقة التي تعلو الركن الشمالي للباب البحري، وزيدت أبواب المسجد وواجهاته، فبني في نواحيه الثلاث ثلاث واجهات على مثال الواجهة البحرية القديمة بارتفاع ثلاثة عشر مترًا ونصف المتر من منسوب الطريق؛ وبني في الجهة القبلية والغربية بابان على مثال الباب البحري الشارع في الطريق العام ووضع في كل واجهة من الواجهات الثلاث ما يناسبها من الشبابيك الهوائية المفرغة بالجص ومثلها سفلية شبكة، وقوم البابان المستجدان بالزخارف والطرز والمقرنصات، ووضع لتاريخ هذه العمارة مذكرة تاريخية بالجدار القبلي هذا نصها:

أمر بتجديد هذا المسجد وتوسيعه مولانا صاحب الأيادي البيضاء على المعاهد والمساجد والموفق لخدمة كل راكع لله وساجد من أحيا شعائر الدين وأعلى كلمته، وأقام العدل وأصلح رعيته حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول أيد الله ملكه، وحفظ له ولي عهده ووفق رجال حكومته إلى خير



منظر عام لجامع أبو العلا «عن كريسويل»

الأمة وسعادة البلاد وكان البدء في هذا العمل المبرور والأثر المشكور في سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وألف والفراغ منه في سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية

ومثلها مذكرة أخرى بالصحن يقرأ فيها النص السابق مختصرًا، ويوجد بطراز يحيط بالقبة من الداخل نصٌّ آخر لمنشئ المسجد يبتدئ بالبسملة، ثم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ . وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف/ ١٩٦-١٩٧]، ثم ينتهي من أعلى بما نصه:

أنشأ هذا المكان المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى الخواجا نور الدين علي بن المرحوم شمس الدين

محمد بن القنيش غفر الله له ولسيدنا ومولانا الشيخ حسين أبا علي نفعنا الله ببركاته في الدنيا والآخرة.

وقد بلغت نفقات العمارة جميعها زهاء السبعة عشر ألفًا من الجنيهات، ولما انتهت هذه العمارة افتتح الجامع رسميًّا بحضور جلالة الملك الصالح المتوكل على الله فاروق الأول في يوم الجمعة ١٥ من ربيع الأول سنة (١٣٥٥هـ)/ ٥ يونية سنة (١٩٣٦م).

الشيخ أبو العلا

والشيخ حسين أبو علي الثاوي بهذا المسجد، هو أحد صلحاء القرن التاسع الهجري انفرد الشعراني بذكر طرف من أخباره نقلاً عن بعض أصحابه، ويؤخذ مما ذكره أنه كان أميًّا صالحًا معتقدًا من أهل عصره، وقد فات العلامة السخاوي أن يذكر هذا الشيخ في كتابه الضوء اللامع الذي خصصه لعموم أهل القرن التاسع مع شهرته وظهوره.

ورأيت في مناقب هذا الشيخ رسالة مطبوعة منذ ٢٠ عامًا- ذكر فيها كاتبًا نسبة هذا الشيخ إلى الإمام الحسين من طريق مجهول، وأنه مكي الأصل أحمدي الطريقة إلى أخبار من هذا النوع والمؤكد أنها موضوعة، وقد دفن بهذا المسجد إلى جانب الشيخ حسين أبو علي، الشيخ أحمد الكعكي أحد أصحابه توفي سنة (٩٥٢هـ/ ١٥٤٥م)[1]، والشيخ عبيد من أصحابه الأولين، ودفن عنده السيد مصطفى البولاقي بن رمضان بن عبد الكريم بن سليمان البرلسي بن رجب بن عبد العظيم بن عميرة ينتهي نسبه في عيسى نجم الدين البرلسي من ذرية موسى أخي الشيخ إبراهيم الدسوقي، أخذ عن السيد صالح السباعي والأمير الصغير والقويسني، وعنه الشيخ عيسى والعدوي والحمزاوي وتعين مصححًا بالمطبعة الأميرية، توفي سنة (١٢٦٣هـ/ ١٨٤٦م)، وجاء تاريخ موته:

النعيم	جنة	فردوس	لمصطفى
٢٠١ = ١٢٦٣	٤٥٣	٣٥٠	٣٥٩

وقد تجدد المسجد في عهد السيد مصطفى هذا بأمر من الخديو عباس حلمي الأول ودفن عنده الشيخ علي حكشة الخلوتي، أحد صحابة الشيخ صالح السباعي توفي سنة (١٢٧١هـ/ ١٨٥٣م)، وجاء تاريخ وفاته:

زينت	عندي	الجنات	لقدومه
٤٦٧ = ١٢٧١	١٣٤	٤٨٥	١٨٥

وقد كتب هذان التاريخان مع أبيات أخرى على ضريحهما، ودفن عنده الشيخ محمد رمضان البولاقي الشافعي أحد علماء الأزهر؛ وكان يؤدب الأطفال بهذا الجامع ويعلمهم القرآن والعربية، ثم سلك طريق التصوف حتى صار معتقدًا من الناس؛ وكان الخديو إسماعيل يعظمه وينوه بشأنه وما برح مقيمًا بهذا الجامع حتى مات في ٨ من ذي الحجة سنة (١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م).

ويذكر عنه أنه كان ميالاً لفعل الخيرات وعمل المبرات، فجدد هذا الجامع في سنة (١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م)، وجدد جملة مساجد أخرى بناحية بولاق؛ منها مسجد الخطيري في سنة (١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م)، ومسجد ابن الجيعان المعروف بالعلايا شارع سوق العصر في سنة (١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م) إلى مساجد أخرى [انظر مساجد حي بولاق][2].

(١) كان ضريحه تجاه مسجد الخطيري إلى جانب منزل أمينة عثمان علي العليمي، وفي سنة (١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م) هدم الضريح لتوسعة الشارع، ونقل الشيخ المذكور إلى مسجد أبي العلا، تحققت هذا من [السجل رقم ٤٢٩] مبايعات. (المؤلف)

(٢) الشعراني، **الطبقات الكبرى**، مج. ٢: ١٠١.

جامع سعيد السعداء (الخانقاه الصلاحية)

أثر رقم ٤٨٠ (سنة ٨٩٥هـ/ ١٤٩٠م)

هـــذا الجامـــع كان في الأصـــل دارًا للأســـتاذ عنبر المستنصري المقتول في سنة (٥٤٤هـ/ ١١٤٩م) الملقب بسعيد السعداء، وســـكنها الوزير رزيك بن الصالح طلائع لقربها من دار الوزارة مقر جلوســـه للحكم، وقـــد جعل بينهما طريقًا تحت الأرض «مخبأ» ليمر منه محتجبًا مخافة القتل، ثم سكنها بعده الوزير شاور بن مجير السعدي ثم ابنه الكامل.

وفي ســـنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) حولهـــا الملـــك النـــاصر صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى مدرسة للصوفية وأوقف عليهـــا أوقافًا دارة بالقاهرة وخارجها، وأضاف إليها جناحًا خاصًّا جعله ملجأ للطلبـــة الواردين من الأقطار الشرقية، وبنى لســـكنى الصوفية مســـاكن ألحق بها مرافق كاملة؛ واشـــتهرت هذه المدرسة اشـــتهارًا كبيرًا وعرفت بالخانقاه الصلاحية، وبلغت درجة شـــيخها مبلغ درجة الوزير وتولى مشـــيختها طائفة مـــن العلماء المبرزين أمثـــال بنو حمويه الجويني، ولقب شيخها بشيخ الشيوخ وكانت له الكلمة العليا والإرادة النافذة والشـــفاعة المقبولة في جميع الأمور ودرس بها طائفة من كبار العلماء من القاهرة ومن غيرها وكان لا يتولى نظارة أوقافها إلا الوزراء، وبقيت هذه المدرســـة قائمة برســـومها حتى حين، ولم يكن بها في بادئ الأمر خطبة؛ ففي ســـنة (٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م) أحدث شـــيخها لذلك العهد المدعو الشيخ أحمد الأنصاري المتوفى سنة (٧٩٧هـ/ ١٣٩٥م) خطبة وجعل بها منبرًا واســـتصدر أمـــرًا من الملك الظاهر برقوق بإقامة الخطبة فيها، فرســـم له بذلك ومنذ ذلك الحين ظهرت هذه المدرســـة كمســـجد جامع للصلوات الخمس ومعهدًا للدرس والتعليم في فنون شتى[١].

تجديد الدار السعيدية

في ســـنة (٥٩٣هـ/ ١١٩٧م) أمر الملك العزيز عثمان بن الملك الناصر صلاح الدين بتجديد دار ســـعيد الســـعداء، ووقف عليها أوقافًا تحررت بها وقفية في ربيع الأول ســـنة (٥٩٤هـ/ ١١٩٨م)، وجدد مـــا وقفه عليها أبوه من قبل، ومن الأعيان التي دخلت في ضمن هذا الوقف وكالة بدسوق وجد على أسكفة بابها مذكرة تاريخية بالخط النسخ الأيوبي تفيد أنه جدد بابها وهذا نصها:

> **العـــزة لله وحده، اللّٰهُمَّ ارحـــم الملك الناصر صلاح الدنيـــا والدين ورضي عنـــه الذي أنعم على الصوفية العجم بهـــذه القيصرية وأوقفهـــا على بيعتهم التي تعرف بدار الســـعيد الســـعداء بمحروسة القاهرة وقد أمر بهذا الباب الجديد والفتح الســـعيد ســـيد**

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٧٢٧- ٧٣٢.

الملوك والعبيد عماد الدنيا والدين سـلطان الإسلام والمسـلمين عضد الدولة القاهرة تـاج الملة الزاهر نظـام العالم ملك المعالي الملـك العزيز عثمان بن يوسف بن أيوب ظهير أمير المؤمنين خلد الله ملكه في تاريخ ربيع الأول سـنة أربع وتسعين وخمسمائة وصلى الله على محمد وآله وأصحابه أجمعين

وفي سـنة (٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م) تولى نظارة أوقافها الوزير يلبغا السـالمي وزير الملك الظاهر برقـوق؛ فنظم أوقافها وأحدث بها بعـض التجديدات[١]، ولم يحـدث بها تغييرًا لمعالمها إلا في سنة (٨٩٥هـ/ ١٤٩٠م) حينما تولى نظارة أوقافها الأمير تغري بردي القادري دوادار الملك الأشرف قايتباي، ثم أسـتادار الملك الأشرف قانصوه الغوري المتوفى سـنة (٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، فقد جددها رأسًـا على عقب وغير معالمها جملة، وقد أشار السخاوي إلى ما طرأ عليها من هذا التغيير بقوله: «وعمر سعيد السـعداء وغير كثيرًا من معالمها وغير بابها وعمر مطهرتها»[٢].

والظاهر أنـه لم يحدث بعد هـذا التغيير أي تجديد يذكر خلا ترميمات، ويدخل إلى هذا الجامع من باب شارع في الطريق، ومنه إلى طرقة فصحن فسـيح، تتوسطه ميضأة حديثة، ويحيط بـه أربعة بلاطات اثنـان منها متقابلان يوازي أحدهمـا الآخر؛ وفي كل منها ثلاثـة أروقة محمولة على دعائم حجرية؛ تعلوها أقواس، وفي الشرقي منبر حديث الصنع، والغـربي معطل والبلاط البحري متخرب؛ والقبلي مرفوع على سـت أسـطوانات رخامية فوقها عقود مقوسة، والجامع بالصورة التي هو عليها أثر من آثار الأمير المذكورة بيد أنه تقادم، ومما تجدر الإشارة إليه، أن الوزير علي مبارك باشا رحمه الله قد التبس عليه الأمر في دار سعيد السعداء هذه بحوش سـعيد السـعداء بباب النصر؛ ونتج عن هذا الالتباس أنه ذكر أكثر من دفن بالتربة السعيدية من رجال القرن التاسـع؛ مدفونًا بهذا المسجد والصواب دفنه بالتربة المشار إليها [انظر هذه التربة في مزارات قرافة باب النصر].

تغري بردي

ومجدد هـذا الأثر هو الأمير تغري بـردي الظاهري ولد قبل سـنة (٨٣٠هـ/ ١٤٢٧م)؛ وعانى طلب العلم قليلاً ثم سلك الوظائف الحكومية فصار ينتقل من وظيفة إلى أخرى حتى عين خازندارًا للأمير يشـبك، وتولى الأستادارية بعد موته في سـنة (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)، وكانت فيـه فضيلة ومال إلى التصوف، فسـلك طريق القادرية أخذها عن الشريف عبد العزيز بـن محمد بن موسى القـادري؛ وتزوج بأخته حفصة وكانـت له مآثر جمة من فعل الخـير منها: تجديده لجامع الشـيخ عبد القادر الجيلاني ببغداد، وقد سافر إليه غير مرة، وجدد مشـهد الشـافعي وبنى في جواره تربة دفن فيها بعد وفاته، وجدد مشـهد السـيدة نفيسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وبنى بالزاوية القادرية «جامع سـيدي عدي بشـارع القادرية» رواقًا ومسـاكن، وجـدد جوامع شرف الديـن الكردي بالحسـينية؛ وعلي العريان بشـارع باب البحر، والخشابين بدرب سعيدة، وغانم السـعودي بدرب عجور، وطلائع بن رزيك بالسـكة الجديدة، والفتح بعطفة الهوا «شارع تحت الربع»، والغمري بسـويقة أمير الجيوش، والكاملية بشارع بين النهدين؛ وأنشأ في سنة (٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م) مسجدًا بخان الخليلي للدوادار يشبك قرر به الشيخ خلد الوقاد؛ وعهد إليه الملك الأشرف قايتباي بتجديد بعض المسـاجد كجامعه

(١) المرجع السابق: ٧٣٠.
(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٣٠.

الكبير وسلطان شـــاه- وتولى نظارة أوقاف المشاهد وبعض المســـاجد إلى غير ذلك من آثاره توفي سنة (٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، ودفن بتربة بالشافعي[١].

وهذا الأثر ما هو عليه الآن في تجديد الوزير محمد باشا أحد وزراء مصر العثمانيين في ســـنة (١٠١٧هـ/ ١٦٠٨م)، تحقق لي هذا من حجة الكشـــف والعمارة الصادرة في هذا التاريخ والمســـجلة بضبائر محكمة مصر الشرعيـــة [حفظ رقم ١٢٧ ص٦٩٦]، وفيها: أن التجديد شـــمل كل من الإيوانين القبلي والبحري إلى أجزاء أخرى من الإيوانين الشرقي والغربي وعهد الوزير المذكور بهذا التجديد إلى قاضي القسمة، وهذا كلف به كل من المعلم عبد الجـــواد عبد الكريم علي العراقي، والمعلم شمس الدين محمد الطويل، وابن أخيه محمد الطويل المهندس فظهر الأثر بعد تجديده هذا بما نراه ماثلاً حتى اليوم.

(١) المرجع السابق، مج. ٣: ٣٠-٣١.

مسجد الشرفاء بني عجلان

أثر رقم ٣٥٧ (سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م)

هذا المسجد بزقاق تسميه مصلحة التنظيم بزقاق الكامل محمد داخل درب يعرف بالصهريج نسبة إلى «صهريج منجك» بشارع الدحديرة في الجنوب الشرقي للقلعة الصلاحية، وهو عبارة عن مصلى صغيرة يدخل إليها من باب غربي مكتوب عليه في بلاطة من الرخام الأبيض بخط حديث:

هذا مقام الأشراف الكرام

وسقف هذه المصلى معقود بالحجر على شكل قلنسوة، ولها شباك كبير في الجدار الغربي عليه مشبك من الحديد، وفي الشمال الشرقي منها حجرة صغيرة، يتوسطها صندوق من الرخام الأبيض، أقيم على ضريح الشرفاء الذين عرف بهم الأثر، وبينهما فناء مكشوف غير معبد الأرضية.

منشئ هذا الأثر

والذي أنشأ هذا الأثر هو الملك الظاهر برقوق في سنة (٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م) للسيد محمد شمس الدين بن عجلان الشريف الحسيني نقيب أشراف مصر لذلك العهد؛ فجعل منه مسجدًا وتربة لدفنه، وفي سنة (٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م) أصدر السلطان أمره إلى الشريف المذكور بتوليته نقابة الأشراف في دمشق، فهاجر من القاهرة إلى مقر عمله الجديد؛ فوضع يده على المسجد شقيقه السيد صدر الدين بن عجلان وأبوهما السيد عجلان، وقد حل محله شقيقه المذكور في نقابة الأشراف بمصر، وتوفي السيد عجلان هذا وولده صدر الدين فدفنا بالمسجد بالتربة المذكورة؛ ودفن معهما طائفة من الذرية في أوقات مختلفة، ومنذ ذلك الحين عرف المسجد بزاوية الشرفاء بني عجلان، وتنوسي هذا التعريف مع مرور الزمن فعميت حقيقة هذا الأثر على الباحثين وهواة الآثار الإسلامية، ولعلي مبارك باشا وهم فيه كما لغيره.

نسب أسرة بني عجلان

وجماع هذه الأسرة في السيد عجلان هذا؛ وهو ابن علي بن محمد بن جعفر بن حسن بن عباس بن حسن بن حسين المعروف بأبي الجن بن علي بن محمد بن علي بن إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الإمام الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، والمفهوم أن آباءه هاجروا إلى مصر في أوائل القرن الخامس الهجري واكتسبت هذه نسبة الشرف إلى الإمام الحسين من هذا الطريق، ومن طريق السيدة فاطمة ابنة السيد نور الدين أحمد الرفاعي المصري الذي تنسب إليه أسرة محيي الدين الرفاعي بن السيد صدر الدين الرفاعي المدفون بتكية الرفاعية بالقلعة

بقرب الباب المدرج بشارع الباب الجديد، وبانتقال السيد شمس الدين محمد بن عجلان المذكور آنفًا إلى دمشق لتوليه منصب نقابة الأشراف بها كما تقدم؛ تكونت منه أسر معروفة في دمشق إلى اليوم، تولى كثير من أفرادها نقابة الأشراف الأسر الشامية التي تمت إليه أسرة العجلاني والقبيباتي وبيت ابن أبي الجن وأسرة آل حمزة.

وكان لأفراد هذه الأسرة تقدم في العلوم والمعارف، ولي ثمانية منهم نقابة دمشق، وثلاثة قلدوا منصب الفتيا، وغالبهم تولى مشيخة الشيوخ بالديار الشامية. فمن مشهوري أعيانهم السيد راغب العجلاني نقيب أشراف دمشق المتوفى سنة (١٢٦٣هـ/ ١٨٤٧م)، ووالده السيد سعيد مفتي دمشق بن السيد حمزة مفتيها أيضًا وغيرهم، وإلى الآن تزال بقايا صالحة من هذه الأسرة بالشام ويقطن غالبهم في زقاق العامود، ودار الأمير منجك بدمشق.

ضريح الشرفاء بني عجلان بدمياط

ونرى من الواجب علينا منعًا للالتباس أن نذكر ضريحًا آخر عرف بنفس هذه التسمية بمدينة دمياط، بيد أن الأسرتين تتباين كلتاهما عن الأخرى، فبنو عجلان آل دمياط تناسلوا من الشريف عجلان بن رميثة بن أبي نمي ابن الحسين بن علي الأكبر بن أبي عزيز قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن سليمان ابن عبد الله الفاتي أبي الكرام بن موسى الجون بن عبد الله الكامل (المحض) بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب، ومنه في حفيدة الشريف حسن ابن عجلان المتوفى بالقاهرة في جمادى الأولى سنة (٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م)، ودفن بفناء تربة الملك الأشرف برسباي.

وكان للحسن المذكور أبناء ولي منهم بعده الشريف بركات من سنة (٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م) إلى سنة (٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، ثم تولاه أخوه علي وما لبث أن أوغر بعض أعدائه قلب السلطان جقمق عليه فأقاله، ثم أمر بالقبض عليه وعلى أخيه إبراهيم وقادهما إلى مصر، وسجنهما أولاً في برج القلعة ثم نقلهما إلى سجن الإسكندرية، ومنها إلى سجن دمياط فظلا به حتى كانت منيتهما، فمات علي في صفر سنة (٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م)، ومات أخوه إبراهيم في ذي الحجة سنة (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)، وقد دفن كلاهما بهذه التربة التي هي محل هذا البحث، وهي لا تزال موجودة حتى اليوم بالمدينة إلى جانب جامع فتح المراكشي المعروف بأبي المعاطي، وقد ترجم لهما السخاوي في الضوء اللامع والتبر المسبوك قال في التبر المسبوك في وفيات سنة (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م): «إبراهيم بن حسن بن عجلان الحسني المكي، مات في رابع ذي الحجة بثغر دمياط، وكانت منيتهما بها في وقتين مختلفين»[1].

وفي الضوء اللامع: «إبراهيم بن حسن بن عجلان ابن رميثة الحسن المكي، أخو أحمد وبركات وعلي»[2]، ثم ذكر وفاته في التاريخ المتقدم، وفيه: «علي بن حسن بن عجلان ابن رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعيد الحسن بن علي ابن قتادة الحسن المكي أخو إبراهيم وأحمد وبركات من بني عمه وأمه حفيدة مغامس بن رميثة، ولد سنة سبع وثمانمائة تقريبًا بمكة،.... وولي إمرة مكة عن أخيه بركات في جمادى الأولى سنة خمس وأربعين وسافر إلى مكة في رجبها، واستمر إلى أن نقل عنه أعداؤه أشياء أوغروا بها قلب السلطان

(١) السخاوي، **التبر المسبوك**، مج. ٣: ١٠٥.
(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١: ٤١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٦: ٨؛ ابن تغري بردي، **حوادث الدهور**، مج. ١: ٢٩١.

«الظاهر جقمق» فقبض عليه وعلى أخيه إبراهيم في آخرين من جماعتهما في شـــوال سنة ســـت وأربعين، وقدم بهم في البحر إلى الطور فوصلوا القاهرة في ذي الحجة منها فوضعا في برج القلعة،.....ثم أن السلطان نقله مع أخيه وجماعة إلى إسكندرية ثم إلى دمياط فمات بها في أوائل صفر سنة ثلاث وخمسين مسجونًا مطعونًا، رحمه الله وعفا عنه»[1].

(١) السخاوي، **التبر المسبوك**، مج. ٢: ٢٠٥؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٥: ٢١١.

الفصل الثاني

المزارات الإسلامية في القرن العاشر الهجري

جامع أزبك اليوسفي

أثر رقم ٢١١ (سنة ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)

هذا الجامع بشارع بركة الفيل[١]، درب البابا ابن جنكل سابقًا[٢]، أنشأه السيفي أزبك اليوسفي أمير مجلس ورأس نوبة النوب الأشرفي؛ شرع في إنشائه في أوائل سنة (٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)، وكمل في شعبان من هذه السنة، وأنشأ في جانبه سبيلاً وكتابًا، وفي جانبه الآخر تربة تعلوها قبة وحوضًا، وجعل منه مدرسة جامعة ومسجدًا جامعًا.

وهو جامع ظريف بهيج جمع إلى كثير من محاسن الفن؛ عهد منشؤه ببنائه إلى معلم السلطان البدر حسن بن الطولوني[٣]، أبرز مهندسي هذا العصر المعماريين فجعل منه شكلاً يتفق مع رغبة المنشئ في ظهوره بالطابع السلطاني الراقي، والمفهوم أن الأمير أزبك خرج عن جزء كبير من ماله لبناء هذا الجامع، وهذا ما يظهر واضحًا في حجارته المنتقاه من المحاجر الخاصة؛ كمحجر بني سويف أو المنيا، كما أن نجارته جاءت دقيقة جدًّا، و روعي فيها حسن التنسيق وبراعة الوضع، أما زخارفه فأهم ما يلفت النظر فيها تلك الزخارف الحجرية التي تزين واجهات الصحن الأربع، ونجد في بدن المئذنة لونًا من النقوش الحجرية قد لا نجده في كثير من الآثار الأخرى المعاصرة لهذا الأثر.

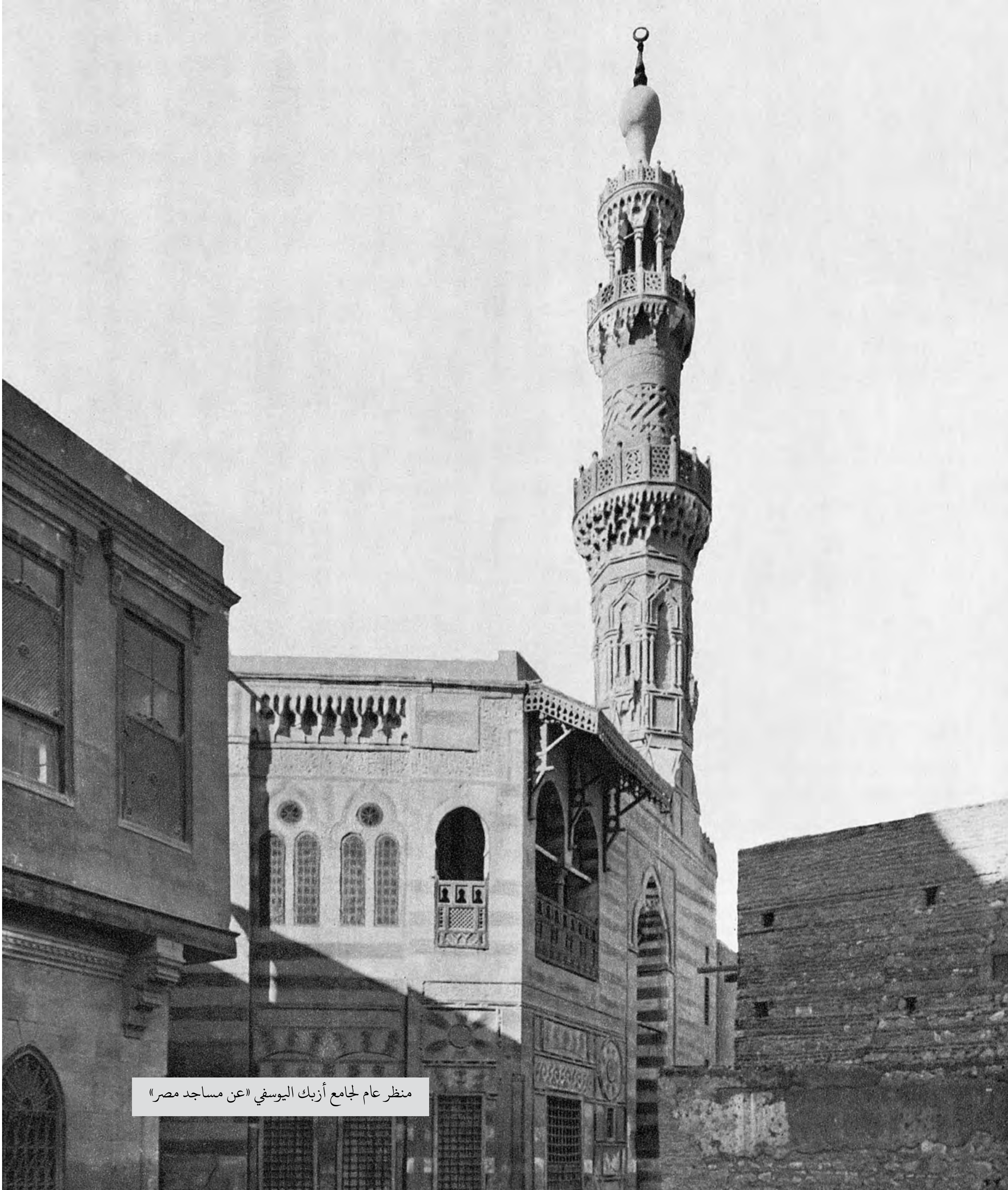
وقد استطاع المهندس المذكور أن يظهر بهذا الأثر في وضع متناسب متناسق؛ فميز الإيوان الشرقي بمنبر من الخشب النقي الملبس بمواد ثمينة وبأربع ثريات بشبكات من الحسك، وبأسفلها أربع كوات بواجهات منقوشة بالجص من الداخل.

---

(١) بركة الفيل: تشغل الآن المساحة المحصورة بين شارع عبد المجيد اللبان في الجنوب وشارع نور الظلام في الشمال الشرقي، ثم تتسع شمالاً وتمتد حتى جامع قوصون وغربًا حتى شارع اللبودية والخليج المصري، وعرفت ببركة الفيل لإنشاء الوالي الأموي عبد العزيز بن مروان عام (٩٦هـ/ ٧١٤م) دارًا سميت بالفيل، ثم على نفس الموقع بنى كافور الإخشيدى دارًا بنفس الاسم عام (٣٤٠هـ/٩٥١م)، انظر: شفيقة قرني سيد، دراسة أثرية عمرانية لشارع الصليبة بالقاهرة حتى العصر المملوكي الجركسي (رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٣): ٢، ٤.

(٢) ينسب إلى الأمير جنكلي بن محمد بن البابا بن جنكلي بن خليل بن عبد الله بدر الدين العجل رأس الميمنة وكبير الأمراء الناصرية محمد بن قلاوون توفي عام (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م)، انظر: المقريزي، الخطط المقريزية، مج. ٣: ٤٤٦- ٤٤٨؛ علي مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة الشهيرة، مج. ٣ (د.م.، د.ت.): ٢٣٥.

(٣) ينسب إلى أسرة الطولوني الشهيرة والتي توارثت المهنة وأشهرهم شهاب الدين أحمد الطولوني، والسلطان البدر حسن بن الطولوني وذلك في العصر المملوكي، انظر: خالد عزب، **تراث العمارة الإسلامية** (القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٣): ٢٠.



منظر عام لجامع أزبك اليوسفي «عن مساجد مصر»

وميز الإيوان الغربي بظاهرة غريبة هي إيوان آخر يشابه الإيوان القبلي والبحري، واستخدمه لإقامة دكة المبلغين المصنوعة من الخشب النقي المزخرف، وأقام في ركني الصحن القبلي بابان، يقابلهما شمالاً بابان آخران يفضيان إلى باب المسجد العمومي، وغطى الصحن بسقيفة جعل لها ممرقًا بنوافذ للنور والهواء، ولكي يضاعف النور والهواء زاد بالإيوان الشرقي شباكين شمالاً وجنوبًا.

وميز الباب العمومي بمقرنص وشباك يكتنفه ساريتان من الحجر- وأقام إلى جانبه غربًا مئذنة رشيقة ميزها بسلم مزدوج قد حجب كلاهما عن الآخر، وأقام السبيل والمكتب في الجانب الشرقي الشمالي- وميز واجهته وبابه بحلقة السلطان الملك الأشرف قايتباي[١]، داخل إطار مزخرف بالحجر وطبع على جانبيه شارة المنشئ- وهي كأس كبير يعلوه نجم بين سيفين وأسفله كأس آخر أصغر منه[٢]، وتدل هذه الشارة إلى أسرته التي يمت إليها [انظر مبحث شارات الجراكسة في كتابنا السالف الذكر].

وفتح في نهاية الواجهة الشرقية إلى جهة الجنوب بابًا آخر يفضي إلى دار الوضوء والمرافق وأقام في الجانب الآخر غربي الباب العمومي قبة يجاورها حوض يعلوه بيت للسكن، بيد أن هذه القبة لا نستطيع مع الأسف وصفها إذ إن الزمن قد عدا عليها فأبلاها ثم أخفاها، وغلف مغلاقا الباب العمومي بطبقة من النحاس الأصفر يعلوها حزام في مقابله حزام آخر، وهكذا ظهر هذا المسجد في مصاف المساجد التي لا يوجد لدينا منها إلا العدد القليل.

المذكرات التاريخية

ولكي يحقق فكرة المنشئ في تخليد اسمه بخلود هذا الأثر وبقائه ماثلاً، رسم إليه أن يكثر من المذكرات التاريخية لتبقى سجلاً للتاريخ للأجيال القادمة، فمهد حسن بن الطولوني ذلكم المهندس البارع إلى وضعها في كل بناء مستقل عن الآخر من ملحقات المسجد، مثال ذلك أنه وضع في الواجهة الشرقية مذكرتين علوية وسفلية، وعلى واجهة السبيل وعلى جانبي الباب العمومي ومغلاقه والصحن وبيت الصلاة والمنبر والمئذنة وبابي الصحن والدكة.

والمفهوم أنه كان يضع هذه المذكرات إثر الفراغ من عملية البناء مباشرة ويتجلى ذلك بوضوح فيما يلي من هذه النصوص.

الواجهة الشرقية

البسملة. أوائل سورة الفتح- أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة المقر الأشرف الكريمي العالي المولوي السيدي السندي أزبك اليوسفي أمير رأس نوبة النوب الملكي الأشرفي[٣] أعز الله أنصاره بمحمد وآله بتاريخ جمادى الآخرة في سنة تسعمائة الهجرية.

(١) المقصود هنا الرنك الكتابي أو الشارة الخاصة بالسلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي، والرنك لفظ فارسي معناه اللون وهو شعار الأمير أو الملك، انظر: محمد محمد أمين، وليلى عبد اللطيف، **معجم مصطلحات العمارة المملوكية** (القاهرة: دار النشر بالجامعة الأمريكية، ١٩٩٠): ٥٦، ٥٧.

(٢) شارة الكأس ترمز إلى وظيفة الساقي والسيف إلى وظيفة السيفي أوالسلحدار وهو رنك مصور، انظر: المرجع السابق.

(٣) كان لقب الأشرف من ألقاب التوابع، وكان يضاف إليه ياء النسبة، وهنا ينسب أزبك اليوسفي إلى سلطانه الأشرف قايتباي، انظر: حسن الباشا، **الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار** (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٥): ١٦٠، ١٦١.

أمر بإنشــاء هذه المدرســة المباركــة المقر الأشرف الكريم العالي الســيفي[1]. أزبك اليوسفي أمير رأس نوبــة النوب الملكي الأشرفي أعــز الله أنصاره. وكان الفراغ من هذا المكان المبارك في شــهر رجب الفرد. ســنة تســعمائة من الهجرة النبوية وصلى الله على سيدنا محمد والحمد لله وحده.

السبيل

البســملة. إن الأبرار يسقون من كأس كان مزاجها زنجبيلاً إلى مستطيرًا. صدق الله العظيم أمر بإنشاء هذا الســبيل المبارك المقر الأشرف الكريم السيفي أزبك اليوسفي أمير رأس نوبة النوب الملكي الأشرفي أعز الله أنصاره.

الباب العمومي

البسملة. إنما يعمر مساجد الله- إلى المهتدين أمر بإنشاء هذا المســجد الجامع المقر الأشرف الكريم العالي السيفي أزبك اليوسفي أمير رأس نوبة النواب الملكي الأشرفي بتاريخ شــهر شــعبان المكرم ســنة تسعمائة الهجرية.

مغلاق الباب العمومي

أنشــأ هذا الباب المبارك من فضــل الله تعالى المقر الأشرف الكريم العالي المولــوي[2]. المالكي الأميري الكبــيري المخــدومي المحترمي العالــمي العاملي..

الســيفي أزبك اليوســفي رأس نوبة النــواب الملكي الأشرفي. وكان الفراغ في مستهل شهر شعبان المعظم قدره سنة تسعمائة.

الباب البحري من الداخل

أمر بإنشاء هذه المدرســة المباركة العبد الفقير إلى الله تعــالى المقــر الأشرف الكريم العالي الســيفي أزبك اليوسفي أمير رأس النوب الملكي الأشرفي وكان الفراغ في شهر رجب سنة تسعمائة الهجرية

طراز بالصحن

البسملة. إن في خلق الســموات والأرض إلخ.. أمر بإنشاء هذه المدرســة المباركة المقر الأشرف الكريم العالي[3]. المولوي الســيفي أزبك اليوسفي أمير رأس نوبة النواب الملكي الأشرفي[4]

وكان الفراغ في شهر شعبان سنة تسعمائة من الهجرة النبوية- أعز الله أنصاره بمحمد وآله

المنبر

أمر بإنشاء هذا المنبر المبارك المقر الأشرف الكريم[5] العالي الســيفي. أزبك اليوســفي رأس نوبة النوب الملكي الأشرفي عز نصره.

(١) من الألقاب التي تحمل معنى الحرب وصار في عهد المماليك من الألقاب الملكية، انظر: المرجع السابق.

(٢) لقب يطلق على السيد والمملوك وأصله في اللغة المولى، وأضاف إليه ياء النسبة فأصبح المولوي، وكان في العصر المملوكي من ألقاب السلطان وكبار رجال الدولة، انظر: المرجع السابق: ٥١٨، ٦١٥.

(٣) العالي من ألقاب الفروع في عصر المماليك، وهو من ألقاب السلطان ونوابه، انظر: المرجع السابق: ٣٩٠، ٣٩١.

(٤) الملكي لقب يطلق على الرئيس الأعلى للسلطة الزمنية، وجاء مضافًا إليه ياء النسبة فأصله ملك، والمقصود هنا نسبة أزبك إلى ملكه السلطان قايتباي، انظر: المرجع السابق: ٤٩٦.

(٥) الكريم من الألقاب التي استعملت في المكاتبات، وكانت تضاف إلى ألقاب أخرى مثل الجناب الكريم العالي، انظر: المرجع السابق: ٢٤١، ٢٤٢.

تجديد المسجد

ولم يطرأ على هذا الأثر ما يغير معالمه؛ خلا بعض ترميمات في أوقات آخرها سنة (١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م)، والجانب الغربي منه في حاجة إلى عناية أتم، كما أن قمة المئذنة مفقودة ومتغيرة.

ترجمة المنشئ

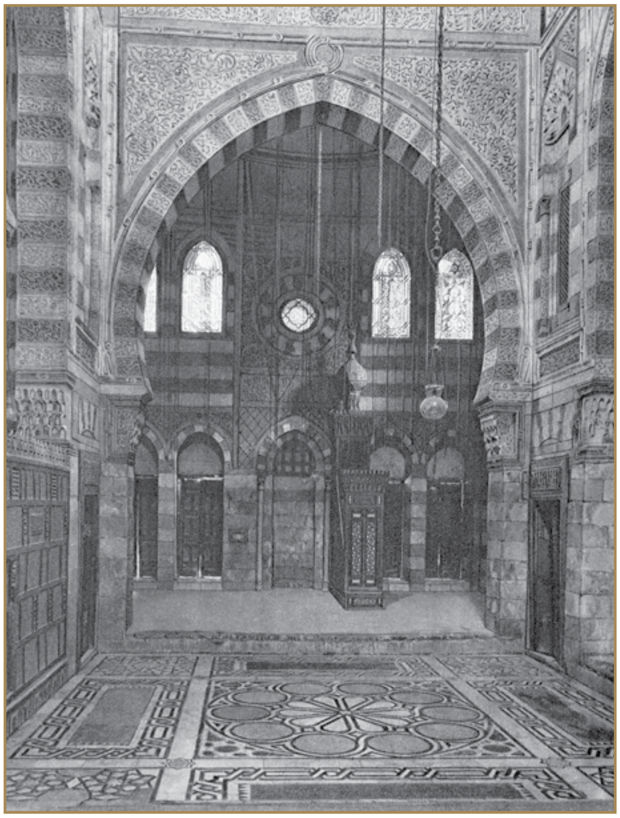
منشئ هذا الأثر جركسي الأصل استقدمه الملك العزيز عثمان بن الملك الأشرف برسباي في سنة (٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م)، فاتصل بخدمة الأمير جقمق العلائي، أتابك العساكر المصرية؛ وظل في خدمته حتى آل ملك مصر إليه فقربه وعينه خاصكيًّا «من عسكر الخاص»، ثم ترقى عنده في الخدمة حتى بلغ خازندارًا، ولبث كذلك حتى آل ملك مصر إلى الملك الأشرفي قايتباي وكان من أنصاره فقربه إليه وعينه ناظرًا لخاصته، ثم أنعم عليه برتبة مقدم ألف؛ وهي تعادل «فريق أو لواء»، ثم استقر به رأس نوبة النوب أي الحاكم العام على العساكر السلطانية المنوط بهم حراسة السلطان، وهي طائفة من العسكر الممتازين يبلغ عددها إلى كتيبة.

ويؤخذ مما ذكره المقريزي أن النوبة طائفة من العسكر وظيفتها حراسة القصور السلطانية بالليل والنهار يتناوبون الحراسة فيما بينهم، ويقال لهم أرباب النوبة، فطائفة النهار تلازم حراسة القصر وحراسة السلطان في غدوه ورواحه؛ وطائفة الليل تسهر حول السلطان، ويكون الليل مقسومًا بينها بساعات الرمل، ويعد لهم من الأسمطة الفاخرة ما يتشاغلون بأكلها عن النوم، ومن المصاحف الكريمة مجموعة كبيرة يقرؤن فيها، وهكذا تقضي هذه الطائفة من العسكر بين ما لذ وطاب من الأكل وحلي من الشراب، وبين الصلاة وقراءة القرآن، وبين اللعب بالشطرنج، وهذا أبلغ ما وصل إليه الترفيه عن الجنود بصورة مرضية في حدود الخدمة في تلك العصور.

وعلى رأس كل مائة منهم؛ مقدم برتبة أمير مائة يقال له رأس نوبة وعلى كل ألف مقدم برتبة أمير ألف يقال له رأس نوبة النوب، وتعادل وظيفته «قومندان الحرس الملكي»، ورتبة فريق أو لواء وهذه الوظيفة قديمة في رسوم الملك وجدت في أزهى عصور الإسلام ووضع لها الملك الظاهر بيبرس نظامًا خاصًّا توسع به عما كانت عليه من قبل في عهد الدولتين الفاطمية والأيوبية [انظر كتاب الألقاب والجندية للمؤلف].

وقد بقي المنشئ على هذا المنصب حتى مات الملك الأشرف قايتباي فعينه ابنه الملك الناصر محمد أمير مجلس كبير، ثم ما لبث أن جعله مشيرًا للدولة، فعلا نجمه علوًّا زائدًا، بيد أنه لم يلبث حتى أفل فتقاعد حتى مات في رمضان سنة (٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م)، وأمر السلطان أبو سعيد قانصوه بتشييع جنازته رسميًّا وحضر الصلاة عليه في بيته بصليبة ابن طولون؛ ودفن في القبة المذكورة، ورسم السلطان إثر وفاته، بنقل رفات ابن أخيه المقر فرج وخوند سلطان إلى تربة المنشئ، بيد أنه حالت موانع دون دفنهما في تربته، فأعد لهما قبر يعلوه تركيبة من الرخام في متوسط الإيوان البحري؛ وأحيط عليه بمقصورة من الخشب النقي، وما يزال هذا القبر ماثلاً يقرأ عليه في بلاطة من الرخام ما نصه:

كل نفس ذائقة الموت، مما عمل برسم المقر المرحوم سيدي فرج بن المرحوم السيفي تنم كافل المملكة


إيوان لجامع أزبك اليوسفي «عن مساجد مصر»

الشامية كان تغمدهم الله برحمته بتاريخ حادي عشر ربيع الأول سنة ثمان وثمان مائة من الهجرة.

وعلى واجهة المقصورة كتابة يقرؤ فيها:

توفيت المرحومة خوند سلطان.. بنت المقر الأشرف السيفي أزبك اليوسفي توفيت في ثاني ربيع الأول سنة تسع وسبعين وثمان مائة.

ولم يترجم السخاوي في الضوء اللامع للأمير أزبك هذا مع شهرته[١]، وترجم لزميليه الأمير أزبك اليوسفي الخازندار، والأمير أزبك من ططخ الأشرفي صاحب الجامع الذي كان في محل عمارتي الأوقاف بين مدخل شارع محمد علي وشارع مورجان أو المرجان قسم الموسكي المنشأ في سنة (٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م) [انظر جامع أزبك الأزبكية] وقد أفاض في ترجمة الأخير، ورأيناه يسمي أزبك هذا بأزبك قشق، ومعناه الصغير[٢].

ويقول إنه ممن جلب هو وأزبك اليوسفي الخازندار في الأيام العزيزية، أي في عهد الملك العزيز يوسف بن الأشرف برسباي [انظر المصدر المشار إليه] وترجم ابن إياس في تاريخ مصر المسمى خطأً ببدائع الزهور في وقائع الدهور «اسم كتاب له آخر» لأزبك المنشئ ترجمة مقتضبة[٣]. [نظر كتاب الألقاب والجندية للمؤلف].

(١) معنى أزبك هو أمير نبيل أو أصيل بالتركي، انظر: عبد الله عطية عبد الحافظ، «معجم أسماء سلاطين وأمراء المماليك بمصر والشام»، في **المؤتمر الحادى عشر للاتحاد العام للآثاريين العرب**، مج. ٢ (د.م.، ٢٠٠٨): ٦٦٦.

(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٢: ٢٧٠- ٢٧٢؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٤١١- ٤١٢.

(٣) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٤١٤.

قبة أركماس الأشرفي

قبة أثرية (سنة ٩٠٤هـ/ ١٤٩٩م)

هذه القبة بالصوة[(١)] «ســكة المحجر» رقم ١٨ [(٢)]، وهي من الآجر المجصص وواجهتها من الحجر، ويتوســطها قبر عليه صندوق خشــب ملبس بستر يعرف صاحبه بالشيخ «سليمان أبو جاموس»، وبالبحث عن منشأ هذه القبة وجد بها بقية من كتابــة تاريخية تحيط برقبتها من الداخل تفيد أنها من عصر الملك الظاهر قانصوه الغوري الأول الذي تولى ملك مصر في ســنة (٩٠٤هـ/ ١٤٩٩م) ولــم يلبث أن قتل[(٣)]، ومنشؤها هو الأمير أركماس الأشرفي الملقب بأبي جاموس، وقد تجددت هذه القبة في سنة (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م).

(١) الصوة هي ربوة مرتفعة ونتوء طبيعي تجاه قلعة صلاح الدين أنشأ عليها السلطان المؤيد شيخ بيمارستانه في موقع المدرسة الأشرفية التي أنشأها السلطان شعبان بن حسين، انظر: فهمي عبد العليم، **العمارة الإسلامية في عصر المماليك الجراكسة: عصر السلطان المؤيد شيخ**، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية (القاهرة: وزارة الثقافة. المجلس الأعلى للآثار، [٢٠٠٣]): ٤٣.

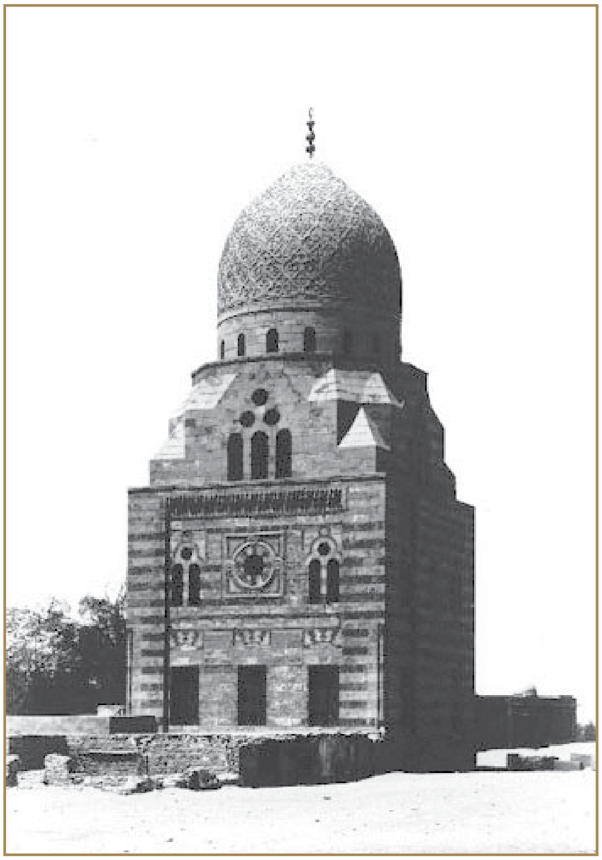
(٢) سكة المحجر أوله قبلي جامع أيتمش تجاه درب كحيل وآخره زاوية الشيخ حسن الرومي، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ٢٨٤؛ ومكان القبة الآن أمام دار المحفوظات بالخليفة.

(٣) هو الملك الظاهر قانصوه أبوسعيد الأشرف وليس الغورى الأول والمعروف بيخشى لأنه كان مسلوب الاختيار مع الأمراء فسمته العوام يخشى وله قبة أخرى بشرق تربة السلطان أحمد بمنشية ناصر بقرافة المماليك الشرقية بنفس التاريخ (٩٠٤هـ/ ١٤٩٩م) وهو منشئ تلك القبة، انظر: أحمد عبد الرازق أحمد، **تاريخ وآثار مصر الإسلامية في العصرين الأيوبي والمملوكي** (القاهرة: كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠٠٧): ٢٨٣؛ جاب الله علي جاب الله، **دليل الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة** (القاهرة: مجلس الوزراء، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، برنامج الثقافة والتراث، ٢٠٠٠).

قبة طومان باي

أثر رقم ٢ (سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠١م)

هــذه القبة بأرض المطعم الســلطاني بنهاية شــارع العباســية البحري في طريق ثكنات الجيش الإنجليزي[١]، أنشــأها الملك العادل طومــان بــاي الأول؛ كتربة لدفنه ومسجد جامع للصلاة، ومدرسة للتصوف وابتدأ بإنشائها في أول ســنة (٩٠٦هـ/ ١٥٠١م) وتمــت في رمضان من تلك الســنة؛ وأوقف عليهــا إقطاعه بناحيــة سرس بالمنوفية؛ وصدر بهذا الوقف حجة شرعية مؤرخة في ١٣ رمضان سنة (٩٠٦هـ/ ١٥٠١م).



منظر عام لقبة طومان باي «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

ظهر من كلام ابن إيــاس في تاريخه أنها من تصميم المهندس حســن الصيــاد المعلم المعروف، وهو من أشــهر مهندسي هذا العصر؛ واستخدمه السلطان الغوري في بعض مبانيه، ويذكر المؤرخــون أنه قدم نموذجًا من الجص لمدينة الإســكندرية بأبراجها وأبوابها وأســوارها وفنارها طولاً وعرضًا وقدمه للســلطان هدية فأعجــب به وأجازه عليه [انظر ابــن إياس][٢]، وقد دفن في هــذه القبة في جوار قبر الملك العادل الأمير دولات باي أركماس الســاقي مات في

(١) وإلى الآن هي منطقة عسكرية، انظر: المرجع السابق: ١٥٩، ١٦١.

(٢) محمد بن أحمد بن إياس، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق محمد مصطفى، مج. ٤ (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٤): ١٩٦.

صفر سنة (٩١٧هـ/ ١٥١١م) ويؤكد ابن إياس أنه يمت بصلة القرابة إلى الملك المذكور[١].

وهذه القبة عامرة وتقام فيها الشعائر، وهي من طراز قباب القرن العاشر تقوم على قاعدة من الحجر، وغطاؤها بصلي الشكل مزخرف بنقوش وأشكال هندسية، ويحيط برقبتها مذكرة تاريخية يقرؤ فيها ما خلاصته.

البسملة. أمر بإنشاء هذه القبة المباركة السلطان الملك المالك العادل أبو النصر طومان[٢] باي أعلى الله سلطانه وعمر بالنجاح آماله وبالسعادة أوطانه وكان الفراغ في شهر رمضان. سنة ست وتسعمائة من الهجرة النبوية.

وقد استخدمت هذه القبة بعد ذهاب دولة الملوك الجركسية محل سمر للأمير خاير بك أول حاكم عثماني على مصر بعد الفتح العثماني؛ ثم أعدها دار ضيافة والقصاد والضيفان.

الملك العادل

ومنشؤها طومان باي؛ تولى ملك مصر بعد الملك الظاهر جان بلاط ولقب بالملك العادل ولم يلبث أن قتل بعد بضعة شهور من توليته، وتزوج بالخوند فاطمة بنت خاص بك مطلقة الملك الأشرف قايتباي ومات عنها في ذي القعدة سنة (٩٠٦هـ/ ١٥٠١م)، فتأيمت بعده ثم ماتت في سنة (٩٠٩هـ/ ١٥٠٤م)، وقد منيت مصر في عصر هذا الملك بانقلاب سياسي خطير، وتأججت فيه نيران الفتن بشكل مثير ولم تهدأ الأعصاب ويعود الأمن إلى نصابه بصورة مرضية إلا في عصر الملك الأشرف قانصوه الغوري[٣].

(١) المرجع السابق، مج. ٤: ٢١٦.

(٢) معنى طومانباي أمير فرقة عسكرية بالتركي، انظر: عبد الحافظ، **معجم أسماء سلاطين وأمراء المماليك بمصر والشام**: ٦٨٧.

(٣) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٤٦٣- ٤٦٤؛ مج. ٤: ٦٤- ٦٥.

جامع بكتمر المؤمني

أثر رقم ١٥٩ (سنة ٩٠٩هـ/ ١٥٤٠م)

هذا الجامع بشـــارع السيدة عائشـــة «عرصة القمح، الرميلة سابقًا»[١]، وهو مســـبوق على القرن العاشر بمرحلة طويلة؛ فمنشـــؤه هو بك تيمور «أمير تيمور»[٢] المؤمني أحد المماليك المنصورية؛ خدم عند المنصور بن الناصر؛ ثم تعين أمير آخور في عهد الملك الأشرف شـعبان، ثم استقر واليًا بالإسكندرية ونائبًا لحلب، وفي عهد الملك المظفر محمد بن حاج تعين أمير طبل ثم مقدمًا ثم شـــادًا للدواوين، وما برح حتى مات في المحرم ســـنة (٧٧١هـ/ ١٣٧٠م)، وقد أنشأ هذا المســـجد في ســـنة (٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م) برسم مصلى للأموات ومســـجد للصلاة وأنشـــأ إلى جانبه الشـــمالي سبيلاً بقي موضعه حتى اليوم، بيد أن هذا المسجد لا يعتبر من منشآت هذا التاريخ لضياع معالمه الأولى بما أصابه من هدم وحرق وتخريب عمدًا لأسباب سياسية.

وقد استخدم هذا المســـجد في عصر منشئه مباشرة مصلى عامًّا لأموات المســـلمين؛ وذلك لقربـــه من القرافة وعـــرف من حينئذ بمصـــلى المؤمني كما عرفت الســـقاية بسبيل المؤمني، فلما طرأ عليه ما طرأ من عوامل التخريب والهدم وأصلحه الســـلطان الغوري عـــرف بجامع الغوري وســـماه علي مبارك باشا في خططه بجامع المتولي تبعًا للعامة ولم يترجم له[٣].

وبالرغم من ســـكوت المقريزي على هذا المسجد رغم شـــهرته فقد ذكره ابن إياس في أكثر من موضع من تاريخه وأفاد أخيرًا أن السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري أمر في سنة (٩٠٩هـ/ ١٥٠٤م) بتجديده وإعادة بنائه فقال: «وجعل ســـقفه معقودًا بالحجر»، وذكره في حوادث شهر صفر سنة (٩٠٩هـ/ ١٥٠٤م) بقوله: «وفيه ابتدأ السلطان بعمارة الميدان

---

(١) رقم الأثر١٤٨ أما ١٥٩ فهو رقم مسجد الغوري بعرب اليسار: دليل الآثار، انظر: جاب الله، **دليل الآثار الإسلامية**.

(٢) هو الأمير بكتمر المؤمني أمير آخور السلطان شعبان بن حسين وليس تيمور وقد توفي بكتمر عام (٧٧٠هـ/ ١٣٦٧م) واسمه بالكامل الأمير سيف الدين بكتمر بن عبد الله المؤمني الأمير الكبير ،وقد ورد اسم الجامع، انظر: ابن إياس، **بدائع الزهور**. باسم سبيل المؤمنين وورد كذلك بهذا الإسم في وقفية السلطان الغورى وذكره علي باشا مبارك بنفس الاسم في خططه، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ٢٨٢؛ محمد إبراهيم عبد العزيز عكاشة، **شارع السيوفية بمدينة القاهرة منذ نشأته وحتى نهاية العصر العثماني بمصر** (رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة جنوب الوادى، د.ت.): ٥٨٥، ٥٨٦.

(٣) فقد ذكره على مبارك باسم جامع المؤمنين وجامع المتولي، وذكر وقفية السلطان الغورى عليه بعد تجديده وفيها: «أنه وقف جميع العمارة المستجدة الإنشاء بأسفل قلعة الجبل بسبيل المؤمنين بظاهر الميدان السلطانى قريبًا من باب السلسلة»، ورقمها في وزارة الأوقاف (٨٨٤)، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ٢٨٢، ٢٨٣.

الذي تحت القلعة؛ فعلا حيطان سوره ورمى في أرضه الطين الكثير قدر أربعة أذرع وجعل ذلــك في الجهة الغربية من الميدان، ثم ســاوى أرضه وفرش بها النقــاوة، ثم شرع في بناء مقعد وبيت بالميدان برسم المحاكمات، وأنشأ في الجهة الغربيــة من الميدان قصرًا حافلاً ومنظرة وبحرة وغير ذلك، ثم شرع في نقل أشجار من سائر الفواكه وأصناف الأزهار والرياحين وغير ذلك، فغرســت بالميدان في الجهة الغربية، ثم أجرى إليه الماء من الســواقي التي بباب القرافة وأجرى إليه الماء أيضًا من السواقي التي بحدرة البقر «شارع السيوفية الآن»، ثم أنشــأ قصرًا على باب الميــدان مطلاًّ على الرميلة، وجعــل للميدان بابًا كبيرًا وعليه سلســلة من حديد»، إلى أن قال: «ثم أمر بعمارة ســبيل المؤمني وعقد سقفه بالحجر النحيت، وأنشــأ إلى جانبــه حوضًا وســاقية، وصنع هناك مغسلاً برســم الأموات وقيل إن السلطان صرف على بناء هذا الميدان من مبتداه إلى منتهاه نحو من ثمانين ألف دينار (أي حوالي ٥٥٠٠ جنيه مصري)»[١].

ويؤخذ من هذه العبارات المذكورة آنفًا أن الســلطان الغوري، جدد إلى جانب هذا الجامع جملة منشآت أخرى، منها مغسل يشــبك، وباب الميدان الطولوني وميدان الملك الكامل.

وقد بقي من عمارة الغوري لهذا المســجد أهمها، وهو جميع إيوان بيت الصلاة ويتألف من رواقين متقابلين يقوم كل رواق منهما على دعامة حجرية في وســطه وقوســين في أعلاه ولكل قوس ســقف معقود بالحجــر، وهذا النوع من العقود لا يوجد في كثير من الآثار الماثلة لدينا المعقودة بهذا النظام وبين الرواقين رواق آخر كسابقيه وفي الصدر محراب من الحجر تكتنفه حلقتان فيهما اســم السلطان الغوري ومثلهما على وجهة الإيوان من الخارج.

تجديد المسجد

وقد طرأ على هذا المســجد عدة إصابات جدد بعدها ثم هدم ثــم جدد ثانية، ففي جمادى الآخرة ســنة (٨٥٩هـ/ ١٤٥٥م) حــدث بــين الملك الأشرف إينــال وبين الخليفة المســتكفي بالله حمزة العباسي جفا وذلك لانضمام الخليفة المذكور إلى حزب مماليــك الملك الظاهر جقمق ملك مصر الســابق الذي ثار على الملك ورام عزله وتولية أحد الأمراء الظاهرية؛ فلما استفحل الأمر بانضمام الخليفة إلى الثائرين عزل الســلطان الخليفة ثم قبض عليه واعتقله في الحوش المجاور لهذا المسجد من ناحيته الغربية بطرف الميدان فلم يكترث الخليفة لما فعله السلطان ورام الخروج من معتقله وثارت ثائرة بين أشــياع الخليفة وأنصــاره وبين المماليك الأشرفية، فأمــر الخليفة أتباعه بحرق المــكان المعتقل فيه فأشعلوا فيه النار، فامتدت حتى وصلت إلى الجامع فأحرقته وأتلفت غالب مفرداته[٢].

فبقي متخربًا حــتى ســنة (٨٧٣هـ/ ١٤٦٩م)، بالرغم من اســتخدامه مصلى للأموات فلما شرع الأمير يشــبك الدوادار في هذه الســنة ببناء مغسل في الجانب القبلي لهذا المسجد لموتى الطاعون الذي حل بالقاهرة وقتئذ؛ جدد هذا المســجد وعمره وأصلح ما أتلفه الحريق منه، وأعاده مصلى كاملة لأموات المســلمين ثانية، كما جدد السبيل وبني إلى جانبه حوضًا لسقيا الحيوانات؛ وأنشأ في الجانب الآخر بجوار المغسل ربعًا لسكني الفقراء والمنقطعين[٣].

(١) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ٥٦.

(٢) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٣٢٧.

(٣) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٣٠.

وفي سـنة (٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م) أمر الأمير أقبردي الدوادار الأشرفي ابن عم الملك الأشرف قايتباي بهدم هذا المسجد بسـبب الخلاف الذي قام بينه وبين العسكر المختبئين فيه وحوصرت فيه القلعة، فلما هدأت الثورة أمر الملك الناصر محمد بـن قايتباي في سـنة (٩٠٣هـ/ ١٤٩٨م) بإعادة بناء ما تهدم منه بصورة وقتية[١].

فبقي حتى جدده الغوري كما تقدم، ورغم اسـتخدام هذا المسجد في عصر الدولة العثمانية كمخبأ أو حصن لمن رام الاختباء فيه أو التحصن به من شـيوخ البلد وأمرائها، وما أصابه من إصابات؛ فقد بقي حافظًا لهذه البقية.

ومنذ خمس سنوات أي في سنة (١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م) قام أهالي وتجار شارع السـيدة عائشة باكتتاب عام فيما بينهم جمعوا فيـه مبلغًا من المال مكنهم من إحـداث دورة مياه صحية بالجانب القبلي من خارج المسـجد وتبليط فنائه، ومن إحداث منبر قصير وكرسي وصندوق، وإصلاح واجهة الباب العمومي؛ ثم خوطب في شـأنه قسم المساجد بوزارة الأوقاف، فضمه إليه وعين له إمامًا خطيبًا وخادمًا وفرشـه بالحصر وأنـاره بالغاز؛ وقامت لجنة حفـظ الآثار العربية بترميم عقود بيت الصلاة.

---

(١) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٣٧١.

جامع قانباي (الرميلة)

أثر رقم ١٣٦ (سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٣م)

هذا الجامع برأس المصنع الظاهري «درب اللبانة»[(١)]، يطل على ميدان سوق الخيل أنشأه الأمير قانباي السيفي أمير آخور الأشرفي برسم مدرسة جامعة[(٢)]، وتم في سنة (٩٠٨هـ/ ١٥٠٣م)، وهو جامع فخم مرتفع عن مستوى الشارع، وبابه شاهق يتحلى بمجموعة من المقرنصات والزخارف الكتابية، وداخله يشتمل على صحن مكشوف تحدق به أربعة أواوين متعامدة، أكبرها الشرقي وفيه المحراب يجاوره منبر دقيق، وبين الإيوان القبلي والشرقي باب نصل منه إلى قبة المنشئ، وهي قبة شاهقة محلاة بالزخارف من الخارج بشكل يسترعي النظر؛ وفي حزامها طراز قوام زخرفته آيات كريمة ينتهي بنص تاريخي ويتوسط القبة قبر المنشئ.

وسقف إيوانات المسجد جميعها أقبية معقودة من الحجر وله واجهتان، ويلوح أن هذا الجامع لم يطرأ عليه ما يغير معالمه؛ بيد أن مئذنته المربعة الجميلة سقطت منذ ستين عامًا[(٣)]، فأعيدت كأصلها مع ملحقات أخرى كالسبيل والمكتب في سنة (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م).

المذكرات التاريخية

الإيوان الشرقي بالعقد المواجه للمحراب:

البسملة. إنما يعمر مساجد الله- إلخ.. صدق الله العظيم أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة المقر العالي المولوي الشرف قانباي السيفي أمير أخور كبير الملكي الأشرفي أعز الله أنصاره بمحمد وآله بتاريخ سنة ثمان وتسع مائة.

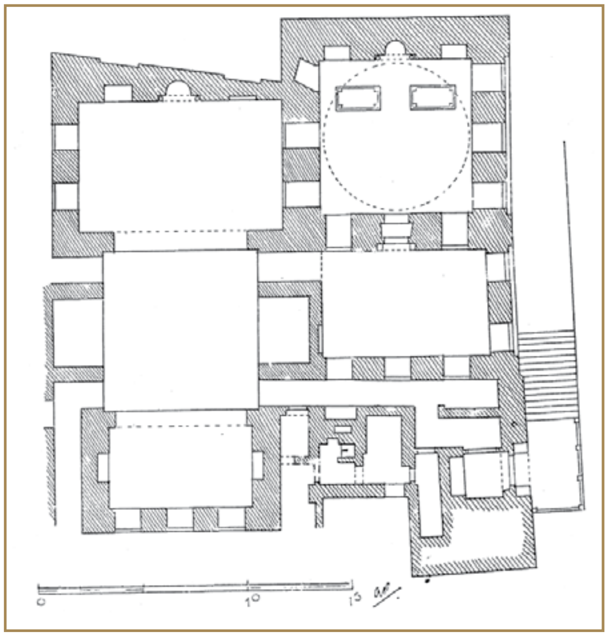
(١) درب اللبانة أو حارة العلوة: بها ضريحان متجاوران أحدهما يعرف بالشيخ المهدى والآخر بالشيخ أبو المكارم وبه أيضًا درب المصنع وحارة الصابونجية، والمسجد حاليًّا بميدان صلاح الدين قسم الخليفة، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ٢٨٦.

(٢) قانباي وتعني بالتركية أمير دم وذلك كناية عن القوة والبأس، انظر: عبد الحافظ، «معجم أسماء سلاطين وأمراء المماليك بمصر والشام»: ٦٨٨.

(٣) مئذنته ذات الرؤوس المزدوجة شاعت بمصر في نهاية القرن التاسع وأول العاشر الهجري، وقد أنشأ الأمير قانباي منارة مسجده بالناصرية على هذا الطراز وقد هدمت المنارة عام (١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م)، وأعيد بناؤها في عهد الملك فاروق عام (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م)، انظر: حسن عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**، ط. ٢، مج. ٢ (القاهرة: الدار العربية، ١٩٩٣): ٢٨٤، ٢٨٥.



منظر عام لجامع قانباي «عن مساجد مصر»



مسقط أفقي لجامع قانباي الرماح «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

الصحن

أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة المقر الأشرف الكريمي العالي السيفي قانباي أمير أخور كبير الملكي الأشرفي أعز الله أنصاره.

القبة من الخارج

البسملة. آيات الكرسي صدق الله العظيم. أنشأ هذه القبة المباركة المقر الأشرف الكريمي العالي قانباي السيفي أمير أخور الملكي الأشرفي

جانبي الباب

أنشأ هذه المدرسة المباركة من فضل الله تعالى المقر الأشرف الكريمي العالي قانباي السيفي أمير أخور

القبة من الداخل

البسملة أمر بإنشاء هذه القبة المباركة المقر الأشرف. الكريم العالي المولوي الأميري[1] السيدي السندي الذخري. العضدي[2] المالكي المخدومي[3] السيفي قاني باي أمير أخور كبير الملكي الأشرفي بتاريخ مستهل شعبان المكرم عام ثمان وتسعمائة

المنشئ

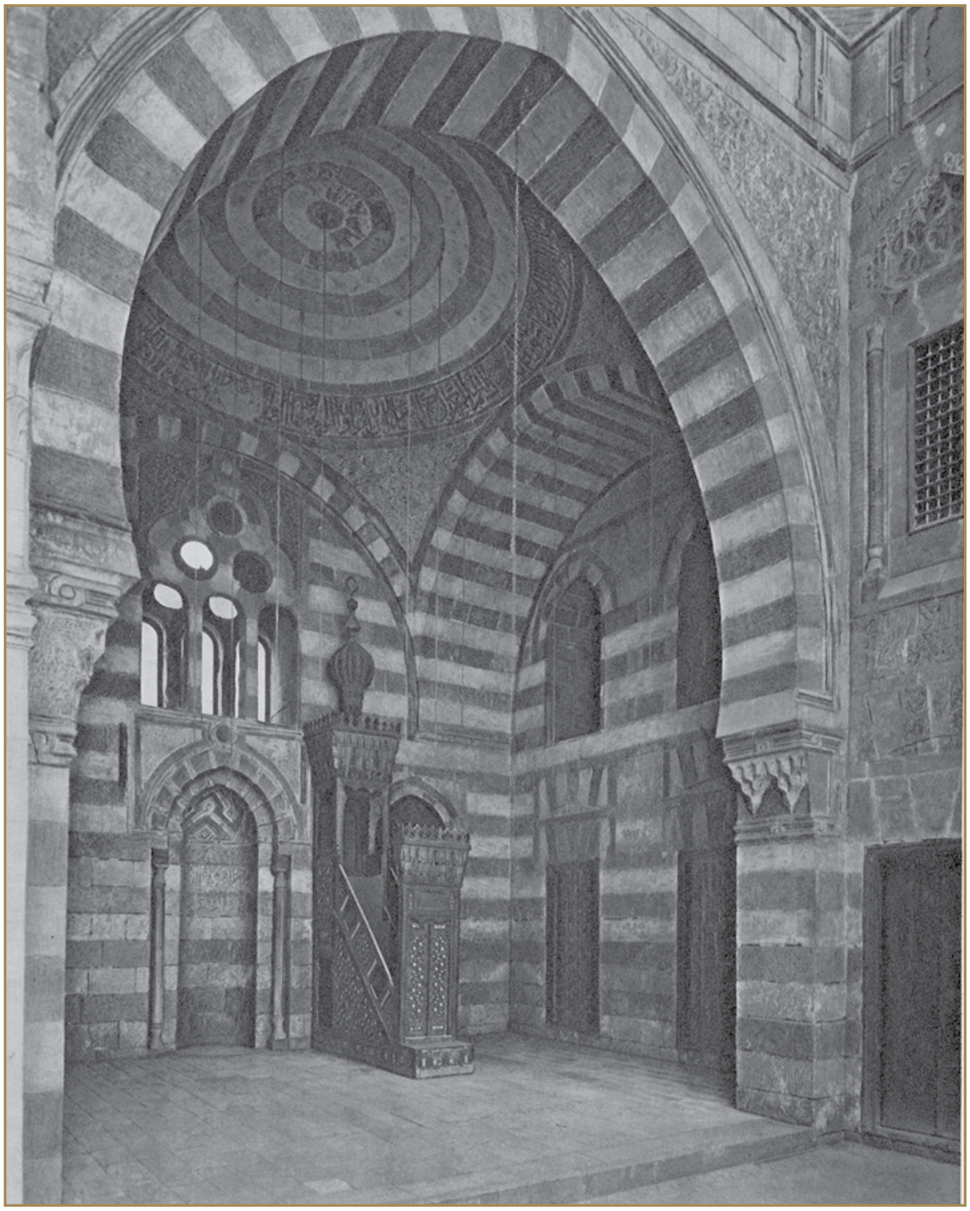
ومنشئ هذا الأثر هو الأمير قانباي؛ كان من حاشية الملك الأشرف قايتباي ثم عينه جمدارًا «متولي ملبوس السلطان» ثم سلاح دارًا «أمير السلاح» ثم أتابكًا «رئيسًا للجيش»، وفي سنة (٨٩٨هـ/ ١٤٩٣م) عينه أمير عشرة، ثم نائبًا لصهيون، ثم نقل إلى حلب فبقي بها حتى وفاة السلطان، ثم عاد إلى مصر فأنعم عليه الملك الناصر محمد بن قايتباي برتبة مقدم ألف، وفي سنة (٩٠٣هـ/ ١٤٩٨م) عينه أمير آخور كبير، وما برح حتى آل حكم مصر إلى الملك الظاهر أبي سعيد قانصوه؛ فبدأ نجم المترجم يأفل، إذ أن السلطان أمر بالقبض عليه وسجنه ولم يفرج عنه حتى قتل هذا الملك، وتولى بعده الأشرف جان بلاط فأعاده إلى وظيفته.

وفي سنة (٩٠٦هـ/ ١٥٠١م) تعين المترجم قائدًا عامًّا للحملة التي وجهها السلطان لمحاربة قصروه نائب الشام حينما شق عصا الطاعة على السلطان؛ وكان رفيقه في هذه

(١) الأميري لقب يشير إلى الرتبة، انظر: محمد الجهيني، **أحياء القاهرة القديمة وآثارها الإسلامية: الجودرية، المسطاح، المحمودية** (القاهرة: الأكاديمية الحديثة، ٢٠٠٨): ١١٦.

(٢) العضدي اسم للساعد ليدل على المعين والمساعدة للسلطان، انظر: المرجع السابق: ١١٨.

(٣) المخدومي من الألقاب الرفيعة ويدل على علو الشأن لأن يكون مخدومًا، انظر: المرجع السابق: ١١٧.



إيوان الصلاة بجامع قانباي الرماح «عن مساجد مصر»

الحملة طومـــان باي، فلما عاد كلاهما ظافرًا وتولى الحكم الملك العادل طومان باي بعد جان بلاط، أنعم عليه وقرره في وظائفه؛ ولم يلبث أن مات فجأة حينما كان قائدًا للحملة التي أرسلها السلطان قانصوه الغوري لمقاتلة بعض الثائرين عليه بحلب في يوم الجمعة ٢٦ من ربيع الأول ســنة (٩٢١هـ/ ١٥١٥م)، فنقلت رفاته إلى القاهرة واحتفل بتشـــييعها من بيت صهره الأمير يشبك بشـــارع مناخ الوقف إلى مسجد أبي بكـــر المؤمني فصلي عليه به، ثـــم رجعوا به إلى الجامع فدفنوه بالقبر الذي أعده لنفسه تحت القبة، وينسب له من الآثار جامعه الآخر بالناصرية[١].

(١) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ٤٥٠- ٤٥٣؛ عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**: ٢٨١.

جامع خاير بك

أثر رقم ٢٤٨ (سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٣م)

هذا الجامع بشارع باب الوزير[١] «خط التبانة»[٢]، بين دار آلين أق الحسامي[٣]، وجامع آق سنقر[٤]، أنشأه الأمير خاير بك من بلباي الجركسي؛ نائب مدينة حلب في عصر السلطان قانصوه الغوري وبدأ به في سنة (٩٠٧هـ/ ١٥٠٢م)، وتم في سنة (٩٠٨هـ/ ١٥٠٣م)[٥].

وقد أنشأه على قطعة أرض من حقوق سراي أيتمش، وهو جامع فخم يلفت النظر يرتفع عن أرضية الشارع بمدرج، وبمؤخره باب نصل منه إلى قبة المنشئ، وهي قبة حجرية من قباب القرن العاشر تمتاز بكثرة زخارفها الخارجية، وتجاورها مئذنة منمقة الأضلاع مستديرة إلا أنها سميكة نوعًا ما وجزؤها العلوي مفقود؛ وتزدان جدر القبة بتكسيها بالرخام الملون وبمقرنصاتها، ويحيط بأعلى القبة من الداخل طراز به زخرفة قرآنية تنتهي بمذكرة تاريخية هذا نصها:

البسملة. ولله يسجد من في السموات ومن في الأرض أمر بإنشاء هذا المكان المبارك المقر الأشرف الكريم العالي المولوي الأميري الكبيري السيدي المالكي المخدومي العالمي العادلي المؤيدي المنصوري العوني الغياثي الزعيمي المرابطي المثاغري المهدي المشيري الحاجي المعتمري الكفيلي النصيري الهمامي القوامي النظامي الورعي المتورعي الصميدعي الشجاعي المطاعي العابدي الزاهدي الراكعي الساجدي السيفي خاير بك أمير حاجب الحجاب بالديار المصرية وما مع ذلك الملكي الأشرفي أعز الله أنصاره وختم بالطاعات أعماله وكان الفراغ في سنة ثمان وتسعمائة.

---

(١) شارع باب الوزير: أوله من نهاية شارع التبانة من عند جامع ابراهيم أغا وآخره قبلي جامع أيتمش من تجاه حارة درب كحيل، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ٢٨٣.

(٢) شارع التبانة أوخط التبانة إبتداؤه من عند المفارق التي بجوار جامع عارف باشا وإنتهاؤه أول شارع باب الوزير بجوار جامع إبراهيم أغا، انظر: المرجع السابق.

(٣) دار آلين آق الحسامي الذي بني سنة (٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م)، انظر: عبد الرحمن زكى، **موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام**، ط. ٨ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٧): ٢٠٤.

(٤) يوجد مسجد آق سنقر الذى أقيم عام (٧٤٧هـ/ ١٣٤٧م) في الجهة الشمالية الشرقية من جامع خاير بك، انظر: سعاد ماهر محمد، **مساجد مصر وأولياؤها الصالحون**، مج. ٥ (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، [١٩٧١-١٩٨٣]): ٦٣.

(٥) يذكر ابن زنبل الرمال في تاريخه بإسم الخيربكية ويرجعها إلى العصر العثماني، بينما يذكر ابن إياس تاريخ (٩٠٨هـ/ ١٥٠٣م)، وهو المدون بها، انظر: المرجع السابق: ٦٢.



منظر عام لجامع خاير بك «عن مساجد مصر»

ولمئذنة هـــذا الجامع ميزة تنفرد بهـــا تبدو ظاهرة في درجها الخارجي، أما منبره فبالرغم من أنه منبر صغير بيد أنه ظريف؛ وقد تأخرت صناعته عن بناء المســجد، كما يبدو ذلــك ظاهرًا في المذكرة التاريخية التي تحيط بســدة التبليغ التي تقابله من الناحية الغربية ونصها[(١)]:

البسملة. وكان الفراغ من هذا المنبر المبارك الشريف والدكة المباركة في شــهر رمضان المعظم قدره سنة سبع وثلاثين وتسعمائة

وبابه العمومي بمدخله المعقود وواجهته والسبيل الذي يجاوره شــمالاً، وســقفه المعقودة بالحجر، ومنظره الخارجي والســبيل القائم في الجانب الغربي منــه، كل ذلك يكون منظرًا بديعًا يكمل به جمال هذه المنطقة الأثرية.

وقد دفن بهذا المسجد عقب الفراغ من بنائه الأمير جان بلاط المحمدي شــقيق الأمير خاير بك كما دل عليه كلام ابن إياس في تاريخــه إذ يقول: «في يوم الثلاثاء ٥ من صفر ســنة (٩٠٨هـ/ ١٥٠٣م) توفي جان بلاط المحمدي أحد مقدمي الألوف- وهو أخو قانصوه البرجي نائب الشام- فلما مات دفن في تربة أخيه خاير بك التي أنشأها بباب الوزير»، ويؤكد ابن إياس أن أخًا لهما يدعى قانصوه البرجي المحمدي نائب الشام أيضًا مات في جمادى الأولى سنة (٩١٠هـ/ ١٥٠٥م)، ونقلت رفاته من الشــام فدفنت بتربة أخيه، كما ذكر دفن الأمير طقطباي أستادار الصحبة في وفيات شهر المحرم سنة (٩٢٥هـ/ ١٥١٩م) بها[(٢)].

(١) تذكر سعاد ماهر أن الوالي العثماني سليمان باشا الخادم في ولايته الثانية أنشأ المنبر ودكة المبلغ في الإيوان المقابل لإيوان القبلة، انظر: سعاد ماهر، **مساجد مصر وأولياؤها الصالحون**، مج. ٥: ٦٤.

(٢) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ٣٨، ٧٠.

قبة الشيخ البلقيني

وقد تولى مشيخة هذا الجامع في أواخر القرن العاشر الهجري؛ الشيخ شرف الدين موسى البلقيني ترجمه الشعراني في الطبقات الوســطى؛ قال: «صحبته نحو ٤٠ سنة وقد أخذ العلم عن جماعة منهم شيخ الإســلام الطرابلسي والشيخ برهان الدين وأخذ الطريقة عن الشيخ محمد الشاذلي».

وهــو مدفون تحت قبة تجاه هــذا الجامع من الناحية البحرية وسط المقابر، ودفنت معه ابنته المدعوة فاطمة؛ كما جاء بالمذكرة التاريخية التي تعلو بــاب هذه القبة، ويجاور هــذا الجامع من الجهة الشرقية قبــة خوند زهرة الناصرية زوجة الأمير آق سنقر الناصري، ثم قبة أخرى من بقايا هذه الجبانة[(٣)]، دفن بها الســيد محمد الباز من أسرة شبل القباني المدفون بسري ليانة (الشهداء منوفية).

المنشئ

منشــئ هذا الأثر هو الأمير خاير بــك من بلباي؛ جركسي الأصل من الأسرة الأباظية، خدم أولاً عند الملك الأشرف قايتبــاي، حتى قامت دولة الغــوري فخلع عليه بالإمارة والتقدمة، ثم تقلب في عــدة وظائف آخرها نيابة الســلطنة في حلب، وقد أسبغ عليه السلطان نعمته وقربه إليه فصار يتنعم فيها حتى لقي منه السلطان سليم جاسوسًا «طابورًا خامسًــا» عند ما أراد غزو مصر فانضم إليه؛ وقد

(٣) ورد ذكر تلك القبة في حجة وقف خاير بك رقم (٢٩٢/ ٤٤) بدار الوثائق بالقلعة سطر رقم (٩) وفيها وبالحوش المذكور قبة مثمنة أنشأها مولانا الواقف المنوه باسمه الكريم فيه ثم سطر عشرة (بلغه الله تعالى ما يؤمله ويرتجيه على ضريح سيد من السادات يعرف بالباز الأشهب)، انظر: محمد حسام الدين إسماعيل، **الأصول المملوكية للعمائر العثمانية** (الإسكندرية: دار الوفاء، ٢٠٠٣): ١٢١.

وصفه المؤرخون بذلك، وربما كان في هذا الوصف بعض المبالغة، فقد ظهر من قولهم أنه لم ينضم إلى جند السلطان سليم إلا بعد أن تحققت هزيمة الغوري وبانت لذي عين بصورة مكبرة، ولما عمد إليه خاير بك في هذا كان هو أول والٍ لمصر بعد الفتح العثماني ولقب بملك الأمراء وهو لقب «الأمير عز الدين أيبك الأفرم الظاهري» [انظر جامع ورباط الأفرم].

وكان ينازعه السلطة والٍ آخر، هو قائد الجيش العام خير الدين باشا، ويصفه المؤرخون بأنه كان شديد الشكيمة متلونًا متسعًا لتطور الحوادث، استطاع أن يجعل من القاهرة قاعدة عسكرية، فعمد إلى تحصينها وتأمين طرقها برًّا وبحرًا، وأنشأ لها أسطولاً عظيمًا، وقد ساد الأمن في عصره بشكل يدعو إلى الارتياح، وكان يميل إلى تشديد العقوبة لتقليل حوادث الإجرام، وقد أفلح في اتباع هذه الطريقة المثلى، فأمن الناس وخاف بعضهم بعضًا وانتظمت التجارة وما برح حتى مات في ١٤ من شهر ذي القعدة سنة (٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م)، ودفن بمسجده إلى جانب أخويه(١).

ومن آثاره في العمارة سبيل وحوض بخانقاه سرياقوس «الخانكة» خارج القاهرة، وأنشأ للشيخ حسن الرومي زاوية بالصوة في آخر سنة (٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م) وتمت بعد موته(٢).

الشيخ حسن الرومي

والشيخ حسن الرومي هذا هو حسام الدين حسن بن إلياس الرومي التبريزي من فقهاء الشافعية، ولد بتبريز من بلاد فارس «إيران»، ونشأ بها ثم رحل إلى الروم «الأناضول»، وأقام به زمنًا فنسب إليه، قرأ بالأستانة على مظفر الدين الشيرازي، ثم غرب من إستانبول إلى مكة، وجاور بها زمنًا ثم انتقل منها إلى القاهرة، وسلك الطريقة القادرية، اتصل سنده بها عن نور الدين علي بن محمد بن الناصح القادري المتوفى سنة (٨٠١هـ/ ١٣٩٨م)، وتصدر للتذكير بجامع ألطون بغا الماريديني بالدرب الأحمر، ولما احتل السلطان سليم العثماني مصر وصارت إيالة عثمانية وأسند الحكم فيها إلى الأمير خاير بك بنى له زاوية وتربة لدفنه وتكية لدراويشه بالصوة(٣)، بين بابي العزب والسلسلة، فأقام بها زمنًا إلى وفاته في ذي الحجة سنة (٩٦٤هـ/ ١٥٥٧م)، وترجم له الشلي في السنا الباهر وغفل عن قدومه إلى القاهرة.

وتحقق لي قدومه إليها وإقامته بهذه الزاوية من وثيقة وقفه المحفوظة بشرعية مصر المؤرخة في ٢٤ شوال سنة (٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م)، والموقوف فيها على نفسه وعلى من بعده من ورثته وعلى خيرات الضريح والتكية أطيان زراعية بالبهنسا، وعقارات بالصوة، وكوم أبو سعيد الحكيم، وهي مسجلة برقم٢٨ شرعية مصر، وقد آل النظر على وقفه بعد وفاته لابنه يوسف ثم انقرضت ذريته، وأسندت شؤون

---

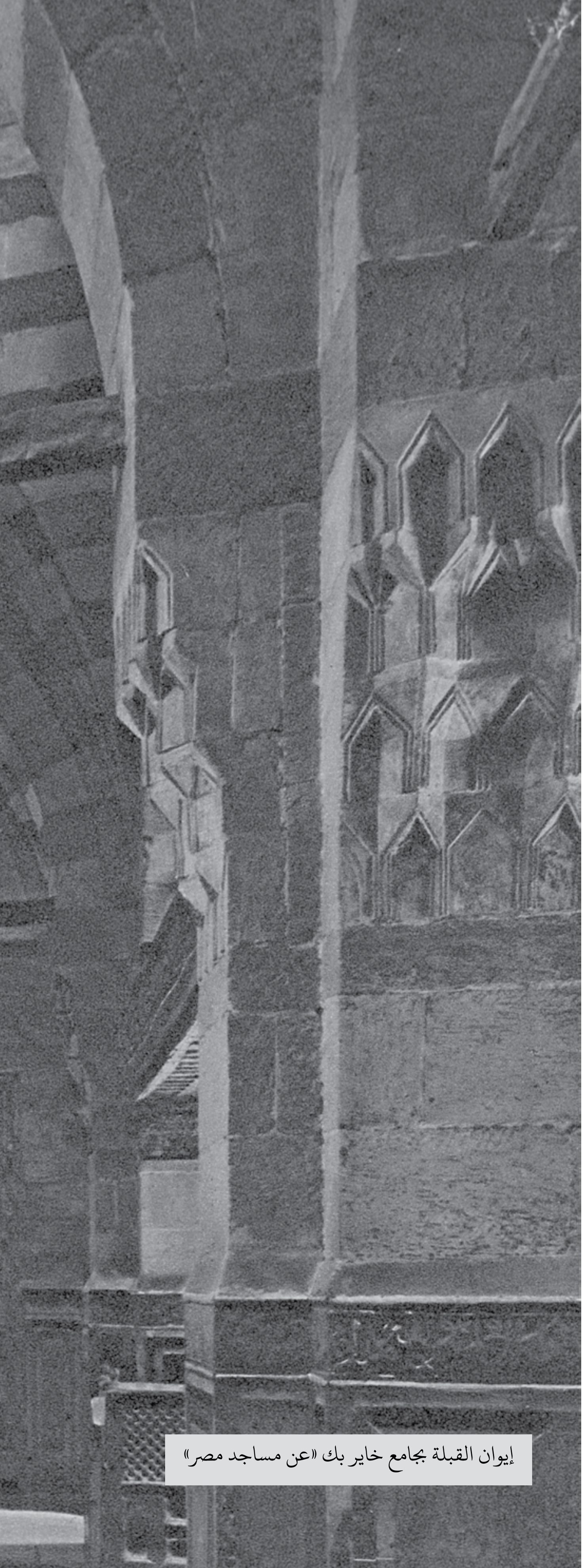
(١) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٥: ٤٨١- ٤٨٤.

(٢) تكية حسن الرومي بسكة المحجر تحت سور القلعة وتاريخها (٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م) وكانت تعرف بزاوية العمود لوجود عمود من الرخام كان معلقًا على بابها، والشيخ حسن الرومي هو ابن المرحوم الشيخ إلياس بن عبد الله الرومي الإسطامبولى هذا ما ورد في وقفيته على تلك التكية، أما السخاوي فذكره بالشيخ حسن العجمي، وكان قادري الطريقة من صحابة الشيخ نور الدين علي ابن محمد بن الناصح القادري، وقد عمر وأسن كما يظهر في ترجمته في الضوء اللامع، وتوفي عام (٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م)، انظر: محمد=

= أبو العمايم، **آثار القاهرة الإسلامية في العصر العثماني: المساجد والزوايا**، مج. ١، سلسلة التاريخ والثقافة التركية (إستانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، ٢٠٠٣): ١٥، ١٦.

(٣) الصوة: هي الحجارة المنصوبة من هضبة المقطم التي بنيت عليها القلعة، وهي الآن شارع المحجر. (المؤلف)

التكيــة والضريح إلى طائفة من أوزبك مصر، وتحقق لي من وقفية أخرى محررة في ١٥ من المحرم سنة (١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م) أن الوزير محمد سعيد باشا محافظ الديار المصرية لذلك العهد أمر بتجديد تكية الشيخ حســن الرومي وتجديد أوقافها، وذلك في عهد ناظر الوقف وشيخ التكية محمد الأوزبكي، وأدركنا نحن في أول هذا القرن شيوخ الأوزبك بهذه التكية يقومون بتأدية الشعائر فيها.



إيوان القبلة بجامع خاير بك «عن مساجد مصر»



جامع الغوري

جامع أثري وقبة وسقاية رقم ١٨٩- ٦٧ (سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٣م)

لا يكاد السالك من شارع المعز لدين الله الأشرفية «المهامزيين سابقًا»[١] يجتاز بضعة مترات منه حتى يواجهه يمينًا ويسارًا بناء شاهق مرتفع يتألف من عمارتين تماثل كلتاهما الأخرى، فالعمارة الأولى ذات اليمين هي ما نعرفه باسم جامع الغوري؛ وذات الشمال هي المدرسة التي أنشأها ذلك السلطان في مقابل هذا الجامع[٢].

وقد حرص الغوري على أن يجعل من كلا العامرتين منظرًا يتألف من واجهة حافلة بالزخارف والمقرنصات يعلوها طراز وجعل على يسار الجامع مئذنة مربعة لم تكن مألوفة لذلك العهد، ثم غشاهما بطبقة من القاشاني وجدت آثاره بها، بيد أن المهندس الذي عمد إليه ببناء هذا المنبر الفخم، وهو المعلم أحمد بن بدر الدين حسن بن الطولوني؛ خرج في طول هذه المئذنة عن الحد المقرر لها، فسرعان ما تصدعت وتشققت حتى أفضى الأمر إلى سقوطها ثم إعادتها بنظام أحكم، ضمن معه بقاء مكثها دون أن يمسها عطب أو تهزها أعصار الرياح وتقلبات الأيام، وقد أصاب المهندس المذكور حيث شاء الله تعالى أن تبقى هذه المئذنة سليمة من كل طارق خلا كسوتها حتى اليوم.

أما داخل المسجد؛ فقد استطاع أن يجعل منه منظرًا يتألف من باحة مربعة الأركان يغطيها منور من الحسك، وجعله يتألف من بلاطين يماثل كلاهما الآخر ومجنبتين تشابه كلتاهما الأخرى، وقد أفرغ جهده في تغطية جدار واجهة بيت الصلاة بالرخام المختلف الألوان وكساها بغضائر القاشاني العربي الجميل؛ وراعى في المحراب تناسق زخارفه، وأقام إلى جانبه منبرًا دقيق الصنعة وأكثر من نقش وزخرفة واجهات الأواوين الأربعة والبهو بالأشكال والرسوم الهندسية والكتابات، ولم يقتصر على فتح الباب العمومي من الواجهة الشرقية، بل جعل له بابًا آخر من الواجهة الغربية يهبط إليه بدرج، وميزه بما ميز به الباب الآخر والواجهة، واستخدم من الطابق الأرضي للمسجد منبرًا يشتمل على ممرات وحجر ومحراب يصلح لأن يكون مخبأ، ولما انتهى من تنفيذ هذا المشروع شرع في وضع المذكرات التاريخية فأكثر منها كثرة ملائمة.

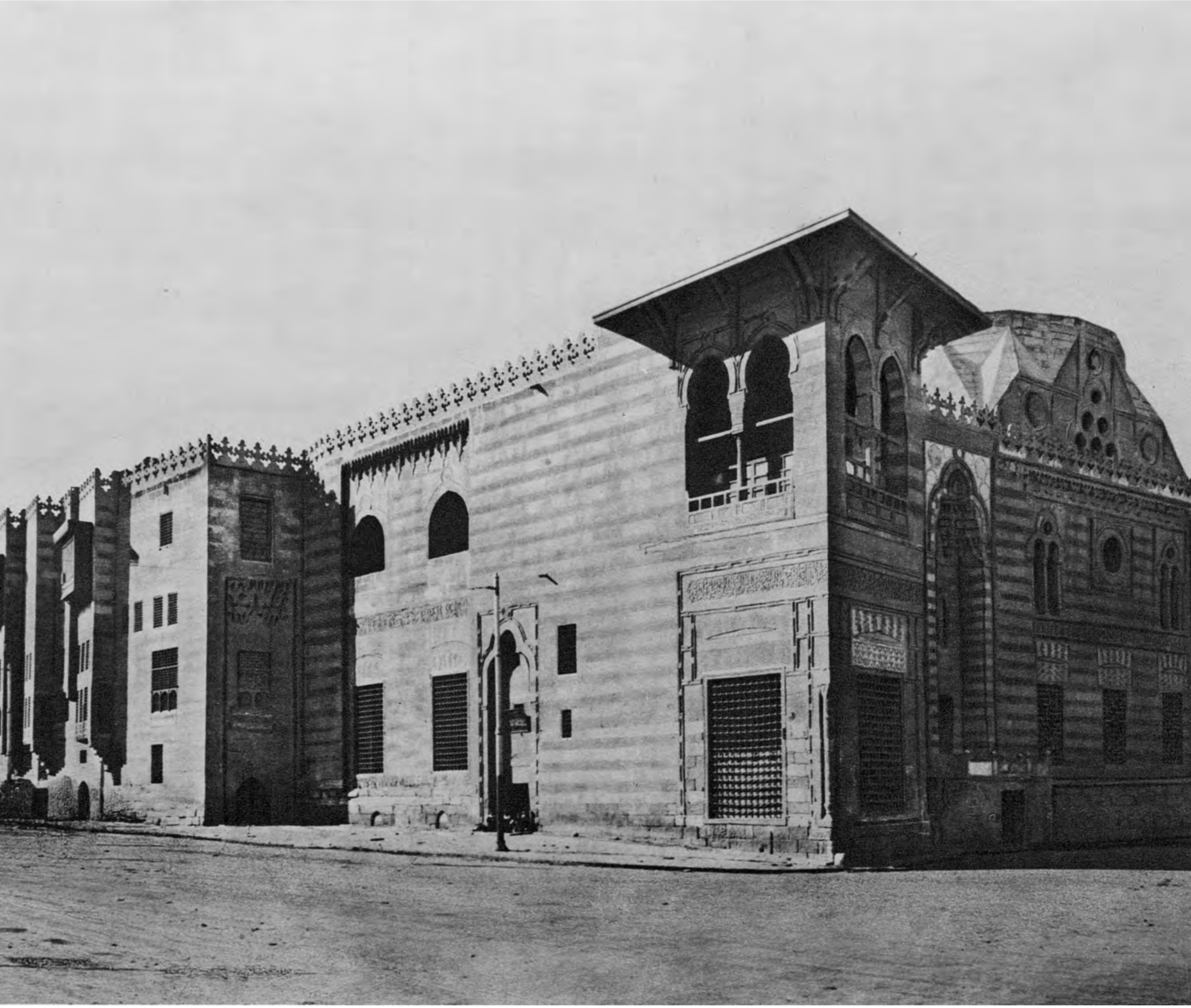
---

(١) المهامزيين: جمع مهاميز ويذكر المقريزي أنه أدرك الناس يتخذونه كله قالبه وسقطه من الذهب الخالص والمهماز من أدوات لجام الخيل، انظر: أحمد بن علي تقي الدين المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣ : ٩٧.

(٢) انساق المؤلف وراء وصف ابن إياس على أنها مدرسة ولكنها خانقاه، بناها السلطان الغورى بيتًا للصوفية، وألحق بها قبة ضريحية ومقعدًا وسبيلاً وكتابًا وحوشًا جنائزيًا، ودارين لشيخ الخانقاه وإمام المسجد، يمكن الرجوع لوثيقة السلطان الغوري رقم (٨٨٣) أوقاف.



منظر عام لمدرسة الغوري «عن مساجد مصر»



منظر عام لقبة الغوري «عن مساجد مصر»

ثم قام بهذا العمل نفسـه في المدرسـة بيد أنه جعل منها منظرًا يتألف من قبة شـاهقة كساها جميعها بغضائر القاشـاني الأزرق، ويظهر أنه حملها كثـيرًا من الزخارف والكسوة، أو أنه خرج بها عن الحد المقرر في العلو؛ فلحقها ما لحق بالمئذنـة، مما اضطره لإعادتها ثانيـة وثالثة، وعني بالسقف فأبدع في سـماواته إبداعًا يدعو للتأمل وجعل في مقابل هذه القبة مدرسـة أحكم صنعها؛ وألحق بها سقاية ماء، جعل فوقها مكتبًا ينتهي بمساكن ومباحات إلى غير ذلك.

ولكي يصل الجامع بالمدرسة جعل بينهما ساباطا يعلوه سـقيفة ليرتبط كلاهما بالآخر حتى يسـتطيع من كان في أحدهما الذهاب إلى الآخر دون عناء، بيد أن هذا الساباط والسقيفة قد أزيلا في وقت آخره سنة (١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م).

وميز واجهتي المدرسـة والجامع بمـا ميز به داخلهما من النقوش والزخارف، وهكذا يبتدئ البناء في هذا الجامع في سـنة (٩٠٨هـ/ ١٥٠٣م)، ويتم في أول سنة (٩٠٩هـ/ ١٥٠٤م)؛ وتسـقط المئذنة في سـنة (٩١١هـ/ ١٥٠٦م)، وتعاد في نفس السـنة، وفي هذا التاريخ نفسه تنشأ المدرسة وما يتبعها من مبانٍ أخرى، ويتم الغـوري ما بدأ به مختص الظاهري؛ ثم تسـقط القبة بعد ذلك ثلاث مـرات متتالية الأولى عقب الفراغ من عمارتها مباشرة، الثانية في سنة (٩١٧هـ/ ١٥١١م)؛ الثالثة في سنة (٩١٩هـ/ ١٥١٣م).

وليست هذه المرة هي الأخيرة لسقوط هذه القبة، فقد سـقطت بعد مدى حين من إعادتها مـرة رابعة، فأعيدت بصورة أخرى من الخشـب المصفح بالرصاص بشـكل غير ملائم مـع قاعدتها الجميلة، ثم لم يلبـث هذا الغطاء أن اختفى للمرة الخامسـة وحل محله سقف للآن، ولدى لجنة حفظ الآثار العربية مـشروع لإعادتها على صورة تتفق مع الأصل مـن النماذج التي تماثلها كقبة سـودون وطراباي وبيبرس[١].

وهكذا كتب لهذه القبـة حادثة من أول الحوادث في سـقوطها خمس مرات ثلاث منها في حياة منشئها وباقيها بعده، وقد كانت هي القبة المرموقة بالأنظار لما كان يكسوها من غضائر القاشـاني الأزرق المشـجر حتى جعلت منها منظرًا لم يألف القاهريون رؤيته فسـموها بالقبة الزرقاء، ويوجد بدار الآثـار العربية بعض القطع من هذه وقد عثر عليها في نفس الأثر؛ ومنها ما يحمل اسم السلطان.

وقد أمدنا المؤرخ ابن إياس في تاريخه المطبوع بعضه بالقاهرة وبعضه بالأسـتانة بمعلومـات هامة ودقيقة عن هذين الأثرين فقال: «وفي ليلة عيد النحر من هذا الشـهر ذو الحجة سنة (٩٠٨هـ/ ١٥٠٣م) انتهى العمل من بناء مدرسة السـلطان التي أنشأها بالشرابشـيين[٢]؛ فعمل هناك تلك الليلة وليمة حافلة وحضر فيها الخليفة المستمسـك بالله يعقـوب والقضاة، قـال: «وكان أصل من بنى أسـاس هذه المدرسـة الطواشي مختص الذي كانت رأس نوبة السـقاة في دولـة الظاهر قانصـوه خال الملك النـاصر محمد، فلما تسلطن قانصوه الغوري تغير خاطره على مختص فقبض عليه وصادره، وقرر عليه مالاً له صورة، فأعطاه هذه المدرسة من

(١) وذلك في عام (١٩٣٤م)، ولكنه لم يتم أيضًا، انظر: عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**: ٢٩٣.

(٢) الشرابشيين، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٩٨؛ وكان يباع فيه الخلع التي ينعم بها السلطان على كبار رجال دولته وقد بطل لبس الشربوش في الدولة الجركسية وكان هذا السوق في الشارع الأعظم في المسافة المحصورة بين شارع الأزهر وعطفة البارودية بشارع الغورية والشربوش غطاء مثلث الشكل اشتق اسم الطربوش منه، انظر: زكي، **موسوعة مدينة القاهرة**: ١٤٤.

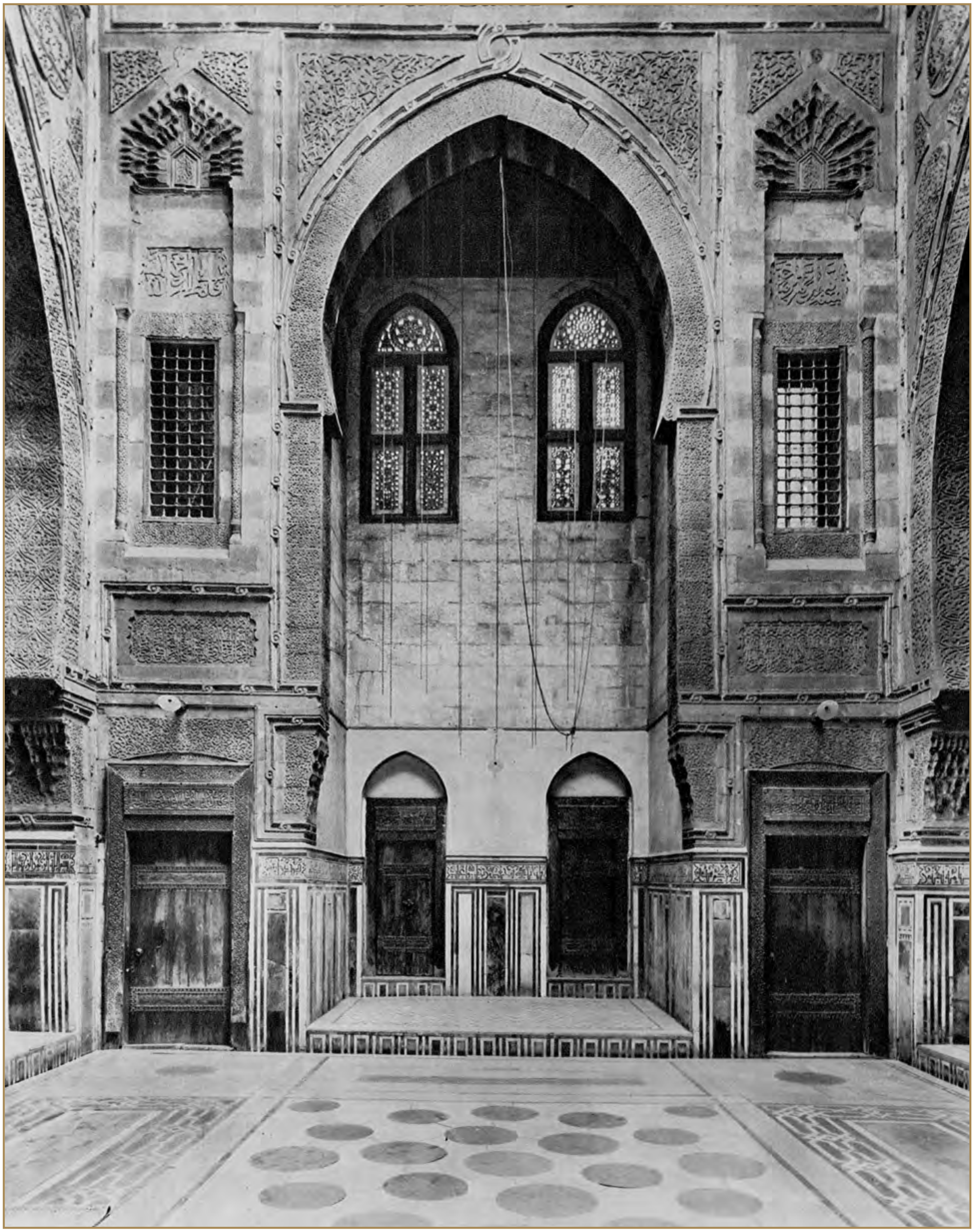
جملة ما قرر عليه من المـال، وكان قد بنى منها بعضًا، فلما ملكها الغوري هدم ما بناه مختص، ثم وسـع في بنائها وأخذ سـوق الجملون وما حوله من الأسواق، وتناهى في زخرفتها ورخامها وبنائها فجاءت في غاية الحسـن والظرف والرونق بحيـث لم يعمر في عصرنـا مثلها» وقد أدخـل فيها رخام وأبواب بعض قاعات كانت بالقاهرة ممتلكة لأناس سـمى بعضهم ابن إياس في تاريخه[١].

وقال في حوادث شـهر جمادى الأولى سـنة (٩١١هـ/ ١٥٠٦م): «وفيه مالت مئذنة جامع السـلطان الذي أنشـأه بالشرابشيين، فلما تشققت وآلت إلى السقوط رسم بهدمها، وقد ثقلت مـن علوها لكون أنها بأربعـة رؤوس[٢]، فلما هدمـت أعيدت على الصحـة، وقد بني علوهـا بالطوب ووضعوا عليه قاشاني أزرق»[٣].

وفيه في حوادث ربيع الآخر سنة (٩٠٩هـ/ ١٥٠٤م): «وفي ربيع الآخر في يوم الجمعة سـنة (٩٠٩هـ/ ١٥٠٤م) مسـتهله؛ خطب في جامع السلطان الذي أنشأه في الشرابشيين وقد تم بناؤه وجاء غاية في الحسن والزخرف، وصنع به مئذنة لها أربعة رؤوس وهو أول من اتخذ ذلك، وانتهى العمل من المدرسـة التي تجاه الجامع وعقـد هناك قبة كبيرة على المدفن وغلفها بقاشاني أزرق، فكان أول من خطب بهذا الجامع قاضي قضاة دمشق الشـهاب أحمد بن فرفور الدمشقي الشافعي، فلبس السـواد وخطب، وكان المرقي قدامه القـاضي عبد القادر القصروي، وحضر في ذلك اليوم الخليفة المستمسـك بالله يعقوب؛ والقضاة الأربعة؛ وهم: برهان الدين بن أبي شريف الشافعي وعبد البر بن الشحنة الحنفي، وبرهان الدين الدميري المالكي، والشـهاب الشيشيني الحنبلي، وحضر غالب الأمراء العشرات والخاصكية وأعيان الناس، وزينت الشرابشـيين في ذلك اليوم، وكان يومًا مشـهودًا، وخلع السلطان في ذلك اليوم على قاضي القضاة عبد البر بن الشـحنة كونه حكم بصحة الخطبة في هذا الجامع، وخلع على إينال شـاد العمارة خلعـة حافلة وأنعم عليه بإمرة عشرة، وخلع في ذلك اليوم على عدة وافرة من المهندسين والبنائين والمرخمين والنجارين وغير ذلك من أرباب الصنائع ممـن كان بالجامع وأنعم على الفعلـة لكل واحد بألف درهم، ثم في الجمعة الثانية رسـم السـلطان لقاضي القضاة عبد البر بن الشحنة بأن يخطب بهذا الجامع فخطب تلك الجمعة خطبة بليغة»[٤].

«وفي جمادى الأولى سنة (٩١٠هـ/ ١٥٠٥م) كملت عمارة مدرسة السلطان التي أنشأها تجاه جامعه الذي بالشرابشيين، وأنشأ هناك مدفنًا له وعقد فوقه قبة وأنشأ صهريجًا ومكتبًا، وقـرر بهذه المدرسـة حضورين وصوفية يحـضروا بكرة والعصر، وجعل قـاضي القضاة برهان الدين بن أبي شريف شـيخ الحضور باكر النهار ومحب الدين الحلبي الإمام شيخ الحضور العصر كما أمر بذلك، فجاءت هذه المدرسـة من محاسن الزمان سـيما في هذا الخط الذي لم يتفق لأحد من الملوك البناء فيه، فعد ذلك من جملة سـعد قانصوه الغوري

(١) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ٥٢- ٥٣.
(٢) كثر المعمار المملوكي من رؤوس المآذن فجعل لمدرسة الغوري أربع رؤوس بعد أن كانت المآذن قبلها من رأسين، ويذكر عبد الرحمن عبد التواب أنه رأى بأحد بلاد الجريد بتونس مئذنة ترجع إلى القرن (٧هـ/ ١٣م) لها أربعة رؤوس تأخذ شكل القباب الصغيرة فربما أنها تأثير مغربي، انظر: محمد عبد الستار عثمان، **نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة** (الإسكندرية: دار الوفاء، ٢٠٠٥): ٢٩٢.
(٣) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ٨٤.
(٤) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ٥٨- ٥٩.



إيوان بمدرسة الغوري «عن مساجد مصر»

وكان أصل هذا المكان قيسارية تسمى قيسارية الأمير علي «هو الأمير علاء الدين علي بن الملك الناصر محمد بن قلاوون مات سنة (٧٠٣هـ/ ١٣٠٤م)، وكان فوقها ربع يعرف بالدهيشة، وقف المدرسة الناصرية فاستبدلت من وقف الناصر محمد بن قلاوون»[١].

وفيه عن قبة الآثار في حوادث شوال سنة (٩١٧هـ/ ١٥١١م): «وفيه ظهر بالقبة التي أنشأها السلطان في مدرسته تشقق فاحش حتى آلت إلى السقوط، فأمر بهدمها فهدمت من سفلها ثم علقوها ورمّوها رمًّا حافلاً، وقد تقدم أن المئذنة التي بالجامع هدمت قبل ذلك وأعيدت ثانيًا»[٢].

وفيه ١٥ ربيع الأول سنة (٩١٩هـ/ ١٥١٣م): «في ذلك اليوم نزل السلطان إلى مدرسته وكشف على عمارة القبة وأقام هناك إلى بعد العصر، ومد له الزيني بركات بن موسى مدة حافلة ونصب له سحابة على سطح المدرسة، ونظر إلى عمارة القبة واستحث البنائين على سرعة البناء»[٣].

وفيه في صفر سنة (٩١٩هـ/ ١٥١٣م): «نزل السلطان وتوجه إلى العمارة التي أنشأها في المطرية وكشف عليها ثم عاد ودخل من باب النصر وشق من القاهرة ثم طلع إلى مدرسته وكشف عن القبة التي بها، وقد تقدم القول على أنها قد تشققت وآلت إلى السقوط، فأمر بهدمها عن آخرها، وقد رممها ثلاث مرات»[٤].

وفيه في صفر سنة (٩١٩هـ/ ١٥١٣م): «وفي هذا الشهر أمر السلطان بهدم القبة التي أنشأها بمدرسته التي في

(١) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ٦٨.
(٢) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ٢٤٩.
(٣) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ٣٠٦.
(٤) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ٣٠٢.

الشرابشيين، وكانت قد تشققت وآلت إلى السقوط فهدموها عن آخرها ثم أعادوها ثانيًا»[٥].

وفيه في يوم الأحد تاسع ربيع الأول سنة (٩١٩هـ/ ١٥١٣م): «نزل السلطان إلى مدرسته التي أنشأها بالشرابشيين فقام بها إلى آخر النهار، ونصبت له سحابة على سطح المدرسة؛ حتى يكشف على عمارة القبة التي هدمت وأعيدت ثانيًا»[٦].

هذا مجموع ما ذكره ابن إياس عن هذين الأثرين، وفيهما بعض اختلاف في التواريخ يمكن تصحيحه من المذكرات التاريخية التي هي أصدق أنباء منه.

المذكرات التاريخية

القبة من الخارج

أمر بإنشاء هذه القبة المباركة مولانا السلطان[٧] العالم[٨] العامل. العادل المجاهد المرابط المؤيد المظفر المنصور سيف الدنيا والدين. محيي العدل في العالمين قاتل الكفرة والمشركين المالك الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري خلد الله تعالى ملكه بمحمد وآله وصحبه أجمعين آمين

(٥) المرجع السابق: ٢٩٩.
(٦) المرجع السابق: ٣٠٦.
(٧) السلطان لغة من السلطة والسلاطة بمعنى القهر والاستعباد استعمل لأول مرة في عهد هارون الرشيد، انظر: عاصم محمد رزق، **خانقاوات الصوفية في مصر في عصر دولة المماليك البرجية**، مج. ٢ (القاهرة: مكتبة مدبولى، ١٩٩٧): ٧٩٦.
(٨) من ألقاب العلماء لكنه تلقب به كثير من سلاطين المماليك وكان يردف في هذه الحالة بلقبي العامل والعادل، انظر: المرجع السابق: ٨٠٠.

القبة من الداخل

أمر بإنشــاء هــذه القبة المباركة مولانا الســلطان العالم العامل العادل . المجاهد المرابط المؤيد المظفر المنصور ســيف الدنيا والدين ســلطان الإســلام. والمســلمين محيي العدل في العالمــين قاتل الكفرة والمشركين مولانا الســلطان المالك الملك. الأشرف أبو النــصر قانصوه الغوري خــلد الله تعالى ملكه بمحمد وآله وصحبه أجمعين آمين

داخل المدرسة

البســملة. صدق الله العظيــم. أمر بإنشــاء هذه المدرســة المباركة . مــن فضل الله تعــالى وجزيل عطائه العميم سيدنا ومولانا ومالك رقابنا . الإمام الأعظم والملك المكرم ملك البرين والبحرين خادم الحرمــين[١]. الشريفين المقام الشريف الســلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه . الغوري عز نصره صاحب الســيف والقلم والبند والعلم الســلطان المالــك الملك الأشرف أبو النــصر قانصوه الغوري ســلطان الأرض[٢]. الحاكم طولها والعرض القائم بالسنة والفرض

الإيوان الشرقي

البســملة. أوائل ســورة الفتح صــدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم. ونحن على ذلك من الشاهدين وكان الفراغ من هذه المدرســة. المباركة السعيدة في شــهر ربيع الأول عام تسع وتســعمائة من الهجرة النبوية

الباب الغربي

أمر بإنشاء هذه المدرســة المباركة مولانا السلطان المالــك. الملك الأشرف أبو النــصر قانصوه الغوري عز نصره

ويوجد بمدخل الباب الغربي مذكرة خالية من التاريخ بإفريز السقف، ومذكرة أخرى مثلها بأساكف الخزن، وهي تطابق ما ذكر من نوعها آنفًا كما يوجد على التنور المحفوظ بدار الآثار العربية مذكرة هذا نصها:

أنشــأ هذا التنور المبــارك مولانا الإمــام الأعظم والملــك. المكــرم محــيي العــدل في العالمين ملك البرين والبحريــن خادم الحرمــين الشريفين مَنَّ الله عليــه بملكه وشرفه وجــاد بأيامه على عباده وتعطف ســيدنا ومولانا ومالك رقابنا الســلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري عز نصره. وكان الفراغ من ذلك في شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعمائة من الهجرة

السبيل

أمر بإنشاء هذا المعروف المبارك من فضل الله تعالى سيدنا ومولانا السلطان الأعظم مالك رقاب الأمم سيد ملوك العرب

---

(١) المقصود الحرم المكي والحرم النبوي؛ حيث لا شرعية لحكم السلطان المملوكي أو الخليفة دون أن يذكر اسمه في الحرمين، انظر: عبد المنعم ماجد، **نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر**، مج. ١ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩): ١٥٧.

(٢) سلطان الأرض هو لقب يرمز إلى أن الملقب به له حق السيادة على جميع العالم، انظر: رزق، **خانقاوات الصوفية في مصر**، مج. ٢: ٨٢٨.

والعجـم السـلطان العالـم العـادل المالك الملك الأشرف قانصــوه . الغوري خـلد الله تعالى ملكه وأدام أيامه بجاه محمـد وآله وصحبه . وكان الفراغ من ذلك في ذي الحجة الحرام سـنة تسع وتسعمائة من الهجرة النبوية وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين

المسجد من الخارج

البسملة. آيات من سورة الفتح إلى حكيمًا (صدق الله العظيم) . أمر بإنشـاء هذه المدرسـة المباركة من فضل الله تعالى وجزيل عطائه العميم سـيدنا ومولانا مالك الأنام الأعظم والملك المكرم صاحب السـيف والقلم[(١)] والبند والعلم السـلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري سـلطان الأرض الحاكـم طولها والعرض القائم بالسـنة والفرض اللَّهُمَّ انصر عبدك مولانا السـلطان الملك الأشرف (أبو النصر قانصوه) الغوري عز نصره

وقف الغوري

وللسـلطان الغوري كتـاب وقـف[(٢)] في مجلد عدد صفحاتـه ٥٩٩، ومكتوب بخط كل من عبد الكريم بن علي المجولي وعلي بن محمد البرديني الشـافعي، ومؤرخ في ٢٠ من صفر سنة (٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، يتناول منشآت الغوري المسجد والمدرسـة والميضأة ولواحق ذلك، ثم حصر شامل للأعيان الموقوفة على منشـآته، وقد ورد فيه حدود هذه المنشأة بما ذكرنا في ترجمة مسجد ابن عزون.

السلطان الغوري

والسلطان الغوري[(٣)] منشئ هذا الأثر هو أحد ملوك مصر المسـتقلين، ومن خيرتهم واسمه العربي الفتى النزيل، فقان: فتى وصو: نزيل [انظر سـبب هذه التسـمية]، وقان في التركيـة: الدم، وفي العربية: أحمـر، وهذا اللون في تقرير علماء الألوان يرمز إلى القوة والشجاعة كما يرمز إلى نوع من الاضطراب في الفكر، والملك الغوري بقدر ما كان قويًّا شـجاعًا كان يظهر في بعض الأحيان ضعيـف الرأي، وهو جركسي الجنس من قبيلة أباظا «أنجاز» ولد سـنة (٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م)، واسـتقدم إلى القاهرة فالتحـق بالطباق «الكلية الحربية بالقلعة»، وعرف بالغوري نسـبة إلى آخر طبقة من الطبـاق المذكورة إذ كانت تعرف بطبقـة الغور، وهو لفظ عربي معناه القاع.

ثـم كان بعد أن تخـرج من الطباق؛ وقـد حذق فن الفروسـية ومهر فيه وتثقف إلى حد ما، من حاشية الملك الأشرف قايتباي؛ فسلك به في الجندية، ثم ما لبث أن عينه جمدارًا «صاحب ملبوسه»، وفي سـنة (٨٨٦هـ/ ١٤٨١م) إلى (٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م) عينه كاشـفًا «مديرًا للوجه القبلي»، وأنعم عليه بإمرة عشرة ثـم نقله إلى طرسـوس نائبًا، وبقي بين النيابة والحجوبية بالبلاد الشامية حتى مات مليكه، وخلفه ولده الملـك الناصر فأنعـم عليه بمقـدم ألف، وفي عصر الملك الظاهر قانصوه الغوري الأول تعين رأس نوبة النوب «الحاكم العام على المماليك السلطانية»، ومنذ ذلك التاريخ ابتدأ نجم قانصوه الغـوري يعلو ومهدت له العناية بالملك،

(١) صاحب السيف والقلم دليل سيادة السلطان على العسكريين والمدنيين، انظر: رزق، **خانقاوات الصوفية في مصر**، مج. ٢: ٨٢٩.

(٢) حجة وقف رقم (٨٨٣) أوقاف. (المؤلف)

(٣) السلطان قانصوه الغوري: قانصوه معناه في التركية عصارة الدم، انظر: عبد الحافظ، «معجم أسماء سلاطين وأمراء المماليك بمصر والشام»: ٦٨٨.



محراب بجامع الغوري «عن مساجد مصر»

فبويع له به في أول شوال سنة (٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م) بعد الفتك بسلفه الملك العادل طومان باي الأول لأسباب سياسية.

ويؤكد المؤرخون أن الغوري لما اتجهت الأنظار إلى تمليكه عرش مصر وتمكينه من الحكم أشفق من الملك ورغب عنه رغبة ظهر أثرها في نفسه[1]، فكان ذلك من الأسباب التي مكنت القلوب من محبته والالتفاف حوله، فاعتلى أريكة الملك وجلس على عرش وادي النيل بين الرجاء والخوف وبين الوحشة من الملك والرغبة فيه.

ولولا أن الغوري كان حصيف الرأي شديد المراس، لين العريكة بعيد النظر لما استطاع أن يظفر بطائل من رغبته ولاستعصى عليه أن يخمد نار هذه الفتن المتأججة التي أثارها قرناء السوء وقتئذ من كل جانب، وقد استطاع بدهائه وكياسته أن يتربع على عرش الكنانة زهاء ربع قرن، وحين شعر بأن ملكه في خطر، والعدو محيط به لم يتقاعس

(١) إشفاق الغوري من الحكم بسبب عدم إستقرار الدولة وكثرة القتل وخلو خزانة الدولة ولكنه قبل بعد أن شرط على الأمراء ألا يقتلوه إذا أردوا خلعه وكان عمره ٦٠ عامًا، انظر: رزق، **خانقاوات الصوفية في مصر**، مج. ٢: ٧٤٦.

ولم يتقاعد عن الجهاد بل أعد العدة ما استطاع من قوة، واستعد للنضال بالنفس والمال، فكانت نهايته الاستشهاد في الذود عن أرض النيل وعن تاجه وصولجانه.

ومنذ وطئت قدمه أرض الصحراء الفاصلة بين مصر والشام، راح ينظر إلى بلاده «مصر المحبوبة» نظرة حنين وإشفاق، ثم شيعها وفي قلبه لوعة المحب وشوق الراحل وقد ودعها وداع من يعلم أنه وداع لا أوبة بعده، ففارقها والدمع ملء عينيه، وغاب عنها وهو يتمنى لها الخير والهناء. والحياة الرغدة السعيدة في ظل هذا الانقلاب المفاجئ، ويؤكد المؤرخون أن الغوري لم يمت بالسيف[1] كما هو العالق بالأذهان، بل مات تحسرًا وكمدًا حين رأى انهزام جيوشه البواسل أمام عدو صائل، وتيقن من ضياع ملكه وذهاب سلطانه فمات صريع الحزن والأسى، ودفن كما تدفن الشهداء في قبر خاص في جوار كريم [انظر قبر السلطان الغوري بالشام][2].

الفتح العثماني

كانت القسطنطينية في نهاية القرن التاسع الهجري بعد أن تقوى ساعدها واشتد عضدها قد أخذت توسع نطاق رقعتها، وتضم إلى ممتلكاتها ممتلكات أخرى، إذ كان يرى قادتها وساستها أنها لن تحظى بالسيادة العظمى وتتزعم المركز الديني، الأمر الذي كانت تسعى إليه مذ توطدت دعامتها وثبت ملكها، إلا إذا امتد حكمها إلى قارة آسيا جميعها وإلا إذا عم نفوذها ما وراء البحار، وفي استيلائها على آسيا تستطيع انتزاع ما تطمح إليه من الممالك الأخرى في اليونان وإسبانيا والبرتغال وقد انتزعت بالفعل كثيرًا من مستعمرات البنادقة في الأرخبيل اليوناني وفي بحر مرمرة ثم أخذت بعد ذلك في توسيع مملكتها المتدانية الأطراف، وطمحت نفس السلطان محمد الثاني أن يستولى على مصر، فمهد لفتحها بما أشرنا إليه في هذا الكتاب في ترجمة الملك الأشرف قايتباي.

وإذ كتب الله النصر لمصر واستطاع مليكها المذكور قهر عادية العثمانيين والتغلب عليهم وجلائهم عن وادي النيل؛ تقدمت القسطنطينية إلى سلطان مصر بعقد صلح لم يدم طويلاً حتى انتقض بعد مضي ثمان سنوات من إبرامه بين المملكتين فطمحت نفس السلطان إلى عمل تجربة أخرى يبلغ بها أمنية أسلافه من غزو مصر، حتى يحرز من السيادة والسعادة ما كان يتطلع إليه آباؤه بيد أن هذه التجربة لم تفلح كسابقتها، فبقيت تركيا صامتة تترقب الحوادث، وترقب عن بعد سياسة مصر الداخلية، حتى إذا سنحت لها فرصة انشغال الملك الغوري برد عادية البرتغاليين الذين راموا انتزاع السيادة التجارية من مصر حتى لا تكون أوروبا كلها تحت رحمة الجالس على عرش وادي النيل، كان ذلك الحادث الجلل الذي تحولت فيه مصر من مملكة حرة مستقلة إلى ولاية عثمانية.

علاقة مصر التجارية والسياسية بدول أوروبا في عصر السلطان الغوري

توطدت العلاقات التجارية والسياسية بين السلطان الغوري وبين ملوك أوروبا وإسبانيا والهند وبين دول الغرب

---

(١) قيل إنه أصيب بالفالج أي الشلل أو مات من شدة القهر، وهناك من قال إنه ابتلع فص ماس، انظر: عبد الحافظ، «معجم أسماء سلاطين وأمراء المماليك بمصر والشام»: ٦٨٨.

(٢) عن سيرة السلطان الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري، انظر: ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٥: ٨٧- ٩٥.

قاطبة بصفة أكيدة حتى ظهــرت علاقة مصر بهاته الدول علاقــة متينة، ولم تكــن هذه العلاقــات مجرد صلات تجارية بل كانــت في القوة التي تبدو فيهــا كرباط تجاري يربــط المملكة المصريــة بدول الغرب والــشرق علاقات ود وصداقــة وتحالف وتعاهد بالطرق السياســية والحربية والعسكرية، بل لم تظهر مصر كمملكة مستقلة استقلالاً كليًّا ذات ســيادة عظمى في البر والبحر وكانت دول الغرب جمعاء تخافها وترقبها؛ وتســميها القاهــرة العظمى وكان لها سفراء وقناصل وممثلون سياسيون في كل من إنجلترا وفرنسا وأمريكا وألمانيا وإيطاليا واسبانيا والبرتغال حتى قارة آسيا والشرق الأدنى وإفريقيا الشــمالية والجنوبية والغربية حتى رأس الزوابع أو رأس الرجاء الصالح حتى تخوم الهند ومملكة اليشــكري وعاصمتها بيزنطة إلى تلــك الرقعة الهائلة في القارات الغربية والشرقية.

لــم تظهر مصر بهذا المظهر كلــه في عصر ما ظهورها في عصر هذا الملك العالم الحر، أعني به الســلطان الغوري الذي أخاف أوروبا بسطوته وتغلب على سياستها بكياسته وسياسته، وقد لا نستطيع أن نلم بأطراف هذا الجانب المهم؛ من تاريخ مصر السياسي لذلك العهد لاتساع مجاله وتشعب أطرافــه من جهة، ولقلة المعلومات الــتي وصلتنا عنه من جهة أخرى، بيد أنه لا يفوتنا أن نشــير إلى تلك المبادلات التي كانت بــين المملكة المصرية وبــين جمهورية البندقية بالمكاتبات تارة وبإيفاد الســفراء والقصاد تارة أخرى بشأن ثروة مصر التجارية التي تســتولي عليهــا المملكة المصرية بطريق التبادل التجاري مع دول الشرق ومملكة الهند.

فحين شــعر البنادقة بتحرج مركزهم التجاري أمام البرتغاليين لم يجدوا ملجأ يلجأون إليه يقيهم بأســهم غير الجالس على عرش النيل، فوجدوا منه ملكًا حريصًا وزعيمًا متيقظًا خبيرًا بالحوادث، عليمًــا بالوقائع وبما يجري وراء البحار، فعاونهم وظاهرهم بما فيه مصلحة مصر، واســتمر الحــال على هذا المنوال حتى بدت ظواهر الســوء منهم، وإذ أحس الســلطان الغوري منهم ذلك، غالظهم في القول ثم جرد عليهــم حملة برية وأخرى بحريــة، وكاد يتم له النصر عليهم نهائيًّا لولا قضــاء الله الذي حل به في ذلك الحادث الجلل، فطــواه عنهم وغيب شــبحه من بينهم فتنفســوا الصعداء وملكوا زمام الحركة التجارية، فقطعت عن مصر ثروة طائلة كانت هي أمنية الحكومة ومورد الشعب الخصب.

ولــم تكن تركيا تفكــر في هذه الناحيــة التجارية مع أهميتها بالنســبة إلى مصر مــع الدول قاطبة وارتباطها بالدول بحكم موقعها الجغرافي أولاً، وبعلاقاتها المتشــعبة ثانيًــا، وكانت أمور مصر في اضطــراب وحكومتها الأهلية في حروب وكروب وخطوب مع بني عثمان حتى اســتقرت فيها إقدام الســلطان ســليم وملك وادي النيل من أقصاه لأقصاه واشــتغل بتوطيد دعائمه وتثبيت أحكامه وتأسيس قاعدة ملك له جديدة في مصر، فلم تكن حكومته لتفكر في تعقب البرتغال، ولم تحسب لاســتعادة التجارة المصرية إلى أسواق مصر أي حســاب، وبذلك أكمل السعد خدمته وتبسم الزمن للبرتغال، فإنهم تخلصوا من الشخص الوحيد الذي كان في وسعه أن يعرقل مســاعيهم ويرد عاديتهم بما أوتيه من قوة وسطوة، وكان في استطاعته أن يقهرهم إذا هموا بسوء نحو الكنانة ويردهم على أعقابهم مدحورين، وحينئذ ثبت أقدامهم وملكوا بحــار الشرق وتوطدت دعامتهم فيه باسم سلطانهم الســعيد عمانويل، وكان ذلك الحادث الذي أشار إليه مؤرخو هذا العصر.

فلما استفحل أمرهم وخيف على وادي النيل منهم جرد السلطان سليمان بن سليم عليهم حملة بحرية وعهد بقيادتها إلى والي مصر الأمير سليمان باشا، فأعد أسطولاً عظيمًا أبحر به في أوائل سنة (٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م) من السويس، فسار من طريق البحر الأحمر حتى وصل إلى قمران فاستولى عليها ثم احتل مدينة عدن، وزحف إلى الهند الشرقية فأخضعها وحارب البرتغال وانتصر فيها عليهم نصرًا مؤزرًا، وعادت الحملة إلى مصر يرفرف عليها علم النصر والظفر، وبذلك عادت إلى مصر ثروتها التجارية؛ بعد غيابها عنها حينًا بيد أنها لم تلبث أن اختفت لأمور سنفصلها بعد، ولابد هنا أن نشير إلى وصف تلك الموقعة الحربية الخطيرة «خلاصة مما كتبه أحمد زكي باشا في هذا الصدد» التي أخذت من الغوري كل تفكيره والتي جعلته في شاغل عن أن يفكر في مصير هؤلاء العثامنة الذين جاءوا يهددون مصر لمطامعهم الشخصية، قبل أن يستفحل الخطب ويمتد الداء فيعسر الدواء.

وصف معركة حربية بحرية في عهد السلطان الغوري[1]

وقعت هذه المعركة الدامية في أوائل القرن العاشر الهجري بسبب ما كان بين المصريين والبرتغاليين من الروابط التجارية وطمع الفريق الثاني واستيلائه على تجارة مصر والهند وقطع طرق المواصلات الأمر الذي تحفز له الغوري وجرد جيوشه لمحاربتهم وكان النصر حليفه لولا أن واتته ظروف قاسية راح ضحيتها ولقي فيها مصرعه وهو يدافع بنفسه عن تاجه وصولجانه ويحمي بيضة ملكه برمحه ويعطينا هذا الوصف صورة رائعة مما كان لمصر من القوة والبأس والاستعداد الحربي وأنها كانت حتى في آخر رمق لها لم تفقد منعتها ومكانتها.

حينما رأى السلطان الغوري أن من أوجب الواجبات عليه أن يبادر لإجابة الصريخ الذي كان يتوالى عليه من بلاد الهند ليدفع عنهم ذلك العدو المغير وليطهر البحار من أساطيل الطغاة البرتغال وإعادة التجارة إلى مصر كما كانت، أصدر أمره إلى أسطوله العظيم المجتمع في مياه جدة بمباشرة القتال، ورأى أن الأمر سيطول نظرًا إلى ما وصل إليه البرتغال من ترسيخ أقدامهم وتثبيت مراكزهم في بلاد الهند وفي بحارها ولذلك كان الغوري على يقين أنه لا مندوحة له عن الاستمرار في المزيد من الأهبة والاستعداد لتسيير الإمداد وراء الإمداد حتى يقهر ذلك الخصم العنيد ويكسر شوكته ويستأصل شأفته فتعود له السيطرة السياسية في تلك الأقطار وينفتح طريق التجارة إليه وإلى بلاده كما كان، فلذلك بلغ جهده في توفير معدات القتال وبذل سعيه لدى السلطان بايزيد سلطان القسطنطينية ولدى جمهورية البنادقة للحصول على ما لا يوجد في بلاده من الأدوات ورجال المدافع.

كان الغوري أعلم الناس بحالة تلك الجمهورية وبما أصابها من الضعف أمام العثمانيين الذين امتلكوا كثيرًا من مستعمراتها من جهة الشرق، ويهددون البقية لها؛ وبما وقعت فيه من المحن والخطوب بسبب عصبة كمبراي التي تحالف فيها الإمبراطور مكسيمليان الأول إمبراطور ألمانيا ولويس الثاني عشر ملك فرنسا وفردينند ملك قشتالة والبابا يوليوس الثاني وتعاهدوا في سنة (٩١٤هـ/ ١٥٠٨م) على مناوأتها بالشر والعدوان، كان الغوري أعلم الناس بأنها إنما تسعى بدسائسها الخفية ووسائلها السياسية لحفظ ثروتها

(١) لمعرفة المزيد عن تلك المعركة، انظر: عبد الدايم، **مصر في عصري المماليك والعثمانيين**: ١٦٥-١٧١.

ومكانتهـــا بتحريش مصر على البرتغـــال دون أن تظهر أمام أوربة بمظهر المؤيد للسلطان، وقد رأينا آثار ذلك فيما قالته للراهب الإسباني موروس الذي بعث به الغوري سفيرًا إليها وإلى البابا وإلى إسبانيا والبرتغال، غير أن الغوري كان ينتظر منها على الأقل أن توافيه بما هو في مقدورها من الخشـــب والآلات والعدد الحربية والخبيرين بإطلاق المدافع، ولكنه لم يكن على ثقة من اقتدارها على ذلك، ولأجل عدم ضياع الوقت سدى بعث الغوري إلى السلطان بايزيد العثماني في سنة (٩١٣هـ/ ١٥٠٧م)، ثم في سنة (٩١٦هـ/ ١٥١٠م) بأن يوافيه بما يحتاجه من أخشـــاب البناء وربابنة البحر والمدفعيين فبادر إلى إجابته وبعث له بما طلب على سبيل الهدية.

وفي نفس سنة (٩١٣هـ/ ١٥٠٧م) المذكورة أرسل الغوري أيضًا إلى حلفائه البنادقة سفيرًا من قبله واختار في هذه المرة رجلاً من أمراء مصر وهو الأمير تغري بردي رئيس التراجمة بديوان الإنشـــاء فوصلها في ١٠ جمادى الأولى سنة (٩١٣هـ)/ ١٧ ســـبتمبر ســـنة (١٥٠٧م)، وقد تفاوض مع الجمهورية في مســـائل تجارية متعددة طبقًا لمأموريته الظاهرية الرسمية، ولكنه كان مكلفًا في الحقيقة ونفس الأمر بشؤون سياسية، أخصها يتعلق بالنزاع الذي أوجدته دولة البرتغال وبمطالبة الجمهوريـــة أن تبعث للســـلطان ما يحتاجـــه من المعدات الحربية «أخشاب وآلات ورجال خبيرين بمعالجة المدافع».

والظاهر أنها وعدت الســـفير في الســـر والخفاء بأنها ســـتعمل ما في وسعها لتلبية الســـلطان إلى مطالبه، ولكنها من باب التمويه على دول أوربا أظهرت أنها أجابت السفير المصري بأنها إذا فعلت ذلك تنزل من مكانتها في أعين الأمم النصرانية وتصبح في معزل عنها وفي ذلك كل الضرر عليها، وقد نصحته بأن يشـــير على السلطان بطلب ما يحتاجه من القســـطنطينية وأنه إذا كان في حاجة إلى خشب البناء فما عليه سوى أن يستجلبه من الأناضول.

وقد رأينا أن الســـلطان لم يتربص حـــتى تأتيه هذه المشورة فقد قدمنا أنه في ســـنة (٩١٣هـ/ ١٥٠٧م) ثم في سنة (٩١٦هـ/ ١٥١٠م) طلـــب من ســـلطان العثمانيـــين المدافع وأخشـــاب البناء والقباطين والمدفعيين كما سبق لنا بيانه، وكان الأســـطول المصري قد تحرك من جدة في استعداد تام للقيـــام بمأموريته، وقد اختار الغـــوري لهذه الحملة رجلاً من رجـــاله المغاوير وهو الأمير حســـين الكردي، وكان من أهل الشـــدة والبأس مشهورًا بالشـــجاعة والإقدام وحسن التدبير وخبير بالسياســـة، وفوق ذلك كان من ذوي الأبهة والعظمـــة بحيث إنـــه «إذا ضم أو طاقة» في ســـفر أو حضر أقام الجنود والأعوان من حوله إظهـــارًا للحرمة والناموس لإدخال الإرهاب في القلوب والإجلال في النفوس، وكانت له أسمطة ممدودة في الحل والترحال، وكان بذولاً للطعام ولكنه دخيل في نظر طائفة الجراكسة لا يملأ أعينهم ولا يعتبرونه فيما بينهـــم، وكان الغوري معتنيًا بأمره عارفًا بقدره ويخشى عاديتهم عليه لأجل ذاك، ولما امتاز به الأميرال حسين من الصفات التي ذكرناها، ندبه الســـلطان لهذه المهمة الخطيرة وما زال يجد الســـير ويجوب البحار حتى وصل إلى ســـاحل ملبيار في أواخر ســـنة (٩١٢هـ/ ١٥٠٧م) فألقى مراســـيه على بندر ديو من أعمال كجرات بثلاث عشرة ســـفينة حربية جاءنا تفصيلها من مؤرخي البرتغال، إذ قالوا إن عمارته هذه كانت عبارة عن ســـتة أغربة وغليون واحد وست سفائن كبيرة، واجتمع بســـلطان كجرات يومئذ وهو خليل مظفر شـــاه فأكرمه وعظمه وأنعم عليه بنعمة طائلة وأمر عامله

على ديو وهو المالك «الأمير» إياس بأن يكون هو وسفنه تحت تصرف الأمير المصري.

ذهب الأمير آل حسين يبحث عن الأسطول البرتغالي حتى التقى به إمام مدينة شيول في رمضان سنة (٩١٣هـ/ ١٥٠٧م) وكان هذا الأسطول معقود اللواء لنجل والي الهند البرتغالي وهو الفتى لورنسو الليدا فهجم عليه الأميرال حسين وانتصر عليه نصرًا مبينًا، وقبض على غراب الأميرال الذي ذاق كأس الحمام في أثناء المعركة، ورجع الأميرال حسين تخفق على رأسه وعلى سواري أسطوله المصري رايات الظفر والفلاح، فأقام بميناء ديو مدة شهور منتظرًا انقضاء فصل الأمطار، فأرسل إليه السامري من ساحل ملبيار أربعين غرابًا كلها صغار لتكون في خدمته وطوع إشارته، وبينما هو يتأهب لاستئناف القتال إذا بالأسطول البرتغالي مؤلفا من ١٩ قطعة حربية قد داهمته بغتة وأخذه على غرة في مياه ديو، وكان المتولي الزعامة والرياسة في الأسطول البرتغالي هو فرانسيسكو ألميدا والي الهند الشرقية لينتقم لراية بلاده وليأخذ بثأر ولده الذي قتله الأمير آل حسين، فما هو إلا أن أحس هذا الأمير باقتراب الأسطول البرتغالي حتى صمد إليه من غير استعداد، وخرج معه أسطول السامري وأسطول كجرات، فاشتبكت في معركة بحرية هائلة وهي المعروفة بمعركة ديو سنة (٩١٥هـ/ ١٥٠٩م) فكان الأسطول البرتغالي لا يقصد بناره وقنابله سوى غربان الأمير المصري حتى استولى على بعضها وطاح الباقي منها، وانهزم الأمير حسين شر هزيمة ولكن لم يقع في قبضة الأعداء بل تمكن من الرجوع إلى مصر ومعه فلول الأسطول.

فلم يبق في وجه البرتغال مانع دون التمادي في مشروعاتهم ففي شهر ذي القعدة سنة (٩١٦هـ)/ مارس سنة (١٥١١م) ذهب إلى الهند ألفونسو ألبوكرك بعمارة بحرية لاقتحام بحر العرب وكان قصده أن يبني قلعة في عدن وأخرى في جزيرة كمران تمهيدًا لما يطمح إليه من الاستيلاء على سلطنة مصر نفسها، أو على الأقل تحويل مجرى النيل عنها وجر الخراب عليه وذلك بناء على ما كتب به إليه ملك البرتغال، فلما شرع في منازلة عدن صده الأمير مرجان العامري واضطره للرجوع على أعقابه منهزمًا مدحورًا، وفي هذه الموقعة قتل مارشال الجيوش البرتغالية وجرح والي الهند نفسه.

فلما رأى الغوري انكسار أسطوله ورأى ما يحاوله البرتغال من الاستيلاء على البحر الأحمر تمهيدًا لأخذ مصر نفسها أخذته الغيرة الشديدة وواصل العمل ليل نهار، جهز أسطولاً مؤلفًا من ٢٢ غرابًا كبيرًا وغليونين في استعداد تام، وأمر الأمير سليمان الرومي العثماني مع الأمير حسين وبعثهما إلى بحر الهند لإعادة الكرة على البرتغال والأخذ بالثأر، وكان الأمير سليمان من طائفة اللوند فاتكًا شجاعًا له معرفة بالحروب خصوصًا بالمدافع والبنادق، وكونه من اللوند ووصفه بالرومي في كتابي قطب الدين وبالعثماني في تاريخ ابن إياس، يشعر بأنه من القباطين الخبيرين بسلك البحار الذين بعثهم السلطان بايزيد إلى الغوري حسبما سبقت الإشارة إليه، لاسيما وأنه ذو معرفة بحرب المدافع والبنادق، وقد أراد الغوري أن يحفظ جدة من هجوم الإفرنج، وأن يقطع دابر الفتن التي كانت مشتعلة فيها بسبب تشاحن أولاد أمير مكة مع أبيهم، مما أوجب اضطراب الأمن واختلال النظام في الحجاز، ولذلك أنعم السلطان الغوري على الأمير حسين بنيابة جدة، وجعلها إقطاعا «تيمارًا» له، وجهز معه ٨٠٠ مملوك وطوائف كثيرة المغاربة واللوند.

قام الأمير آل حسين بهذا الأسطول الرهيب فوصل جدة في سنة (٩١٧هـ/ ١٥١١م) ورأى البرتغال يهددونها من جهة البحر ومتخطفة العرب من جهة البر، فعول على تحصينها لمنع هذا الخطر المزدوج عنها، وقد تجرد بهمته الشماء لبناء سور محيط بها، وحصنه بالأبراج المتينة المحكمة، وقد استعمل في ذلك الشدة المتناهية التي تقضي بها تلك الظروف الحرجة؛ فهدم كثيرًا من البيوت القريبة من موضع الأساس، واستعمل حجارتها في البناء واستخدم عامة الناس حتى التجار المعتبرين وسائر المتسببين في حمل الحجر والطين والتراب، ولجأ إلى الصرامة العسكرية في معاملة البنائين حتى يتيسر له تنفيذ مشروعه على عمله، وبهذه المثابة تمكن من الفراغ من تحصين جدة في عام واحد، وجاء هذا السور من أحسن المباني هناك حتى عده ابن إياس من حسنات الغوري.

وفي أثناء ذلك كان الأميرال حسين يجمع المال ويستوفي الأهبة للمهمة التي كلف بها؛ وهي أخذ الثأر من البرتغال وإمكانهم من الهند وبنادره وبحاره، بيد أنه لم يكد يصل إلى بلاد الهند، حتى وقع له ما عكر الصفو بينه وبين سلطان المسلمين عامر بن عبد الوهاب لامتناعه عن إمداده لأمور كان يجهلها الأمير آل حسين، ودارت بينهما حروب انتهت بانتصار الأميرال حسين عليه والاستيلاء على بلاد اليمن وطرد السلطان عامر منها، ولخلاف قام بينه وبين زميله الأميرال الآخر سليمان الرومي، فشلت المهمة التي نصب الأميرال حسين لها نفسه؛ وكانت نهايتها الفشل.

فكان من سعادة البرتغال اختلاف هذين الأميرين قبل وصولهما إلى بيت القصيد مأموريتهما، سيما وقد وقع فيهما من الشحناء والشقاق ما أدى إلى التخاذل والافتراق، بل كان من تمام سعادة البرتغال أن السلطان سليم تحرك على السلطان الغوري في تلك السنة بعينها سنة (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)، فاشتغل ولي الأمر في مصر بالدفاع عن ملكه وتاجه، وأهمل الهند وبحارها وبرتغالها، فخلا لهم الجو وحدث هذا الانقلاب المفاجئ.

عبقرية السلطان الغوري وعلمه

كان السلطان الغوري عبقريًّا فذًّا يتكلم في العلوم ويناقش فيها، وفوق ذلك ذكيًا أديبًا عالمًا، كانت مجالسه لا تخلو من المطارحات الأدبية والمسائل العلمية، وكان العلماء إذا حضروا مجالسه طرح عليهم المسائل، فكثيرًا ما كانوا يتركون له الجواب عما سأل فلا يخطئ إلا نادرًا، وربما أجاب بما يعجز عنه العلماء، وكانت له مشاركة في فنون شتى؛ فكان يبحث في الفلك كما يبحث في الطب والتاريخ والكيميا والهندسة وعلم الضوء والبصريات، هذا إلى جانب معارفه من العلوم الشرعية وبحثه فيها.

وكانت له قوة على نظم الشعر باللغات الثلاث العربية والفارسية والتركية، وأثيرت في عهده مسألة ترجمة القرآن إلى غير اللغة العربية، ويؤكد الأرموي أن السلطان هو الذي أثارها لرغبته في إيجاد ترجمة لكتاب الله تعالى تعميمًا لنشره بين الجاليات الإسلامية، فاستفتى في ذلك العلماء فأفتى الشيخ عبد البر بن الشحنة الحنفي بجواز ترجمته إلى الفارسية تطبيقًا لمذهبه، وقاس عليها جواز ترجمته إلى لغات أخرى يكون فيها من الضبط والسعة ما في اللغة الفارسية.

وللغوري ديوان شعر جمع في عصره وبرسمه وهو موجود بخط اليد في مكتبات الأستانة وحلب، وأنشد له الشيخ راغب الطباخ في تاريخ حلب بعض منظومات ومقطوعات،

وفي مؤلف الأرموي نتف من شعره، وكانت له دروس دينية حافلة يلقيها هو بنفسه في ملأ مشهود من العلماء والكبراء والأعيان والأمراء، يشرح لهم فيها أحاديث من صحيح البخاري أو يفسر لهم آية من كتاب الله، وقد بلغنا أنه أنجز شرحه على صحيح البخاري، لكن بكل أسف لم يصلنا هذا الشرح، ولو وصلنا لكان أمتن ذخيرة لملك مصري عالم، وقد أفرد الغوري بالترجمة الشريف الأرموي نقيب الأشراف المتوفى سنة (٩٢٠هـ/ ١٥١٤م) وألف فيه القاضي محب الدين الحلبي وفي هذا المؤلف تكلم فيه على إنشاء مدرسته وجامعه، واستطرد إلى ذكر عماراته ومنشآته، ولابن إياس- مؤلف تاريخ مصر المطبوع بعضه بالأستانة- مناقب الغوري في مجلد ضخم، كما لابن زنبل الرمال وللعبيدي رسالة في الفتح العثماني، وكتب قطب الدين النهروالي كتابًا ضخمًا عن الفتح العثماني، وفيه تصوير دقيق لحالة مصر السياسية والحربية في هذه الحقبة وعلاقة مصر بالأقطار الشرقية النائية وبدول أوروبا في عصر الغوري (مخطوط).

تثقيف الشعب بالقصص الشعبية

وقد عمد الغوري إلى تثقيف جنده وعساكره وبث الروح الحربية والفروسية والشجاعة وحب الجولان في نفسه بطريقة لم يسبقه إليها سابق، ذلك أنه عهد إلى نديمه الشيخ محمود القصاص المعروف بابن أم أبي الحسن بانتقاء بعض القصص الحربية، فانتقى منها قصة البطل عنترة ابن شداد العبسي، وقصة عرب بني هلال الذين أقصاهم المستنصر الفاطمي في سنة (٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م) عن مصر ليكفي ثورتهم، وأمر أن يهاجروا إلى المغرب، ووقعت بينهم وبين أهل المغرب حروب طاحنة كان الظفر فيها لأبي زيد الهلالي سلامة «رئيس قبيلة بني هلال».

وبعد أن صاغ الشيخ محمود المذكور هاته القصص في القالب الذي رسم به السلطان أمر أن تقص وتذاع على إيقاع الربابة في النوادي والمقاهي وفي بيوت الكبراء والعظماء وبين مماليكه وحاشيته، وكان يقص عليه منها في قصره في مجالس من ليالي رمضان بحضور عدد كبير من أمرائه وحاشيته، والغوري في هذه الفكرة الصائبة التي قصد منها غاية نبيلة هي إيجاد الروح المعنوية في الشعب بطريقة مبتكرة، قد وفق إلى ما وفقت إليه وزارة الشؤون الاجتماعية في عصرنا الحاضر، بيد أنها نحت ناحية أخرى ربما كانت نواة لأن تستبدلها بنواحٍ أقوى منها، وقد نشرت الأهرام في (٢٨/ ٣/ ١٩٤٣م) في هذا الصدد ما نصه: «أعدت وزارة الشؤون الاجتماعية قصة جديدة في نوعها تتضمن تاريخ مصر الحديث في قالب شعري وقع على الربابة. وقد وضع القصة الأستاذ بيرم التونسي على نمط قصص عنتر وأبو زيد والزير سالم وغيرهم، وتنوي الوزارة أن تقيم قريبًا حفلة ساهرة تعرض خلالها بعض مقطوعات هذه القصة الطريفة التي ترمي من وراء تأليفها وإذاعتها على النحو السالف الذكر، إلى بث المفاخر الوطنية في أذهان طبقات الشعب».

ومما يجدر الإشارة إليه أن هذه القصص التي قصد بها السلطان الغوري ذلك المقصد النبيل، قد كانت في العصر العثماني منذ أن دك صرح النهضة العلمية الصحيحة وانحط أسلوب العربية بما داهم الناس من ظروف عصيبة هي كل ما تبقى في متناول الشعب من آثار الآداب العربية في عصر النهضة وكان القصاص (وسماهم عامة ذلك العصر بالشعراء) وظيفتهم إلقاء هذه القصص على مسامع الجماهير في المقاهي والنوادي لقاء أجور زهيدة من أصحابها، وكانوا

ينشــدونها على نغمــات الربابة بطريقة خاصــة وبلغ من تضاءل مكانة الشعر والأدب أن اعتبر عوام المصريين هاته الطائفة هم الطبقة المســتنيرة من الشــعب، وذلك نتيجة التقهقر العلمي الذي لابس أهل ذلك العصر لالتوائهم عن الجادة وانغماسهم فيما هوى بهم في مهاوى الفساد.

وقد وضعت على غرار هــذه القصص قصص أخرى لذات الهمة أو الغالية وهي الامــرأة العربية التي تزوج بها الآمر وأســكنها جزيرة الروضة، والزنــاتي خليفة وغيرها، ووضع ابن زنبل الرمال[1] قصة للســلطان الغوري من هذا الــضرب، وهو من المؤرخين المعاصرين للســلطان المذكور، وتولى في العــصر العثماني نظارة ديــوان الجيش، وامتدت حياته إلى ما بعد سنة (٩٦٠هـ/ ١٥٥٢م)، وقد نحا نحوه إبراهيم العبيدي في قصة صغيرة للغوري أيضًا.

وقد عثرت على نســخة خطية مــن هاتين القصتين (عنترة- والهلالي) باسم مؤلفهما المذكور للسلطان الغوري، كانتا بمكتبة الأمير محمد بك أبي الذهب بمدرسته بالأزهر، ثم آلت إلى الشــيخ محمد البربري الملقب بأبي الذهب الذي كان كاتبًــا بنظارة الحقانيــة وبقلم التســجيل بالمحكمة الشرعية، ومنه إلى الشيخ علي الدرويش، ثم وجدت في تركة الشيخ محمد الحفني المهدي.

(١) ابن زنبل الرمال: هو أحمد بن على بن أحمد بن زنبل المحلي الرمال كان موظفًا بديوان الجيش العثماني في وقت ما، ورافق جيش السلطان سليم أثناء الحروب التي أنهت دولة المماليك وقد اشتغل بالتنجيم والرمل فلقب بالرمال أهم كتبه (تاريخ أخذ مصر من الجراكسة) وقد توفي بعد سنة (٩٦٠هـ/ ١٥٥٢م)، انظر: المرجع السابق: ٢٦.

علم التصوف في نظر الغوري

وكان من أهم ما يعنى به من العلوم علة إصلاح الباطن، وهو علم التصوف إذ به تتهذب النفوس وتتهيأ للعمل الصالح لتتحقق معنى العبودية في الإنســان بالوجه المطلوب شرعًا، وقد خصص لدرس هذا الفن قســطًا كبيرًا من ماله، وأعد له مكافآت خاصة لمدرسيه، ولم يقصر الدرس والتحصيل فيه على المدنيين، بل جعل للعســكرية فيه نصيبًا موفورًا، وعين لهم شيخًا منهم هو الأمير صانت باي، وعين للمدنيين الشيخ حسين الأرموي نقيب أشراف القاهرة.

وامتاز الغوري بتشجيعه للصناعة والزراعة فأولاهما المحــل الأول مــن عنايته، ولكي يحقق فكــرة كانت تجول بخاطره مذ كان أتابكًا (رئيسًــا للجيش) عمد إلى تعميم مشروع الإقطاعات الزراعية بصورة أوســع مما كانت عليه، فزادت الإقطاعات في عهده زيادة عظمى فانتظمت الزراعة وكثر الإنتاج الزراعي، واستصلحت الأراضي وتنعم الفلاح والمزارع وحل الخصب والرخاء محل الجدب والشدة.

عناية الغوري بالصناعة والتجارة ونظام الضرائب في عصره

كمــا أولى الصناعة والتجارة عنايته، وســن للعمال والصناع كافة ســنة حســنة تحميهم مــن عنت أصحاب الأعمال ومن الحوادث. فأمن حياتهم ورفه عنهم فانطلقت الألســنة بالحمد والثناء عليه [انظر تاريخ ابن إياس وابن زنبل وغيرهما].

وكانت له صلات يصل بهــا العلماء إما برًّا بهم وإما جوائز ومكافآت تشــجيعًا وتعضيــدًا، وكان إذا أحزبه أمر في نفســه أو في مملكته وحم عليه، جأر إلى الله تعالى وأمر الناس أن يجأروا إليه، فتنســل الناس سرًّا إلى المساجد فلا

يعودون منهـا إلا وقد رفع عنهم الـضر، والغوري في هذه الظاهرة يريد أن يطبق قواعد الشريعة الإسـلامية بطريقة عملية جامعة تدل على سـعة إطلاعه وسمو مداركه، وكان الغوري مع نسكه يبيح لنفسه التمتع باللهو المباح كاللعب بالكرة والصيد والقنص والجري والسباق والسماع وارتياد المتنزهات، وكانت له حديقـة فاخرة جمع فيها من الرياحين والمشـموم ونباتات الزينة، كالهليون والأقحوان والبشنين واللينوفر وغيرهـا جمعًا كثيرًا، وألحق بهـا مرابض وأوكارًا للطيور والحيوان، فكان فيها الباز والصقر والطاووس وأنواع الببغـاء والحمام والبشـق والشـياهين والعصافير المغردة بفصائلها، وكان فيها السـباع والضبـوع والنمرة والقطاط البرية والبساس والفهاد والخراف والثيران، وكان فيها الكثير من الطيور الدواجن والديكة بفصائلها إلى غير ذلك.

وإذ أحس السلطان الغوري بما يهدد مصر من ناحية العثمانيين وعزيمتهم غزو مصر والاسـتيلاء عليها فرض الضرائب على الشـعب المصري بصورة لـم يكن يأتلفها مـن قبل، فكان مما فرضه مـن الضرائب ضريبة على التجار وأصحاب الأموال والملاك والتركات والمواريث والمساكن والأراضي بما فيها الإقطاع الزراعية الممنوحة للأسياد وهم أمـراء الأسرة المالكة، كما فـرض ضريبة على المواصلات الدواب والجمال وأنواع المركبات، وأخرى على الأشـخاص من سائر الطبقات، ولم يسـتثن منهم حتى الرقيق والعبيد والخدم والإماء، وجعل مقرر كل شـخص يدفعه عن نفسه دينارًا في الشـهر وهو ما يقرب من ٥٦ قرشًا مصريًّا بالعملة الحاضرة، وفـرض ضرائب على المتاجـر والمصانع والباعة والعمال والمسـتهلكين وأرباب الحرف حتى المتهنة منها، وشملت الضرائب كل ما أمكن فرض الضريبة عليه.

والغـوري لم يعمـد إلى فرض هـذه الضرائب إلا في وقت المحنة، فهذه شـمس ملكه قد آذنت أن تغيب والخطر محيط بمملكته و العدو قادم عليه والواجب يدعوه والوطن يسـتصرخه أن يدفع عنه هذا العدو المغير ويدرأ هذا الخطر المحدق به، فما عسـاه أن يفعل !؟ نظر الغوري نظرة بعيدة المـدى وفكر طويلاً في هذا المصير، فوجد أولاً أن الشـعب المصري منقسم عليه قسمين: قسم ينقم عليه وينتقده بسبب تباطئه عن مهاجمة العدو والخطر يهدد البلاد، وقسـم يقف صامتًا جامدًا، والسلطان لم يأخذ أهبته لهذا الغزو المفاجئ، ولم يعـد العدة لهذا الخطر المزدوج، وجيش مصر وقتئذ يعد ثلاثة عشر ألفًا إذ كان السـواد الأعظم من الجيش بعضه في أقطاعه وبعضه في السواحل والاستحكامات والمستعمرات، ولكي يتضاعف هذا العـدد إلى قوة العدو التي تبلغ إلى مائة ألف مقاتل قد شـارفت أرض مصر وعسكرت على أبوابها يجب أن تتحصن بالمال وبالرجال وتتزود بالعتاد والذخيرة.

هذا ما حـدا بالغوري لأن يفرض هذه الضرائب التي اعتبرها الشـعب المصري مظالم ومثالب وانطلقت ألسنة الناس بالفحـش من القول في السـلطان، وعد المؤرخون هذا الإقدام مساوئ ذكروها إلى جانب محاسنه، والحق يقال أن الغوري لم يفتق رتقًا في الإسـلام.ولم يأت بجديد عليه، فهذه صفحات التاريخ الإسلامي والسياسي والحربي تفيض بـضروب من هذا النوع كثيرة في أقدس العصور التي مرت بالإسلام.

ملوك الشرق والغرب الذين عاصرهم الغوري

وقد عاصر الغوري من ملوك الشرق والغرب:

- السلطان بايزيد العثماني[١] أولاً، ثم السلطان سليم الثاني[٢] الذي أغار على ملك مصر وانتزعه منه.
- الملك إسماعيل شاه الصفوي ملك العجم وكانت بينهما معاهدة ود وصداقة[٣].
- حسين بيقرا التيموري سلطان هراة ومات في عصره سنة (٩١٢هـ/ ١٥٠٦م)[٤].
- الشريف بركات بن محمد بن بركات شريف مكة[٥].
- القائم بأمر الله محمد السعدي سلطان المغرب الأقصى[٦]، ومن ملوك بني وطاس السلطان محمد الشيخ بن أبي زكريا وابنه محمد الوطاسي.
- الملك الظاهر صلاح الدين عامر بن عبد الوهاب آخر ملوك الدولة الظاهرية في اليمن[٧].
- الأمير مرجان العامري أمير عدن.
- السلطان ناصر الدين مظفر شاه خليل بن محمود ملك كجرات[٨].
- سومور سامري «أي ملك» كالكوت عاصمة بلاد المليبار[٩].
- محمد بن الأحمر آخر ملوك بني نصر بالأندلس[١٠].

(١) السلطان بايزيد العثماني حكم الدولة العثمانية في الفترة من (٨٨٦-٩١٨هـ/ ١٤٨١-١٥١٢م)، انظر: الحداد، **المجمل في الآثار والحضارة الإسلامية**: ١٤٠.

(٢) السلطان سليم الأول ياووز وليس سليم الثاني وهو ابن بايزيد وحكم الدولة العثمانية في الفترة من (٩١٨-٩٢٦هـ/ ١٥١٢-١٥٢٠م)، وهو الذي انتصر على السلطان الغوري واستولى على حكم مصر عام (١٥١٧م)، انظر: سيد محمد السيد محمود، **تاريخ الدولة العثمانية: النشأة والازدهار «وفق المصادر العثمانية المعاصرة والدراسات التركية الحديثة»** (القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠): ٢٣١، ٢٤٦.

(٣) الشاه إسماعيل الأول وقد حكم الدولة الصفوية الشيعية بإيران وأحيانًا العراق وآسيا الوسطى، وهو مؤسسها وقد تولى في الفترة من (٩٠٧-٩٣٠هـ/ ١٥٠٢-١٥٢٤م)، انظر: الحداد، **المجمل في الآثار والحضارة الإسلامية**: ١٣٤.

(٤) هو حسين ميرزا بايقرا، وهو من حكام الدولة التيمورية وكانت في إيران ووسط آسيا وعاصمتها سمرقند، ثم هراة في شرق خراسان، وكانت تمتد من دلهي إلى دمشق، وقد أسسها السلطان المغولي تيمور لنك، وقد حكم حسين عام (٨٧٣-٩١٢هـ/ ١٤٦٨-١٥٠٦م)، انظر: المرجع السابق: ١٣٣.

(٥) كان يحكم مكة أيام السلطان الغوري، وقد أبقاه في منصبه السلطان سليم على مكة والمدينة وأرسل إليه الصدقات لأهالي الحرمين، انظر: محمود، **تاريخ الدولة العثمانية**: ٢٤٦.

(٦) هو محمد القائم بأمر الله والذي بدأ بحكمه تأسيس دولة الأشراف السعديين وقد حكم من (٩١٧- ٩٢٣هـ/ ١٥١١-١٥١٧م)، انظر: الحداد، **المجمل في الآثار والحضارة الإسلامية**: ١٤٩.

(٧) الدولة الظاهرية حكمت اليمن في الفترة من (٨٥٨-٩٣٣هـ/ ١٤٥٤-١٥٢٦م)، انظر: المرجع السابق: ١٢٧.

(٨) ملوك الكجرات من الدول التي قامت بأحد أقاليم الهند وامتد حكم ملوكها من عام (٧٩٩-٩٨٠هـ/ ١٣٩٦-١٥٧٢م)، انظر: المرجع السابق: ١٤٢.

(٩) السامري هو لقب يلقب به جميع من تولى حكم كاليكوت في العصور الوسطى، وكاليكوت مدينة في ساحل بحر العرب وميناؤها من أقدم موانئ الهند، وكاليكوت من المدن التي زارها ابن بطوطة، انظر: الشيخ زين الدين المخدوم الفناني المليباري، **تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين**، تحقيق حمزة جيلا كودان (كايكوت: مكتبة الهدى، ١٩٩٦): ٦٩.

(١٠) هو محمد بن أبي الحسن ويعرف بأبي عبد الله آخر ملوك بني الأحمر أو بني نصر في غرناطة وآخر ملوك المسلمين بالأندلس وسلم غرناطة للملكين الكاثولكيين فرديناند وإيزابيل عام (٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م) فهو لا يعاصر حكم الغوري، انظر: الحداد، **المجمل في الآثار والحضارة الإسلامية**: ١٥٢.

- يوسف بن خليل وابن رمضان وابن درغل ملوك التركمان.

وفي جزيرة رودس وجزائر الحيات أو الدود أمري رامبواز السادس عشر من فرسان القديس يوحنا حكام هذه الجزيرة- وكان بينه وبين الغوري معاداة حملت الغوري على أن يجرد عليه حملة بحرية مؤلفة من ٢٥ سفينة بقصد فتح هذه الجزائر والاستيلاء عليها فأدرك الفارس أمري الأمر وقدم اعتذارًا للغوري قبله على الفور وسحب جحافله وأوقف الغزو، وأشهر الملوك الذين عاصرهم بالغرب هم: يوحنا الثاني ملك البرتغال، ثم عمانويل الثاني الذي تولى بعده الملقب بالسعيد، وفي إسبانيا فرديناند وإيزابيلا، وفي فرنسا لويس الثاني عشر وفرنسيس الأول، وفي إنجلترا هنري السابع والثامن، وفي ألمانيا الإمبراطور مكسمليان الأول، وفي الهند الشرقية الفونسو ألبوكرك من قبل ملك البرتغال، وكان البابا في روما لعهده يوليوس الثاني، والخليفة في مصر المستمسك بالله يعقوب، وعاصره من قياصرة الروسيا القيصر إيفان الثالث، وباسيلوس الرابع، وفي الدانمارك والسويد كريستيان الثاني.

وقد كان بين الغوري وبين هؤلاء الملوك صلات ومبادلات مستمرة، ولم تتوتر العلاقة بين هذه الممالك وبين مملكة مصر في يوم ما، ولم تكن منعزلة عن العالم الأوروبي وبعيدة عنه كل البعد «كما يزعم بعض الكاتبين».

ويوجد في مكتبات ومتاحف أوروبا الكثير من رسائل المبادلة والحلف بين الغوري وغيره من ملوك مصر الجراكسة. وبين بعض هؤلاء الملوك وغيرهم من ملوك أوروبا. ويعتبرها علماء الآثار والمستشرقين من أنفس ما يحتفظ به لملوك مصر كوثائق تاريخية لها أهمية عظمى.

آثار الغوري ومنشآته

كان السلطان الغوري بعيد النظر جدًّا تسوده عقيدة كانت تحتم عليه بعض الأحيان تشييد المباني وإقامة المنشآت على اعتبار أنها نوع من المبرات التي لا يمكن لملك أن يخلو منها، فإذا رأينا له الكثير من المباني مما لا تزال تحمل اسمه إلى اليوم بمصر والشام والحجاز، فإنما كان حدوثه من هذه الاعتبارات.

جامع الغوري بقسم الخليفة[١]

أشار إليه ابن إياس بقوله: «وأنشأ جامعًا بالميدان عند حوش العرب «عرب آل يسار» بقبة ومئذنة، وأرخ انتهاء العمل منه في ربيع الآخر سنة (٩١٥هـ/ ١٥٠٩م)»، قال: «وفيه كان انتهاء العمل من الجامع الذي أنشأه السلطان خلف الميدان عند حوش العرب وخطب به وقد جاء في غاية الحسن، وهو موافق لما جاء بالمذكرة التاريخية التي تعلو بابه»[٢]، وقد بقي من هذا الجامع بقية صالحة سنذكرها عند ترجمته.

جامع الغوري والمقياس

جاء في تاريخ ابن إياس في حوادث صفر سنة (٩١٧هـ/ ١٥١١م): «أمر «أي السلطان» بإصلاح ما فسد من عمارة المقياس، وأمر ببناء جامع بجوار المقياس تجاه دار النحاس فأخذوا في أسباب ذلك، وفي هذا التاريخ نفسه جدد

---

(١) أثر رقم (١٥٩) بشارع صلاح سالم عرب اليسار، انظر: جاب الله، **دليل الآثار الإسلامية**: ١٦٩.
(٢) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ١٦٠.

المقيــاس وبنى له قصرًا في جواره، والجامع المذكور هو جامع بدر الجمالي» [انظر هذا الجامع والمقياس][1].

جامع الغوري بالسيدة عائشة

عرصة القمح سابقًا[2]، أشار ابن إياس إلى هذا الجامع في متجددات الغوري في سـنة (٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م)، بما قدمناه في ترجمة هــذا الجامــع، وأصله للأمير بكتمــر المؤمني الناصري[3].

باب الغوري بجامع الليث

وجدد في ســنة (٩١١هـ/ ١٥٠٥م) جامــع الإمام الليث ابن ســعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولا يــزال باب المســجد الغربي داخل المسجد مطبوعًا بطابع السلطان الغوري، يحمل على جانبيه مذكرة تاريخية يقرأ فيها اسم السلطان وتاريخ الإنشاء وقد أغفل المؤرخون هذه العمارة.

قناطر القلعة

وفي ســنة (٩١٢هـ/ ١٥٠٦م) جــدد قناطر القلعة، وهي القناطر الظاهرية كما يســميها ابن دقمــاق[4]، وهي التي ينسبها فريق من هواة الآثار الإســلامية إلى الملك الناصر صلاح الدين أو إلى الملــك الناصر محمد بن قلاوون أو إلى الغوري مباشرة، وهذا خطأ نبهنا إليه الأذهان منذ أن كتبنا عن هذا الأثر، ومنشــؤها الأول وهو الملك الظاهر بيبرس، أنشأها في سنة (٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م) لزيادة ماء القلعة إذ وجد أن السواقي والآبار والقناطر التي أنشئت في عهد صلاح الدين والكامــل وغيره من ملوك الدولــة الأيوبية، لا تكفي لري القلعــة لقدمها وتلوثها- فأنشــأ هذه القناطر بالســاحل الجديــد، على جزء مــن الأرض التي كانت مغمــورة بماء النيل حتى عهد الملك الصالح آخــر ملوك الدولة الأيوبية ثم أوصلها بسور الملك المذكور حتى باب الميدان الذي كان واقعًا بمدخل شــارع الحبالة أو سويقة منعم ومنه إلى أرض الصوة في الشــمال الغربي للقلعة حيث بنى لها مصنعًا (أي خزانًا للماء) مد منه الماء إلى القلعة وإلى القاهرة بواســطة الأنابيب الحجرية الممتــدة في تخوم الأرض بدواليب رافعة وبالرغم من اختفاء هذه القناطر واندثارها فقد بقيت منها بقية صالحة يحمل بعضها شــارة الملك الظاهر بيبرس وهي الســبع، وتعرفها العامة باسم السبع سواقي وهي غير السبع سقايات الجعفرية التي كانت بحارة السيدة[5].

ثم جددهــا الملك الناصر محمد بن قلاوون في ســنة (٧١٢هـ/ ١٣١٢م)، وزادهــا أربع ســواقي أخرى ومدها لجهة الغرب حيث مــوردة الحلفا «أو الحلفايــة وهو نبات بري معروف»، وجددها ثانية في سنتي (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) و(٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)، وقدر استبدالها بخليج يبدأ به من جزيرة الصابوني الواقعــة تجــاه هضبة المقطــم المعروفة بالجــرف أو جبل الطواحين حيث كانت تمتد القناطــر الصلاحية القديمة

(١) المرجع السابق: ٢١٣.

(٢) أثر رقم (١٤٨) شارع السيدة عائشة من ميدان صلاح الدين، انظر: جاب الله، **دليل الآثار الإسلامية**: ١٦٥.

(٣) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ٥٦.

(٤) هذه القناطر جانبها الذي يلي خط السبع سقايات من جهة الحمراء القصوى، وجانبها الآخر من جهة جنان الزُّهري، وأول من أنشأها الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري ونصب عليها سباعًا من حجارة، فقيل لها قناطر السباع وكانت عالية مرتفعة، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٨٨.

(٥) المرجع السابق: ٥٨١-٥٨٥؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٦: ٣٢٠؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٢٦٩-٢٧١؛ السيوطي، **كوكب الروضة**: ١٣٤-١٣٥.



قناطر الغوري (أثر النبي) «عن هاي»



من الرصد حتى القلعة فلم يتيسر له تنفيذ هذا المشروع لأسباب سنذكرها عند ذكر هذا الأثر بالتفصيل[1].

ثم أعاد تجديدها الملك الظاهر برقوق في سنة (٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م)، وجددها بعده وزيره يلبغا السالمي في سنة (٨١٥هـ/ ١٤١٢م) ثـم جددهـا الملك الظاهر جقمق في أواخر سـنة (٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، وفي سنة (٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م) إلى سنة (٩٠١هـ/ ١٤٩٦م) جددها الملـك الأشرف قايتباي تجديدًا كليًّا؛ فرمَّ ما تشعث من القناطر الممتدة على طول الطريق؛ وأعاد حفر القنـاة التي تعلوها وقوى ما وَهي من جدر السـور الكاملي واستغنى عن المصنع «الخزان» الظاهري الكائن بأرض الصوة بمصنع أي خزان آخر بناه تحت تخوم الأرض، ومد منه الماء إلى القلعة بواسـطة الدواليب الرافعـة والأنابيب الحجرية الممتدة أسـفل بابًـا الملك الكامل المعروف ببـاب القرافة وأوصد لهذا الغرض باب القرافة المذكور واسـتبدله بباب آخر فتحه في السور نفسه في شمال الباب الأول تجاه الجبانة.

وفتح باب الخولي وهو باب السـباع الذي أمر بغلقه الملك الظاهر جقمق في سـنة (٨٤٥هـ/ ١٤٥٠م)[2]، وأمر أن تحول المنطقـة الواقعة بين هذا الباب والمشـهد النفيسي إلى جبانة عمومية باسم السـيدة نفيسة، وبنى لها في الجهة الغربية بابًا لا يزال قائما حتى الآن بنهاية شـارع الأشرف وأول درب السباع.

وفي هذا التاريخ أحدث منشآت أخرى بهذه المنطقة وهي ما تشـير إليها المذكرات التاريخيـة التي تخلفت من هذه العمـارة وقد ذكرت في محالها، ولا نزال حتى الآن نرى المربع القائم فوق خزان الماء المذكور بأول شـارع القادرية قسـم الخليفة، بجانبه شـمالاً باب القرافـة الجديد يحمل اسـم الملك قايتباي في حلقتين ظاهرتين ومذكرة تاريخية كما نرى الخزان ذاته في جنوب المربع يسـامته باب الملك الكامل أو باب القرافة القديم أول شـارع الإقدام وهو من إنشـاء الملك الكامل في سنة (٦١١هـ/ ١٢١٤م) قبل أن يستقل بملك مصر وقد احتجب عن الأبصار بمجموعة من المباني ويتصل به بقايا السـور الكاملي. ثم باب الخولي أو الزمر أو أزدمر على الأصح، بجبانة السـيدة نفيسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهو باب السـباع، والخولي رجل صالح له زاوية قريبة من هذا الباب بجبانة السيدة نفيسـة بصحراء حنفي [انظر مسجد محمد الخولي] والبـاب الآخر المعروف بالزغلـة الذي كان واقعًا بشارع السيدة نفيسة بين المسجد النفيسي ومسجد السادة المالكية تجاه تربة السـت آسـيا، وعرف بالزغلة نسبة لآلة حربية كالسهام المغلقة تشـابه الكبش، توضع في مشارف الأسوار مع الحراس للدفاع عند الطوارق ويسميه المقريزي «باب المجدم».

وقد كانت المياه تصـل إلى القلعة وإلى جهات الإمام الشافعي والليث من هذا الخزان بواسطة الأنابيب الحجرية الممتدة تحـت تخوم الأرض والدواليـب الرافعة كما كانت تصل إليها وإلى جهات وأحياء القاهرة من الخزان الظاهري المذكور آنفًا، ثم جددها الملـك الغوري في التاريخ المتقدم ذكره، وزادها أربع سواقٍ أخرى[3].

وجدد المصنع وأحدث لهـا بئرًا لتوريد الماء من النيل بقيطـون أو سرب لا تزال بقاياه ماثلة حـتى الآن يقابله بموردة الحلفا ذلك المربع القائم فوق البئر بشارع عمرو بن العاص يحمل بواجهته اسـم الملك الغوري في حلقة ظاهرة،

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٩١.
(٢) السخاوي، **التبر المسبوك**، مج. ٣: ٩١.
(٣) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ١١٠.

كمـــا جدد القناطر التي تمتد بطـــول القناة بعمق يبلغ نحو ثلاثـــة أمتار، وطهرها مـــن التلوث وأعادهـــا إلى ما كانت عليه في ســـابق عهدها، وفي هذا الصـــدد يقول ابن إياس: «وعمل مجراة (أي قناة) من موردة الحلفا بالقرب من الجامع الناصري (وهو جامع راتب باشـــا الآن) وأنشـــأ هناك بئرًا وسواقي واتصلت هذه المجراة إلى باب المزغلة».

وذكر في حوادث ســـنة (٩١٤هـ/ ١٥٠٨م): «وفي جمادى الآخرة ســـنة (٩١٤هـ/ ١٥٠٨م) كان انتهاء العمل من المجراة التي أنشـــأها الســـلطان كما تقدم، فدارت هناك الدواليب (أي الرافعة) وجـــرى الماء في المجراة حتى وصل إلى الميدان الذي تحت القلعة، ثم أن السلطان صنع هناك سواقي نقالة، وبني ثلاثة صهاريج كانت تملؤ من ماء النيل برسم المماليك الذيـــن يلعبون الرمح في الميدان، وشرع في بناء بحره (بركة) في وسط ذلك البستان الذي أنشأه بالميدان، فكان طول تلك البحرة نحوًا من أربعين ذراعًا، وقيل أكثر من ذلك»[١].

وممن جددها بعد هذا التاريخ الوزير محمد علي باشـــا الســـلاح دار في ســـنة (١١٣٤هـ/ ١٧٢١م) ثم أعاد تجديدها الخديو محمد علي باشا في سنة (١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م)، وتقوم لجنة حفظ الآثار العربيـــة بتجديد ما تصدع منها بين كل حين وحين وقد بســـطنا القول على هذا الأثر في جزء خاص من هذا الكتاب [انظر قناطر القلعة].

الميدان الكاملي

وجدد في ســـنة (٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م) ميدان الملك الكامل، وهو جميع الأرض المعروفة بالميدان الأســـود أو قراميدان[٢]، في الجنوب الغربي للقلعة وهـــو جزء من ميدان ابن طولون وقد أشـــار إليه ابن إيـــاس بقوله: «وفي ربيع الأول ســـنة (٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م) ابتدأ الســـلطان بعمارة الميدان الذي تحت القلعة فعلىّ حيطان ســـوره ورمى في أرضـــه الطين الكثير قدر أربعـــة أذرع، وجعل ذلك في الجهة الغربية من الميدان ثم ســـاوى أرضه وفرش بها النقارة، ثم شرع في بناء مقعد وبيت بالميدان برســـم المحاكمات، وأنشأ في الجهة الغربية مـــن الميدان قصرًا حافـــلاً ومنظرة وبحـــرة وغير ذلك من البناء الفاخر، ثم شرع في نقل أشـــجار من ســـائر الفواكه وأصناف الأزهار والرياحين وغير ذلك. فغرست بالميدان في الجهة الغربية، ثم أجرى إليه المياه من الســـواقي التي بباب القرافة[٣]، وأجرى إليه المياه أيضًا من الســـواقي التي بحدرة البقر، ثم أنشـــأ قصرًا على باب الرميلة وجعل للميدان بابًا كبير وعليه سلســـلة حديد وإلى جانبه بـــاب صغير أيضًا وعليه سلسلة من الحديد مثل الباب الكبير؛ ثم أمر بعمارة سبيل المؤمني وعقد سقفه بالحجر النحيت، وأنشأ إلى جانبه حوضًا وســـاقية وصنع هناك مغسلاً برسم الأموات وميضة وغير ذلك مما ينتفع به»[٤].

منشآت أخرى للسلطان الغوري

وبني هناك بالميدان عدة مقاعد ومناظر مطلات على ذلك البســـتان، وفك رخام قـــاعات الأتابكي أزبك التي أنشـــأها بالأزبكية، ونقل ذلك إلى الأماكن التي أنشأها

(١) المرجع السابق، ١٣٧.

(٢) هو ميدان صلاح الدين حاليًا يقع بين قلعة الجبل ومساجد السلطان حسن والرفاعي والمحمودية عرف كذلك بالرميلة= وسوق العصر وسوق الخيل والميدان السلطاني، ويعرف كذلك الآن بالمنشية، انظر: زكي، **موسوعة مدينة القاهرة**: ١١٩، ٣٧٨.

(٣) باب القرافة بجوار باب قايتباى بالسيدة عائشة (٨٩٩هـ/ ١٤٩٤م)، أثر رقم (٢٧٨)، يقع في نهاية شارع السيدة عائشة، انظر: المرجع السابق: ٢٣.

(٤) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ٥٦.

بالميدان وصارت هــذه البحرة تمتلئ كل يــوم بماء النيل وفائضها يسقي البســتان، وفي سنة (٩١٥هـ/ ١٥٠٩م)، أينعت الأشــجار التي غرسها السلطان بالميدان وأخرجت ما شتله به من الأزهار ما بين ورد وياســمين ولبان وزنبق وسوسن وغير ذلك من الأزهار الغريبة، ولقد عاينت به وردًا أبيض ذكي الرائحة وهو غير أنــواع الورد التي بمصر، وقد نقل من الشــام وكان يطرح في أوان الصيــف والنيل في قوة الزيادة؛ وهو نوع غريب لم يوجد بمصر، فكان السلطان يضع له دكة كبيرة مطعمة بالعاج والأبنوس ويفرش فوقها مقعدًا يحمل بقطع ويجلس عليه وتظله فروع الياســمين، وتقف حوله المماليك الحسان بأيديهم المنشات ينشون عليه، ويعلق في الأشجار أقفاص فيها طيور مسموع ما بين هزرات ومطوق وبلابل وشــحارير وقماري وفواخت وغير ذلك من طيور المسموع ويطلق بين الأشــجار دجاجًا حبشيًّا وبطًّا صينيًّا وحجل وغير ذلك من الطيــور المختلفة، وتارة يجلس على البحــرة التي طولها أربعــون ذراعًا وتمتلئ كل يوم من ماء النيل بســواقي نقالة من المجراة تجري ليلاً ونهارًا فيجلس على سرير هناك في غالب أيام الجمعة.

قنطرة الخروبي

وجــدد في ســنة (٩١٧هـ/ ١٥١١م) قنطرة الخروبي وهي قنطرة باب الشعرية[١]، المنســوبة إلى بني شعرية قبيلة من العرب وجدد مســجد الخروبي وهو مســجد العدوي الآن [انظر هذا المســجد][٢]، وفي هذا الصــدد يقول ابن إياس: «رسم السلطان بعمارة قنطرة الخروبي وعلاها مقدار ثلاثة أذرع»[٣].

قناطر الخليج

وفي هذا التاريخ نفسه جدد قناطر الخليج جميعها من قنطرة الســد وهي قنطرة صلاح الدين حتى قناطر الظاهر، كما جدد قناطر الخليج الناصري من موردة الحلفا بشــارع فم الخليج، حتى مصبه بالظاهر.

قبة يشبك بالمطرية[٤]

وفي ســنة (٩١٨هـ/ ١٥١٢م) جدد قبة يشبك الدوادار بالمطرية (منية مطر بن سالم) وأنشأ بجوارها مساطب وحفر بجانبها ملقة مــاء (ترعة) وغرس بســتانًا وأجرى أعمالاً أخرى تمت في سنة (٩٢٠هـ/ ١٥١٤م).

ميدان المهاري

وجدد في سنة (٩١٨هـ/ ١٥١٢م) الميدان الناصري الذي كان برسم ســباق الخيل من إنشــاء الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة (٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م) خلف البركة الناصرية وهو الميدان الذي نعرفه الآن باســم ميدان الإسماعيلي وما في جواره[٥].

وفي ســنة (٩١٤هـ/ ١٥٠٨م) أمر بإعادة زراعة البلسم بالمطرية، وكانــت قد انقطعت زراعته منــذ أواخر القرن التاســع، وفي ســنة (٩٢٠هـ/ ١٥١٤م) بني دارًا لولده الناصري

(١) باب الشعرية: أحد أبواب القاهرة في سورها الشمالي وقد أزيل عام (١٨٨٤م)، وكان يعرف بباب العدوي لوقوعه في تجاه جامع العدوي، انظر: زكي، **موسوعة مدينة القاهرة**: ٢٢.
(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٩٤، هامش ٣.
(٣) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ٢١٥.
(٤) أثر رقم (٤) وهو الأمير يشبك من مهدي، ومكانها الحالي حدائق القبة، انظر: جاب الله، **دليل الآثار الإسلامية**: ١٤٧.
(٥) ميدان بجي الناصرية قرب السيدة زينب.

محمد بالبندقانيين (الحمزاوي)[١]، وقد آل هذا البيت في سنة (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) إلى الأمير جانم بن يوسف الحمزاوي دفتردار السلطان سليمان بن سليم الأول، وفي محلها الآن وكالة تعرف بوكالة عدس، وهي في ملك السيد يوسف العقبي، وقد بقيت منها قاعة جميلة إلى سنة (١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م) ثم احترقت في الحريق الكبير الذي نشب بوكالة العقبي في ذلك التاريخ، وفي سنة (٩٢١هـ/ ١٥١٥م) أنشأ حمامًا ووكالة بنهاية درب كركامة، وهما المعروفتان الآن بحمام ووكالة الشرايبي بنهاية حلقوم الجمل.

مئذنة الغوري بالأزهر

وأنشأ في سنة (٩٢٠هـ/ ١٥١٤م) مئذنة للأزهر ميزها برأسين في قمتها .

دار الأشرف

وجدد في سنة (٩١٩هـ/ ١٥١٣م) دار الأشرف برسباي بالصليبة المعروفة بسودون البلاطي وهي دار إحسان بك ثم معهد القاهرة الآن[٢].

(١) وقد أنشأ الحمزاوي بهذه الدار الخان الكبير المعروف بالحمزاوي والذي أصبح علمًا على المنطقة الآن برغم اختفاء الخان، انظر: مرفت محمود عيسى، «الخانات والقياسر المصرية والتركية في العصر العثماني»، في **عالم الفراعنة: دراسات مقدمة تكريمًا للأستاذة الدكتورة تحفة حندوسة** (القاهرة: المجلس الأعلى للآثار، ٢٠٠٨).

(٢) وهي مدرسة ابن طولون بشارع الصليبة وحارة الأربعين.

قبة الشافعي

وفي سنة (٩٢٠هـ/ ١٥١٤م) جدد زخارف قبة الإمام الشافعي رضي الله عنه، واسمه باق حتى الآن على بعض جدرها.

القلعة الصلاحية

وله بالقلعة الصلاحية آثار وتجديد وإنشاء منها تجديد القصر الناصري وديوان قايتباي وقاعات القلعة ومقاعدها والطباق الناصرية وجدد طباقًا أخرى إلى غير ذلك.

ضريح الكليباتي بزيادة جامع الحاكم

وفي سنة (٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م) رسم للقاضي شرف الدين الصغير ناظر الدولة بإنشاء ضريح للشيخ أبي الخير الكليباتي بزيادة جامع الحاكم الظاهرية[٣] (انظر جامع الحاكم)[٤].

مسجد وأبواب الغوري بخان الخليلي

وفي سنة (٩١٧هـ/ ١٥١١م) جدد باب التربة المعزية الغربي وهو باب البادستان أو باب خان العجم، وبنى فندقًا ومسجدًا إلى منشآت أخرى، بقيت معظمها تحمل اسم الملك الغوري في عبارة هذا نصها:

أمر بإنشاء هذا المكان المبارك السلطان الملك
الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري عز نصره

وقد أشار ابن إياس إلى هذه العمارة في حوادث السنة المذكورة[٥].

(٣) الغزي، **الكواكب السائرة**، مج. ١: ٢٢٨.

(٤) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ٦٠.

(٥) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ٢٣٧.

منشآت أخرى للغوري

وفي سنة (٩١١هـ/ ١٥٠٦م) أنشأ طباقًا للجند «معهد تعليم عسكري» بشارع الأشرفية، تجاه تربيعة جاني بك الدوادار «شارع التربيعة» وطباقًا أخرى بشارع الخطيري ببولاق وبالشارع الأعظم وبالأقباعيين، وفي هذا التاريخ نفسه أنشأ عدة منشآت منها وكالة بالوراقين «شارع السكة الجديدة»، تعرف بوكالة وفا سابقًا، والآن بأبي زيد، وبيت وحمام بخط إصطبل الطارمة «شارع الشنواني»، اشتهر بابنته الخوند زينب زوج الوزير مصطفى باشا والي، والحمام موجودة حتى الآن تعرف بالعدوي والبيت هدم وحل محله جامع العدوي [انظر قبة الحسن بن الهيثم وضريح الشنواني والعدوي]، ومن إنشائه وكالتان بشارع الصنادقية (خط السبع خوخ ثم الخراطين سابقًا) والأولى تعرف بخان بهادر سابقًا.

معصرة شهران

وأنشأ في سنة (٩١١هـ/ ١٥٠٦م) معاصر للزيوت خارج القاهرة منها معصرة شهران بين محاجر طرة وحلوان، ومنها معصرة خط المقس ظاهر شارع باب البحر ومعصرة بشارع جامع الواسطي بقسم بولاق، وأخرى بشارع سوق العصر تجاه جامع العلايا (المدرسة الجيعانية).

وكالة النخلة[١]

وأنشأ في سنة (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) بتبليطة الشرابية وكالة «فندقًا» وربعًا، وجدد قيسارية جهاركس وبني خلفها حمامًا عرفت بحمام العرايس، وأنشأ فندقًا آخر بحي الأزهر وربعًا وسبيلاً وطباقًا، بين بيت جانم مصبغة وبين درب الأتراك، وله بمحلة دقلة «المحلة الكبرى» وكالة مشهورة باسمه حتى الآن تعرف الآن بوكالة فريد الحناوي.

ويوجد بقسم المحفوظات بوزارة الأوقاف ثلاث حجج مجموعة في كتاب واحد بخط الشيخ أبي الفضل محمد الأعرج؛ ذكر فيها جميع الأعيان الموقوفة على المنشآت العامة التي أنشأها الغوري في أوقات مختلفة بالقاهرة وظواهرها وبالوجهين القبلي والبحري، ويؤخذ من مجموع ما ذكر في توجيه أنواع هذه المبرات وتوزيعها؛ أن الغوري فاق سلفه ملوك مصر في تنوع أعمال البر بل انفرد منها بما لا يقدر عليه سواه، ففي كتاب وقفه أنه شرط أن يصرف من ريع هذا الوقف كل سنة كلف تجهيز سحابتين (أي قافلتين) صحبة الحج المصري ذهابًا وإيابًا لحمل الفقراء من الحجاج وما يلزم لهم من البقسماط والخيش والأجرة برًّا وبحرًا وما يلزم من قرب ماء ولبد وجمال وشقادف وأكفان وأجر جمالة وعكامة و سقايين وفراشين وغير ذلك.

ومعنى هذا أن الملك الغوري كان من لا يستطيع الحج في عصره من فقراء القاهرة يجد خزينة مليكه الخاصة مفتحة الأبواب لمن أراد أن يحج وحال بينه وبين الحج قلة المال، فكان يجد فيها ما يستطيع أن يحج منه دون أن يصرف

(١) أثر رقم٦٤ شارع محمد عبده حاليًا «التبليطة سابقًا» الأزهر، انظر: المرجع السابق: ١٦٥.

درهمًا واحدًا ولا أن يجد أية مشقة في سفره، فرحم الله هذا الملك الخير العظيم.

آثاره بالحجاز والشام

وله بالحجاز آثار أهمها ما عهد به إلى الأمير خاير بك المعمار في سنة (٩١٥هـ/ ١٥٠٩م) ببناء مارستان ورباط ومدرسة بمكة، وتعبيد أرض الحرم وإصلاح مناهل الحجاز من طريق مصر والشام، وإجراء الماء بعين بازان وغيرها، وإثر ما انتهت هذه العمارة شد الرحال إلى الأراضي المقدسة الحجازية لتأدية فريضة الحج، فحج وزار وعاد إلى القاهرة في السنة التالية، ولا يزال اسمه ظاهرًا يقرأ على أحد أبواب الحرم المكي، وأصدر في سنة (٩١٧هـ/ ١٥١١م) أمرًا إلى أمير الأسطول البحري الأميرال حسين المصري بتحصين مدينة جدة لمنع الخطر المزدوج النازل بها من جهة البحر عن طريق البرتغال وقطاع الطرق من متخطفة العرب وغيرهم، فشرع ببناء سور محيط بها وحصنه بالأبراج المتينة المحكمة، ولم تمض سنة واحدة حتى انتهى منه، وجاء كما يقول ابن إياس من حسنات الغوري، وبنى بكل من جدة والينبع والوجه قلعة حصينة، وأحدث بغزة والبلاد الشامية جملة منشآت أخرى.

وقد حدث إلى جانب منشآت الغوري الخاصة والعامة مجموعة هامة من الآثار الإسلامية أنشأها أمراؤه وكبار موظفي حكومته، أهمها:

تربة قرقماس الأتابكي بالصحراء (٩١١- ٩١٣هـ/ ١٥٠٦- ١٥٠٨م)، قبة قرقماس أيضًا بالقاهرة (٩١٧هـ/ ١٥١١م)، قبة طراباي (٩١٤هـ/ ١٥٠٩م)، قبة سودون العجمي (٩١٠هـ/ ١٥٠٥م)، مدرسة بيبرس أمير آخور (٩٢١هـ/ ١٥١٥م)، جامع شرف الدين الصغير (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)، قبة تمرباي الحسني (٩٢١هـ/ ١٥١٥م)، قبة أزرمك الشريفي (٩٠٩هـ/ ١٥٠٤م)، قبة يشبك الفقيه (٩٢٠هـ/ ١٥١٤م)، جامع أزدمر الدوادار (٩١٣هـ/ ١٥٠٨م)، جامعا قانباي السيفي (٩٠٨- ٩١١هـ/ ١٥٠٣- ١٥٠٦م)، جامع خاير بك (٩٠٨هـ/ ١٥٠٣م)، مسجد شاذ بك الأشرفي (٩٢٠هـ/ ١٥١٤م) تربة طقطباي العلائي نائب القلعة (٩٢٩هـ/ ١٥٢٣م).

ولا تزال هذه الآثار جميعها ظاهرة بالقاهرة وظواهرها، خلا قبة يشبك الفقيه فقد دثرت وحل في محلها حوض الست نجية كريمة أحمد بك نجيب، وبقيت في قبة تمرباي الحسني قاعدتها أما غطاؤها فقد سقط من أمد بعيد وهي ترى ظاهرة بين بابي قايتباي والكامل بأول شارع القادرية قسم الخليفة وتخرب مسجد شاذ بك وأعيد بناؤه وبقي منه ضريح منشئه [انظر مسجد شاذ بك بالمنحر].

مدفن السلطان الغوري بالقاهرة

وقد شاء الله سبحانه وتعالى أن يموت الغوري بعيدًا عن القبر الذي أعده لنفسه داخل قبته؛ فدفن فيه وفي الحوش الذي خلف مدرسته في أوقات مختلفة الأشخاص الآتية:

- الناصري محمد بن السلطان «شاد الشراب خاناه» مات في ذي القعدة سنة (٩١٠هـ/ ١٥٠٥م).
- شقيقته «ماتت عذراء» في ٢٨ من شوال سنة (٩١٠هـ/ ١٥٠٥م).
- سرية للسلطان وهي أم ولده الصغير، ماتت في التاريخ المتقدم.

- الأمير طومان باي الدوادار ابن أخي السلطان مات في سنة (٩١٥هـ/ ١٥١٠م).
- وفي هذا التاريخ نفسه ولد للسلطان ولد صغير، فلم يلبث أن مات وشيكًا.
- خوند جان بركة زوجة السلطان أم ولده الناصري محمد، ماتت في ١٩ من المحرم سنة (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م).
- الأمير ماماي الصغير «أمير طبل خاناه»، مات في شوال سنة (٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م).
- ولد آخر للسلطان هو ولي عهده السلطان الناصر محمد الذي كان مرشحًا للسلطنة بعده، مات في ذي القعدة سنة (٩١٦ أو ٩١٧هـ/ ١٥١٠- ١٥١١م).
- خوند بال باي زوجة الملك الأشرف طومان باي المذكور، ماتت في اليوم الثاني من شهر جمادى الثانية سنة (٩٢٤هـ/ ١٥١٨م).
- الملك الأشرف طومان باي ابن أخي الملك الغوري شنقه السلطان سليم في سنة (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)، وهو آخر ملوك مصر ولد سنة (٨٧٩هـ/ ١٤٧٥م)، واستقدمه عمه الغوري من القفقاس مراهقًا فتعين كاتبًا بديوان الملك الأشرف قايتباي، وفي سنة (٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م) عينه الملك الناصر محمد بن قايتباي جمدارًا، ولما آل حكم مصر إلى عمه الغوري أنعم عليه برتبة أمير عشرة.

وفي سنة (٩١٠هـ/ ١٥٠٥م) عينه شادًا للشراب خاناه «أي ناظرًا عليها»، وأنعم عليه برتبة أمير طبل خاناه، وفي سنة (٩١٣هـ/ ١٥٠٨م) عينه دوادارًا كبيرًا، وأسند إليه وظيفة أستادارية العالية ورئيس الكشاف، وفي سنة (٩١٤هـ/ ١٥٠٩م) تعين نائبًا للسلطنة بمصر، ولما مات السلطان الغوري بعد هزيمة الجيش المصري بموقعة مرج دابق اختاره الشعب للحكم فارتقى عرش مصر وناوء النير العثماني حينا ثم انقضى ملكه بعد غلبة العثمانيين عليه، وتزوج الشيخ أحمد خيالي ابن الشيخ إبراهيم كلشني بزوجته الثانية حفيدة ابن خاص بك.

ويذكر المؤرخون أن السلطان سليم أمر بعد قتله أن تشيع جنازته باحتفال رسمي، وأن توزع الصدقات للفقراء على روحه على نفقته الخاصة، وأن يدفن في مدرسة عمه، ثم عمد بعد موته إلى عرض قصته وشرح وقائعها بداية ونهاية على الشاشة البيضاء «خيال الظل» سيما ذلك العصر، ليشهدها المصريون حكومة وشعبًا، فكانت أول رواية من نوعها تمثل في مصر لذلك العهد.

أولاد الغوري

وكان للغوري غير من ذكر من أولاده ولد آخر يسمى محمد أو يلقب بالناصري شهد مصرع أبيه ونقله السلطان سليم من بيته بالبندقانيين وأسكنه مدرسة أبيه فبقي معتقلاً بها حتى أخذه معه إلى الأستانة، فبقي محجورًا عليه بها ثم عاد إلى مصر ومات بها، ودفن بقبة أبيه وله الخوند زينب تزوجها مصطفى باشا والي أحد وزراء تركيا السابقين، ولها بقية من ذرية حتى اليوم بالأستانة.

و للخوند زينب هذه وقف خيري مشهور باسمها، وهو جميع الأرض التي يقوم عليها جامع الغوري وضريح أحمد الشنواني، وقبة الحسن بن الهيثم وحمام العدوي إلى أماكن أخرى [انظر هذا الجامع].

الخزانة الزكية في قبة الغوري

في ٢٨ من أغسطس سنة (١٩٣١م) وقف شيخ العروبة أحمد باشا زكي المولود بالإسكندرية سنة (١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م)، المتوفى في رجب سنة (١٣٥٣هـ/ يوليه سنة ١٩٣٤م)، ودفن بجامعه الذي أنشأه بالجيزة في جوار داره، مكتبته الخاصة وفيها مجموعة من نفائس الكتب العربية والإفرنجية مخطوطة ومطبوعة وعددها ١٨,٦٢٢ مجلدًا.

واشترط في وقفيته أن تخصص مدرسة السلطان الغوري لحفظ هذه الكتب وأن تبقى باسمه خاصة وأن لا تضاف إلى مكتبة أخرى وأن يطلق عليها اسم المكتبة الزكية، ونقلت المكتبة فعلاً إلى جامع الغوري في سنة (١٩٢٨م) قبل كتابة الوقفية، وتولت وزارة الأوقاف الصرف عليها، وبلغ مجموع ما صرف عليها من يناير سنة (١٩٢٨م) إلى ديسمبر سنة (١٩٣٥م) مبلغ ٣٤٢٣ جنيهًا ونصف جنيه.

ولاحظ القائمون بالأمر أن الغرض الذي يبغيه الواقف وهو نشر الثقافة من طريق المطالعة في هذه الكتب غير متحقق على الوجه الأكمل ويكاد يكون معدومًا لأن متوسط عدد المطالعين لا يجاوز أربعة أشخاص في كل ثلاثة أيام وأن ما يصرف على المطلع الواحد يوميًّا هو جنيه، فرؤي أن ينتفع من هذه الكتب النفيسة بنقلها إلى مكان معد لا يكلف كل هذه النفقات من جهة ويكفل توفير المبلغ المربوط لها وصرفه في وجوه علمية أخرى، وتم الرأي على إفراد قاعة خاصة لها بدار الكتب الملكية أسوة بالمكتبة التيمورية، وفعلاً استؤذنت المحكمة الشرعية في أمر هذا النقل فأصدرت أمرها بالموافقة طبقًا لشرط الواقف، وقد تسلمت دار الكتب هذه المجموعة من الكتب وأخذت في إعداد قاعة خاصة بها، بيد أنها لا تزال منذ هذا التاريخ محفوظة بصناديقها لعدم وجود المكان المتسع لها بالدراسة، وبنقل المكتبة الزكية من قبة الغوري بقيت خالية من شيء مدى حين، ثم اتخذتها بعض الجمعيات الإسلامية مقرًّا لها من سنة (١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م)، واستعملت المدرسة كمكتب لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العربية للصغار.

قبر الملك الغوري بالشام

ولا يزال قبر الملك الغوري بالشام معروفًا حتى هذا التاريخ رغم الرواية القائلة بأن قبره مجهول لعدم العثور على رفاته، وقد نقل فضيلة الأستاذ الشيخ محمد زاهد الكوثري النصوص التي تدحض هذه الرواية وتثبت وجود قبر الغوري بأرض الشام ومعرفته من مصادر شتى، منها ما في تاريخ ابن زنبل الرمال (ص١٨) ونصه: «فمن شدة ما حصل للغوري فإنه انكسر قهرًا ووقع على الأرض مغشيًّا عليه، وقال الأمير علان لأقباي الطويل إن نحن تركناه ورحنا يأتي العدو فيقتلونه ويأخذون رأسه ويطوفون به جميع بلاد الروم فتقطع رأسه وترمي بها في هذا الجب والجثة بلا رأس لا يعرفها أحد».

وفي تاريخ ابن إياس: «فلما تحقق الغوري للهزيمة غلبه في الحال خلط فالج أبطل شقه عليه وانقلب عن الفرس إلى الأرض ومات من شدة قهره فلم يعلم له خبر ولا ظهرت جثته بين القتلى فكأن الأرض ابتلعته في الحال ولعل هذا وذاك مما أذاعوه ليتمكنوا من تهريبه»[1].

وفي تاريخ العلويين للأستاذ محمد أمين غالب الطويل في (ص٣٤٢ و٣٧٠) «وبعد انكسار الجيوش المصرية في

(١) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٥: ٨٧- ٩٥.



مرج دابق هرب السلطان الغوري إلى المحارزة (بني محرز من العلويين في بعرين من اللاذقية) وظن السلطان سليم أنه توفي فجأة بدون جرح أو مرض على ضفة نهر الفرات مع أنه كان مختبئًا في المنطقة».

وفي رحلة الشيخ عبد الغني النابلسي أنه لما زار قبر الأوزاعي سنة (١١٠١هـ/ ١٦٩٠م) أروه قبرًا في جانبه وقالوا أنه قبر السلطان الغوري فقرأ الفاتحة له، وقبر الأوزاعى جنوبي بيروت، ومن العادة المتوارثة بين الجراكسة أن لا يدعو القتيل من كبارهم يعبث به العدو بل يهربونه مهما كلفهم التهريب، فلا بد أنهم هربوه حيًّا أو ميتًا، وحكاية قطع رأسه غير معقولة ولو بعد موته بالنظر إلى عادتهم، فربما يكون ذلك إذاعة لأجل تعمية أمره، واللاذقية غير بعيدة من بيروت وكان للغوري افتنان بضرائح الصالحين زيارة وتجديدًا لها فلا يستبعد أن يدفن في جنب الأوزاعي ولو ظفر به العدو لملأ خبره كتب التاريخ[١].

(١) اختلفت آراء المؤرخين حول موت الغورى فابن إياس يذكر أنه بعد الهزيمة أصابه فالج أي شلل ومات من شدة قهره وابن زنبل الرمال يذكر أن الأمير علان اتفق مع الأمير آقباي الطويل على قطع رأس الغوري وإلقائها في جب حتى لا يعثر عليها العثمانيون حتى لا يشهروا به، أما ابن طولون في كتابه مفاكهة الخلان يقول إنه تم قطع رأسه وأخذ إلى إسطنبول كما قال له ناظر الجيش وجثته دفنت عند الشيخ داوود بأرض دابق وقيل حملت إلى حلب ودفنت بتربة له فيها قديمًا لما كان متوليًا الحجوبية الكبرى بها والصحيح أنه لم يعلم حاله، والإسحاقي يقول فجاء الخبر أن الغوري كسرت عساكره وفقد هو تحت سنابك الخيل، والشرقاوي يقول لم يعلم حاله، انظر: محمود سيد عبد الله، **مدافن حكام مصر الإسلامية بمدينة القاهرة** (الإسكندرية: دار الوفاء، ٢٠٠٤): ٢٥٩، ٢٦٠.



قبة ومدرسة الغوري «عن هاي»

جامع قانباي السيفي بالناصرية

أثر رقم ٢٥٤ (سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٦م)

هذا الجامع بالناصرية[١]، أنشأه الأمير قانباي السيفي أمير آخور، صاحب الأثر الكائن بدرب اللبانة وقد مر ذكره وتم إنشاؤه في سنة (٩١١هـ/ ١٥٠٦م) وقد جعله برسم مدرسة جامعة، وهو يماثل جامعه الآخر كل المماثلة وقد كان هذا الجامع فيما مضى تحفه بساتين الناصرية، ويقرب منه ميدان المهاري الذي أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون برسم سباق المهاري من الخيل وهو ميدان الإسماعيلي[٢]، الذي يقع بنهاية شارع عماد الدين (محمد بك فريد الآن) ثم البركة الناصرية التي أمر بحفرها هذا الملك نفسه في هذه المنطقة

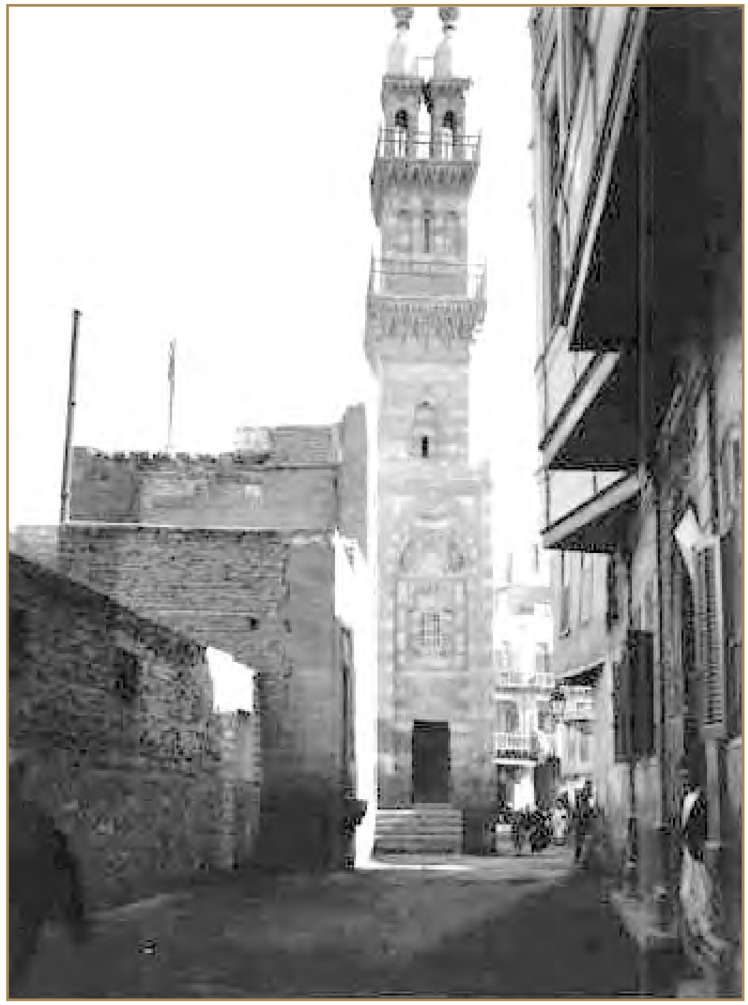
(١) شارع الناصرية يبتدئ من آخر شارع سويقة السباعين وينتهي لشارع الكومي، وسكة القصر العالى وطوله ٥٨٠م (وهي تتبع حاليًا حي السيدة)، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٣: ٣٤٨.

(٢) ميدان الإسماعيلي هو أرض طرح النهر التي استجدت في العصر المملوكي، ولذا كان يغلب عليها الاستغلال الزراعي والحيواني حيث سميت آنذاك زريبة قوصون وفي القرن ١٩م أنشئ في تلك المنطقة بعض القصور مثل قصر النيل حتى أنشأ الخديو إسماعيل حي الإسماعيلية، وقد تعاقب على الميدان عدة مسميات منها ميدان قصر النيل ثم ميدان الإسماعيلية في عهد الخديو إسماعيل وفي عام (١٩٣٣م) عرف بميدان الخديو إسماعيل، وفي عام (١٩٥٤م) وحتى الآن عرف بميدان التحرير، انظر: فتحي حافظ الحديدي، **دراسات في التطوير العمراني لمدينة القاهرة** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩): ٥٤.

وقد أخذ الرسام جلياردو الفرنسي الذي كان يرافق الحملة الفرنسية التي أغارت على مصر في سنة (١٢١٣هـ/ ١٧٩٩م) منظرًا لهذا الجامع على هذا الوصف يبدو منه في منظر جميل سيما مئذنته المربعة الجميلة[٣]، أما الآن فتحيط به عدة مساكن من كل جوانبه وله واجهتان وبابه معلق يصعد إليه بدرج وعليه مذكرة تاريخية هذا نصها:

أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة من فضل الله تعالى وجزيل عطائه العميم المقر الأشرف الكريم العالي المولوي الأميري الكبيري المالكي المخدومي النظامي المحترمي المجاهدي المرابطي الراكعي الساجدي الخاشعي المتخشعي المالكي التالي كتاب الله التابع سنة رسول الله السيفي قاني باي أمير أخور كبير بالديار المصرية بتاريخ شهر شوال سنة إحدى عشر وتسعمائة من الهجرة

(٣) سقطت هذه المنارة نتيجة أعمال الحفر أسفلها في عام (١٩٨٩م) وتم ترميم الجامع فيما بين (١٩٩٥-٢٠٠٥م) (المراجع)



مئذنة جامع قانباي السيفي «عن كريسويل»



إيوان الصلاة بجامع قانباي السيفي «عن كريسويل»

جامع بيبرس الخياط

أثر رقم ١٩١ (سنة ٩٢١هـ/ ١٥١٥م)

هذا الجامع بالجودرية[١] بين المدرسة الكهارية والمدرسة الشريفية (جامع الجودري وزاوية العربي) على رأس درب كركامة ورحبة ابن علكان[٢] (الشرابية- خط الشيخ رجب أو المنجلة).

أنشأه الأمير بيبرس قانصوه الغوري أمير آخور الأشرفي، وتم بناؤه في رمضان سنة (٩٢١هـ/ ١٥١٥م) وهو ما يشير إليه ابن إياس في تاريخه بقوله: «وأسر الأمير بيبرس قريب السلطان وهو صاحب المدرسة التي بالجودرية»، وفي حوادث شهر رمضان سنة (٩٢١هـ/ ١٥١٥م): «وفي هذا الشهر كملت عمارة مدرسة الأمير بيبرس قريب السلطان التي أنشأها بقرب خط الجودرية وجاءت في غاية الحسن والظرف فخطب بها في ذلك الشهر»[٣].

ومع وضوح هذه العبارة وتداول المصدر المذكور فقد أقصاه هواة الآثار الإسلامية عن منشآت هذا العصر، وتابعوا فيه وهم علي مبارك باشا، ويظهر هذا الخطأ بصورة مكبرة في مذكرات لجنة الآثار العربية، حيث عهدت إلى كتابة مذكرة تاريخية في سنة (١٣١٣هـ/ ١٨٩٦م) أثر آخر تجديد له أودعتها في طراز بأسفل بيت الصلاة.

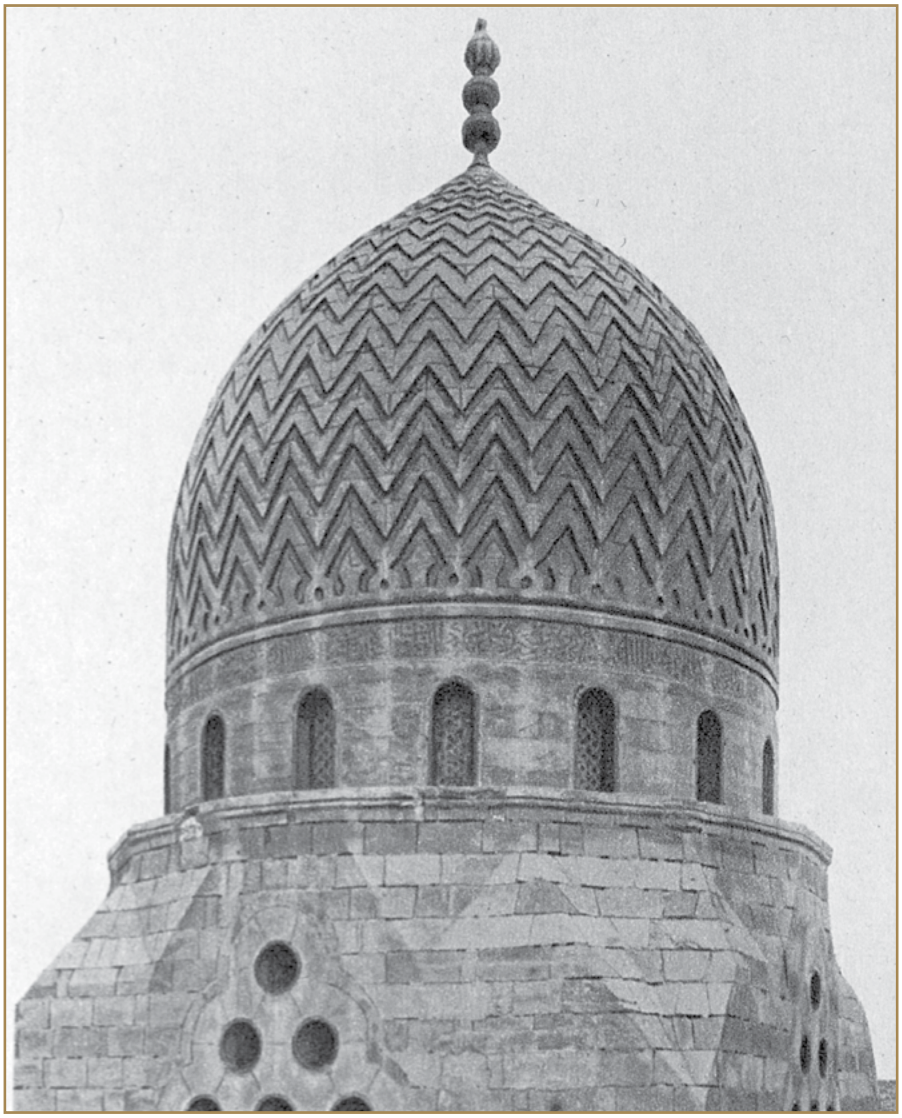
البسملة. في بيوت أذن الله إلى حساب أمر بإنشاء
هذه المدرسة السعيدة المباركة من فضل الله تعالى
وجزيل عطائه العميم المقر الأشرف الكريم العالي
المولوي الأميري الكبيري المخدومي المحترمي
السيدي السندي العضدي الذخيري الهمامي
العادلي العاملي السيفي بيبرس[٤] الخياط سنة واحد
وعشرين وستمائة هجرية

(١) خط الجودرية ذكر القلقشندي أنه منسوب لطائفة يقال لها الجودرية في الدولة الفاطمية نسبة إلى جودر خادم عبيد الله المهدي أبي الخلفاء الفاطميين. اختطوها عندما شيد القائد جوهر مدينة القاهرة، أما المقريزي فيقول إن ذلك أيام الخليفة الحاكم، ويذكر دكتور محمد الجهيني أنها تسمى بالجوذرية نسبة للخادم جوذر وليس جودر، وأن تلك الفئة قدمت بأمر من جوذر نفسه وسكنت تلك المنطقة، انظر: الجهيني، **أحياء القاهرة القديمة**: ١٦، ١٧.

(٢) رحبة ابن علكان ذكرها المقريزي أنها بالجوذرية في الدرب المجاور للمدرسة الشريفية أو ما تعرف اليوم بمسجد العربي، انظر: المرجع السابق: ٤٢، ودرب كركامة هو سكة الشرايبي بالفحامين بمنطقة الغورية، ودرب كركامة هو اسم آخر لرحبة ابن علكان في العصر المملوكي، انظر: المرجع السابق: ٥١.

(٣) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ٤٧٧.

(٤) بيبرس وتعني الفهد، أو الأمير الفهد، انظر: عبد الحافظ، «معجم أسماء سلاطين وأمراء المماليك بمصر والشام»: ٦٧٥.



قبة جامع بيبرس الخياط
«عن مساجد مصر»

فأضافت في هذه المذكرة لفظ الخياط، وكان الأولى به جمدارًا، ولم يثبت أن المنشئ كان خياطًا لملابس السلطان [انظر ترجمته الآتية].

ثم أضافت إليه ألقابًا لا يحملها عادة إلا أمير مجلس[1]، أو رأس نوبة النوب، أو دوادار كبير، أو أمير آخور كبير، والمنشئ لم يكن من هذه الطبقة، ولما ناقشت كاتب هذه المذكرة- رحمه الله- ظهر أثر هذا النقاش في إصلاح الخطأ التاريخي الذي ذكرناه بنهاية هذه المذكرة من (٦٢١هـ/ ١٢٢٤م) إلى (٩٢١هـ/ ١٥١٥م).

(١) هناك وثيقة لبيبرس الخياط تحت رقم (٣١٣ / ٤٧) دار الوثائق القومية ذكرت ما يتفق مع تلك الألقاب المدونة بالمدرسة والبعض الآخر يختلف وغير موجود بالوثيقة مما يرجح أن لجنة حفظ الآثار قد سجلت النص داخل المدرسة في ضوء بقاياه ولما= بعض أجزائه قد طمست فإنها اعتمدت في كتابتها على الشائع من الألقاب لدى أمثاله من الأمراء، كذلك فإن ألقابه تشير الى علو قدره ومنزلته لدى السلطان الغوري، وإن اختلفت بمرور الزمن وهو ما لا يتفق مع الوظيفة الواردة وهي الخياط بنص المدرسة التأسيسي، انظر: الجهيني، **أحياء القاهرة القديمة**: ١١٤-١٢١.

وصف الجامع

ولوجود هذا الجامع في تلك المنطقة الآهلة بالسكان لم يطرأ عليه تغيير في معالمه، فظاهره يستلفت الأنظار بقبته الحجرية المزخرف ظاهرها بزخارف بنائية على مثال القباب المملوكية كقبة طراباي الشريفي (٩١٤هـ/ ١٥٠٨م) وسودون العجمي (٩١٠هـ/ ١٥٠٥م) وغيرهما.

وكانت تحاكيها في هذا الجمال مئذنة مستديرة من نوع مآذن ذلك العصر كانت تعلو الجانب الشرقي من الواجهة فسقطت في أول القرن المنصرم سنة (١٣٠٤هـ/ ١٨٨٧م).

أما داخل المسجد فهو عبارة عن إيوان شرقي كبير في صدره مبنى حديث الصنع يجاوره محراب بقطع بالرخام وفي الجانب البحري منه باب يفضي إلى قبة أعلاها مقرنص الزوايا، وفي صدرها محراب كمحراب بيت الصلاة بزخرفة طراز بالكتابات الكوفية من سورة البقرة، وجميع أخشابه وقمراته مجددة تجديدًا ملائمًا، ومن الإيوان الشرقي نصل إلى صحن مغطى يقابله دكة من الخشب ذات سلالم بباب مسقف بسماوات، وفي الجانب القبلي والبحري مجنبتان يظهر الأثر بهما بالدكة المذكورة في لون غريب، ومن الجانب البحري نصل إلى دورة المياه وقد حدثت منذ سنة (١٣١٣هـ/ ١٨٩٦م) ومنها إلى باب بحري بخط الشيخ حبيب «شارع المنجلة»، يجاوره غربًا دكاكين وبيوت أقيمت على قطعة أرض كانت مشغولة بحمام تعرف بحمام بيبرس، ومن الجانب القبلي نصل إلى مجاز به قاطع ومنه إلى باب المسجد العمومي وقد تجددت غالب مفرداته، ووضع لأثر هذا التجديد مذكرة تعلو الباب يقرأ فيها ما نصه:

جدد هذا المسجد المبارك في عصر خديو مصر

عباس حلمي الثاني أدام الله أيامه سنة ١٣١٣

وقد وضع تصميم هذا المسجد المهندس النابغ المعروف المعلم أحمد بن بدر الدين بن الطولوني وهذا الأثر هو آخر ما نحتفظ به لآخر دولة من دول ملوك مصر الجراكسة من الآثار الإسلامية ماثلة.

ترجمة المنشئ

لم يترجم ابن إياس لمنشئ هذا الأثر، بيد أننا استطعنا أن نتلمس من خلال السطور التي كتبها عن هذه الحقبة أنه كان من أقرباء الملك الغوري، وكان معينًا بوظيفة أمير آخور «ناظر إصطبل» وفي سنة (٩١٣هـ/ ١٥٠٨م) أنعم عليه برتبة مقدم ألف، واستمر مباشرًا لوظيفته حتى استصحبه السلطان إلى البلاد الشامية لغزو السلطان سليم في رجب سنة (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) فقاتل حتى قتل مع السلطان في ساحة الوغى، وقد أوضح لنا ابن زنبل الرمال راوية ذلك العصر ومؤرخه في كتابه أنه ابن عم السلطان الغوري مباشرة [مخطوط في جزءين بمكتبة البطركخانة المصرية].

ولمنشئ هذا الأثر كتاب وقف صادر بتاريخ ٨ جمادى الآخرة سنة (٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م) محصور [بحفظ شرعية مصر برقم (٣١٣/ ٤٧)] وقد ورد فيه وصف هذا الأثر وألقاب المنشئ واسم زوجته جان سكر، وفيها أنه بنى مدفنًا له داخل باب النصر القبلي «أي الشرقي» شارع باب النصر، والبحري «أي الغربي» جامع الحاكم، والشرقي والبحري والغربي «الجنوبي» أملاك وربع.

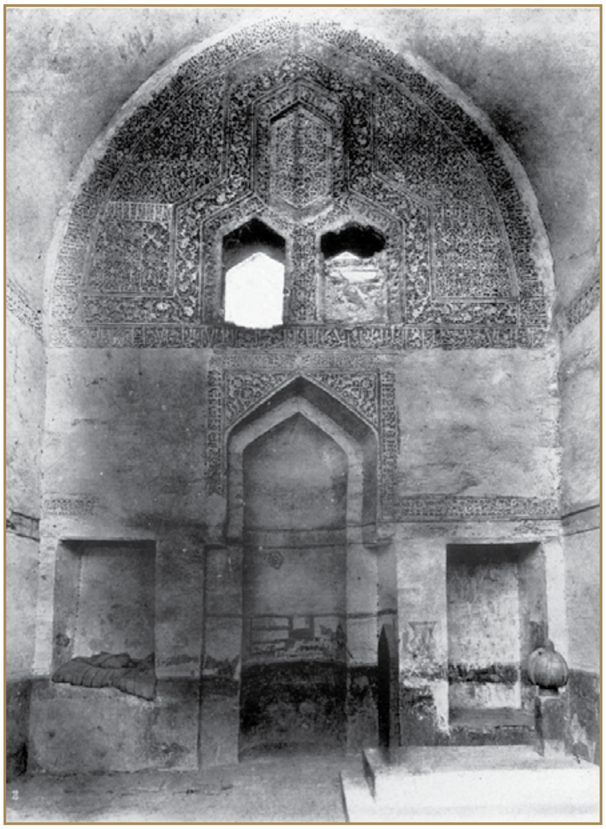
الفصل الثالث

المزارات الإسلامية في جنوب مدينة القاهرة
القرافة الصغرى والقرافة الناصرية

تربة أبونا يوسف العدوي (مدفن مصطفى باشا)

أثر رقم ٢٧٩ (سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)

هـذا الأثر بشـارع القادرية رقم ٢٢ قسـم الخليفة جنـوبي القاهرة[١]، شرقي رباط أزدمـر الصالحي «المعروف برباط نائب جدة»، والمنسوب إليه هذا الأثر هو أحد شيوخ الطريقة العدوية المنسـوبة إلى الشـيخ عدي بن مسافر، ذكـره السـخاوي في «تحفة الأحباب» بعـد ما تكلم على ربـاط جاني بك نائب جدة المجاور لهذا الأثر غربًا[٢]، قال: «والتربة التي إلى جانب الرباط بها قبر الشيخ الصالح يوسف بـن عبد الله بن عبد الرحمن الكـردي المعروف بـ«أبونا»، كان صالحًا خيرًا مجتهدًا في خدمة الفقراء والقيام بوظائفهم والمبالغة في إيصال الراحة إليهـم مع كثرة العبادة والتخلي عن الدنيا، وكان مقيمًا بهذه التربة ودفن بها من يومه، وعاش نيفًا وتسعين سـنة، وإلى جانبه قبر الشيخ الصالح العارف أبي الحسن علي بن حسن بن عبد الله الفارقي، خليفة الشيخ «أبونا» يوسـف العدوي، توفي يوم الجمعة سلخ رجب سنة ست وتسعين وستمائة»[٣].



قبة وضريح مصطفى باشا «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

(١) هذا الأثر مسجل باسم تربة مصطفى باشا حاكم اليمن «رباط أزدمر» وهو رقم ٢٢ شارع القادرية، وله توابع منها ٨٥٧، وهما تخصان تربة عبد اللطيف الروزنامجي شرق تربة مصطفى باشا، وهي مطلة على الطريق وخربة الآن.

(٢) المقر العالي السيفي جنبك الظاهري جقمق الجركسي الدوادار الكبير: شاد جدة، أصله فيما قيل لجرباش المحمدي الناصري، ثم ملكه قبل بلوغه أسنبغا الطياري، واشتراه منه الظاهر في سنة (٨٣٧هـ/ ١٤٣٤م)، وأعتقه وسافر معه في تجريدة أرزنكان، فلما تسلطن سيره خاصكيًّا، ثم ولاه النظر على الكنائس، وهدم ما تجدد منها، ثم شادية جدة في سنة (٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م)، عظم أمره حتى قيل له نائب جدة، وفي عهد المنصور تولى الأستادارية، واستمرت حظوته في زمن إينال، له تربة جميلة خارج باب القرافة المشتملة على مدرسة وكتّاب للأيتام، وهذه التربة معروفة بشارع القادرية على يمين السالك منه إلى شارع الإمام الشافعي، وقد تخلف منها بقية ليست بذات أهمية كبرى، وله أثر آخر بمنشية المهراني بشارع القصر العيني، لم يبق لها أثر اليوم، وفي أيام الظاهر خوشقدم استقر في الدوادارية الكبرى بعد موت يونس الأقباي، مات مقتولاً بيد الأجلاب في سنة (٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م) عند باب سر الجامع الناصري، فجهز ثم صلي عليه عند باب القلة، ثم دفن بتربته عند باب القرافة، انظر: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، مج.٣ (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢): ٥٧- ٥٩، السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط**= = **والمزارات والتراجم والبقاع المباركات**، تحقيق حسن قاسم (القاهرة، ١٩٣٧): ١٨٧، هامش١.

(٣) أول من بنى هذا الرباط وما حوله من ترب الأمير أزدمر الصالحي، ثم جدد هذا الرباط الأمير جنبك المعروف بنائب جدة، وزخرفه وبيضه وتتبع عمارته، وأجرى عليه الجوامك =

وذكر حينما وصل إلى باب القرافة قوله:

ثـم نأتي إلى تربة (أبونا يوسـف) وهو من أصحاب الشيخ عدي بن مسـافر، ويجاورها التربة المعروفة بالشيخ زين الدين بن مسافر(١)، وهي التربة العظمى الحسنة البناء والقبة (٢).

وذكره شمس الدين بن الزيات في «الكواكب السيارة» قال: «**ثم نأتي إلى تربة الشـيخ يوسـف العجـمي العدوي من أصحاب الشيخ عدي بن مسافر**»(٣).

وفي حجة وقف مصطفى باشـا الآتي ذكرها تسـمية هذا الأثر بنفس الاسـم «أبونا يوسف» وفقًا لما ذكر في هذه النصوص السـابقة، ولما آل حوش «أبونا يوسـف» هذا إلى المرحوم السيد محمد علي الحسني القادري في سنة (١١٤٨هـ/ ١٧٣٥م) ووقفه في هذه السنة، ذكر في حجة وقفه [المسجلة برقم ٢٦٩] الأثر باسـم «بابا يوسف» وهو نفس الاسم، هذه الأدلة في مجموعها وتفصيلها تؤكد لنا أن هذا الأثر ليس هو إلا تربة «أبونا يوسف» السابق الذكر.

وقـد أفاد السـخاوي وابن الزيات فيما سـبق ذكره أن أبانا يوسـف هذا من صحابة الشـيخ عدي بن مسافر، والشـيخ عدي هذا مات في سـنة (٥٥٨هـ/ ١١٦٢م)، وذكرا أنه بلغ سـنًّا تنيف على التسـعين، فيكون الشيخ يوسف من أصحاب الشـيخ عدي مباشرة دون واسـطة بينهما، وعلى هذا فيكون ممن عاش في أواسـط القرن السادس إلى أوائل السابع الهجري، والشيخ يوسف هذا كان أقدم هجرة إلى مصر من الشـيخ زين الدين يوسف بن محمد بن حسن العدوي صاحب الأثر المذكور في عبارة المؤرخين أنه يجاوره وهو الزاوية العدوية وكان قدومه هذا واستقراره بمصر من الأسباب التي أدت إلى حلول الطائفة العدوية بها.

وبمقارنة هذا الأثر ومـا يحمله من نقوش كتابة من آي الذكـر الحكيم، بما يماثله في تربـة الأشراف الثعالبة المنشـأة في سنة (٦١٣هـ/ ١٢١٦م)، لا نجد فارقًا كبيرًا بينهما، فالقاعدة الخطية في مكسـلتي باب الأشراف الثعالبة هي نفس القاعدة الثابتة بهذا الأثر، وتطبيقًا لذلك يكون هذا الأثر مما أنشئ في أوائل القرن السابع تحقيقًا.

وداخل الأثر يلفت النظر فيه إيوانه المصهرج والمقوم بالزخـارف الكتابيـة والنباتية، وبصـدر الإيوان محراب مجصـص مقوم بنفس زخـارف الإيوان، يتوسـطه ضريح الشيخ يوسـف المذكور، وفي جانب من الإيوان تربة تنسب إلى مصطفى باشـا الذي عرف به هذا الأثر أخيرًا، بها دفنى عتقاء مصطفى باشا ونظّار وقفه السابقين(٤).

مصطفى باشا حاكم اليمن(٥)

ولمصطفى باشـا هذا ترجمة في كتاب «البرق اليماني في الفتح العثماني»، لقطب الدين محمد النهروالي المتوفى سـنة

= وجدد التربة، انظر: السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب**: ١٨٩-١٩٠، هامش١.

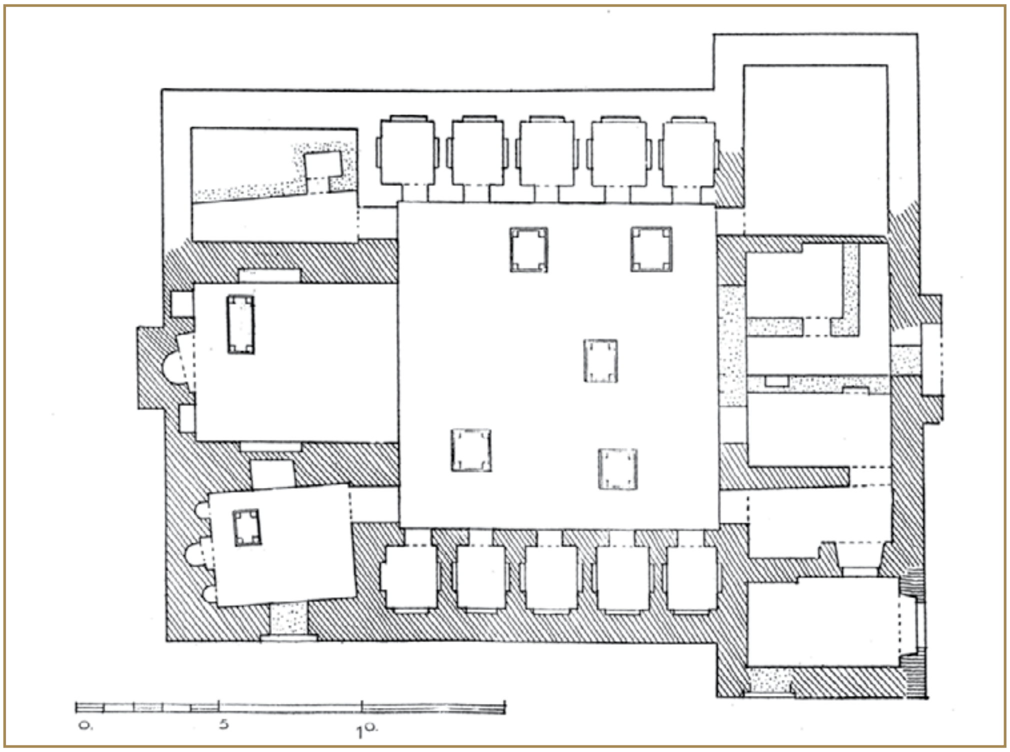
(١) التربة العظمى: المقصود بها زاوية زين الدين يوسف أثر رقم ١٧٢، وهي ١٦ شارع القادرية.

(٢) المرجع السابق: ٢٩٩-٣٠٠.

(٣) شمس الدين الأنصاري بن الزيات، **الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة** (بغداد: مكتبة المثنى، د.ت.): ١٨٦.

(٤) Keppel A.C. Creswell, *The Muslim Architecture of Egypt*, vol. II (Oxford: Clarendon Press, 1959): 178-180.

(٥) يسميه أهالى زبيد «مصطفى باشا النشار» ويزعمون أنه كان ينشر من يقبض عليه، ولم يثبت عليه شيء من ذلك في ترجمته. (المؤلف).



مسقط أفقي لقبة وضريح مصطفى باشا «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

(٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م) مؤرخ مكة [مخطوط بدار الكتب تاريخ ٢٤١٤].

وهو من أهالي غزة، واسمه مصطفى باشا بن عبد المعين، كان سراجًا عند السلطان سليم، ودخل مصر معه في سنة (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)، ولما عاد إلى إستانبول استبقاه في مصر مقدمًا للحامية التي يناط بها حفظ الأمن، ولم يعل نجم مصطفى باشا إلا منذ حدثت فتنة أحمد باشا؛ الذي استقل بالحكم في مصر، ونودي به سلطانًا عليها وتسمّى بالسلطان أحمد، واستطاع مصطفى باشا أن يقف في وجهه ويطارده، واستعان عليه بالعسكر العثماني فتخلصوا منه بقتله بالخدعة، وإذ ذاك تعين كاشفًا بمصر ثم أميرًا للحج، ثم انتدبه السلطان لولاية اليمن في سنة (٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م)، وأنعم عليه بالباشوية، ولبث في اليمن إلى سنة (٩٥٢هـ/ ١٥٤٥م)، واستمر حتى نقل منها إلى ولاية غزة، وتوفي بزبيد سنة (٩٦٧هـ/ ١٥٥٩م)، ودفن بتربته التي أسسها هناك، ولا تزال أوقاف الخير تدر على أهالي زبيد برًّا كثيرًا[1].

ولمصطفى باشا وقف مسجل بمحكمة جامع قوصون والباب العالي صادر بتاريخ ١٨ ربيع الآخر سنة (٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م)، و١٨ شوال سنة (٩٦٦هـ/ ١٥٥٨م)، يشتمل على

(١) قطب الدين محمد بن أحمد بن النهروالي المكي، غزوات الجراكسة والأتراك في جنوب الجزيرة المسمى البرق اليماني في الفتح العثماني (الرياض، ١٩٦٧): ٩٤.

أعيان بسوق السلاح وأطيان زراعية بحوض الزهور ظاهر القاهرة إلى وثائق ضم وإلحاق أخرى[١].

وينسب إلى مصطفى باشا هذا مسجد يعقوب شاه المهندار بسوق السلاح لتجديده له[٢]، وقد آل وقفه بمصر إلى عتقائه، ووقفه بالشام إلى ورثة ولديه بهرام باشا ورضوان بغزة وحلب.

تربة الفخر الفارسي

أثر رقم ٣١٦ (سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)

هذا الأثر بالقرافة الصغرى «قرافة الشافعي»[٣]، بداخله قبر الفارسي، عليه نصيبة قرأنا فيها النص الآتي:

البسملة، ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون هذا قبر الصدر الإمام الجد الهمام شيخ مشايخ الإسلام سيد فضلاء الأنام إمام الموحدين سند المحبين قدوة المخفقين والعارفين قطب الوقت سر الله في أرضه فخر الحق والدين حجة الإسلام والمسلمين قامع المبتدعين شيخ الورى حجة الحق على الخلق الغريب أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد بن طاهر بن محمد بن طاهر بن أبي الفوارس الخيري الفارسي سقى الله صوب غفرانه وكساه ثوب رضوانه. توفي يوم الخميس السادس عشر من ذي الحجة سنة اثنتي وعشرين وستماية رحمة الله عليه

(١) منها كتاب ضم وإلحاق صادر في ١١ جمادى الآخرة (٩٩٣هـ/ ١٥٨٥م) [سجل برقم ٥٢] وكتب ضم أخرى صادرة في ٢٦ جمادى الأولى سنة (١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م)، وغرة ذي الحجة سنة (١٠٢٨هـ/ ١٦١٨م)، و٦ ذو القعدة سنة (١١٢٤هـ/ ١٧١٢م)، ومسجلة جميعها برقم ٨٥-١٠١، وتنظر على وقفه أخيرًا محمد عبد الفتاح في ٥ أغسطس سنة ١٩٣٤م، بتقرير نظر في مادة التصرفات رقم ٦٤٩-٣٣-١٩٣٤. (المؤلف)

(٢) ربما يقصد المؤلف زاوية مصطفى باشا الغزي بشارع سوق السلاح.

(٣) القرافة الصغرى: كان الناس في القديم يدفنون موتاهم فيما بين مسجد الفتح وسفح المقطم، واتخذوا الترب الجليلة فميا بين مصلى خولان بجوار مشهد آل طباطبا وخطة المعافر المعروفين بآل قرافة، والتي أصبح موضعها زمن المقريزي كيمان من التراب، والتي عرفت باسم القرافة الكبرى، فلما دفن الملك الكامل محمد ابنه في سنة (٦٨٠هـ/ ١٢٨١م) إلى جوار قبر الشافعي وبنى قبة عظيمة على قبر الشافعي، أجرى له الماء من بركة الحبش، فنقل الناس الأبنية من القرافة الكبرى إلى ما حول قبة الإمام الشافعي، وأنشأوا الترب هناك فعرفت بالقرافة الصغرى، وأخذت عمائرها بالزيادة، وقد عرفت مقبرة الشافعي من قبل بمقبرة بني زهرة، نسبة لأولاد عبد الرحمن بن عوف، وأما المنطقة التي تلي قلعة الجبل ما بين قبة الإمام الشافعي وباب القرافة فقد عمرت بداية من بعد سنة (٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م)، حيث تسابق أمراء الناصر في تعميرها، فبنى الأمير بيبغا التركماني، والأمير طقتمر = الدمشقي، والأمير قوصون وغيرهم الترب والخوانك والمنشآت حتى صارت العمارة حد مساكن مصر إلى الجبل، ومن بركة الحبش إلى باب القرافة، الذي اكتشف سنة (١٩٤٣م)، وهو مجاور لباب قايتباي من جهة باب الأقدام، عن القرافة الكبرى والصغرى في مصر الفسطاط والقاهرة، انظر: تقي الدين أحمد ابن علي المقريزي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مج. ٤، ج. ٢ (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى، ٢٠٠٣): ٨٥٠-٨٥١، هامش ٤: ٩٠٩، ٩١٢؛ محمد حمزة إسماعيل الحداد، **قرافة القاهرة في عصر سلاطين المماليك** (رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ١٩٨٧)؛ محمد أبو العمايم، «المئذنة القبلية وما حولها من الآثار خارج باب القرافة بالقاهرة»، **حوليات إسلامية**، العدد ٢٤ (٢٠٠٠): ٤٥- ٤٦.

Louis Massignon, "La cité des morts au Caire (Qarâfa-Darb al-Ahmar)", *BIFAO* VII (1958): 25-79; Yûsuf Raghib, "Sur deux monuments funéraires du cimetière d'al-Qarâfa al-Kubrâ au Caire", *Annales Islamologiques*. XII (1974): 67-83; Caroline Williams, "The Cult of 'Alid Saints in the Fatimid Monuments of Cairo", *Muqarnas* III (1985): 39-60; May Ibrashy, "The Cemetery of the Living: Cairo's Al-Qarafa", *Medina Magazine* 12 (2000): 42-47.

والفخر الفارسي المذكــور في طليعة العلماء في عصر الملك العادل والكامل، ملأ علمه الأسماع والأبصار، ترجم له ابن خلكان وابن كثير والصفدي والذهبي وغيرهم، سمع بالإســكندرية على أبي الطاهر الســلفي[١]، وقــدم القاهرة واســتقر بها إلى وفاته، وهو منسوب إلى الخبر بالباء بلد من أعمال شيراز من بلاد فارس.

وكان الفخر الفارسي هو واسطة عقد الصلح الذي تم بين جان دي برين قائد الحملة الفرنســية التي غزت مصر، وبين الملك الكامل، فلما تمكن منهم وهزمهم، ولم يك بد من حسم النزاع بالطريق الودي، أشار عليه الفخر الفارسي بإتمام الصلح، على أن يقدم الجيش الفرنسي عشرين رأسًــا من رؤساء الجيش رهائن حتى يتم جلاء الحملة عن الأراضي المصرية، وقَبِل الكامل هذا العرض ووافق عليه رؤساء مجلسه الحربي، وســلم الفرنســيون الرهائن للملك الكامل، وكان من بينهم يوحنــا دي بربانا، والكردينال بيلاجيوس النائب البابوي، وعدد من القساوسة ولفيف من حملة الصليب من أهالي النمســا وإيطاليا وإنكلترا، وبعدها تم جلاء الحملة وسلمت دمياط للكامل في رجب سنة (٦١٨هـ/ ١٢٢١م)[٢].

قبة وإيوان المنوفي

أثر رقم ٣٠٠ (سنة ٦٩١هـ/ ١٢٩٦م)

هذا الأثر قبة وإيوان بسفح المقطم بالجهة الشرقية في القرافة بمدافن محمود ذكره الســخاوي في «تحفة الأحباب» وابن الزيات في «الكواكب الســيارة» ونقلاً عما ذكره عنه ابن عثمان في «مرشــد الزوار»، قــال: «ويلي هذه التربة من جهة الشرق حوش كبير مســتجد البناء به الشــيخ الإمام عبــد الغفار بن نوح، ومعه في الحوش الشريف عبد العزيز المنوفي»[٣].

ويمتاز هذا الأثر بالمنظرة التي تعلو القبة تغطيها قبة مضلعة صغيرة، وهذا النوع من القباب يحمل طابعًا لا يوجد له نظير في القباب المعاصرة، ويســمى هذا النوع من القباب بذات المناور، ولهذه القبة ذات المناور نظائر بآسيا الوسطى في سمرقند وطشــقند كقبة القفال الشاسي (القرن العاشر الهجري/ الســادس عشر الميلادي)، ونــرى لونًا من هذا الطراز في قبة أســعد العظم بدمشق (١١٦٦هـ/ ١٧٥٢م) وفي بعض قباب الموصل، واقتبس المهندس المصري الحديث هذا الطابع فأدخله على ما أقامه من قباب بالجبانات المصرية.

(١) صدر الدين أبو الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفة الأصبهاني: ولد في أصبهان ما بين سنة (٤٧١-٤٧٥هـ/ ١٠٧٨-١٠٨٢م)، وصل الإسكندرية في سنة (٥١١هـ/ ١١١٧م)، وكان إمام أهل الحديث بها، وكان إمامًا للمدرسة العادلية وهي أول مدرسة للحديث في المدينة والتي أنشأها العادل بن السلار سنة (٥٤٤هـ/ ١١٤٩م)، وتوفي سنة (٥٧٦هـ/ ١١٨٠م)، وسلفة تعني بالفارسية ذي الثلاث شفاه، لشق في شفته، انظر: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مج.١ (القاهرة، ١٩٦٧): ٣٥٤؛ جمال الدين الشيال، **أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي** (القاهرة، ٢٠٠١): ١٣٢-١٤١.

(٢) الشيخ الإمام الفقيه المحدث فخر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد بن طاهر بن محمد بن طاهر بن أبي الفوارس الخبري «الخدري» الفارسي، يعد من طبقات المحدثين والصوفية والعباد، له مناقب مشهورة، صحب جماعة من القوم منهم نور بهادر الكازروني الفارسي،كانت وفاته في سنة (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)، انظر: ابن الزيات، الكواكب السيارة: ١٠٨- ١١٠؛ السخاوي الحنفي، تحفة الأحباب: ٢٣٠- ٢٣١.

(٣) انظر المرجعين السابقين: ٢٦٦؛ ٣٦٠.

والمنوفي الثاوي بهذا الأثر والمنسوب إليه هو السيد الشريف عبد العزيز بن أبي فارس عبد الغني بن أبي الأفراح سرور بن أبي الرجاء سلامة بن أبي اليمني بركات ابن أبي محمد داود بن أحمد بن محمد زكريا بن القاسم بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن يحي بن عبد الله المحض ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط عليهم السلام، ينتهي نسبه إلى الإمام يحي ابن الإمام عبد الله المحض، بويع له بالخلافة بالديلم فتعقبه الرشيد العباسي فأمسكه وحبسه ثم قتله في سنة (١٧٥هـ/ ٧٩١م)، أعقب من ولده محمد، وأعقب محمد عبد الله وأحمد، وأمهما الشريفة فاطمة بنت المولى إدريس الأكبر فاتح المغرب وأعقب لعبد الله محمد وسليمان وإبراهيم، وهذا الأخير هو الجد الأعلى للسيد عبد العزيز المنوفي(١).

وهذا النسب من الأنساب الصحيحة التي لا مطعن فيها، ذكره ابن عنبة في «عمدة الطالب» في سنة (١٣٩هـ/ ٧٥٦م) وغيره(٢)، وترجم للمنوفي هذا المقريزي في «السلوك»، وابن حجر في «الدرر الكامنة»، وقد رفع نسبه إلى الأشراف آل طباطبا وهذا مردود بما قدمناه في نسبه الصحيح(٣).

أصل سلفه من الينبع وقدم أبوه إلى الإسكندرية فتديرها، وولد المترجم له بها في سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) على ما أرخه المقريزي في «السلوك»، وعرف بالمنوفي لإقامته بإقليم المنوفية زمنًا، ثم انتقل منه إلى الصعيد، وصحب الشيخ يوسف بن غزي المعروف بأبي الحجاج الأقصري المتوفى سنة (٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م)(٤)، ولما ورد الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي المتوفى سنة (٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م) إلى مصر صحبه مدة إقامته بها(٥)، وانتسب إلى الشيخ أبي الفتح محمد بن أبي الغنائم الواسطي المتوفى بالإسكندرية في سنة (٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م)(٦)، وهو يروي عن والده عن الرفاعي الكبير.

ثم انتقل من الصعيد إلى القاهرة وتصدر للذكر والتذكير بجامع محمد بن سالم الطويل بخط سارية على قيد غلوة من هذا الأثر، ولبث به حتى توفي في الخامس عشر من ذي الحجة سنة (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)، ودفن بتربة تحت هذه القبة، وكان قد أنشأهما قبل موته بنيف وعشر سنين، وهي بحالتها الراهنة في حاجة إلى تقوية خشية دثورها، أفرده بالترجمة تلميذه الشيخ جمال الدين عبد الله الرستاني المتوفى سنة (٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، وأنشد له عبد الغفار بن نوح القوصي في «سلوك أهل التوحيد» أبياتًا صوفية منها:

وجدت بقائي عند فقد وجودي
فلم يبق حد جامع لحدودي
وألفيت سري عن ضميري ملوحًا
برمز إشاراتي وفك قيودي

(١) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق كرنكو، مج. ٢ (حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٣٠): ٣٧٣- ٣٧٥.

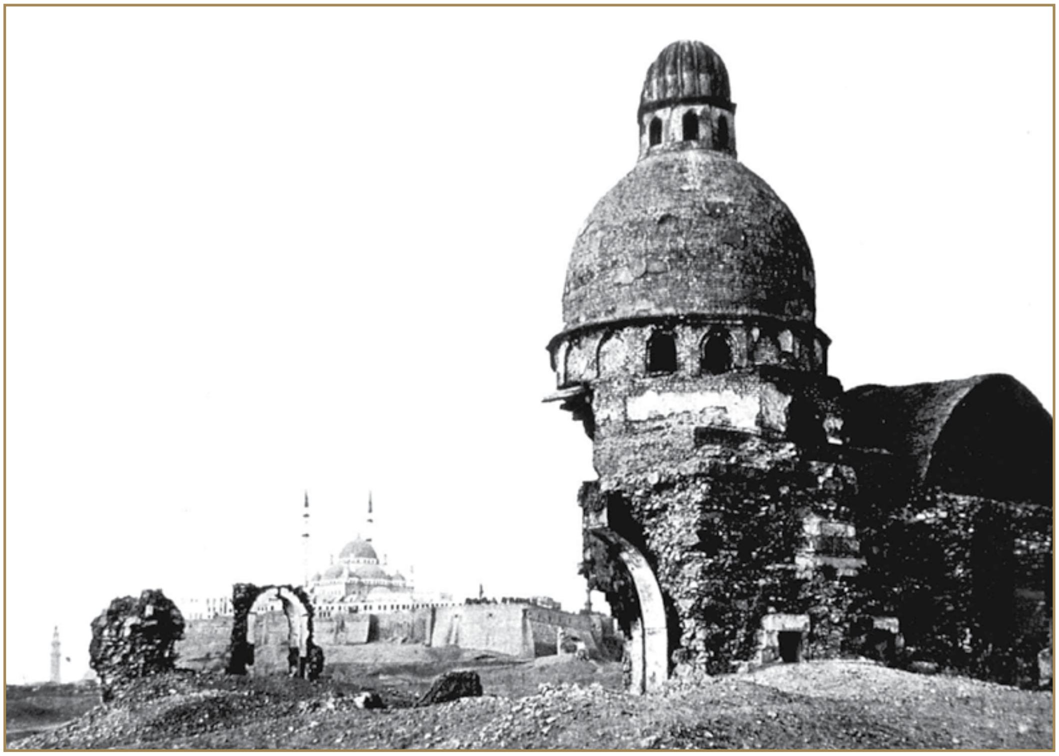
(٢) جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبة، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ط. ٢ (النجف، ١٩٦٠): ٩٨- ١٠١.

(٣) تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، مج. ١، ج. ٣ (القاهرة، ١٩٦٨): ٩٥٧؛ العسقلاني: الدرر الكامنة، مج. ٣: ٣٧٣- ٣٧٥.

(٤) عبد الوهاب بن أحمد الشعراني، لواقح الأنوار في طبقات الأخيار المعروف بالطبقات الكبرى، تحقيق خليل المنصور (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧): ٢٢٨- ٢٣٠.

(٥) المرجع السابق: ٢٧٠-٢٧١.

(٦) الشريف عبد الحافظ بن محمد سرور الواسطي الحسيني، توفي بالإسكندرية سنة (٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م)، ودفن بزاويته بالفراهدة بشارع جامع الواسطي، وهومعروف للآن، انظر: السخاوي الحنفي، تحفة الأحباب: ١٩٤، هامش ١.



قبة وإيوان المنوفي «عن فييت»

فأصبحت مني دانيًا بمعارفي
وقد كنت عني نائيًا بجمودي[١]

«ومنها»:

مذمع عندي أنني عبد الحكم
صفر الوجود بأسره في همتي
ونعم آتية على الوجود تعززًا
لما نسبت لكم وصمت نسبتي

وفي تربة المنوفي هذه الشيخ عبد الغفار بن أحمد بن عبد المجيد القوصي، صاحب الشيخ المنوفي وأبو العباس الملثم الصوفي، ترجمه الكمال الأدفوي في «الطالع السعيد»، مات في الثامن من ذي القعدة سنة (٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م)[٢].

ومن كلامه في الغزل الصوفي:

فؤاد لا يقر له قرار
وأجفان مدامعها غزار
وليل طال بالإنكار حتى
ظننت الليل ليس له نهار

وألف الشيخ عبد الغفار كتابه «السلوك في التوحيد»، وهو كتاب نفيس [مخطوط بدار الكتب تصوف][٣].

(١) العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٣: ٣٧٤.

(٢) المرجع السابق، مج. ٢: ٣٨٥- ٣٨٦؛ أبوالفضل جعفر بن ثعلب الأدفوي، **الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد** (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٠): ٣٢٣- ٣٢٧.

(٣) ذكره حاجي خليفة باسم الوحيد في سلوك أهل التوحيد، بينما يذكره الشعراني محرفًا باسم التوحيد في علم التوحيد، انظر:=

قبة سنجر الصوابي

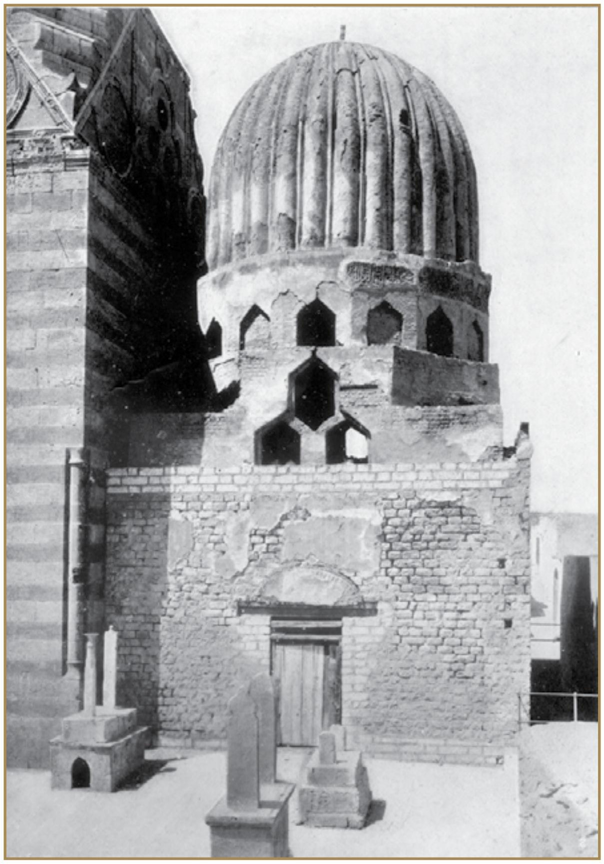
أثر رقم ٢٩٦ (سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م)

في جنـوب الجبانـة الناصرية «خط سـارية» جنوبي القاهـرة[١]، أنشـأها الأمير علـم الدين سـنجر الصوابي الجاشـنكير «متذوق الطعـام»، ثم والي القاهرة في سـنة (٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م)، ومات في سنة (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م) ودفن بها، ترجمه الحافظ بن حجـر في الدرر الكامنة[٢]، وقد دفن بهذه القبة الشيخ يوسف بن سعد الكعكي[٣].

قبة خوند أوردوتكين

أثر رقم ٢٨٩ (سنة ٧١٧هـ/ ١٣١٨م)

هـذه القبة بالقرافـة الناصرية بخط سـارية جنوبي القلعة مسـجلة بالآثار باسم التربة السـلطانية، وتسميها العامة بتربة الست[٤]، وهي بقية من تربة أنشأتها المرحومة الخوند «السيدة أو السـت» أوردوتكين بنت الأمير نوغيا التركي في سـنة (٧١٦هـ/ ١٣١٦م)، وكملت عمارتها في السنة التالية، ووقفت عليها ما كانت تملكه من عقارات بسـوق حسام الدين تكام «شارع الشواذلية بالموسكي» إلى عقارات أخرى بالقاهـرة وظواهرها، بتاريخ ١٨ ربيع الآخر سـنة (٧١٧هـ/ ١٣١٧م)، وماتـت المنشـئة في الثالث والعشرين من المحرم سـنة (٧٢٤هـ/ ١٣٢٣م) ودفنت بتربتها هذه، قال المقريزي «وتعرف الآن بتربة الست»[٥].



قبة سنجر الصوابي «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

= فهرس دار الكتب ٢/ ١٤٣؛ الشعراني، **الطبقات الكبرى**، مج. ١: ١٨٨.

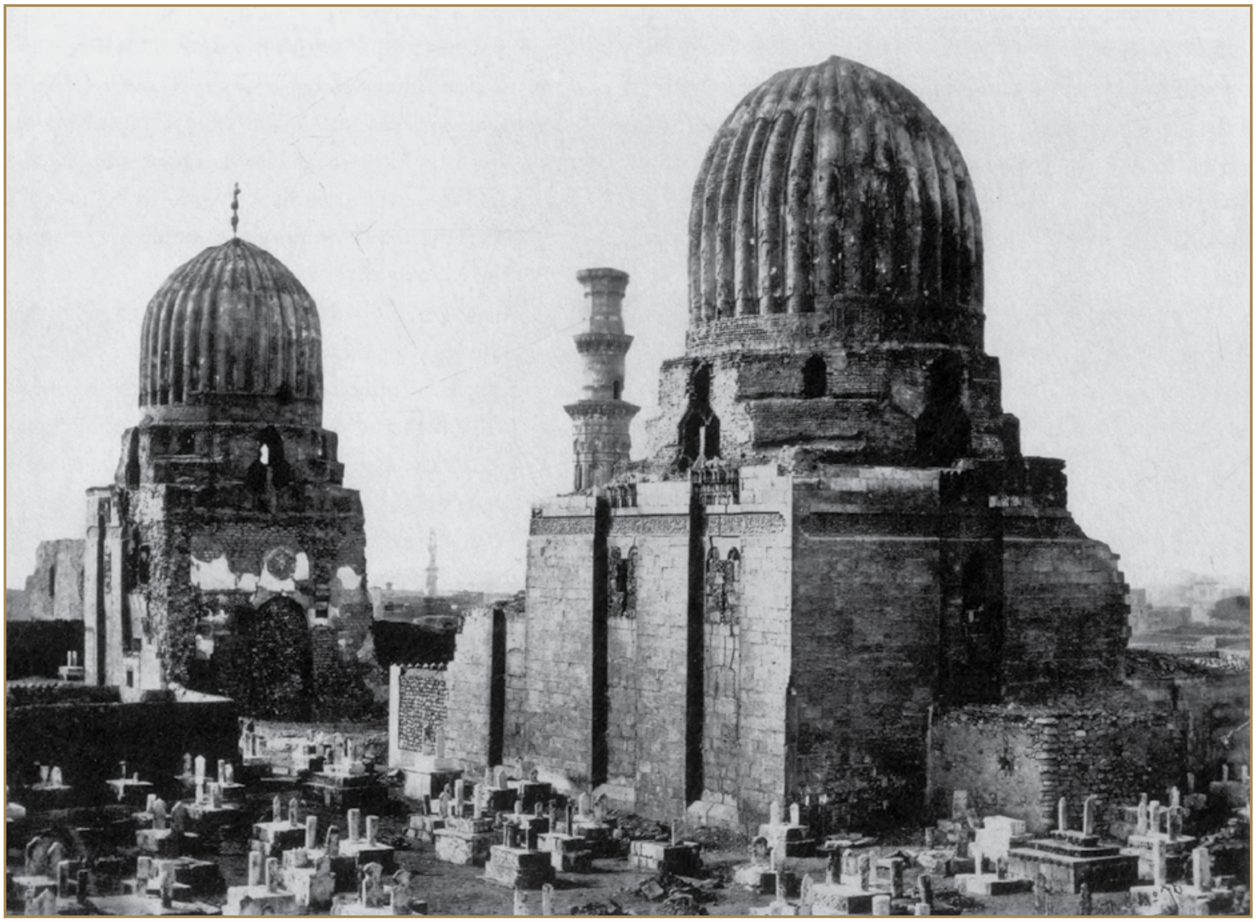
(١) بجوار قبة الأمير سودون بشارع القرافة الكبرى بالقرب من ميدان السيدة عائشة، انظر: أبو العمايم، **المئذنة القبلية وما حولها من الآثار**: ٦٧.

(٢) العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ١٧٢.

(٣) Creswell, *The Muslim Architecture*, II: 213-214.

(٤) يذكر أيمن فؤاد سيد أن تربة خوند أردوتكين ما تزال موجودة إلى الآن في الصحراء خارج باب القرافة ومسجلة بالآثار برقم ٣٠٠، حددها ابن الزيات في ما بين مدافن محمود وقبر القاضي مرغب بن قاضي دمياط، وتعرف بين العامة الآن باسم قبة وإيوان المنوفي، وهذا غير صحيح، حيث إن كليهما أثران منفصلان، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢٠٥، هامش ٥؛ ابن الزيات، الكواكب السيارة: ٢٨٣- ٢٨٤.

(٥) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٦٤، ٢٠٥، ٣٩٨. وكتاب وقف المنشئة الصادرة في هذا التاريخ والمحفوظ بشرعية مصر برقم٦، وقد ورد اسمها فيه «اردوكمر بنت السيفي نوكيه السلحدار المنصوري» واردوكمر معناه قمر صنور ونوجيا بالجاف. (المؤلف)



قبة خوند أوردوتكين «عن فريث»

ترجم لها الحافظ ابن حجر في «الدرر الكامنة»، قدمت إلى مصر من القوقاز في سنة (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) مع أخيها جمال الدين خضر وأختها منكي بك، وتزوجها الملك الأشرف خليل في السنة التالية، وولدت له بنتًا، واستمرت معه حتى قتل، فتزوجها أخوه الملك الناصر محمد في سنة (٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م)، وولدت له ولدًا مات في رجب سنة (٧١٠هـ/ ١٣١٠م)، ودفن بالقبة الناصرية بالقاهرة، وبقيت تحت الناصر حتى طلقها في سنة (٧١٧هـ/ ١٣١٧م)، وقد امتحنت من مطلقها الناصر فصادر موجودها، وأبعدها من سكنه بالقلعة، فسكنت بدار لها بحارة زويلة، واستمرت قابعة بها حتى ماتت[1].

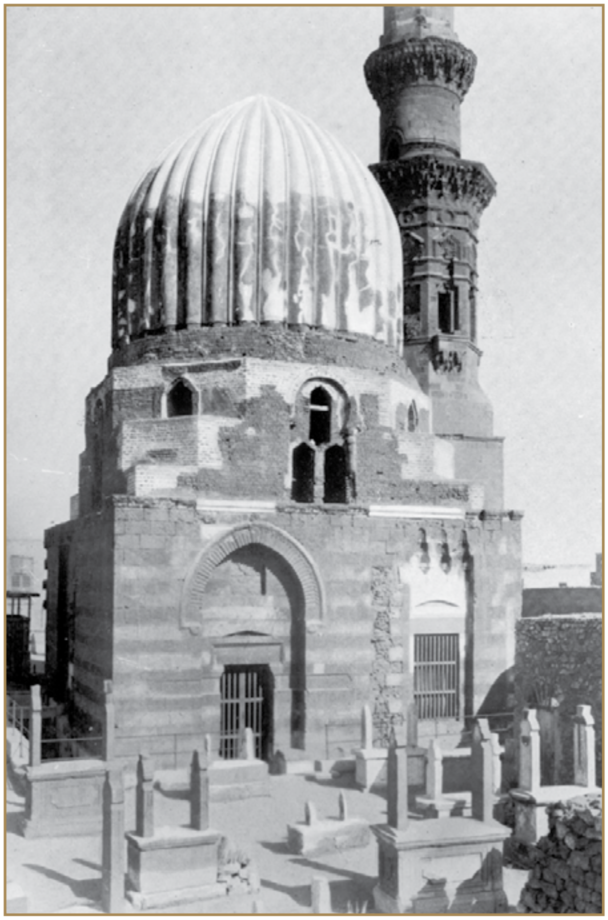
(١) «أردكين أو أردوتكين أو أردوكين» بنت «نوكاي نوكية نوغية» السلاحدار بن قطعان المغلية: تزوج بها الأشرف خليل بن قلاوون، فلم تزل عنده إلى أن قتل، فعملت له عزاء عظيمًا، ثم تزوجها الناصر محمد في سنة (٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م)، وولدت له ذكرًا توفي وهو صغير في سنة (٧١٠هـ/ ١٣١٠م)، ثم طلقها الناصر محمد في سنة (٧١٧هـ/ ١٣١٧م)، وأنزلت إلى القاهرة ورتب لها ما يكفيها إلى أن ماتت في سنة (٧٢٤هـ/ ١٣٢٣م)، وهي صاحبة التربة بالصحراء المعروفة بتربة الست، وخلفت لما ماتت ألفًا من الرقيق ما بين جارية وخادم وذخائر نفيسة، فاحتاط الناصر=

مسجد الحراني
(قبة ومئذنة بدر الدين القرافي)

أثر رقم ٢٩٢، ٢٩٣ (سنة ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م)

هـذا الأثـر بالجبانـة الناصرية «صحراء سـيدي جلال»[١]، وهو عبـارة عن قبة جصية مضلعة مزخرفة من الداخل بآيات قرآنية كريمة من سورة البقرة ولها باب غربي على جانبيه زخرفة كتابية يقرأ منها قوله تعالى «البسـملة. ادخلوها بسـلام آمنين إلى- متقابلين»، وفي جانبها القبلي مئذنة جصية مربعة.

ويعرف الأثر باسم «بدر الدين القرافي»، ذكره المقريزي في الخطط باسـم القـرافي[٢]، وهو ناصر الديـن صدقة بن عبد الله الشرابيشي المعروف بالحراني المتوفى سنة (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م)[٣]، ودفن بالمدرسة السـعدية بحكر سيف الإسلام «تكية المولوية بالسـيوفية»[٤]، أنشـأها في سـنة (٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م) برسم مسجد للصلاة وتربة لدفنه.



قبة بدر الدين القرافي «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

= لذلك، وصالح أخاها الخضر على تقدير مائة ألف درهم، وكانت موصوفة بالخير والجود، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٦٤، ٢٠٥، ٣٩٨؛ المقريزي، السلوك، مج. ١،ق. ٣: ٧١٧، ٩١٧؛ مج. ٢، ق. ١: ٢٥٨؛ العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ١: ٣٤٧- ٣٤٨.

(١) نسبة للإمام جلال الدين السيوطي المدفون بها، انظر: أبو العمايم، «المئذنة القبلية وما حولها من الآثار»: ٤٦.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٢٤.

(٣) فتح الدين صدقة بن... الشرابيشي: كان من رؤساء القاهرة ذوي الأموال الواسعة، وكان كثير المعروف، وقف على الخانقاه السعيدية وقفًا وعلى الجامع الأزهر وغير ذلك، توفي سنة (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م)، انظر: المقريزي، **السلوك**، مج. ٢: ٦٧٥؛ العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ٢٠٥؛ زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري، **نيل الأمل في ذيل الدول**، تحقيق عمر تدمري، مج. ١ (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٢): ١٠٣.

(٤) المدرسة السعدية: خارج القاهرة بقرب حدرة البقر، على الشارع المسلوك فيه من حوض ابن هنس إلى الصليبة (شارع =

وذكره السخاوي في «تحفة الأحباب» بنفس هذا الاسم، قال: «وهذا الخط يعرف الآن بجامع الحراني؛ الذي به الشيخ عبد الله الجبرتي، وجماعة من أولاد الشيخ عبد القادر الكيلاني»[١].

والجبرتي المذكور في النص المتقدم هو الشيخ عبد الله الجبرتي الزيلعي، أحد الصلحاء المعتقدين، مات في المحرم سنة (٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م)، أرخه السيوطي في «حسن المحاضرة»[٢].

وقد بقي ذكر الجبرتي هذا عالقًا بالأثر منذ وفاته إلى أواسط القرن التاسع، على أثر إقامة الشيخ محمد بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن عثمان البدرشي القاهري المعروف ببدر الدين القرافي[٣]، قال السخاوي في ترجمته من «الضوء اللامع»: «انقطع بزاوية الجبرتي بالقرافة»[٤]، وترجم لأبيه في المصدر نفسه، قال: «وولي مشيخة التصوف بتربة الشيخ عبد الله الجبرتي بالقرافة، مات في شوال سنة (٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م)، وهذا هو بدر الدين الذي عرف به الأثر»[٥].

قبة الأمير صوصون

أثر رقم ٢٩١ (سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣٥م)

هذه القبة بالجبانة الناصرية (صحراء سيدي جلال)، أنشأها الأمير صوصون شقيق الأمير قوصون صاحب الأثر الآتي، وصوصون معناه الفتى الجميل، استقدمه أخوه قوصون المذكور من القوقاز إلى مصر هو وأمه وأخواته الإناث، قال الحافظ مغلطاي: «سأل (قوصون) السلطان أن يكتب إلى الملك أوزبك إرسال والدته وأقاربه، فإنه كان له في بلاده (أوزبكستان) والدته وأخوه وابن أخته وجماعة من أقاربه وأهله، فكتب السلطان إلى الملك أوزبك وسأله أن يرسل هؤلاء إلى مصر، فجهزهم أوزبك إلى مصر في سنة (٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م) وأمر السلطان أخاه صوصون وابن أخته يلبك وسيروا أمه إلى الحجاز في هذه السنة»[٦].

فلما قدم صوصون إلى مصر التحق بخدمة الملك الناصر محمد بن قلاوون وترقى إلى مقدم ألف، وحج مع الملك الناصر في سنة (٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، وتزوج بمطلقة سيف الدين منكلي وهي الخاتون طلبية بنت الأمير طغاي، ثم مات عنها في رابع عشر جمادى الأولى سنة (٧٣٤هـ/

= السيوفية حاليًا)، فيما بين قلعة الجبل وبركة الفيل، كان موضعها يعرف بخط بستان سيف الإسلام، وهي في زمن المقريزي في ظهر إسطبل قوصون المقابل لباب السلسلة من قلعة الجبل، بجوار باب سر الإسطبل المذكور، بناها الأمير شمس الدين سنقر السعدي نقيب المماليك السلطانية في سنة (٧١٥هـ/ ١٣١٥م)، وتحولت هذه المدرسة في العصر العثماني إلى تكية للدراويش المولوية، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤،ج. ٢: ٦٠١- ٦٠٢، هامش ٤؛ جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق إبراهيم علي طرخان، مج. ٩ (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة، ١٩٦٣): ٣٣٣؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ق. ١: ٢٤، ٤٥٨؛ علي مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ١٦٠.

(١) السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب**: ٣٦٦.

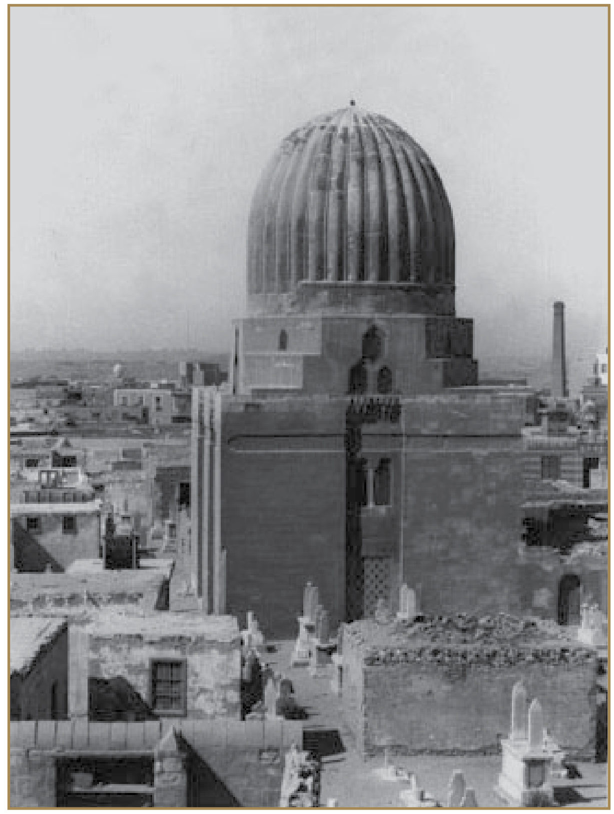
(٢) السيوطي، **حسن المحاضرة**، مج. ١: ٥٢٧.

(٣) قبة علي بدر الدين القرافي [أثر رقم ٢٩٢] يعتقد أنها جزء من تربة الأمير آيدغمش صاحب الخوخة والحمام بالدرب الأحمر.

(٤) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٩: ١٦١.

(٥) المرجع السابق، مج. ٨: ٢٠٩.

(٦) ملك التتار أزبك خان بن طغرلجا بن منكوتمر بن طغان ابن باطو بن دوشي خان بن جانكز خان: ملك نحو ثلاثين عامًا، وكان قد أسلم وحسن إسلامه وحرض رعيته على اعتناق الإسلام، تزوج الناصر محمد من ابنته خوند طولباي، توفي سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)، وولي بعده الملك جاني بك خان، انظر: المقريزي، **السلوك**، مج. ٢، ق. ٣: ٦١٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ٧٤.



قبة الأمير صوصون ومسجلة خطأ باسم قوصون «عن كريسويل»

١٣٣٣م)، قال الحافظ مغلطاي: «ودفن بتربته المواجهة لتربة أخيه قوصون بالقرافة»[١].

ودفن بهذه القبة الأمير آرك تيمـــور، قدم إلى مصر في ربيع الأول سنة (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) رسولاً من قبل الملك أوزبك ملك القبجاق، فمات إثر وصوله بأيام، قال الحافظ مغلطاي: «ودفن بالقرافة في تربة صوصون أخو المقر السيفي قوصون»، وكان الأمير آراك تيمور هذا برأس الوفد الذي بعث به الملك أوزبك لتنفيذ معاهدة الحلف التي انعقدت بين الملكين.

(١) ذكره بعض المؤرخين باسم الأمير سوسون بن عبد الله الناصري، أحد مقدمي الألوف بديار مصر وأخو الأمير قوصون، انظر: موسى بن محمد اليوسفي، **نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر**، تحقيق أحمد حطيط (بيروت، ١٩٨٦): ٢١٢- ٢١٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٣٠٣.

جامع وخانقاه قوصون

أثر رقم ٢٩٣ (سنة ٧٣٧هـ/ ١٣٣٥م)

هذا الأثر بالجبانة الناصرية (صحراء سيدي جلال)، كان يتألف من مســـجد جامع وخانقاه وحمام، أنشأ الجميع الأمير قوصون في سنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)[٢]، وكملت عمارتها في الســـنة التالية، ذكره المقريزي في «الخطـــط» قال: «هذا الجامع داخل باب القرافة تجاه خانقاه قوصون، أنشأه الأمير سيف الدين قوصون وعمر بجانبه حمامًا فعمرت تلك الجهة في القرافة بجماعة الخانقاه والجامع وهو باق إلى يومنا هذا»[٣].

(٢) سيف الدين قوصون الساقي: حضر مع جماعة من الذين أحضروا ابنة القان أزربك زوجة الناصر محمد، فرآه الناصر فطلب من كبير جماعتهم شراءه، فاشتراه منهم بثمانية آلاف درهم، فسلمها التاجر المذكور لأخيه صوصون، ثم عظمت منزلته عند الناصر، حيث رقاه السلطان الناصر محمد حتى صار أكبر الأمراء، يركب في ثلاثمائة فارس في صفين، قدام كل صف رجل يضرب القبز كما يركب ملوك المغل، وتزوج من بنت الناصر محمد سنة (٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م)، وهو صاحب الجامع الكبير بالقاهرة والخانقاه المشهورة بباب القرافة، وبعد الناصر تولى النيابة للمنصور ثم خلعه وقتله بقوص، وسجن بشتاك بالإسكندرية ثم قتله، وفي عهد كجك عادى الناصر أحمد بالكرك حتى انقلب عليه قطلبغا الفخري وأغرى به العوام ونهبوا إسطبلاته ثم قبض عليه واعتقل بالإسكندرية حتى حضر الناصر أحمد من الكرك، فأمر ابن صبح بقتله في الإسكندرية سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)، انظر: العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٣: ٢٥٧-٢٥٨؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٢، ق. ٣: ٥٧٦- ٥٩٣، ٦١٥.

(٣) لم يتبقَّ من هذا المسجد سوى مئذنته المعروفة بالقبلية وقطعة من جدار القبلة، ويذكر أيمن فؤاد سيد نقلاً عن محمد أبو العمايم أنه يقع بالقرب من جامع مسيح باشا الذي يطلق عليه جامع المسبح، بينما يرجح محمد رمزي أن مسيح باشا قد جدد هذا المسجد في سنة (٩٨٤هـ/ ١٥٧٦م) فنسب إليه، وهو المسجد الذي عرف بجامع القرافي نسبة للشيخ نور الدين القرافي، وهو خارج باب القرافة جنوبي سجن المنشية بشارع المسيحية بقسم الخليفة، وهذا خلط واضح، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ١: ٣١٨، هامش٥؛ ابن تغري بردي،=

وذكر الخانقـــاه في «الخطط» فقال: «هـــذه الخانقاه في شمالي القرافة مما يلي قلعة الجبل تجاه جامع قوصون أنشأها الأمير ســـيف الدين قوصون وكملت عمارتها ســـنة ست وثلاثين وســـبعمائة، وقرر في مشيختها الشيخ شمس الدين أبا الثناء محمود بن أبي القاسم الأصفهاني ورتب له معلومًا، وما زالت على ذلـــك إلى أن كانت المحن في ســـنة (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م) فبطل الطعام والخبز منها وصار يصرف لمستحقيها مال من نقد مصر وتلاشى أمرهـــا بعد ما كانت من أعظم جهات البر وأكثرها نفعًا وخيرًا»[١].

وذكرها في «السلوك» قال: وفيها تم بناء خانقاه الأمير قوصـــون بجوار جامعه من داخل باب القرافة وتمت عمارة حمامها أيضًا، فقرر قوصون في مشيختها الشيخ شمس الدين محمد بن محمود الأصفهاني في يوم الخميس ثاني صفر ســـنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) وعمل بها سماطًا جليلاً، وذكرها مغلطاي وابن عرب شـــاه وأفادا أن عمارتها تمت في اليوم الثاني من صفر من هذه السنة[٢].

والأصفهاني المذكور هو الشـــيخ شـــمس الدين محمود الأصفهـــاني ترجمه الحافظ ابن حجـــر في الدرر الكامنة ولد بأصفهان سنة (٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م) وقدم القاهرة سنة (٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، وبنى له قوصون الخانقاه، ورتبه شيخًا بها وأرخ وفاته في ســـنة (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، ودفن بتربة الشاذلية التي تعرف حاليًا بابن حجرة بصحراء التونـــسي بالقرافة الكبرى[٣]، وأســـكن قوصون خانقاته هذه فقراء العجم الذين وفدوا على مصر وشيخهم زاده في سنة (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م)[٤].

وقرأنـــا في طراز دائر بالمئذنة آيات قرآنية من ســـورة يس وآي أخرى، تنتهي بالنص التاريخي (**وذلك بتاريخ سنة سبع وثلاثين وســـبعماية**)، ولقوصون هذا أثر آخر مر ذكره في آثار القاهرة[٥].

= **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٢٠٧، هامش٢؛ أبو العمايم، «المئذنة القبلية وما حولها من الآثار»: ٥٣- ٨٩.

(١) لم يبقَ من هذه الخانقاه إلا قبتها الشمالية والمئذنة المعروفة بالمئذنة الكبيرة أو الوسطى الواقعة غربي مقام جلال الدين السيوطي خارج باب القرافة، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ٢: ٧٧٨؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، مج. ٢: ٢٦٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٢٠٧، هامش ٣.

(٢) المقريزي، **السلوك**، مج. ٢، ق. ٢ :٣٩٠.

(٣) محمود بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن علي العلامة شمس الدين أبو الثناء الأصبهاني:كان ينتسب إلى علاء الدولة الهمذاني، وكان مولده بأصبهان في شعبان سنة (٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م)، بالغ ابن تيمية في تعظيمه عندما قدم لدمشق في سنة (٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م)، طلب على البريد إلى القاهرة في سنة (٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، بسفارة الشيخ مجد الدين الأقصرائي شيخ خانقاه سرياقوس فنزل عنده، وبنى له قوصون الخانقاه ورتبه شيخًا لها، توفي في سنة (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، انظر: العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٤: ٣٢٧- ٣٢٨.

(٤) يذكر المقريزي في أحداث سنة (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م) أن طائفة من العجم لهم زي غريب، على رؤوسهم أقباع طوال جدًا، من فوقها عمائم مضلعة كهيئة الطرطور، ولهم شيخ يعرف بالشيخ زاده، قد وفدت إلى القاهرة، فاحتفل بهم الأمير قوصون وأنزلهم بخانقاته، وعمل لهم فيها عدة أوقات، ثم تحدث قوصون مع السلطان في أمرهم، فولى زاده مشيخة الخانقاه الركنية بيبرس، فباشرها وعمل بها في كل ليلة جمعة سماعًا قام به الأمير قوصون، انظر: المقريزي، **السلوك**، مج. ٢، ق. ٢: ٤٩٤.

(٥) جامع قوصون بشارع محمد علي، جامع أثري رقم ٣٧، خارج باب زويلة سنة (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م)، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٢٣، هامش١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٩٥، هامش ١.



قبة وخانقاه قوصون «عن فريث»

قبة عبد الله التكروري

أثر رقم ٢٨٠ (سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م)

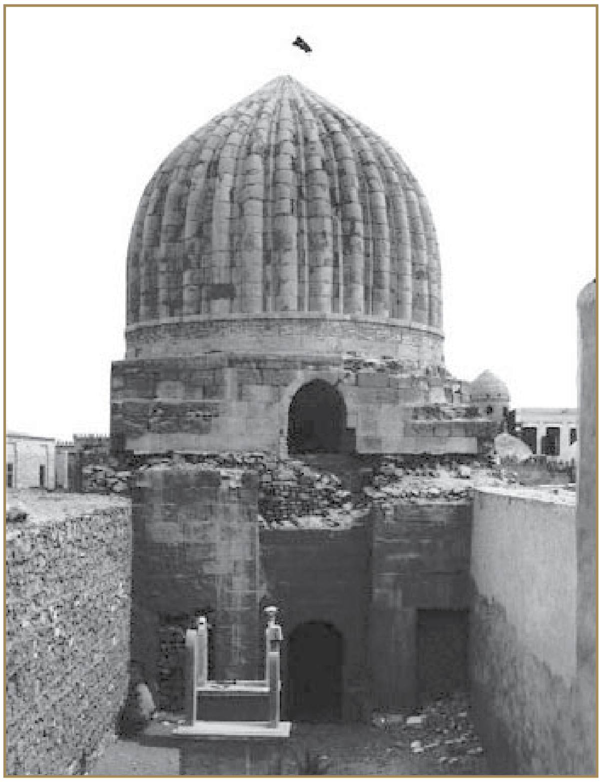
بشارع الإمام الشافعي، جنوبي القاهرة، ذكرها السخاوي في «تحفة الأحباب»، وحدد موقعها بقوله: «هذه التربة على طريق الجادة إلى الإمام الشافعي».

والتكروري الذي نسبت إليه هو الشيخ جمال الدين عبد الله التكروري المعروف بالرستاني، من صحابة الشيخ عبد العزيز المنوفي مات سنة (٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، ودفنه تلميذه الشيخ شعيب بن إبراهيم الرفاعي بهذه التربة، ثم بنى له هذه القبة في سنة (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م)، وأقام بها إلى أن توفي في سنة (٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م).

والشيخ شعيب هذا سيد شريف من نسل الشريف فضائل بن علي بن حمزة الحسيني، كان أحد المتصدرين للعلم والتدريس بالمدرسة الصلاحية، وأخذ الطريقة عن شيخه المذكور[1].

وقد سكن هذه القبة جماعة من الرفاعية، وكانت المحاكم في مصر تصدر لهم تقارير باستقرارهم فيها، وآخر من وضع يده عليها المرحوم السيد أبو الهدى الصيادي شيخ الرفاعية، وبنى في خلفها مقبرة دفنت فيها زوجته، ويحيط بالقبة طراز مقوم بزخارف قرآنية من سورة يس.

(١) الحنفي، **تحفة الأحباب**: ١٩٤.



قبة عبد الله التكروري «عن كريسويل»

القبة التنكزية

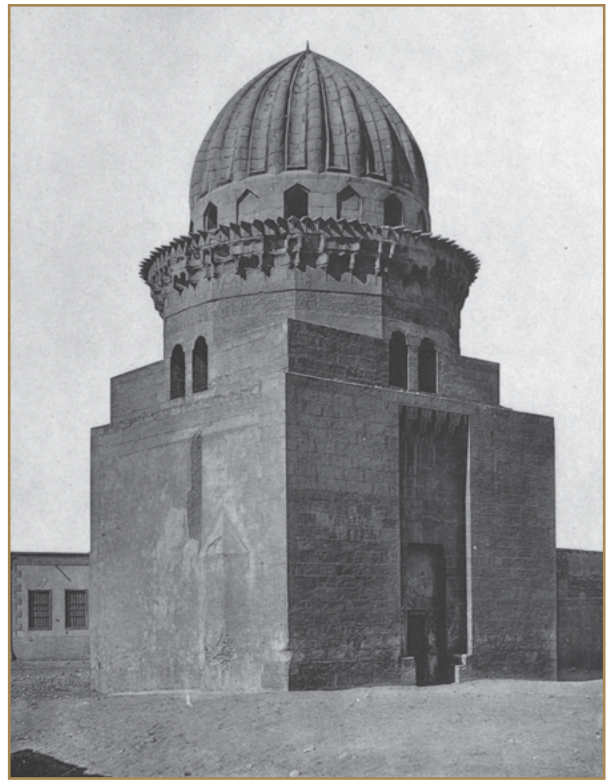
أثر رقم ٢٩٨ (سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)

هذه القبة بالقرافة الناصرية داخل باب القرافة[2]، وهي قبة من الحجر المزخرف مضلعة الشكل، تمتاز بزخارفها التي تحيط بدائرتها في شكل إطار مسنم الأركان، وهي تشبه ما وجد من نوعها في قباب سمرقند التترية شاه زندا.

أنشأها المقر الأشرف المولوي الأميري الكبيري تنكز الأشرفي أمير مجلس الملكي الناصري تغمده الله برحمته[3]، وذلك بتاريخ سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة من الهجرة

(٢) القبة التنكزية خارج باب القرافة ولعله سبق قلم من المؤلف، وهي تطل على شارع القرافة الكبرى.

(٣) من النص الذي قرأناه بطراز في دائرها العلوي. (المؤلف)



قبة تنكزبغا «عن فييت»

النبوية، مات منشؤها سنة (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)، ترجمه المقريزي في «الخطط» ونسبه إلى الأشرف خليل بن المنصور قلاوون، تولى نيابة السلطنة للملك الناصر محمد بن قلاوون بدمشق، وكان مقربًا من السلطان محببًا إليه، لكنه أوجس منه خيفة حينما أراد أن يؤسس له ملكًا بالتركستان موطنه وموطن أسلافه، فحجر عليه واستولى على موجوده بمصر والشام ثم جهزه إلى الإسكندرية، وأمر بقتله ودفن في تربتها، ثم نقل منها إلى جامعه بدمشق فدفن بتربته فيه بعد موته بثلاث سنوات[١]، وخلف ابنة لم تعش طويلاً بعده[٢].

قبة خوند سمرا الأشرفية

أثر رقم ٢٨٨ (سنة ٧٦٦هـ/ ١٣٦٤م)

بالجبانة الناصرية «صحراء سيدي جلال» شرقي بحري مئذنة قوصون، تنسبها إدارة حفظ الآثار الإسلامية لأم السلطان حسن وهو خطأ صححناه لها، أنشأتها الخوند سمرا الأشرفية زوجة السلطان الملك الأشرف شعبان بن المقر الأميري حسين بن الملك الناصر بن قلاوون في سنة (٧٦٦هـ/ ١٣٦٤م)[٣]، ذكرها ابن إياس في تاريخ مصر في حوادث سنة (٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م) قال: «وطلب الأمير يشبك فلم يقدر عليه، ثم بعد أيام دل عليه (أنه في تربة بالقرافة)»، فأمسك من تربة خوند سمرا التي تجاه باب جامع قوصون[٤].

وهذا النص لم يدع مجالاً للشك في أن هذا الأثر منسوب للخوند سمرا المذكورة وليس لأم السلطان حسن كما هو الشائع، ويصطبغ هذا الأثر بصبغة الفن التتري الذي تنتمي إليه المنشئة، ويتألف هذا الأثر من قبتين بينهما إيوان معقود يتوسطه محراب، ويحيط بيمين الإيوان ويساره طراز كتابي يبتدئ بالبسملة وينتهي بالنص التاريخي في عبارة هذا نصها:

وكان الفراغ سنة ست وستين وسبع مائة وصل الله
على سيدنا محمد خاتم النبيين

ويتصل بهذا الأثر من طرفه القبلي إلى جهة الغرب مئذنة حجرية منفصلة عن الأثر، وقد تقادم الجزء العلوي

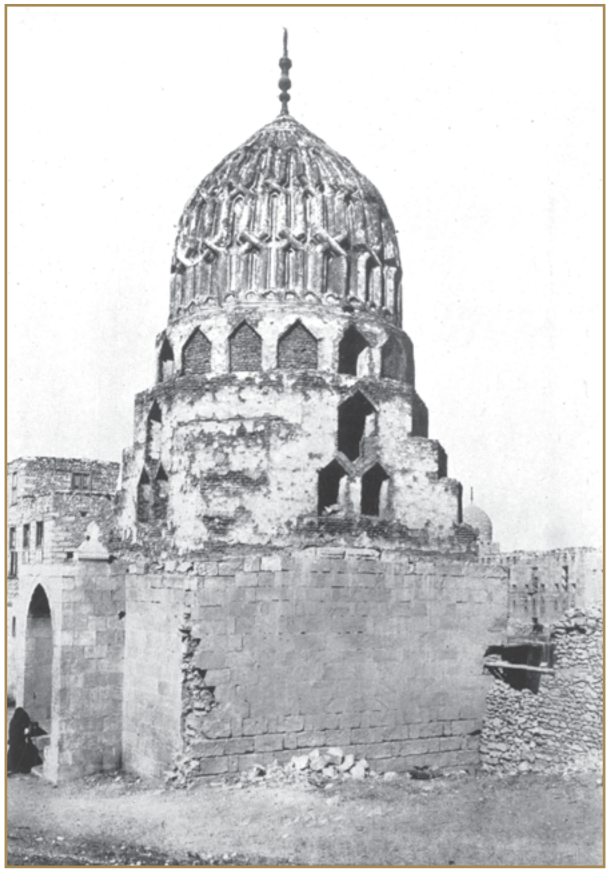
(١) عن قبة وجامع تنكز نائب الشام بدمشق، انظر: الدمشقي، **الدارس في تاريخ المدارس**، مج. ٢: ١٨٦، ٣٢٧- ٣٢٨.

(٢) العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ١: ٥٢٠-٥٢٨؛ المقريزي، **السلوك**، مج٢. ، ق. ٢: ٥٠٦- ٥١٢؛ مج. ٢، ق. ٣: ٥٥٨؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٧٩-١٨٠؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**،=

= مج. ٩: ٣٢٧- ٣٢٨، مج. ١٠: ٧٣- ٧٤؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٤٧٧- ٤٨١.

(٣) ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٦: ٢٤٨.

(٤) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ٢: ٦٢٨.



قبة خوند سمرا الأشرفية «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

منها، والقبة الشمالية أوشكت على الاندراس وقد فقد غطاؤها[١].

ويتقارب الفن الذي يلابس هذا الأثر مع مثيله بسمرقند ومصر، وقد بدأ الخراب يشن غارته على هذا الأثر منذ سنة (١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م).

(١) أعادت لجنة حفظ الآثار الإسلامية ما تصدع منها إلى أصله فعادت إلى حالتها الأولى. (المؤلف)

قبة المسيري

وعلى قيد غلوة من هذا الأثر بصحراء المعلم سيد محمد سعدون بقرافة السيوطي مدفن به قبة تحتها قبر قرأنا على نصيبة القبر هذا النص:

هذا قبر العبد الفقير إلى الله تعالى يوسف بن علي المسيري توفي يوم الإثنين الثالث والعشرين من شهر صفر سنة ثلاث وتسعين وسبعماية

ويلي ذلك شعار داخل دائرته الرمز الجركسي الشمالي لقبيلة المنشئ.

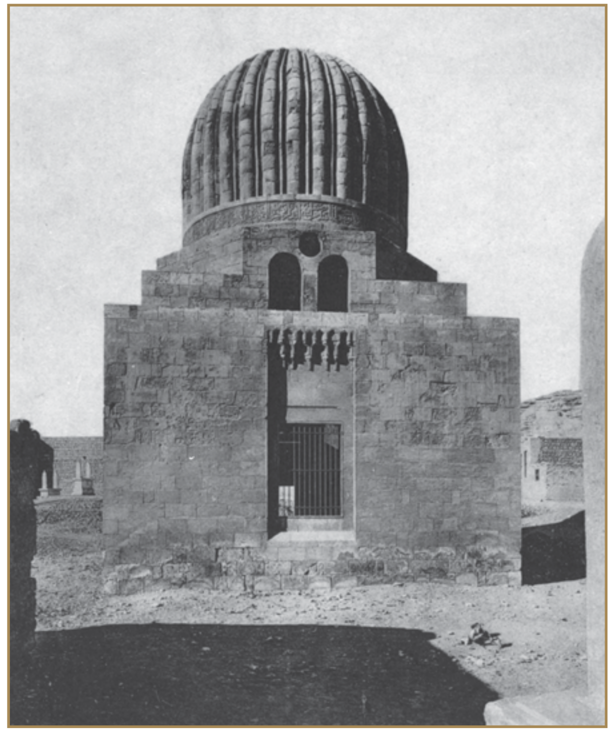
قبة كافور الهندي

أثر رقم ٢٩٩ (سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م)

هذه القبة بالقرافة الناصرية بحري قبة الأمير تنكز بغا السالفة الذكر[٢]، مسجلة بالآثار بغير مسمى، أنشأها الأمير كافور الهندي الشبلي الناصري، خدم عند الملك الناصر حسن، وأنشأ هذا الأثر كتربة لدفنه، وانقطع بها بآخر حياته واتخذ منها مكتبة له جمع فيها مجموعة من الكتب أوصى بنقلها إلى تربته هذه بعد وفاته، مات سنة (٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م) ودفن بتربته هذه، ترجمه ابن إياس قال: «وهو صاحب التربة التي تحت الجبل المقطم، ولما مات دفن بها»[٣].

(٢) قبة كافور الهندي أو قبة بحري تنكز بغا ينسبها ميخائيل ماينكه إلى الأمير أقبغا عبد الواحد، انظر: Michael Meinecke, "Die mamlukische Architektur in Ägypten und Syrien", *Verlag J.J. Augustin GMBH* (Gluckstadt, 1992) I, Tefel 52: 86.

(٣) الطواشي الأمير كافور الهندي الزمردي الناصري: المعروف بشبل الدولة، وكان من خدام الملك الناصر محمد بن قلاوون، تولى الزمامية في دولة الملك الناصر حسن، وكان قد قارب من العمر نحو المائة سنة، وكان في سعة من المال، وهو صاحب التربة التي بالقرافة تحت جبل المقطم، ولما مات دفن بها، وكان حسن =



قبة كافور الهندي «عن كريسويل»

وتمتاز هذه القبة بشكلها الخاص الذي يغاير كل القباب الأخرى التي تحتفظ بها في هذه الحقبة، والعامة تنسبها إلى كافور الإخشيدي، وهذا خطأ إذ أن تربة كافور الإخشيدي قبلي حوش المقادسة المعروف الآن بحوش أبي رمانة[١]، بينه وبين تربة القاضي الفاضل وقد دثرت[٢].

= المحاضرة وينظم الشعر الجيد، توفي في جمادى الآخرة سنة (٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م)، انظر: ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ٢: ٣٦١.

(١) ابن الزيات، **الكواكب السيارة**: ١٩٩.

(٢) كافور الإخشيدي: جلب إلى مصر من بلاد الزنوج بإفريقية في سنة (٣١٠هـ/ ٩٢٢م) وكان عمره عشر سنين، ثم واتاه الحظ بعد مراحل طويلة من حياته فأسند إليه الحكم في مصر بعد موت علي بن الإخشيد في أول سنة (٣٥٥هـ/ ٩٤٦م) ومنيت مصر في عهده بخلل في الجهاز الحكومي، فكان ذلك من الأسباب التي دفعت بالخليفة المعز الفاطمي سلطان المغرب لأنه يبسط سلطانه على مصر بعد اختلال أداة الحكم فيها، مات كافور في =

مسجد ورباط جاني بك نائب جدة

أثر رقم ١٧١ (سنة ٨٦٣هـ/ ١٤٦٣م)

هذا الأثر القائم بشارع القادرية المسلوك منه إلى الإمام الشافعي، هو بقية من عمارة كانت تتألف من رباط للصوفية ومسجد للصلاة وسبيل وكتاب وحوض وتربة ومنافع أخرى، أنشأها الأمير أزدمر الصالحي، ثم جددها الأمير جاني بك السيفي أمير دوادار المعروف بنائب جدة[٣]، ووقف عليها وقفه الصادر بتاريخ التاسع والعشرين من جمادى الأولى سنة (٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م) [المسجل برقم ٢٠، ١٢٢]، وموجود أصله بشرعية مصر بالحفظ.

وقد ذكر السخاوي في «تحفة الأحباب» هذا الأثر، وأفاد أن من دفناه القدامى الفقيه المحدث محب الدين أبو

= جمادى الأولى سنة (٣٥٧هـ/ ٩٦٧م) وقد بلغ الستين، ودفن في هذه التربة، وكان قبره بها معروفًا إلى عهد المقريزي (٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، ووجد على قبره كتابة هذا نصها:

ما بال قبرك يا كافور منفردًا
بالصحصح المرت بعد العسكر اللجب
يدوس قبرك أفناء الرجال وقد
كانت أسود الثرى تخشاك من كثب
انظر إلى غير الأيام ما صنعت
أخنت أناسًا بها كانوا وما فنيت
دنياهم ضحكت أيام دولتهم حتى إذا
فنيت ناحت لهم وبكت (المؤلف)

(٣) رباط أزدمر (أثر رقم ٢٧٩) بشارع القادرية رقم ٢٢، أما تربة جاني بك نائب جدة فإنها تقع شمالي رباط أزدمر، وهي رقم ٣٦ شارع القادرية، وهي متاخمة لرباط أزدمر والذي يحوي تربة مصطفى باشا حاكم اليمن، انظر: حسن عبد الوهاب، «العمارة الإسلامية بمصر المماليك البحرية، دولة الظاهر بيبرس»، **مجلة العمارة**، عدد ٩- ١٠ لسنة ١٩٤٠: ٤٧٨- ٤٨٠.

الفرج عبــد اللطيف بن علي الحــراني الصقلي من علماء الحنابلة ومن شيوخ دار الحديث الكاملية بالقاهرة توفي سنة (٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م)[١]، وأفاد الشعراني في «الطبقات الصغرى» أن الملا علي العجمي مــن صلحاء القرن العاشر أقام بهذه التربة ولما مات دفن بها[٢].

ولما وصل الســخاوي إلى هذه المنطقة ذكر في المصدر المذكور: «ثم تأتي إلى قبــلي (شرقي) تربة الأمير جنبك تجد تربة تعرف قديمًا بتربة الفاضل والآن برباط الأمير جنبك»، وانتهى من ذلك إلى قــوله: «وأصل من بنى هذا الرباط وما حول التربة وجدده أزدمر الصالحي، ثم لما خرب الرباط وما حول التربة جدده الأمير جنبك نائب جدة المذكور وزخرفه وبيضه ونزل فيه فقــراء وأجرى عليهم خبزًا وجامكية، ثم أنه جدد التربة وتتبع عمارتها وبيضها وجعل فيها حوشًــا ومقعدًا وإســطبلاً ومطبخًا وميضأة، وبنى صهريجًا وحوضًا لسقي البهائم وجعل فوق الســبيل كتابًا وجدد بئر الساقية التي كانت قديمة بها وجعل بالتربة المذكورة شيخًا وخمسين صوفيًّا ومقرئين إلى آخر مــا ذكره في وصف هذا الأثر»، ثم خلــص من ذلك إلى قوله: «والتربة الــتي إلى جانب الرباط المذكور بها جد الشــيخ الصالح العارف يوسف بن عبد الله ابن عبد الرحمن الكردي المعروف بـ (أبونا)»[٣].

وهذا مما ذكر بحجة جاني بك المتقدمة الذكر، وما ذكر في حجة مصطفى باشــا حاكم اليمن وحجة السيد محمد علي الحسني القادري، يأتي دليلاً واضحًا في أن رباط أزدمر الصالحي ليس هو إلا تربة ورباط جاني بك المذكور.

وأزدمر الصالحي الذي نسب إليه هذا الرباط هو أحد أمراء الروم البحرية اســتقدمه الملــك الصالح نجم الدين أيوب ضمن من اســتقدمهم من الروم (الأناضول)، واللاز والجركس وأســكنهم قلعة الروضة، واستمر أزدمر إلى عهد المعــز آي بك، فلما قام فارس الدين آقطاي الرومي بالخروج عــن طاعة المعز وتغلب عليه المعــز وقتله، ثار أزدمر هذا مع من ثار على المعــز أخذًا بالثأر، وراموا قتله فتصدى لهم بعســكره حتى هزمهم، وإذ ذاك فــر أزدمر إلى علاء الدين السلجوقي بالروم وأضحى به مع مائة من أنصاره، وقد فصل المقريزي خبر هذه الموقعة في السلوك[٤].

وقد بقي رباط أزدمر بعد فراره نهبًا حتى اقتلع مفرداته ابن فضل الله العمري واســتخدمها في بناء داره[٥]، فتطرق الخراب إلى الرباط حتى قام جنبك المذكور بتجديده وألحق المنافع المذكورة، وقد عثر على الحوض الذي كان معدًّا لشرب الدواب بجوار الأثر وكان مشــيدًا فوقه الكُتّاب المذكور فيما تقدم، وكان يضع يده عليه علي زايد زايد من ســكان حوش القادرية، واستطاعت وزارة الأوقاف استرداده منه في نظير إعطائه جزءًا من الحوش حســب التقييم البالغ مســطحه ٨٦/٦٠.

(١) السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب**: ١٨٧.

(٢) يذكر ابن إياس أن الشيخ علاي الدين الملة العجمي الشافعي شيخ تربة جاني بك نائب جدة قد توفي في رمضان سنة (٩٢٢هـ)، وكان من أعيان علماء الشافعية، انظر: ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٥: ٩٥- ٩٦.

(٣) السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب**: ١٨٨- ١٨٩.

(٤) المقريزي، **السلوك**، مج. ١، ق. ٢: ٣٩٠- ٣٩٢.

(٥) دار ابن فضل الله العمري فيما بين حارة زويلة والبندقانيين، كان موضعها جملة إسطبل الجميزة، وكانت هذه الدار موجودة قبل بني فضل الله، وتعرف بدار بيبرس، وكانت من أبهج دور القاهرة، اغتصب لها الرخام والأحجار والأخشاب، وهدم لها دورًا كثيرة من الترب بالقرافة منهم تربة الشيخ عز الدين بن عبد السلام، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٨٥- ١٩٢.

وقد تخلف مـــن هذا الأثر بقية مـــن مفرداته أهمها النص التاريخي، وقرأنا فيه ما يلي:

البسملة، إن المســـاجد لله فلا تدعو مع الله أحدًا أمر بإنشـــاء هذه التربة السعيدة وما يشتمل عليها من المنافع والحقـــوق المقر الأشرف الكريمي العالي الســـيفي جاني بك أمـــير دوادار الكبـــيرى الملكي الظاهري وكان الفراغ من الجامع في شهر الله المحرم سنة ثلاث وستين وثمانماية

وكتابة أخرى يقرؤ فيها اسم المنشئ وألقابه، مات جاني بك في ذي الحجة سنة (٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م)، ترجم له السخاوي في الضوء اللامع[١]، وله من الآثار الخانقاه التي عرفت أخيرًا بتكية قصر العيني، أنشأها في منتصف غيط كان في ملكه مســـاحته ٢٨ فدانًا، وقد عرف هذا الغيط بغيط الناصرية بجوار منشـــأة المهراني التي عرفت أخيرًا بحوش المهراني[٢]، وقد آل هذا الغيط في ســـنة (١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م) إلى السلطان مراد فوقفه على سقاية «بعثة» الحج التي رتبها في مراسم الحج، وفي ســـنة (١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م) استولى عليه الخديو إسماعيل، ثم استولى عليه الأمير محمد علي بن الخديو توفيق، وبنى على جزء منه القصر المعروف به، واســـتبدل ديوان الأوقات ما بقي من مساحته وقدره (١٢٠,٠٠٠ متر مربع) في سنة (١٣٢٦هـ/ ١٩٠٧م)، وهذا ما حققه من [السجل رقم ٤٣] من محفوظات شرعية مصر[٣].

مسجد عمر بن الفارض

أثر رقم ٦٠١ (سنة ٨٦٣هـ/ ١٤٦٣م)

بالقرافـــة الجنوبيـــة بصحراء ابن الفـــارض، توفي في ١٣ من جمادى الآخرة ســـنة (٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م)، ودفن في قبر خاص تحت مسجد مسلم القارئ المعروف بالفارض، وبقي حتى تصدى لتجديـــده وعمارته وبناء مســـجد له الأمير برقوق الظاهري نائب الشـــام المتوفى سنة (٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م) بدمشـــق[٤]، وتمت عمارته في سنة (٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م)، وشيد

(١) السخاوي: **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٥٧- ٥٩؛ السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب**: ١٨٧، هامش١.

(٢) منشأة المهراني: موضعها فيما بين النيل والخليج، وعرف موضعها بالكوم الأحمر من أجل أنه كان يعمل فيها أقنة الطوب، فلما سأل الصاحب بهاء الدين بن حنا الملك الظاهر بيبرس في عمارة جامع بهذا المكان؛ ليقوم مقام الجامع الذي كان بمنشأة الفاضل أجابه إلى ذلك، وأنشأ الجامع بخط الكوم الأحمر كما ذكر في خبره عند ذكر الجوامع، فأنشأ هناك الأمير سيف الدين بلبان المهراني دارًا وسكنها، وبنى مسجدًا فعرفت الخطة به، وقيل لها منشأة المهراني، فإن المهراني المذكور أول من ابتنى فيها بعد بناء الجامع، وتتابع الناس في البناء بمنشأة المهراني، وأكثروا من العمائر، حتى يقال إنه كان بها فوق الأربعين من أمراء الدولة، سوى من كان هناك من الوزراء وأماثل الكتاب وأعيان القضاة ووجوه الناس، ولم تزل على ذلك حتى انحسر الماء عن الجهة الشرقية فخربت، وبها الآن بقية يسيرة من الدور، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ١٦٤- ١٦٦.

(٣) هذه الحجة صارت بتاريخ ١١ صفر سنة (١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م) من محكمة بنها الشرعية وفيها أن الخديو إسماعيل استولى على جزيرتي السلطان مراد القبلية والبحرية، كانت القبلية تبتدئ من جزيرة محمد حتى المقياس، ومن المقياس حتى قصر الشهاب العيني، حدها الغربي حوش قايتباي وجزيرة الروضة والمعشوق والمختار، والشرقي الطريق السلطاني وسيالة الروضة والمقياس وجزيرة القرابيص، وقدرت الحجة مساحة ما منه ذلك (١٥ فدان وكور)، والبحرية كانت تمتد إلى جامع صالح العبيط وقصر غراب وقد تدخل فيها جنينة أحمد أغا دار السعادة (جاردن سيتي) الجنينة الجديدة وجزيرة الخيوطين وأرض أحمد باشا رفعت وضم إلى ذلك ٩ فدان مسطح أرض جنينة الماوردي التي تقوم عليها حاليًّا محطة السيدة وقدر مجموع ذلك بحوالى ٥٢ فدانًا. (المؤلف)

(٤) برقوق الظاهري جقمق: كان من خواص السقاة، ثم تأمر في الأيام الإينالية، ورقاه الظاهر خشقدم وصار أحد المقدمين، وجدد تربة باب القرافة وعمل فيها صوفية شيخهم ابن السيوطي بسفارة=

على قبر ابن الفارض القبة الأثرية المتخلفة من هذه العمارة إلى يومنا، ويقول السخاوي في «تحفة الأحباب»: «إن برقوقًا المذكور وقفه عليــه وقفًا ورتب له القراء، وعين والده المقر تيمــور الإبراهيمي ناظرًا على موقوفاته، حتى توفي في ســنة (٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م) غازيًا بجزيرة قبرص، ولبرقوق المذكور تربة بالجبانة الناصرية، دفن فيها الحافظ جلال الدين الســيوطي في سنة (٩١١هـ/ ١٥٠٥م)»[١].

وفي ســنة (١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م) جدّد ما وَهِى من المسجد أمير اللواء علي بك قازدوغلي، وبقي من تجديده مذكرة قرأنا فيها ما يلي[٢]:

البســملة. هذا مســجد العارف بالله تعالى سيدي عمر بــن الفارض رضي الله تعالى عنــه ونفعنا به جــدده أمير اللــواء الشريف الســلطان علي بيك قازدغلي أمير الحج حالًا في غرّة رمضان سنة ثلاث ومائة وسبعين وألف

ثم أعادت تجديــده الأميرة جميلة فاضلة بنت الخديو إســماعيل في سنة (١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م) إثر وفاة ولدها إبراهيم جمال الدين بن محرم شــاهين باشا، وأنشأت في جانبه مدفنًا لولدها المذكــور، ورتبت له مرتبات مــن موقوفاتها [انظر مسجد جميلة إسماعيل][٣].

ابن الفارض

والثاوي بهذا الأثر علم من أعلام مصر من ســادات الصوفية، أصل أســلافه من حماة بالشام، وكان أبوه علي بن مرشــد المحمودي فارضًا بكتب فروض النســاء في عهد الملك العادل والكامل فعرف به، ثم تولى نيابة الحكم العزيز بالقاهــرة، وزيد له ولده عمر في ذي القعدة ســنة (٥٧٦هـ/ ١١٨٠م)، وغلبت عليه نشوة الحب الإلهي فكان له فيه القدم الراسخة، وســيرة ابن الفارض ملأت الأسماع والأبصار لا يتحملها كتابي هذا رضي الله تعالى عنه ونعمه[٤].

= الموقع أبي الطيب السيوطي ولم يلبث أن ولي نيابة الشام بعد برسباي البجاسي، ومات وهو مع العسكر بحلب في شوال سنة سبع وسبعين واستقر بعده في النيابة جنبك قلقسين، وأنجب ولدًا ذكيًّا اسمه عليباي، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ١٢.

(١) يذكر السخاوي أن تمر الإبراهيمي عتيق السلطان برسباي قام بزيارة قبر ابن الفارض هو وولده برقوق الناصري عتيق السلطان جقمق وصارا يعملان الأوقاف عنده، ويتصدقان على الفقراء، وفي سنة (٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م) وقف السيفي تمر على الشيخ حصة من إقطاعها بتاعها من بيت المال، وأنشأ له مقامًا وجعل له جامكية، وجعل السيفي برقوق ناظرًا على ذلك، حتى توفي تمر في قبرص وصار من بعده السيفي برقوق يتولى هذا المقام، حتى عينه قايتباي نائبًا للشام فجعل شخصًا عوضه في ذلك، إلى أن توفي بالشام فقام ولده مقامه في النظر على ذلك، انظر: السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب**: ٣٨٣.

(٢) علي مبارك، **الخطط التوفيقية الجديدة**، مج. ٥ (القاهرة، ١٩٨٦): ١٣٨؛ حسن عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية في القاهرة**، مج. ١ (القاهرة، ١٩٤٦): ٢٤٥.

(٣) المرجع السابق: ٢٤٦.

(٤) أبو حفص وأبو القاسم عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي، الحموي الأصل المصري المولد والدار والوفاة، المنعوت بالشرف، له ديوان شعر لطيف، وأسلوبه فيه رائق ظريف ينحو منحى طريقة الفقراء، وله قصيدة مقدار ستمائة بيت، ولد سنة (٥٧٦هـ/ ١١٨٠م) بالقاهرة، وتوفي بها سنة (٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م)، ودفن بسفح المقطم، انظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء هذا الزمان**، تحقيق إحسان عباس، مج. ٣ (بيروت: دار صادر، د.ت.): ٤٥٤–٤٥٥؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٦: ٢٨٨؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ق. ١: ٢٦٦– ٢٦٧؛ السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب**: ٣٨٠– ٣٨٢؛ مبارك: **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ١٣٨–١٣٩.

مسجد الإمام الليث بن سعد

أثر رقم ٢٨٦ (سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م)

كان مسجد الليث بن سعد منذ القرن الأول من الهجرة مقبرة لسادة من أجلاء التابعين تعرف بالصدفيين، وفيها دفن الإمام الليث بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[1]، وفي سنة (٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م) تصدى لتعميره وإشادته عبد الرحمن المصري من تجار مصر المدعو أبا زيد، فجدد ضريح الإمام الليث وبنى في جواره مسجدًا[2].

والمذكرات التاريخية التي قرأناها بهذا الأثر، ترينا مبلغ التطورات المعمارية التي حصلت به في أوقات مختلفة.

المذكرات التاريخية

المذكرة الأولى

البسملة إن في الله عزاء عن كل مصيبة وخلف من كل هالك ودرك لما مات وإن أعظم المصايب المصيبة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم هذا ما تشهد به ميمونة ابنة الليث أم إبراهيم بن يحي القرشي تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهًا واحدًا فردًا صمدًا لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا وخلق كل شيء فقدره تقديرًا أبديًّا بديعًا مبتدعًا ليس له أول مبتدأ ولا غاية منتهى ولا آخر هذا كما شهد لنفسه وشهدت له به ملائكته وأنبياؤه ورسله وأولو العلم من خلقه لا إله إلا هو العزيز الحكيم وأن الإسلام ما بعث وأن الدين ما شرع وأن الحق ما وصف وأن العدل ما أمر وأن محمدًا عبده المصطفى ونبيه المرتضى وخيرته من خلقه أرسله حجة بالغة ونعمة سابغة فبلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاء وجاء بالحق من عند الله صلى الله عليه وسلم تومن بذلك ميمونة ابنة الليث تشهد أن كل ذلك من عند الله وأن الموت والبعث وأن الجنة والنار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، على ذلك حييت وعليه ماتت وعليه تبعث إن شاء الله، توفيت يوم الثلث لثلث بقين من جمادى الأولى سنة ثلث وعشرين ومايتين

هذه المذكرة بالخط الكوفي في ستة عشر سطرًا.

المذكرة الثانية

البسملة الآيات من سورة الكرسي الله لا إله إلاهو الحي القيوم إلخ ... سورة الإخلاص. هذا قبر شعيب بن الليث يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . توفي رحمة الله عليه يوم الجمعة لأحد عشر مضين من صفر من سنة تسع وتسعين وماية

هذه المذكرة بالخط الكوفي في ستة عشر سطرًا، وهي بالمسجد إلى يومنا على باب الإمام شعيب بن الليث، أما الأولى فهي مثبتة على نصيبة قبر السيدة ميمونة المحاذي لقبر أخيها.

---

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٩١٤.

(٢) السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب**: ٢٣٠؛ ابن الزيات، **الكواكب السيارة**: ٩٩-١٠٠.

المذكرة الثالثة

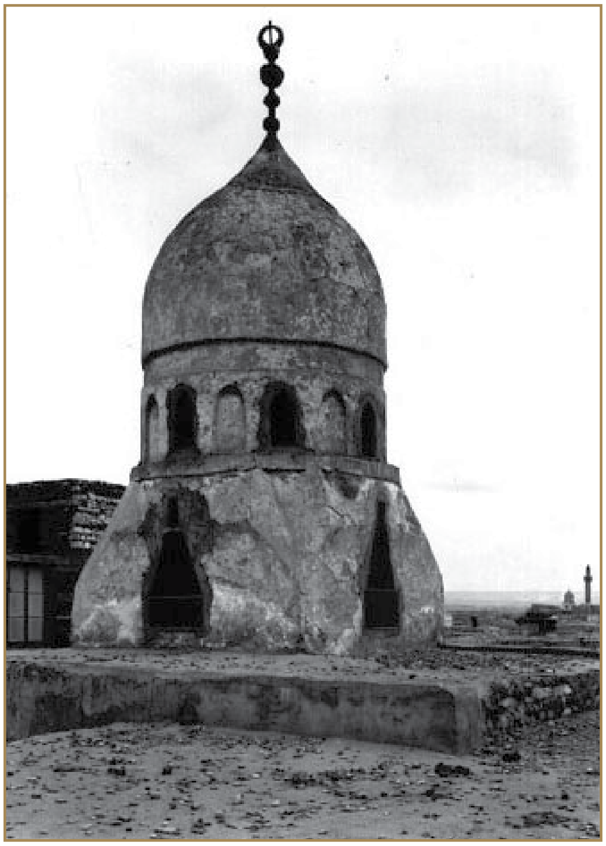
البســملة، كل من عليها فــان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكــرام . هــذا قبر العبديــن الفقيرين الراجيــين عفو الله الكريم عبــد الرحيم بن محمد ابــن عبد الله عــرف بالرزرامي أحــد طلبة العلم المتصدرين من القرا والعبــد الفقير علي بن محمد عرف بابن المهتار أحد مشايخ القراءات المتصدرين ومن القرا بالمكان رحم الله مــن ترحم عليها ودعا لهما بالمغفرة وللمســلمين وكان الفراغ منه بتاريخ يوم الإثنين المبارك اثنا عشر شــهر ذي القعدة سنة ست وسبعين وسبعماية

هــذه المذكرة تخلفت من قبر هذين الفقيهين، لصقت بالحائط القبلي بجوار باب المشهد، وهي بالخط النسخ.

المذكرة الرابعة

هذا مقام الســيد الإمام الليث بن ســعد نفعنا الله بــه آمين . جدد هــذا المقام المبــارك في أيام مولانا السلطان الأعظم الملك الظاهر محمد عز نصره على يــد الفقير إلى الله تعالى أبو بكـر بن يونس شــيخ القرافتين الصوفي خادم السيدين الإمامين الشافعي والليث بن ســعد لطف الله بــه في المحرم عام أحد عشر وثمانماية

هذه المذكرة بالباب المجاور لمشــهد شــعيب الإمام الليث والتاريخ الوارد فيها فيه غلط كتابي.



قبة مدفن الليث بن سعد «عن كريسويل»

من هو أبو بكر بن يونس؟

وأبــو بكـر بن يونس الوارد اســمه في هــذه المذكرة هو أبو بكـر بن يونس عرف بابن الشــاطر، مات في ربيع الأول ســنة (٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م)، ترجمه الســخاوي في «التبر المسبوك» و«الضوء اللامع»-وأفاد أن السلطان الظاهر محمد ابن جقمق، أســند إليه ولاية التحدث على مشهد الإمامين الليث والشافعي، وأنه كان من قراء «الجوق المقرأة» بمسجد الإمام الليث[1].

(١) أبو بكـر المصارع المعروف بالشاطر وبابن الإمام، لكون والده إمام الأمير جركس القاسمي المصارع، حفظ القرآن وبرع في فن الصراع حتى لقب الشاطر، وربما قرأ في المحافل مع الجوق تبرعًا، ثم رقاه السلطان حتى تولى التحدث في مشهد الشافعي=

المذكرة الخامسة

لاإله إلا الله محمد رسول الله، البسملة يبشرهم ربهم برحمة منه إلى عظيم ... هذا قبر العبد الفقير إلى الله تعالى المفتقر إلى رحمته وغفرانه المرحوم إياس بك أمير اللوا الشريف السلطاني بمصر المحروسة كان الحاج إلى بيت الله الحرام زائر قبر النبي عليه الصلاة والسلام تغمده الله بالرحمة والرضوان وأسكنه فسيح الجنات وأفاض عليه سحائب الغفران على ممر الدهور والأزمان آمين بتاريخ ثاني عشر القعدة الحرام سنة اثنين وتسعين وتسعماية

المذكرة السادسة

أمر بإنشاء هذا المنار المبارك المقر الأشرف العالي المولوي الأميري الكبيري المالكي المخزومي المجاهدي المرابطي المثاغري المويدي الذخري الهمامي القوامي السيدي السندي السيفي يشبك من مهدي أمير دوادار كبير الدودار الملكي الأشرفي عز نصره بتاريخ سنة أربع وثمانماية

المذكرة السابعة

أمر بإنشاء هذا الباب الشريف من فضل الله تعالى سيدنا ومولانا ومالك رقابنا الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري عز نصره بتاريخ سنة تسعماية وإحدى عشر

المذكرة الثامنة

هذا تاريخ تجديد رحاب الإمام الأعظم الملاذ الأكرم الليث بن سعد قدس الله روحه ونور ضريحه والذي جدده الجناب الأعظم المخدوم المكرم الأمير موسى جوربجي ميرزا مستحفظان تابع المرحوم مصطفى جوربجي ميرزا مستحفظان وكان الفراغ في شهر ذي القعدة سنة ١١٣٨ هجرية

ويوجد نص هذه المذكرة في إفريز يحيط بسقف القبة ختم بالتاريخ في بيت من الشعر هذا نصه:

المذكرة التاسعة

كما طالع السيد المنير مؤرخ مقام الإمام الليث زاه بأنوار ٢٥ شهر ذي القعدة سنة ١١٣٨

إذا رُمتَ المكارم من كريم
فيمم مَن بنى لله بيتًا
فذاك الليثُ من يحمي حماه
ويكرم ضيفه حيًّا وميتًا

تجدد في سنة ١١٩٤

وعلى الستر مذكرة للخديو عباس الأول في اثني عشر بيتًا من نظم الشاعر الشهاب، ولم يطرأ على المسجد تجديد خلا بعض تحسينات تبتدئ من سنة (١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م) إلى سنة (١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م)، ورممت وزارة الأوقاف في سنة

= والليث، وعدة زوايا بالقرافتين الكبرى والصغرى، وأثرى من ذلك ونحوه، إلى أن مات في ربيع الأول سنة ست وخمسين، انظر: محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **التبر المسبوك في ذيل السلوك**، مج. ١، تحقيق نجوى مصطفى ولبيبة إبراهيم (القاهرة: دارالكتب، ٢٠٠٢): ٧٠؛ مج. ٤: ١٣، ٣٧؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١١: ١٠٠-١٠١.

(١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م) بعض ما كان في حاجة إلى الترميم من مفرداته[١].

دفنى مقام الإمام الليث

وقد دفن بجوار الإمام الليث جماعات كثيرة في أوقات مختلفة، ومن الدفن الأول به السيدة سكينة بنت الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين عليهم السلام، ذكرها ابن الزيات في «الكواكب السيارة» بالدفن في هذا المكان، وقبلي المسجد مقبرة القضاعيين من عرب قضاعة[٢]، وعلى قيد غلوة منها مقبرة الصدفيين ذكرها ابن الزيات من مزارات المنطقة، وبضريح شعيب ابن الليث أخته ميمونة وابنة عبد الملك بن شعيب روى عنه مسلم وأبو داوود والنسائي مات سنة (٢٤٨هـ/ ٨٦٢م)، وإلى جانب قبر محمد بن المثنى من شيوخ مسلم صاحب الصحيح، قبر الشيخ نور الدين علي الأشموني شارح ألفية بن مالك، إلى دفنى كثير ذكرهم شيوخ الزيارات[٣].

(١) عن التطورات والتحديثات التي تمت بمسجد الإمام الليث، انظر: عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**، مج. ١: ١٩٨- ٢٠١.

(٢) من أشهرهم علي بن عبد الله القضاعي مؤلف كتاب الخطط من صحابة المزني، توفي سنة (٢٩٩هـ/ ٩١١م) والشهاب القضاعي المتوفى سنة (٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م)، وهو صاحب المؤلفات في الحديث والأدب والمعارف، وله ذيل على خطط جده، وهو الموسوم بالمختار من الخطط والآثار انتهى فيه إلى عصر المستنصر الفاطمي، انظر ترجمة الأسرة القضاعية في كتابنا (دراسة تاريخ الفاطميين). (المؤلف)

(٣) السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب**: ٢٣٠- ٢٣٣، ابن الزيات، **الكواكب السيارة**: ١٠٥.

الإمام الليث بن سعد

للإمام الليث بن سعد سيرة لا يجرؤ القلم على الإحاطة بها في هذا المقام، إذ قد ملأت سيرته الأسماع والأبصار وتناقلتها الأجيال تلو الأجيال، بيد أننا نجتزأ منها خلاصة تؤدي إلى الغرض المقصود.

نسبه

يحيط بنسبه أقوال ثلاثة: **الأول**: أنه أصبهاني الأصل قدم آباؤه من أصبهان إلى مصر، وولد هو بقرقشندة وهو قول ابن خلكان ينسبه لابن يونس الصدفي، واستند في ذلك إلى ما نقله عن الليث من قوله «نحن من أهل أصبهان فاستوصوا بهم خيرًا». **الثاني**: أنه عربي من فهم، وهو قول القضاعي صاحب كتاب «الخطط» المتوفى سنة (٢٩٩هـ/ ٩١١م)، وزاد الأمر توكيد القول أن الوليد بن رفاعة بن خالد بن ثابت الفهمي أمير مصر سنة (١٠٩هـ/ ٧٢٧م) إلى سنة (١١٧هـ/ ٧٣٥م) ابن عم الإمام الليث بن سعد. **الثالث**: أنه مولى لخالد بن ثابت المتقدم وهو قول الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد إلى آراء أخرى ذكرها ابن قتيبة في المعارف وابن سعد في الطبقات[٤]. والذي قيل إنه عربي صميم ينتسب إلى فهم، وفهم من قيس.

مولده

ولد بقرقشندة أوقلقشندة «قرية بمديرية القليوبية» في سنة ٩٤ من الهجرة (٧١٢م)[٥]، وتوفي فيما يذكر الكندي وغيره في رابع عشر شعبان سنة خمس وسبعين ومائة وصلى

(٤) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مج. ٤: ١٢٧- ١٢٩.

(٥) قرقشندة: بلدة بمركز طوخ، شمال غرب قها بالقليوبية، وبينها وبين القاهرة مقدار ثلاثة فراسخ، انظر: المرجع السابق: ١٢٨.

عليه موسى بن عيسى، ونقل عن خالد بن عبد السلام الصدفي قال: «جالست الليث بن سعد وشهدت جنازته فما رأيت جنازة قط بعدها أعظم منها، ورأيت الناس كلهم عليهم الحزن ويعزي بعضهم بعضًا فقلت لأبي: يا أبت كأن كل واحد من هؤلاء صاحب الجنازة، فقال: يا بني، كان عالمًا كريمًا حسن الفعل كثير الأفضال، يا بني لا ترى مثله أبدًا»[1]، وذكر ابن خلكان أن بعض الناس ممن حضر جنازة الليث بن سعد سمع يقول:

ذهب الليث فلا ليث لكم
ومضى العلم غريبًا وقبر(٢)

قبة يعقوب شاه المهمندار

أثر رقم ٣٠٣ (سنة ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م)

بسفح المقطم شرقي القلعة جنوب القاهرة، قرأنا على بابها مذكرة تاريخية هذا نصها:

مما أنعم الله على العبد الفقير الحقير تراب الأقدام يعقوب شاه المهمندار عمارة هذين الصهريجين والقبتين في دولة المقام الشريف الخاقاني الفغفوري[3] الفريدوني تاج ملوك العرب والعجم خادم الحرمين الشريفين الذي فاق أقرانه من الملوك بالعلم والعمل والفروسية أبو الفتوحات قايتباي منها جريان عين عرفة وغيره ببيت المقدس وعمارة مسجد الخيف والحرم النبوي على ساكنه أفضل الصلاة والسلام وتوجه العساكر المنصورة إلى مملكة الروم لرد عساكرهم فلما أن تقابل العسكران وهجمت العساكر المنصورة كالأسود الضراغم فضيقوا عليهم الأرض بما رحبت فما وسعهم إلا الفرار كحمر مستنفرة فرت من قسورة فوقع في قبضتهم باش عساكرهم ابن هرسك ومن دونه وشبع من لحوم قتلاهم الضباع والذئاب والنسور والعقبان فأحضروهم في السلاسل والأغلال بين يدى الحضرة المعظمة وصناجقهم منكسرة بالحوش الشريف وكان يومًا ما كتب مثله في تواريخ الملوك السالفة وكان الفراغ في سنة إحدى وتسعماية من كلام تراب الأقدام يعقوب شاه المهمندار سألت الله في جنح الليالي ليجعلني تراب أقدام لأصحاب الأصحاب جعلني رجا وهم أسفى العطاشا وأشرب من شراب راق لجناب رق الجناب

هذه المذكرة تشير إلى الغزو الأول الذي شنه السلطان بايزيد خان الذي آل إليه حكم الدولة العثمانية في سنة (٨٨٦هـ/ ١٤٨١م) ومات سنة (٩١٨هـ/ ١٥١٢م)، فتصدى له الملك الأشرف قايتباي وجهز له حملة بقيادة الأمير أزبك الأشرفي، ودارت بين الفريقين رحى الحرب وهزم الجيش العثماني، وأسر أزبك قائد الجيش هرسك زاده أحمد باشا وأتى به أسيرًا إلى مصر، وأراد بعدها قايتباي أن يغزو القسطنطينية فأرسل عساكره إليها، واستولى الجيش المصري على مدينة أضنة وصحراء جقور، وانتهت هذه الغزوة بالصلح بينهما بعد انهزام فلول الجيش العثماني، وقد وقعت هذه الحرب

(١) المرجع السابق: ١٣٢؛ الحنفي، **تحفة الأحباب**: ٢٢٨- ٢٢٩.
(٢) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مج. ٤: ١٢٨؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، مج. ١: ٣٠١- ٣٠٢.
(٣) من ألقاب الملك، ويعني إمبراطور أو ملك، وهو من ألقاب ملوك الصين القدامى. (المؤلف)

في سنة (٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م) إلى سنة (٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م)[١]، على أثر التجاء الأمير جم إلى مصر واحتمائه بالملك الأشرف قايتباي، وعدم إذعانه للسلطان بايزيد في تسليمه إليه، وكان جم المذكور ينافس أخاه في الحكم[٢].

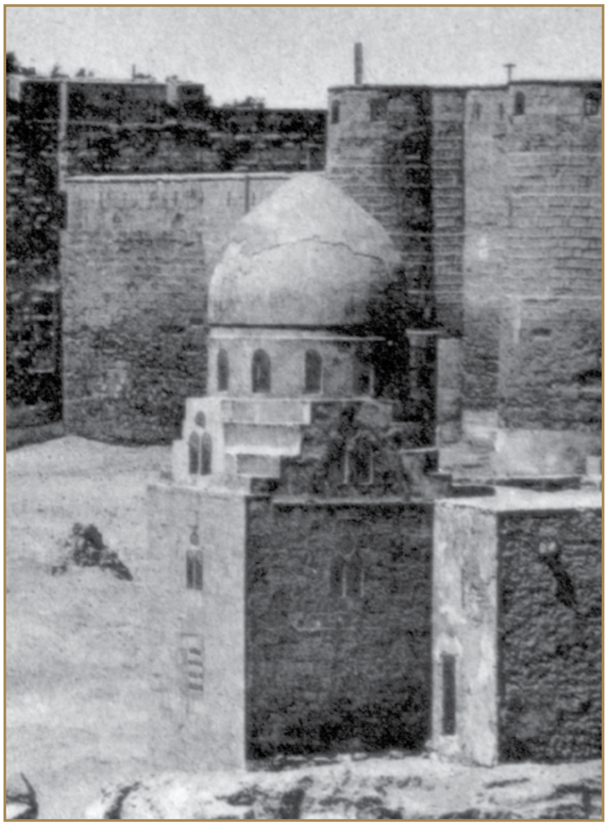
منشئ هذا الأثر

وقد ترجم السخاوي في «الضوء اللامع» لمنشئ هذا الأثر؛ فأفاد أنه يعقوب شاه بن علي الأرزنجاني المهمندار، ولد سنة (٨١٠هـ/ ١٤٠٧م) بأرزنجان ثم تحول منها إلى تبريز ثم انتقل إلى مصر مع أبيه الرومي علي الرومي، فاتصل بخدمة الملك الأشرف برسباي واستمر حتى صار مقدمًا للمماليك، ثم انتقل مترجمًا بديوان الإنشاء والرسائل، ولما تولى حكم مصر الملك الأشرف قايتباي عينه في سنة (٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) مهمندارًا كبيرًا (أمير دار الضيافة)، ويوصف المنشئ بالعلم والمعرفة فيقول السخاوي: «أنه قرأ القرآن الكريم ببلده، وكان وهو بالقاهرة يحضر لسماع ختم البخاري بدار الحديث الكاملية، وحضر على الديمي والنويري»، وللمنشئ أثر آخر أنشأه بجوار داره بسويقة العزي، وقد جدده المرحوم مصطفى باشا عبد المعين الغزي وهو باقٍ إلى الآن، ومن تآليفه التي ذكرها له السخاوي، تأليفه في السياسة وفن الحرب وقد أصيب المنشئ بآخره بمرض عضال أقعده واستمر حتى مات سنة (٩١٠هـ/ ١٥١٤م) عن سن عالية تبلغ المائة[٣].

(١) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٥: ٢٢٦، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٥٥، ٢٦١، ٢٧٦.

(٢) المرجع السابق: ١٨٤- ١٨٥.

(٣) يعقوب شاه بن أسطا علي المعروف بالأرزنجاني ثم التبريزي ثم القاهري المهمندار: ولد سنة (٨١٠هـ/ ١٤٠٧م) بأرزنجان، وتحول منها مع عمته إلى تبريز، فنشأ بها وقرأ بها القرآن وكان زوجها أبو يزيد صاحب ديوان السلطان قرا يوسف ممتلك بغداد وتبريز =



قبة يعقوب شاه المهمندار «عن كريسويل»

قبة تيمورباي الحسني

أثر رقم ١٦١ (سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠١م)

هذا الأثر كان مدفنًا للأمير تيمور باي الحسني، أنشأه في سنة (٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م) وقد تخلفت منه القبة بيد

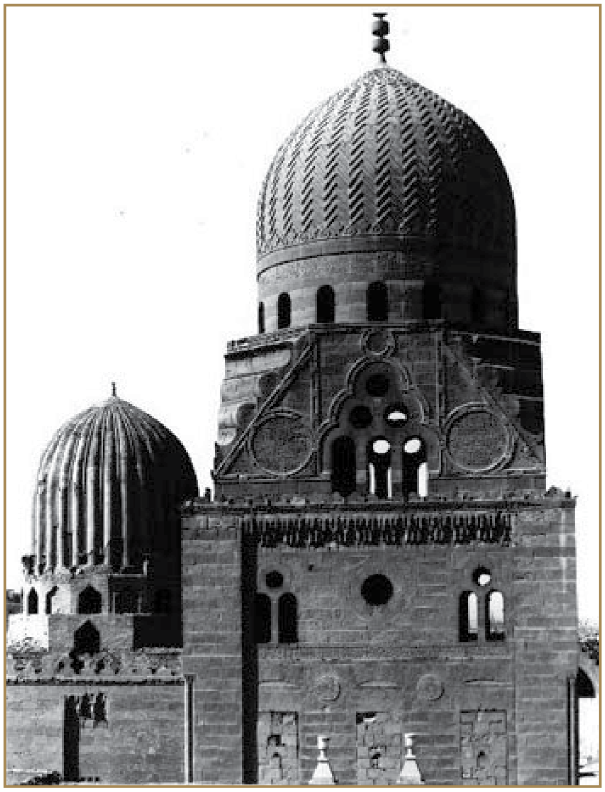
= وما والاها، وانتقل مع عمته إلى الديار المصرية عندما بلغ العشرين، فوصلها ثاني سني الأشرف فنزل في طبقة القاعة ثم في طبقة المقدم سنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م) مع خشقدم اليشبكي، إذ صار مقدم المماليك، وحج معه حين كان أمير الأول، ثم مع قانم التاجر حين تأمر على المحمل، ثم استقر به الأشرف قايتباي في المهمندارية الكبرى بعد موت تمرباي التمرازي سنة (٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، سمع ختم البخاري بالكاملية بقراءة الديمي، ووسع داره وجدد مسجدًا بقربه، انظر: السخاوي ، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ٢٨٠-٢٨١.

أن غطاءها فقد واســتبدل به السقف الحالي، كان المذكور زردكاشــا «أمير الزرد» عند السلطان قانصوه الغوري، مات سنة (٩٣١هـ/ ١٥٢٤م) ودفن بقبته هذه، ولهذا الأثر باب أول شارع الأقدام بالقرب من بابي الزغلة الكاملي وباب قايتباي قبلي مشهد السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها[١].

قبة سودون العجمي

أثر رقم ٢٩٤ (سنة ٩١٠هـ/ ١٥٠٥م)

بشارع ســيدي جلال بالجبانة الناصرية خارج باب القرافة، أنشأها الأمير سودون من جاني بك الشهير بالعجمي في سنة (٩١٩-٩٢٠هـ/ ١٥١٣- ١٥١٤م)، كان المذكور من أولاد الأمير جاني بك، ثم التحق بخدمة الملك الأشرف قايتباي في سنة (٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م)، واستقر أخيرًا نائبًا للسلطنة في عهد الملك الناصر محمد بن الأشرف قايتباي، فرئيس نوبة كبير «قائد الحرس السلطاني» في عهد الملك الأشرف جان بلاط، ولما آل حكم مصر إلى الملك الأشرف قانصوه الغوري عينه الســلطان أمير مجلس، فنائبًا للشــام، فأمير سلاح في سنة (٩١٧هـ/ ١٥١١م)، ثــم خلع عليه بمنصب الأتابك (رياســة الجيش)، ولما خرج الســلطان قانصوه الغــوري لرد الغزو العثماني ظاهر مدينة حلب، كان سودون قائد القلب، فلما انهزم جيش السلطان، وجد سودون في صحبته يوم ٢٥ من رجب سنة (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) مقتولاً بين خمسمائة جندي من جيش مصر، فأمر السلطان سليم بتشييع جنازته في احتفال عســكري وصلى عليه فأمر بدفنه في زاوية الشيخ أبي النور



قبة سودون العجمي «عن كريسويل»

البكري بظاهر حلب بمحلة الرصراصة داخل باب النيرب، الذي يقال له اليوم بوابة الشيخ عمر[٢].

ولا يــزال هذا الأثــر حافظًا لشــكله تتحلى واجهته بدوائر يقرأ فيها اسم السلطان والدعاء له، وقرأنا بدائر القبة النص التاريخي كما يلي:

البسملة. أمر بإنشــاء هذا المكان المبارك من فضل الله تعــالى وجزيــل عطائه العميــم المقر الأشرفي الكريم العالي المولوي الأميري الكبيري الســيدي السندي المالكي المخدومي النظامي الهمامي الصائمي

(١) هذا المسجد في أول شارع القادرية خلف باب قايتباي بالسيدة عائشة، انظر: رزق، **أطلس العمارة الإسلامية**، مج.٣، ق.٢: ٢٠٢٢.

(٢) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج.٤: ٦٧، ٧٠، ٢١٣، ٢٢٠؛ مج.٥: ٧٧، ٧٩.

القائمي الراكعي الساجدي الزاهدي العابدي الورعي السيفي سودون أمير مجلس بالديار المصرية الملكي الأشرفي

مسجد أزدمر الدوادار

أثر رقم ١١٣ (سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)

هذا المسجد بجبانة السيدة نفيسة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا[١]، في الشمال الغربي من باب الزغلة المعروف بباب الزمر، أنشأه الأمير أزدمر علي باي الدوادار الأشرفي في سنة (٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، جعل منه تربة لدفنه ومسجدًا للصلاة، وقد تخلف من هذا الأثر مئذنته الرشيقة؛ وهي مقتبسة من طراز مئذنة التنكزية «بدرب الخولي» مسجد الوفائي حاليًّا.

ذكر ابن إياس في تاريخه أن المنشئ قد سافر إلى غزة وانتقل منها إلى نابلس، ثم عاد إلى غزة فمات بها على أثر مرض دام أكثر من يومين، وأحضرت جثته إلى مصر في غزة جمادى الآخرة سنة (٩١٣هـ/ ١٥٠٧م)؛ قال ابن إياس: «فدفن في تربته التي أنشأها بالقرب من باب الزغلة»، وكان موته في منتصف جمادى الأولى من هذه السنة، وقد شهد له ابن إياس بأنه كان أميرًا جليلاً رئيسًا حشمًا لين الجانب قليل الأذى، وكان موصوفًا بالشجاعة والفروسية، التحق بخدمة الملك الأشرف قايتباي وتقلب في مناصب الدولة؛ فكان شادًا «ملاحظًا» للشراب خانة «مكان الشراب»، ثم مقدم ألف، ثم ولي الدوادارية الكبرى «كبير حجاب الملك»[٢].

(١) جامع أزدمر بجوار مجرى العيون، هو أثر رقم ١٧٤، أما رقم ١١٣ المذكور فيخص تربة أزدمر المجاورة لتربة الأمير طراباي بباب الوزير، وقد تعرض هذا المسجد للتخريب في عهد الحملة الفرنسية وتم تحويله إلى قلعة.

(٢) المرجع السابق، مج. ٤: ١١٩- ١٢١.

وقد عرف هذا الأثر بالزمر تخفيفًا للاسم، كما عرف الخط به؛ وترى مئذنته اليوم من درب الخولي للسالك منه إلى القناطر والسواقي الظاهرية.

جامع الغوري

أثر رقم ١٥٩ (سنة ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م)

هذا الأثر بشارع بوابة الجبل (الباب الطولوني) جنوبي الميدان الأسود (قراميدان)، أنشأه الملك الأشرف قانصوه الغوري في سنة (٩١٥هـ/ ١٥٠٩م)، ذكره ابن إياس في تاريخه؛ قال: «وفيه (ربيع الآخر) كان انتهاء العمل من الجامع الذي أنشأه السلطان خلف الميدان عند حوش العرب، وخطب به وقد جاء غاية في الحسن»[٣].

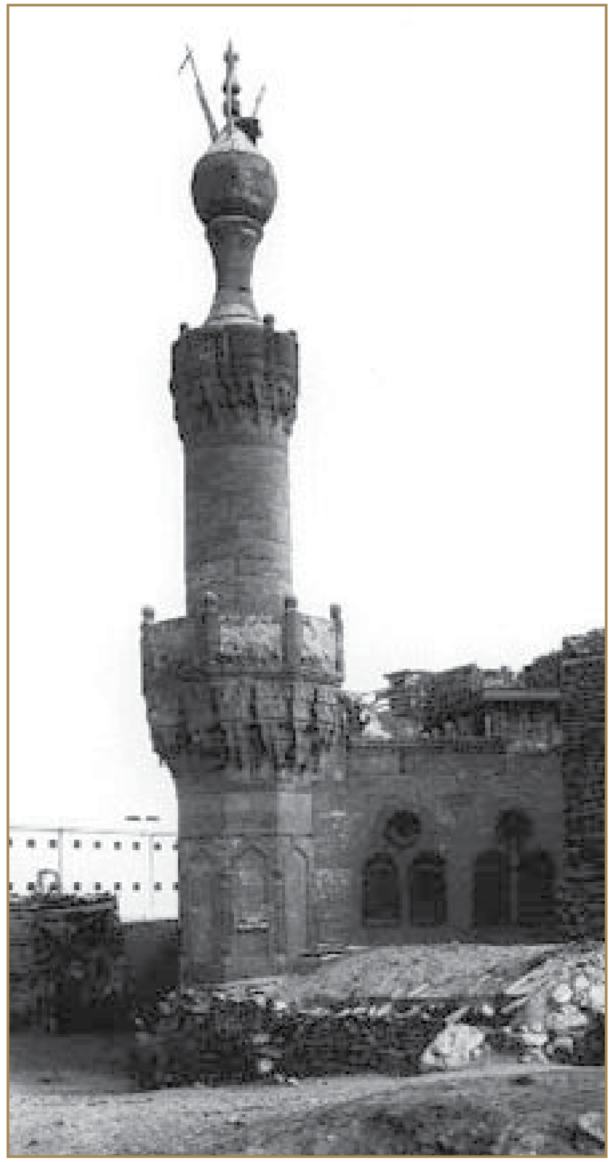
والأثر لا يزال مطبوعًا بطابعه بيد أن داخله به تغاير زمني، وواجهته من الحجر في جانبها الشرقي مئذنة مستديرة، ويعلو وجهته طراز فيه المذكرة التاريخية:

أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري عز نصره في سنة تسعة عشر وتسعماية

والمنطقة التي يقع فيها هذا الأثر كانت خطة لعرب بني يسار، وهو يسار بن ضنة العبسي سكن بأتريب بقبيلته منذ الفتح الإسلامي[٤]، ثم تحولت إليها القبيلة وبقيت عرب آل يسار تسكن هذه المنطقة حتى أقصاهم

(٣) المرجع السابق: ١٦٠.

(٤) عبد الله خورشيد البري، **القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة** (القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧): ١٠٦.



مئذنة جامع الغوري بعرب اليسار «عن كريسويل»

عنها محمد علي، وأفاد ابن إياس في تاريخه أن السلطان الغوري صادر عرب آل يسار الذين يسكنون تحت القلعة[١].

(١) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ١٩٠.

مسجد الشيخ شاهين الخلوتي

أثر رقم ٢١٢ (سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م)

هذا المسجد بسفح المقطم شرقي جامع سيدي عمر بن الفارض، كان لمسلم بن القارئ المعروف بالعارض[٢]؛ اتخذه الشيخ شاهين المذكور سكنًا له ثم بناه ابنه مسجدًا وخانقاهًا في حياته، وظهر بعد عمارتـه يتألف من أربعة أعمدة من الحجر، وقبلة مشغولة بقطع من الرخام الملون والصدف يكتنفها عمودان من الرخام ومنبر خشب، واثني عشرة خلوة للصوفية في شمال وجنوب الأثر، ومئذنة وترب للدفن، وقد بقي الأثر على هذا الوصف إلى أول هذا القرن ثم ابتدأ الخراب يشن عليه[٣].

وأظهر ما فيه الآن مظهره الخارجي بمئذنته وقبابه وواجهاته، وقد زرت هذا الأثر أكثر من مرة ولا زالت نصوصه التاريخية موجودة به وقرأنا فيها ما يلي:

بالباب الشرقي البحري

البسملة... إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر. أنشأ هذا الجامع ووقفه العبد الفقير إلى الله تعالى جمال الدين عبد الله، نجل العارف بالله تعالى الشيخ جاهين الخلوتي. افتتاح سنة ٩٤٥، خمس وأربعين وتسعماية

(٢) مغارة العارض: هذا المكان مغارة في الجبل، عرفت بأبي بكر محمد جد مسلم القارئ لأنه نقرها، ثم عمرت بأمر الحاكم بأمر الله، وأنشئت فيها مغارة بقت حتى زمن المقريزي، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٨٨٧، هامش٢.

(٣) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ٧٦؛ محمد أبو العمايم، **آثار القاهرة الإسلامية في العصر العثماني**، مج. ١ (إستانبول، ٢٠٠٣): ٤٣- ٥١.



منظر عام لمسجد الشيخ شاهين الخلوتي «عن كريسويل»

وبإزاء سقف الإيوان الغربي

البسملة آية الكرسى، صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم ونحن على ذلك من الشاهدين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليمًا كثيرًا والحمد لله رب العالمين. أمر بتجديد هذا المكان المبارك من فضل الله تعالى وجزيل عطائه العميم الجناب الكريم العالي سيدنا ومولانا الأمير خضر دفتردار الديار المصرية بتاريخ سنة تسع بعد الألف من الهجرة النبوية[١]

(١) يذكر أبو العمايم أنه قد تم محو كل آثر لهذه الكتابات ما عدا النقش الأول المذكور هنا منذ سنة (١٨٩٠م)، وإن كان قد نشرها مهرن وفان برشم قبل صاحب المزارات، مع اختلاف القراءات، انظر: أبو العمايم، **آثار القاهرة**، مج. ١: ٥١.

وبالقبة بالجانب البحري

جدد هذا المكان المبارك من فضل الله تعالى وجزيل عطائه العميم الجناب العالي المولوي الأميري الكبيري المالكي المحترمي الهمامي النظامي القوامي الدرعي المتورعي الخاشعي المتخشعي الأجلي الأكملي الأفضلي الأعزي الأمجدي الأوحدي المجاهدي المرابطي المغازي المثاغري الأوحدي القائمي سيدنا ومولانا الأمير خضر دفتردار الخدم العالية بالديوان العالي أعز الله تعالى أنصاره وختم بالصالحات أعماله بتاريخ سنة سبع بعد الألف

وعلى قبة الشيخ جاهين هذه الأبيات :

إني أقول لنفسي وهي ضيقة
وقد أناخ عليها الدهر بالعجب

صبًرا على شدة الأيام إن لها
عقبى وما الصبر إلا عند ذي الحسب

إن رمت نورًا بلا كسل
هذا الإمام ومن حاذاه واغتنم

واشكر إلاه كأن لا زمن حضرتهم
مدادلها ومن أعظم النعم سنة ١١٢٢

والمذكور في هذه النصوص هو (خضر باشا) أحد ولاة مصر العثمانيين قدم إلى مصر في سنة (١٠٠٦هـ/ ١٥٩٧م)، وبقي واليًا بها مدة ثلاث سنوات إلى آواخر سنة (١٠٠٩هـ/ ١٦٠٠م)، ثم عزل بعلي باشا السلاحدار[٢].

(٢) يوسف الملواني الشهير بابن الوكيل، **تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب**، تحقيق محمد الششتاوي (القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٩٩٩): ١٢١.

والقبـور الموجودة بالأثر فهي القـبر الكبير القائم في الجهة البحرية من المسجد هو قبر الشيخ شاهين، وإلى جانبه قبر ولده جمال الدين، وعلى يمين المحراب قبر الشـيخ محمد شاهين بن الشيخ جمال الدين.

الشيخ شاهين

والشـيخ شـاهين الذي عرف به هذا الأثر، هو الشيخ أبو الصفا شـاهين بن عبد الله جمال الديـن زاده جركسي الجنس، ترجمه الشـعراني في «الطبقات الصغـرى»، والمولى صالح الكلشـني في كتابه «ترجمان الشهداء في ترجمة مرشد الزوار» المطبوع بالقاهرة سـنة (١٢٦٢هـ/ ١٨٤٥م)،كان الشيخ شاهين من جند السلطان قايتباي ثم اعتزل الخدمة وانقطع للعبادة أخذ الطريقة الشـاذلية عن الشـيخ أحمد بن عقبة الحضرمي، وسـلك الطريقة الخلوتية على يد الشيخ عمر دده الروشـني التبريزي، وسـافر إلى تبريز مع صاحبيه وزميليه الدمرداش والكلشني، فلما عاد اختار الإقامة بالعارض وبنى له هذا المسجد قال الشعراني: «توفي في رابع شوال سنة (٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م)، ودفن بزاويته بالجبل وبنى عليه قبة»، ويقول النابلسي في رحلته «الحقيقة والمجاز» (خط بلدار): «أن السلطان بنى عليه قبة، والسلطان هو سليمان الملقب بالقانوني الذي تولى من سنة (٩٤٥ - ٩٥٦هـ/ ١٥٣٨- ١٥٤٩م)»[(١)].

مقصورة نوروز (إيوان ريحان)

أثر رقم ٢٩٧ (سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م)

هذا الأثر عبـارة عن مقصورة وإيوان بخط سـارية بالقرافة الناصرية[(٢)]، والإيوان من الحجر الصفد وفي صدره محراب يمر عليه طراز قرأنا فيه ما يلي:

البسـملة... كل شيء هالـك إلا وجهـه له الحكم وإليه ترجعون. أنشـأ هذه المقصورة المباركة وما بها من الفساقي المعدة لأموات المسلمين الجناب العالي الأمير نوروز كيخية الشاونية بالديار المصرية أعزه الله تعالى وكان الفراغ في شـهر ربيع الأول سـنة خمس وأربعين وتسعمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل

والكيخية تصحيف كتخذا وهو الوكيل.

(١) الشعراني، **الطبقات الصغرى**: ٢٧؛ صالح الكلشني، **ترجمان الشهداء في ترجمة مرشد الزوار في زيارات القرافة والقبور والأبرار** (القاهرة: دار الكتب، ١٨٤٥): ٩٨؛ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، **الحقيقة والمجاز في رحلة الشام ومصر والحجاز**، تحقيق رياض مراد (بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٨): ٨٥.

(٢) هناك بعض الآراء التي ترى أن إيوان ريحان هو تابع لقبة الأمير سودون أمير مجلس المقابلة للإيوان، وهو من ضمن عمارة تربة سودون، وهو أمر بحاجة لمزيد من الدراسة.



منظر عام لإيوان ريحان «عن كريسويل»

مسجد محمد مسيح باشا الخازندار

أثر رقم ١٦٠ (سنة ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م)

هذا المسـجد بشارع المسـيحية داخل باب القرافة جنوب الميدان الأسـود[1]، أنشأه محمد مسيح باشا الخازندار المعروف بالخادم أحد ولاة مصر في العصر العثماني للشـيخ نور الدين علي القرافي الأنصاري ذكره الإسحاقي في تاريخه، وقد أقام به الشيخ القرافي المذكور إلى وفاته في سنة (٩٩٧هـ/ ١٥٨٨م)، ودفن مع ولده محمد نور الدين وابنه فاتي، وآل النظر على وقفه ووقف ولده المذكور، ووقف مسيح باشا إلى ورثته وأحفاده، وامتد إلى آواخر القرن المنصرم، ومسيح باشا هذا من ولاة مصر المشهود لهم بالاستقامة كان من رجال الجيش وصل فيه إلى منصب أركان حرب، واشـترك في فتح جزيرة رودس، وأنعم عليه برتبة بيكلر (بيك البكوات) وهي رتبة الوزارة، ثم أسندت إليه ولاية مصر من سنة (٩٨٢ - ٩٨٧هـ/ ١٥٧٤- ١٥٧٩م)[2].

(١) جامع المسيحية بعرب اليسار: أنشأه والي مصر الوزير محمد مسيح باشا، الذي تولى في سنة (٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م)، لاعتقاده في الشيخ نور الدين القرافي، حيث عمر له هذا الجامع، ووقف عليه أوقافًا جليلة جعلها بيد الشيخ نور الدين، وهذا المسجد مقام الشعائر وبه خطبة ومنارة، وفيه قبر نور الدين القرافي، عليه مقصورة خشبية، وبه قبر آخر يقال إنه لمنشئه مسيح باشا، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ٢٦٣-٢٦٤، أبو العمايم، **آثار القاهرة**، مج. ١: ٩٥- ٩٨.

(٢) كان الوزير مسيح باشا خازندار السلطان سليم، ثم ولاه السلطان مراد على مصر في أول سنة (٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م)، وكانت مدة ولايته خمس سنوات وسبعة أشهر، وقد قطع دابر السرقات=



مئذنة جامع مسيح باشا «عن دوريس أبو سيف»

ووقف مسيح باشا على هذه المدرسة صادر بتاريخ ٢٨ جمادى الأولى سنة (٩٩٨هـ/ ١٥٨٩م) شرط النظر عليه للشيخ نور الدين القرافي المذكور، ثم من بعده لولده شهاب الدين أبي الصفا أحمد القرافي، وآل النظر عليه أخيرًا إلى إبراهيم نور الدين علي القرافي في سنة (١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م)، ثم آل إلى نظارة الأوقاف في سنة (١٣٣١هـ/ ١٩١٢م)، ووقف محمد نور الدين بن القرافي المذكور صادر في سنة (١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م)، وبلغ إيراد هذه الموقوفات إلى ٤٥٥,٢٩ جنيهًا وهو مستغل أماكن حول المسجد ومرتب رزنامة كان يشغلها الناظر الأخير إلى وفاته في ٨ أغسطس سنة (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م)[١].

= التي كانت في زمن حسين باشا، وحصل في عهده مزيد من الأمن وعمرت مصر في مدته، وقد اختص بصحبة الشيخ القرافي وعمر له الجامع، انظر: الملواني، **تحفة الأحباب**: ١١٦؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ٢٦٣.

مدفن الأمير رضوان بك الفقاري

أثر رقم ٣٨٣ (سنة ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٥م)

هذا الأثر بشارع السيدة نفيسة، وهو تربة عثمانية دفن فيها الأمير رضوان بك الفقاري أمير الحج الشريف بمصر، وهو من طائفة الفقارية الذين ينتسبون إلى الأمير (ذو الفقار) ابن الأمير سودون الأشرفي الجركسي، ذكره الجبرتي في تاريخه وأثنى على أخلاقه[٢]، وقرأنا على قبره النص الآتي:

قد ثوى أمير اللواء وله
بالرجا رضوان مولاه
وبجمع البيت أرخنا
كان بالخبات بشراه

١٠٦٦

وإلى الأمير رضوان هذا تنسب قصبة (سوق) رضوان خارج باب زويلة[٣]، والمقعد المتخلف من داره بالوكالة رقم

(١) أبو العمايم، **آثار القاهرة**، مج. ١: ٩٨، مج. ٢: ٥٥- ٥٧.
(٢) الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ١: ٢٩٥.
(٣) تنسب هذه القصبة إلى الأمير رضوان بك الفقاري الجركسي أمير الحج المصري في القرن الحادي عشر الهجري، كان وافر الحرمة، مسموع الكلمة ملازمًا للصوم والعبادة، عمر القصبة في سنة (١٠٦٠هـ/ ١٦٥٠م)، وجعل بها مجموعة من الدور والحوانيت المجاورة لباب زويلة والتي بنيت على أرض ربع الدهيشة الذي بناه الأمير جمال الدين الأستادار بأمر من الناصر فرج بن برقوق في سنة (٨١١هـ/ ١٤٠٨م)، والمعروفة بزاوية الدهيشة وبه عرف شارع تحت الربع، وأنشأ الزاوية التي بها والزاوية التي بحارة القربية، وتربته =

١٨ شارع قصبة رضوان وربع الدهيشة الناصري، وعقارات أخرى كثيرة بالقاهرة وظواهرها، وأنشأ وقفه هذا في ١٨ شوال سنة (١٠٤٦هـ/ ١٦٣٦م)، ١٦ رمضان سنة (١٠٤٧هـ/ ١٦٣٧م)، وخص ربع ما يقل من هذه الموقوفات على جهات بر وخيرات عينها ثم على عتقائه، وقد انتهى الوقف إلى فاطمة محمد جبلي ابن إبراهيم أغا اختيار جاويشان الشهير بالساعي بن عبد الله معتوق الواقف، ثم آل النظر عليه إلى وزارة الأوقاف.

مسجد سيدي عقبة بن عامر

أثر رقم ٥٢٥ (سنة ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٥م)

هذا المسجد بنهاية القرافة الصغرى «قرافة الشافعي»[١]، ذكره المقريزي في الخطط وسماه مسجد الفتح[٢]، وقد دفن بهذا المسجد خمسة من وجوه الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أولهم عقبة بن عامر الجهني؛ «الثاني» عمرو بن العاص؛ «الثالث» عبد الله بن الحارث بن جزر الزبيدي؛ «الرابع» أبو بصرة الغفاري، واسمه جميل بن بصرة بن وقاص؛ «الخامس» عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي، يجمعهم القبر المعروف بسيدي عقبة باتفاق المؤرخين القدامى، ينقلون هذا عن حرملة التجيبي من أصحاب الإمام الشافعي[٣]، وقد حققت هذا في بحث نشر في كتيب طبع سنة (١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م)، وأنشر بعض الشعراء أبياتًا قال فيها:

سقى الله تربة فيها ضريح ابن عامر
سحائب تروي لَحْده وتُواري
فتى كان من أعلى الصحابة همة
وأكرمهما في عسرة ويسار
أحاديثه عن سيد الخلق دونت
روى عنه مسلم وبخاري

وقد اشترك في إشادة هذا المسجد وعمارته جمهرة من الملوك والأمراء، مجدده يانس الرومي في العهد الفاطمي، ثم تجدد بأمر السلطان الناصر صلاح الدين ورفع على القبر قبة شاهقة، وأعاد تجديده الكامل، والمسجد على حالته اليوم من تجديد الأمير محمد بك السلاحدار أحد ولاة مصر في العهد العثماني، وهذا ما يثبته النص التاريخي الآتي[٤]:

البسملة... هذا مقام العارف بالله تعالى الشيخ
عقبة بن عامر الجهني الصحابي رضي الله تعالى عنه
جدد هذا المكان المبارك الوزير محمد باشا، سلحدار
دام بقاه في سنة ست وستين وألف

= بصحراء الإمام الشافعي قرب عين الصيرة داخل حوش يعرف بحوش رضوان بيك، وخط قصبة رضوان أوله تقاطع شارعي تحت الربع والدرب الأحمر وآخره أول شارع الخيامية، والتي أراد رضوان بك أن يحاكي بها القصبة القديمة بالقاهرة وأعظم أسواقها، انظر: المرجع السابق، مج٢: ١٣٢، ١٣٦؛ مج٦: ٧٧- ٧٨.

(١) علي مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ٥١- ٨٥؛ حسن عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**، مج. ١: ٣١٥- ٣١٧؛ أبو العمايم، **آثار القاهرة**، مج. ١: ١٩٧- ٢٠٠.

(٢) هذا المسجد مشهور بجوار قبر الناطق، بناه شرف الإسلام يانس الرومي وزير مصر، وسمي بالفتح لأنه منه انهزم الروم إلى قصر الشمع، حين قدم الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود، مددًا لعمرو بن العاص وكان الفتح، وتحت حائطه قبر عامر الذي كان أول من دفن بالقرافة، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٨٥٨.

(٣) هو حرملة بن يحيي بن عبد الله بن حرملة بن عمران التجيبي ولد سنة (١٦٦هـ/ ٧٨٢م)، ومات سنة (٢٤٣هـ/ ٨٥٧م)، وهو أحد أئمة العلم وحفاظ الحديث روى عنه مسلم وابن ماجة، ترجم له السيوطي في حسن المحاضرة كما ترجم لجده حرملة بن عمران. (المؤلف). السيوطي، **حسن المحاضرة**، مج. ١: ٢٧٢، ٣٠٧.

(٤) عن سيرة أبو النور محمد باشا، انظر: الملواني، **تحفة الأحباب**: ١٣٩- ١٤٠.

وللسلاحدار وقف عليه في حجة صادرة في هذه السنة[1]، وقد تنافس الناس في الدفن بهذا المسجد لينالوا أشرف الجوار، وقرأنا على قبور دفناهم القدامى هذا النص:

الحمد لله الباقي بعد فناء خلقه، هذا قبر الفقير إلى رحمة ربه المستقيل من جريرته وذريته عبد الرحمن ابن عبد الملك بن عبد المحسن القرشي نسبًا الشافعي مذهبًا الأشعري معتقدًا تغمده الله برحمته وأسكنه في دار إقامته توفي إلى رحمة الله تعالى في ليلة يسفر صباحها عن يوم الخميس رابع شهر رمضان المعظم سنة سبع وخمسين وستماية رحمه الله وعفا عنه جميع المسلمين

كما دفن به وجيه الدين عبد الوهاب بن حسين البهنسي تولى قضاء القاهرة والوجه القبلي مات سنة (٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م)[2]، وعند هؤلاء دفن المرحوم نوح مصطفى الرومي أحد علماء الحنفية وصاحب التصانيف في المذهب، مات سنة (١٠٧٢هـ/ ١٦٦١م)، وأوصى قبيل وفاته بالدفن في مسجد سيدي عقبة وقبره بحري المسجد، وقد عد علماء الزيارة وجمهور من المؤرخين هذا المقام من مواطن استجابة الدعاء وهو حقيق بذلك كمين به فقد تشرف بحلول هؤلاء الأصحاب الأشاوس الذين ملأوا الدنيا علمًا ونورًا رضي الله تعالى عنهم، وفي قدسية هذا المقام يقول بعض الشعراء:

بالسفح من ربع سلمى منزل دثرا
فاسفح دموعك في ساحاته دررا
واستوقف الركب واستسق الغمام له
والثم صعيد ثراه الأذفر العطر
واستخبر الدار عن سلمى وجارتها
إن كانت الدار تعطي سائلاً خبرا
وكيف تسأل دارًا لم تدع جلدًا
لسائليها ولا سمعًا ولابصرا
أقسمت لو كان في الماضين مولده
لأنزل الله في أوصافه سورا
كأنه الحرم المحجوج تقصده
وفوده لا تمل الورد والصدرا

والشاعر يشيد بالسفح أي سفح المقطم، وهو نفس البقعة التي دفن فيها سيدي عقبة ومن معه، وقد أضفى التاريخ عليه ذكريات عاطرة مجيدة أيام الفتح الإسلامي، ويقول غيره:

لله إمام بسفح قد مضيت
بين الرياض أجيل فيها الناظرا
أنى اتجهت رأيت ماء جاريًا
أجلو الهموم به زهرًا ناضرا
وأشم من ريحانها وزهورها
مسكًا يفدح لنا ونشرًا عاطرا
لا أقفرت تلك الربوع ولا عفى
مفتى بها بالجود أصبح (عامرا)

وفي الشعر تورية بسيدي عقبة بن عامر، وأخرج ابن عساكر في تاريخه عن سفيان بن وهب الخولاني، قال: «بينما نحن نسير مع عمرو بن العاص في سفح المقطم ومعنا المقوقس

(١) حجة الوقف بوزارة الأوقاف رقم ٩٣٢ بتاريخ ١٨ ربيع الآخر سنة (١٠٦٦هـ/ ١٦٥٥م) (وقف محمد باشا سلحدار)، انظر: أبو العمايم، **آثار القاهرة**، مج. ١: ٢٠٠، ، مج. ٢: ١٩٧- ١٩٩.

(٢) وعلى شاهد قبره كتابة نصها (البسملة. لمثل هذا فليعمل العاملون، هذا قبر العبد الفقير إلى عفو الله وغفرانه القاضي الفقيه الإمام العالم الورع الزاهد قاضي القضاة ... وجيه الدين عبد الوهاب بن الفاضل الفقيه العالم سديد الدين الحسيني المفتي الشافعي، قدس الله روحه، توفي يوم الإثنين لثلاث خلت من جمادى الأولى سنة خمس وثمانين وسبعماية). (المؤلف)

(مينا بن جريج حاكم مصر من قبل الدولة الرومانية) فقال له ما بال جبلكم أقرع ليس عليه نبات ولا شجر على نحو من جبال الشام، فقال: لا أدري ولكن الله أغنى أهله بهذا النيل المبارك، ولكنا نجد تحته ما هو خير من ذلك، فقال: وما هو؟ قال: ليدفنن من تحته قوم يبعثهم الله يوم القيامة لا حساب عليهم، فقال عمرو: اللّٰهُمَّ اجعلني منهم، وقد استجاب الله سبحانه دعاء عمرو فلما مات دفن به»[١].

عقبة بن عامر

هو أحد من شهد فتح مصر من الصحابة ووليها لمعاوية بن أبي سفيان بعد عتبة بن أبي سفيان، توفي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سنة (٥٨هـ/ ٦٧٧م)، قال الكندي: «وليس بمصر قبر صحابي مقطوع به إلا قبر عقبة بن عامر»، ترجم له ابن عبد البر في الاستيعاب[٢]، روى عنه من الصحابة جابر وابن عباس وغيرهما، كان سيدي عقبة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من الرسول ﷺ بالمكان المحوط، عدّد له ﷺ فضل المعوذتين وحذره من الدنيا والتنافس فيها، أحاديثه في البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي[٣].

عمرو بن العاص

عمرو بن العاص بن وائل بطل الفتح العربي لمصر وأول وال لها، أمه النابغة بنت حرملة من بني عنزة بن جلان العتكي، سأل رجل عمرو بن العاص عن أمه، فقال: سلمى بنت حرملة تلقب بالنابغة من بني عنزة، أصابتها رماح العرب بعكاظ، فاشتراها الفاكه بن المغيرة ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان ثم صارت إلى العاص بن وائل، مات بمصر ليلة عيد الفطر سنة (٤٣هـ/ ٦٦٣م)، ترجم في أسد الغابة[٤].

أبو بصرة الغفاري

جميل بن بصرة بن وقاص قال ابن الأثير في ترجمته في أسد الغابة «وكان يسكن الحجاز ثم تحول إلى مصر»،

---

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٨٤٦- ٨٤٨؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، مج. ١: ١٣٨؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ق. ١: ١٠٨- ١٠٩.

(٢) أبو عمر يوسف بن محمد بن عبد البر النميري القرطبي، **الاستيعاب في معرفة الصحاب**، مج. ٢ (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٦): ٣٢.

(٣) عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عدي بن عمرو بن رفاعة ابن مودعة بن عدي بن غنم بن الربعة بن رشدان بن قيس ابن جهينة الجهني الصحابي المشهور، روى عن رسول الله كثيرًا، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين، منهم ابن عباس وأبو أمامة وجبير بن نفير وخلق كثير من أهل مصر، كان قارئًا عالمًا بالفرائض والفقه، فصيح اللسان شاعرًا كاتبًا، وهو أحد من جمع القرآن، شهد عقبة الفتوح وكان على البريد إلى عمر بفتح دمشق، وشهد صفين مع معاوية، وأمره بعد ذلك على = مصر جمعها له على الخراج والصلاة، وعزله سنة (٤٧هـ/ ٦٦٧م)، ومات في آخر خلافة معاوية على الصحيح، وتوفي بمصر في سنة (٥٨هـ/ ٦٧٧م)، انظر: عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق علي محمد عوض، مج. ٤ (بيروت: دارالكتب العلمية، د.ت.): ٥١؛ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، مج. ٤ (بيروت: دارالكتب العلمية، د.ت.):٢٥٠-٢٥١.

(٤) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي أمير مصر، أسلم قبل الفتح سنة (٨هـ/ ٦٢٩م)، وقيل بين الحديبية وخيبر، ولاه الرسول ﷺ في غزوة ذات السلاسل، ثم أصبح عاملاً على عمان، وفي زمن عمر افتتح قنسرين، وصالح أهل حلب ومن بجوار أنطاكية وولاه عمر فلسطين، وولي إمرة مصر زمن عمر بن الخطاب، وهو الذي افتتحها، وأبقاه عثمان قليلاً ثم عزله بعبد الله بن أبي السرح، تولى مصر لمعاوية في سنة (٣٨هـ/ ٦٥٨م) إلى أن توفي سنة (٤٣هـ/ ٦٦٣م)، انظر: محمد الجزري، **أسد الغابة**، مج. ٤: ٢٣٢؛ العسقلاني، **الإصابة**، مج. ٥: ٢- ٣.

وقال السيوطي في حسن المحاضرة «وكانت وفاته بمصر ودفن بالمقطم»[١].

عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي

ترجم له ابن الأثير في أسد الغابة قال: توفي بمصر في خلافة عثمان، أسفره حضرة النبي ﷺ إلى كسرى الفرس برويز «المظفر الثاني» في السنة (السابعة من الهجرة/ سبتمبر سنة ٦٢٨م) بالكتاب النبوي فخرقه، فخرق الله ملكه، ولم يلبث حتى قتله ابنه وأنزل الله به كل هوان وبلاء، وذكر ابن الأثير في ترجمة عبد الله هذا أنه أراد أن يفتك به حين أبى أن يتنصر، فلم يبال عبد الله بوعيده وتهديده واشترى نفسه من الله، ووقف الكسرى مشدوهًا حينما تبدى له ثبات عبد الله على المبدأ ووفاؤه وإخلاصه وإيمانه، وإزاء عجزه عن الفتك به قال له قولته السخيفة «قبل رأسي»، ومنّاه بالجاه والمال ورضي أخيرًا أن يقبل رأسه لقاء افتداء ثمانين من المسلمين من أسرى الحرب، فيا نعم هذا الفداء ويا نعم هذا الوفاء، وعبد الله هذا هو القائل في وجه كسرى حين مزق الكتاب النبوي وحين أحاط به جنده ليعذبوه.

أبى الله إلا أن كسرى فريسة
لأول داع في العراق محمدا
تقاذف في فحش الجواب مصغرًا
لأمر العريب الخائضين له الردى
فقلت له: أرود، فإنك داخل
من اليوم في البلوى ومنتهب غدا
سفهت بتمزيق الكتاب وهذه
بتمزيق ملك الفرس يكفي مبددا

(١) جميل بن بصرة العفاري وقيل جميل وقيل بصرة بن أبي بصرة، سكن مصر وله بها دار، انظر: محمد الجزري، **أسد الغابة**، مج. ١: ٥٥٣؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، مج. ١: ١٩٢.

أنشدها له السهيلي في الروض الأنف، وأرود بمعنى أرفق، والعريب يقطم للفظ العرب[٢]، قال ابن الأثير في ترجمته «توفي بمصر في خلافة عثمان»[٣].

عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي

ذكر حرملة في من قدمناه آنفًا أنه أحد الصحابة الذين دفنوا مع عقبة بن عامر والمتقدم ذكرهم بمسجد الفتح وليس هذا بصحيح، فعبد الله بن الحارث هذا مدفون بقرية من قرى الغربية يقال لها قديمًا سقط القدور أو سقط عبد الله وحاليًا بصفط تراب مركز المحلة الكبرى.

وقد حققنا دفنه بهذه التربة في رسالة لنا نشرت تباعًا في أعداد مجلة هدي الإسلام في سنة (١٩٣٧- ١٩٣٨م) استنادًا إلى ما تواتر عن وفاة عبد الله هذا وعن محل دفنه خلفًا عن سلف، ومنه قول الزبيدي في «شرح القاموس» (٢٥-١٥١-١٥٢) في مادة «سفط»: منها سفط أبي جرج من البهنساوية، وسفط العرفاء بالبهنساوية أيضًا، وسفط القدور بأسفل مصر، وهذه الثلاثة ذكرهن الصاغاني، والأخيرة هي المعروفة بسفط عبد الله بالغربية، وبها توفي

(٢) عبد الرحمن السهيلي، **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية**، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، مج. ٦ (بيروت: دار الكتب الإسلامية، ١٩٦٧): ٥٨٩-٥٩١.

(٣) عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي أبو حذافة وأبو حذيفة، وأمه بنت حربان من بني الحارث بن عبد مناة من السابقين الأولين، يقال شهد بدرًا ولم يذكره موسى بن عقبة ولا ابن إسحاق ولاغيرهما من كتاب المغازي، قال ابن يونس شهد فتح مصر وتوفي بها في خلافة عثمان ودفن بمقبرتها، انظر: محمد الجزري، **أسد الغابة**، مج. ٣: ٢١٣- ٢١٤؛ العسقلاني، **الإصابة**، مج. ٤: ٥٥-٥٦.

عبد الله بن جزء الزبيدي آخر من مات من الصحابة بمصر وقبره ظاهر يزار زرته مرارًا، ووفاته في سنة (٨٦هـ/ ٧٠٥م)[١].

وعبد الله بن الحارث هـذا من أجلاء الصحابة ومن أصحـاب الصفة، خرج أصحاب السـنن له نحو ٢٠ حديثًا، وترجم له جمع من المؤرخين أمثال ابن منده وابن سعد وابن الأثير، وصاحب الحلية وابن حجر والسيوطي وغيرهم، ولم يختلف واحد من هؤلاء في وفاته بمصر خلا ابن منده فقد وهم بأنه تـوفي باليمامة، وقد رد عليه هـذا الوهم الحافظ ابن حجر في الإصابة وابن الأثير في أسـد الغابة، مات سنة (٨٦هـ/ ٧٠٥م) وقبره في سـفط تراب لا يزال قائمًا إلى اليوم معروفًا خلفًا عن سـلف، وقد دفن معه بالمسـجد الشيخ بيومي أبو ريه من مدرسي الجامع الأحمدي[٢].

(١) صفط تراب: من القرى القديمة وردت في قوانين الدواوين لابن مماتي، وفي تحفة الإرشاد سفط بو تراب من أعمال الوجه البحري، وفي المشترك لياقوت سفط أبي تراب من الأعمال المذكورة، وفي التحفة سفط أبي تراب من أعمال الغربية، وفي تاريخ سنة (١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م) باسمها الحالي، وفي الخطط التوفيقية سفط البصل بقسم محلة منوف بالغربية.
وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان وفي المشترك قرية باسم سفط القدور، وقال إنها بأسفل مصر، وينسب إليها عبد الله بن موسى السفطي مولى قريش، وذكر الزبيدي صاحب تاج العروس سفط أبي تراب بالسمنودية، ثم ذكر قرية أخرى بالسمنودية أيضًا وهي سفط القدور، قال وهي المعروفة بسفط عبد الله بالغربية، وبها توفي عبد الله بن جزء الزبيدي آخر من مات من الصحابة بمصر، وقبره ظاهر يزار، وسفط القدور هي ذاتها سفط أبي تراب، انظر: محمد رمزي، **القاموس الجغرافي للبلاد المصرية**، مج. ٢، ق. ٢ (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٤): ٢١-٢٣.

(٢) عبد الله بن الحارث بن جزء بن عبد الله بن معد كرب بن عمر ابن عسم بن عمرو بن عويج بن عمرو بن زبيد الزبيدي، حليف أبي وداعة السهمي، قال البخاري له صحبة، روي عن النبي ﷺ أحاديث حفظها، وسكن مصر فروى عنه المصريون ومن آخرهم يزيد بن أبي حبيب، قال يونس مات سنة (٨٦هـ/ ٧٠٥م) بعد أن عمي، وقيل (٨٥هـ/ ٧٠٤م) أو (٨٨هـ/ ٧٠٧م)، وكانت وفاته = بسقط القدور، وهو آخر من مات من الصحابة بمصر، انظر: محمد الجزري، **أسد الغابة**، مج. ٣: ٢٠٤؛ العسقلاني، **الإصابة**، مج. ٤: ٥٠.

هؤلاء الأربعة من الصحابة هم الذين يضمهم مسجد الفتح المعروف بسيدي عقبة بن عامر تحقيقًا، وقد استوعبنا ذكـر من مات من الصحابة ودفن بها في رسـالة لنا بعنوان «أعلام السـائلين» طبعت بالقاهرة سنة (١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م)، وذكرنا في غير هذا الموضع مـن كتابنا هذا؛ من دفن منهم بأماكن أخرى كمسـلمة بن مخلد وابنه محمد، وكعب بن يسار، ومحمد بن أبي بكر، وكعب بن عدي، وبالإسكندرية جماعة منهم ذكرناهم في [أعلام الإسـكندرية منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن التاسع عشر].

قبة مصطفى چالق

أثر رقم ٢٩٥ (سنة ١٠٧٨هـ/ ١٦٢٥م)

بالجبانة «صحراء سيدي جلال» عثمانية الطراز، بها قبر الأمير مصطفى أغا چالق «مقطوع أحد أوصاله» وقرأنا على شاهد قبره كتابة هذا نصها:

روجيحون فاتحة[٣]، هذا قبر المتوفى الأمير مصطفى أغا چالـق توفي إلى رحمة الله تعالى ١٨ شـهر رجب سنة ١٠٧٨

قبة أبو جعفر الطحاوي

أثر رقم ٣٨٤ (سنة ١٠٩٨هـ/ ١٦٨٦م)

هذه القبة بشـارع الإمام الليث بطريق الشافعي قبلي بيت الطحـاوي[٤]، والأثر حوش يحيط به بناء قديم له باب

(٣) روجيحون معناه: على روحه الفاتحة. (المؤلف)

(٤) أبو العمايم، **آثار القاهرة**، مج. ١: ٢٣٥- ٢٣٨.

غربي وباب شرقي، وبأعلاه ثلاث قباب؛ أكبرها قبة الإمام الطحاوي، وقرأنا على شاهد قبره ما يلي:

هذا ضريح سيدنا ومولانا العالم العلامة أبي جعفر الطحاوي أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سليم بن سليمان رضي الله تعالى عنه المولود سنة تسع وعشرين ومايتين وتوفي في ذي القعدة الحرام سنة إحدى وعشرين وثلث ماية

وبالباب الشرقي كتابة بالعتب العلوي منها:

البسملة. ادخلوها بسلام آمنين. جدد هذا المكان المبارك وهو مقام العارف بالله تعالى أبي جعفر أحمد الطحاوي قدس سره حضره والي مصر مولانا حمزة باشا يسر الله له من الخيرات في سنة ثمان وتسعين وألف

وبالأثر قبور لأفراد من بني الأشعث دفناه القدامى «أحصاهم ابن الزيات والسخاوي وابن عثمان وغيرهم من شيوخ الزيارات» وقد اندثرت قبورهم منذ أمد بعيد[1]، وبقي منها إلى سنة (١٩٢٨م) شاهد تربة المرحومة أم القاسم عبسة، وقرأنا ما عليه في-١١- سطرًا بالخط الكوفي، وهذا نصه:

البسملة... هذا قبر أم القسم عبسة ابنة الحسين بن الأشعث رحمة الله عليهم ومغفرته ورضوانه جعلها الله لأبويها سلفًا وفرطًا وأجرًا ونورًا وذخرًا وحجابًا من النار وكانت وفاتها رحمها الله في ذي الحجة سنة تسع وثلثين ومايتين

(١) ابن الزيات، **الكواكب السيارة**: ٧٧- ٧٨؛ السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب**: ١٩٩.

وآخر من دفن بالأثر من العلماء المرحوم الشيخ أحمد ابن محمد بن إسماعيل الطحاوي، قال الجبرتي في حوادث سنة (١٢٣١ه/ ١٨١٥م): «وفي هذه السنة استأذن الفقير (الجبرتي) في الحفر لبناء مقبرة يدفن فيها إذا مات بجوار أبي جعفر الطحاوي بالقرافة لكوني ناظرًا عليها، فأذنت له في ذلك، فبنى له قبرًا بجانب مقام الأستاذ، ولما مات دفن فيه، وكانت وفاته ليلة الجمعة ١٥ رجب سنة (١٢٣١ه)»[2].

والطحاوي المذكور هو أحد علماء الحنفية، كانت له مواقف مشرفة محددة في امتناعه عن البيعة لمحمد علي وإصراره على المنع، حتى عمل له خاتمًا زائفًا.

وبالأثر ضريح للسيدة عائشة البكري على شاهده كتابة تاريخية هذا نصها:

البسملة. هذا ما تشهد به عائشة ابنة يونس بن سهل بن يونس البكري نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وأن الموت والبعث حق، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، توفيت رحمها الله يوم السبت لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين ومايتين

وأبو جعفر الطحاوي هو الإمام المجتهد الحافظ المؤرخ النسابة أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، ولد بطحا الأشمونين سنة (٢٢٩ه/ ٩١١م)، وأخذ

(٢) عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مج. ٤ (القاهرة: دار الكتب القومية، ١٩٩٨): ٤٠٥-٤٠٦.

العلم عن خاله المزني وبكار بن قتيبة وغيرهم، وقد جمع عبد العزيز بن أبي طاهر التميمي جزءًا في مشايخه، وروى عنه خلق كثير ولقد أثنى عليه السلف والخلف، قال الحافظ ابن نقطة من علماء الحنابلة: الطحاوي يجمع على ثقته وديانته وأمانته وفضيلته التامة ويده الطولى في الحديث وعلله وناسخه ومنسوخه ولم يخلفه فيها أدلة، صنف كتاب معاني الآثار وفيه يحاكم بين أدلة المسائل الخلافية فيسوق لنا الأخبار التي يتمسك بها أهل الخلاف ثم يبني وجهة نظر فيه بطريقة لم يضطلع بها غيره فهو معلم وفقيه تربى وتعلم طريق التفقه، شرحه الحافظ أبو محمد المنيجي والحافظ عبد القادر القرشي والعيني. وصنف شكل الحديث وهو المعروف بشكل الآثار في سبعة مجلدات [مخطوط بمكتبة شيخ الإسلام فيض الله بإستانبول] وطبع قسم منه في صدر آباد بالهند وله كتاب أحكام القرآن، وخلافًا على الآثار له غير ذلك، وقد ألف في سيرته المرحوم الشيخ زاهد الكوثري نزيل القاهرة، ومن جلة علماء الحنفية أحاط في مؤلفه هذا بآثار الطحاوي ومؤلفاته وسيرته (مخطوط)، وذكر السخاوي في تحفة الأحباب موقفًا من مواقفه المشرفة مع أبي منصور الخزري أحد ولاة الأتراك في العصر العربي، دخل عليه في يوم ما فلما رآه داخله الرعب فأكرم مثواه وأحسن وفادته وقال له: يا سيدي أريد أن أزوجك ابنتي، قال: لا، قال: ألك حاجة من مال، قال: لا، قال أقطعك أرضًا، قال: لا، قال: فاسألني ما شئت، قال: وتسمع، قال: نعم، قال: «احفظ دينك لئلا ينفلت منك كما تنفلت الإبل من عقالها»[1].

حمزة باشا

وحمزة باشا الذي جدد هذا الأثر هو المرحوم حمزة ماهر باشا السلاحدار البوسنوي من قضاة الدولة العثمانية وأسند إليه السلطان محمد الرابع (١٠٩٧- ١١٠٤/ ١٦٨٥- ١٦٩٢م) ولاية مصر في سنة (١٠٩٤هـ/ ١٦٨٢م) فلبث إلى سنة (١٠٩٧هـ/ ١٦٨٥م) ثم استقال وانحاز إلى الأمراء الجراكسة خلائف السلاطين وكانت طائفة منهم قد قاموا بثورة تحريرية لإعادة سلطنة الجراكسة بمصر بدل العثمانين، منتهزين فرصة التحام الدولة العثمانية في حرب ضروس مع النمسا، ثم أسند إليه بعد استقالته قضاء مصر[2].

وفي هذه الأثناء وقف وقفه الصادر من محكمة الباب العالى بمصر بتاريخ ٢٤ جمادى الآخرة سنة (١٠٩٩هـ/ ١٦٨٧م) به تربة الإمام الطحاوي، وذلك على أثر تجديده للتربة وتحويلها إلى مسجد لطيف ألحق به سقاية ماء، ورفع على قبر الطحاوي قبة، ورتب للصرف عليه وإقامة الشعائر مرتبات منها ٢٧٦٠ «عثماني» أي (٧٨٠ ١٩٧ قرشًا) قيدت بدفتر الكشيدة «دفتر الحب»[3]، ٥٥٣٨ «عثماني» (١٣٢٧٥٤ قرشًا) قيدت بديوان الرزنامة «والمعاش» وخصص له من شون «أنبار» الميري مقادير من القمح والفول والذرة إلى غير ذلك من بره الذي رصده على هذا الأثر وتربة الثاوي فيه، وكتاب وقفه الموما إليه بسجلات وزارة الأوقاف رقم ٦٤٨ وقفيات قديمة.

(١) السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب**: ٢٠٠.

(٢) عن سيرة حمزة باشاء انظر: الملواني، **تحفة الأحباب**: ١٥٣- ١٥٥.

(٣) الكشيدة لفظ فارسي معناه الحب: وهو مايستحبه الراحبة من أمواله المودعة في أحد المصارف، وفي معناه الرصيد حاليًا، والعثماني =٣٣ مليمًا. (المؤلف)

ومات حمزة باشا في سنة (١١٠٢هـ/ ١٦٩٠م) ودفن بقبر خاص أعده لدفنه فيه في أيام إقامته بمصر إلى جانب قبر الطحاوي، والأثر لا يزال محتفظًا بأثر حمزة باشا فيه إلى الآن، وآل النظر على وقفه أخيرًا إلى المرحوم عبد الرحمن الجبرتي صاحب التاريخ ثم آل من بعده إلى المرحوم السيد توفيق الطحاوي، ثم إلى السيد محمد ثم إلى ديوان الأوقاف العمومية.

قبة الشيخ عبد الله المغاغي الحجاجي

أثر رقم ٤١٣ (١١٠٧هـ/ ١٦٩٥م)

بشارع بوابة الجبل وسوق الخيل في الجنوب الشرقي للميدان الأسود «قراميدان» جنوبي القاهرة، تحتها ضريح يعرف بالشيخ عبد الله المغاغي[١]، نسبة لمغاغة بكسر الميم البلد المعروف بالصعيد، وهو من ذرية الشيخ أبي الحجاج الأقصري صاحب الضريح المشهور بالأقصر[٢]، أقام بهذا المكان منذ وقت مبكر ومات ودفن به.

وبنيت له زاوية جددها الوزير إسماعيل باشا كورچى حاكم ولاية مصر في سنة (١١٠٧هـ/ ١٦٩٥م)، وأنشأ على ضريح الشيخ القبة المذكورة، وبنى خلفه تكية عرفت بتكية إسماعيل باشا، ووقف عليها وعلى الضريح وقفه الصادر بتاريخ الثالث من ذي الحجة من هذه السنة، وقد دفن مع الشيخ عبد الله هذا الأمير يوسف كتخدا البركاوي في سنة (١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م)، وقبره في الجانب القبلي الشرقي.

وإسماعيل باشا المذكور هو أحد ولاة مصر العثمانيين، وليها من ذي القعدة سنة (١١٠٦هـ/ ١٦٩٤م) إلى ربيع الأول سنة (١١٠٩هـ/ ١٦٩٧م) ثم أسندت إليه ولاية بغداد، وكان من المشهودين له بالاستقامة وفعل الخير، أنشأ دارًا للحديث بجانب ديوان قايتباي بالقلعة، وأنشأ إلى جانبها مدرسة للشافعية[٣]، وجد من آثارها النص التاريخي وهو كالآتي:

ومدرسة أضحت بحسن بنائها
تنبه على كل المدارس في العصر
فما للنظاميات حسن نظامها
بناء ولا للصالحيات في مصر
بناها الوزير الأربحي أبو الندى
مبيد العدا إسماعيل بالبيض والسحر
يقال سعيد قلت فيها مؤرخًا
لك السعد عيد وظفرت بالأجر
١١٠٨هـ

وقد عمد المترجم له قبيل مغادرته مصر إلى الرجوع عما أوقفه وحله، وإغلاق المدرسة وتعطيل التكية، وكانت مصر إذ ذاك تعاني ثورة قام بها نفر من الجند في وجه إسماعيل باشا، فاتخذ الثوار من التكية ملجأ يلجؤون إليه، وتزلزلت المدرسة مما أصابها، وما بقي منها أجهزت عليه الحملة الفرنسية في سنة (١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م)، ولما توجهت وجهة محمد علي إلى إقامة مسجده وقصره الجوهرة بالقلعة، أقامهما على أرض هذه المدرسة وديوان قايتباي، ولم يبق لإسماعيل باشا من أثر غير قبة الشيخ عبد الله المذكور، ومذكرة هذه المدرسة.

(١) ٨ درب الشيخ عبد الله بعرب اليسار بالسيدة عائشة.
(٢) عن سيرة أبي الحجاج الأقصري، انظر: الشعراني، **الطبقات الكبرى**: ٢٢٩- ٢٣٠.
(٣) عن سيرة إسماعيل باشا، انظر: الملواني، **تحفة الأحباب**: ١٦٣- ١٦٦.

تربة علي بك الكبير

أثر رقم ٣٨٥ (١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م)

غربي مسجد الإمام الشافعي، في الطرف الشرقي منها قبر الأمير علي بك الكبير مكتوب على شاهده ما نص:

في قبره أمسى أمير اللوا
يرجو الرضى من أكرم الأكرمين
أعني على القدر بين الورى
والله ذو فضل على المؤمنين
لعلي مات ورب الملا
من شأنه يعفو عن التائبين
سامحه فضلاً واعف عن ذنبه
يارب واحشره مع الفائزين
فرحمة المولى لنا أرخت
بأن عفو الله للمذنبين
سنة ١١٨٧

وعلي بك الكبير هذا هو ممن انتهى إليه حكم مصر في سنة (١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م)، ثم لم يلبث أن استقل بالحكم ونادى باستقلال مصر عن الباب العالي وجاهر بعداء الدولة العثمانية، وتحالف مع الروسيا ليكيد لها ويكيل ما تكيله لها روسيا، ولقب بسلطان البحرين وخاقان البرين وأمير المؤمنين المتوكل على الله، وعزيز مصر والحاكم بأمر الله وسلطان مصر والشام، وضربت السكة باسمه.

وفى عهده نالت مصر حظًّا من الرفاهية والنعيم وتنفست الصعداء واستنشقت نسيم الحياة وصاحبتها السعادة حينًا، حتى حل قضاء الله وقدره بهذا العاهل الكبير، فمات مأسوفًا عليه حتى من قاتليه، قال الجبرتى: «ودفن بتربة أستاذه إبراهيم بك بالشافعي»(١).

ومن مآثر علي بك الكبير التي أضفاها عليه التاريخ، تجديده للقبة الحسينية وقبة الشافعي والمسجد الأحمدي وسقاية الماء التي بناها، ولا تزال آثاره بهذا العالم مطبوعة بطابعه حتى يومنا، وقد تبين لي من وثائقه الوقفية أنه كان يعمد إلى إنشاء وتجديد ضرائح من قطع بصلاحهم قصد نفحاتهم عليه لينتصر بها على خصومه إذ كان الله سبحانه قد ابتلاه ببطانة كانت شرًّا عليه، فكان ينتصر عليهم بأعماله هذه، ونرى هذا واضحًا في وثيقتين لم توثقا بتاريخ العاشر من شعبان سنة (١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م)، و١٨ ذي القعدة سنة (١١٨٥هـ/ ١٧٧١م)، وفيها أنه لما كان موجودًا بطنطا قصد زيارة الشيخ مجاهد الأحمدي النوساني ببلدته نوسا الغيط من أعمال أجا مركز مديرية الدقهلية، فتشفع إليه في الانتصار على خصومه، ونذر بطلب من الشيخ أن يجدد المسجد، ويبني للشيخ مجاهد تربة له ليدفن فيها بعد موته، فدعا له الشيخ بالنصر ما دام على الحق، فلما تم له الظفر على خصومه وفَّ بنذره فأشاد المسجد الأحمدي، وبنى لسيدي أحمد البدوي مقامًا، وألحق بالمسجد مدرسة للتعليم تشكل منها فيما بعد المعهد الأحمدي، وبنى في مقابل المسجد سبيله الجميل يعلوه مكتبٌ لتحفيظ القرآن الكريم، وحبس من ريع ما وقفه ما يقوم بالصرف على المسجد والمعهد إلى يومنا، كما جدد بسوق الحطب برصيف بولاق زاوية لا تزال مطبوعة بطابعه إلى اليوم [انظر مسجد المغربي].

---

(١) عن سيرة علي بك الكبير، انظر: الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ١: ٥٩٦ - ٦٠١.

ويقابل قبر الأمير علي بك في الطرف الغربي قبر آخر يماثله دفن فيه أستاذه الأمير إبراهيم بك القازدوغلي، وقرأنا على قبره الأبيات التاريخية الآتية:

أوحد العصر يوم مات نادت
أنس الدهر يا خراب الزمان
كان بالجد والندا قد تسامى
وبإحسانه إلى كل عاني
فالرعايا بعدله تحت أمن
وكذا كل من حما في الأمان
مرفد القيم محتميهم إذا ما
صدعت قدرهم يد الأحزان
فدعاه ربه فلباه طوعًا
في جوار النعيم والرضوان
كم عيون بكت عليه وأجرت
دمعها كالسيول بين المغاني
إذا جاب الإله أرخت من
أنه فاق في سرور الجنان
سنة ١١٦٨

وإبراهيم بك المذكور هو المترجم له في الجبرتي، وهو صاحب السقاية الجميلة القائمة بنهاية درب الفواخير على رأس قيسارية إسماعيل بك وسويقة لاشين [انظر سبيل إبراهيم بك][(١)].

وبين هذين القبرين قبر ثالث دفن فيه الأمير إسماعيل بك مستحفظان مكتوب على قبره:

هذا قبر المتوفى إلى رحمة الله تعالى المرحوم أمير اللواء إسماعيل بك كبير قائمقام مصر حالاً توفي يوم الثلاثاء عشرين شهر شعبان سنة ١٢٠٥

ويعلو سنام قبره من الجهة الغربية بلاطتان من الحجر عليها كتابة بالخط الكوفي، وهما منقولتان من مخلفات بعض القبور الأخرى التي درست، ويقابل هذه التربة إلى جهة الشرق تربة أخرى تماثلها يحيط بها سياج من الخشب مغطى بسقيفة يتوسطها قبر السيدة نفيسة خاتون زوجة علي بك الكبير المتقدم الذكر وزوجة مراد بك، وهي صاحبة المواقف المشهودة مع قادة الحملة الفرنسية وكبار ساستها وقد رفعت بها رأس المرأة المصرية وبرهنت على أنها تستحق عن جدارة كل تقدير وإكبار وأنها جديرة بأن تخوض غمار المعارك أيًّا كان نوعها في سبيل الحياة السعيدة بقلب ثابت وخطى واسعة غير هيابة ولا وجلة (انظر ترجمتها في كتابنا أعلام التاريخ المصري في القرن الثالث عشر الهجري)[(٢)].

وكانت السيدة نفيسة على قدم كبير من اليسار آلت إليها قيسارية القاضي الفاضل بالقاهرة وربع السكرية وعقارات بالقاهرة وأطيان زراعية بالجيزة يقدر ذلك بأكثر من مليونين من الجنيهات يتمتع بها اليوم من وقفتها عليهم من عتقائها، وعلى قبر السيدة نفيسة كتابة تاريخية قرأنا فيها ما يلي:

هذا قبر المرحومة الست المصونة ستي نفيسة خاتون معتوقة المرحوم علي بيك وزوجة المرحوم مراد بيك غفر الله لهم أجمعين توفيت إلى رحمة الله تعالى يوم الخميس ٢٧ شهر جماد أول سنة ١٢٣١

ويوجد بهذا الأثر قبور أخرى لأفراد من هذه العائلة منها قبر المرحومة الست زينب بنت الأمير إبراهيم

(١) عن سيرة إبراهيم كتخدا، انظر: الجبرتي، **عجاب الآثار**، مج. ١: ٣٢٣- ٣٢٤.

(٢) الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٣: ٣٠.



تربة عثمان بك القازدوغلي «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

كتخدا مستحفظان توفيت سنة (١١٦٥هـ/ ١٧٥١م) وقبر الست غنيمة قادن زوجة محمد أغا جوربجي توفيت سنة (١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م)- والست نائل شهرت قادن توفيت سنة (١٢٠٤هـ/ ١٧٨٩م)، وقبر المرحوم إسماعيل بك أخو علي بك الكبير المذكور، مات في ٢٥ رمضان (١١٩١هـ/ ١٧٧٧م)، وقبر زوجته فامة بنت المرحوم رضوان عزبان الجلفي، ماتت في صفر سنة (١١٨٥هـ/ ١٧٧١م)، وقبر صفية بنت إبراهيم بك ماتت في المحرم سنة (١١٩٨هـ/ ١٧٨٣م)، وقبر عديلة أختها زوجة محمد بك الألفي ماتت في سنة (١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م).

تربة عثمان بك القازدوغلي

أثر رقم ٢٧١ (١١٦٩هـ/ ١٧٥٥م)

هذه التربة بشارع الإمام الليث المتفرع من شارع القادرية على يمين السالك منه إلى الإمام الشافعي، وهي تربة عثمانية تقوم على قاعدة من الحجر يتوسطها قبران بشواهد عليها قبة حجرية مرفوعة على أربع أسطوانات من الرخام الأبيض، فالقبر الغربي فيه الأمير عثمان بك القازدوغلي مكتوب على ما نصه:

هذا قبر المرحوم الدارج إلى رحمة ربه الغفور أمير الكبراء الكرام أمير اللواء حضرت عثمان بك
قازدوغلي توفي في شهر شوال سنة ١١٨٠
ومعه في القبر الأمير عبد الرحمن بك كاشف مكتوب على قبره: هذا قبر المرحوم أمير اللواء عبد الرحمن بك تابع المرحوم أمير اللواء عثمان بيك
قازدوغلي توفي إلى رحمة الله تعالى في سنة ١٢٠٥

وبجانب هذا القبر قبر آخر يماثله مكتوب عليه :

أيها الزائر قبري
قف على قبري شوي

واتـلـو الـقـرآن عـنـدي
رحمـة منـك إليّ

طـالمـا زرت قـبـورًا
وأنـا مـثـلـك حي
لأغـفـرنـك حـيـاتـك
إنـمـا الدنـيـا كـفـي

هذا قبر المرحوم مصطفى جاويش مستحفظات قازدوغلي توفي سبعة عشر من ربيع أول سنة ١١٦٩

وعثمان بك المذكور آنفًا هو غير عثمان بك القازدوغلي صاحب المسجد الأثري بشارع الجمهورية «إبراهيم» بالأوبرا[١] والقازدوغلي معناه: ابن القاصد أي: الرسول، وقد ترجم الجبرتي للمقبورين بهذا الأثر وهم من طائفة القازدوغلية إحدى فرق الفقارية أتباع «ذو الفقار بك الجركسي بن الأمير سودون».

تربة سليمان أغا الحنفي

(١٢٠٦هـ)

بسفح المقطم بالإبجية، أنشأها المرحوم الأمير سليمان الحنفي أمين الضربخانة المصرية لدفنه ودفن ذويه، وألحق بها سقاية ماء، وبها قبره وقبر زوجته بي زاده ماتت في رجب سنة (١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م) وابنه إبراهيم أغا وبنته زهرة وابن له آخر اسمه أحمد وآخر اسمه عمر، وبهذا الأثر من النصوص التاريخية النص الذي بالسبيل بأوله أبيات تبتدئ بقول الناظم:

فلا جنودي التي جمعتها نفعت، ولا فداني صديق لي ولا جاري بالتاريخ (١٢٠٦هـ)

ويعلو بابها آخر لتاريخ الإنشاء، وعلى السبيل أبيات أولها:

هذا السبيل فمن يوم إلى يوم
كفرحة النائم المسرور بالنوم
إن المنايا وإن أصبحت في شغل
تحوم حولك يومًا أيما حوم
لا تعجبن لدنيا إنها دول
دار انتقال من قوم إلى قوم
خلت منهم عرضات القصور
وكانوا في رغد عيش ونعم

ثم تنتهي بالتاريخ.

المحتاج إلى رحمة ربه المنان الأمير سليمان أغا أمين ضربتخانه عامره سابقًا وأمير اللوا كتخداي السطاني إبراهيم بك عزيز مصر حالا بلغه الله مراده وختم له بالسعادة وذلك في شهر ربيع أول سنة ١٢٠٦

على العمود الرخام بناصية السبيل :

فلا جنودي التي جمعتها نفعت
ولا فداني صديق لي ولا جاري
فلا تغرنك الدنيا وزينتها
وانظر إلى فعلها بالأهل والجاري
آثارهم بعدهم وما صنعوا
يخبران أننا لهم تبع
يا واقفًا بالدار ملتمسًا
يندب قومًا من ملكهم نزعوا
فادخل القصر تلتمس خبرًا
عن سادة في التراب قد جمعوا

(١) أبو العمايم، آثار القاهرة، مج.١: ٣٦٥- ٣٧٠.

كانــوا كسفر حطوا رحالهم
فما استراحوا بها حتى بها وقعوا
سنة ١٢٠٦

وعلى عتب باب السبيل تاريخ سنة (١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م).

وعلى لوح مــن الرخــام أعلى عتب البــاب الداخلي في٥ سطور:

كم معشر في القبور قد نزلوا
على ممـر الـزمـان وارتحـلـوا
لو نظروا ما يفيدهم صنعت
دواثـــر الداثـــرات وعقلوا
تنافسوا في مكاسب جمعوا
وخـلـفـوا للغير وارتحـلـوا
إلى قـبـور وضـيـق ملتحد
رهنًا بما قدموا ومـا عملوا
كم أكلوا ويحهم وكم شربوا
هـم فيها بعد أكلهم أُكلوا
سنة ١٢٠٦

وبداخل السبيل تربة عليها ٥ شواهد:

المرحوم إبراهيم أغا بن الأمير ســليمان أغا كتخدا
أمير اللواء إبراهيم بيك
المرحومة بنبة هانم بنت الأميرسليمان
مرقد المرحومة الست برزادة زوجة الأمير سليمان
أغا حنــفي خضر غفر الله لهــا في غاية رجب الفرد
سنة ١٢١٨
هذا قبر المرحومة زهرة هانم بنت سليمان أغا
هذا قبر المرحوم مراد أغا ....

وخلف هذه الخمسة شواهد شاهدان بأحدهما:

هذا قبر المرحوم أحمد أغا ابن الأمير سليمان أغا... إلخ
هذا قبر المرحوم عمر أغا ابــن الأمير ... إلخ وآيات
قرآنية وأبيات من البردة

زاوية السادة المالكية

أثر رقم ٥٦٠ (سنة١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م)

بصحراء الســيدة نفيســة، جنوبي القاهرة، شــارع السيدة نفيسة[1]، قرأنا على باب هذا الأثر في لوح من الرخام هذه الأبيات[2]:

لذ بالأماجد من سادوا بعلمهم
المالكيين أهل الفضل والفطن
واحلل بساحتهم تؤتى المفاز بهم
من كل ما يرتجي من غير ما منن
آثارهم حسنت والآن جددها
علامة العصر زاهي المنظر الحسن
إن قال واصفها فيما يؤرخه
بأحسنها قلت أنشأها أبو الحسن

١١٨٠

والأضرحة التي بداخلها هي:

(١) قبر «أبو الحسن» علي بن محمد الرادسي الموقت، من بلاد دادس الأقصى، وفد منها إلى القاهرة في سنة (١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م) ودخل الأزهر والتحق برواق المغاربة شيخًا على الرواق المذكور، وله وقف عليه، من أعيانه أمكنة ببولاق والأزهر، وقد خص به زاوية المالكية بما يقيم

---

(١) عن زاوية السادة المالكية، انظر: السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب**: ١٦٢- ١٦٧، علي مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ٧٩- ٨٣.

(٢) علي مبارك، المرجع السابق: ٧٩- ٨٠.

الشعائر بها، وجددها في سنة (١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م)، وبنى له بها قبرًا إلى جانب قبر الشاوي، ودفن به بعد وفاته في سنة (١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م).

(٢) قبر السيد محمد بدر الدين العيادي أحد تجار القاهرة له وقف على الزاوية، توفي في ٢٥ صفر سنة (١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م)، ودفن في قبر أعده لنفسه بالزاوية، ودفن معه ولده السيد علي العيادي في ١٥ جمادى الآخرة سنة (١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م)، وقبرهما أحد القبور الخمسة التي على يسار الداخل.

(٣) قبر الإمام أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع، روى عن البخاري وابن وضاح والرازي وغيرهم، وكان من أجلة علماء المالكية، وله تآليف منها كتاب في الأصول، وكتاب في آداب القضاء، توفي الأحد لأربع مضين من شوال سنة (٢٢٥هـ/ ٨٣٩م) عن سن عالية وقبره بإزاء قبر ابن القاسم[1].

(٤) قبر عبد الصمد وموسى ابني الإمام عبد الرحمن بن القاسم، كان الأول من علماء القراءات والثاني من علماء الحديث. توفي عبد الصمد سنة (٢٣١هـ/ ٨٤٥م)، وتوفي موسى سنة (٢٤٨هـ/ ٨٦٢م) ودفن كلاهما بقبر أبيه.

(٥) قبر الإمام أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم القيسي شيخ مالكية مصر في عصره توفي يوم السبت لثمان مضين من شعبان سنة (٢٠٤هـ/ ٨١٩م) بعد الإمام الشافعي بأيام، ومولده سنة (١٤٠هـ/ ٧٥٧م) وقبره على يمين الداخل بإزاء الحائط القبلي[2].

(٦) قبر أبي الرجاء محمد بن الإمام أشهب يروي عن أبيه وغيره توفي سنة (٢٤٧هـ/ ٨٦١م) ودفن بقبر والده.

(٧) قبر يحيى بن محمد بن الإمام مالك بن أنس توفي في ذي القعدة سنة (٢١٨هـ/ ٨٣٣م) وقبره إلى جانب قبر ابن القاسم.

(٨) قبر محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق الخطيب التلمساني الشهير بالجد شارح الشفا للقاضي عياض وبردة البوصيري، ولد بتلمسان سنة (٧١٠هـ/ ١٣١٠م)، وهاجر في نهاية أمره إلى القاهرة فتولى بها قضاء المالكية بمرسوم من السلطان الملك الأشرف زين الدين شعبان وعين مدرسًا بالمدرسة الشيخونية «بسويقة منعم» والمدرسة الصرغتمشية بالصليبة، توفي في ربيع الأول سنة (٧٨١هـ/ ١٣٧٩م)، وقبره بإزاء قبر الإمام يحيى بن محمد بن مالك.

(٩) قبر شيخ الإسلام يحيى بن عبد الله بن محمد الشاوي الجزائري ولد بمليانة، ونشأ بالجزائر ثم هاجر إلى الأستانة، ومنها إلى القاهرة فدرس بالأزهر وأخذ عنه جمع من علمائه ولازموا حضور درسه، وتولى مشيخة المالكية مضافة إلى مشيخة الرواق، ثم صدر أمر السلطان محمد الرابع بسعاية الوزير عمر باشا بتعيينه شيخًا للأزهر إثر وفاة الشيخ شعبان الفيومي الشافعي شيخ الجامع الأزهر المتوفى سنة (١٠٧٥هـ/ ١٦١٤م)، وفي مدة ولايته حبس كثيرًا من ماله على رواق المغاربة وجدد مشهد السادة المالكية وكان يغشاه كثيرًا ويدرس به أحيانًا في يوم الجمعة وله تآليف في الفقه والنحو، توفي في ربيع الأول سنة (١٠٩٦هـ/ ١٦٨٤م) بالسفينة التي كانت تقله من السويس إلى مكة لعزمه على الإقامة بها كادت تصل إلى الطور حتى لقي ربه، فنقلوا رفاته إلى الصحراء ودفنوه بها، وكتب ولده عيسى إلى الوزير عثمان باشا يستصدر منه أمرًا بنقل رفاته من الطور إلى مصر؛ فأذن فنقلها ودفنها بهذه الزاوية، وفي

---

(١) علي مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ٨٢- ٨٣.
(٢) علي مبارك، المرجع السابق: ٨١- ٨٢.

سنة (١٠٩٧هـ/ ١٦٨٥م) توفي ولده عيسى المذكور ودفن معه في قبر واحد، وهو القبر الذي على يسار الداخل آخر القبور الخمسة إلى جهة المحراب، ومعهما في القبر الشيخ محمد الزرواري المالكي.

(١٠) قبر الشيخ سليم بن أبي مطر بن سليم البشري شيخ الجامع الأزهر وشيخ المالكية، توفي يوم الجمعة الرابع من ذي الحجة سنة (١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م) ومولده بمحلة بشر من أعمال البحيرة سنة (١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م) ودفن بالزاوية في قبر أعده لنفسه فيها، وهو الأول من القبور الخمسة.

(١١) قبر الشيخ حمزة من الشيخ عبد الرحمن المالكي بن الشيخ محمد عليش مفتي المالكية مكتوب على الحائط الملامس لقبره في لوحة هذه الأبيات:

هذا حفيد إمـام أهل زمانه
سيدي عليش منهل البركات
قد حل في دار الكرامة والرضا
وبها ارتقى في أرفع الدرجات
وللحور والولدان دارت بهجة
لقدوم نسل مصحح الحسنات
ومن الرحيق سقاه مولاه الذي
يولي الجميل بأبهج الكاسات
قد كان آخـر قـوله آخـر توبة
مع آية الكرسي بكل ثبات
فأتاه رضوان يقول مؤرخًـا توفي رحمة الله عليه في
سنة ١٣٠٦

ويرفع نسب الشـيخ عليش إلى المولى إدريس الأزهر، فهو محمد بن أحمد بن محمد الطرابلسي الإدريسي ينتهي نسبه إلى محمد بن محمد بن محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن قاسم ابن محمد بن أحمد الغرناطي ثم السلاوي بن أبي القاسم محمد ابن إبراهيم بن عمرو بن عبـد الرحيم بن عبد العزيز[1] بن هارون بن حيون بن علوش بـن أبي عبد الله محمد الملقب منديـل بن علي بن عبد الرحمن بن عيسى بن أحمد بن محمد ابن عيسى بن المولى إدريس الأزهر منشـئ مدينة فاس بن المولى إدريس الأكبر فاتح بلاد المغرب بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط الأول.

يجتمع هذا النسب مع أسرة الشرفاء الدباغيين سكان حومة العيون ورأس الجنان بمدينـة فاس المنحدرين من السـيد الشريف عبد العزيز بن مسعود أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن قاسـم الدباغ دفين قبة إسماعيل ابن دراس المالكي خـارج باب الفتوح من فاس، وكان أحد آبائه وهو الشريف قاسم انتقل من فاس إلى مراكش وانتقل بنوه إلى فاس، فانحدر من أحدهم جد صاحب الترجمة وهو السـيد محمد الذي أقام في نهاية أمره بطرابلس وزيد له بها جد المترجم له أحمد وأخواه علي وحسـين فهاجروا بعد وفاة والدهم إلى مكة مع عمهم السـيد محمد لأداء فريضة الحج فتوفي عمهم بها فقدموا إلى القاهـرة وتديروها، وما برحوا مقيمين بها حـتى توفوا ودفن ثلاثتهم في زاوية بنهاية حارة «كتامة» المعروفة بحارة الدويداري.

(١٢) قبر الإمام عبد الرحمن بن القاسـم العتقي [توفي سـنة (١٩١هـ/ ٨٠٦م)] وقبره بتربة الإمام أشـهب، كان ابن القاسـم هذا إمامًا من الأئمة على جانب عظيم من العلم، وسـيرته لا يتحملها هذا الموضع من كتابي هذا، وقد أضفى التاريخ عليه كما أضفى الإمام أشـهب آيـات من العلم والمعرفة [انظر الديباج المذهب لابـن فرحون والكواكب السـيارة لابن الزيات وغيرها]، ويليه من جهة الحائط قبر

(١) توفي سنة (١١٣١هـ/ ١٧١٩م) ومولده سنة (١٠٩٥هـ/ ١٦٨٤م)، وتوفي والده السيد مسعود ضحوة يوم الأربعاء ٧ ذى الحجة عام (١١١١هـ/ ١٦٩٩م)، ودفن بإزاء ابن حرزة خارج قبته. (المؤلف)

الشريف العريان الشهيد رضي الله عنه، ومن وراء تربة الإمام أشهب من الجهة الشرقية قبر الفقيه يحي التلائي وإلى جانبه قبر أبي بكر المضفر المعروف بالرباطي، حكي عنه أنه أوصى أن يدفن في هذا المكان، وأن يؤخذ كفنه إذا لحد وتوفي بعد ثمانين وستمائة[1].

ويليه من جهة القبلة قبر الشيخ أبي الحسن علي التمار المعروف بزيارة الحسين ثم تأتي إلى الجهة الغربية من وراء حائط الإمام أشهب تجد في جدار الحائط حوشًا لطيفًا مبنيًّا بالحجر به ثمان قطع مكتوب عليه هذا قبر أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن علي الواسطي، ثم تجد أمامك عند الخروج من هذا الحوش المذكور قبر ميمونة العابدة تعرف بالسوداء يروى أنها زوجة ذي النون المصري، قال ذو النون: رأيت ليلة من الليالى كأن قائلاً يقول له: يا ذا النون إن عديلك في الجنة ميمونة السوداء، فاستيقظت من منامي وقد عزمت على زيارتها فكنت مارًّا في بعض الطرقات فلقيني إنسان واستخبرني عن حالي فأخبرته أني ذاهب إلى ميمونة فقال لي: ومثلك يذهب إلى امرأة مجنونة، فأردت أن أرجع، فقلت: وما علي أن أراها، فلما جئت إليها قالت: ياذا النون أنت الذي تقف مع الخيالات، ياذا النون والله ما أنا مجنونة بل أنا بحبه مفتونة، وأنشدت تقول:

ما لامني فيك أحبائى وأعدائي

إلا لغفلتهم عن عظم بلوائي

(١) علي مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ٨٠- ٨١.

ضريح الإمام المزني وورش

أثر رقم ٦٢٢ (سنة ١١٩٦هـ/ ١٧٨١م)

بشارع ابن بقاء بالشافعي، داخل مدفن عبد الفتاح بك محرم على شارعي الفارسي وابن جيش، تجاه شارع ابن الجباس، الذي يحده من الجهة البحرية مدفن المرحوم موسى باشا غالب، والضريح بصدر الحوش، على شاهده «هذا مقام سيدي إسماعيل المزني» وعليه بناء من الطراز العثماني نقلوه فيه.

الإمام المزني

والمزني هو الإمام إسماعيل بن يحي بن إسماعيل ابن عمرو بن مسلم، من مشهوري أئمة الشافعية، ولد سنة (١٧٥هـ/ ٧٩١م) وتوفي سنة (٢٦٤هـ/ ٨٧٧م)، والمزني نسبة إلى مزنية قبيلة عربية[2]، وفي قبر المزني قبر أخته، وكانت من فضليات النساء، حضرت على الشافعي، ونقل عنها الرافعي في الزكاة ترجم لها السبكي والإسنوي والسيوطي وغيرهم[3].

(٢) أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيي بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق: الإمام الجليل ناصر المذهب، قال عنه الشافعي لو ناظر الشيطان لغلبه، كان إمامًا ورعًا زاهدًا، مجاب الدعوة، متقللاً من الدنيا، قال الرافعي: المزني صاحب مذهب مستقل، قال الإسنوي: صنف كتبًا منها المبسوط، والمختصر، والمنثور، والمسائل المعتبرة، والترغيب في العلم، وكتاب الوثائق والعقارب، سمي بذلك لصعوبته، وصنف كتابًا مفردًا على مذهبه لا على مذهب الشافعي، ولد سنة (١٧٥هـ/ ٧٩١م)، وتوفي سنة (٢٦٤هـ/ ٨٧٧م)، ودفن قريبًا من قبر الشافعي، انظر: السيوطي، **حسن المحاضرة**، مج. ١: ٣٠٧؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ق. ١: ١٦٥.

(٣) السيوطي، **حسن المحاضرة**، مج. ١: ٣٩٩.

وبالحـــوش قبر الإمام أبو عمرو عثمان بن ســـعيد بن عبد الله بن عمر بن ســـليمان القـــيرواني المعروف بورش، انتهت إليه رياسة القرّاء في مصر، أخذ عن نافع، وهو الذي لقبه بورش لشدة بياضه ولد سنة (١١٥هـ/ ٧٣٣م)، وتوفي سنة (١٩٧هـ/ ٨١٢م)[١].

وبالحوش قبر المرحوم حســـن باشـــا حلمي الذي كان وكيلاً لمجلس شورى القوانين توفي سنة (١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م)، وقبر المرحوم عبد الفتاح بك محرم، والمرحوم عثمان باشـــا غالب من وزراء الحقانية السابقين، وبه يعرف الحوش.

جامع الشاطبي (تربة القاضي الفاضل)

أثر رقم ٦٠٧ (سنة ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م)

هذا المســـجد بالقرافة الجنوبية بالجهة البحرية منها يعرف بهذا الاســـم[٢]، وقد زرناه بالمنطقة المذكورة، فألفيناه مسجدًا جامعًا شـــعائره مقامة، مكتوب على بابه في روسم «لوح محفور» ما نصه:

شاع للشاطبي في الكون سر
مـلأ الأرض والعلوم أقـادا
بشر الكتخذا يوسف قد بناه
بـقـبـول يـنـال مـنـه المـرادا
وعلى البــاب قف بـذل وأرخ
نـور هـذا البنا بيوسف زادا

وعلى باب المقام:

يـــازائـــرًا للشاطبي إمامنا
بعد الزيارة للمقام الأشرف
قف وادع للملك المغازى في العدا
سلطان دنيانا سليم المنصف
ولخسرو الباشا الحسيب محمد
ولكتخداه يوسف الخل الوفي
فادخل وزر هذا الـولي فإنه
مـا زاره ذو عاهـة إلا شفي

سنة ١٢١٧

وفى داخل هـــذا المقام تربة رخـــام مركبة على قاعدة حجرية ومكتوب على دائرها ما نصه:

هـــذا ضريح الإمام المقرئ محمد قاســـم بن فيرة بن أبي القاســـم خلف بن أحمد الرعيني الشـــاطبي، ولد في أواخر ســـنة ثمان وثلاثين وخمســـمائة بشاطبة وهي قرية بالأندلس، وتوفي عصر يوم الأحد الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٥٩٠هـ، ودفن يوم الإثنين بهذا الموضع

وأصل هذا المســـجد الفاضل عبد الرحيم البيســـاني وزير صلاح الدين الذي تنسب إليه المدرسة الفاضلية، وقد كان يعرف في بادئ الأمر بتربة القاضي الفاضل، ابتناها في حياته ودفن بها بعـــد موته، وقد ظل قبره بها ظاهر يزار إلى أوائل القرن التاسع الهجري، وما برح أن عفى أثره، وتخلف من القبور الأخرى التي كانت بهذه التربة قبر الشاطبي شيخ المدرســـة الفاضلية الذي دفن بها في حياة منشـــئها الوزير المذكور، ولبقاء هذا القبر حينًا عرفت التربة به[٣].

(١) المرجع السابق: ٤٨٥.

(٢) بجبانة سيدي الشاطبي بجوار السكة الحديد من الشرق (محطة موصلة حلوان) شرقي شارع كامل محسن (شارع المواصلة) وشرقي الأتوستيراد، انظر: أبو العمايم، **آثار القاهرة**، مج. ١: ٥١٥- ٥١٧، مج. ٢: ٧٣٣.

(٣) توفي الإمام الشاطبي في جمادى الآخرة سنة (٥٩٠هـ/ ١١٩٣م) بالقاهرة، ودفن بالقرافة بالقرب من التربة الفاضلية بسارية=

وتنوسي اسم بانيها ولم تعد تعرف به بتاتًا وما برحت هذه التربة على حالتها الأولى حتى تخربت وصارت أطلالاً ماثلة، وتخلف منها ضريح الشاطبي لتعرف الناس إليه وحسن اعتقادهم فيه وترددهم لزيارته فلما كان في سنة (١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م)، وكان على ولاية مصر محمد باشا في عهد السلطان سليم الثالث بن مصطفى؛ قصد يومًا ما زيارة ضريح الإمام الشافعي وتأدية الصلاة في مسجده على العادة في ذلك، فذكرت له حال هذه التربة وإشفاق الناس على ضريح الشاطبي من الاندراس فكلف كتخذاه يوسف بك ببنائها وتجديدها؛ فجددت وأقيمت الشعائر بها وما زالت على هذا البناء إلى اليوم إلا بعض ترميمات أدخلت عليها من أهل ذلك الحي بالتعاون فيما بينهم بواسطة خادمها الذي يدير شؤونها، ومن ذلك الحين بقيت مسجدًا جامعًا تصلَّى فيه الجمعة والجماعات بالوصف الذي ذكرناه.

أبو القاسم الشاطبي

وأبو القاسم الشاطبي المدفون بهذه التربة، هو أحد أئمة القراءات وعالم من علماء مصر الذين أوتوا حظًّا كبيرًا من العلم والعمل، أفرده بالترجمة أبو عبد الله الشاطبي المعافري الأنصاري المدفون بالإسكندرية في سنة (٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م)[١]، في مؤلف سماه «الزهر الماضي في مناقب الشاطبي»، والبدر محمود العيني في مؤلف آخر مخطوط بدار الكتب، وترجم له النووي وابن الزيات والسخاوي وابن الصلاح وياقوت والذهبي والصفدي وابن الجزري والسيوطي وغيرهم، وأنشد له الصلاح الصفدي في نكت الهميان من شعره[٢].

بكى الناس قبلي لا كمثل مصائبي
بدمع مطيع كالسحاب الصوائب
وكنا جميعًا ثم شتت شملنا
تفرق أهواء عراض المواكب

ومنه

قل للأمير نصيحة
لا تركنن إلى فقيه
إن الفقيه إذا أتى
أبوابكم لا خير فيه

قال هذين البيتين وكتب بهما إلى الأمير عز الدين موسك أحد أمراء دولة بني أيوب المتوفى سنة (٥٨٤هـ/ ١١٨٨م)، الذي ينسب إليه شارع الموسكي بالقاهرة؛ لبنائه قنطرته التي كانت على الخليج المصري عند ملتقى شارعي السكة الجديدة والموسكي، وكان قد طلبه لأمر ما فأبى الذهاب إليه كرامة للعلم، وخشية من أن يرى على باب أمير «وهو العالم المنقطع النظير وقتئذ» فكان ذلك سببًا لإكبار الأمير عز الدين له وإعجابه به[٣].

= وسبب انتقاله من بلاده إلى مصر أنه أريد على أن يتولى الخطابة بها، فاحتج أنه قد وجب عليه الحج وأنه عازم عليه فتركها، ولم يرجع إليها تورعًا مما كان يلزمون به الخطباء من ذكرهم على المنابر بأوصاف لم يرها سائغة شرعًا، وصبر على فقر شديد، وسمع بالإسكندرية على الحافظ أبو الطاهر السلفي، ثم قدم القاهرة فطلبه القاضي الفاضل للإقراء بمدرسته فأجاب بشروط اشترطها عليه على ما كان عليه من الفقر، انظر: شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسي، **تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين**، تحقيق إبراهيم شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢): ٦- ٧.

(١) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٣٣٣.
(٢) صلاح الدين خليل الصفدي، **نكت الهميان في نكت العميان**، تحقيق أحمد زكي بك (القاهرة: المطبعة الجمالية، ١٩١١): ٢٢٨- ٢٢٩.
(٣) قنطرة الموسكي: هذه القنطرة على الخليج الكبير، يتوصل إليها من باب الخوخة وباب القنطرة، ويمر فوقها إلى بر الخليج الغربي، =

ومنشـأ أبي القاسم هذا في شاطبة إحدى قرى بلنسية المدينة المشـهورة بشرق الأندلس؛ وشاطبة هذه من أحسن قراها يضرب بحسنها المثل، وقد كانت في عهد الأمويين تمتاز عن غيرها من البلاد الأندلسـية بمصنع الورق ذلك المصنع العظيم الذي أنشأه المسلمون بها؛ الذي تدين له أوروبا وتقر له بالفضل، إذ كان هو الحجر الأسـاسي لهـا في تعلمها هذه الصناعة من المسلمين وإدخالها إلى بلادهم، ومن هذا يتبين أن الشرق سـابق على الغرب بمراحل في كل مدنيات العالم، وأن المسلمين وحدهم هم أساس ذلك المجتمع، وهم ينبوع كل خير وصل ويصل إلى العالم، ولو أنهم اتبعوا مناهج أسلافهم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع لدوخوا العالم أجمع ولأرهبوه، ولكن يا للأسى! وقد تفنن الشـعراء في شـاطبة هذه ووصفوها في أشعارهم وقصائدهم بما هو مثبت في مظانه.

ترجمة الشاطبي

وقـد اطلعنا على ترجمة للشـاطبي هـذا في «طبقات القراء» لابن الجـزري ونقتبس منها مايأتي: «القاسـم بن فيرة (بكسر الفاء بعدها ياء آخر الحروف سـاكنة ثم راء مشدودة مضمومة بعدها هاء، ومعناه بلغة عجم الأندلس - الحديد، بن خلف بن أحمد الشـاطبي الرعيني الضرير، ولد سـنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) بشاطبة في الأندلس، ثم رحل للحج وسمع من أبي طاهر السـلفي بالإسكندرية، ولما دخل مصر أنزله القاضي الفاضل بمدرسـته التي بناها بدرب الملوخيا داخل القاهـرة، وجلس للإقـراء بهـا، وكان إمامًا كبيرًا أعجوبـة في الذكاء، كثير الفنون، آية مـن آيات الله تعالى، غايـة في القرآن، حافظًا للحديث، بصيرًا بالعربية، إمامًا في اللغة، رأسًا في الأدب مع الزهد والولاية والعبادة والانقطاع والكشـف، شافعي المذهب مواظبًا على السنة، بلغنا أنه ولد أعمى، ولقد حكى عنه أصحابه ومن كان يجتمع به عجائب وعظموه تعظيمًا بالغًا حتى أنشـد الإمام الحافظ أبو شـامة المقدسي رحمه الله من نظمه في ذلك»[1].

رأيـت جماعة فضلاء فـازوا
برؤية شيخ مصر الشاطبي
وكلـهـم يـعـظـمـه ويـثـني
كتعظيم الصحابة للنبي

متن الشاطبية وما قيل فيه

قال ابن الجزري في الطبقات: «من وقف على قصيدته علم مقدار ما آتاه الله في ذلك خصوصًا اللامية التي عجز البلغاء من بعده عن معارضتها، فإنه لا يعرف مقدارها إلا من نظم على منوالها، أو قابل بينها وبين ما نظم على طريقها، ولقـد رزق هذا الكتاب من الشـهرة والقبول ما لا أعلمه لكتـاب غيره في هذا الفن، بـل أكاد أقول ولا في غير هذا الفن، فإني لا أحسب أن بلدًا من بلاد الإسلام يخلو منه، بل لا أظن أن بيت طالب علم يخلو من نسـخة، ولقد تنافس الناس فيها ورغبوا من اقتناء النسـخ الصحاح بها إلى غاية حتى أنه كانت عندي نسـخة من اللاميـة والرائية بخط الحجيج صاحب السخاوي، مجلدة فأعطيت بوزنها فضة فلم أقبل، ولقد بالغ الناس في التغالي فيها وأخذ أقوالها مسلمة، واعتبار ألفاظهـا منطوقًا ومفهومًا، حتى خرجوا بذلك عن

= أنشأها الأمير عز الدين موسك بن جكرا وهو ابن خال السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وكان خيرًا يحفظ القرآن، ويحب أهل العلم والصلاح ويؤثرهم، مات بدمشق في سنة (٥٨٤هـ/ ١١٨٨م)، وقد أزيلت هذه القنطرة في سنة (١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م)، موقعها الآن في مواجهة شارع جوهر القائد شمال تقاطع شارع الأزهر مع شارع بورسعيد، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٩٣، هامش ٢.

(١) ابن الجزري، محمد بن محمد، **غاية النهاية في طبقات القراء**، تحقيق ج. برجستراسر، مج. ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦): ٢٠-٢٢.

حد أن تكون لغير معصوم، وتجاوزوا بعض الحد فزعم أن ما فيها هو القراءات السبع، وأن ماعدا ذلك شاذ لا تجوز القراءة به، ولا أعلم كتابًا حفظ وعرض في مجلس واحد وتسلسل بالعرض إلى مصنفه كذلك إلا هو»[١].

القاضي الفاضل

والقاضي الفاضل الذي نسب إليه هذا الأثر هو عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن أحمد المعروف بالقاضي الفاضل، ولد بعسقلان سنة (٥٢٩هـ/ ١١٣٤م) وقدم إلى القاهرة في عهد الخليفة الحافظ لدين الله الفاطمي بديوان الإنشاء واستمر إلى أن زالت الدولة الفاطمية وأسس صلاح الدين الدولة الأيوبية، فاتخذه وزيرًا معزوز الجانب مدة صلاح الدين وخلفه ولم يبدأ نجمه يأفل إلا في عهد الملك العادل قال المقريزي في ترجمته في كتابه الخطط: «فمات منكوبًا أحوج ما كان إلى الموت عند تولي الإقبال وإقبال الإدبار في سحر يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن بتربته في القرافة الصغرى»[٢].

وللقاضي الفاضل سيرة لا تتحملها هذه العجالة، قال عبد اللطيف البغدادي يصفه: «ودخلنا عليه فرأيت شيخًا ضئيلاً كله رأس وقلب وهو يكتب ويملي على اثنين ووجهه وشفتاه تلعب ألوان الحركات في إخراج الكلام وكأنه يكتب بجملة أعضائه، وكان في غرام في الكتابة وكان له الدين والعفاف والتقى والمواظبة على أوراد الليل والصيام وقراءة القرآن كثير الحسنات، وأتم التهجد واشتغل بعلوم الأدب وتفسير القرآن، برز في صناعة الإنشاء وفاق المتقدمين»[٣]

(١) ابن الجزري، **غاية النهاية**، مج. ٢: ٢٠-٢٢.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٤٦٣-٤٦٤.

(٣) عبد اللطيف البغدادي، **كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر**، ط. ٢ (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٨): ٤١- ٤٢.

قال المؤرخ ابن خلكان: «أخبرني أحد الفضلاء الثقات أن مسودات رسائله في المجلدات والتعليقات في الأوراق إذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد، هو مُجيد في أكثرها»[٤].

وقد أورد القلقشندي في «صبح الأعشى» جملة وافرة من رسائله، يفتتحها بآيات من القرآن الكريم ثم يصيغها في أدب جم وعلم غزير لا تكلف فيه ولا تصنع، وقد جمعت رسائله وطبع ما وجد منها وفيها من ألوان الأدب العربي ما لا نظير له في رسائل أخرى.

وقد دفن بهذا الأثر ابن القاضي الفاضل وهو الأشرف أبو العباس أحمد مات سنة (٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) ومولده سنة (٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)[٥]، ودفن به القاضي مجلي بن جميع بن نجا الأرسوفي المخزومي مؤلف كتاب «الذخائر في الفقه» في ذي القعدة سنة (٥٥٠هـ/ ١١٥٥م)، وقبره على باب تربة الشاطبي لجهة الشرق[٦].

وإلى القاضي الفاضل تنسب منشأة ومسجد الفاضل بين شارعي المدرسة والطرقة الغربي قسم قصر النيل[٧]،

(٤) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مج. ٣: ١٥٨-١٥٩؛ المقريزي: **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٤٦٤- ٤٦٥.

(٥) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مج. ٣: ١٦٣، مج. ٧: ٥٧.

(٦) أبو المعالي مجلي بن جميع بن نجا القرشي المخزومي الأرسوفي الشامي ثم المصري: مصنف كتاب «الذخائر» وهو من كتب المذهب المعتبرة، شيخ الشافعية بمصر، ولي قضاء مصر بتفويض من العادل بن السلار سنة سبع وأربعين، ثم عزل بعد سنتين، مات في ذي القعدة سنة خمسين وخمسمائة، ودفن بالقرافة الصغرى، والأرسوفي نسبة إلى أرسوف وهي بليدة بالشام (فلسطين) على ساحل البحر، وهو مصنف كتاب الذخائر في المذهب الشافعي، وهو كتاب جليل نفيس فيه أشياء غريبة، انظر: المرجع السابق، مج. ٤: ١٥٤، السيوطي، **حسن المحاضرة**، مج. ١: ١٧٠.

(٧) منشأة القاضي الفاضل: في مابين ميدان اللوق وبستان الخشاب، عرفت بهذا الاسم نسبة للقاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني، الذي أنشأ بها بستانًا عظيمًا كان يمير أهل القاهرة من ثماره وأعنابه، وعمر بجانبه جامعًا فقيل لتلك الخطة منشأة =

وقد درس بالمسجد منذ أمد بعيد، ودار الحديث بمحلة الكلاسة بدمشق، وقد استمرت إلى سنة (٩١٥هـ/ ١٥٠٩م)، ثم تحولت إلى مسجد يعرف حاليًّا بمحب الدين[١]، وقيسارية الفاضل بالقاهرة، وقد آلت إلى المنصور قلاوون فوقفها على البيمارستان المنصوري، وهي الآن جارية في وقف السيدة نفيسة المرادية بشارع السكرية بالقاهرة[٢].

الأمير يوسف كتخدا

والأمير يوسف كتخدا الذي ورد اسمه في هذه النقوش المذكورة بهذا الأثر هو أحد محافظي مصر في مدة ولاية محمد خسرو باشا على مصر ذكره الجبرتي في حوادث سنة (١٢١٦-١٢٢٠هـ/ ١٨٠١-١٨٠٥م)[٣].

المدرسة الفاضلية بالقاهرة

وللقاضي الفاضل مدرسة أنشأها بالقاهرة بجوار داره في سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) ذكرها المقريزي في المدارس، قال: «إنها بدرب ملوخية وقفها على طائفتي الفقهاء الشافعية والمالكية، وجعل فيها دارًا للقرآن ودراسة علومه، عين لها الشاطبي الآنف الذكر شيخًا لها، وخلفه في مشيختها تلميذه محمد بن عمر القرطبي، وأودع بها مجموعة من الكتب التي وصلت إليه من مكتبات الفاطميين، وألحق بها مكتبة وسقاية ماء»[٤]، وقد تلاشت هذه المدرسة وبقي من مخلفاتها زاوية صغيرة تعرف بزاوية سيدي عبد الكريم، والسبيل والمكتب بدرب القزازين بشارع أم الغلام «الغلمان الصالحية سابقًا»[٥]، وقد تبدد ما فيها من الكتب وأدرك السلطان الغوري منها المصحف العثماني في سنة (٩١٠هـ/ ١٥٠٤م)، وأودعه بمدرسته بالشرابشيين «الغورية»[٦]، وهو المصحف المودع بخزانة الآثار النبوية بالمشهد الحسيني اليوم.

المدرسة الفاضلية بدمشق

وله مدرسة أخرى بالكلاسة بدمشق، جعل منها دارًا للحديث النبوي، وقد بقيت تؤدي رسالتها إلى سنة (٩١٥هـ/ ١٥٠٩م)، ثم تحولت إلى مسجد منذ استولى عليها الأمير محب الدين ناظر الجيوش فعرفت به وبها قبره للآن[٧].

= الفاضل، وما لبث أن استولى البحر على جميع ما بهذه المنشأة من عمارة بعد سنة (٦٦٠هـ/ ١٢٦١م)، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ١٦٤.

(١) عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، **الدارس في تاريخ المدارس**، مج. ١ (بيروت، ١٩٩٠): ٦٧-٧١.

(٢) قيسارية الفاضل: تنسب للقاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني، وهي على يمنة من يدخل من باب زويلة، وهي من جملة أوقاف المارستان المنصوري، وبجانبها يباع جهاز العرائس وشوارهن، ويعلوها ربع فيه عدة مساكن، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢٩٤.

(٣) الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٣: ٣٨٩، ٣٩٢.

(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٤٦٢.

(٥) حارة الغلمان الصالحية: عرفت بغلمان الصالح طلائع بن رزيك، وهي موضعان الصالحية الكبرى والصالحية الصغرى، وموضعهما فيما بين المشهد الحسيني ورحبة الأيدمري وبين البرقية، وكانت من الحارات العظيمة، عن شارع أم الغلام، وحارة الغلمان الصالحية، ودرب القزازين (درب ملوخيا)، ومابهم من منشآت وآثار، انظر: المرجع السابق، مج. ٣: ٣٢؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ٢٣٤- ٢٣٩.

(٦) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٢٧- ٣٢٩.

(٧) النعيمي، **الدارس في تاريخ المدارس**، مج. ١: ٦٧- ٧١.

الفصل الرابع

المزارات الإسلامية في شمال وشرق مدينة القاهرة

القرافة، باب النصر، باب الوزير، البستان، ميدان القبق، والبرقية

مسجد أحمد الميافارقيني (المدرسة القاصدية)

أثر رقم ١٠ (سنة ٧٣١هـ/ ١٣٣١م)

بشارع باب النصر رقم ١٠ شمال القاهرة[1]، أنشأه سيف الدين أحمد الميافارقيني الشهير بالفارقي، قدم إلى مصر في عصر الملك الناصر محمد بن قلاوون قاصدًا (رسولاً)، وأنزله بمنظرة التاج والسبع وجوه[2]، بأرض البعل (ميدان فخري والقبيسي)، ولم يلبث حتى مات بعد استقراره بمصر برهة، ودفن بتربة هذا الأثر.

وقرأنا على قبره هذا النص:

البسملة، آية الكرسى، كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام. هذا ضريح الفقير إلى الله تعالى أحمد من أهل ميافارقين.

ويلي ذلك اسم مهندس الأثر في عبارة هذا نصها:

عمل علي ابن عمر

وكان في جانب الأثر حوضًا لسقي الماء مكتوب عليه ما نصه:

البسملة، أنشأ هذا الحوض المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد الفارقي. وأوقف عليه المسبلات التي بجريه... بتاريخ سنة أحد وثلاثين وسبعماية

ويعلو قبر المنشئ قبة مجصصة لطيفة، وهي على صغرها ترى منسجمة غاية الانسجام، وظاهرها مضلع، وعليها طراز مقوم بزخارف كتابية من القرآن الكريم، تظهر فيها آيات الكرسي من سورة البقرة، وداخلها يلفت النظر بالمقرنصات الجصية التي تتدلى من زواياها الأربع، ثم بشبابيكها الثمانية المصنوعة من الزجاج الملون المزدوج الذي يترقرق فيه ماء الألوان بشكل يدعو إلى التأمل، وبالرغم من أنها فقدت غالب زخارفها الطرازية فإن ما تبقى منها أكثر وأعظم مما فقد، ويتوسط القبة قبر دفن فيه أحمد الميافارقيني هذا، منشئ هذا الأثر بعد سنة (٧٣١هـ/ ١٣٣٠م).

وبدائرة القبة من الخارج طراز يبدأ بالبسملة وبآية: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة/ ١٨]، وينتهي بالصلاة على النبي ﷺ، ويحيط بداخل القبة إزار من الجص يتضمن وقفية القاصد على هذا المسجد والتربة مؤرخة بسنة (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م)، وقرأنا فيها ما هو باقٍ منها إلى الآن من المرتبات التي رتبها للإمام والمؤدب والقراءة.

ويقوم على هذا القبر صندوق من الرخام المسنون المقوم بزخارف كتابية يقرأ فيها آيات الكرسي محيط به من جوانبه الأربع، وثمة بعض بقايا أخرى بنفس الأثر بيد أنها خفيفة، والمؤكد أن يكون المنشئ جاء إلى القاهرة في عصر الملك الناصر قاصدًا «أي سفيرًا» لبعض ملوك الشرق ثم

---

(١) أشار المقريزي في الخطط إلى بقايا هذه المدرسة في معرض حديثه عن موقع باب النصر فيقول: «كان باب النصر أولاً دون موضعه اليوم، وأدركت قطعة من أحد جانبيه كانت تجاه ركن المدرسة القاصدية الغربي بحيث تكون الرحبة التي فيما بين المدرسة القاصدية وبين بابي جامع الحاكم القبليين خارج القاهرة» وتعرف الآن بزاوية أحمد القاصد، انظر: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: المعروف بالخطط المقريزية**، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مج. ٢ (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠٠٣): ٢٧١.

(٢) منظرة التاج والسبع وجوه: هما من إنشاء الأفضل ابن أمير الجيوش الأفضل شاهنشاه وزير الخليفة المستعلي بأحكام الله، وهما من جملة المناظر التي كانت الخلفاء تنزل بهم، وقد ذكر المقريزي منظرة السبع وجوه باسم الخمس وجوه وأن العامة تقول التاج والسبع وجوه، انظر: المرجع السابق: ٥٦٧-٥٦٨.

استقر بها حتى مات، وقد أغفل المؤرخون ذكر هذا القاصد فلم يذكروه فيمن وفد إلى مصر في عصر الملك الناصر.

ويتصل بهذه القبة مسجد صغير يصلى فيه، يبدو من تفاصيله أنه متغاير تغايرًا بعيدًا عن الأثر، وربما كان هو كل ما تبقى من مساحة المدرسة القاصدية، ويؤكد الوزير علي مبارك باشا، أن هذا المسجد جدد في حدود القرن التاسع[1]، فقد نقل لنا نصًّا تاريخيًّا فقد الآن، ورد فيه ما يلي:

جدد هذا المسجد المبارك من فضل الله تعالى العبد الفقير المقر. بالعجز والتقصير الراجي عفو ربه علي بن حسين سنة تسعماية(٢)

ويلوح أن منشئ هذه المدرسة قصد أن يجعل منها معهدًا للقراءات وتربة لدفنه، فقد أفاد الحافظ السخاوي أن هذه المدرسة ظلت مستعملة للقراءات حتى عصره، وكان شيخها إذ ذاك الشيخ ناصر الدين القاصدي [انظر الضوء اللامع][3].

(١) في كتاب وقف الملك الأشرف قايتباي المحرر في سنة (٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م) أنه جدد هذه المدرسة ووقف عليها جزءًا من موقوفاته. (المؤلف)

(٢) ذكر علي مبارك هذه المدرسة ضمن الزوايا، وأطلق عليها زاوية القاصد، وحدد موقعها بجوار باب النصر بين باب العطوف ووكالة الحتو عند سوق العصر، الذي يباع فيه عتيق الثياب ونحوها، انظر: علي باشا مبارك، **الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة**، مج. ٦ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧): ١١٢.

(٣) ذكر السخاوي اسمه في معرض حديثه عن علي بن محمد بن عمر البطائحي، ولم يترجم له، انظر: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، مج. ٦ (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢): ٢.

ميافارقين

وميافارقين البلد الذي نسب إليه منشئ هذا الأثر، هي من أكبر مدن ديار بكر بن وائل بالموصل واقعة على نهر دجلة غربًا بقرب آمد، وهي مدينة شهيرة الذكر، أسسها الملك قسطنطين ملك الروم وبقيت في حوزة ملوك الروم حتى حين، ثم آلت إلى مملكة الفرس في عهد الملك قباذ بن فيروز الساساني فسماها باسمه وجددها ابنه الملك أنو شروان، وفي آخر حكم الدولة الساسانية تغلب عليها الملك هرقليوس ملك الروم؛ فأعادها إلى مملكته فبقيت تابعة للدولة الرومانية الشرقية، حتى فتحها عياض بن غنم بقيادة الحكم بن هشام في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في سنة (١٨هـ/ ٦٣٩م)، وبنى بها مسجدًا جامعًا.

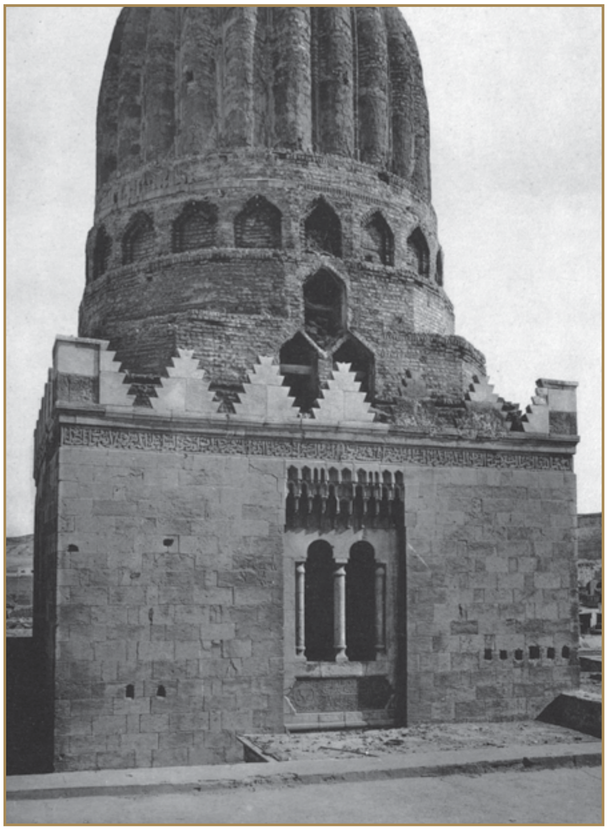
وكانت هذه المدينة في أول الفتح الإسلامي تابعة لحكومة مصر، وتولاها بنو حمدان في عصر الدولة الإخشيدية والعصر الذي سبقه مباشرة وبنو أيوب طوال مدة الحكم الأيوبي في مصر، وتولاها منهم المظفر غازي ابن العادل بن أيوب في سنة (٦٠٨هـ/ ١٢١١م)، وبقيت ولايتها في عقبه زمنًا، ثم بقيت بعد ذلك تابعة لمصر بالسيادة من ذلك العهد حتى آخر دولة الملوك الأخيرة، بيد أنها خرجت عن الطاعة جملة مرات، واستردها الملك الأشرف برسباي في سنة (٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م)، ثم شقت عصا الطاعة ثانية في عهد الملك الأشرف قايتباي فجرد إليها حملة كبيرة بقيادة الأمير يشبك الدوادار، فقاوم العصاة مقاومة شديدة، ولكنه لم يسترد المدينة، فبقيت منعزلة عن المملكة المصرية،

واستمرت حتى آلت للسلطان سليم العثماني في سنة (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)، وهي الآن تابعة لحكومة تركيا[١].

قبة طاشتمر (حمص أخضر)

أثر رقم ٩٢ (سنة ٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م)

هذه القبة بشارع العفيفي بالجبانة الشرقية[٢]، وهي من اللبن مضلعة يكسو رقبتها طراز من غضائر القاشاني وقد فقد غالبها، وقاعدتها من الحجر يحيط بأعلاها زخارف مقومة بكتابات قرآنية من سورة يس، ومنشؤها هو الأمير طاشتمر البدري الساقي الناصري المعروف بحمص أخضر «ملانة»، لأنه كان يحبه ويكثر من أكله، ترجمه ابن حجر في «الدرر الكامنة» وأفاد: «أنه تنقل في عدة وظائف أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون، ثم ولي نيابة السلطنة، ثم نالته محنة من السلطان سافر بسببها إلى الروم، وعاد بعدها قابعًا في بيته حتى مات في سنة (٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م)، ودفن بتربته هذه»[٣].



منظر عام لقبة طاشتمر «عن فييت»

ولا يزال الأثر يحمل اسم المنشئ في عبارة هذا نصها:

(١) زكريا محمد بن محمود القزويني، **آثار البلاد وأخبار العباد** (بيروت: دار صادر، ١٩٩٨): ٥٦٥.

(٢) تقع هذه القبة حاليًّا بشارع الدرملي المتفرع من شارع العفيفي، صحراء المماليك الشرقية، انظر: **دليل الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة** (القاهرة: مجلس الوزراء، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، برنامج الثقافة والتراث، ٢٠٠٠): ٧٧-٧٩.

(٣) طشتمر البدري الساقي الناصري حمص أخضر: اشتراه الناصر صغيرًا ورباه حتى حظي عنده، ثم قبض عليه وأفرج عنه وجعله من الخاصكية، تولى نيابة حلب (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)، ثم فر إلى الروم ثم أصبح نائبًا لمصر من قبل الناصر أحمد إلى أن قبض عليه وسجنه بالكرك، كان شجاعًا كثير الآثار واسع الصدر، وهو الذي بنى الدار العظيمة والربع الذي بجانبها في حدرة البقر، وعمَّر الجامع بالصحراء وعمَّر الجامعين بالزريبة والربع بالحريرين، مات سنة (٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م)، انظر: الحسن بن عمر بن الحسن ابن عمر بن حبيب، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، تحقيق محمد محمد أمين، تقديم سعيد عبد الفتاح عاشور، ط. ٢، مج. ٣= = (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢-١٩٨٦): ٤٦؛ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، مج. ٢ (حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٣٠): ٢١٩-٢٢٠؛ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، تحقيق محمد محمد أمين، مج. ٤ (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٦): ٣٩٢-٣٩٤؛ جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، مج. ١٠ (القاهرة: دار الكتب المصرية، د.ت.): ١٠١-١٠٢؛ محمد بن أحمد ابن إياس الحنفي، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق وتقديم محمد مصطفى، مج. ١، ج. ١ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢): ٤٩٧-٤٩٨.

البســملة آية الكرسي برســم المقر العالي الأميري السيفي طشتمر الســاقي الناصري. ختم الله له بخير في ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وسبعمائة

وقد دفن بهذه التربة جماعة من العلماء من أشــهرهم الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن حســين بن عبد الرحمن العراقي ولد بمنشــأة المهراني ظاهر القاهرة في جمادى الأولى سنة (٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م)، وبرع في علوم الحديث والفقه مات في الثامن من شعبان سنة (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م)[(١)].

ودفــن بها ولده الحافظ أبو زرعــة أحمد، ولي القضاء وكان نابغة كأبيه مات في شعبان سنة (٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م)[(٢)].

وفي الجهة الشمالية من التربة قبر المرحوم الشيخ سليم ابن عبد الرحمن بن ســليم العســقلاني، كان من مشهوري علمــاء الأزهر ومن المقربين لدى حكام عصره مات ســنة (٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م)[(٣)].

وعلى قيد غلوة من قبر الشــيخ خليــل بن عثمان بن عبد الرحمن القــرافي عرف بأبي الصفاء من علماء الحنابلة تصدر لإقراء القرآن الكريم بمســجد اللؤلؤة بسفح المقطم وبمسجد الحراني بسارية، ثم انتقل إلى قبة طاشتمر فأقرأ بها زمنًا، وكان للملك الظاهر برقــوق مُعَتقَدْ به، مات في ربيع الأول سنة (٨٠١هـ/ ١٣٩٨م)[(٤)].

قبة الوزير نجم الدين

أثر رقم ٨٤ (سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)

هــذه القبة بأقصى جبانة باب الوزير[(٥)] بين المدرســة النظامية وبين مســجد تنكز أمير مجلس، وهي قبة صغيرة جدد ما تصدع منها في سنة (١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م).

ومنشئ هذا الأثر هو الوزير نجم الدين محمود بن علي بــن شروان المعروف بوزير بغداد، قدم إلى مصر يوم الجمعة ثامن صفر سنة (٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م) فارًّا من العراق بعد مقتل موسى ملك التتار، فأنعم عليه السلطان الملك الناصر محمد

(١) شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر في أبناء العمر**، تحقيق حسن حبشي، مج.٢ (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٩٤): ٢٧٥-٢٧٩؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٧: ٢٤٥-٢٥٠؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٤: ١٧١-١٧٨.

(٢) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ٣١١؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ١: ٣٣٢-٣٣٥؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١: ٣٣٦-٣٤٤.

(٣) اعتقد فيه الناس وكانوا يقصدونه للتبرك وكان مقربًا من الأشرف برسباي، انظر: ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٤: ٥٧؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٦: ٦٢-٦٥؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٢٧.

(٤) خليل بن عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الجليل الشيخ أبو الصفا القرافي المصري المقرئ الحنبلي ظنًّا ويعرف بالمشبب ولد سنة ٧١٥هـ، انظر: ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٢: ٧١؛ تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي ابن عبد القادر ابن محمد المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مج. ٥ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧): ٤٦٠؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٢٠٠.

(٥) باب الوزير: أحد أبواب القاهرة الخارجة عن سورها الشرقي الذي أنشأه صلاح الدين، في المسافة بين الباب المحروق وبين قلعة الجبل، فتحه في السور الشرقي سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) الوزير نجم الدين محمود بن علي بن شروين، المعروف بوزير بغداد، وقت أن كان وزيرًا للسلطان الأشرف كجك بن الناصر محمد، لمرور الناس ما بين المدينة وبين الجبانة الواقعة خارج السور، المعروفة بقرافة باب الوزير، وعلى الأخص بعد سد الباب المحروق، ولهذا عرف من ذلك الوقت باسم باب الوزير، ولا يزال موقع هذا الباب قائمًا إلى اليوم على رأس شارع التربة الموصل بينه وبين شارع باب الوزير بالقرب من جامع أيتمش البجاسي، والباب الحالي جدده الأمير طراباي الشريفي صاحب القبة المجاورة لهذا الباب سنة ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٢٦٦، هامش ١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ١٨٠، هامش ٢.

ابن قلاوون بإقطاع إمرة تقدمة ألف، واستمر حتى مات الملك الناصر فقلده ولده الملك المنصور أبو بكر الوزارة بالديار المصرية في يوم الإثنين ١٣ من المحرم سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)، وبنى له دار الوزارة بقلعة الجبل فلم يزل إلى أن صرف في أيام الملك الصالح إسماعيل عن الوزارة في مستهل رجب سنة (٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م)، ثم أعيد إليها في ذي الحجة من السنة ثم صرف عنها في سنة (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م)، وتقاعد بعدها حتى مات قتلاً في سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، ودفن بتربته هذه[١].

وإلى المنشئ المذكور ينسب باب الوزير الذي جعله مدخلاً إلى القرافة وهو باب الوداع[٢]، وقد أدركنا هذا الباب في أوائل هذا القرن بين تربة يونس وسقاية شيخو، وشارع باب الوزير «حدرة الصوة سابقًا»[٣]، لا يزال اسمه علمًا عليه إلى اليوم، وقد تخلف من هذا الأثر نص تاريخ قرأنا فيه ما يلي:

مما عمل برسم المقر العالي المولوي الأميري الكبيري الغازي المجاهدي المرابطي العوني الذخري الهمامي العضدي السيدي المخدومي المشيري الظهيري النصيري المالكي الذخري العدني الغياثي النجم نجم الدين محمود الملكي الناصري

قبة طغاي تمر (السناهرة)

أثر رقم ٨٦ (سنة ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م)

خارج باب البرقية ببستان العلماء، عليه بقية من كتابة هذا نصها:

المقر العالي المولوي الأميري الكبيري الغازي المجاهدي المرابطي المثاغري المؤيدي الذخري العوني الغياثي السيفي طغاي تمر الساقي الملكي الناصري

منشئ هذا الأثر هو الأمير طغاي تمر النجمي الدوادار[٤]، خدم عند الملك الصالح إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون دوادارًا، واستقر على وظيفته أيام أخويه الكامل شعبان والمظفر حاجي، ثم رقي إلى أمير مائة فمقدم ألف، وما برح حتى مات قتلاً في سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، ودفن بتربته[٥].

---

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ١٦١-١٦٢؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٤: ٣٣١-٣٣٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ١٨٣، ومما أورده أبو المحاسن يتبين أنه صاحب الخانقاه بالقرافة. (المراجع)

(٢) ينسب بعض الدارسين لهذه المعالم باب طراباي لهذا الوزير، وهذا خطأ. (المؤلف)

(٣) حدرة الصوة : اسم يطلق على المنطقة الجبلية الواقعة في الجهة الشمالية البحرية من قلعة القاهرة فيما بين القلعة وجامع الرفاعي، ويتوسطها الطريق المعروف بسكة المحجر ودرب المارستان بخط القلعة، انظر: ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ٤٣.

(٤) وقد عرفت هذه القبة باسم خانقاه طغاي تمر النجمي أو قبة السادات الشناهرة، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٧٨٢-٧٨٣.

(٥) الأمير سيف الدين طغاي تمر النجمي الدوادار: دوادار الملك الصالح إسماعيل والكامل والمظفر حاجي، من أحسن الأشكال وأبهى الوجوه، جاء مع فياض بن مهنا لما أفرج عنه من الاعتقال، وتوجه معه إلى بيوته بناحية البصرة وذلك في أول دولة الصالح، ثم إنه تقدم وصارت له وجاهة عظيمة، وأعطي إمرة مائة فارس وتقدمة ألف في أول دولة المظفر، وعمر في الأيام الصالحية الخانقاه التي أنشأها خارج باب المحروق ظاهر القاهرة، ولما كان في واقعة الحجازي وآقسنقر وأولئك الأمراء وإمساكهم، رمى هو سيفه بنفسه وبقي بلا سيف بعض يوم، ثم إن السلطان أعطاه سيفه واستمر به في الوظيفة على عادته، ثم لما كان بعد شهر=

قال الحافظ ابـــن حجر في «الدرر الكامنـــة»: «وعَمَّر الخانقـــاه الدويدارية بالصحراء المعروفـــة بالنجمية خارج باب البرقية»[١].

وقد قومت لجنة الآثار الإســـلامية هذا الأثر في سنة (١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م)، وأثبتت ذلك في نص تاريخي يحمله الأثر.

والســـناهرة بالسين نسبة إلى سنهور من بلاد الغربية، اتصلوا بهذا الأثر عن طريق المرحوم الفقيه الشيخ نور الدين علي الســـنهوري أحد علماء الفقه والحديث، تولى الإمامة والخطابة بالجامع الأقمر، وله مصنفات في النحو والقراءات، ونظم الأجرومية وشرحها، مات سنة (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) ودفن بهذه التربة[٢]، وتتابع أولاده وحفدته الدفن بها فعرفت بهم، وتسجلها لجنة حفظ الآثار الاســـلامية بالشين، وآخر من دفن بها في السناهرة المرحوم شمس الدين محمد السنهوري شارح التبريزي، مات سنة (٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م)[٣].

قبة خوند طغاي (أم أنوك)

أثر رقم ٨١ (سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٦م)

هذه القبة بشـــارع قرافة باب الوزير بالقرافة الشرقية، تخلفت من تربة وخانقاه أنشـــأتها الخوند طغاي زوجة الملك الناصر محمد بن قـــلاوون «أم ولده أنوك» في ســـنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٦م)، وكملت في السنة التالية[٤]، وقد بقيت هذه الخانقاه تؤدي رسالتها حتى سنة (١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م)، فلما دخلت الحملة الفرنسية إلى مصر خربها الفرنسيون وهدموا مئذنتها، وبقيت متخربة حتى بنى على أطلالها الشيخ عبد الله الشرقاوي، شيخ الجامع الأزهر [المتوفى سنة (١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م)]، جامعه الباقي إلى اليوم[٥].

= أُخرج هو والأمير نجم الدين محمود بن شروين الوزير والأمير سيف الدين بيدمر البدري إلى الشام على هُجُن، ثم إن الأمير سيف الدين منجك لحقهم في غزة، حيث قتلهم في سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، انظر: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مج. ١٦ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠): ٢٥٧-٢٥٨؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٧٨٣-٧٨٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ١٨٤؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ١٤٥-١٤٦.

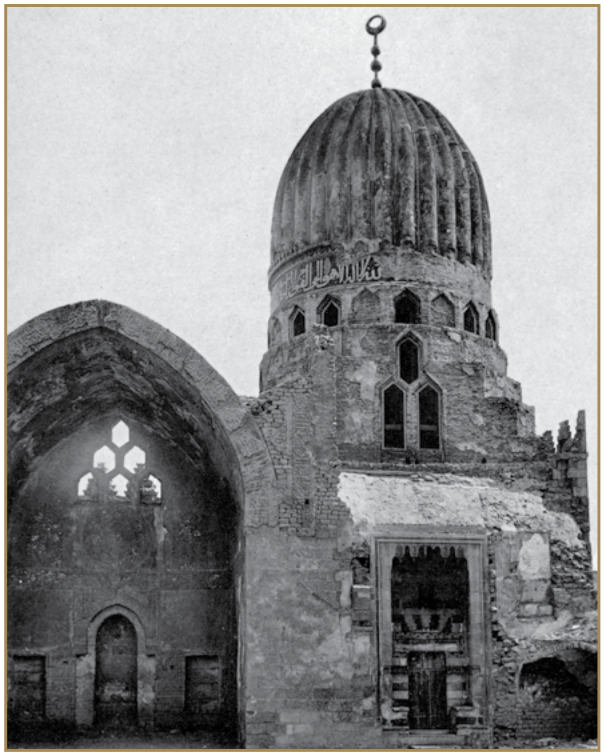
(١) ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ٢٢٣.

(٢) اسمه علي بن عبد الله بن علي نور الدين النطوبسي: ثم السنهوري ثم القاهري الأزهري المالكي الضرير، ولد سنة (٨١٤هـ/ ١٤١١م)، وقيل ٨١٥هـ/ ١٤١٢م، وكان معاصرًا للسخاوي، توفي في رجب سنة (٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م)، حسب ما يذكر كلٌّ من السخاوي وابن إياس، ودفن بحوش عبد الله المنوفي وليس كما يذكر صاحب المزارات، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٥: ٢٤٩-٢٥١؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٢٠٨.

(٣) اسمه شمس الدين محمد بن عبد الله السنهوري الشافعي، فرائضي حيسوب، توفي سنة (٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م)، وليس كما يذكر صاحب المزارات، انظر: إسماعيل باشا البغدادي، **هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، مج. ٢ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٥): ٢٣٧.

(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٧٦٠، ٧٨٤-٧٨٦.

(٥) أشار الجبرتي إلى وجود ساقية بهذه الجبانة والتي كانت تعرف بالبستان إذ يقول: «وكانت ساقيتها تجاه بابها في علوة يصعد إليها بمزلقان، ويجري الماء منها إلى الخانكاه على حائط مبني، وبه قنطرة يمر من تحتها المارون، وتحت الساقية حوض لسقي الدواب، وقد أدركنا ذلك وشاهدنا دوران الثور في الساقية، ثم إن المترجم (المقصود الشيخ عبد الله الشرقاوي) أبطل الساقية وبنى مكانها زاوية، وعمل لنفسه بها مدفنًا، وعقد عليه قبة، وجعل تحتها مقصورة بداخلها تابوت عالٍ مربع وعلى أركانه عساكر فضة»، انظر: عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، **التاريخ، المسمى، عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، مج. ٤ (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٩٨): ٢٥٩-٢٦٠.



قبة خوند طغاي «أم أنوك»، منظر عام. «عن فييت»

والأثر حاليًّا يتألف من القبة التي تخلفت من هذه العمارة، وهي من القباب الآجرية المضلعة وتمتاز عن غيرها بما يحيط بها من غضائر القاشاني الأسود المقوم بزخارف كتابية بيضاء من سورة البقرة، ويجاور القبة إيوان شرقي في جانبه قبر الخوند طغاي، وفي الجانب الآخر قبر تعلوه قبة لطيفة، ويلفت النظر في هذا الأثر زخارفه المقومة بكتابات قرآنية كريمة من سورتي الفتح والدخان.

ومنشئة هذا الأثر الخوند طغاي تزوجها الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة (٧١٩هـ/ ١٣١٩م)، وأولدها ابنه أنوك في سنة (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)، مات سنة (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)، ودفن بالقبة الناصرية بالقاهرة، وماتت المنشئة في سنة (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، ودفنت بتربتها هذه[1].

ولما مات الملك المنصور محمد بن المظفر حاجي دفن بها كما ورد ذلك في وفيات سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) من تاريخ مصر لابن إياس[2].

خانقاه أولجاي بغا المظفري (تكية أحمد أبو سيف)

أثر رقم ١١١ (سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م)

هذا الأثر بالجبانة الشرقية متخلف من خانقاه أنشأها الأمير سيف الدين أولجاي بغا المظفري في سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م)، وأفاد المقريزي في الخطط أنه أنشأه برسم خانقاه «تكية» للصوفية، وألحق بها مكتبًا وسبيلاً ثم تلاشى

(١) طغاي أم أنوك: زوج الناصر محمد اشتراها تنكز بتسعين ألف درهم وقيمتها يومئذ نحو خمسة آلاف دينار لأن سيدها كان مشغوفًا بها، وبلغ خبرها الناصر فأرسل إلى تنكز بطلبها فبذل جهده إلى أن اشتراها وجهزها إلى الناصر فحظيت عنده، ويقال إن سيدها ندم على بيعها وتوجه إلى مصر ووقف للسلطان وتوسل إلى أن شكى إليه حاله، فأعطاه ألف دينار وكتب له مسوحًا بألفي دينار أخرى، وولدت للناصر في سنة (٧٢١هـ/ ١٣٢١م) ولده أنوك فسر به واستأذنته في الحج ففعل وجهزها تجهيزًا اشتهر، وبسببها أبطل الناصر عن مكة المكس الذي كان يؤخذ على القمح حتى يقال إنه لم يسمع بامرأة سلطان حجت مثل حجتها ولا أنفقت على حجتها مثل نفقتها، وكانت عفيفة كريمة وكانت معظمة في أيامه وبعده إلى أن ماتت في شوال سنة (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، وبلغت عدة معتقاتها من الجواري ألف نسمة ومن الخدام ثمانين طواشيًّا، ولم يستمر الناصر على محبة غيرها من النساء مثلها ولم تنكب قط إلى أن ماتت، انظر: ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ٢٢١؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٧٨٦-٧٨٨؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مج. ١٦: ٢٥٦-٢٥٧.

(٢) ورد في وفيات سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م، وليس سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، انظر: ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٥٩٣.

أمرها، وهي الآن من غير أن يكون فيها سكان، وقد تعطل حوضها وبطل مكتب السبيل[١].

وقد زرنا هذا الأثر فوجدنا ما تخلف منه سقف الدركاه وبه مربعات ثلاثة، وباب من الخشب المنجور، وشباك حديد يجاوره شباك آخر، وفي يسارها السبيل الذي أشار إليه المقريزي وقد تبقى منه أحد جانبيه بحاله سليمة، وعلى واجهة هذا السبيل (شعار- رنك) المنشئ، وهو خوان مزدوج يقابل أحدهما الآخر[٢]، يعلوه الرمز العائلي الذي يدل على قبيلة المنشئ التي انحدر منها، وبان لنا منه أنه چركسي جنوبي من أسرة تجمعه ببرقوق ويونس النوروزي.

ومنشئ هذا الأثر هو الأمير سيف الدين أولجاي بغا، خدم عند الملك المظفر حاجي بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، وتعين في عهد السلطان حسن أمير مشورة[٣]، ثم تعين نائبًا لطرابلس، وانتهت حياته بالقتل في ربيع الآخر سنة (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م) بدمشق، والمقريزي يضع هذا الأثر بين نقطة ارتكاز تمتد من تربة يونس الدوادار وقبة النصر حتى تربة ابن جوشن السعودي بأقصى ميدان القبق[٤].

تربة طاي بغا الطويل

أثر رقم ٣٧٢ (سنة ٧٦٢ هـ/ ١٣٦٠م)

بالطويلية بالقرافة الشرقية[٥]، تعرف بحوش الباشا، أنشأها الأمير طاي بغا الطويل الناصري الأشرفي، نائب السلطنة في حلب في عهد الملك الناصر حسن، ثم أمير سلاح في عهد الملك الأشرف شعبان، مات في شوال سنة (٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م)[٦]، قرأنا بها النص التاريخي الآتي:

البسملة، أمر بإنشاء هذه التربة المباركة المقر الأشراف العالي المولوي الأميري الكبيري المحترمي المخدومي المجاهدي المرابطي المثاغري المؤيدي

(١) هذه الخانقاه بالصحراء خارج باب النصر فيما بين قبة النصر وتربة عثمان بن جوشن السعودي، أنشأها الأمير سيف الدين ألجيبغا المظفري، بجوار تربة طشتمر حمص أخضر وهي ليست تكية أحمد أبو سيف كما يذكر المؤلف والتي تقع بشارع السوق الواصل بين مجموعة قايتباي وخانقاه برقوق، بجوار مجموعة الأشرف برسباي من الجنوب ، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٧٦٥.

(٢) خِوان: بكسر الخاء، لفظ فارسي متداول حتى نهاية العصر العثماني، بمعنى سفرة الطعام أو السماط أو المائدة، انظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦): ١٦٩.

(٣) أمير مشورة: هم المتقدمون في السن من كبار أمراء المئات، يحظون بمكانة رفيعة عند السلطان ويجلسون على مقربة منه في جلساته، ويتم استشارتهم في الأمور الهامة وينفذون أحوال المملكة بين يدي السلطان وقد تراوحت أعدادهم من ستة إلى تسعة أمراء، انظر: محمد عبدالله سالم العمايرة، **المعجم العسكري المملوكي** (عمان: دار كنوز المعرفة العلمية، ٢٠١١): ٣٥.

(٤) عن سيرة الأمير سيف الدين أولجاي بغا (الجيبغا) المظفري الخاصكي، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٧٦٥-٧٦٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ٢٤٥؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ١: ٤٠٦؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مج. ٩: ٥٠٥-٥٠٧.

(٥) هدم جانب كبير منها عند شق طريق الأوتوستيراد، وكان بداخلها أثر آخر هو تربة أبو الخير محمد الصوفي (أثر رقم٣٧٣)، والتي هدمت ونقلت أحجارها لمكان آخر. (المراجع)

(٦) الأمير طاي بغا (طيبغا) الطويل: أحد الأمراء الكبار في دولة الناصر حسن، أمَّره هو ويلبغا في سنة (٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م) جميعًا طبلخاناه، ثم قدمهما بعد صرغتمش، ولما قتل حسن استقر طيبغا أمير سلاح ثم أمسكه يلبغا وحبسه بالإسكندرية في سنة (٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م)، ثم أفرج عنه بعد قتل يلبغا وأعطي نيابة حلب في سنة (٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م) عوضًا عن منكلي بغا الشمسي في أوائلها فمات بعد قليل في شوال سنة (٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م)، انظر: ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ٢٣١.

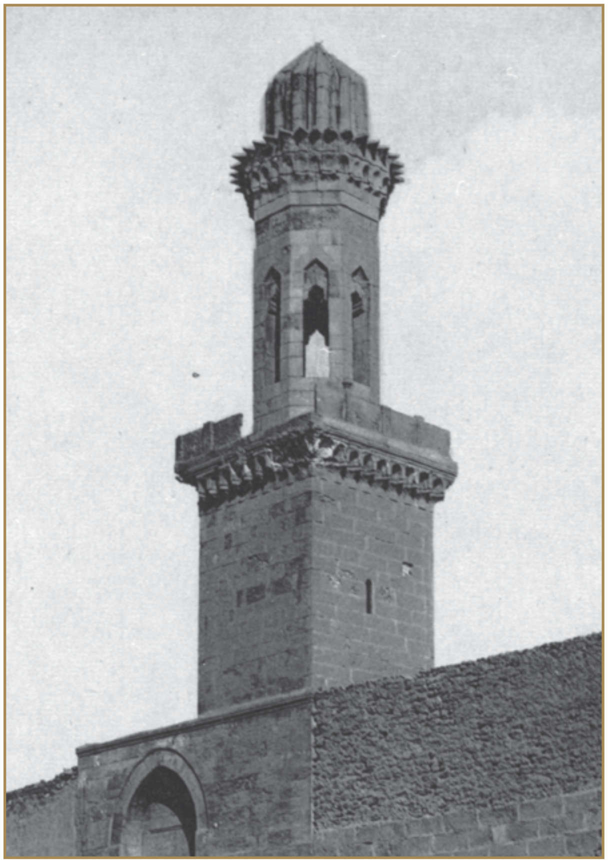
عمدة الملوك اختيار السلاطين العلاي طيبغا أمير سلاح الملكي الأشرفي عز نصره

وفي رحاب هذه المنطقة دفن الأمير تغري بردي الرومي صاحب الأثر المعروف به بسوق الأساكفة «شارع الصليبة» مات سنة (٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م)[١]، ودفن بها الأمير جانبك اليشبكي محتسب القاهرة، مات سنة (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)[٢].

مسجد تنكز بغا

أثر رقم ٨٥ (سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)

بقرافة باب الوزير شمالي قلعة القاهرة، أنشأه الأمير تنكز بغا أمير مجلس في سنة (٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)[٣]، وهذا ما يثتبه النص التاريخي الذي قرأناه على هذا الأثر ونصه:



قبة تنكز بغا «عن فييت»

البسملة أمر بإنشاء هذه التربة المباركة العبد الفقير إلى الله تعالى تنكز بغا أمير مجلس الأحكام تغمده الله برحمته بتاريخ ربيع الأول سنة أربع وستين وسبعماية

وكتابة أخرى تبتدئ بالبسملة وبآيات من القرآن الكريم ثم تنتهي بما نصه:

وكان الفراغ من هذه القبة المباركة في أول شهر ربيع الأول سنة أربع وستين وسبعماية

ويتصل بهذا الأثر مئذنة مربعة تتصل بالقبة الحجرية، وداخله قد شن عليه الخراب.

---

(١) عن سيرة تغري بردي الرومي البكلمشي، انظر: ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٤: ٢٠٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٥: ٤٩٦؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٢٧-٢٨؛ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **التبر المسبوك في ذيل السلوك**، تحقيق لبيبة إبراهيم، ونجوى مصطفى، مج. ١ (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٢): ١٢٨-١٢٩؛ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردي، **حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور**، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مج. ١ (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٠): ٥٤؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٢٣٥.

(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٦٢.

(٣) يذكر محمد حمزة الحداد أن تنكز بغا أمير مجلس الأحكام المقصود هو الأمير تنكز بغا المارداني شاد الشربخاناه الناصر حسن، المتوفى في رمضان سنة (٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م)، بينما يذكر صاحب المزارات أن تنكز بغا المارداني هو أمير آخر وهو صاحب الأثر الآخر المعروف بقبة بدر الدين الونائي (أثر رقم ١٦٣)، المتوفى سنة (٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م)، انظر: العسقلاني، الدرر الكامنة، مج. ١: ٥٢٠؛ محمد حمزة إسماعيل الحداد، قرافة القاهرة من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٦): ١٥٥.

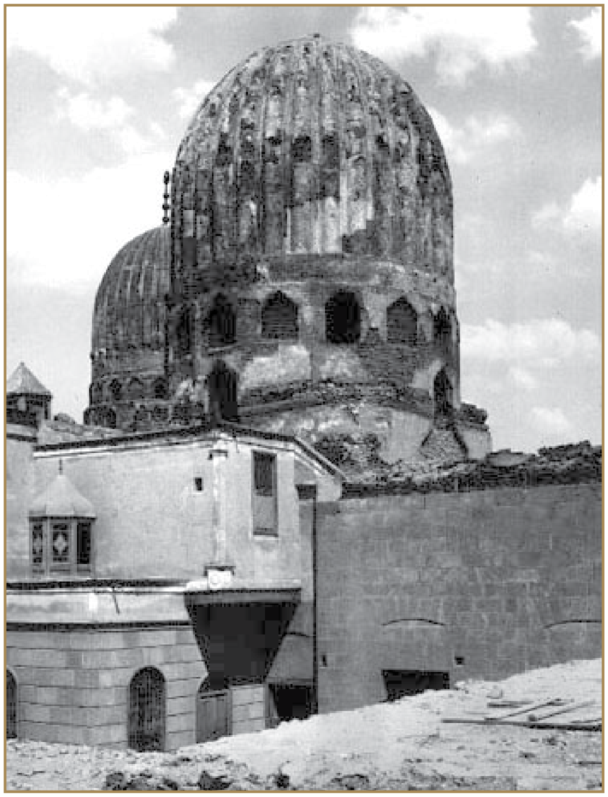
قبة خوند طلبية

أثر رقم ٨٠ (سنة ٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م)

بشـــارع خوند طلباي خارج باب البرقية، قرأنا على بابها بقية من كتابة هذا نصها:

في بيوت أذن الله أن ترفع ... إلى الآصال أمر بإنشاء
هذه التربة المباركـــة الآدر[1] الكريمة خوند طلبية
تغمدها الله برحمته سنة خمس وستين وسبعماية

ولهـــذه القبة غطـــاء من الآجر المضلـــع وقاعدة من الحجر، وداخلهـــا محراب من الحجر، ويتوســـطها صندوق من الرخام المســـنون تزخرفه كتابة قرآنية بالكوفي، وبأحد شواهد قبر المنشـــئة تاريخ وفاتها[2]، وقد اجتاحت مجموعة من المدافن الحديثة هذا الأثر فغيرت طبيعته .



قبة خوند طلبية «عن كريسويل»

الخوند طلبية

منشئة هذا الأثر مغولية اســـمها طلبية[3] بنت طاغ آج بـــن هنداوين بـــن يك قچ بن يوجي بـــن جنكيز خان، قدمت مصر في ســـنة (٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م) باستدعاء من الملك الناصر محمد بن قـــلاوون لقريبها الملك أوزبك ملك بلاد القفچـــاق وقدمت مع طائفة من رجـــال حكومة أوزبك، وكان قد ســـبق للملك الناصر خطبتها من أوزبك المذكور، قـــال الحافظ مغلطـــاي في تاريخه والبـــدر العيني في عقد الجمان: «فلما طلعت الخاتون من المراكب حملت في خركاه «قبة من القماش الملون» مذهبة ووصلت إلى دار الســـلطنة بالإســـكندرية، ومنها وصلت إلى مصر، فاســـتقبلها نائب الســـلطة أرغون وبكتمر الســـاقي، وأدخلـــت إلى القصر واستدعى السلطان ســـاعة وصولها القضاة والفقهاء وعامة الناس على اختلاف طبقاتهم إلى الجامـــع بالقلعة، وانعقد النكاح بين وكيل السلطان كريم الدين وبين وكيل أوزبك» قال ابن خلدون وكان يومًا مشهودًا.

---

(١) الآدار: لقب مملوكي أطلق على صاحبات العصمة من علية النساء دون ذكر أسمائهن، انظر: الخطيب، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**: ١٠.

(٢) هذا النص حديث العهد بالكتابة عن سابقه، ويبدو أنها دفنت بالقبر الموجود بالأثر بعد نقلها من تربة أرغون. (المؤلف)

(٣) ذكر المقريزي أن اسمها طلنبية ويقال دلنبية ويقال طولونية، بنت طغاي بن هندو بن باطو بن دوشي خان بن جنكيز خان، وهي غير خوند طولوبية التترية زوجة الناصر حسن، والتي توفيت في نفس العام (٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م)، انظر: ابن إيبك، كنز الدرر، مج. ٩: ٣٠٢- ٣٠٣؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٣: ٢٥، ٩٥؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢١٤- ٢١٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ٨٤؛ الحداد، **قرافة القاهرة**: ١٥٦.

وتحقق لى مما ذكر عنها في المصادر سالفة الذكر وغيرها أن زواج الناصر بها لم يكن لجمالها إذ كانت قطفة جمال، بل كان سياسيًّا أكثر منه شيئًا آخر، وقد أراد الناصر أن يخفي هذا وبشدة حين لمح همس الحاضرين به، فقال: «نحن ما نريد الحسن والجمال إنما نريد كبر البيت والقرب من أخي أوزبك وأن نكون نحن وإياه شيئًا واحدًا».

فمد الخوان وأقبضت الخلع وعقد العقد في جامع القلعة الجديد، وكتب الكتاب وعين فيه المسجل والمؤجل وجملته ستون ألف دينار، منها ما قدم وهو عشرون ألف دينار، وعقد العقد قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة[١]، وكتب علاء الدين علي بن الأثير كاتب السر صورة العقد بخطه ومطلعه[٢]:

البسملة، هذا ما أصدقه مولانا السلطان الأجل الملك الكبير الناصر على الخاتون الجليلة بنت أخي السلطان أوزبك خان طلبية بنت طفاجي بن هندوين بن بك أج بن چوچي بن جنكيز خان[٣].

ثم أعاد السلطان الرسل ومن حضر معهم إلى الملك أوزبك وأصحب معهم سفراء من قبله عادوا في سنة (٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م)[٤].

واستمرت طلبية تحت السلطان ثماني سنين، ثم طلقها فتزوجها منكلي بغا[٥]، فمات عنها فتزوجها صوصون أخو قوصون[٦]، فتوفي عنها فتزوجها الأمير عمر بن الأمير أرغون[٧]، فماتت في عصمته يوم السبت الخامس عشر من ربيع الأول سنة (٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م)[٨]، ودفنت في اليوم التالي بحوش لأولاد الأمير أرغون بالقرافة[٩].

(١) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة ابن حازم بن صخر: قاضي القضاة بدر الدين الكناني الحموي الشافعي، ولد بحماة سنة (٦٣٩هـ/ ١٢٤١م)، وتوفي بالقاهرة سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م، انظر: ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٩: ٢١٩-٢٢٠.

(٢) علي بن أحمد بن سعيد بن محمد بن سعيد، القاضي علاء الدين أبو الحسن بن الرئيس تاج الدين أبو العباس بن شرف الدين أبي المعالي بن الأثير الحلبي: ولد سنة (٦٨٠هـ/ ١٢٨١م)، وتوفي سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م، انظر: المقريزي، **السلوك**، مج. ٣: ١٣٦؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٨: ٣٥-٣٦.

(٣) لم يكن أوزبك أخًا مباشرًا لها بل كانت من بيته، وكلاهما يمت إلى چوچي بن جنكيز خان بنسب فأوزبك من بابوي وهي من يك أج ولدي چوچى، مات أوزبك هذا في سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) بعد أن امتد ملكه ٢٢ سنة وهو تاسع الحكام من بين چوچى المغولي وأول من أسلم من قاتان الأوزبكية (المؤلف).

(٤) المقريزي، **السلوك**، مج. ٢، ج. ١: ٢٠٣-٢٠٥، المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢١٥- ٢١٦.

(٥) ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٤: ٣٦٦.

(٦) موسي بن محمد بن يحيى اليوسفي، **نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر**، تحقيق أحمد حطيط (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٦): ٢١٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٣٠٣.

(٧) ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٣: ١٥٤.

(٨) يذكر المقريزي وابن تغري بردي أن التي ماتت في سنة (٧٦٥هـ/ ١٣٦٤م) خوند طولباي التركية عتيقة الناصر حسن، وامرأة الأمير يلبغا الأتابك، انظر: ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ٣٢٩؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢١٦، هامش ٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ٨٤؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٧: ٣١.

(٩) هذه رواية الحافظ مغلطاي وهي خاطئة، والصواب أنها توفيت في الرابع والعشرين من هذا الشهر كما في النص التاريخي الثابت بالأثر. (المؤلف)، وذكر المقريزي أنها دفنت بتربتها خارج باب القرافة بجوار تربة خوند طغاي أم أنوك، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢١٦.

قبة يونس الدوادار (أنس)

أثر رقم ١٥٧ (سنة ٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م)

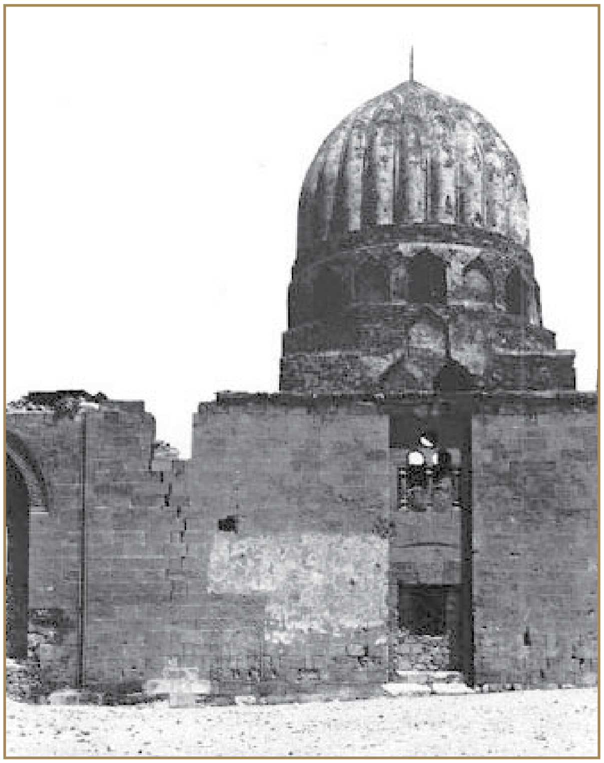
هذه القبة بالصحراء بميدان القبق شمال البرقوقية، وهي ذات قاعدة من الحجر وغطاؤها آجر مجصص، أنشأها الأمير يونس النوروزي الدوادار الظاهري في سنة (٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م)، ذكرها المقريزي في الخطط ووصفها تجاه قبة النصر(١)، ومات منشـؤها في ربيع الأول سنة (٧٩١هـ/ ١٣٨٨م) شهيدًا بحلب، ودفــن بالقبر الذي كان قد أعده لدفنــه أنس الجركسي والد السلطان الظاهر برقوق مات في شوال سنة (٧٨٣هـ/ ١٣٨١م)، قال ابن تغري بردي في «المنهل الصافي»: «ودفن في تربة الأمير يونس الدوادار التي على رأس الروضة بظاهر باب البرقية»(٢)، وأفاد الحافظ ابن حجر في «إنباء الغمر»: «أن أنسًـــا نقل بعد دفنه بهذه القبة إلى جامع ولده برقوق بالقاهرة»(٣).

وقرأنـــا على واجهة الأثر ما يؤكد مـــا ذكره المؤرخون ونصه:

البسملة. لما كان بتاريخ يوم السبت ثامن عشر شوال سـنة ثلاث وثمانين وسـبعمائة توفي المقر المرحوم الأشرفي أنس تغمـده الله برحمته والد المقر الأشرف العالي السيفي برقوق أتابك العساكر عز نصره

وقــد دفن بهذه القبة الشــيخ أحمد بن ســليمان بن نصر الله الزواوي البلقاسي، مات في شـوال سـنة (٨٥٢هـ/ ١٤٨٨م)(٤).

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٧٨٨-٧٩١.
(٢) ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٣: ١٠٦.
(٣) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ١: ٢٤٤.
(٤) أحمد بن سليمان بن نصر الله بن إبراهيم الشهاب البلقاسي ثم القاهري الأزهري الشافعي: ولد ببلقاس سنة (٨٢٤هـ/ ١٤٢١م)، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١: ٣١٠-٣١١.



قبة يونس الدوادار «عن كريسويل»

والأمير يونس منشئ هذا الأثر جركسي شمالي، شعاره الخوان المزدوج والرمز الحيثي، تقلب في وظائف الدولة، ولما قامت الدولة الجركسية الثانية كان هو اليد اليمنى لبرقوق في تأسيسها، فلما أسند الحكم إلى برقوق اتخذه دوادارًا له، ثم أوفده على رأس حملة عسكرية لقتال الثائرين بالشام، فلقي حتفه بها ودفن، بعيدًا عن القاهرة(٥).

(٥) شرف الدين يونس النوروزي الدوادار: كان من مماليك الأمير سيف الدين جرجي الإدريسي، صار من جملة الطائفة اليلبغاوية، فلما قتل الأمير يلبغا الخاصكي خدم بعده الأمير أسندمر الناصري الأتابك، وما زال يتنقل في الخدمة إلى أن قام الأمير برقوق بعد مقتل الأشرف شعبان رقَّاه إلى أن جعله أمير مائة مقدم ألف، وجعله دواداره لما تسلطن، وأنشأ بالقاهرة ربعًا وقيسارية بخط البندقانيين، وتربة خارج باب النصر تحت القلعة، وأنشأ بظاهر دمشق مدرسة بالشرف الأعلى، وأنشأ خانًا عظيمًا خارج مدينة غزة، وما زال على مكانته حتى خرج=

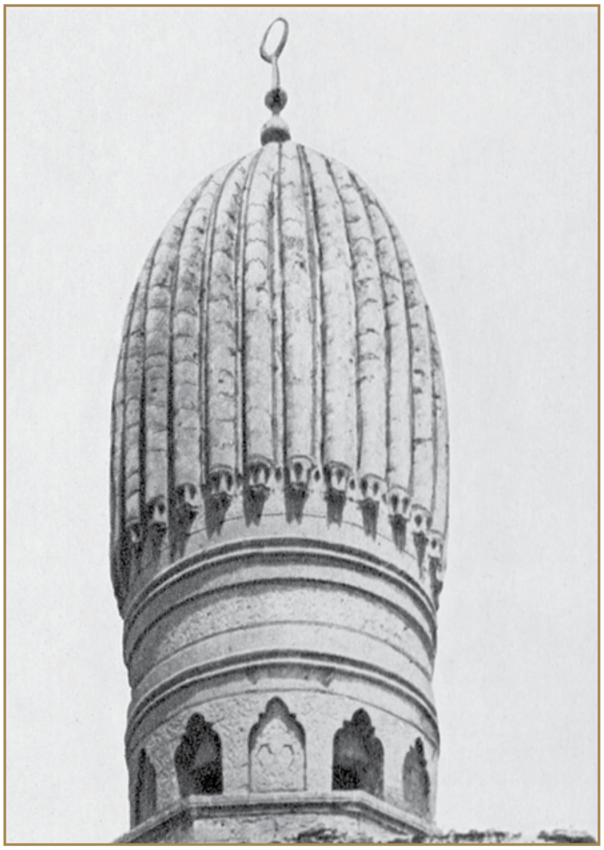
قبة يونس الدوادار بالصوة

أثر رقم ١٣٩ (سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨٢م)

هذه القبة بآخر الصوة «الحطابة- ميدان اليوسفي» بلصق باب الوزير محمود «باب الوداع»، أنشأها الأمير يونس المتقدم الذكر في سنة (٧٨٣هـ/ ١٣٨١م)، ذكرها المقريزي ووضعها خارج باب الوزير تحت القلعة(١).

وهذه القبة مثال لما يوجد من نوع القباب التترية ذات الطابع الخاص في آثار القاهرة، وهي من الحجر وظاهرها مضلع، وتعتبر نموذجًا مصغرًا من قبة الأمير تيمور لنك الأعرج الشاوي بمثواه بسمرقند المنشأة بعدها بأربع وعشرين عامًا، وقرأنا في طرازها من الداخل هذا النص:

البسملة، وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن
إن ربنا لغفور شكور أمر بإنشاء هذه التربة المباركة
من فضل الله تعالى وجزيل عطائه المقر العالي



قبة يونس الدوادار بالصوة «عن مساجد مصر»

الأميري الكبيري .... المحترمي المخدومي الشرفي
يونس النيروزي الدوادار

ويتصل بهذا النص الشعار والرمز الحيثي الذي يدل على قبيلته، وتحققت أن المذكور من سلالة الأمراء في بلاد الجركس الشمالية، وهو منسوب إلى أستاذه نيروز(٢).

= الأمير يلبغا الناصري نائب حلب على الملك الظاهر برقوق سنة (٧٩١هـ/ ١٣٨٨م)، وجهز السلطان الأمير أيتمش والأمير يونس والأمير جهاركس الخليلي لمحاربته، فلقوه بدمشق وقاتلوه هناك فهزمهم، وقتل الخليلي وفر أيتمش إلى دمشق، ونجا يونس بنفسه يريد مصر، فأخذه الأمير عنقاء بن شطا أمير آل مرا، وقتله سنة (٧٩١هـ/ ١٣٨٨م)، ولم يعرف له قبر، ويذكر ابن تغري بردي أن يلبغا الناصري رسم بدفنه في مدرسته التي أنشأها بدمشق انظر: المقريزي، **السلوك**، مج. ٣: ٦٨٨-٦٨٩؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٧٩٠-٧٩١؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٤: ٤٨٩؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ٣٨٤؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ١٢: ٢٦٣-٢٦٥؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ١٤٧-١٤٩.

(١) وهذا يدل على أن باب الوداع ليس هو باب الوزير بدليل وقوع تربة يونس بداخله (المراجع)، المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٧٩٠.

(٢) ذكر ابن تغري بردي أنه عرف بالنوروزي نسبة إلى شقيقه الأمير جرجي النيروزي، انظر: ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ١٢: ٢٦٣.

قبة الأمير صندل الرومي (الميرغني)

أثر رقم ٣٢٧ (سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م)

بأول حارة المنجكية المتفرعة من ميدان اليوسفي بالحطابة خارج باب الوزير بحري القلعة[١]، أنشأها الأمير صندل الرومي، خازندار كبير الملك الظاهر برقوق في سنة (٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م)، ترجم له السخاوي في «الضوء اللامع» وأفاد أنه كان من أتباع الأمير منجك اليوسفي صاحب الأثر المقابل له[٢]، والذي عرفت به الحارة المذكورة، ثم اتصل بخدمة الملك الظاهر برقوق، مات في يوم الجمعة ٢٧ من رمضان سنة (٨٠١هـ/ ١٣٩٨م)، ودفن في تربته التي أنشأها تحت صهريج سيده منجك بالقرب من باب الوزير[٣].

الميرغني

وقد عرف هذا الأثر بالميرغني، وهو السيد محمد عثمان الميرغني المكي «سر الختم» ابن محمد بن أبي بكر بن عبد الله المحجوب، ترجم الجبرتي لجده المحجوب في وفيات سنة (١٢٠٧هـ/ ١٧٩٢م)، وساق نسبه إلى الإمام الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ [٤].

ولد السيد محمد عثمان في سنة (١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م)، ونشأ بمحل مولده بمكة أعزها الله تعالى، وانتسب إلى السيد أحمد بن إدريس العرائشي الحسن دفين صبيا من بلاد اليمن، ورحل إلى أقطار متباينة، وأسس الطريقة الميرغنية وقدم إلى مصر بآخرته ومات بها سنة (١٢٦٨هـ/ ١٨٥١م)، ودفن بهذا الأثر، وفي سنة (١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م) قدم حفيده محمد بن عثمان الميرغني إلى مصر وتديرها ومات بها في سنة (١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م) ودفن مع جده بهذا الأثر، ومولده بالخرطوم سنة (١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م).

وبالسودان طائفة الميرغنية من ذرية السيد محمد تاج الختم، وولديه جعفر وهاشم أبناء السيد محمد عثمان المذكور، وكبيرها السيد علي الميرغني الإمام الصوفي المعروف، وقد مات عن سن عالية في يوم الأربعاء لسبع خلون من ذي القعدة سنة (١٣٨٧هـ)/ ٢١ من فبراير سنة (١٩٦٨م)، ومولده سنة (١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م).

(١) عاصم محمد رزق، **أطلس العمارة الإسلامية والقبطية بالقاهرة**، مج. ٣، ج. ١ (القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٣): ١٢٤-١٢٦.

(٢) عن سيرة الأمير منجك اليوسفي، انظر: شمس الدين الشجاعي، **تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي وأولاده**، ترجمة وتحقيق باربره شيفر، مصادر تاريخ مصر الإسلامية ٢ (فيسبادن: فرانز شتاينر، ١٩٧٨): ٢٦٩-٢٧٠؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٤: ٣٦٠-٣٦١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ١٨٩، ١٩٣، ١٩٥، ٢١٧-٢١٩.

(٣) صندل الزين المنجكي منجك اليوسفي: نائب الشام الرومي الطواشي، تنقل إلى أن خدم الظاهر برقوق وحظي عنده، حتى جعله خازندارًا كبيرًا، وقربه وأدناه لعلمه بدينه وأمانته، فإنه كان خدم عند أستاذه وقتًا، ونال صندل في أيام الظاهر من الوجاهة والحرمة ما لم ينله غيره من أبناء جنسه، وهو لا يزداد إلا دينًا وصلاحًا وعفة، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٣٢٢-٣٢٣؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٦: ٣٥٢؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٣، ج. ٣: ٩٧٥؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٣: ٩.

(٤) الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٢: ٣٦٤-٣٦٦.

الخانقاه البرقوقية (مسجد برقوق)

أثر رقم ١٤٩ (سنة ٨٠٣- ٨١٣هـ/ ١٤٠٠- ١٤١١م)

بأقصى ميدان القبق «ميدان السباق الظاهري» بالجبانة الشرقية، ابتدأ بعمارتها الأمير قجماس شقيق الملك الظاهر برقوق في أواخر القرن الثامن الهجري[١]، ذكرها المقريزي وأفاد أن من دفناها الشيخ علاء الدين السيرافي شيخ الخانقاه الظاهرية[٢]، والشيخ طلحة[٣]، والشيخ أبو بكر البجائي[٤]، ولما مرض الملك الظاهر برقوق أوصى أن يدفن تحت أرجل هؤلاء الفقراء وأن يبنى على قبره تربة حيث أوصى[٥]، قال: «وأقيمت على قبره وقبور الفقراء المذكورين قبة»[٦].

ومات الملك الظاهر برقوق في شوال سنة (٨٠١هـ/ ١٣٩٨م)[٧]، فبدأ ولده الملك الناصر فرج عقب موته بتنفيذ وصية أبيه، فبنى القبة البحرية على قبر أبيه وقبور المذكورين[٨]، وواصل البناء في ملحقاتها حتى سنة (٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)[٩]، وفيها خُلِعَ من المُلْك بأخيه الملك المنصور عبد العزيز[١٠]، فأتم هذا ما بدأ به أخوه، ولم يلبث أن قتل في السنة المذكورة، وأعيد الناصر فرج، فتابع البناء حتى أشرفت التربة وملحقاتها على التمام إلى سنة (٨١٣هـ/ ١٤١٠م)[١١]، وتولى شادية عمارتها «أي ملاحظة العمارة» الأمير لاجين طوران طاي الظاهري[١٢]، وبناها ووضع تصميمها العام داود بن الكويز الشوبكي[١٣].

(١) وقد ذكر المقريزي أن الأمير قجماس هو ابن عمه وليس شقيقه، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٩٢٠-٩٢١.

(٢) اسمه أحمد بن محمد علاء الدين الشهير بالعلاء السيرامي الحنفي، وذكره ابن حجر باسم العلاء بن أحمد بن محمد بن أحمد السيرامي، شيخ الشيوخ بخانقاه الظاهر برقوق، توفي سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م، انظر: ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ١: ٣٥٩؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٢: ١٧٢.

(٣) طلحة المغربي المجذوب المعتقد: وقيل طلحة بن عبد الله المغربي، كان مقيمًا بقلعة الجبل، وكان للناس فيه اعتقاد عظيم لا سيما في أيام الظاهر برقوق، توفي سنة (٧٩٤هـ/ ١٣٩١م)، انظر: ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ١: ٤٤٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٢: ١٣٠؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٦: ٤٣٣-٤٣٤.

(٤) نعته ابن تغري بردي بالشيخ الصالح المعتقد المغربي المجذوب، على الرغم من نقله أنه لم يكن يتوضأ أو يصلي ولا يصوم رمضان ويتغوط في مجلسه، ومعلقًا على ذلك بأنه مجذوب لايقتدى به ولا ينكر عليه لأنه غير مكلف، مسقطًا عليه بذلك حكم الجنون، كان أهل مصر يعتقدون فيه، اختلف في سنة وفاته فقيل (٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م)، وقيل سنة (٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م)، انظر: المرجع السابق، مج. ١٢: ٣١٣.

(٥) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ٢: ٥٢٥، ٥٣٦.

(٦) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٩٢٠-٩٢١؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ٢: ٥٢٥.

(٧) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٢: ٦٦-٦٩؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٢: ١٦٨؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٥٢٦.

(٨) المرجع السابق: ٥٣٧.

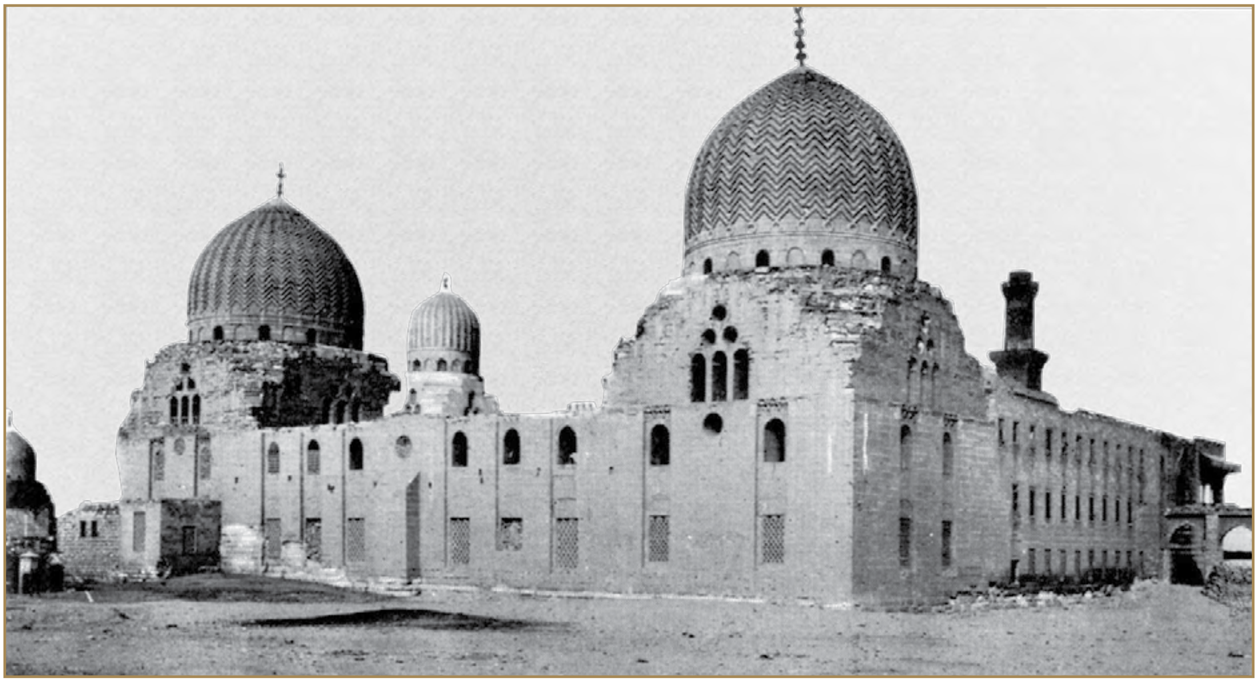
(٩) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، تحقيق بشار عواد معروف، وعصام فارس الحرستاني، وأحمد الخطيمي، مج. ١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٥): ٣٧٥.

(١٠) عبد العزيز بن برقوق بن آنص الملك المنصور أبو العز: ولد سنة (٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م)، أحد مقدمي الألوف في دولة الصالح حاجي، تولى الحكم بعد اختفاء أخيه الناصر فرج، حيث جعله أبوه ولي عهد لأخيه، ثم عاد الناصر فرج للحكم وعزله سنة (٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، وقرر فرج إقامته وأخاه الأصغر بالإسكندرية وتوفيا بها سنة (٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م)، انظر: ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٧: ٢٧٢-٢٧٣؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٧٣٥-٧٤٠.

(١١) المرجع السابق: ٨٠٤.

(١٢) يذكر ابن إياس أن الذي تولى شاد العمائر على هذه القبة الناصري محمد بن سنقر بالجكاوي، انظر: المرجع السابق: ٥٣٧.

(١٣) داود بن عبد الرحمن بن داود علم الدين أبو عبد الرحمن بن الزين الشوبكي الكركي القاهري: يعرف بابن الكويز تصغيرًا لكوز، كان أبوه كاتبًا عند طنبغا الحموي نائب حلب، ترقى وسكن طرابلس وكان على اتصال بشيخ الذي ولاه نيابة الجيوش، ثم نظر الجيوش بالديار المصرية عندما تسلطن المؤيد، توفي سنة=



منظر عام للخانقاه البرقوقية «عن كريسويل»

وقـد دفن بالقبـة البحريـة الملك الظاهـر وولده عبد العزيز، ودفن بها من غير الشـيوخ المذكورين الشيخ أحمـد بن عبد القادر بن محمد بـن عمر بن أحمد بن عقبة الحضرمي، ولد بحضرموت في أحد الجمادين سـنة (٨٢٤هـ/ ١٤٢١م)، وحج في سنة (٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م)، وقدم مصر وتديرها، واجتمع به الشـيخ أحمد زروق الفاسي في سـنة (٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م)(١).

وفي سـنة (٨٨٥هـ/ ١٤٥١م) توفي الشـيخ أحمد عقبة في ليلة الجمعة ٢٧ من شـوال، ودفن بالقبة البحرية في قبر بالجانب الغربي منها(٢)، أفرده بالترجمة الشيخ زروق المذكور في تأليف مستقل (منه مخطوط بالدار) قال في أوله: «أفردنا بالترجمة لكونه أوحد من لقينا في المراتب العرفانية، وأمكن من شـاهدناه في المقامات الإحسانية والعلوم الوهبية، أخذ الشـيخ أحمد بن عقبة عن السـيد يحي بـن وفا الطريقة الوفائية الشاذلية، والقادرية عن عبد الكبير الحضرمي، ومن أشهر أصحابه بمصر الشـيخ حسين جلبي المتوفى في شوال

= (٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م) بمنزله ببركة الرطلي، ودفن بتربة كمشبغا الحموي بالصحراء خارج باب البرقية، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٢١٣-٢١٤.

(١) أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق: ولد سنة (٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م)، وتوفي سنة (٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م) بمصراتة من أعمال طرابلس، انظر: محمد بن محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، مج. ١ (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٤٩): ٢٦٧-٢٦٨.

(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٢: ٥؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٢٧٦.

سنة (٩١٠هـ/ ١٥٠٤م) ودفن بمسجد الخندق، والشيخ شاهين الخلوتي والشيخ دمرداش المحمدي»[١].

ودفن بها الشيخ عضد الدين عبد الرحمن بن يحيى بن سيف بن محمد بن عيسى السيرافي من علماء الحنفية توفي سـنة (٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م)، وسيراف بلدة من فارس من أعمال كرمان[٢].

ودفن بها في سنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م) الناصري محمد بن فرج[٣]، وفي سنة (٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م) خليل بن الناصر فرج[٤].

وفي سـنة (٨٠١هـ/ ١٣٩٨م) دفن بها الشـيخ أحمد بن أحمد عبـد الله الزهوري العجمي شـيخ الظاهر برقوق[٥]، ودفن بها الحافظ شـمس الدين محمد بن يوسـف بن علي الشـامي الصالحي، في الرابع عشر من شعبان سنة (٨٤٢هـ/ ٨٤٢م)، وهو مؤلف السـيرة النبوية المعروفة بالشامية، وهي سيرة حافلة لم يجمع مثلها، منها مخطوط بدار الكتب بقسم الحديـث (١٣٠-٥٠م) والموجود منها بـالدار أربعة أجزاء، ومنها أجزاء أخرى بالكتانية بفاس، ترجم له الشـعراني في الطبقات الوسطى[٦].

والدفنى بهذا الأثر جماعة مستكثرة من ذرية المنشئ وحفدته ومن غيرهم، وآخر من دفن بها من العلماء الشيخ محمد الفيومى العقاد مات سنة (١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م).

ويتميز هذا الأثـر بمميزات لا توجد في غيره من آثار القاهرة الإسلامية، منها كبر مسـاحته التي تبلغ إلى ٧٥٠٠

---

(١) دمرداش المحمدي الجركسي: أصله من مماليك السلطان قايتباي، تاب على يد أحمد بن عقبة، ولازمه بعد أن أعتقه السلطان قايتباي، وبعد وفاة شيخه الحضرمي توجه إلى تبريز (توريز) فأخذ عن الصوفي عمر الروشني، ثم عاد إلى مصر، ثم توجه إليه ثانية هو وشاهين الخلوتي، وبعد عودته استقر شيخ الخلوتية بمصر، توفي سنة نيف وثلاثين وتسعمائة، انظر: محمد عبد الرؤوف المناوي، **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، مج. ٤ (القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، [١٩٩٤]): ٤٨-٥١.

(٢) عبد الرحمن بن يحيـى بن يوسف عضد الدين بن نظام الدين ابن الشيخ سيف الدين السيرامي الحنفي: ابن شيخ شيوخ مدرسة الظاهر برقوق، ولد سنة (٨١٣هـ/ ١٤١٠م) تقريبًا، وتولى مشيخة المدرسة سنة (٨٣٣ هـ/ ١٤٢٩م) بعد وفاة والده وتصدر للتدريس بها، توفي سنة (٨٨٠هـ)، انظر: ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٧: ٢٣٣-٢٣٤؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٤: ١٥٩.

(٣) الناصري محمد بن الناصر فرج: توفي في سجنه بالإسكندرية سنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م) بالطاعون، ثم نقل لتربة جده بالصحراء، وذكر كلٌّ من العسقلاني والسخاوي أنه دفن بالإسكندرية، ثم نقل لتربة أبيه وجده بالقاهرة، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٥: ١٦٢؛ ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ٤٤٩؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٨: ٢٧٩.

(٤) خليل بن الناصر فرج: ولد بقلعة الجبل سنة (٨١٤هـ/ ١٤١١م)، ثم حبسه المؤيد شيخ هو وأخوه محمد بالإسكندرية، ثم أطلق سراحه بعد وفاة أخيه بقليل وسمح له بحرية التنقل داخل المدينة، وفي عهد السلطان جقمق وابنه رسم له بالحج ثم انتقل إلى دمياط وبقي بها حتى وفاته سنة (٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م)، فنقل إلى= قبر أبيه بالصحراء، وذكر السخاوي أنه دفن بتربة فتح الأسمر، ثم نقل بعد ذلك بأيام إلى القاهرة فدفن بتربة والده بالقبة التي تجاه تربة جده، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٦: ١٧١؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٥: ٢٦٨-٢٦٩؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٢٠١.

(٥) متصوف مجذوب اعتقد فيه الظاهر برقوق بسبب رؤيا رآها وهو جندي بالشام، فلما تولى السلطنة أحضره من دمشق، توفي سنة (٨٠١هـ/ ١٣٩٨م)، ودفن بتربة السلطان بجوار الشيخ طلحة، انظر: ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٢: ٥٧؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٣: ١٠-١١؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١: ٢١٥.

(٦) محمد بن يوسف الصالحي الشامي، **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، تحقيق إبراهيم الترزي، وعبد الكريم العزباوي (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٩٧). طبعت في حوالي ١٢ مجلدًا. (المؤلف).

متر مربع، أي ما يوازي عشرة آلاف ذراع معماري كما يحكيه المقريزي[١].

وأظهر ما فيه العشاري الذي يعلو القبة، وقد أقامه الناصر فرج كحلية من جهة وصدقة جارية من جهة أخرى، كما يتميز بسقفه المعقودة المجصصة المقومة من اللبن الأحمر، وهي أصل الفكرة في السُّقُف العثمانية.

ويلفت النظر في هذا الأثر مآذنه الأربع التي بقيت منها مئذنتان تقومان على قاعدة مربعة تنتهي بمرتفع مخروطي الشكل، وبأعلى كل منهما دورق محلى الجانبين بدلايات، وتتحلى الواجهة بخمسة عشر قمرية في العلو والسفل، وفي جانبيها القبلي والبحري رواشن تغطيها مشربيات، وبلغ عدد الغرف الموجودة بهذا الأثر إلى (٣٦٠ غرفة) بكل من الطابقين، ويتميز بازدواج سقايتيه ومكتبيه، وبالرواق الخارجي المواجه للباب البحري.

وكان الأثر إلى سنة (١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م) وما بعدها بمستوى الأرض، ثم علت الأرض عليه اليوم، كما كانت به من الثريات النحاسية المربعة الشكل بكل إيوان من أواوينه ما عز نظيره اليوم، والأثر بحالته الراهنة بعد إصلاح وترميم ما وَهِي منه، مطبوع بالطابع المصرى الصميم، فكل مفرداته وأجزاءه من وضع إسلامي راق، فالبهو وما يحيط به من أواوين وواجهاته الأربع، ومحرابه ومنبره وبيت الصلاة وقبابه، ومجنباته وعقوده وأخشابه المنجورة إلى غير ذلك من مميزات، يدلي بفن عظيم جمع بين الفن العربي الإسلامي والفن الجركسي الذي أتى به المهندس الجركسي إلى مصر واقتبسه ومصره.

والملك الظاهر برقوق المنشئ له هذا الأثر هو مؤسس دولة الجراكسة الجنوبية، التي استمر أفرادها في الحكم إلى سنة (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)، ثم آل الحكم بعدها إلى العثمانيين، وأهم ما يذكر في تاريخه أنه بعد أن أجهز على آخر ملك من ملوك الدولة القلاوونية (دولة الجراكسة الشمالية) ونادى بنفسه سلطانًا على مصر، ثار الشعب المصري في وجهه بزعامة الخليفة العباسي، ورام الشعب تنصيب الخليفة سلطانًا على مصر تخلصًا من حكم الجراكسة، ولكن برقوق استطاع أن يتغلب على هذه الثورة، واستعان بشيوخ الأزهر على ولايته، وحينئذ خضع الخليفة العباسى وبايعه على السلطنة.

وللسلطان برقوق مواقف محمودة مشرفة في الحفاظ على مصر من الأعداء الذين كانوا يترقبون ضعف المملكة لتنفيذ مراميهم في احتلالها من دول الفرنجة والصليبيين، واستمر حتى مات مصروعًا، وانتقلت السلطنة إلى أولاده بالوراثة، فوليها فرج فأخوه المنصور عز الدين عبد العزيز، ففرج ثانية.

وكان الخليفة العباسى المبايع لبرقوق على كره يترقب الفرص يآزره الشعب المصري، للخلاص من حكم الجراكسة فلما أفل نجم فرج في المرة الثانية وانهزم في الشام انهزامًا مريعًا، نادى نفسه سلطانًا على مصر وبايعه المصريون بزعامة زعيم ثورة الشعب شيخ المحمودي الجركسي، فلما استقرت السلطنة للخليفة العباسي عينه أتابكًا «قائدًا» للجيوش المصرية، ولكن شيخ المحمودي هذا كان هو المطلوب تعيينه ملكًا على مصر بإرادة المصريين، وإذ ذاك أخذ يدعو لنفسه ويعقد المؤتمرات والجلسات السرية ويقرب الأمراء إليه، حتى استطاع خلعه والنداء له بالسلطنة على مصر، وبذلك انتقلت السلطنة من آل كسا الجركسية إلى آل

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٩٢٠-٩٢١.

برموك[١]، وشيخ المحمودي هذا هو السلطان المؤيد الذي ولي من سنة (٨١٥-٨٢٤هـ/ ١٤١٢-١٤٢١م)[٢].

أسرة الظاهر برقوق

ولم تنقطع أسرة الظاهر برقوق هذا مع زوال مملكته، فقد امتدت إلى سنة (١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م)، وآخر من مات منها حفيدته المرحومة السيدة حفيظة خاتون بنت حسن جلبي البرقوقي، وقد ترجمنا لها في وفيات هذه السنة في كتابنا: «أعلام مصر في القرن الثالث عشر الهجري».

آثار الظاهر برقوق[٣]

وللظاهر آثار بقي منها ما هو معروف باسمه بالديار الشامية، وله بمدينة الفيوم أثر تجديده لمسجد السلاوي المدفون به الشيخ علي بن عبد الله الروبي، كان الشيخ الروبي هذا من المشهورين بالولاية وكان الظاهر برقوق يقصده وينزل إلى زيارته، وتنبأ له في سنة (٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م) بأن حكم مصر سيؤول إليه وتأتيه السلطنة، فلما تحققت هذه النبوءة جدد له مسجد السلاوي الذي كان يلازمه وينزل به، وبنى له ضريحًا إلى جانب ضريح الشيخ السلاوي دفن به بعد وفاته في ٢٦ ذي الحجة سنة (٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م)[٤]، وتاريخ وفاته مثبت على الضريح في ثلاثة أسطر على نصبية من الخشب قرأنا فيها هذا النص:

البسملة. ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. هذا ضريح الشيخ العابد الزاهد الشيخ علي الروبي. انتقل إلى رحمة الله في سادس عشرين ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين وسبعمايه

والمسجد المذكور من المساجد الإسلامية الأولى وهو واحد من ٢٩ مسجدًا بناها الفاتحون العرب في سنة (٢٥هـ/ ٦٤٥م) في الوجه القبلي أقصاه وأدناه وأوسطه، وكان في أوائل القرن العاشر الهجري تحت نظر الشيخ عبد القادر الدشطوتي[٥]، وتقرير نظر على هذا المسجد ثابت في هذا المسجد وفي [سجل تقارير النظار رقم ١٦٤ عالي]، وقد نزل بهذا المسجد الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن خلف القرشي البكري السلاوي، منسوب إلى بلاد بالمغرب ولد بها سنة (٥٨١هـ/ ١١٨٥م)، واستقر أخيرًا بعد غروبه من المغرب بمدينة الفيوم، واتخذ له من هذا المسجد مستقرًّا استقر به حتى وفاته في سنة (٦٤١هـ/ ١٢٤٣م) فدفن بالمسجد، والشيخ الروبي منسوب إلى الروبيات موضع بالفيوم وليس كما تزعمه العامة أنه رومي.

(١) عن سيرة السلطان الملك الظاهر أبو سعيد سيف الدين برقوق ابن آنص العثماني اليلبغاوي الجركسي مؤسس دولة المماليك الجراكسة، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ٢٢١؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٧٨٠-٧٨١؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ١٠-١٢؛ ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٢: ٦٦-٦٩؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٣١٨-٣٢٠، ٥٢٥-٥٣٥.

(٢) عن سيرة السلطان الملك المؤيد أبو النصر سيف الدين شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري، انظر: بدر الدين العيني، **السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي**، تحقيق فهيم محمد علوي شلتوت، مراجعة محمد مصطفى زيادة، ط. ٢ (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٩٩٨): ٢٧٢؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٦، ٥٩-٦٣.

(٣) عن أهم أعمال الظاهر برقوق، انظر: المرجع السابق، مج. ١، ج. ٢: ٥٣٣-٥٣٤.

(٤) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٢: ١٢٤؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ٢: ٤٤٩.

(٥) انظر في هذا الصدد سجل تقارير ديوان عالي محفوظات س ٩٠٢- تاريخ ابن إياس وطبقات الأولياء والصوفية. (المؤلف)

المذكرات التاريخية

الباب البحري

البسملة ادخلوها بسلام آمنين أمر بإنشاء هذه التربة المباركة من فضل الله تعالى السلطان الملك فرج بن السلطان الشهيد برقوق تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته (.....) كان الفراغ من هذا المكان المبارك في سنة ثلاث عشر وثمان مائة عمرت هذه الخانقاه المباركة بمباشرة الجناب العالي لاجين الطرنطاي غفر الله له

منبر قايتباي من جانبيه

أمر بإنشاء هذا المنبر المبارك سيدنا ومولانا المقام الشريف السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي أعز الله أنصاره وختم بالصالحات أعماله والمسلمين يارب العالمين أمر بإنشاء هذا المنبر المبارك مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي أعز الله أنصاره بتاريخ شهر ربيع الآخر سنة ثمانين وثمان مائة من الهجرة النبوية الشريفة

القبة القبلية «قبة النساء»

أمر بإنشاء هذه التربة المباركة مولانا السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته وكرمه



منبر الخانقاه البرقوقية «عن فييت»

ضريح الملك عبد العزيز بن برقوق[1]

البسملة . هذا قبر العبد الفقير إلى الله تعالى مولانا السلطان الملك الشهيد المنصور عبد العزيز ولد السلطان الملك الظاهر برقوق توفي ليلة الإثنين سادس ربيع الآخر سنة تسع وثمان مائة

(١) الملك المنصور عبد العزيز بن برقوق بن أنس بن الظاهر: جركسي الأصل، أخو إبراهيم والناصر، ولد بعد (٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م) بسنيات بقلعة الجبل، ونشأ بها وأمه أم ولد تركية تسمى قنقباي، جعله أبوه ولي العهد من بعد أخيه فملكوه في حياته، وذلك في عشاء ليلة الإثنين سادس عشر ربيع الأول سنة (٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) ولقب بالمنصور، وما كان له سوى الاسم بل لم يلبث غير شهرين وثلث شهر وظهر أخوه فخلع، وذلك في ليلة الجمعة رابع جمادى الآخرة، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٤: ٢١٧.

ضريح الملك الظاهر برقوق

البسملة كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام. هذا ما أمر بعمله مولانا السلطان الملك الناصر فرج. لوالده الشهيد المرحوم الملك الظاهر برقوق. تغمده الله برحمته وذلك في المحرم سنة عشر وثمان مائة

ضريح أم الملك الناصر فرج بالقبة القبلية

البسملة كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام. توفيت المرحومة خوند حريز بنت عبد الله مستولدة الملك الظاهر برقوق. يوم الجمعة مستهل شهر رمضان سنة أحد عشر وثمان مائة من الهجرة النبوية. أمر بإنشاء هذه القبة المباركة مولانا الملك السلطان. فرج بن السلطان الشهيد برقوق تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته يارب العالمين. وكان الفراغ في سنة ثلاثة عشر وثمان مائة

القبة القبلية

توفي إلى رحمة الله تعالى سيدي محمد سنة أحد عشر وثمانمائة وعشرين

توفي إلى رحمة الله تعالى سيدي أحمد ولدي المقر المرحوم سودون من تاني مستهل شهر رمضان سنة سبع وثلاثين وثمان مائة

طراز بالقبة

صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم، أمر بإنشاء هذه التربة الشريفة مولانا مالك رقنا، السلطان المالك الملك الناصر ناصر الدنيا والدين، سلطان



ضريح الملك الظاهر برقوق «عن فييت»

الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين، محيي العدل في العالمين كهف الفقراء والمساكين، السلطان أبو السعادات فرج بن السلطان الشهيد برقوق، صاحب الديار المصرية والبلاد والأعمال ....، السلطان الأعظم مالك ... ملوك العرب والعجم، ... أدام الله أيامه ونشر في الخافقين أعلامه يارب العالمين

البسملة... هذا ضريح العبد الفقير إلى الله تعالى، السعيد الشهيد الملك الظاهر أبي سعيد برقوق، قدس الله روحه ونور ضريحه بمحمد وآله أمر بوصية منه. توفي إلى رحمة الله تعالى قبل أذان

الفجــر، صبيحة يــوم الجمعة الخامــس عشر من شوال ســنة إحدى وثمان مائة من الهجرة، أحسن الله ختامهــا في خير لمحمــد وآله، ودفن بعد صلاة الجمعة من يومه بحضور الجم الغفير من المسلمين وأئمتهم وكان يوما مشــهودًا، جعل الله قبره روضة من رياض الجنة بمحمد وآله، وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه وذريته وتابعيه إلى يوم الدين وســلم آمين

البســملة... أمر بتمام هذه التربة المباركة السعيدة مــن فضــل الله الكريم وجزيــل عطائــه العميم الســلطان المالك الملك المنصور ســلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيــي العدل في العالمين منصف المظلومين من الظالمين أبو الفقراء والمساكين ذخر الأرامل والمنقطعين الملك المنصور عبد العزيز ابن السلطان الشهيد برقوق تغمده الله بالرحمة والرضوان

ضريح خوند شقرا بالقبة القبلية[1]

وفات الســيدة المصونة الجليلة الكبرا ذات الســتر الرفيع والحجاب المنيع ذي الآدر الكريمة خوند شقرا ابنة السلطان الشهيد الملك الناصر فرج بن السلطان الشــهيد الملك الظاهر برقوق تغمدهــا الله برحمته بتاريخ يوم الجمعة مســتهل شــهر رجب الفرد سنة سبع وثمانين وثمان مائة من الهجرة النبوية



زخارف القبة من الداخل «عن فييت»

الدكة بالإيوان الشرقي

أمر بــإنشاء هذه الدكــة المباركة ســيدنا ومولانا المقام الشريف الســلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي خلد الله ملكه وثبت قواعد دولته

باب الصحن

هذا ما أمر بعمله مولانا السلطان الملك الناصر فرج لوالده الشهيد المرحوم الملك الظاهر برقوق تغمده الله برحمته وذلك في المحرم سنة عشرة وثمان مائة

البســملة... أمر بــإنشاء هذه التربــة المباركة من فضــل الله تعالى مولانــا الســلطان الملك الناصر أبو الســعادات فرج ابن الســلطان الشهيد برقوق

(١) شقراء ابنة الناصر فرج بن برقوق وأم محمد بن جرباش كرت المحمدي الناصري فرج سبط الناصر أستاذ أبيه، زوجها أبوها لمملوكه جرباش، انظر: المرجع السابق، مج. ٧: ٢١٠؛ مج. ١٢: ٦٨.

تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته يارب العالمين وكان الفراغ من هذا المكان في سلخ سنة ثلاث عشر وثمان مائة

وبأعلى القبة مذكرة بالخط الكوفي قرأنا فيها ما يلي:

أمر بإنشاء هذه التربة المباركة مولانا السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته وكرمه في أيام ولده مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين أبو السعادات فرج أدام الله أيامه في الخافقين أعلامه وذلك بيد العبد الفقير إلى الله تعالى أبي المعالي عبد الله يلبغا السالمي الحنفي الصوفي الظاهري أستادار العالية الملكي الناصري لطف الله به في الدارين وجعله مع الفريقين وذلك في شهور سنة اثنان وثمانمائة

البسملة... أمر بإنشاء هذه التربة المباركة مولانا السلطان الشهيد الملك الظاهر أبي سعيد برقوق تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته بمنه وكرمه في أيام ولده مولانا السلطان الملك الناصر أبي السعادات فرج أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره بمحمد وآله وذلك في شهور سنة ثلاث وثمان مائة من الهجرة النبوية على صاحبها صلاته وسلامه

هذه مجموعة المذكرات والنصوص التاريخية بالأثر، وقد آثرنا ذكرها مع ما يوجد فيها من تكرار لعدم وجودها مجموعة في غير مؤلفنا هذا.

وممن عرف بالدفن في القبة القبلية من ذرية الظاهر برقوق زينب ابنته، ماتت في ربيع الأول سنة (٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م)[١]، وعائشة بنت أنس أخت الظاهر برقوق ماتت سنة (٨١٩هـ/ ١٤١٦م)[٢]، وإبراهيم بن الظاهر مات سنة (٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م)[٣]، وغيرهم وقد استُعْمِلت الخانقاه البرقوقية في سنة (٩٢١هـ/ ١٥١٥م)، دار ضيافة نزل بها الشريف بركات أمير مكة حين قدم مصر على السلطان قانصوه الغوري[٤].

---

(١) زينب ابنة الظاهر برقوق: أمها رومية أم ولد، كانت من الجمال بمكان، تزوج بها غير واحد حتى المؤيد، ومات عنها فكانت ابنة سلطان وزوج سلطان، وبعده تزوجت بقجق العيساوي أمير سلاح، وماتت في عصمته في ربيع الأول سنة (٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م)، ودفنت بتربة أبيها بالصحراء وهي آخر أولاده لصلبه وفاة، انظر: المرجع السابق: ٤٠.

(٢) عائشة ابنة أنس الجركسية: أخت الظاهر برقوق وعمة الناصر فرج، ووالدة بيبرس أتابك العساكر، ماتت في ذي القعدة سنة (٨١٩هـ/ ١٤١٦م)، انظر: المرجع السابق: ٧٤.

(٣) إبراهيم ابن الظاهر برقوق بن أنس الجركسي القاهري: أخو الناصر فرج والمنصور عبد العزيز، وهو أصغر الثلاثة، سكن مع أخيه المنصور بالقلعة، فلما ملكوا أخاه بعد اختفاء أخيهما الناصر وعاد إلى المملكة استمرا مقيمين بالقلعة إلى أن أرسل بهما إلى الإسكندرية، ورتب لهما في كل يوم للنفقة خمسة آلاف، ولم يلبث أن مات كل منهما في ليلة سابع ربيع الآخر سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م، ويقال ماتا مسمومين ودفنا، ثم نقلا لتربة أبيهما بالصحراء، انظر: المرجع السابق، مج. ٢: ٣٢.

(٤) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ٤٥٦.



منظر عام للخانقاه البرقوقية «عن فييت»

قبة كزل بغا الناصري

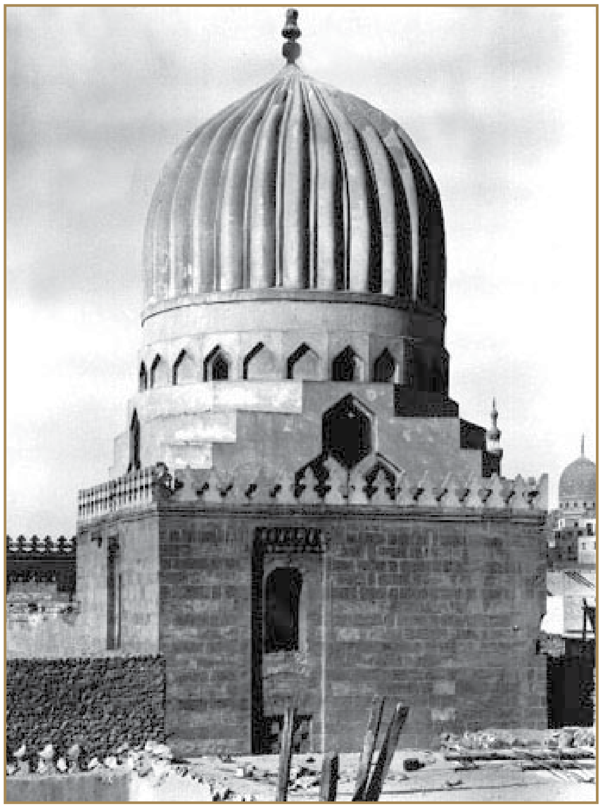
أثر رقم ٨٩ (سنة ٨٠٥هـ/ ١٤٠١م)

هذه القبة بأول البستان بالقرافة الشرقية خارج الباب الجديد[١]، أنشأها المرحوم الأمير كزل الناصري سنة (٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م)، ذكرها السخاوي في «الضوء اللامع» في ترجمة أحمد ابن يحي بن علي بن محمد أحد علماء الشافعية المتوفى سنة (٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م)، قال: «ودفن بتربة كزل الناصري تجاه تربة خوند أم أنوك»[٢].

منشؤها هو الأمير سيف الدين كزل بغا الناصري، أدرك عصر الملك الظاهر برقوق، خدم عند الملك المؤيد شيخ مقدم ألف ومات بعد تقاعده سنة (٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م)ودفن بتربته هذه[٣]، وقد بقيت منها قبتها وهي من اللبن المجصص تحملها قاعدة حجرية، وقرأنا على عتب بابها النص الآتي:

البسملة، ادخلوها بسلام آمنين. أمر بإنشاء هذه التربة المباركة المقر العالي السيفي كزل بغا الناصري وكان الفراغ من عمارتها في عاشر جمادى الآخرة سنة خمس وثمان مائة غفر الله له

وبالأثر كتابة أخرى بحري الأولى قرأنا فيها:



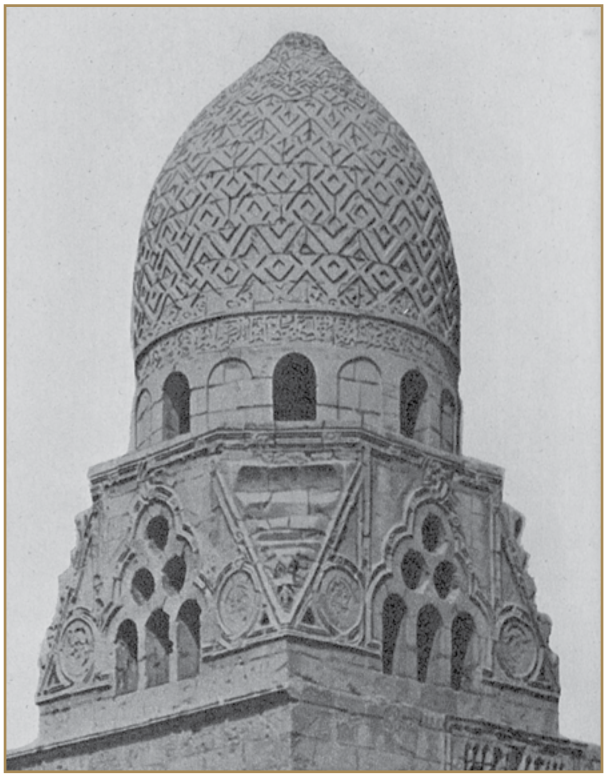
قبة كزل بغا الناصري «عن كريسويل»

أنشأ هذه التربة المباركة وما فيها من المنافع وهذا السبيل المقر العالي السيفي كزل الناصري ابتغاء لوجه الله تعالى غفر الله له وغفر لجميع من أعان عليه ولجميع المسلمين

(١) رزق، **أطلس العمارة**، مج. ٣، ج. ١: ١٧٣-١٧٤.

(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٢: ٢٤٣.

(٣) الأمير كزل الناصري: نسبة لتاجره الخواجا ناصر الدين الظاهري برقوق، كان رأسًا في تعليم الرمح ولعبه، ترقى في الدولة حتى صار في أيام المؤيد مقدمًا مدة، وهو من جملة أمراء أنعم عليهم السلطان الناصر فرج بإمرة عشرين، ثم استعفي ولزم داره حتى مات في سنة نيف وعشرين رحمه الله، انظر: المرجع السابق، مج. ٦: ٢٢٨؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٢: ١٩٥.


قبة علاء الدين عصفور «عن مساجد مصر»

قبة علاء الدين عصفور

أثر رقم ١٣٢ (سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٤م)

بميدان القبق[١]، أنشأها الأمير علاء الدين علي بن عبد النصير السخاوي ثم الدمشقي المعروف بابن عصفور الخطاط، موقع الدست في عهد الملك الناصر فرج بن برقوق في سنة (٨٠٦هـ/ ١٤٠٤م)، ومات في ١٢ من رجب سنة (٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) ودفن بها[٢].

وهي قبة حجرية رقيقة غطاؤها محلى بزخارف هندسية، ويكتنفها أربع حلقات تحمل اسم الملك الناصر فرج والدعاء له بالعز والنصر[٣].

---

(١) القبق: لفظة تركية وتعني خشبة بأعلاها دائرة يرمي الرماة من خلالها بالقسي من على ظهور الخيل، كما أطلق مصطلح القبق على إحدى طرق رمي السهام عند المماليك وتعني رمي الفارس للسهام نحو الأعلى، أما ميدان القبق هذا الموضع خارج القاهرة من شرقيها فيما بين الثغرة التي ينزل من قلعة الجبل إليها وبين قبة النصر التي تحت الجبل الأحمر ويقال له أيضًا الميدان الأسود، ميدان العيد، الميدان الأخضر وميدان السباق، وهو ميدان السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي النجمي، بنى به مسطبة في المحرم سنة (٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م)، عندما احتفل برمي النشاب وأمور الحرب، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٦٩.

(٢) الأمير علاء الدين علي بن محمد بن عبد النصير العلاء: السخاوي الأصل الدمشقي ثم المصري الكاتب ويلقب بعصفور، كان كاتبًا مجيدًا للكتابة بسائر الأقلام، ممن كتب على الزين محمد ابن الحراني ناظر الوقف بدمشق، ودخل حلب فاجتمع به ابن خطيب الناصرية، وقال إنه كان إنسانًا حسنًا عاقلاً دينًا ساكنًا، أقام بالقاهرة على توقيع الدست وهو الذي كتب العهد للناصر بسلطنته الثانية عوضًا عن أخيه عبد العزيز في سنة ثمانمائة، ومات في يوم الإثنين ثاني عشر رجب سنة ثمان بالقاهرة، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٥: ٣١٦-٣١٧.

(٣) أرجع صاحب المزارات تاريخ إنشاء القبة إلى عام (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م) فترة حكم الناصر فرج الأولى (٨٠١- ٨٠٨هـ)، في حين=

قبة إبراهيم بن غراب

أثر رقم ٩٤ (سنة ٨٠٠هـ/ ١٤٠٥م)

بلصق تربة ابن خاص بك قبلي تربة ابن مزهر ومسجد قايتباي بالجبانة الشرقية[١]، أنشأها إبراهيم بن غراب في سنة (٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)[٢]، ومات منشؤها في ١٩ من رمضان سنة (٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، قرأنا في طراز دائر بالقبة النص الآتي:

البسملة، أنشأ هذه القبة المباركة العبد الفقير إلى الله تعالى الراجي عفوه إبراهيم بن غراب أستادار العالية وناظر الجيوش المنصورة والخواص الشريفة وما يتبع ذلك، تقبل منه ولطف به في الدارين بمحمد وآله، سنة سبع وثمان مائة

ويحلي القبة دائرة تحمل اسم الناصر فرج والدعاء له بالعز والنصر، ولابن غراب أثر آخر بالقاهرة وهو الخانقاه الغرابية بخط درب الكرماني بجماميز[٣].



قبة إبراهيم بن غراب «عن كريسويل»

= إن هذه القبة مسجلة في سجلات الآثار الإسلامية برقم ١٣٢ بتاريخ (٩١٢هـ/١٥٠٦م).

(١) تعرف باسم قبة بغا، وتقع خلف تربة الجلشني المجاورة لجامع قايتباي. (المراجع)

(٢) إبراهيم بن عبد الرزاق بن غراب: سعد الدين بن علم الدين بن شمس الدين السكندري الأصل المصري القبطي، أخو الفخر ماجد، وهو الأكبر ويعرف بابن غراب، أصله من أبناء الكتبة القباط بالإسكندرية، فاتصل بخدمة الجمال محمود الأستادار، واختص به ورقاه حتى ولاه نظر الخاص قبل استكماله عشرين سنة، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٧٤٧؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٣: ١٥٦-١٥٧؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ١: ١٠٤-١١٢؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١: ٦٥-٦٦.

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٧٤٦-٧٤٧؛ رزق، **أطلس العمارة**، مج. ٣، ج. ١: ١٨٥-١٩٤.

تربة ابن مزهر (الكلشنية)

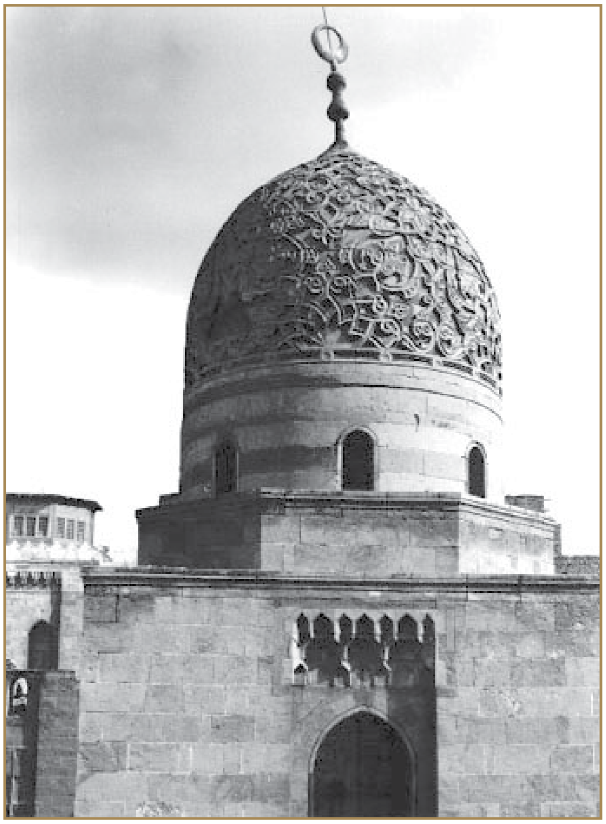
أثر رقم ١٠٠ (سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م)

هذا المسجد يقع بين مقعد قايتباي وبين تربته، بلصق تربة آق بردي، تسميها إدارة حفظ الآثار الخانقاه الكلشينية، وهذه التسمية جاءتها عن طريق محمد بن إبراهيم الكلشني صاحب الخانقاه المعروفة به بشـارع تحت الربع بالقاهرة، حيث اعتكف الشـيخ المذكور بها واتخذ منها محلاً للذكر والتذكـير ورباطًا لأصحابه، فعرفت مـن حينئذ بالخانقاه الكلشـينية، ثم انتقل منها إلى قبة الشيخ مصطفى العجمي بالمرج ظاهر القاهرة، واستمر حتى بنيت له الخانقاه المذكورة على أنقاض المدرسة الأقبغاوية.

وهذا ما تحقـق لي من «الضوء اللامع» للسـخاوي، وكتاب وقف الملك الأشرف قايتباي، وكتاب ترجمة الشيخ الكلشني المطبوع بالقاهرة سنة (١٢٦٢هـ/ ١٨٤٥م)، وتقارير نظار وقف ابن مزهر من ذريته على هذه التربة، إن الأثر من أوائل القرن التاسع تحقيقًا.

ابن مزهر

وابن مزهر الذي نسب إليه هذا الأثر، هو المقر الأشرف البدري بدر الديـن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الخالق ابن عثمان بن مزهر الدمشقي، ولد بها سنة (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، وقدم القاهرة سنة (٨١٣هـ/ ١٤١٠م)، وتعين في وظائف الدولة إلى أن آلت إليه كتابة السر فنظر الجيش بالنيابة، ومات في جمادى الأولى سنة (٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م)، ودفن بتربته هذه[١].



قبة ابن مزهر «عن كريسويل»

ودفن بها من أولاده وحفدته بلال الدين محمد بن مزهر ولد سـنة (٨١٤هـ/ ١٤١١م)، ومات في رجب سـنة (٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م)، وشهاب الدين أحمد، وزين الدين أبو بكر ولد سنة (٨٣١هـ/ ١٤٢٧م)، ومات في رمضان سنة (٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م)، وهو صاحب مدرسة ابن مزهر بحارة برجوان بالقاهرة[٢].

(١) محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري الدمشقي الشافعي بدر الدين ابن مزهر: كاتب السر الشريف، توفي في جمادى الآخرة سنة (٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م)، وهو والد القاضي تقي الدين أبو بكر ابن مزهر، كان عالمًا فاضلاً، تولى عدة وظائف، ورقي في دولة= الأشرف برسباي، ولد سنة (٧٨٦هـ/ ١٣٤٨م)، فلما مات تقرر في كتابة السر بعده ولده جلال الدين محمد والذي صرف عنها بالشريف شهاب الدين بن عدنان، انظر: ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ١٢٣-١٢٤.

(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٩: ٣٩-٤٠. وقد ذكر مولده بعام ٧٨٦ هـ/ ١٣٨٤م.

وأمه خديجة بنت أمير حاج البيسري، ماتت في رمضان سنة (٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م) ودفنت بالتربة[١]، وأولاده عبد الله وكمال الدين مات في شعبان سنة (٩١٠هـ/ ١٥٠٤م)، ومحمد ويحيي وإبراهيم ويوسف والأخير مات في رمضان سنة (٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م)، ومحمد آخر أمه جركسية اسمها سكزباي ولد سنة (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)، ومات سنة (٩١٠هـ/ ١٥٠٤م)، وهو صاحب المدرسة المزهرية بالكراشين شارع البغالة خارج باب الفتوح .

هؤلاء من عرف بالدفن من آل مزهر في هذا الأثر، وقد امتدت ذرية ابن مزهر هذا إلى أواخر القرن المنصرم، وكان كتاب نظار وقفه ومجموعة من تقاريرهم على الوقف قد أيدت ما ذكرناه عن هذا الأثر آنفًا.

وعلى يسار القبلة كتابة تاريخية قرأنا ما فيها من نص:

تولى الملك الأشرف قايتباي المحمودي سلطنة مصر في سادس رجب سنة اثنين وسبعين وثمنماية وتوفي إلى رحمة الله تعالى يوم الأحد سابع وعشرين ذي القعدة سنة إحدى وتسعماية وكانت مدة سلطنته بمصر تسعة وعشرين سنة وخمسة أشهر

والكتابة هذه متأخرة عن عصر الأثر.

قبة ابن متهار

وخلف المزهرية بينها وبين تربة جاني بك وآق بردي، تربة عيسى بن مهتار تخلفت منها قبة من منشآت سنة (٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م)، وبها مذكرة تاريخية هذا نصها:

البسملة، لمثل هذا فليعمل العاملون، أمر بإنشاء هذه القبة المباركة، الفقير إلى الله تعالى المقر العالي الركني بيبرس الجاشنكير أستاذ دار العالية الملكية الناصرية على ضريح العبد الفقير إلى الله تعالى الغريب عن أهله ووطنه عيسى بن مهتار رحمه الله من شهر صفر سنة ست وسبعمائه

ومنشئ هذا الأثر لهذا المتوفى هو الملك بيبرس الثاني آل إليه الملك، والمنسوب إليه الخانفاه البيبرسية بالجمالية «خط دار الوزارة سابقًا»[٢]، لم تسجل حفظ الآثار هذه التربة.

وقرأنا على يسار القبلة بهذا الأثر نصًّا تاريخيًّا يتضمن ولاية الملك الأشرف قايتباي في سادس رجب سنة (٨٧٢هـ/

(١) خديجة ابنة أمير حاج بن البيسري: تنسب للأمير بدر الدين الشمسي الصالحي، صاحب الدار الكبيرة بين القصرين المعروفة بالبيسرية، تزوجت ثالث زوج النجم بن حجي الذي ذبح بدمشق، عندها تزوجت البدر بن مزهر، واستولدها الزيني أبو بكر، ولم يلبث أن مات، فتزوجها سعد الدين إبراهيم بن المرة ناظر جدة، واستولدها أيضًا ومات بعدها، ثم تزوجت العلم البقليني ومات أيضًا معها، وكانت أحد الأسباب في إقامته في المنصب أيام الدولة الإينالية، لمزيد اختصاصها بخوند العظمى، ولم تتزوج بعده، ابتنت رباطًا للأرامل، ماتت في سنة (٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م)، دفنت بتربة ولدها بالقرب من الشيخ عبد الله المنوفي، انظر: المرجع السابق، مج. ١٢: ٢٥-٢٦.

(٢) عن سيرة المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير، انظر: أبو بكر عبد الله بن أيبك الدواداري، **كنز الدرر وجامع الغرر**، تحقيق بيرند راتكه وآخرون، مج. ٩، مصادر تاريخ مصر الإسلامية (القاهرة: المعهد الألماني للآثار. قسم الدراسات الإسلامية، ١٩٧٢-١٩٨٢): ١٥٦-١٨٩؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، مج. ١: ٢٨٧-٢٩١؛ مج. ٢: ١٧-١٨؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٢: ٤٥-٧١؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٧٤١-٧٤٣؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ١: ٥٠٢-٥٠٧؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٨: ٢٣٢-٢٧٧؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٣: ٤٦٧-٤٧٣؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٤٢٣-٤٣١.

١٤٦٧م)، ووفاته في يوم الأحد ٢٧ من ذي القعدة سنة (٩٠١هـ/ ١٤٩٥م)، وكانت مدة سلطنته بمصر ٢٩ سنة وخمسة أشهر[١].

قبة جاني بك الأشرفي

أثر رقم ١٢٢ (سنة ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م)

بحري الأشرفية بينها وبين البرقوقية بالجبانة الشرقية[٢]، أنشأها الملك الأشرف برسباي في سنة (٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م) لابن أخته جاني بك الأشرفي[٣]، بدأ بإنشائها له في سنة (٨٣١هـ/ ١٤٢٧م)، ولما كملت عمارتها نقل إليها رفات الأمير المذكور من مدرسته الجانبكية بالقاهرة ودفنه بها[٤].



قبة جاني بك الأشرفي «عن فييت»

قال ابن تغري بردي في ترجمته: «ودفن بمدرسته التي أنشأها بالشارع خارج باب زويلة، ثم نقل منها بعد موته إلى تربة عمرها له أستاذه الملك الأشرف بالصحراء بالقرب من تربته»[٥].

هذا النص لا يدع مجالاً للشك واحتمال الفروض في نسبة هذا الأثر إلى منشئه المذكور.

(١) المرجع السابق، مج. ٣: ٣-٥، ٣٢٤-٣٣٢.

(٢) للمزيد من التفاصيل المعمارية والأثرية بمدرسة جاني بك الأشرفي، انظر: حسن عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية: التي صلى فيها فريضة الجمعة حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول**، مج. ١ (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٤٦): ٢١٨-٢٢٠.

(٣) جانبك الأشرفي برسباي: هو من مشتروات الأشرف برسباي وليس قريبه جانم بن عبد الله الأشرفي الذي يذكره صاحب المزارات، اشتراه صغيرًا فرقاه إلى أن أمره طبلخاناه سنة (٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م)، وأرسله إلى الشام لتقليد النواب، وتقرر أولاً خازندارًا، ثم دويدارًا ثانيًا بعد سفر قرقماس إلى الحجاز، وشرع في عمارة المدرسة التي بالشارع عند القربيين خارج باب زويلة، وابتدأ به مرضه بالمغص؛ ثم انتقل إلى القولنج وواظبه الأطباء بالأدوية، ثم اشتد به الأمر فعاده سائر أهل الدولة بعد الخدمة السلطانية، فحجبوا دونه، فلما بلغ السلطان نزل إليه العصر فعاده، واغتم له وأمر بنقله إلى القلعة، إلى أن تماثل ونزل لداره فانتكس أيضًا، وتمادى به الأمر حتى مات في سنة (٨٣١هـ/ ١٤٢٧م)، عن خمس وعشرين عامًا، ثم دفن بمدرسته، انظر: ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ٤٠٨؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٥٤-٥٥؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٥: ١٤٨؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**: ٢٣٢-٢٣٥.

(٤) المدرسة الجانبكية: هي المعروفة بجامع الجانبكية بخط القربيين خارج باب زويلة المعروف بشارع المغربلين؛ مسجلة باللجنة رقم ١١٩، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٥٥؛ ابن تغري = بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٤: ٣٠٩؛ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **تحفة الأحباب وبغية الطلاب** (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٨٦): ١٠٦؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ١٣٤.

(٥) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٥: ١٤٨؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٤: ٢٣٤.

الخانقاه الأشرفية

أثر رقم ١٢١ (سنة ٨٣٥هـ/ ١٤٣٢م)

بالصحراء بين البرقوقية وقايتباي، تعرف بمسجد الأشرف[١]، قرأنا على جانبيه النص الآتي:

البسملة... أنشأ هذه الخانقاه المقام الشريف مولانا السلطان الملك الأشرف سلطان الإسلام والمسلمين أبو النصر برسباي عز نصره. وكان الفراغ من ذلك في شهر ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وثمانمائة.

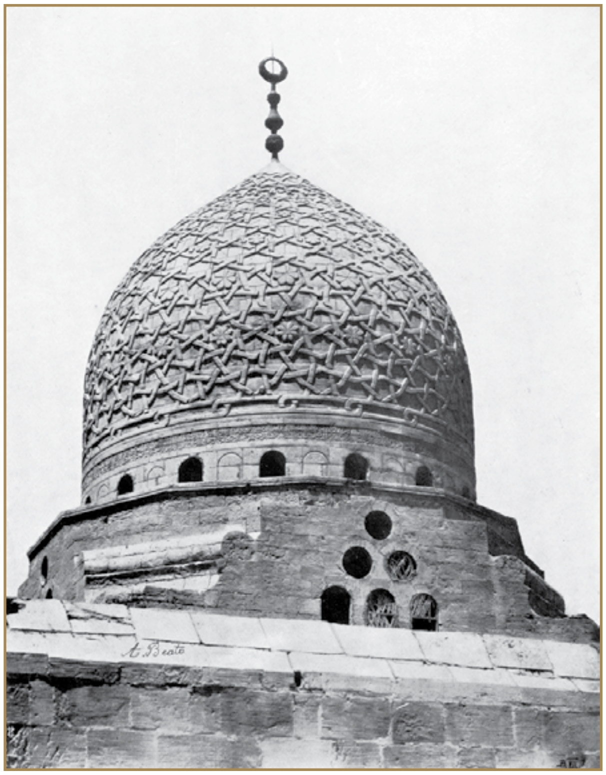
وبطراز الوجهة مذكرة أخرى هذا نص ما تضمنته:

البسملة... وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم ...أنعم الله تعالى على عبده السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر برسباي عز نصره بتاريخ جمادى الأولى سنة أربعة وثلاثين وثمان مائة .

وبالأثر ملخص ما وقفه الأشرف على هذا الأثر وقد قرأنا فيه ما يلي:

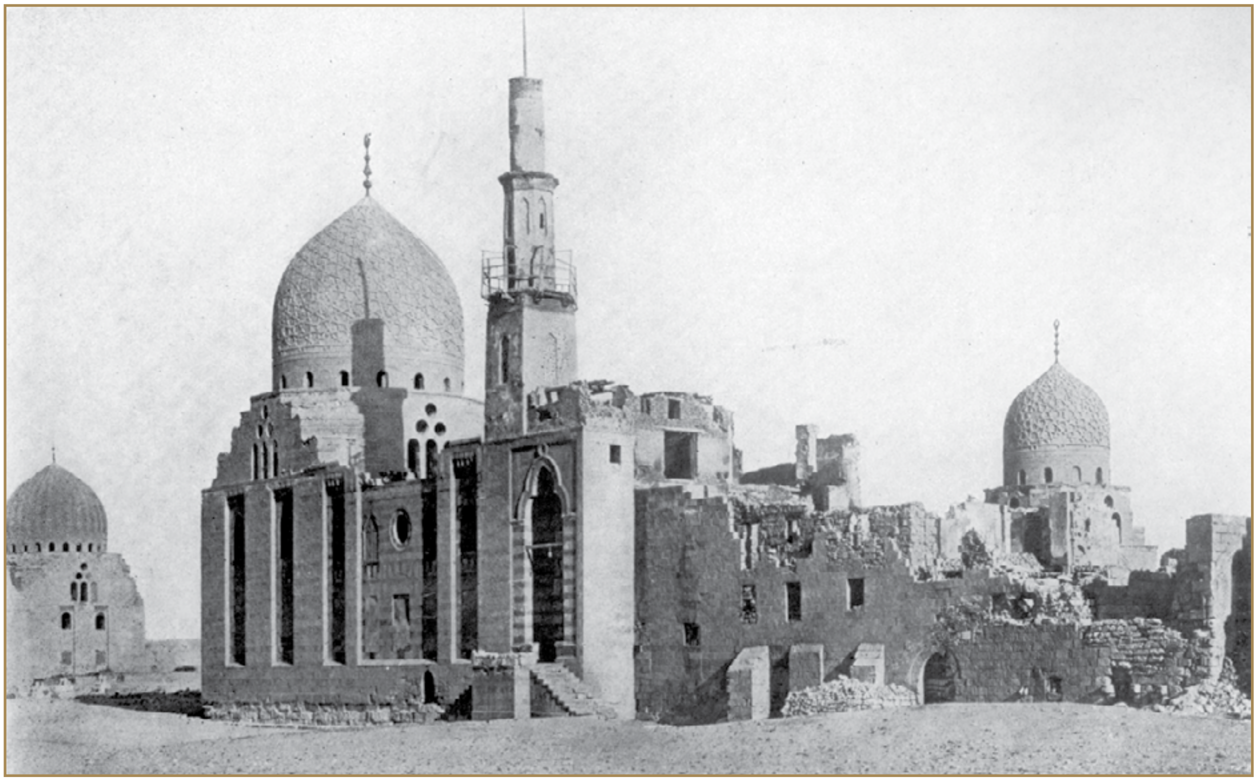
البسملة... وما تقدموا من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرًا، أوقف وحبس وسبل وأيد وتصدق من فائض نعم الله تعالى على عبده مولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر برسباي عز نصره على المرحوم يشبك الخازندار تغمده الله برحمته على تربة أنشأها المقام الشريف بالصحراء، كنيسة سردوس بالغربية، والناظر عليها إينال الخازندار وأن يتولى بعده خازندار إذ ذاك، وجعل الثلث من محصل

(١) للمزيد من التفاصيل المعمارية والأثرية الخاصة بخانقاه الأشرف برسباي بالقرافة، انظر: عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**، مج. ١: ٢٢٥-٢٢٨.



قبة الخانقاه الأشرفية «عن كريسويل»

الناحية المذكورة على خمسة نفر كل منها بثلاث مائة، الخمسة بألف وخمسمائة درهم، وزيت الوقيد في كل شهر مائة درهم وللفراش في كل شهر مائة درهم، وللمزملاتي في كل شهر مائة درهم ماء عذب في السبيل في كل سنة ألف درهم ، ثمن... في السنة ألف درهم، والثلث يصرف للمارستان المنصوري ومهما فاض بعد ذلك يصرف توسعة وصدقة، جعل الله ذلك ثوابًا له ومغفرة وأجرًا يارب العالمين اللَّهُمَّ تقبل عمله وارحمه اللَّهُمَّ واختم بالصالحات عمله، بتاريخ جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وثمان مائة .



منظر عام للخانقاه الأشرفية «عن كريسويل»

البسملة . الآية المتقدمة أوقف وحبس وتصدق من فائض نعم الله تعالى مولانا السلطان الملك الأشرف برسباي عز نصره على أخيه المرحوم السيفي يشبك رحمه الله بتربة أنشأها المقام الشريف بالصحراء وهو جميع القيسارتين العلو والسفل والحوانيت بباب اللوق على عشرة نفر من القراء في الشهر أربعة آلاف، وثمن خبز كل ليلة جمعة ثمان مائة وستين ولجامع الظاهر بيبرس بالحسنية في كل شهر الفين، وسيدي عبد الله الجبرتي في كل شهر أربع مائة، ومعلوم النظر في الشهر خمسمائة، وللشاهد أربع مائة ،وللجابي خمسمائة وثمن زيت في الشهر ثلاثمائة، وللبواب مائتين، وللمزملاتي مائة وخمسين، وثمن لحم في شهر رمضان خمسة آلاف وأربعمائة، وتوسعة سلطان بزيت وغيره ألف درهم.

البسملة . أوقف وحبس وسبل وتصدق من فائض نعم الله على عبده مولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر برسباي عز نصره على المرحومين آقطوه وقاني بك أقارب المقام الشريف تغمدهما الله برحمته على تربة إنشاء المقام الشريف بالحوش بالصحراء بناحية بيلا والحصة والمنبة بالغربية على أربعة قراء يقرأون القرآن العظيم بالتربة المذكورة كل نفر منهم في الشهر ثلثماية، والإمام في الشهر ثلثماية، وزيت القناديل في الشهر مائة وعشرين، والبواب والفراش في الشهر مائة، وأضحية في السنة ألفي، وتوسعة شهر رمضان في السنة خمس مائة، صدقة لله تعالى في كل



منظر عام للخانقاه الأشرفية «عن كريسويل»

جمعة ماية على الشخصين، والناظر جانم قريب المقام، ومن بعده يكون ناظر على الأشرفية

مذكرة بسقف الإيوان

البسملة... أمر بـإنشاء هذه التربة المباركة سيدنا ومولانا ومالك رقنا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر برسباي سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيي العـدل في العالمين حامي حـوزة الدين مظهـر الحق بالبراهين كـنز الفقراء والمسـاكين ذخر الأرامـل والمحتاجين سـلطان الأرض الحاكـم طولهـا والعرض القائم بالسـنة والفـرض الحاكم بأمـر الله التـالي لكتاب الله التابع لسـنة رسـول الله صاحب السـيف والقلم والبند والعلم سـيد الـترك والعـرب والعجم، أبي المعالي والهمـم أفضل من حكم في عصره بالحكم صاحب المناقب العلوية والهمة الأصمعية سـلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والقلاع السواحلية والحصون الإسـماعلية، صاحب الأقطار الحجازية والثغور السـكندرية، صاحب الصدقات والمعروف المغيث لـكل مظلوم وملهـوف المجاهـد المرابط سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين السلطان المالك الملك الأشرف برسباي ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين جاهان شاهان إسـكندر الزمان حامي حوزة الديـن مبيد الطغاة والمارقين قامع الخوارج والمتمردين السلطان المالك الملـك الأشرف أبو النصر برسـباي أدام الله أيامه

وأنفذ في جميــع الأرض أحكامه ونشر في الخافقين أعلامه بمحمد وآله وصحبه يارب العالمين.

الأعيان الموقوفة المنصوص عليها في هذه الوقفيات هي جميع أراضي كنيسة الصرادوس «سردوس» وزمامها (٢٣٢٨ فدانًا) مركز دســوق غربية، وبيلا مركــز غربية وزمامها (٢١٣٢٨ فدانًا)، والحصة مركز طوخ قليوبية وزمامها (١٣٠٤ فدانًا)، والمنية مركز شــبين القناطر قليوبية وزمامها (٥٢٣ فدانًا)، ومجموع ذلك (٢٥٤٨٣ فدانًا).

والوصــف الذي لقب به الملك الأشرف برســباي في هذه النصوص، فيــه ما ينطبق عليه فقد كان ملكًا جمع بين العلم والسياسة والحرب والقلم، وفوق ذلك فإن التاريخ قد أضفى عليه أنه الملك الذي دوخ حملة الصليب من فرسان يوحنا حينما أغاروا على مصر وأسر مليكهم وجيء به مكبلاً مقفصًا وشــهر به في القاهرة[١]، وفي هذه النصوص ما يرينا صورة كاملة عن اتســاع رقعة ملكه، فقد كانت جل بلاد آسيا والشام والجزيرة العربية إلى ما وراء النهر تخضع لمصر وحكومتها وتدين بالطاعة لمليكها[٢].

وهذا الأثــر وإن كانت التقلبــات الزمنية قد غيرت من طبيعته بعض الشيء كما يظهر في مئذنته، فإنه لا يزال مطبوعًا بطابع هذا الملــك، وفي جانب منه للجهة البحرية تربة زوجته الخوند جلبان الأميرة السيدة وردة بنت الأمير ياش بك «يشــبك» ططر جركس، وهي أم ولده الســلطان الملك العزيز، ماتت في شــوال ســنة (٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م)[٣]، عَمَّرها السلطان المذكور في سنة (٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م).

وخلف هذا الأثر حوش به قباب منها قبة قرأنا عليها هذا النص:

تــوفي المرحوم ســيدي جويبي بــن داود ولد المقام الشريف رجب مرجان بتاريخ ثامن عشر من شوال سنة أحد وأربعين وثمان مائة

ويشبك المذكور في الوقفية هو من أخوة الملك الأشرف برســباي، وكان موته هو الســبب الباعث لبناء الملك هذا الأثر[٤]، ومن دفنى هذه التربة الملك الأشرف وولده العزيز وتاني بك وأفراد أخرى من أسرة الأشرف برسباي[٥].

والمنبر الموجود بالأثر كان في جامع الغمري هو والدكة ونقلا إليه منها، وهما من عمل إبراهيم بن حســن المنادي التاجر بسويقة أمير الجيوش لجامع الغمري في سنة (٨٤٩هـ/

(١) أسر الأشرف برسباي جانوس ملك قبرص وليس قائد فرسان القديس يوحنا، انظر: ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ٤٨١.

(٢) عن سيرة الأشرف برسباي، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٢: ٨-١٠؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٨١-٨٥، ١٨٨-١٩٠.

(٣) خوند جلبان ابنة يشبك ططر الجركسية الأشرفية برسباي: اشتراها واستولدها يوسف الذي عمل السلطنة بعده ولقبه العزيز، ثم تزوجها بعد زوجته خوند الكبرى أم ولده محمد، ثم أسكنها قاعة العواميد، ماتت سنة (٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م)، ودفنت في تربة الأشرف بالصحراء خارج الباب المحروق، انظر: ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٤: ٢٧؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٥: ٢٠٣؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٢: ١٧.

(٤) يشبك أخو الأشرف برسباي: وهو أسنهما، استقدمه أخوه من جركس في سلطنته، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه، ثم قدمه ولم يلبث أن مات بالطاعون، في سنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)، ودفن في حوش أخيه، انظر: ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ٤٥٣؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ٢٨٠.

(٥) محمد الناصري بن الملك الأشرف برسباي: أمه خوند الكبرى زوجة دقماق المحمدي المنسوب أبوه إليه، تسلطن والده وهو بعمر خمس سنوات، أنعم عليه في سنة (٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م) بتقدمة أمير السلاح إينال النوروزي، وكان قد عين للسلطنة بعد أبوه، مات في سنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)، مطعونًا ولم يناهز الحلم، ودفن بمدرسة أبيه، انظر: المرجعين السابقين: ٤٤٩؛ مج. ٧: ١٥٠.

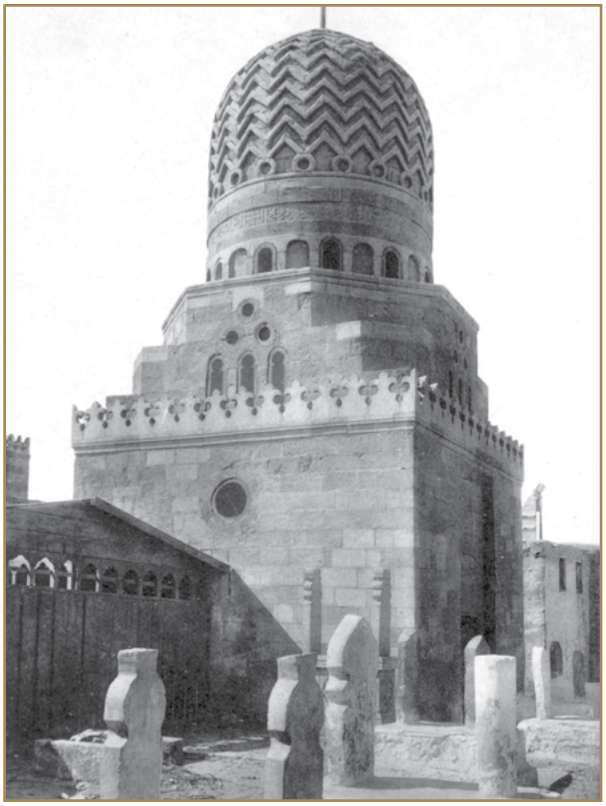
١٤٤٥م)، ومن صنع المعلم أحمـــد الدمياطي، ومات المنادي سنة (٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م).

قبة نصر الله

أثر رقم ٨٨ (سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م)

هذه القبة بأول البستان أنشأها الصاحب ابن نصر الله في سنة (٨٤١هـ/ ١٤٣٧م) وهي من الحجر، وغطاؤها مزخرف بأشكال هندسية عبارة عن مثلثات مقلوبة من نوع مئذنة المؤيد والأشرف بالقاهرة.(١)

ومنشؤها هو حســـن بن نصر الله بن حسن بن محمد ابن أحمد بن عبد الكريم بن عبد الســـلام الأذكوي، ولد في ربيع الأول ســـنة (٧٦٦هـ/ ١٣٦٤م) بفوة، ونشأ بإدكو، وقدم القاهرة في ســـنة (٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م)، وتولى حســـبة القاهرة ونظر الجيش والوزارة في عهد الملك المؤيد شيخ، ثم أستادارًا في عهد الملك الصالح ططر، وفي سنة (٨٤١هـ/ ١٤٣٧م) عينه الملك الأشرف برسباي كاتبًا للسر بعد موت ولده، ثم عزله الملك الظاهر جقمق، ومات في ربيع الأول ســـنة (٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م) ودفن بتربته هذه(٢)، وقد وصفها الســـخاوي خارج الباب الجديد «باب البرقية»، وله بفوة مسجد يعرف بجامع ابن نصر الله أنشـــأه في سنة (٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م)، ولا يزال قائمًا



قبة نصر الله «عن فييت»

بها إلى الآن معروفًا باســـم المنشئ، وقد دفن بهذا الأثر ولد المنشئ الصاحب صلاح الدين محمد الأستادار وكاتب السر للملك الأشرف برسباي توفي مطعونًا سنة (٨٤١هـ/ ١٤٣٧م) في حياة والده(٣)، وأنشـــأ له هذه التربة لدفنه، وتحتفظ لجنة الآثار العربية بهذا الأثر وتسميه بكوز العسل!!

---

(١) تقع قبة نصر الله بشارع السلطان أحمد شرق خانقاه أم أنوك ومسجد الشرقاوي، بجوار قبة أزرمك (المراجع)، انظر: رزق، **أطلس العمارة**، مج. ٣، ج. ١: ٦٨٦-٦٧٥.

(٢) حسن بن نصر الله: بدر الدين حسن بن نصر الله بن حسن بن محمد بن أحمد بن عبد الكريم بن عبد السلام الأذكوي الأصل ثم الفوي، كاتب سر الديار المصرية، وناظر جيشها وخاصها والوزير بها، ثم الأستادار، ثم محتسب القاهرة، توفي في سنة (٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م)، ودفن بتربته بالصحراء خارج الباب الجديد، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٥: ٤٩٤-٤٩٥؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٤: ٣٠٥؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ١٣٠؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ١٨٦.

(٣) المرجع السابق: ١٧٦، ١٨٣، ١٨٦.

قبة الرفاعي (يشبك)

أثر رقم ١٠٨ (سنة ٨٣٧- ٨٨٤هـ/ ١٤٣٣- ١٤٧٩م)

هــذه القبة تجاه الأشرفية بالصحراء، أنشــأها الملك الأشرف برسباي في أول ســنة (٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م)، وتمت في شوال من هذه الســنة، ووقف عليها وقفًا تحررت به حجة شرعية بتاريخ ٢٣ شوال سنة (٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م) مسجلة برقم ٣٣٣٩، وجعلها مسجدًا لله تعالى وزاوية للرفاعية الأحمدية، وعين لها الشيخ حسن بن ساطلمش الرفاعي، وشرط النظر له مدة حياته ثم لمن بعده من شــيوخ الرفاعية، كما اشترط أن يكــون الناظر عليها رفاعيًّــا أحمديًّا، ورصد للصرف عليها البســتان الذي كان في ملك المقر الكريم خشــقدم الزمام بالآدر الشريفة[١]، بخط فم الخور بحكر ابن الصاحب، بحري بستان كريم الدين بالقرب من اللوق، وكان قد اشتراه من المذكور بخمســمائة دينارٍ أشرفي، ومحل هذا البســتان حاليًّا مدخل شارع الترعة البولاقية القبلي.

ولما توفي الناظر المذكور تعين بدله آخر يدعى الشــيخ علي الرفــاعي، ذكره ابن إيــاس في وفيات ســنة (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)[٢].

وقد اســتمرت هذه الزاوية مســتقرًّا للرفاعية حتى نزلها الشيخ عز الدين الرفاعي وكان معتقد الأمير يشبك من مهدي الدوادار[٣]، فجدد له الزاوية وبنى له مدفنًا رفع عليه القبة الحالية، ووقف عليــه وقفه المعروف بوقف الرفاعية المحرر في العشرين من شعبان سنة (٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م).

وقد حققت لي هذه الوثيقــة أن القبة الحالية هي من بناء الأمير يشــبك للشــيخ عز الدين هذا، كما حققت لي وثيقة الأشرف برســباي منشىء هذا الأثر، وبترددي على زيارة هذا الأثر تبين لي في آخر زيارة لي في ســنة (١٩٣٩م)، حين شرعــت في طبع كتابي هذا أن القبة الحالية هي صورة مصغرة من قبتي يشبك بالمطرية والريدانية[٤]، غير أن هذه تمتاز بشريط آخر من المناور وداخلها يتحلى بمجموعة من المقرنصات نســبة ما وجد منها بآثار يشبك، وتحتفظ لجنة الآثار العربية بهذا الأثر وتســميه بقبة الرفاعي، ولم يحقق رجالها ما حققناه عنهــا، ووصفها كريزول في فهرس الآثار الإسلامية في منشآت أوائل القرن العاشر!

والشيخ عز الدين الثاوي بهذا الأثر إلى جانب شيوخ الزاوية الرفاعية من رفاعية المنوفية[٥]، وهو حفيد للشــيخ

---

(١) خشقدم الظاهري برقوق الخصي: تنقل إلى أن صار خازندارًا في الأيام الأشرفية، ثم صرف عنها واستقر زمامًا حتى مات، توفي سنة (٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م)، ودفن بالقرب من مشهد الإمام الليث من القرافة الصغرى، واستقر جوهر اللالا بعده زمامًا، شرع في بناء مدرسة بالأخفافيين، وبدء بعمل صهريج وسبيل بها، وهو صاحب المدرسة الزمامية بمكة، وكان أمير الحج في سنة (٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م) صحبة خوند جلبان زوجة الأشرف وأم العزيز، وهو صاحب الدار التي تعرف بدار الأتابك أزبك بالقرب من جامع المغربي بجوار قنطرة الموسكي، انظر: ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٤: ٢٧-٢٨؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ١٧٥.

(٢) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٣١٠.

(٣) عن سيرة الأمير يشبك من مهدي الظاهري جقمق الصغير، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ٢٧٢-٢٧٤؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ١٦٥-١٦٦، ١٧٠-١٧٥.

(٤) من طرز هذه القبة غير قبتي يشبك، قبة قجماس الظاهري (٨٨٦هـ/ ١٤٨١م)، وهي صورة مصغرة من قبة الرفاعي، وتقع في مقابلها شمالاً وتسميها إدارة الآثار قبة السبع بنات، ثم قبة الشعراني وقبة جانم الحمزاوي للشيخ الدشطوتي بحدرة الفول. (المؤلف)

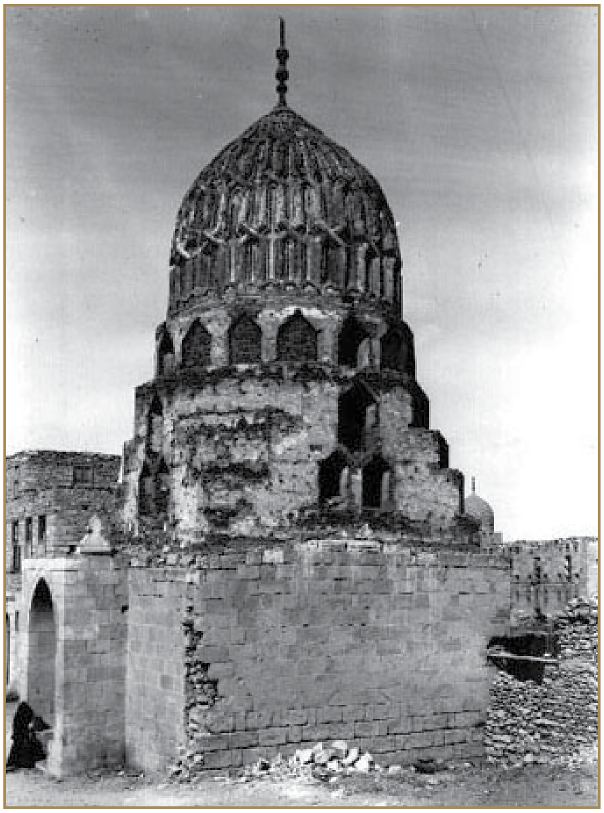
(٥) هدمت زاويته ونقلت رفاته في جمادى الأولى سنة (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م)، إلى المقبرة التي أعدتها مصلحة التنظيم لنقل رفات الأضرحة التي تزاحم مشاريع تنظيم القاهرة وظواهرها وهي بشارع باب الوزير. (المؤلف)

عز الدين الرفاعي، والد الشيخ تاج الدين الرفاعي الثاوي برباط بحكر أقبغا بالسبع سقايات[١].

وقد ذكرنا فيما تقدم في ترجمة يشبك مجدِّد هذا الأثر نقلاً عن السخاوي في «الضوء اللامع» أنه أنشأ تربة بالصحراء[٢]، وبنى للشيخ عز الدين الرفاعي زاوية ومقامًا، والسخاوي في هذا النص يضع التربة في مقابل قبة النصر التي كانت تقع بأقصى ميدان القبق، وهو وضع غير مستقيم، إذ إن هذه القبة تقع في المنطقة الجنوبية من قبة النصر «انظر تحقيقًا عن قبة النصر»، إلا إن كان يقصد أنها في مقابلها من الناحية البحرية.

(١) حكر أقبغا: هذا الحكر بجوار السبع سقايات بعضه بجانب الخليج الغربي وبعضه بجانب الخليج الشرقي، كان بستانًا يعرف قديمًا بجنان الحارة، ويسلك إليه من خط قناطر السباع على يمنة السالك طالبًا السبع سقايات بالقرب من الكنيسة الحمراء، وكان بعضه بستانًا يعرف ببستان المحلي، وهو الذي في غربي الخليج، وكان بستان جنان الحارة بجوار بركة قارون، وينتهي إلى حوض الدمياطي الموجود الآن على يمنة من سلك من خط السبع سقايات إلى قنطرة السد، فاستولى عليه الأمير أقبغا عبد الواحد أستادار الملك الناصر محمد بن قلاوون، وأذن للناس في تحكيره، فحكر وبنى فيه عدة مساكن، وإلى يومنا هذا يجبى حكره ويصرف في مصارف المدرسة الأقبغاوية المجاورة للجامع الأزهر بالقاهرة، وأول من عمر في حكر أقبغا هذا أستادار الأمير جنكلي بن البابا، فتبعه الناس وفي موضع هذا الحكر كانت كنيسة حمراء، وهي التي هدمها العامة في أيام الملك الناصر محمد، وهي اليوم زاوية تعرف بزاوية الشيخ يوسف العجمي، وهذا الحكر كان يعرف قديمًا بالحمراء الدنيا، وبه قنطرة تعرف بقنطرة عبد العزيز بن مروان، وموضع هذا الحكر في وقتنا الحالي في منطقة حارة السيدة زينب، وجنينة لاظ وشوارعها، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٨٤-٣٨٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ٣٨٧؛ مج. ٩: ١٩٦، هامش ١.

(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ٢٧٤.



قبة خديجة بنت الأشرف «عن كريسويل»

قبة خديجة بنت الأشرف

أثر رقم ١٠٦ (سنة ٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م)

في الجهة القبلية الغربية للتربة الأشرفية تجاه الخانقاه السيفية بالقرافة الشرقية، أنشأها الأمير عبد الرحمن بن عبد الغني بن شاكر بن ماجد بن عبد الوهاب بن الجيعان ناظر الخزانة وكاتبها، مات في المحرم سنة (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)، قال السخاوي في ترجمته في «الضوء اللامع»: «ودفن بتربته التي أنشأها بالصحراء تجاه الأشرفية»[٣].

(٣) عبد الرحمن بن عبد الغني بن شاكر بن ماجد بن عبد الوهاب ابن يعقوب المجد أبو الفضل بن الفخر بن الجيعان: أخو إبراهيم وشاكر، كان ناظر الخزانة وكاتبها، مات في سنة (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)، بعد قدومه من الحج متمرضًا بأيام، دفن بتربتهم بالقرافة، ثم=

وقد نسبت هذه القبة إلى المرحومة خديجة بنت المقر الأشرف كريم الدين عبد الكريم بن الجيعان، تزوجها أحمد ابن سالم الأزبكي واستولدها ابنة، ثم تزوجها البهاء بن المحرقي الخطيب، وهي من دفنى هذا الأثر وتسميها إدارة حفظ الآثار الإسلامية خديجة أم الأشرف[1]، وتتماثل هذه القبة في فنها مع قبة تغري بردي صاحب المسجد بسوق الأساكفة بالقاهرة المنشأة في سنة (٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م).

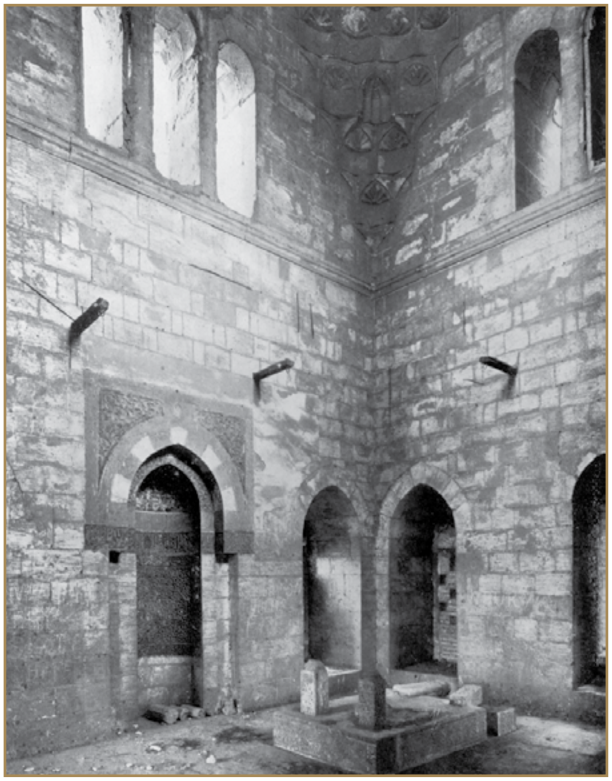
تربة أبو الخير الصوفي

أثر رقم ٣٧٣ (سنة ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م)

أنشأها أبو الخير محمد الصوفي الكركي وكيل السلطان الظاهر جقمق في سنة (٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م)، ويعلو بابها نص تاريخي قرأنا فيه ما يلي:

أنشأ هذه التربة المباركة العبد الفقير إلى الله تعالى.
راجي رحمة ربه (.....) ومغفرته وكرمه أبو الخير
محمد الصوفي وكيل مهام مولانا الشريف عز نصره
بتاريخ عام ثلاث وخمسين وثمان مائة

وهذا الأثر بجبانة المجاورين الشرقية بحوش الباشا بالطويلية[2]، ومنشئ هذا الأثر هو الشيخ أبو الخير محمد الكركي الأصل البرلسي نزيل القاهرة، تولى الوكالة للأمير يعقوب شاه المهندار، وهذه آخر خدماته، ثم اتجه ناحية التصوف، وسلك بالطريقة البرهانية المنسوبة إلى السيد



تربة أبو الخير الصوفي «عن كريسويل»

إبراهيم المنوفي وآلت إليه مشيختها، وتكسب بآخره بالعدول، وأجازه البكري وغيره.

قال السخاوي في ترجمته في «الضوء اللامع»: «مات في صفر سنة (٨٩٠هـ)، وصُلِّي عليه بالأزهر، ودفن بزاويته بالقرب من الباطلية»[3].

= نقل بعد مدة إلى تربته بالصحراء تجاه تربة الأشرف برسباي، وهو صاحب المدرسة اللطيفة المجاورة لبيتهم بالسبع قاعات، انظر: المرجع السابق، مج. ٤: ٨٥.

(١) المرجع السابق، مج. ١٢: ٢٨.

(٢) تربة أبو الخير محمد الصوفي كانت داخل خانقاه طيبغا الطويل وتم هدمها عند توسعة طريق الأوتوستيراد، وحملت أحجارها وأودعت داخل قبة الرفاعية بالقرافة. (المراجع)

(٣) أبو الخير الكركي الأصل البرلسي نزيل القاهرة: خليفة المقام الدسوقي، وصاحب ديوان المهمندار يعقوب شاه، والمعين له على تحدثه في أوقاف الحاجب، ممن اشتغل وتميز في الفرائض والحساب والشرط، وتكسب بها، وذكر فيها ما لا يرتضى، بل زاد في تقبيح الصنيع معه إبراهيم التلواني، وشارك في الفقه، بحيث أذن له البكري والبامي في الإفتاء والتدريس، وصارت له زاوية وجماعة، مات في صفر سنة (٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م)، وصُلِّي عليه بالأزهر في مشهد حافل، ودفن بزاويته بالقرب من الباطلية، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١١: ١١٠.

ولا تزال هذه الزاوية قائمة إلى يومنا بحارة الباطلية جنوبي الأزهر ويعرف دربها بدرب الأربعين، وقد ضمت هذه الزاوية لهيئة الأوقاف سنة (١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م)، إثر تنظرها على الضريح والمصلى.

مسجد الملك الأشرف إينال

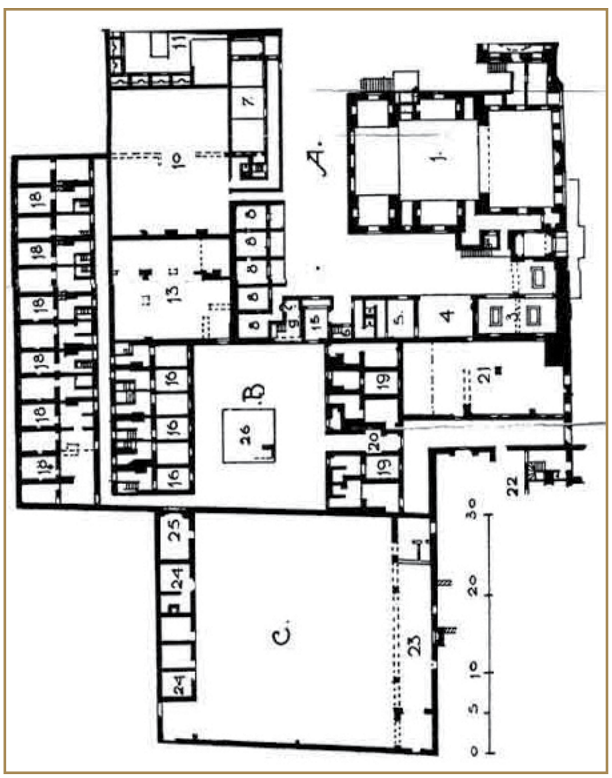
أثر رقم ١٥٨ (سنة ٨٥٩- ٨٦٠هـ/ ١٤٥٤- ١٤٥٥م)

هذا المسجد بالقرافة الشرقية بميدان القبق، أنشأه الملك الأشرف إينال برسم قبة وتربة، وقام بإنشائه في سنة (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)، قبل أن يسند إليه ملك مصر، ثم أكمله في سنة (٨٥٩- ٨٦٠هـ/ ١٤٥٤- ١٤٥٥م)[١]، وباشر إنشاءه المقر الأشرفي الجمالي يوسف بن كانب جكم ناظر الخاص، ذكره ابن إياس قال: «في رجب سنة (٨٦٠هـ) كانت نهاية عمارة مدرسة السلطان التي أنشأها بالصحراء، وقد احتفل بافتتاحها بحضور القضاة الأربعة ومد بها الأسمطة الفاخرة»[٢].

وقد دفن في القبة المتصلة بالمسجد المرحوم الشيخ محمد المغربي أحد صلحاء القاهرة في عصر هذا الملك، وكان معتقده وأمر بدفنه في القبة، وفي سنة (٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م) مات الملك المذكور ودفن بها[٣]، وفي المحرم سنة (٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م) ماتت ابنته فاطمة بالإسكندرية ونقلت رفاتها إلى هذه القبة فدفنت بها[٤].



مسجد الأشرف إينال «عن فييت»



مسقط أفقي لمسجد الأشرف إينال «عن كريسويل»

---

(١) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٣٣١.
(٢) المرجع السابق: ٣٣٣.
(٣) المرجع السابق: ٣٦٧.
(٤) الخوند فاطمة بنت الأشرف إينال: توفيت في الإسكندرية في صفر سنة (٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م)، وكانت قد توجهت إلى هناك لحضور حفل ختان أولاد أخيها الملك المؤيد أحمد بن الشرف إينال، فطعنت هناك وماتت، وكان الطعون عاملاً بالإسكندرية، فحملت وهي ميتة في سحلية، وأحضرت إلى القاهرة، فدفنت في=

وفي الرابع عشر من صفر سنة (٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م)، مات السلطان المؤيد أحمد أبو الفتح ابن المنشئ ودفن بها[١].

كما دفن بها العلائي أحمد بن إينال أسره السلطان سليم العثماني ونفاه إلى إســـتانبول، وأفرج عنه السلطان سليمان، وعاد إلى مصر في سنة (٩٢٨هـ/ ١٥٢١م) ومات بعدها[٢].

وفي سنة (٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م) ماتت بدرية خاتون كبرى بنات الملك إينـــال فدفنت بها[٣]، وهي زوجة المقر الأشرف بردبك صاحب الأثر بغلمان الصالحية[٤] وقناطر السباع[٥]، كما دفنت بها ابنته الثانية[٦] زوجة الأمير يونس الدوادار[٧]، وابنه الناصري محمد[٨].

= تربة أبيها إينال، وكان قد تزوجها الأمير كسباي الدوادار الثاني الخشقدمي ولم يدخل عليها، وكانت قبل ذلك تزوجت بالأمير يونس البواب الدوادار الكبير، ومات وهي في عصمته، انظر: المرجع السابق، مج. ٣: ٢٠.

(١) المرجع السابق: ٢٤٧.

(٢) العلائي علي بن الملك المؤيد أحمد بن الأشرف إينال، انظر: المرجع السابق، مج. ٥: ٢٢٩، ٢٧٢، ٣٩٧.

(٣) بدرية خاتون ابنة الأشرف إينال الكبرى: سبطة ابن خاص بك، وشقيقة المؤيد أحمد وفاطمة، تزوجها بردبك مملوك أبيها قبل سلطنته، واستولدها محمد وأحمد وإبراهيم، وابنتين إحداهما سعد الملوك وكانت تحت تنبك قرا، والثانية تزوجها برسباي البجاسي، ثم تزوجت سودون المنصوري، ثم آقبردي الأشرفي، وتأيمت على ولدها منه، واتصلت أمهم بعد أبيهم بقراجا الطويل نائب حماة، ماتت سنة (٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م) بمنزلهم في بولاق، فحملت بعد أن غسلت هناك إلى الجزيرة الوسطى، ثم إلى سبيل المؤمني، فَصُلِّيَ عليها بحضرة السلطان ثم دفنت بتربة أبيها، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٢: ١٢؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٣٦٧؛ مج. ٣: ١٠٢.

(٤) جامع بردبك الدوادار: دار الحديث البردبكية، بشارع أم الغلام (حارة الغلمان الصالحية سابقًا، أنشأها الأمير بردبك الدوادار الأشرفي صهر الملك إينال الأشرفي، في سنة (٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م)، واكتملت في السنة التالية، وهي دار للحديث، أنشئت في مكان القاعة الفاطمية التي أنشأها العزيز بالله في القصر الشرقي الكبير، ثم تحولت القاعة إلى مشهد للسيدة فاطمة الزهراء، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٤-٦.

(٥) بردبك الأشرفي إينال: ملكه في سبي قبرص سنة (٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م)، فرباه واعتقه وعمله خازنداره، وزوجه ابنته الكبرى، ثم دواداره، فلما تسلطن عمله دوادارًا ثالثًا مع إقطاعه إمرة عشرة، ثم نقله إلى الدوادارية، فارتقى في العظمة ونفوذ الكلمة، بنى بقناطر السباع مسجدًا هائلاً وكذلك بغزة ودمشق، صودر بعد خلع أحمد بن إينال، ونفي إلى مكة سنة (٨٦٦هـ/ ١٤٦١م)، ثم سمح له بالعودة إلى القاهرة سنة (٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م)، وقتل في طريق عودته ودفن بخليص، ثم نقل بعدها بسنة إلى مكة ودفن بالمعلاة، انظر: المرجع السابق: ٤-٥.

(٦) خوند فاطمة ابنة الأشرف إينال: سبطة ابن خاص بك، وشقيقة المؤيد أحمد وبدرية وهذه أصغر، تزوجها الأمير يونس الدوادار، انظر: المرجع السابق، مج. ١٢: ٩٠.

(٧) يونس أقباي المؤيدي: نائب الشام، ويعرف بالبواب وبالمشد، اتصل بخدمة أستاذه المؤيد شيخ، ثم صار خاصكيًّا في الدولة المظفرية أحمد، ثم بوابًا في الأشرفية برسباي، ثم ساقيًا في الظاهرية جقمق، ثم أمير عشرة، واختص بالظاهر جقمق، فلم يلبث أن نقله لسد الشرابخاناه، ثم قدمه وله عثمان، ثم ولاه الأشرف إينال الدوادارية الكبرى، لكونه كان في الفتنة من حزبه، وزوجه ابنته الصغرى البكر، وسار حسن السيرة، وافر الحرمة، مات في سنة (٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م)، ودفن بتربته العظيمة التي أنشأها بالصحراء، انظر: المرجع السابق، مج. ١٠: ٣٤٥.

(٨) محمد بن الأشرف إينال العلائي ناصر الدين: شقيق المؤيد أحمد، مات بالإسكندرية في مستهل ذي الحجة سنة (٨٦٦هـ/ ١٤٦١م)، عن نحو سبعة عشرة سنة، وحملت رمته إلى القاهرة، فدفن في تربة والده بالفسقية المدفون بها، انظر: المرجع السابق، مج. ٧: ١٤٨.

وللملك الأشرف إينال وقف مشترك صادر في العاشر من صفر سنة (٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م)، خص به أثره هذا، وجعل فاضله لذريته من بعده وهو يشتمل على أعيان بالقاهرة، منها وكالة إينال بالسبع خوخ (الخراطين- الصنادقية) والتي كانت مؤجرة لأحمد حسن الحاتي وهدمت في مايو سنة (١٩٥١م).

وقد تنظر على وقفه أخيرًا أسماء محمد عشماوي بالاشتراك مع ديوان الأوقاف في ١٩ يوليو سنة (١٩٠٢م)، وكتاب وقفه المذكور محفوظ بأوراق القضية رقم ١٤٩ سنة (١٩٠٤م)، وقد اطلعنا عليه فوجدناه مهلهلاً وفيه خرم، وهو مؤرخ بالعاشر من صفر سنة (٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م) كما تقدم.

وهذا الأثر من آثار القرافة من أهم ما يسترعي النظر لجمال زخارفه وانسجامها، ورشاقة مئذنتها الجميلة.

ومنشئ هذا الأثر من خيرة ملوك الدولة الجركسية الجنوبية اعتلى عرش مصر والبلاد في خراب من فتنة العساكر الثائرين، فاستطاع أن يمهد الطريق لهم ويحقق مطالبهم وبهذا هدأت الحالة، وكانت سياسته مهادنة جميع الدول وعقد محالفات معهم ولم يستثن من ذلك حتى دول الغرب، وكان ملوك الغرب حينما شعروا بجنوحه إلى السلم يوفدون رسلهم إليه بالتقادم والهدايا، فكان ينزلهم منازلهم ويكرم مثواهم، ولما رفض ملك القسطنطينية مهادنته لم يحزن لها، وفي عهد هذا الملك كانت مملكة مصر تحكم أكبر رقعة في القوقاس وهي تفليس وما والاها، كما استطاع أن يخضع لحكمه جزيرة قبرص بعد نقض عهودها السابقة، ولما اشتد حنق ملك القسطنطينية عليه، اضطر لأن يقابله بالمثل فشن عليه حربًا شعواء واحتل مدنه وحاصر قونية وقيصرية، فاضطر هذا للتسليم ولو طال عمر إينال بعد هذه الواقعة الحربية لكانت القسطنطينية والروم تحت سيطرته، ولكنه عاجلته المنية فمات مأسوفًا عليه، وخلفه ولده الملك المؤيد أحمد ولم يكن مثله[1].

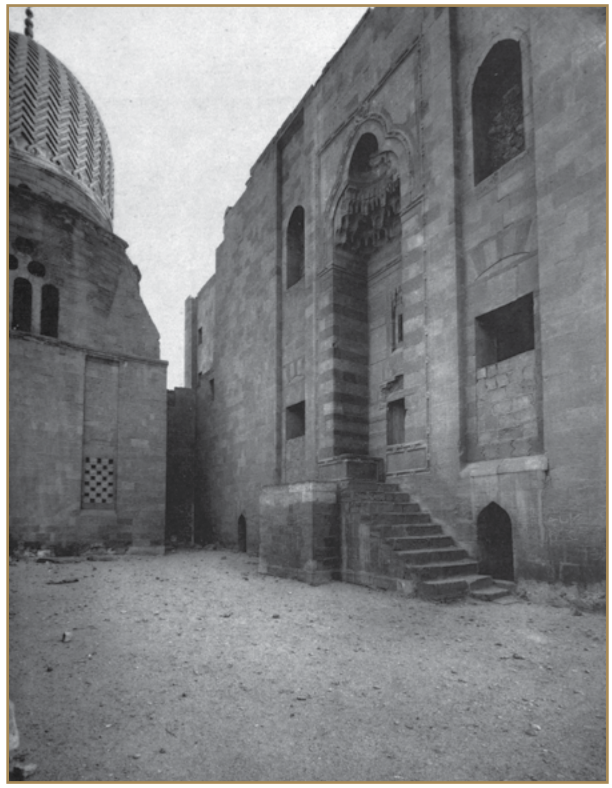
وللسلطان إينال أثر آخر بالقاهرة هو الحمام المواجه لباب البحر الفاطمي بشارع بين القصرين ونحتفظ له بمذكرة قرأنا بها:

أمر بإنشاء هذا الحمام الملك الأشرف إينال عز نصره بتاريخ شهر رجب سنة أحد (....) وثمانماية

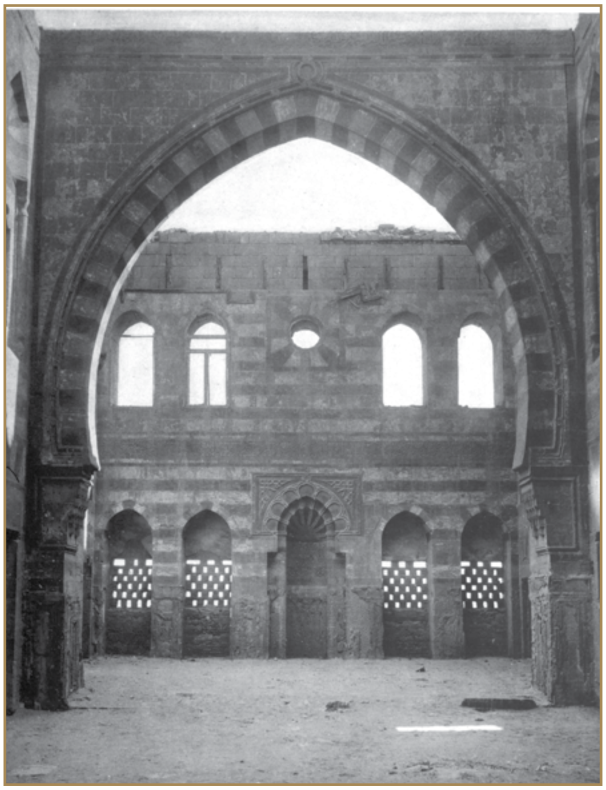
وأم أولاده المذكورين آنفًا هي الخوند زينب بنت العلائي خاص بك ماتت سنة (٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م)، ودفنت بالأثر وهي صاحبة الأثر الآتي[2].

(١) عن سيرة السلطان الملك الأشرف أبو النصر إينال الظاهري، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٦: ٣١٠؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٣: ٢٠٩-٢١٢؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٢: ٣٢٨-٣٢٩؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٣٠٧-٣٠٨، ٣٦٧-٣٦٩.

(٢) زينب ابنة العلاء علي بن العالم البدر محمد الحنفي الماضي: أخوها خليل، تعرف بابنة ابن خاص بك، تزوجها إينال الأجرود في إمرته في حدود سنة (٨٢٥هـ/ ١٤٢١م)، بعد أخت لها ماتت تحته، ولم ينفك عنها ولا بعد تملكه حتى مات لم يتزوج عليها بل تسرى، وكل أولاده منها، لها الكثير من المنشآت، عملت رباطًا حسنًا للأرامل بالقرب من زاوية بني وفا في حارة عبد الباسط، نعمت في أيام الأشرف قايتباي بسبب زواج ابنة ولدها من عظيم دولته يشبك من مهدي الدوادار الكبير، ماتت في سنة (٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م)، بمحل تمريضها وهو بيت الطنبدي بالقرابيص من بولاق، وحملت في محفة لبيت سبطها بقناطر السباع فغسلت وكفنت وصُلِّيَ عليها بمصلى المؤمني، ثم دفنت بتربة زوجها وقد قاربت الثمانين، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٢: ٤٤-٤٥؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٣٦٨.



واجهة مسجد الأشرف إينال «عن كريسويل»



إيوان داخل مسجد الأشرف إينال «عن كريسويل»

المذكرات التاريخية

أمر بـــإنشاء هذه المدرســة المباركة سيدنا ومولانا الإمام الأعظم المالك الملك الأشرف أبو النصر إينال، سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيي العدل في العالمين، كهف الفقراء والمســاكين ذخر الأرامل والمنقطعين حامي حوزة الدين صاحب الســيف والقلم والبند والعلم، أفضل من حكم في عصره بالحكـــم ، ملك البريـــن والبحرين ، خادم الحرمين الشريفين ، صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والأقطار الحجازية ، والثغور السكندرية، سيدنا ومولانا الســلطان المالك الملك الأشرف أبو النــصر إينال، خلد الله ملكه وثبــت قواعد دولته بمحمد وآله وذلك بمباشرة المقر الأشرف الصاحبي ناظر الجيوش المنصورة والخــواص الشريفة الملكي الأشرفي في عــز نصره وكان ابتداء عمارة المدرســة المباركة السعيدة في شهر ذي القعدة الحرام وآخرها في شـــهر ربيع الأول المبارك عام ستين وثمان مائة أحســـن الله عاقبتها بمحمد وآله وصحبه وســلم تسليمًا كثيرًا دائما أبدًا يارب العالمين .

القبة

البســـملة، وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم أمر بإنشــاء هذه القبة المباركة من فضل الله تعالى المقر الأشرف الكريــم العــالي المالكي المولــوي الأميرى الكبيري السيدي السندي الزخري العضدي الهمامي

النظـامي الأوحدي الأمجدي السـيفي إينال العلاي الأتابكي أتابك العساكر المنصورة المجاهد في سبيل الله أعز الله أنصاره، وكان الفراغ منها مستهل محرم افتتاح عام خمس وخمسين وثمان مائة.

الباب

إنما يعمر الله إلى المهتدين، أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة، السـلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر إينال خلد الله ملكه وثبـت قواعد دولته بمحمد وآله، بتاريخ عام ثمان وثمان مائة وستين

أمر بـإنشاء هذه المدرسـة المباركة سيدنا ومولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر إينال عز نصره بتاريخ شهر ربيع الأول سنة ستين وثمان مائة المزولة بالكوفي

عمل الفقير حسن الطيب تلميذ الشيخ بدر الدين الماريدني في ربيع الأول عام واحد وسبعين وثمانمائة

قبة برسباي البجاسي

أثر رقم ١٢٤ (سنة ٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م)

بنهاية شارع السـلطان أحمد لجهة الشرق قرأنا على جانبي بابها هذا النص:

إنه من سـليمان وإنه بسـم الله الرحمن الرحيم. ألا تعلو علي وأتوني مسـلمين صدق الله ورسوله. أمر بإنشـاء هذه التربة المباركة المقـر الأشرف العالي. المولوي السيفي برسباي البجاسي الملكي الأشرفي عز نصره.

ويحيط بالقبة نص آخر كالآتي:

البسملة... آية الكرسي. أمر بـإنشاء هذه القبة المقر الأشرف الكريمي العالي المولوي الأميري الكبيري المخدومي المحترمي السـيدي السـندي المجاهدي المرابطي السيفي برسـباي البجاسي الملكي الأشرفي أعز الله أنصاره بمحمد وآله

ومن داخل القبة قراءة أخرى هذا نصها:

البسملة يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا وافعلوا الخـير لعلكم تفعلون صـدق الله العظيم بتاريخ شهر شوال عام ستين وثمانماية

وبدائـر القبة طراز مؤرخ كسـابقه يتقدمه آي من الذكر الحكيم، ومقابل قبة برسباي إلى حذاء الحائط القبلي قبة أخرى تحتها قبران، مكتوب على شاهد أحدهما ما نصه:

توفي إلى رحمة الله تعالى السلطان قاسم بن السلطان علاء الدين بن السـلطان أحمد بن عثمان تغمدهم الله برحمته

وفي الجانب البحري إلى جهة الغرب من قبة برسـباي قبة أخرى، تحمل روسمًا من الرخام قرأنا فيه ما يلي:

في أيام مولانا السلطان الأعظم خاقان مالك رقاب العرب والعجم السلطان سليمان خان بن السلطان سليم خان بن السـلطان محمد خلد الله ملكه أمر بـإنشاء هذه القبـة المباركة من فضـل الله تعالى الجناب العالي المولوي الأميرى الكبيري سـليمان أغات المماليك السـلطانية العزب بمصر المحروسة تقبل الله منه وغفر له بتاريخ شهر المحرم سنة ٩٥١

ومنشؤ هذا الأثر الأمير برسباي البجاسي، منسوب إلى أستاذه بجاس، كانت آخر خدماته في حكومة الملك الأشرف إينال أمير آخور «ناظر الدور السلطاني»، ومات بدمشق في سنة (٨٧١هـ/ ١٤٦٦م)، ودفن بالقلندرية بالباب الصغير[١].

وتأتي علاقة برسباي هذا بالعثمانيين من طريق زواجه بالأميرة العثمانية زاده خوند شاه بنت الأمير أرض بك بن الأمير محمد كرشجي بن يلدرم السلطان بايزيد الأول بن السلطان مراد الأول بن السلطان عثمان خان.

قدمت الأميرة المذكورة مع أخيها الأمير سليمان إلى مصر في عهد الملك الأشرف برسباي، ومات أخوها المذكور في سنة (٨٤١هـ/ ١٤٣٧م) بالقاهرة، وتزوجها الملك الأشرف برسباي ومات عنها، فتزوجها الظاهر جقمق واستولدها هانم، ثم طلقها في سنة (٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م)، فتزوجها برسباي البجاسي، وماتت بمصر في أواخر رجب سنة (٨٥٩هـ/ ١٤٥٤م) عن ٣٢ سنة، ودفنت بهذه المنطقة حتى بنيت التربة فنقلت إليها[٢].

(١) برسباي البجاسي: أصله من مماليك تنبك البجاسي نائب الشام، الخارج عن الأشرف برسباي بدمشق سنة (٨٢٧هـ)، حيث قتل بها، وخدم بعده بالقاهرة عند جانبك الأشرفي الدوادار الثاني، ثم اتصل بعد موته بأستاذه الأشرف، وصار في آخر أيامه خاصكيًّا، ثم في آخر أيام الظاهر ساقيًا، ثم أمير عشرة، ثم صار من رؤوس النوب، ثم نائب الإسكندرية، ثم تقدم في أيام الأشرف إينال بسفارة ناظر الخاص الجمالي، تزوج ابنة بردبك سبطة السلطان فرج، ثم أصبح أميرًا وولي الحجوبية الكبرى بعد جانبك القرماني، ثم الأخورية الكبرى بعد يونس العلائي، ولم يرع ذلك كله في ولده المؤيد أحمد بل مال إلى الأتابك خشقدم، فلما استقر في المملكة لم يحظ عنده، بل كان سببًا في تأخيره، ولكنه بسفارة قانم التاجر ولاه نيابة طرابلس، ثم نيابة الشام بعد تنم، مات في سنة (٨٧١هـ)، دفن بزاوية القلندرية من مقبرة الباب الصغير، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٧-٨.

(٢) المرجع السابق، مج. ١٢: ٣٧.

والسلطان قاسم الوارد اسمه في الكتابات المتقدمة ليس بسلطان، إنما هو الأمير قاسم بك العثماني بن الأمير علاء الدين بن أحمد بن السلطان بايزيد الثاني بن السلطان محمد الأول بن السلطان بايزيد الأول بن السلطان مراد الأول بن السلطان عثمان خان أول السلاطين العثمانية، هاجر أبوه الأمير علاء الدين مع شقيقه الأمير سليمان بك من إستانبول إلى القاهرة، بعد مقتل أبيهما أحمد من أخيه سليم؛ فتديرها، ومات سليمان بها في ١٨ من صفر سنة (٩١٩هـ/ ١٥١٣م)[٣]، ومات علاء الدين في سنة (٩٢٠هـ/ ١٥١٤م) ودفنا بالتربة المذكورة[٤]، وبقي الأمير قاسم بعد وفاتها حتى استصحبه السلطان قانصوه الغوري معه في أواخر سنة (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) لمقاومة الغزو العثماني الذي شنه السلطان سليم على مصر، ولما انهزم السلطان الغوري، عاد قاسم إلى مصر، واشترك في القتال مع الملك الأشرف طومان باي، في الملحمة التي انتهت باحتلال العثمانيين أراضي مصر، فأمسكه خاير بك وقتله في سنة (٩٢٤هـ/ ١٥١٨م)[٥].

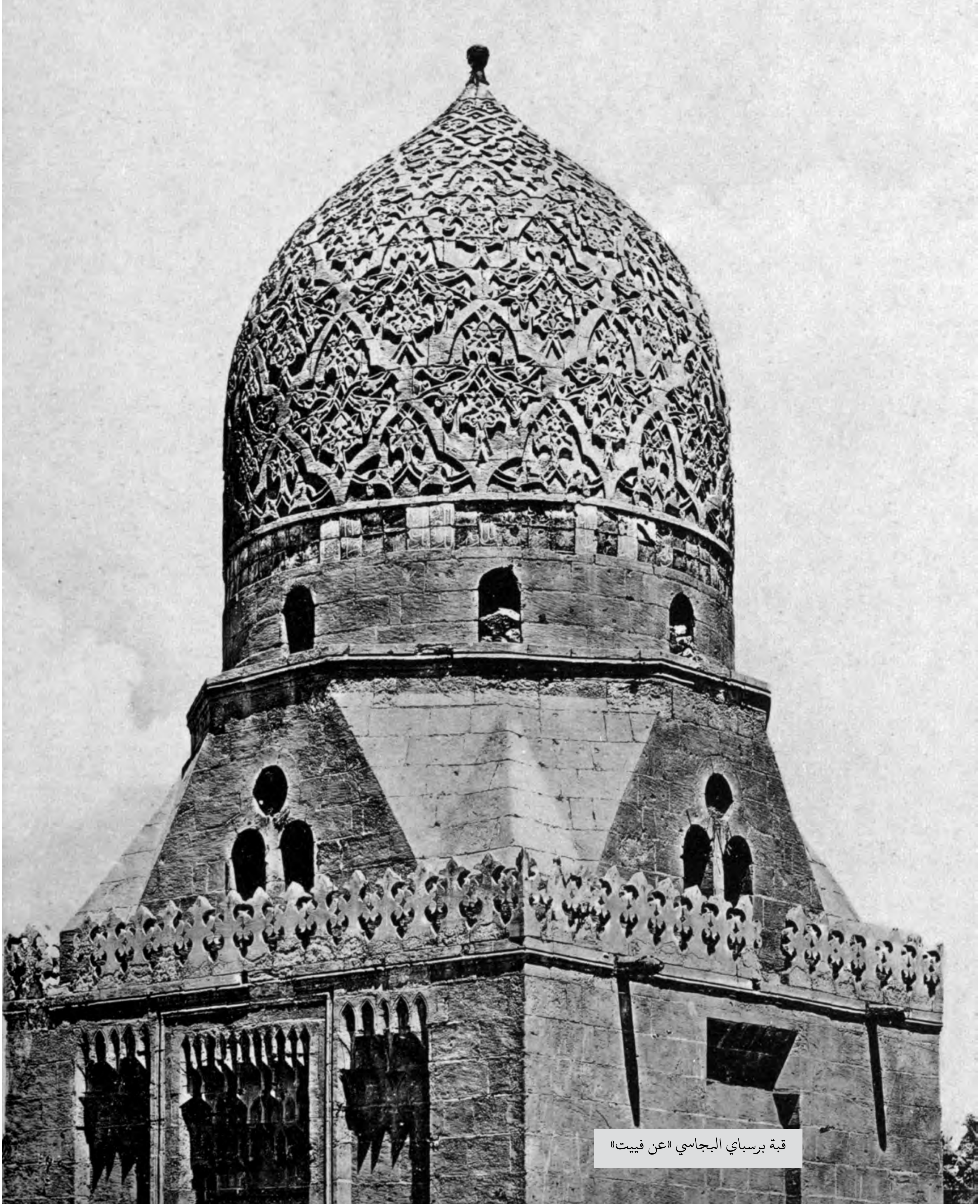
وهذا الأثر يعرف حاليًّا بالسلطان أحمد، وهو أحد ولاة مصر من العثمانيين، قدم مصر في سنة (٩٢٩هـ/ ١٥٢٣م) بعد عزل سلفه قاسم باشا الكرجي[٦]، وسولت له نفسه أن يستقل بمصر عن الدولة العثمانية، فدعا لنفسه بالسلطنة وسمى نفسه بالسلطان أحمد، فتعقبه إبراهيم باشا

(٣) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ٣٠٣.

(٤) المرجع السابق: ٢٩١، ٣٠٦.

(٥) المرجع السابق، مج. ٥: ٢٣٤-٢٣٧.

(٦) كوز الجب قاسم باشا: تولى بعد أحمد باشا الخائن وليس قبله كما يذكر صاحب المزارات، قدم إلى مصر سنة (٩٣١هـ/ ١٥٢٥م)، فأقام في الولاية سنة واحدة ثم عزل، انظر: السخاوي، **تحفة الأحباب**: ١٠٩.



قبة برسباي البجاسي «عن فييت»

الصدر الأعظم، وحضر بنفسه على رأس حملة من العسكر في الثامن من جمادى الآخرة سنة (٩٣١هـ/ ١٥٢٥م)، فوجده قد قتل من الأميرين محمد بك وجانم الحمزاوي في أواخر ذي الحجة سنة (٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م)، ورفعت أشلاؤه بعد مقتله ودفنت بهذه التربة.

ترجمه محمد ثريا بك العثماني في السجل (١- ١٩٦) وسماه بأحمد باشا الخائن، وأحمد باشا المذكور من أرانطة الروم وكان كبير أغوات الحرم الهمايوني ثم ترقى حتى صار وزيرًا، ولما وجهت إليه ولاية مصر تمرد على السلطان وخرج عن طاعته واستمر يحكم مصر ويخطب له على منابرها وضرب السكة باسمه مدة عامين حتى كانت نهايته[١].

قبة الشيخ عبد الله المنوفي (ابن الزمن)

أثر رقم ١٦٨ (سنة ٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م)

هذه القبة بالقرافة الشرقية مشهورة بنسبتها إلى الشيخ عبد الله بن محمد بن سليمان الشابوري المعروف بالمنوفي من كبار علماء المالكية، ولد بشابور سنة (٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م)، وتحول منها إلى منوف في سنة (٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م) بعد وفاة والده، قرأ بها على الشيخ سليمان التنوخي الجابري التادلي وبها تربى، ثم قدم القاهرة سنة (٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م) فأقام بمسجد شاكر البقري بالعطوفية وتولى إمامته[٢]، وحضر دروس ابن القويع وسمي الدين التونسي، والزوادي وابن المرحل وغيرهم، وسكن أولاً بالمدرسة الفاضلية بدرب ملوخيا، ثم انتقل منها إلى المدارس الصالحية ولم يلبث بها حتى انتقل بآخره إلى خانقاه الأمير منكلي بغا الفخري بالصحراء خارج باب البرقية بطلب من الأمير المذكور، واستمر ساكنًا بها حتى توفي في مساء يوم السبت السابع من رمضان سنة (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)[٣]، ودفن فيها، قال عنه الشيخ خليل بن إسحاق الجندي في مؤلفه الذي أفرده لترجمته: «ودفن رحمه الله في موضع منفرد من التربة التي كان نازلاً بها».

والتربة المذكورة من إنشاء المرحوم الأمير منكلي بغا الفخري الناصري، تولى إمارة دمشق في عهد الملك الناصر ابن محمد بن قلاوون، فنيابة طرابلس، فأمير مشورة في عهد السلطان الناصر حسن، مات سنة (٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م) ودفن بتربته الأخرى المحاذية للمزهرية، بينها وبين تربة أقبردي الدوادار[٤].

وقد تخلفت منها قبة تحتها قبر منكلي المذكور قرأنا على بلاطته في ثلاثة أسطر النص الآتي:

هذا القبر المبارك قبر المرحوم منكلي بغا الفخري
تغمده الله بالرحمة والرضوان جدده الفقير إلى الله

(١) أحمد باشا المعروف بالخائن: ورد إلى مصر سنة (٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م)، في ثامن شوال، وتولى بعد مصطفى باشا الشهير بايلق، ولما دخل مصر شرع في قتل جماعة من أمرائها، ثم أنه نزع يده من الطاعة وأظهر العصيان، وجمع جمعًا عظيمًا من أشقياء العرب والفلاحين، وتحارب مع طائفة الينكجرية وقتل منهم طائفة كبيرة، وبعد ذلك اجتمعت العساكر المنصورة وقتلوا أحمد باشا، وأرسلوا رأسه إلى الأعتاب السلطانية، فكانت مدة ولايته ستة أشهر، انظر: المرجع السابق.

(٢) تعرف هذه المدرسة الآن باسم جامع البقري، وهي تقع بحارة العطوف المتفرعة من شارع باب النصر بالجمالية، ويطلق عليها علي مبارك زاوية البقري، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥٦٦، هامش ٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ١٢٨، هامش ١؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ٥٤.

(٣) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ٢٣٩، هامش ٣؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٧: ٩٠-٩١.

(٤) ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٤: ٣٦٧؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ١١: ٢٨٥.

الفقى محمد بن شهاب الدين السهروري البكري بتاريخ سابع عشرين شهر شعبان سنة أحد وثلاثين وتسعمائة من الهجرة

وقد جدد المرحوم شمس الدين محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن صديق بن أبي بكر بن يوسف ابن الزمن الدمشقي قبر الشيخ المنوفي بهذه التربة ورفع فوقه القبة الحالية في سنة (٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م)، ولد ابن الزمن بدمشق في سنة (٨٢٤هـ/ ١٤٢١م)، وتلقى العلم بالقاهرة واتصل بخدمة الملك الأشرف قايتباي مشرفًا على العمائر السلطانية بالحجاز، توفي في شوال سنة (٨٩٧هـ/ ١٤٩١م)، ودفن بتربة له في هذا الأثر(١).

وقبر الشيخ المنوفي بهذا الأثر مثابة للزائرين بهذا الحي، على شاهده كتابة نسخية في ثلاثة أسطر يقرؤ فيها:

البسملة، هذا ضريح الشيخ عبد الله المنوفي رحمة الله عليه

وقد دفن مع الشيخ المنوفي ابنه محمد، وابنه الآخر إبراهيم خطيب جامع شرف الدين بالحسينية، توفي في رجب سنة (٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م)(٢).

ودفن بالأثر جماعة منهم الشيخ خليل اللقاني مات سنة (١١٠٤هـ/ ١٦٩٢م)، والشيخ خليل بن إسحاق الجندي (صاحب المنن) توفي سنة ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م، وقد أفرد لشيخه مؤلفًا في ترجمته (مخطوط بدار الكتب رقم ٣٣٥)، والشيخ أحمد أبو طاقية توفي في سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م، وعبد الرحمن بن محمد بن أحمد الأشموني المنهاجي توفي سنة (٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م)، وقبره محاذ لقبر ابن الزمن(٣)، ومحمد بن أحمد تقي الدين توفي سنة (٨٨٦هـ/ ١٤٨١م)، وعائشة بنت المرحوم الحاج محمد المغربي الفاسي ولها وقف على هذه التربة، والشيخ محمد عليش توفي سنة (١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م)، وحفيده الشيخ محمود توفي سنة (١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م)، والشيخ حسن الدمنهوري توفي سنة (١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م)، وسيف الدين أغا توفي سنة (١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م)، وتجاه هذا الأثر تربة دفن فيها الشيخ محمد بن محمود الشنقيطي توفي سنة (١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م) وله ترجمة في الوسيط.

ولما قدم السلطان مولاي عبد الحفيظ إلى مصر في سنة (١٩١٤م) عهد إلى والد المؤلف بتجديد ما وهن من ضريح الشيخ المنوفي، فجدده على ما هو عليه الآن، والقبة الحالية من سنة (٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م).

مسجد قايتباي

أثر رقم ٩٩ (سنة ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م)

أنشأ الملك الأشرف قايتباي بالصحراء بالجبانة الشرقية مجموعة من المباني، منها هذا المسجد ومقعد في الجهة الغربية [مسجل برقم ١٠١]، وبوابة [مسجلة برقم ٩٣]، وحوض [مسجل برقم ١٨٣]، ورباط ومساكن للصوفية مسجلة باسم ربع قايتباي [رقم ١٠٤].

(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٨: ٢٦٠-٢٦٢.
(٢) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ١: ٥١٤.
(٣) عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الأشموني الأصل القاهري الشافعي المنهاجي: نزيل الباسطية، قيل له المنهاجي لأن جده قدم من الأشمونين قبل بلوغه فحفظ القرآن والمنهاج في سنة فلقبه بذلك أحد شيخيه الملوي والدلاصي، ولد في سنة (٨٣٥هـ/ ١٤٣١م)، سمع البخاري في الظاهرية القديمة، جاور بمكة مدة عشرين سنة، ثم لما قدم نزل عند أمه بالقرب من زاوية ابن بطالة في قنطرة الموسكي، فلم تلبث أن ماتت ودفنت بحوش عبد الله المنوفي، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٤: ١٢٢.

وأهم هذه المباني كلها هي المسجد والتربة وملحقاتها، وقد دفن بها السلطان المذكور[١]، ودفن بها في رجب سنة (٨٩٧هـ/ ١٤٩١م) كريمته ست الجراكسة، ماتت هي وأمها في يوم واحد بالطاعون[٢].

وفي سنة (٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م) توفي الأمير جانم الشريفي قريب السلطان وعديله عن ٢٠ عامًا فدفن بها، تولى الجوالي (الجزية)، وشاد الشراب خانه وأنعم عليه بمقدم ألف[٣].

وفي سنة (٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) دفن فيها الأتابك تمراز، وهو ابن أخت السلطان، تعين جمدارًا فخاصكيًّا فساقيًا في عهد الملك الأشرف إينال، تقدم في عهد الملك الظاهر تيمور بغا، وعينه خاله بآخره أتابكًا للجيش المصري[٤].

وفي سنة (٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م) دفن فيها الملك الناصر محمد ابن قايتباي، ودفن فيها من قرابة السلطان جانم وجاني وأزبك العمري السلاح دار[٥].

ومن النساء بعض زوجاته ومدبراته، ودفن بها في العصر العثماني جماعة من العثمانيين منهم إبراهيم بيك بن محمد بيك.

وقد قام ببناء هذه المجموعة من المباني للسلطان قايتباي، المعلم مجد الدين محمد بن سليمان بن عبد الرحمن ابن داود بن عبد الرحمن بن خليل الشوبكي المعروف بابن الكويز، ناظر الخاص ومعلم المعلمين في عهد هذا الملك، ولد سنة (٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م)، ومات في شعبان سنة (٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)، وهو ينحدر من أسرة اشتهر أفرادها ببناء المساجد في عصر الملوك الجراكسة[٦]، وقد خلفت هذه الأسرة؛ أسرة ابن السيوفي الدماشقة التي اشتهرت بمبانيها في عصر الدولة القلاوونية.

وقد توفي أخوه عبد الرحمن في سنة (٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م)، والذي تولى نظارة الخاص، ونيابة الإسكندرية، والأستادارية في عهد هذا الملك، وجده داود كان معلم المعلمين للملك المؤيد شيخ المحمودي[٧].

وبنيت بهذا المسجد قبة صغيرة تحتها أحجار، ينسب بعضها إلى سيدنا إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعليها قبة من

(١) توفي الأشرف قايتباي في ذي القعدة من سنة ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م، ودفن في تربته التي أنشأها بالقرب من زاوية عبد الله المنوفي، انظر: ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٣٣٤.

(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٢: ١٦٥؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٢٨٨.

(٣) جانم الأشرفي (الشريفي) قايتباي: ابن أخ السلطان، بالغ في ترقيته مع صغر سنه، أعطاه نظر الجوالي ثم الكسوة ثم شاد الشربخاناه، زوجه أخت زوجته ابنة العلاء بن خاص بك، وعزم على إعطائه الدوادارية الكبرى، فلم يلبث أن مات مسمومًا - فيما قيل- من الدوادار يشبك من مهدي، وذلك في سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م، وقد زاد عن العشرين، فغسل وكفن وصلي عليه بمصلى المؤمني، ودفن بتربة السلطان بالقبة الكبرى، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٦٤؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ١٤٥، ١٥٣.

(٤) تمراز الشمسي الأشرفي برسباي العزيزي: نسبة للعزيز بن الأشرف برسباي، ابن أخت الأشرف قايتباي، صار ساقيًا أيام إينال، ثم أمير عشرة، ولما تملك خاله قايتباي صيره أحد المقدمين، وسافر في تجريدة سوار، تزوج ملكباي ابنة قرقماس، ثم ابنة المنصور بن الظاهر جقمق، تولى إمرة البحيرة ثم تولى إمرة السلاح بعد قتل يشبك من مهدي، ثم تزوج ابنة جانم الأشرف نائب الشام، واستقر في بيت الظاهر ترمبغا المعروف=

= بمنجك، ثم تولى التابكية عوضًا عن أزبك من ططخ، انظر: المرجعين السابقين: ٣٦-٣٨؛ ٣٧٢-٣٧٤.

(٥) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٣٧٤، ٤٠١-٤٠٢.

(٦) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٧: ٢٥٩؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ١٧٠.

(٧) المرجعين السابقين، مج. ٤: ٧٦-٧٨؛ مج. ٣: ٨٤.

الخشب المكفت، وبعضها إلى حضرة النبي ﷺ، وعليها قبة من النحاس المكفت.

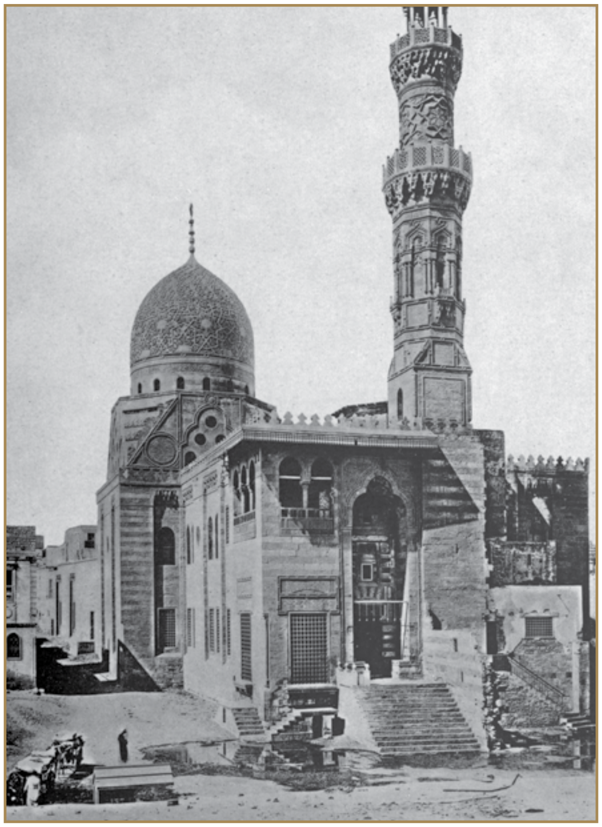
وهذه القبة من إنشـــاء الســـلطان أحمد خان سلطان الدولة العثمانية، وهي قائمة على قاعدة مربعة مكتوب على جوانبها نصٌّ تاريخيٌّ في أبيات قرأنا منها ما يلي:

تشوق حضرة السلطان أحمد
زيـارة موطن القدم المكرم
فـحـركـه بجـاذبـة اشتياق
على إقــدام أقــدام فقدم
وســيره إلى القسطنطينية
فـقـال له تـقـدم خـير مقدم
وأدخــل داره باليمن حبًّا
وتعظيما لصاحبه المعظم
حبيب الله ســيدنا محمد
عـلـيـه ربـنـا صـلى وسلم
وأرجــعــه بــإعــزاز عظيم
إلى تلقاء موضعه المقدم
إلـهي عمر السلطان أحمـد
وقــدمــه على مــن تـقـدم
بحرمة صاحب القدم العلي
إلى الدرجات في الأملاك سلم
وتـشرف بزيارته سنة ١٠٢٤

المذكرات التاريخية بمجموعة قايتباي

المقعد

البسملة، إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر صدق الله العظيم أمر بـــإنشاء هذا المقعد المبارك مولانا الســـلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي ســـلطان الأرض بطولها والعرض



مسجد قايتباي «عن كريسويل»

القائم بالسنة والفرض ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين

وقد جددت لجنة حفظ الآثار الإســـلامية ما تصدع من هذا المقعد في ســـنة (١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م)، وســـجلت هذا التجديد في مذكرة تاريخية كتبت بالعقد.

المدرسة

البسملة . أمر بـــإنشاء هذه المدرسة مولانا الملك الأشرف قايتبـــاي، ســـيد ملوك العـــرب والعجم الأشرف قايتبـــاي، خلد الله ملكـــه وثبت قواعد دولته بمحمد وآله، بتاريخ ســـنة ســـبع وســـبعين وثمانماية من الهجرة

البسملة أمر بـــإنشاء هذه المدرسة المباركة سيدنا ومولانا ومالك رقنا، السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي ســلطان الاســلام والمســلمين أبو الفقراء والمســاكين، ناصر الدنيا والدين سيدنا ومولانا الإمام الأعظم، المالــك الملك الأشرف أبو النــصر قايتباي عز نصره، بتاريــخ رمضان المعظم

قدره سنة سبع وسبعين وثمانماية

القبة

البسملة أمر بـــإنشاء هذه القبة المباركة من فضل الله تعــالى وجزيل عطائه العميم، ســيدنا ومولانا ومالك رقنا ســلطان الإســلام والمســلمين قاتل الكفــرة والمشركين، محيي العدل في العالمين الإمام الأعظــم والملك المكــرم الســلطان، المالك الملك الأشرف أبو النــصر قايتباى، أعز الله تعالى أنصاره وختــم بالصالحات أعمالنا وأعمــاله، وثبت قواعد دولته وأيــد أحكامه بمحمد وآله، وصحبه وســلم

تسليمًا كثيرًا يارب العالمين

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، اللَّهُمَّ وأيد الإسلام وأعل كلمــة الإيمان ببقاء عبدك ســيدنا ومولانا المقام الشريف السلطان الزاهد العابد العالم العامل العادل في أحكامــه الورع المتــورع الصائم القائم بحدود الله التابع ســنة رسول الله التالى كتاب الله الحاج إلى بيت الله الحرام الزائر قبر رسول الله عليه الصلاة والســلام المجاهد في سبيل الله سيد الملوك والســلاطين أبو الفقراء والمساكين المجاهد المرابط المؤيد المنصور الســلطان الملك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي صاحب الصدقــات والمعروف خلد الله ملكه بمحمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا يارب العالمــين . والحمد لله وحــده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . وكان الفراغ من هذه القبة المباركة في شــهر رجب الفرد الحرام سنة تسع

وسبعين وثمان مائة

وبالأثر مذكــرات تاريخية أخرى مختلفة ضربنا عنها صفحًا لكثرتها، وهي تنبئ بأن الأثر استغرق في بنائه عامين كاملين من سنة (٨٧٧-٨٧٩هـ/ ١٤٧٢-١٤٧٤م)[١].

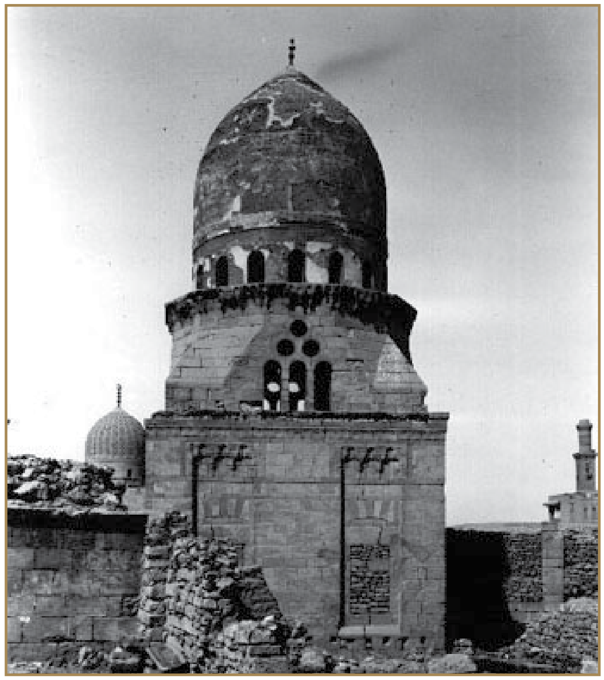
قبة قجماس الظاهري

أثر رقم ١١٠ (سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م)

تجاه الأشرفية شــمال قبة الرفاعي بالجبانة الشرقية، تسميها إدارة حفظ الآثار الإسلامية «السبع بنات»، أنشأها الأمير قجماس الظاهري نائب الشام المتوفى بها سنة (٨٩٢هـ/ ١٤٨٦م)[٢]، برســم تربة لدفنه وألحق بها مســجدًا ومدرسة وســقاية، وقد درست جميعها وتخلفت منها هذه القبة، وقد

(١) كانت بداية عمارة السلطان لهذه المجموعة في شوال من سنة (٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، انظر: ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٤٥.

(٢) قجماس الإسحاقي الظاهري جقمق: نائب الشام، نشأ في خدمة أستاذه، وفي عهد خشقدم أصبح خازندار كيس، ثم في عهد بلباي أمير عشرة، فلما استقر قايتباي رقاه وأسكنه في بيته بالباطلية، ثم أرسله للشام عوضًا عن بردبك البشمقدار، ثم استقر في نيابة الإسكندرية، ثم نقل لأمير آخور، وسكن ببيت تمر الحاجب بالقصر تجاه الكاملية، ثم تحول لبيت الدوادار الكبير بالقرب من الحسنية والإلجيهية، ثم أصبح أميرًا للحج، توجه للإسكندرية لعمارة برج السلطان بها، وعمر لنفسه حين كان نائبًا بها جامعًا ظاهر باب المدينة المسمى باب رشيد، مع تربة وخان بقربه، وجدد جامع الصواري ظاهر باب سدرة، وأقيمت به الشعائر، وعمر خارجها بالجزيرة خارج باب البحر على شاطئ السلسلة هيئة رباط، وبنى وهو أمير آخور مدرسة هائلة بالقرب من خوخة أيدغمش، وعمل تربة بالقرب من تربة قانم التاجر، وجدد بالقرب من الروضة من نواحي باب النصر مكانًا يعرف بالشيخ موسى، ثم نقل لنيابة الشام بعد أسر قانصوه اليحياوي في المجردين، وجدد بجوار باب السعادة داخل باب النصر منها مدرسة، وعمر بجانبها مطبخًا للدشيشة، مات في سنة (٨٩٢هـ/ ١٤٨٦م)، ودفن بتربة الظاهر تمربغا، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ٢١٣-٢١٤؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٢٤٣.



قبة قجماس الظاهري «عن كريسويل»

دفن بها الشيخ محمد أبو الرضى العقبي من علماء الأزهر في القرن العاشر.

قبة أزدمر من بلباي الظاهري

أثر رقم ٩٠ (سنة ٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م)

بأول شارع السلطان أحمد، أنشأها الأمير أزدمر من بلباي الظاهري، من مقدمي الألوف في عصر الملك الأشرف قايتباي ، مات في جمادى الآخرة سنة (٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م)[١].

وقد دفن بفناء هذا الأثر سيدة قرأنا على شاهد قبرها النص الآتي:

توفيت الشابة السعيدة الزهيدة البنت الشهيدة ابنة الشرفي محمد الليثي في صباحية النصف من شهر شعبان سنة تسع وتسعين وثمان ماية.

تربة خاص بك العلاي

(سنة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)

هذه التربة بالجبانة الشرقية تجاه تربة آق بردي، بين قبة ابن غراب وبين تربة ابن مزهر، أنشأها الناصري محمد بن خاص بك، من أمراء مصر في عهد الملك الأشرف قايتباي، وهو من أسرة عريقة فأبوه هو الأمير علاء الدين علي بن نور الدين بن بدر الدين محمد بن حسن التركي المعروف بخاص بك، ولد سنة (٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م)، وهو أحد من جمع بين العلم والإمارة، تفقه على مذهب أبي حنيفة، وكان بيته بدرب خاصبك «درب قرمز حاليًّا» ندوة للعلماء، مات سنة (٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م) ودفن بهذه التربة، وكان قد شرع في إنشائها في حياته[٢]، وأكملها بعده ابنه محمد في سنة (٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م).

وله وقف عليها صادر بتاريخ ١١ جمادى الآخرة سنة (٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م) محصور برقم [٢٧-١٨٠]، وقد آل بيته بدرب قرمز إلى القاضي أحمد بن شعبان كما آل إليه بيت بشتاك المواجه له.

خلف من الأولاد، **تتر** تزوجها أيتمش الخضري[٣]؛ **فاطمة** تزوجها الملك الأشرف قايتباي في سنة (٨٧٢هـ/

(١) أزدمر تمساح من يلباي أو بلباي: أحد المقدمين من مماليك الظاهر جقمق، ولقب بتمساح لضربه له بين يدي أستاذه، حج كأمير للمحمل غير مرة، منها سنة (٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م)، وسنة (٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م)، وسنة (٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م) في صحبة السخاوي، حمدت سيرته، وعرف بفضله وتواضعه، وعلو شجاعته، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٢: ٢٧٤.

(٢) علي بن خليل بن الحسن بن خاص بك: العلاي بن خاص بك صهر السلطان قايتباي، تركي الأصل، كان رئيسًا حشمًا دينًا خيرًا، من أعيان أولاد الناس، توفي في شهر رمضان من سنة (٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م)، كانت جنازته حافلة، وصلى عليه السلطان بمصلى المؤمني، ولد قبل سنة (٨٣٠هـ/ ١٤٦٢م)، انظر: ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٣٠٢.

(٣) تتر ابنة علي بن محمد بن خاص بك: أخت خوند زينب زوجة إينال، وهي زوجة أيتمش الخضري، استولدها فرج، التي تزوجت شاهين وأنجبت منه فاطمة والتي كانت ثالث زوجات سيباي=

١٤٦٧م)، فالملك العادل طومان باي الأول مات عنها في سنة (٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م)، وتأيمت بعده وماتت في سنة (٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م)[١]؛ **زينب** تزوجها الملك الأشرف إينال بعد زواجه بأخت لها ماتت معه[٢]، رزق منها بالناصري محمد[٣]، والمؤيد أحمد[٤]، وبدرية[٥]، وفاطمة[٦]، وقد تزوجت الأولى المقر الأشرف السيفي بردبك الدوادار[٧]، وتزوجت الثانية الشرفي يونس [المتوفى سنة (٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م)][٨]؛ الخوند بدرية:هذه تزوجت جانم الأشرفي[٩]، فآقبردي[١٠]، ولها منه خوند كلدي؛ التي تزوجت أحمد خيالي بن الشيخ إبراهيم الكلشني، ثم تزوجت بآخره طومان باي الثاني آخر ملوك الجراكسة.

وقد كانت نهاية بدرية هذه مؤلمة؛ فقد صادرها السلطان سليم بعد مصرع زوجها، وأحاط بموجودها وجردها منه[١١]، وهمَّ أن يقتلها؛ فتشفع لها الخليفة العباسي محمد المتوكل على الله، ولما ضيق عليها سافرت إلى مكة؛ وماتت بها في سنة (٩٢٥هـ/ ١٥١٩م)[١٢].

والناصري محمد بن العلاء وهو مجدد هذه التربة، تولى إمارة الحج في سنة (٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م)[١٣]، وبقي حتى أدرك نهاية الدولة الجركسية وبداية قيام الإيالة العثمانية، وشهد الفتح العثماني[١٤]، ولما عاد السلطان سليم إلى إستانبول أخذه مع الخليفة العباس المذكور، فبقي محجورًا عليه بإستانبول[١٥]، ثم عاد إلى مصر سنة (٩٢٨هـ/ ١٥٢١م)[١٦]، فبقي متقاعدًا بها حتى مات في سنة (٩٣١هـ/ ١٥٢٤م)، ودفن بتربته هذه.

وقد تخلف من هذا الأثر نصٌّ تاريخيٌّ قرأنا فيه ما يلي:

أمر بإنشاء هذا المكان المبارك من فضل الله تعالى، الجناب العالي المولوي الأميري الكبيري السندي الناصري، سيدي محمد بن خاص بك الملكي أعز الله أنصاره

ونص آخر يقرأ فيه:

أمر بإنشاء هذه المقصورة المقر الأشرف خاص بك الملكي الأشرفي في سنة عشرون وثمان مائة

وهذا الأثر غير وراد بسجلات لجنة حفظ الآثار الإسلامية هو والذي يليه.

= العلائي كاشف الصعيد، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٢: ١٦، ٩٢، ١١٤.

(١) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ٦٤-٦٥.
(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٢: ٤٤-٤٥؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٣٦٨.
(٣) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٧: ١٤٨.
(٤) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٢٤٧.
(٥) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٢: ١٢؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٣٦٧؛ مج. ٣: ١٠٢.
(٦) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٢: ٩٠.
(٧) المرجع السابق، مج. ٣: ٤-٥.
(٨) المرجع السابق، مج. ١٠: ٣٤٥.
(٩) المرجع السابق، مج. ٣: ٦٤؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ١٥٣.
(١٠) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٢: ٣١٥؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٤٢١، ٤٢٥-٤٢٦.
(١١) قام السلطان الملك الظاهر قانصوه خال الناصر محمد بن قايتباي في ربيع الآخر سنة (٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م)، بمصادرة الناصري محمد بن خاص بك، وأخته خوند بنت خاص بك زوجة آقبردي الدوادار هي وأختها خوند الكبرى زوجة الأشرف قايتباي، وأما التي جردها السلطان سليم من أموالها فهي خوند كلدي ابنة آقبردي =

= الدوادار زوجة السلطان طومان باي كما يذكر صاحب المزارات، انظر: المرجع السابق: ٤١٠-٤١١، ٤٢٧، ٤٣٧؛ مج. ٥: ١٥٨.

(١٢) المرجع السابق، مج. ٤: ٣١١-٣١٢.
(١٣) المرجع السابق، مج. ٣: ٢٩٩.
(١٤) المرجع السابق، مج. ٥: ١٦٣.
(١٥) المرجع السابق: ٢٢٩، ٣٩٧.
(١٦) المرجع السابق: ٤٢١، ٤٢٤.

تربة آقبردي الأشرفي

(٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م)

هذه التربة بلصق تربة ابن مزهر إلى جهة الجنوب، وقد تخرب معظمها، وبقيت منها بقية، ومنشؤها هو الأمير آقبردي الأشرفي الدوادار، ابن عم الملك الأشرف قايتباي، عينه دوادارًا كبيرًا في سنة (٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)، وتقلب بعد وفاته في وظائف أخرى، ترجمه السخاوي في «الضوء اللامع»، وكان لا يزال على قيد الحياة[١]، مات قتيلاً في حلب في إحدى الغزوات، قال ابن إياس في تاريخه: «في ٢٨ صفر سنة (٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م)، أحضرت جثة آقبردي من زاوية سيدي سعد الأنصاري بحلب، فدفنت بتربته التي أنشأها بالصحراء»[٢].

تزوج آقبردي بدرية بنت العلائي خاص بك ورزق منها بابنته خوند كلدي، والتي تزوجها الملك العادل طومان باي الثاني، ثم تزوجها أحمد خيالي بن الشيخ الكلشني، وماتت في شهر شعبان سنة (٩٢٥هـ/ ١٥١٩م) بمكة [٣]، وقد أتمت المذكرة بناء هذه التربة.

وليس بهذه التربة في النصوص التاريخية غير هذه العبارة:

أمر بإنشاء هذه التربة المباركة الحجاب المنيع والستر الرفيع

إلى آقبردي المذكور ينسب بيت يشبك بالرميلة، وكان يتصل به حوش كبير عرف بحوش بردق، ثم هدم عندما اتجهت النية إلى نزع ملكية ما يحيط بجامع السلطان حسن من مبان[٤].

(١) أقبردي الأشرفي قايتباي: ابن عم السلطان، كان خاصكيًا ثم ولي إمرة عشرة، ثم تقدم دفعة بعد جانم، حيث استقر بالدوادارية الكبرى بعد وفاة يشبك من مهدي سنة (٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م)، وسكن بيته وتزوج ابنة ابن خاص بك (الخاصبكية) أخت زوجة أستاذه، التي كانت زوجًا لجانم، وأضيفت إليه الوزارة بمباشرة موفق الدين وابن البدر حسن، ولي السرحة بالوجه القبلي غير مرة، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٢: ٣١٥؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٤٢١.

(٢) المرجع السابق: ٤٢٥-٤٢٦.

(٣) المرجع السابق، مج. ٥: ٣١١- ٣١٢.

(٤) قصر قوصون: المعروف بإسطبل قوصون وهو مجموعة من مبانٍ كان يقيمها بعض كبار الأمراء المماليك من أجل سكنه وأسرته ومماليكه وخيوله، حيث كان الإسطبل يحتوي على قصر وبيوت للمماليك وإسطبلات للخيل ومخازن لحفظ السروج، وهو من إنشاء الأمير علم الدين سنجر الجمقدار، ثم أخذه منه قوصون، وضم إليه إسطبل الأمير سنقر الطويل، واستمر عامرًا طيلة فترة حكم الناصر محمد، ثم نهب على يد العوام في فتنة الأمير أيدغمش مع قوصون سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)، واستمر خرابًا حتى وفاة الأشرف شعبان، حيث جدده بركة الزيني في سنة (٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م)، ثم خربته العامة في فتنة بركة مع برقوق، وصار هذا القصر نزلاً لكل من يتولى منصب أتابك العسكر، وفي سنة (٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م) أخذ الأمير يشبك من مهدي هذا قصر قوصون وزاد عليه، ثم لما عين الأمير فخر الدين أقبردي بن علي باي الدوادار أتابكًا في سلطنة الملك الأشرف قايتباي، سكن هذه الدار كغيره من الأتابكة وبه عرف، ثم أصبح يعرف بالبيت الكبير عند حدرة البقر في آخر عصر المماليك الجراكسة، وما زالت بقايا هذا القصر موجودة خلف مدرسة السلطان حسن بين شارعي مناخ الوقف ومحمد كريم (قره قول المنشية سابقًا)، ويطلق عليه العامة حوش بردق، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢٣٥-٢٣٨، هامش ٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ١٠٠، هامش ١، ١١٠-١١١، هامش ٤، ١٢١؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٢: ٣١٥؛ مج. ١٠: ٢٧٣؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٣٠٤، ٣٢٦.

قبة الظاهر قانصوه

أثر رقم ١٦٤ (سنة ٩٠٤هـ/ ١٤٩٩م)

بنهاية ميدان القبق بين باب النصر والبرقوقية، تعرف بقبة الغفير، إذ كانت منذ سنة (١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م)، حتى آواخر القرن المنصرم (بلك خفر) للحراسة[1].

أنشأها الملك الظاهر أبو سعيد قانصوه في سنة (٩٠٤هـ/ ١٤٩٩م)، وقرأنا طرازًا يحيط برقبتها هذا النص ما جاء فيه:

أمر بإنشاء هذه القبة المباركة سيدنا ومولانا ومالك رقنا سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيي العدل في العالمين خادم الحرمين الشريفين المالك الملك الظاهر أبو سعيد قانصوه خلد الله ملكه وكان الفراغ في رمضان المعظم قدره سنة أربع وتسعماية

وفي هذه القبة دفن السلطان المذكور بعد مصرعه، كما دفن فيها ولده في شهر شعبان من هذه السنة قبل إشراف القبة على البناء.

والملك المذكور حكم مصر (٢٠ شهرًا و١٣ يومًا)[2]، تزوج الأميرة مصرباي التي تزوجها خاير بك[3]، وهو صهر الملك الأشرف قايتباي، تزوج بأخته أصلو باي وهي أم ولده الملك الناصر محمد.



قبة الظاهر قانصوه أبو سعيد «عن فييت»

ولأبي سعيد هذا وقف صادر في شهر ربيع الأول سنة (٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م) يتضمن هذا الأثر وما هو موقوف عليه، وهو وقف مشترك، آل الأصل منه إلى قرابته من أسرتي المصيلحي وبيرم، وقد تنظر عليه أخيرًا حسن العلوي بن مصطفى للإشراف على الجزء الخيري منه منذ سنة (١٩١٤م).

(١) تعرف ترب الغفير باسم جبانة العباسية الجديدة، انظر تعلقيات محمد رمزي، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٢: ١٣٠، هامش ٣.

(٢) عن سيرة السلطان الملك الظاهر أبو سعيد قانصوه من قانصوه، انظر: ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٤٠٤- ٤٠٦، ٤٣٦- ٤٣٨.

(٣) المرجع السابق، مج. ٣: ٤٢٦؛ مج. ٥: ٢١٥.

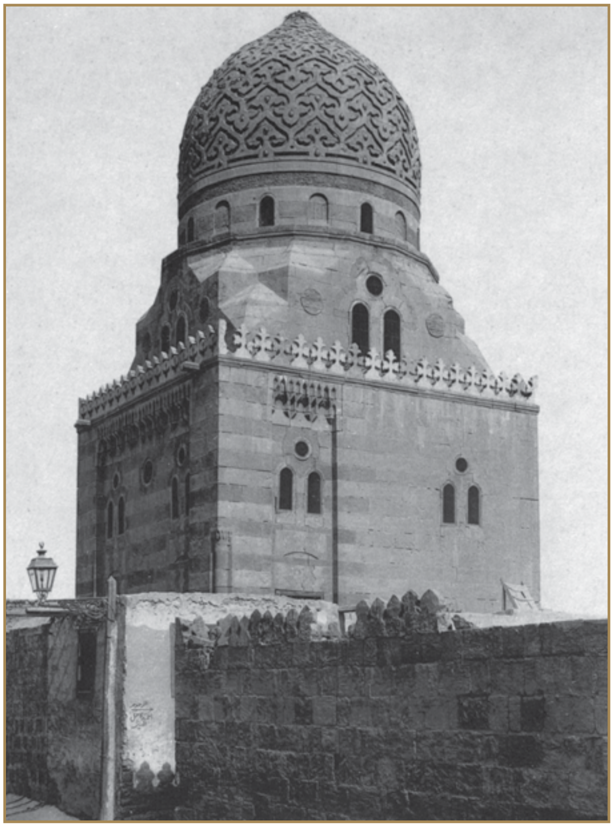
قبة أزرمك الشريفي

أثر رقم ٨٧ (سنة ٩٠٩هـ/ ١٥٠٤م)

هذه القبة بشارع باب الوزير خارج باب البرقية، وهي من نوع القباب الحجرية وظاهرها مزخرف بأشكال هندسية يتخللها قطع زرقاء من الفصة، ويحيط برقبتها طراز قرأنا فيه مايلي:

**البسملة، إنا قمنا إلى عزيزًا صدق الله العظيم.
أمر بإنشاء هذه القبة المباركة في فضل الله تعالى
وجزيل عطائه العميم العبد الفقير إلى الله تعالى
المعترف بالتقصير المقر الأشرف الكريم العالي
المولوي المخدومي السيدي السندي الأميري
الكبيري المجاهدي المرابطي المثاغري السيفي
الشريفى أحد مقدمي الألوف في ذي القعدة بتاريخ
سنة تسع وتسعماية**

ومنشئ هذا الأثر هو أحد مقدمي الألوف في دولة السلطان الغوري أدرك الغزو العثماني، ولما سافر السلطان الغوري إلى قتال السلطان سليم بحلب سنة (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) تخلف أزرمك عن السفر فبقي في مصر، فلما انهزم السلطان وتولى بعده طومان باي لزمه حتى إذا أفضى الأمر إلى قتل السلطان طومان باي اختفى أزرمك، واستمر مختفيًا حتى وضعت الحرب أوزارها وأسندت ولاية مصر إلى خاير بك، ظهر أزرمك وقابل خاير بك «وكان خشداشه أي زميله» فاستأمنه فأمنه، وأنعم عليه بإمرة، واستمر وقتًا ثم سافر إلى الأستانة سنة (٩٢٤هـ/ ١٥١٨م) على رأس بضعة من الأمراء، وبقي في إستانبول حتى مات[١].



قبة أزرمك الشريفي «عن فييت»

وإلى أزرمك هذا ينسب الأمير عبد القادر الأزرمكي منشئ المدرسة القادرية، والتي في محلها الآن جامع الشعراني، المحاذية لقبة الأمير حسن الصنجق.

قبة الأمير طراباي الشريفي

أثر رقم ١٥٥ (سنة ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م)

هذه القبة بقرافة باب الوزير داخل باب تربة طراباي، ترجم ابن إياس لمنشئها في تاريخه قال: «وفي المحرم سنة (٩١٧هـ/ ١٥١١م)، كانت وفاة الأمير طراباي الشريفي رأس نوبة النوب، أصله من مماليك الأشرف قايتباي، ثم ولي في الوظائف الدوادارية الثانية، ثم رأس نوبة النوب في دولة الأشرف جان بلاط، مات عن حوالي «٧٠ سنة» في السادس

(١) المرجع السابق: ٢١٥، ٢٢٥، ٢٣٤، ٢٣٩.

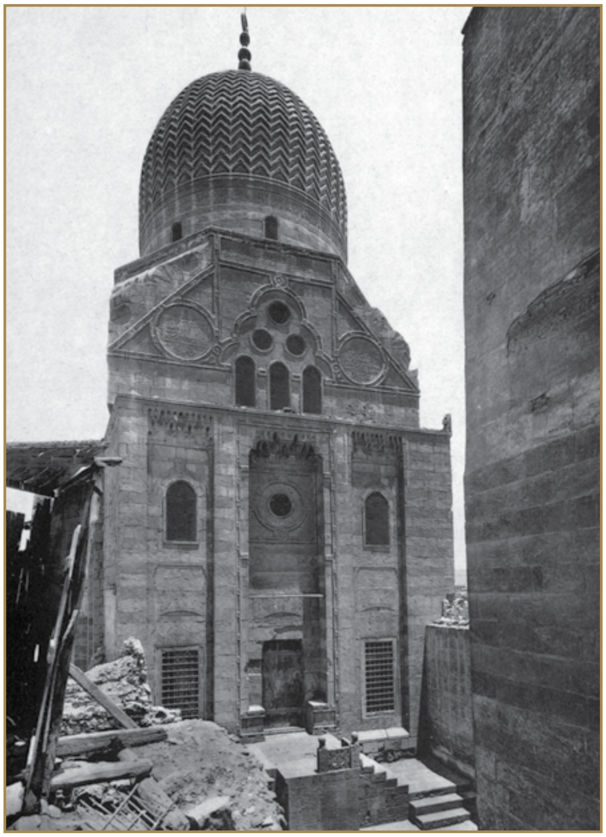
من المحرم، وصلي عليه في سبيل المؤمني ودفن في تربته»[١]، وقرأنا على هذا الأثر في النصوص التاريخية ما يأتي:

أمر بإنشاء هذه القبة المقر الأشرف السيفي طراباي أمير رأس نوبة النواب بالديار المصرية سنة تسع وتسعماية

البسملة، أمر بإنشاء هذا المكان المبارك المقر الأشرف الكريم العالي المولوي الأميري الكبيري السيدي السندي الذخري العضدي الهمامي القوامي النظامي الكفيلي النصيري المشيدي الأسدي السعدي الصميدي الخاشعي المتخشعي الورعي المتورعي الشجاعي المطالعي المجاهدي المرابطي المثاغري المؤيدي المنصوري المالكي المخدومي السيفي طراباي أمير رأس نوبة النواب بالديار المصرية الملكي الأشرفي أعز الله أنصاره وكان الفراغ من هذه القبة السعيدة المباركة في بعض شهور سنة تسع وتسعماية من الهجرة

هذه الكتابة في طراز يدور بدوران القبة من الداخل، وهذا الأثر بقبته هذه يعد من الآثار الممتازة بما تتحلى قبته بالزخارف والنقوش المطبوعة بها من الداخل والخارج.

ولصاحب هذا الأثر وقف صادر به حجة شرعية من الباب العالي بمصر مؤرخة بثامن ذي القعدة سنة (٩١٠هـ/ ١٥٠٤م)، بالدار التي كان يسكنها بدرب البغادة بسويقة العزي تجاه مدرسة بيبرس الدوادار[٢]، وهي الدار التي آلت أخيرًا إلى المرحوم إبراهيم باشا يكن شرقي مدرسة سودون



قبة الأمير طراباي الشريفي «عن فييت»

من زاده بشارع الغندور بسوق السلاح[٣]، وقد ابتاعها بحجة مبايعة مؤرخة بالسادس من رجب سنة (٩١٠هـ/ ١٥٠٤م)، وشرط النظر في وقفه هذا لزوجته جان سوار ثم لابنته منها فاطمة المدعوة سعد الملوك، تزوجت السيفي طاق طموج ولم تعقب منه، وأعقبت من زوجها الثاني «نجت جاس» ابنها الفخري عثمان، وهذا الأخير غير في الوقف وأضاف إليه ما وقفته جان سوار زوج طراباي من أطيان زراعية في بشتيل، ثم استقر الوقف أخيرًا في ابنته زبيدة المرزوق بها من زوجته

(١) المرجع السابق، مج. ٤: ٢٠٨-٢٠٩.

(٢) هي المسجد المعلق الذي يعرف حاليًا بألطي برمق بشارع الغندور. (المؤلف)

(٣) هو حاليًا شارع الغندور نسبة إلى المرحوم علي أغا مستحفظان الغندور بن سليمان، والذي آل إليه قصر طراباي هذا في ١٦ من شوال سنة (١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م)، ثم بيع في ١٥ من ربيع الثاني سنة (١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م)، وذلك ثابت بالسجل رقم ٢٨٦: ١٨٩. (المؤلف)

ليلى بنت الركن عمر، وهذا ما تحققته من السجل رقم ٨٤ [المادة ١١٦٣ ص ٢٤٩] ثاني رجب سنة (١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م).

ولصاحب هذا الأثر أثر آخر بالجبانة الشرقية قرب الزمامية والأشرفية بيد أنه دثر الآن.

تربة طقطباي العلاي

أثر رقم ٤٧٥ (سنة ٩٠٩هـ/ ١٥٠٤م)

هذه التربة بشارع السلطان أحمد داخل زقاق متفرع منه في الحد الغربي الشمالي، أنشأها الأمير طقطباي العلاي نائب القلعة وهذا ما تثبته المذكرة التاريخية بالأثر ونصها:

أنشأ هذه التربة المباركة المقر الأشرفي المولوي المدبري الصاحبي السيفي طقطباي نائب القلعة المنصورة الشريفة بتاريخ سنة تسع وتسعماية

ووقف عليها وقفه الصادر في العشرين من جمادى الآخرة سنة (٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م)، والثاني من رجب سنة (٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م)، والسابع والعشرين من محرم سنة (٩١٧هـ/ ١٥١١م)، بأطيان زراعية بشبين الكوم والمطرية «القبة»، آلت جميعًا بالتواجد الطويل لحسن كتخدا عزبان في رمضان سنة (١١٠٩هـ/ ١٦٩٧م)، ووقف المنشئ محفوظ بشرعية مصر [٤٢ ٢٧٢]، وتسمى إدارة الآثار الإسلامية هذا الأثر بالمحرمة.

ومنشئ هذا الأثر هو طقطباي العلاي الأشرفي،كان من مماليك الأشرف قايتباي وتعين نائبًا للقلعة في عهد الأشرف قانصوه الغوري، وأدرك الغزو العثماني كله ولم يسافر مع السلطان فيمن سافر، لرغبة السلطان في بقائه عضدًا لابن أخيه طومان باي لتنظيم الأمور الداخلية في مصر، فلما انهزم الغوري في موقعة مرج دابق، كان هو في طليعة من مهد لطومان باي بالسلطنة، فلما بويع له بها في أواسط سنة (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) أقره حاجبًا للحجاب، ثم أضاف إليه كشوفية إقليم البحيرة، ولما تحركت الجيوش العثمانية لغزو مصر بعد مصرع السلطان اختاره طومان باي لقيادة التجريدة التي بعث بها لقتال العثمانين ورد السلطان من البلاد الشامية، فلما أخفقت الحملة عاد طقطباي إلى مصر حتى إذا تم الغزو العثمانى لمصر ودخلها السلطان سليم طلب المترجم له وجد في طلبه حتى عثر عليه في مخبأه ثم ما لبث أن قتله في السادس من ربيع الأول سنة (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)، ذكره ابن إياس في تاريخه في حوادث سنتي (٩٢٢- ٩٢٣هـ/ ١٥١٦- ١٥١٧م)، ذكر مقتله في التاريخ المذكور ضمن من قتل في المجزرة البشرية التي أعدها لهم السلطان سليم بالقلعة[1].

وقد رفع هذا الأثر من سجل إدارة حفظ الآثار العربية.

جامع قرقماس

أثر رقم ١٦٢ (سنة ٩١١- ٩١٣هـ/ ١٥٠٦- ١٥٠٨م)

بالصحراء بميدان القبق بجوار جامع إينال، أنشأه الأمير قرقماس في سنة (٩١١هـ/ ١٥٠٦م) إلى سنة (٩١٣هـ/ ١٥٠٨م)، ذكره ابن إياس في تاريخه قال:

وفي ٢٣ رمضان سنة ٩١٦هـ (١٥١١م)، كانت وفاة الأتابك قرقماس من ولي الدين أتابك العساكر بالديار المصرية، كان أميرًا جليلاً، تعين في عصر الغوري أمير سلاح ثم أتابكًا، ودفن بتربته التي أنشأها بالصحراء تجاه تربة الأشرف إينال داخل القبة[2].

---

(١) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٥: ١٥٩، ١٦٩.

(٢) المرجع السابق، مج. ٤: ١٩٧-١٩٨.



قبة الأمير قرقماس «عن كريسويل»

وبالأثر مذكرات تاريخية قرأنا منها:

البسملة، إنما يعمر إلى المهتدين صدق الله العظيم بتاريخ رجب الفرد الحرام سنة ثلاثة عشر وتسعماية

وبإزار سقف السبيل:

البسملة، أمر بإنشاء هذا المعروف المبارك من فضل الله تعالى وجزيل عطائه العميم، سيدنا المقر الأشرف الكريم العالي المولوي الأميري الكبيري، السيدي المالكي المخدومي الأتابكي السيفي قرقماس أتابك العساكر المنصورة بالديار المصرية، الملكي الأشرفي عز نصره الفراغ من القبة شهر ذي القعدة سنة إحدى عشر وتسعماية.

وشعاره بالسبيل الخوان والرمز الحيثي، وهو من قبيلة ولي الدين الجركسية في الجنوب، ولهذا الأمير أثر آخر بمدخل جامع الحاكم بأمر الله بباب الفتوح، كان قد شرع فيه ومات قبل أن يتمه، فأتمه السلطان قانصوه الغوري، قال ابن إياس في حوادث شهر شعبان سنة (٩١٧هـ/ ١٥١١م): «ثم توجه «أي السلطان» إلى باب الفتوح، وكشف عن عمارة

الأتابكي قرقماس التي أنشأها هناك»[١]، وقد تقدم ذكر هذا الأثر[٢].

قبة يشبك الفقيه

أثر رقم ٩١ (سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٢م)

بشارع السلطان أحمد رقم ٩٧ خارج باب البرقية[٣]، أنشأها الأمير يشبك الخازندار المعروف بالفقيه في سنة (٩١٨هـ/ ١٥١٢م)، قتله السلطان سليم في يوم السبت السادس من ربيع الأول سنة (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)[٤]، وقد دثرت هذه القبة وبقيت منها بقية بنت على أنقاضها في سنة (١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م) السيدة نجيبة كريمة أحمد بك نجيب مدفنًا لها ولأسرتها.

وقد رفع هذا الأثر من سجل إدارة حفظ الآثار الإسلامية.

(١) ويبدو أن صاحب المزارات قد اعتقد أن المقصود بهذه العمارة هي القبة المذكورة، في حين أنه بالرجوع إلى كتاب وقف قرقماس تبين لنا أنها كانت بشأن الوكالة، وعلى هذا فالقبة مجهولة النسبة، ويبدو من خلال عناصرها المعمارية أنها تنتمي إلى قباب منتصف القرن التاسع الهجري، انظر: المرجع السابق: ٢٤٣.

(٢) نقلت هذه القبة إلى مكانها الحالي بصحراء المماليك بجوار قبة الأشرف إينال في السبعينيات. (المراجع)

(٣) تقع هذه القبة شمالي حوش ومسجد السيد علي الوقاد بشارع السلطان أحمد، وغربي قبة الرفاعية. (المراجع)

(٤) المرجع السابق، مج. ٥: ١٦٩.